المكتوبات الربانية

للإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد
السرهندي الفاروقي النقشبندي
المتوفى ١٠٣٤ هـ

جمعها
يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني

علّق عليها ووضع حواشيها
مصطفى حسنين عبد الهادي

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب :المكتوبات الربانية

Title : AL-MAKTUBÂT AR-RABBÂNIYYA

التصنيف : تصوف

Classification: Sufism

المؤلف:الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي (ت 1034هـ)

Author : Al-Imam Ahmad ben Abdul-Ahad As-Sarhandi Al-Farouqi An-Naqshabandi (D.1034H.)

المحقق :مصطفى حسنين عبد الهادي

Editor : Mustafa Hasanayn Abdul-Hadi

الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	(3 Volumes) 1472	عدد الصفحات (3 مجلدات)	
Size	17×24 cm	قياس الصفحات	
Year	2015 A.D - 1436H.	سنة الطباعة	
Printed in :	Lebanon	بلد الطباعة : لبنان	
Edition :	2nd	الطبعة :الثانية	

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت–لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٩٦١+
فاكس: ٠٥ ٨٠٤٨١٣ ٩٦١+
ص.ب:٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN-13: 978-2-7451-4111-8
ISBN-10: 2-7451-4111-2

بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله الذي عَجزَت العُقُول عَنْ إدْرَاكِ كُنْه ذَاتهْ * وَتَحيَّرَتْ فُهُومُ الفُحُول في مَعْرِفَة صفَاتهْ * أَبْدَعَ العَالَمَ وَأَجْلى عَجَائبَ صُنْعه في مَجَالي مَصْنُوعَاتهْ * وَخَلقَ نَوْعَ الإنْسَان وَأَوْدَعَ فيه جَميعَ مَا في مُكَوِّنَاتهْ * وَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بخلاَفَته وَفَضَّلَهُ عَلى سَائرِ بَريَّاتهْ * وَصَيَّرَهَا سَبَبًا لنَجَاتهْ * وَإنْجَاحِ حَاجَاتهْ * وَرَفْعِ دَرَجَاتهْ * وَسُلمًا لعُرُوجَاتهْ * إلى أَوْجِ القُرَبِ وَأَقْصَى غَايَاتهْ.

وَلآلئُ الصَّلوَات وَجَوَاهرُ التَّسْليمَات وَفَوَائدُ التَّحيَّات عَلى أَشْرَف مَخْلوقَاتهْ * وَأَكْرَم مَوْجُودَاتهْ * وَالمَظْهَرِ الأَتَمِّ لظُهُورَاتهْ * سَيِّدنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّد، المُرَادُ مِنْ خَلق الكَوْنَيْن وَالعلةُ الغَائيَّةُ لإفَاضَة فُيُوضَاتهْ * وَبَثِّ بَرَكَاتهْ * وَعَلى آله وَأَصْحَابه الذينَ حَازُوا نعْمَةَ صحَابَاتهْ * وَفَازُوا بالتَّطَفُّل في سَائرِ كَمَالاَتهْ * وَعَلى جَميع أَوْليَاء أُمَّته الذينَ بَذَلوا جُهْدَهُمْ في إحْيَاء ملته وَاتِّبَاع سُنَّته وَاقْتفَاء سيرَته في جَميع حَالاَتهْ * فَأَبَاحَ اللهُ لَهُمْ مَوَائدَ نعَمهْ * وقَلَدَهُمْ لطَائفَ مَننهْ * وَزَيَّنَ ظَوَاهرَهُمْ وَبَوَاطنَهُمْ بمَكَارم شيَمهْ * وَنَوَّرَ قُلوبَهُمْ منْ لوَاقح الأَنْوَارْ * وَمَلأَ أَسْرَارَهُمْ بفُصُوص الحكَم وَجَوَاهر الأَسْرَارْ * وَكَحَّلَ أَبْصَارَ بصَائرهمْ بكُحْل العنَايَة وَالاسْتبْصَارْ * وَأَشَمَّهُمْ عَوَارفَ المَعَارف وَمَنَحَهُمْ قُوتَ القُلوبَ وَأَطْلَعَهُمْ منَ العلمِ عَلى مَكْنُونَاتهْ *

أَمَّا بَعْـــــــدُ: فَهَذه دُرَرٌ مَكْنُونَاتٌ مُنيفَهْ * بَرَزَتْ منْ أَصْدَاف عبَارَات المَكْتُوبَات الشَّريفَهْ * للإمَام الرَّبَّاني * وَالغَوْث الصَّمَدَاني * وَالقُطْب السُّبْحَاني * وَالعَارف الرَّحْمَاني * نُقْطَة دَائرَة الإرْشَادْ * رُحْلة الأَبْدَال وَالأَوْتَادْ * قُدْوَة الكُمَلاَء الأَفْرَادْ، وَاقف الأَسْرَار الإلهيَّهْ * كَاشف دَقَائق المُتَشَابهَات القُرْآنيَّهْ * بُرْهَان الولاَيَة الخَاصَّة المُحَمَّديَّهْ * سَمَيِّ سَيِّد المُرْسَلينَ وَأَفْضَل البَريَّهْ * بالاسْم الذي بَشَّرَ به المَسيحُ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّهْ * سَيِّدنَا وَسَنَدنَا وَمَوْلاَنَا وَوَسيلتنَا إلى الله القَديم الكَريم الأَحَد الأَبَديّ * **الشَّيْخ أَحْمَدَ بْنِ الشَّيْخ عَبْد الأَحَد السَّرَهَنْدىّ مَحْتدًا** * الفَارُوقيِّ نَسَبًا * النَّقْشَبَنْديِّ مَشْرَبًا * الحَنَفيِّ مَذْهَبًا * الشَّهير عنْدَ الأَقَاصي وَالأَدَاني * بمُجَدِّد الأَلف الثَّاني * قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ وَرَوَّحَ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَريحَه وَأَفَاضَ عَلَيْنَا منْ بَرَكَاتهْ * وَجَعَلَ لنَا نَصيبًا وَافرًا منْ جَميع مَقَامَاتهْ * بحُرْمَة أَشْرَف العبَاد وَآله الأَمْجَاد.

وَكَانَتْ تلكَ الجَوَاهِرُ تَصْدُرُ مِنْ لَجَجِ مَكْشُوفَاته وَمَعْلومَاته قُدِّسَ سره، شيئاً فَشَيْئًا عَلى مُرُورِ الأَوْقَات وَالحجَجِ مُدَّةَ حَيَاتهْ * مِنْ بدَايَة كَمَاله إلى حين مَمَاتهْ * عَلى مقْدَارِ اسْتعْدَاد كُلِّ مَنْ أَرْسَل إليْه * حَسَبَ مَا يَظْهَرُ مِنْ عَالَمِ الغَيْبَ لدَيْه * بَعْضُهَا فِي ذَمِّ الدُّنْيَا الدَّنيَّهْ * وَبَعْضُهَا فِي الحَثِّ وَالتَّحْرِيضِ عَلى مَا يَنْفَعُ فِي الآخرَة وَدَرَجَاتهَا العَليَّهْ * وَبَعْضُهَا فِي النَّصَائح وَالمَوَاعظ البَهيَّه وَللقبُول حَريَّهْ * وَبَعْضُهَا فِي التَّرْغيب فِي تَرْوِيجِ أَحْكَامِ الشَّريعَة المُصْطَفَويَّهْ * وَأَكْثَرُهَا فِي بَيَان أَسْرَار الشَّريعَة المُحَمَّديَّهْ * وَتَحْقيق حَقَائقهَا * وَحَل رُمُوز الطَّريقَة النَّقْشَبَنْديَّة الأَحْمَديَّهْ * وَكَشْف دَقَائقهَا، مُقْتَبسَةً مِنْ أَنْوَارِ مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّهْ * مُقْتَطَفَةً مِنْ أَشْجَارِ اقْتفَاء السِّيرَة المُصْطَفَويَّهْ * وَمُلْتَقطَةً مِنْ مَوَائد فَوَائد التَّأَدُّب بالآدَاب النَّبَويَّهْ * مَصْدَاقَ قَوْله ﷺ: "إنَّ مِنَ العلم كَهَيْئَة المَكْنُون لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ أَهْلُ المَعْرِفَة باللهِ"، وَفِي رِوَايَة "إلاَّ العُلَمَاءُ باللهِ فَإذَا قَالوهُ"، وَفِي رِوَايَة: "تَكلمُوا"، وَفِي رِوَايَة: "نَطَقُوا بِه لاَ يُنْكِرُهُ إلاَّ أَهْلُ الغرَّة باللهِ"[1].

وَقَوْلُه ﷺ: **"مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلمَ وَرَّثَهُ اللهُ تَعَالى عِلمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"**[2]

---

(١) ــ **حديث ضعيف**: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في " الأربعين في التصوف " من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، وتمامه: " إنَّ مَنَ العلم كَهَيْئَة المَكْنُون، لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ أَهْل المَعْرِفَة بالله تَعَالى، فَإذَا نَطَقُوا به لَمْ يَجْهَلهُ إلاَّ أَهْل الاغْتِرَار بالله تَعَالى، فَلاَ تُحَقِّرُوا عَالمًا آتَاهُ اللهُ تَعَالى علمًا مِنْهُ؛ فَإنَّ اللهَ تَعَالى لَمْ يُحَقِّرْهُ إذْ آتَاهُ إيَّاهُ " والحديث رواه أيضا: الديلمي في مسند الفردوس عن علي بن أبي طالب، وابن شاهين، وذكره الفَتَّنِيُّ في " تذكرة الموضوعات " وذكره الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء وضعف سنده.

والمراد بأهل الغرة بالله: أهل الغفلة الذين ركنوا إلى الدنيا، انظر: المتقي الهندي: كنز العمال: حديث ٢٨٩٤٢، القَنَّوْجِيّ: أبجد العلوم: ٢٤٧/١ــ٢٤٨، ١٥٣/٢، حاجي خليفة: كشف الظنون: ٥١/١ ــ ٥٢.

(٢) ــ **حديث ضعيف وله شواهد تؤيد معناه**: الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس ابن مالك وأشار إلى ضعفه، وكذلك ضعفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، والفَتَّنِيُّ في تذكرة الموضوعات.

وللحديث شواهد تؤيد معناه، ومن ذلك:

ما أخرجه الترمذي من عن يزيد بن سلمة الجعفي أنه قال: يَا رَسُول الله، إنِّي سَمِعْتُ منْكَ حَديثًا كَثيرًا، وَأَخَافُ أَنْ يُنْسِيني أَوَّلُهُ آخرَهُ، فَحَدِّثْني بِكَلمَة تَكُونُ جمَاعًا، قَال: اتَّقِ اللهَ فِيمَا تَعْلَمُ".

وكذلك ما أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس مرفوعا: " مَنْ تَعَلمَ عِلمًا فَعَمِلَ بِهِ، كَانَ حَقًّا عَلى اللهِ أَنْ يُعَلمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلمُ ".

وما أخرجه أبو يعقوب البغدادي في كتاب "رواية الكبار عن الصغار" عن سفيان قال: "مَنْ

عَمِل بِمَا يَعْلَمُ وُفِّقَ إِلى مَا لاَ يَعْلَمُ".

يَعْنِي: مِنْ غَيْرِ تَعَلمٍ مِنْ أَحَد، وَلاَ أَخْذ مِنَ الكِتَاب، بَل بِمُجَرَّد فَتْح البَابْ، مِنْ طَرَف حَكِيمٍ عَلِيمٍ وَهَّابٌ، وَهُوَ عِلْمُ الوِرَاثَة المُحَمَّدِيَّة الذي وَرِثَهُ الأَوْلِيَاء مِنْ بَاطِنِيَّة مُحَمَّد ﷺ بِأَسَانِيد الإِلهَامْ، وَنَقَلَة الكَشْف التَّامْ، وَصَفَاء السَّرِيرَة، وَصِدْق المُعَامَلَة مَعَ اللهِ تَعَالى دُونَ غَيْرِهِمْ؛ لِحَدِيث رَوَاهُ القَسْطَلاَّنِيُّ فِي المَوَاهِب اللدُنِيَّة وَغَيْرِه فِي كُتُب الأَحَادِيث النَّبَوِيَّة مِنْ قَوْلِه ﷺ: "وَسَأَلَنِي رَبِّي فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجِيبَهُ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ [بِلاَ تَكْيِيف وَلاَ تَحْدِيد][1] فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا فَأَوْرَثَنِي عِلمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَعَلَّمَنِي عُلُومًا شَتَّى: فَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ كِتْمَانَهُ؛ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلى حَمْلِه أَحَدٌ غَيْرِي، وَعِلْمٌ خَيَّرَنِي فِيه، وَعَلَّمَنِي القُرْآنَ فَكَانَ جِبْرِيل يُذَكِّرُنِي بِه وَعِلْمٌ أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِه إِلى الخَاصِّ وَالعَامِّ "[2] اهـ.

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الحَدِيث: أَنَّ وَرَاءَ العِلْمِ الذي أُمِرَ بِتَبْلِيغِه إِلى الخَاصِّ وَالعَامِّ الذي هُوَ عِلمُ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَامِ عِلمَيْنِ آخَرَيْنِ، بَل عُلُومًا شَتَّى؛ كَمَا قَال ﷺ كُلُهَا حَقٌّ:

أَمَّا العِلمُ المَأْمُورُ بِكِتْمَانِه فَهُوَ عِلمُ النُّبُوَّة؛ إِذْ لاَ يَعْلَمُهُ وَلاَ يَقْدِرُ عَلى حَمْلِه غَيْرُ النَّبِيِّ وَلاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ.

---

(١) ـــ ما بين المعكوفتين ليس من أصل الحديث.

(٢) ـــ هذا الحديث المشهور بحديث اختصام الملأ الأعلى، والحديث أخرجه أحمد في مسنده، والترمذي في السنن في تفسير سورة ص حديث ٢٣١ وحسنه، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة، وابن جرير في تفسيره، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَة، فَقَال: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلى يَا مُحَمَّدُ ؟ قَال: قُلتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ أَيْ رَبِّ... ! قَال: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، قَال: فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَات وَالأَرْض، ثُمَّ تَلاَ هَذه الآيَة: **{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}** ثُمَّ قَال: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلى ؟ قَال: قُلتُ: فِي الدَّرَجَات وَالكَفَّارَات. قَال: وَمَا الكَفَّارَاتُ ؟ قُلتُ: نَقْل الأَقْدَام إِلى الجَمَاعَات، وَالمَجَالِسُ فِي المَسَاجِد خِلاَفَ الصَّلَوَات، وَإِبْلاَغُ الوُضُوء أَمَاكِنَهُ فِي المَكْرُوه، فَمَنْ يَفْعَل ذَلِكَ يَعِشْ بِخَيْر وَيَمُتْ بِخَيْر وَيَكُنْ فِي خَطِيئَتِه كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ: فَبَذْل السَّلاَم، وَإِطْعَامُ الطَّعَام، وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْل وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَال: قُل: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَات، وَتَرْكَ المُنْكَرَات، وَحُبَّ المَسَاكِين، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ. فَقَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ: تَعَلَّمُوهُنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ " وأخرجه كذلك الطبراني عن أبي رافع مرفوعا.

وَأَمَّا العلمُ الذي خُيِّرَ فيه ﷺ فَهُوَ علمُ الولاَيَة وَهُوَ علمُ بَاطنِ الشَّريعَة وَحَقيقَتهَا وَأَسْرَارهَا المَخْزُونَة المَكْنُونَة التي أَسَرَّهَا النَّبيُّ ﷺ لخَوَاصِّ أَصْحَابه كَمَا خَصَّ بإعْلاَم المُنَافقينَ حُذَيْفَةَ[1] ــ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ــ وَهُمْ أَسَرُّوهَا إلى خَوَاصِّ أَصْحَابهمْ وَهَلمَّ جَرًّا لأَنَّهَا إنَّمَا تُؤْخَذُ وَتُتَلقَّى بالأَحْوَال الصَّادقَة وَالعَقيدَة الرَّاسخَة وَالأَعْمَال الصَّالحَة المَصْحُوبَة بالإخْلاَص وَالنِّيَّة الخَالصَة وَمُلاَزَمَة الذِّكْر وَمُدَاوَمَة الفكْر وَمُرَاقَبَة الحُضُور مَعَ اللهَ تَعَالى كَذَا قَال خَاتمَةُ المُحَقِّقينَ العَارفُ باللهِ الشَّيْخُ عَبْدُ الغَنيِّ النَّابُلسيُّ[2] قُدِّسَ سرُّهُ.

وَقَال أَبُو هُرَيْرَةَ[3] ــ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ــ فيمَا رَوَاهُ البُخَاريُّ[1] في صَحيحه: "حَفظْتُ عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ وعَائيْن:

---

(١) ــ **حذيفة بن اليمان**: حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي حليف بني عبد الأشهل من الأنصار، أسلم حذيفة وأبوه وشهدا أُحدا واستشهد فيها اليمان قتله المسلمون خطأ فوهب حذيفة لهم دمه، كان صاحب سر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وله مناقب كثيرة، مات بالمدائن سنة ست وثلاثين.

(٢) ــ **الشيخ عبدالغني النابلسي**: هو الشيخ عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصالحي الحنفي النقشبندي القادري المعروف بالنابلسي، عالم أديب صوفي، تولى الإفتاء والتدريس، مشارك في أنواع من العلوم، ولد في دمشق في الخامس من ذي الحجة سنة: ١٠٥٠هـ-١٦٤١م وتوفي بها أيضا في الرابع والعشربن من شهر شعبان سنة: ١١٤٣هـ-١٧٣١م، من مكثرين في التصنيف، ومن مصنفاته: إطلاق الوجود على الحق المعبود، أنوار السلوك في أسرار الملوك إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، بقية الله خير بعد الفناء وغيرها كثير. انظر ترجمته في: المرادي: سلك الدرر: ٣/٣٠-٣٨، الجبرتي: عجائب الآثار: ١/١٥٤، البغدادي: هدية العارفين: ٥/٥٩٠، الزركلي: الأعلام: ٤/١٥٨-١٥٩، الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات: ٢/١٥٠-١٥٢، جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية: ٣/٣٢٤، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين: ٢/١٧٦-١٧٨.

(٣) ــ **أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي**: على الراجح من اسمه حافظ الصحابة على الإطلاق ووعاء السنة اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولا، أرجحها عند الأكثر عبد الرحمن بن صَخْر، مات سنة ٥٩ هـ، وقيل: قبلها بسنة أو سنتين، قال الحاكم أبو أحمد ــ بعد أن حكى الاختلاف في اسمه ببعض ما تقدم ــ: كان من أحفظ أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وألزمهم له صحبة، على شبع بطنه؛ فكانت يده مع يده؛ يدور معه حيث دار، إلى أن مات، ولذلك كثر حديثه، وأخرج البخاري في صحيحه: ٥/٣٤فتح، عن الأعرج، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: " يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه ؟ وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءً مسكينا، ألزم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال

● أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَبَثْثُهُ.

النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوما: " لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا "، فبسطت نمرة ليس عليَّ ثوبٌ غيرها، حتى قضى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدثتكم شيئا أبدا: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات} انظر: الإصابة: ٤٢٢/٧، التهذيب: ٤٧٩/٦، الكاشف للذهبي: ٣٨٥/٣.

(١) ــ **الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي**: حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صاحب الجامع الصحيح، ولد سنة ١٩٤هـ في بخارى ونشأ يتيما، طلب الحديث مبكرا ورحل في طلبه سنة ٢١٠هـ إلى الأمصار فكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر، وسمع من نحو ألف شيخ وجمع نحو ستمائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته وهو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو، قال عنه الحافظ في التقريب: " جبل الحفظ وإمام الدنيا "، من تصانيفه الكثيرة: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير، الأسماء والكنى، الرد على الجهمية وخلق أفعال العباد، رفع اليدين في الصلاة، توفي، أفردت في ترجمته المصنفات منها: أخبار البخاري للذهبي، ترجمة البخاري للدواليبي، الفوائد الدراري للعجلوني، مناقب البخاري للعيدروسي وللبسكري، حياة البخاري للقاسمي، تاريخ الإمام البخاري للمباركفوري. انظر في ترجمته: طبقات الفقهاء للشيرازي:، طبقات الحنابلة: ٢٧١/١ــ٢٧٩، صفة الصفوة: ٣٥٤/٢، مقدمة هدي الساري:، تهذيب التهذيب: ٣٣/٥ــ٣٨، المنهج الأحمد: ١٣٣/١، شذرات الذهب: ١٣٤/٢، النجوم الزاهرة:، هدية العارفين: ١٦/٢، الأعلام: ٣٤/٦، معجم المؤلفين: ١٣٠/٣، ضحى الإسلام: ١١٠/٢ــ١١٩، بروكلمان: ١٦٣/٣، تاريخ التراث العربي: ١٧٣/١

وفي تاريخ التراث لسزكين طعن متهافت لا وزن له، وتعصب على الإمام البخاري وصحيحه؛ فزعم صاحبه ــ بعد دراسة ناقدة عميقة !! اتضح له منها أن الكتاب صادف حظا كبيرا، وأن معلقات البخاري إنما هي أسانيد ناقصة في ربع مادتها وأنه" بهذا يفقد كتاب البخاري كثيرا من شهرته بالجمع والشمول "ولا يكون البخاري بهذه المعلقات العالَم الذي طور الإسناد إلى الكمال، بل هو أول من بدأ معه انهيار الإسناد !!

ومثل هذا النقد يكشف عن جهل مركب وسَوْءَةٍ علمية لصاحبه بعلوم أهل الحديث واصطلاحهم فضلا عن أن يدرس صحيح البخاري دراسة ناقدة عميقة؛ حيث لم يفرق بين صحيح البخاري وبين معلقات البخاري؛ فإن معلقات البخاري لا تأخذ حكم الأحاديث الموصولة، بل هي كما قيل فقه الإمام البخاري في صحيحه، لا أنها هي الصحيح نفسه، وهذه المعلقات على مراتب: فمنها المرفوع منها الموقوف، ومنها الصحيح الذي على شرط البخاري وما ليس على شرطه ومنها الحسن ومنها أيضا الضعيف الذي يتقوى بغيره، وانظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري: ١٩ــ٧٧، تغليق التعليق: ٢٨٠/١،قواعد التحديث: ١٢٤.

● وَأَمَّا الآخَرُ: فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلعُومُ"(١).

يَعْني: لقَتَلوني لحُكْمهمْ بكُفْري حَيْثُ لَمْ يَفْهَمُوا مَا أُشيرُ إليْه في كَلاَمي منْ حَقَائق المَعَاني وَأَسْرَار الشَّريعَة المُطَهَّرَة؛ كَمَا وَقَعَ للإمَام حُجَّة الإسْلاَم أَبي حَامد الغَزَالي(٢) حينَ أَظْهَرَ بَعْضَ أَسْرَار مُعَامَلة الدِّين حَيْثُ رَمَوْهُ بالزَّنْدَقَة وَالخُرُوج منَ الدِّين، فَلاَ بُدَّ منْ كتْمَانه منْ غَيْر أَهْله إلى أَنْ يَجيءَ وَقْتُ ظُهُوره ــ بإذْن الله تَعَالى ــ فَإنَّ الأُمُورَ مَرْهُونَةٌ بأَوْقَاتهَا (شعْرٌ).

وَللمَرْء أَحْوَال وَللحَال فُرْصَةٌ وَللدَّهْر أَوْقَاتٌ وَللوَقْت حَادثُ

كَمَا قَال ﷺ لعَائشَةَ(٣) ــ رَضيَ اللهُ عَنْهَا ــ عَلى مَا رَوَاهُ الشَّيْخَان: " لوْلاَ أَنَّ قَوْمَك حَديثُوا عَهْد بشرْك لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ فَأَلزَقْتُهَا بالأَرْض وَجَعَلتُ لَهَا بَابًا شَرْقيًا وَبَابًا غَرْبيًا وَزدْتُ فيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ منَ الحَجَر فَإنَّ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْهَا

(١) ــ **حديث صحيح:** أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب حفظ العلم حديث ١٢٠، وقول أبي هريرة: قطع هذا البلعوم: كناية عن قتله، وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه أبو هريرة على الأحاديث التي فيها أسامي أمراء السوء وأحوال زمانهم؛ ومن الدليل على هذا التأويل أن أبا هريرة كان يكني عن بعض ما سيحدث من الفتن ولا يصرح به خوفا على نفسه كقوله: " أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان " يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، ويدل عليه أيضا قول ابن عمر: " لو حدثكم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم: كذب أبو هريرة ". انظر: تفسير القرطبي: ١٨٦/٢، فتح الباري: ٢٦٣/١.

(٢) ــ **أبو حامد الغزالي:** محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي، زين الدين حجة الإسلام أبو حامد، ولد سنة: (٤٥٠هـ ــ ١٠٥٨م) وتوفي سنة: (٥٠٥هـ ــ ١١١١م) حكيم متكلم فقيه أصولي صوفي مشارك في كثير من العلوم، ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان، تلمذ لإمام الحرمين الجويني وحضر مجلس نظام الملك، من تصانيفه الكثيرة: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الوجيز في فروع الشافعية، المستصفى في أصول الفقه، وغيرها كثير. انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٤٢/١٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥٨٦/١-٥٨٨، السبكي: طبقات الشافعية: ١٠١/٤-١٨٢، ابن الجوزي: المنتظم: ١٦٩/٩، ابن الأثير: اللباب: ١٧٠/٢، ابن كثير: البداية والنهاية: ١٧٣/١٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١٠/٤-١٣، ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة: ٢٠٣/٥.

(٣) ــ **أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق:** أحب أزواج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى نفسه، الصديقة بنت الصديق، أمها أم رومان بنت عامر، خطبها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة، وبنى عليها في شوال سنة ثنتين من الهجرة، كناها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعبد الله بن الزبير، كانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين، ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة. انظر: ابن حجر: الإصابة: ٣٢٨/٨-٣٢٩.

حينَ بَنَت الكَعْبَةَ فَإِنْ بَدَا لقَوْمِكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلمِّي لأُرِيكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ"[1] الحَديثَ.

فَانْظُرْ: كَيْفَ تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرًا مَشْرُوعًا مَخَافَةَ الفِتْنَة في زَمَنه، وَأَشَارَ إلى جَوَاز فعْل غَيْره ذَلكَ الأَمْرَ في وَقْت آخَرَ لعَدَم تَوَقُّع الفتْنَة، فَلاَحَ منْ هَذَا وَجْهُ بَثِّ المُتَأَخِّرِينَ عُلومَ الأَسْرَار بالتَّآليف وَالتَّصَانيف مَعَ سَتْرِ المُتَقَدِّمينَ وَكَتْمهمْ إيَّاهَا، عَلى أَنَّ قَصْدَهُمْ في ذَلكَ إفَادَةُ أَهْلهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلهُمْ في ذَلكَ مَقَاصِدُ أُخْرَى حَسَنَةٌ يُعْلمُ بَعْضُهَا منْ بَعْضِ هَذه المَكْتُوبَاتُ، (ع):

*** فَيَالهَا قصَّةً في شَرْحهَا طُول ***

وَلَمَّا كَثُرَتْ تلكَ المَكَاتيبُ وَانْتَشَرَتْ وَفى أَقْطَارِ الأَرْضِ انْتَثَرَتْ * قَامَ بجَمْعهَا ثَلاَثَةٌ منْ كبَارِ أَصْحَابه حَسَبَ الإشَارَة وَالأَمْر * فَجَمَعُوهَا في ثَلاَثَة مُجَلدَات وَأَوْدَعُوهَا في دُولاَبِ الدَّهْر * فَبَقيَتْ عَلى مَا كَانَتْ عَلَيْه منَ العبَارَة الفَارسيَّة زَمَانًا طَويلاً * فَأَمَّا الذينَ هُمْ منْ أَهْل لسَانهَا فَكَانُوا يَشْرَبُونَ منْ يَد خَرَائدهَا شَرَابًا سَلسَبيلاً * وَيُزَيِّنُونَ بفَرَائدهَا تيجَانًا وَأَكَاليلاً * وَيُدَاوُونَ بعَقَاقرهَا مَنْ سَقَطَ مَريضًا وَعَليلاً * وَأَمَّا الذينَ خَالفَتْهَا لغَاتُهُمْ فَلمْ يَكَادُوا يَهْتَدُونَ إلَيْه سَبيلاً * وَلَمْ يَجدُوا في وصَاهَا عَليْهمْ دَليلاً * وَلاَ مَنْ يَكُونُ عَلَيْه عَويلاً * فَطَالَمَا امْتَدَّتْ إلَيْه أَعْنَاقُ الأَشْوَاق * وَاشْتَدَّ صُدُودُهَا عَلى العُشَّاق * وَهيَ مُحَجَّبَةٌ بأَسنَّة أَبْطَال العبَارَات الفَارسيَّهْ * وَالإقْدَامُ عَليْهَا أَشَدُّ وَأَصْعَبُ منَ اقْتحَام وَقْعَة القَادسيَّهْ.

وَلَمَّا رَأَيْتُ كَثْرَةَ تَطْلاَب المُشْتَاقينَ إيَّاهَا * وَتَطَوُّفَ العَاشقينَ حَوْل حمَاهَا * وَسُقُوطَ الهَائمينَ بهَا صَرْعَى مَا بَيْنَ رُبَاهَا * وَرَأَيْتُ المَيْدَانَ عَنْ فُرْسَان هَذَا الشَّأْن خَاليًا * وَالزَّمَانَ مَاضيًا * وَهيَ عَلى صُدُودهَا كَمَا هيَا * اخْتَلجَ في صَدْري أَنْ أُلقيَ لإصْلاَح ذَات البَيْن في حُدُود بَحْرهَا الفَارسيِّ المَرَاسيَا * وَأَقْطَعَ في جَزيرَة العَرَب مَهَامهَ وَرَوَاسيَا * لمَا بَيْني وَبَيْنَهَا منَ المَعْرفَة وَالأُلفَة منْ صغَر السِّنِّ * إلى أَنْ نَاهَزَ العُمُرُ الآنَ الثَّلاَثين * وَلكن امْتَنَعْتُ عَنْ ذَلكَ لعَدَم الاسْتطَاعَة وَقلة البضَاعَة في العُلوم العَرَبيَّه * وَقُصُور البَاع وَقلة الاطِّلاَع عَلى الفُنُون الأَدَبيَّه * وَغَيَّرْتُ نَفْسي أَشَدَّ تَغْيير * قَائلاً: أَنَّى لكَ هَذَا؛ فَإِنَّكَ لسْتَ في العير وَلاَ في النَّفير

---

(١) ــ **حديث صحيح**: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحج باب نقض الكعبة وبنائها، وأحمد في مسند عائشة، والنسائي: كتاب مناسك الحج باب بناء الكعبة حديث ٢٨٩٣، والترمذي: أبواب الحج والعمرة حديث: ٨٧٦ جميعهم من حديث عائشة وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وَهَبْ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا مَعْرِفَةً مَا وَلكِنْ أَيْنَ فِيكَ حَلاَوَةُ التَّعْبِير * فَإِنَّكَ لَمْ تَلدْكَ يَعْرُبُ وَإِيَاد * وَلَمْ تَنْشَأْ فِي كُوفَة وَلاَ بَغْدَادَ.

مَعَ أَنَّ رِجَال هَذَا الشَّأْن قَدْ لعبَتْ بِهِمْ أَيْدِي النَّوَائب فَرَكِبُوا غَارِبَ الاغْتِرَابْ * وَصَاحَ عَلى أَوْطَانِهِمُ البُومُ وَالغُرَابْ * وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ إِقْلِيمِ الزَّوَال وَالأُفُول *

وَسَحَبَ الذُّل وَالمَهَانَةُ عَلى بَقَايَاهُمُ الذُّيُول * فَحَمَلوا حُمُولَهُمْ عَلى زَوَايَا الاسْتِتَارِ وَالخُمُول * فَكُل مَنْ جَاءَ حَوْل خِيَامِهِمْ يَجُول * يَقُومُ رَاهِبُ دِيرِهِمْ وَيَقُول:

إِنَّ الخِيَامَ التِى قَدْ جِئْتَ تَطْلُبُهَا * بِالأَمْسِ كَانُوا هُنَا وَالآنَ قَدْ رَحَلوا**

فَيَرْجِعُ بَاكِيًا مُشَبِّكًا عَشَرَةً عَلى رَأْسِه وَمُنْشِدًا:

لاَ وَالذي حَجَّتْ قُرَيْشٌ بَيْتَهُ ... مُسْتَقْبِلينَ الرُّكْنَ مِنْ بَطْحَائِهَا
مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي خِيَامَ قَبِيلة ... إِلاَّ بَكَيْتُ أَحِبَّتِي بِفِنَائِهَا
أَمَّا الخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ ... وَأَرَى نِسَاءَ الحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّة مِنْ ذَلكَ تَأَكَّدَ مَا هَجَسَ فِي الخَاطِرِ الفَاتِرِ هُنَالكَ بِوُقُوعِ الإِشَارَه * مِمَّنْ إِشَارَتُهُ مُشْتَملةٌ عَلى أَنْوَاعِ اللطْف وَالبِشَارَه * فَاسْتَخَرْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعْدَ هَذه الإِشَارَه * وَكَرَّرْتُ الاسْتِخَارَةَ فَانْشَرَحَ صَدْرِي * لَمَا قَصَدْتُهُ مِنْ أَمْرِي وَعَلمْتُ أَنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَلاَ بُدَّ وَأَنْ يَقَعَ حَسْبَمَا أَرَادَ، وَلكِنَّ مُرُورَ الأَزْمَان مِنْ شُرُوط ظُهُورِ المُرَاد، فَتَوَجَّهْتُ مُتَرَجِّلاً تلقَاءَ مَدْيَنَ المَآرب، رَاجِيًا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ أَكُونَ رَابِعَهُمْ[1] كَلبَهُمْ بِتَطَفُّلهِمْ فِي تلكَ الأَذْوَاق وَالمَشَارِب * وَسَلكْتُ فِي النَّقْل مِنْ طَرِيقَي التَّرْجَمَة المَسْلكَ الثَّانِي * أَعْنِي رِعَايَةَ جَانب المَعَانِي؛ لكَوْنه أَجْوَدَ، مَعَ رِعَايَة الأَوَّل، أَعْنِى: رِعَايَةَ جَانب اللفْظ مَهْمَا أَمْكَنَ؛ فَإِنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الشُّبْهَة وَأَجَدّ * فَإِنْ أَتَيْتُ بِبَعْض أَلفَاظ لَيْسَ فِي المَنْقُول عَنْهُ مَا يُرَادِفُهَا مِنْ نَحْوِ إِظْهَارِ المُضْمَرِ وَتَفْسِيرِ المُجْمَلِ وَتَبْدِيل الجَمْعِ بِالمُفْرَد وَعَكْسه وَتَغْيِيرِ الغَيْبَة إِلى الخِطَاب وَالتَّكَلمِ وَعَكْسه، وَأَمْثَال ذَلكَ فَهُوَ مِنْ لوَازِمِ هَذَا المَسْلك؛ فَإِنَّ تَغَايُرَ اللغَتَيْنِ وَتَبَايُنَ الاصْطِلاَحَيْنِ مُقْتَضيَان لذَلكَ وَمَا أَظُنُّكَ تَجِدُهُ إِلاَّ قَلِيلاً * فيمَا لَمْ أَجِدْ إِلى العُدُول عَنْهُ سَبِيلاً، وَمَعَ ذَلكَ هُوَ أَيْضًا مُقْتَبَسٌ مِنْ ذَلكَ النِّبْرَاسْ * لإِزَاحَةِ

---

(١) — يعنى رابع الذين جمعوا هذه المكتوبات كما مر بقوله قام بجمعها ثلاثة من كبار أصحابه اهـ سند عفى عنه.

الالتباسْ * وَدَفْعِ الوَسْوَاسْ * لاَ أَخْذٌ بالتَّخْمين وَالقيَاسْ * وَالتَزَمْتُ إيرَادَ جَميعهَا، وَإنْ وَقَعَ مُكَرَّرًا فَإنَّ ذَلكَ أَسْلمُ وَأَفْيَدُ * وَالمَرْجُوُّ مِنَ النَّاظرينَ أَهْلِ الإنْصَافْ * المُتَبَاعدينَ عَنِ الاعْتسَافْ * إغْضَاؤُهُمْ عَمَّا وَقَعَ فيه منَ الزَّلل * وَإصْلاَحُهُمْ مَا ظَهَرَ لَهُمْ فيهِ منَ الخَلل * فَإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبَى أَنْ يَصحَّ إلاَّ كتَابُهُ.

وَمَنْ ذَا الذي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلهَا * كَفَى المَرْأَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايبُهْ**

وَعَدَمُ الاسْتعْجَال * بإطْلاَق سهَام المَلاَم وَنبَال المَقَال * فَإنَّ الاشْتغَال برُؤْيَة عُيُوب الرِّجَال منْ عَادَة السَّفَلَة وَدَيْدَن الأَرْذَال.

وَكَمْ منْ عَائب قَوْلاً صَحيحًا * وَمَنْشَأُهُ منَ الفَهْمِ السَّقيمِ**

خُصُوصًا إذَا انْجَرَّ ذَلكَ إلى طَعْن الأَكَابر وَسُوء الظَّنِّ فيهمْ، الحَذَرَ الحَذَرَ منْ ذَلكَ؛ فَإنَّ سَهْمَهُمْ صَائبٌ وَلَحْمَهُمْ مَسْمُوم * وَمُعَارضَهُمْ مَشْئُوم * وَقَتيلهُمْ لاَ يَحْيَى وَصَريعَهُمْ لاَ يَقُوم، (شعْرٌ):

دَخَلتَ غَابَ أُسُود غَابَ عَنْكَ حجَى * وَأَنْتَ تَحْسَبُهَا دَهْنَاءَ غزْلاَن**

فَإنْ حَصَلتْ لكَ القَنَاعَةُ بمَا فيه وَانْتَفَعْتَ به فَيُبَارَكُ فيكَ * وَإلاَّ: فَدَعْ مَا يَريبُكَ إلى مَا لاَ يَريبُكَ[1] * وَسَلمِ الأَمْرَ إلى أَهْلهِ؛ فَإنَّ {اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلهَا}[2].

إذَا لَمْ تَسْتَطعْ أَمْرًا فَدَعْهُ * وَجَانبْهُ إلى مَا تَسْتَطيعُ**

فَإنَّ لكُل مَيْدَان رجَالاً، وَلكُل رجَال مَقَالاً وَأَحْوَالاً، "السَّيْفُ للضَّارب" مَثَل مَشْهُورٌ وَللهِ دَرُّ القَائل.

وَمَنْ سَمعَ الغنَاءَ بغَيْر قَلب * وَلَمْ يَطْرَبْ فَلاَ يَلم المُغَنِّي**

وَعَليْكَ الاتِّعَاظَ بمَا وَعَظَكَ به الشَّيْخُ عَبْدُ الغَنيِّ النَّابُلسيُّ ــ رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ ضَريحَهُ ــ حَيْثُ قَال: "وَأُحَذِّرُ منَ الطَّعْن في أَحَد منْهُمْ وَاعْتقَاد مُخَالفَته لمَا عَلمْتَ منَ الكتَاب وَالسُّنَّة؛ فَإنَّهُمْ أَعْلَمُ منْكَ بهمَا، وَأَكْثَرُ فَهْمًا منْكَ وَمنْ أَمْثَالكَ لمَعَانيهمَا * لتَنَوُّر عُقُولهمْ بنُور مَعْرفَة اللهِ وَزيَادَة الاطِّلاَع عَلى سُنَّة رَسُول اللهِ وَاتِّصَافهمْ بالإخْلاَص وَاليَقين".

---

(١) ــ اقتباس من حديث صحيح رواه أحمد في مسنده عن أنس، والنسائي عن الحسن بن علي، والطبراني في معجمه الكبير عن وابصة بن معبد والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من حديث ابن عمر، وابن قانع في معجم الصحابة عن الحسن.

(٢) ــ جزء من الآية: ٥٨ من سورة النساء.

وَأَنْتَ أَيُّهَا الفَقيهُ المسْكينُ تَعْرِفُ حصَّةً مِنْ كَيْفيَّة الأَعْمَال الشَّرْعيَّة اسْتَخْلصْتَ مَعْرِفَتَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اشْتغَالكَ بشَهَوَات بَطْنكَ وَفَرْجكَ فَأَنْتَ فَرْحَانٌ بهَا تَظُنُّ أَنَّكَ بسَبَبهَا صِرْتَ منَ العُلمَاء الكبَار * وَسَاوَيْتَ المُتَقدِّمينَ أُولي الأَبْصَار وَالاسْتبْصَار، فَاعْمَلْ بمَا بَدَا لَكَ إِنْ أَرَدْتَ النَّصيحَةَ، وَلاَ تَدْخُلْ فِي أَعْمَال مَنْ هُوَ أَعْلَى منْكَ مِنْ أُولي الهمَم الصَّحيحَة، "وَمِنْ أَيْنَ للعُصْفُور أَنْ يَأْكُلَ مِنْ مَأْكَل النُّسُور" فَإِنَّ حَوْصَلَتَهُ المُعْتَادَةَ عَلَى الحَبَّات الصِّغَار لاَ تُشَابهُ حَوْصَلَةَ النُّسُور التي لاَ يُقيتُهَا غَيْرُ اللقَم الكبَار: {قَدْ عَلمَ كُلُ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}[1] يَعْني عُذُوبَةً وَأُجَاجًا وَ: {لكُل جَعَلنَا منْكُمْ شرْعَةً وَمنْهَاجًا}[2] انْتَهَى مُلخَّصًا .

وَجُلُ المَقْصُود منَ ارْتكَاب هَذَا الأَمْر الجَسيم وَالخطْب العَظيم أَدَاءُ بَعْض خدْمَة عَتَبَة مَنْ طَوَّقَني قَلاَئدَ منَح جَزيله * وَأَنْعَمَ عَليَّ بجَلاَئل نَعَم جَميله * مُرْشد السَّالكين * وَمُرَبِّي الطَّالبين * وَقُدْوَة الوَاصلين * وَزُبْدَة العَارفين * شَيْخ الحَرَمَيْن الشَّريفَيْن * وَإمَام المَقَامَيْن المُنيفَيْن * حَامي مُهْجَة الطَّريقَة النَّقْشَبَنْديَّه * وَحَافظ النِّسْبَة الأَحْمَديَّة المُجَدِّديَّه * سَيِّدنَا وَمَوْلاَنَا وَمُرْشدنَا وَوَسيلتنَا إلى الله سَيِّدي الشَّيْخ الجَليلَ * وَالسَّيِّد النَّبيلَ * أَبي عَبْد الله مُحَمَّد صَالح بْن عَبْد الرَّحْمَن الزَّوَاوي * عَامَلَهُ اللهُ تَعَالى بفَضْله العَميم وَلطْفه الحَاوي * آمينَ؛ بحُرْمَة جَدِّه الذي نَزَلَ إلَيْه الرُّوحُ الأَمينُ. وَلْيَكُنْ هَذَا أَوَانَ الشُّرُوعِ فِي المَقْصُود * مُسْتَعينًا بمُفيضِ الخَيْر وَالجُود.

قَال جَامعُ المَكَاتيب رَحمَهُ اللهُ بَعْدَ مَا تَيَمَّنَ ببسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم: "الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ أَضْعَافَ مَا حَمدَهُ جَميعُ خَلقه كَمَا يُحبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى * وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً للعَالمينَ كُلمَا ذَكَرَهُ الذَّاكرُونَ وَكُلمَا غَفَلَ عَنْ ذكْره الغَافلونَ كَمَا يَنْبَغي لهُ وَيَحْرَى * وَعَلى آله وَأَصْحَابه البَرَرَة التَّقَى.

أَمَّـا بَعْـــدُ: فَإِنَّ هَذَا المُجَلدَ الأَوَّل منَ المَكْتُوبَات القُدُسيَّة لحَضْرَة غَوْث المُحَقِّقين * قُطْب العَارفين * بُرْهَان الولاَيَة المُحَمَّديَّه * حُجَّة الشَّريعَة المُصْطَفَويَّه * شَيْخ الإسْلاَم وَالمُسْلمينَ شَيْخنَا وَإمَامنَا الشَّيْخ أَحْمَدَ الفَارُوقيِّ النَّقْشَبَنْديِّ ــ سَلَمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاهُ، جَمَعَهُ هَذَا الحَقيرُ قَليل البضَاعَة أَقَل القَاعدينَ عَلى تُرَاب أَعْتَاب تلكَ الخَيْمَة المُقَدَّسَة يَار مُحَمَّد الجَديد البَدَخْشيُّ الطَّالَقَانيُّ وَأَوْرَدَهُ فِي قَيْد التَّحْرير رَجَاءَ وُصُول النَّفْع منْهُ إلى طَالبي الحَقِّ جَل وَعَلاَ وَالمَسْئُول منَ اللهِ سُبْحَانَهُ العصْمَةُ وَالتَّوْفيقُ.

---

(١) ــ جزء من الآية: ٦٠ من سورة البقرة.

(٢) ــ جزء من الآية: ٤٨ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ الأَوَّل

فِي بَيَانِ الأَحْوَال التي لَهَا مُنَاسَبَةٌ بالاسْمِ الظَّاهِرِ وَبَيَانِ ظُهُورِ القِسْمِ الخَاصِّ مِنَ التَّوْحِيد

وَبَيَان العُرُوجَات الوَاقِعَة فَوْقَ المُحَدَّد

وَانْكشَاف دَرَجَات الجَنَّة وَظُهُور مَرَاتب بَعْض أَهْل الله

كَتَبَهُ إِلى شَيْخه المُعَظَّم وَهُوَ الشَّيْخُ الكَامل المُكَمَّل الوَاصل إِلى دَرَجَات الوَلاَيَة الهَادي إِلى طَرِيق انْدرَاج النِّهَايَة في البدَايَة مُؤَيَّدُ الدِّين الرَّضيُّ شَيْخُنَا وَإِمَامُنَا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ البَاقِي النَّقْشَبَنْديُّ الأَحْرَاريُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَقْدَسَ وَبَلغَهُ إِلى أَقْصَى مَا يَتَمَنَّاهُ

عَرِيضَـــــةٌ: أَقَل العَبيد أَحْمَدُ إِلى ذُرْوَة العَرْض يَعْرِضُ أَحْوَالهُ المُتَفرِّقَةَ اجْتِرَاءً منْهُ حَسَبَ الأَمْرِ الشَّرِيف.

قَدْ تَشَرَّفْتُ فِي أَثْنَاء الطَّرِيق بِتَجَلي الاسْمِ الظَّاهِرِ تَجَلِيًا كُلِيًا؛ بِحَيْثُ ظَهَرَ لي فِي جَمِيعِ الأَشْيَاء بِتَجَل خَاصٍّ عَلى حِدَة عَلى حِدَة، وَعَلى الخُصُوص فِي كِسْوَة النِّسَاء، بَل فِي أَجْزَائِهنَّ عَلى حِدَة عَلى حِدَة، فَصِرْتُ مُنْقَادًا لتلكَ الطَّائفَة عَلى وَجْه لاَ أَقْدرُ عَلى عَرْضه وَكُنْتُ مُضْطَرًّا فِي ذَلكَ الانْقيَاد. وَهَذَا الظُّهُورُ الذي حَصَلَ فِي هَذَا المَحَل لَمْ يَكُنْ فِي مَحَل آخَرَ، وَمَا أُريتُ منْ خُصُوصيَّات اللطَائف وَمُحَسِّنَات العَجَائب فِي هَذَا اللبَاس لَمْ يَظْهَرْ فِي مَظْهَر مَا أَصْلاً، قَدْ ذُبْتُ بالتَّمَام وَجَرَيْتُ كَالمَاء بَيْنَ أَيْديهنَّ، وَكَذَلكَ تَجَلى لي فِي كُل طَعَام وَشَرَاب وَكِسْوَة عَلى حِدَة عَلى حِدَة وَمَا كَانَ منَ اللطَافَة وَالحُسْن فِي الطَّعَام اللذيذ المُتَكَلف فيه لَمْ يَكُنْ فِي غَيْره، وَكَانَ ذَلكَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ المَاء العَذْب وَالملح بَل كَانَ فِي كُل شَيْء حُلو شَيْءٌ منْ خُصُوصيَّات الكَمَال عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات عَلى حِدَة عَلى حِدَة وَلاَ يُمْكنُ عَرْضُ خُصُوصيَّات هَذَا التَّجَلي بالتَّحْرير، فَإِنْ كُنْتَ فِي المُلاَزَمَة العَلِيَّة لعَرْضَتهَا، وَلكنْ كُنْت فِي أَثْنَاء هَذه التَّجَلِيَّات مُشْتَاقًا إِلى الرَّفيق الأَعْلى وَلَمْ أَلتفتْ إِلى مَا سوَاهُ مَهْمَا أَمْكَنَ بَيْدَ أَنِّى لَمَّا صرْتُ مَغْلوبًا لَمْ أَجدْ بُدًّا منَ الالتفَات، وَفِي ذَلكَ الأَثْنَاء صَارَ مَعْلومًا لِي أَنَّ هَذَا التَّجَلي لاَ يُنَافِى تلكَ النِّسْبَةَ التَّنْزِيهِيَّةَ؛ فَإِنَّ البَاطِنَ مُتَعَلقٌ بِتلكَ النِّسْبَة، لاَ التفَاتَ لهُ إِلى الظَّاهِر أَصْلاً وَإِنَّمَا المُتَشَرِّفُ بِهَذَا

التَّجلي هُوَ الظَّاهرُ الذي هُوَ خَال وَمُعَطَّل عَنْ تلكَ النِّسْبَة، وَالحَقُّ أَنِّي وَجَدْتُ البَاطنَ غَيْرَ مُبْتَلى بزَيْغِ البَصَر، بَل هُوَ مُعْرِضٌ عَنْ جَميعِ المَعْلومَات وَالظُّهُورَات وَلَمَّا كَانَ الظَّاهرُ مُتَوَجِّهًا إلى الكَثْرَة وَالإثْنينيَّة اسْتَسْعَدَ بهَذَا التَّجلي، ثُمَّ أَخَذَتْ هَذه التَّجلَيَاتُ في الاخْتفَاء وَالاسْتتَار بَعْدَ زَمَان وَبَقيَتْ نسْبَةُ الحيرَة وَالجَهَالة بحَالهَا وَصَارَتْ تلكَ التَّجلَيَاتُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا.

ثُمَّ عَرَضَ بَعْدَ ذَلكَ شَيْءٌ منَ الفَنَاء الخَاصِّ وَكَانَ ذَلكَ التَّعَيُّنُ العلميُّ الذي ظَهَرَ بَعْدَ عَوْد التَّعَيُّن انْعَدَمَ في هَذَا الفَنَا، وَلَمْ يَبْقَ أَثَرٌ منْ مَظَانٍّ أَنَا، وَفي هَذَا الوَقْت شَرَعَ آثَارُ الإسْلاَم وَعَلاَمَةُ انْهدَام مَعَالم الشِّرْك الخَفيِّ في الظُّهُور وَكَذَلكَ رُؤْيَةُ القُصُور في الأَعْمَال وَالفُتُور وَاتِّهَام النِّيَّات وَالخَوَاطر وَالخُطُور، وَبالجُمْلة ظَهَرَ بَعْضُ أَمَارَات العُبُوديَّة وَالاضْمحْلاَل. ـــ بَلغَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ببَرَكَة تَوَجُّهكُمْ مَقَامَ حَقيقَة العُبُوديَّة ـــ وَالعُرُوجَاتُ إلى مَا فَوْقَ المُحَدَّد تَقَعُ كَثيرًا.

وَلَمَّا وَقَعَ العُرُوجُ في المَرْتَبَة الأُولى، وَوَصَلتُ إلى مَا فَوْقَ المُحَدَّد بَعْدَ طَيِّ المَسَافَة، وَصَارَ الخَلدُ مَعَ مَا تَحْتَهُ مَشْهُودًا، خَطَرَ في ذَلكَ الوَقْت في الخَاطر أَنْ أُشَاهدَ هُنَالكَ مَقَامَات بَعْض الرِّجَال، وَلَمَّا تَوَجَّهْتُ وَقَعَ النَّظَرُ عَلى مَقَامَاتهمْ، وَرَأَيْتُ هَؤُلاَء الأَشْخَاصَ ـــ في تلكَ المَحَال عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ ـــ مَكَانًا وَمَكَانَةً وَذَوْقًا وَشَوْقًا.

ثُمَّ وَقَعَ العُرُوجُ في مَرْتَبَة ثَانيَة، وَصَارَتْ مَقَامَاتُ المَشَايخ العظَام وَأَئمَّة أَهْل البَيْت الكرَام وَالخُلفَاء الرَّاشدينَ المَرْشدينَ للأَنَام، وَالمَقَامُ الخَاصُّ بنَبيِّنَا ـــ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـــ وَكَذَلكَ مَقَامَاتُ سَائر الأَنْبيَاء وَالرُّسُل الفخَام عَلى التَّفَاوُت، وَمَقَامَاتُ المَلاَئكَة المَلأُ الأَعْلى ـــ: مَشْهُودَةً فَوْقَ المُحَدَّد.

وَوَقَعَ منَ العُرُوج فَوْقَ المُحَدَّد مقْدَارُ مَا بَيْنَ مَرْكَز الأَرْض وَالمُحَدَّد أَوْ أَقَل منْ ذَلكَ بيَسير، إلى أَن انْتَهَى إلى مَقَام حَضْرَة الخواجه بَهَاء الدِّين النَّقْشَبَنْديِّ[1] قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ، وَكَانَ فَوْقَ ذَلكَ المَقَام عدَّةٌ منَ المَشَايخ العظَام، بَل في نَفْس ذَلكَ

---

(١) ـــ **بهاء الدين النقشبندي:** محمد بن خواجه أحمد الظهوري الفاروقي العارف بالله الشيخ بهاء الدين النقشبندي الصوفي ولد سنة ٧٢٨ هـ وتوفي سنة ٧٩١ هـ، من تصانيفه: الأوراد البهائية، سلك الأنوار في التصوف، هدية السالكين وتحفة الطالبين في التصوف. انظر ترجمته في: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ١٧٣/٦، كحالة: معجم المؤلفين: ٧١/٣.

المَقَامِ بفَوْقِيَّة يَسيرَة مثْل الشَّيْخِ مَعْرُوف الكَرْخيِّ[١] وَالشَّيْخِ أَبي سَعيد الخَرَّازِ[٢] وَمَقَامَاتُ المَشَايخ البَاقينَ، بَعْضُهَا فيمَا تَحْتَهُ، وَبَعْضُهَا في نَفْسِ ذَلكَ المَقَامِ.

فَأَمَّا الذينَ في المَقَامِ التَّحْتَانيِّ: فَمثْل الشَّيْخِ عَلاَءِ الدَّوْلة السِّمْنَانيِّ[٣] وَالشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ الكُبْرَى[٤].

---

(١) ــ **معروف الكرخي**: أبو محفوظ، القدوة الزاهد، صاحب الأحوال والكرامات، توفي سنة ٢٠٠ هـ، كان من موالي علي بن موسى الرضى، كان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدبهم فقال له: إن الله ثالث ثلاثة، فقال: بل هو الله أحد، فضربه فهرب وأسلم على يد علي بن موسى الرضى ورجع إلى أبويه فأسلما، واشتهرت بركاته واستجابة دعوته، كان معروف الكرخي من المُحَدِّثينَ، ومن جوامع كلمه: " مقت الله للعبد أن يراه مشتغلا بما لا يعنيه من أمر نفسه "، ومن أقواله أيضا: " طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق ". انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١/٣٦٠،

(٢) ــ **أبو سعيد الخراز**: أحمد بن عيسى المتوفى سنة: ٢٧٧، وقيل سنة: ٢٨٦ هـ ــ ٨٩٩ م، الخراز: نسبة إلى خرز الجلود، الزاهد الكبير، شيخ الصوفية، أحد المشاهير بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، له في ذلك التصانيف منها كتاب الصدق أو الطريق إلى الله، وكتاب الصيام، له كرامات وأحوال وصبر على الشدائد، قال الجنيد: " لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه الخراز لهلكنا "، روى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم، ومن جيد كلامه: " إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم "، وقال: " العافية تستر البر والفاجر، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال ". انظر في ترجمته: ابن كثير: البداية والنهاية: ١١/٦٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ٢/١٩٢، ابن الأثير: اللباب: ١/٣٥١، هدية العارفين: ٥/٥٥، الزركلي: الأعلام: ١/١٩١، كحالة: معجم المؤلفين: ١/٢٢١.

(٣) ــ **الشيخ علاء الدولة السمناني**: هو الشيخ ركن الدين، علاء الدولة محمد بن أحمد السمناني، المالكي، المتوفى سنة: ٧٣٦ هـ ــ ١٣٣٦ م، عالم مشارك في عدة علوم، سكن تبريز وبغداد، محدِّث؛ سمع صحيح مسلم، وأجاز له جماعة، اختصر شرح السنة للبغوي، له مصنفات كثيرة في التفسير والتصوف وغيرها حتى قيل: إنها تزيد على الثلاثمائة، من مؤلفاته: آداب الخلوة، فوائد العقائد، المدارك والمعارج، المكاشفات، نجم القراءة في تأويلات القرآن. انظر في ترجمته: الحافظ ابن حجر: الدرر الكامنة: ١/٢٥٠ ــ ٢٥١، ابن العماد: شذرت الذهب: ٦/١٢٥، حاجي خليفة: كشف الظنون: ٤٢، ١٢٩٩، ١٦٤٠، ١٨١١، ١٩٣٠، البغدادي: إيضاح المكنون: ١/٢٠٥.

(٤) ــ **الشيخ نجم الدين الكبرى**: أحمد بن عمر بن محمد الرازيّ البغدادي الخَيْوَقِيُّ أبو الجناب وقيل أبو الجنان، الشيخ الشيخ نجم الدين الكبرى صوفي مفسر فقيه محدِّث، ولد بخيوق إحدى قرى خُوَارِزمَ سنة: (٥٤٠ هـ ١١٤٥م) واستشهد في ربيع الأول سنة: (٦١٨ هـ ــ ١٢٢١م) له عدة تصانيف، منها: أصول العشرة رسالة الهائم الخائف من لومة اللائم، سر الحدس، رسالة

وَالذِينَ هُمْ فِي المَقَامِ الفَوْقَانِيِّ: فَأَئِمَّةُ أَهْلِ البَيْتِ، وَمَا فَوْقَهُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ ـــ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ـــ وَمَقَامَاتُ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ ـــ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـــ كَانَتْ عَلَى طَرَفٍ مِنْ مَقَامِ نَبِيِّنَا ﷺ وَكَذَلِكَ مَقَامَاتُ المَلَائِكَةِ العُلوِيِّينَ كَانَتْ عَلَى طَرَفٍ آخَرَ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ، وَكَانَ لِمَقَامِ نَبِيِّنَا ـــ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـــ فَوْقِيَّةٌ وَأَصَالَةٌ بِالنِّسْبَةِ عَلَى جَمِيعِ المَقَامَاتِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ كُلِهَا.

وَيَقَعُ العُرُوجُ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ كُلمَا أَرَدْتَهُ، وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ وَيُشَاهَدُ أَشْيَاءُ أُخَرُ وَتَتَرَتَّبُ الآثَارُ أَيْضًا فِي بَعْضِ العُرُوجَاتِ وَيَكُونُ أَكْثَرُهَا مَنْسِيًّا، وَكُلمَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ بَعْضَ الحَالَاتِ لِأَتَذَكَّرَ وَقْتَ العَرْضِ لَا يَتَيَسَّرُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يُرَى حَقِيرًا فِي النَّظَرِ بَلْ هُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُسْتَغْفَرَ مِنْهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ أَكْتُبَهُ، وَكَانَ بَعْضٌ مِنْهَا فِي الخَاطِرِ فِي أَثْنَاءِ إِمْلَاءِ العَرِيضَةِ وَلَكِنَّهُ مَا وَفَّى أَخِيرًا أَنْ أَكْتُبَهُ.

وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ إِسَاءَةُ الأَدَبِ وَحَالٌ مُلاَّ قَاسِمٍ عَلِيٌّ أَحْسَنُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الاسْتِهْلَاكُ وَالاسْتِغْرَاقُ وَجَاوَزَ جَمِيعَ مَقَامَاتِ الجَذْبَةِ وَوَضَعَ قَدَمَهُ فَوْقَهَا وَكَانَ أَوَّلاً يَرَى الصِّفَاتِ مِنَ الأَصْلِ وَالآنَ يَرَى تِلْكَ الصِّفَاتِ مَعَ وُجُودِهَا مُبَايِنَةً لِنَفْسِهِ وَيَجِدُ نَفْسَهُ خَالِيًا مَحْضًا، بَلْ يَرَى النُّورَ الذِي قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ مُبَايِنًا لِنَفْسِهِ أَيْضًا، وَيَجِدُ نَفْسَهُ فِي طَرَفٍ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ، وَأَحْوَالِ الأَصْحَابِ البَاقِينَ فِي التَّرَقِّي يَوْمًا فَيَوْمًا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَهَا بِالتَّفْصِيلِ فِي عَرِيضَةٍ أُخْرَى إِنْ شَاءَ اللهُ العَزِيزُ.

الطرق، طوالع التنوير، عين الحياة في تفسير القرآن في اثني عشر مجلدا، فواتيح الجمال وفوايح الجلال باللغة الفارسية وغيرها. انظر في ترجمته: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ٧٩/٥ ـ ٨٠، حاجي خليفة: كشف الظنون: (٤٥٩، ٨٧٦، ١١٨١)، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين: ٩٠/٥.

المَكْتُوبُ الثَّانِي
فِي بَيَانِ حُصُولِ التَّرْقِيَاتِ وَالمُبَاهَاتِ بِعنَايَاتِ الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ قُدِّسَ سِرُّهُ

عَرِيضَـــــةٌ: أَقَل العَبِيد أَحْمَدُ عَلى ذرْوَةِ العَرْضِ: أَنَّ مَوْلاَنَا شَاه مُحَمَّدٌ بَلغَ الأَمْرُ بِالاسْتِخَارَةِ مُتَصِّلاً بِشَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَك فَلَمْ أَجِدْ فُرْصَةً أَنْ أَتَشَرَّفَ بِاسْتِلاَمِ العَتَبَةِ العَلِيَّةِ إِلى شَهْرِ رَمَضَانَ فَلاَ جَرَمَ سَلِيْتُ نَفْسِي بِمُضِيِّ الشَّهْرِ المَذْكُورِ بِالضَّرُورَةِ وَمَاذَا أَعْرِضُ عَلى حَضْرَتِكُمْ مِنْ عنَايَاتِ الحَقِّ جَل وَعَلاَ التِي تُفَاضُ وَتُصَبُّ عَلى التَّوَاتِرِ وَالتَّوَالِي بِبَرَكَةِ تَوَجُّهَاتِكُمُ العَلِيَّةِ (شعْرٌ).

كَأَنِّي رَوْضَةٌ فِيهَا سَحَابُ الـــ ـــرَّبِيعِ مُمْطِرٌ مَاءً زُلاَلاَ
فَلـــوْ لِي أَلفُ أَلسنَـــــةٍ وَأُثْنِي بِهَا مَا ازْدَدْتُ إِلاَّ انْفِعَالاَ

وَإِنْ كَانَ إِظْهَارُ هَذَا القِسْمِ مِنَ الأَحْوَالِ مُوهِمًا للجَرَاءَةِ وَتَرْكِ الأَدَبِ وَمُشْعِرًا بِالافْتِخَارِ وَالمُبَاهَاتِ.

وَلَكِنْ سَيِّدِي أَعْلى مَقَامِي فَفُقْتُ بِهِ نُجُومًا وَالهِلاَلاَ

ابْتَدَأَ الشُّرُوعُ فِي عَالمِ الصَّحْوِ وَالبَقَاءُ مِنْ أَوَاخِرِ رَبِيعِ الآخَرِ. وَأَتَشَرَّفُ إِلى الآنَ فِي كُل مُدَّةٍ بِبَقَاءٍ خَاصٍّ يُجَاءُ بِي أَوَّلاً مِنَ التَّجَلي الذَّاتِيِّ المَنْسُوبِ إِلى الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ قُدِّسَ سِرُّهُ إِلى الصَّحْوِ ثُمَّ يَذْهَبُ بِي إِلى السُّكْرِ وَيَحْصُل وَقْتَ العُرُوجِ وَالنُّزُول عُلومٌ غَرِيبَةٌ وَمَعَارِفُ عَجِيبَةٌ وَأَتَشَرَّفُ مِنَ الإِحْسَانِ وَالشُّهُودِ الخَاصِّ فِي كُل مَرْتَبَةٍ بِمَا يُنَاسِبُ لبَقَاءِ ذَلكَ المَقَامِ.

وَقَدْ شَرُفْتُ فِي سَادِسِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِبَقَاءٍ وَإِحْسَانٍ لاَ أَقْدِرُ عَلى عَرْضِهِ وَأَظُنُّ أَنَّ نِهَايَةَ الاسْتِعْدَادِ لاَ تَتَجَاوَزُ ذَلكَ وَتَيَسَّرَ هُنَا الوَصْل المُنَاسِبُ للحَال وَتَمَّتِ الآنَ جِهَةُ الجَذْبَةِ بِالتَّمَامِ وَوَقَعَ الشُّرُوعُ فِي السَّيْرِ فِي اللهِ الذي هُوَ مُنَاسِبٌ لمَقَامِ الجَذْبَةِ وَكُلمَا كَانَ الفَنَاءُ أَتَمَّ يَكُونُ البَقَاءُ المُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ أَكْمَل وَكُلمَا كَانَ البَقَاءُ أَكْمَل كَانَ الصَّحْوُ أَكْثَرَ وَكُلمَا كَانَ الصَّحْوُ أَكْثَرَ تَقَعُ العُلومُ مُوَافِقَةً للشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ؛ فَإِنَّ كَمَال الصَّحْوِ للأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ وَالمَعَارِفُ التِي

ظَهَرَتْ مِنْهُمْ هِيَ الشَّرَائِعُ وَالعَقَائِدُ التِي بَيَّنُوهَا فِي الذَات وَالصِّفَات، وَمُخَالَفَةُ ظَاهِرِهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ بَقِيَّةِ سُكْرِ الحَال وَالمَعَارِفُ التِي تُفَاضُ عَلى هَذَا الفَقِيرِ أَكْثَرُهَا تَفْصِيلُ المَعَارِفِ الشَّرْعِيَّةِ وَبَيَانُهَا يُصَيِّرُ العِلمَ الاِسْتِدْلاَلِيَّ كَشْفِيًّا وَضَرُورِيًّا وَالمُجْمَل مُفَصَّلاً (ع):

يَطُول إِذَا حَرَّرْتَ تَفْصِيل شَرْحه

وَإِنِّي خَائِفٌ وَوَجِل؛ مِنْ أَنْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلى إِسَاءَةِ الأَدَبِ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ
فِي بَيَانِ تَوَقُّفِ الأَصْحَابِ فِي مَقَامٍ مَخْصُوصٍ
وَمَا يَتَعَلقُ بِذَلِكَ
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

المَعْرُوضُ: أَنَّ الأَصْحَابَ الكَائِنِينَ هُنَا وَكَذَلِكَ الأَصْحَابُ السَّاكِنُونَ هُنَاكَ كُل مِنْهُمْ مَحْبُوسٌ فِي مَقَامٍ، وَإِخْرَاجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ مُتَعَسِّرٌ. وَلاَ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ القُدْرَةِ مَا يُنَاسِبُ لِذَلِكَ المَقَامِ وَيُوَافِيهِ، رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ التَّرَقِّي بِبَرَكَةِ تَوَجُّهَاتِكُمُ العَلِيَّةِ.

وَقَدْ جَاوَزَ وَاحِدٌ مِنْ أَقْرِبَائِي ذَلِكَ المَقَامَ وَوَصَلَ إِلى مُقَدِّمَاتِ التَّجَلِيَاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَحَالُهُ حَسَنٌ جِدًّا يَضَعُ قَدَمَهُ عَلى قَدَمِ الفَقِيرِ. وَأَرْجُو ذَلِكَ فِي حَقِّ الآخَرِينَ أَيْضًا. وَبَعْضُ الإِخْوَانِ لَيْسَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بِطَرِيقِ المُقَرَّبِينَ، بَلِ المُوَافِقُ لِحَالِهِمْ طَرِيقُ الأَبْرَارِ وَمَا حَصَّلُوهُ مِنَ اليَقِينِ فِي الجُمْلَةِ فَهُوَ أَيْضًا غَنِيمَةٌ، يَنْبَغِي أَنْ نَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ الطَّرِيقِ، (ع)

لِكُل مِنَ الإِنْسَانِ شَأْنٌ يَخُصُّهُ

وَلَمْ أَجْتَرِئْ بِتَفْصِيلِ أَسَامِيهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْكُمْ وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ خُرُوجٌ عَنْ طَوْرِ الأَدَبِ وَرَأَى المِيرِ السَّيِّدُ شَاه حُسَيْنٍ يَوْمَ تَحْرِيرِ العَرْضِ فِي مَشْغُولِيَّتِهِ كَأَنَّهُ وَصَلَ إِلى بَابٍ عَظِيمٍ، وَيُقَالُ لَهُ إِنَّ هَذَا بَابُ الحَيْرَةِ، وَقَالَ: " وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى دَاخِلِهِ رَأَيْتُ فِيهِ حَضْرَةَ الشَّيْخِ وَأَنْتَ مَعَهُ وَكُلمَا أَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَ نَفْسِي هُنَاكَ، لاَ تُسَاعِدُنِي رِجْلِي.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ
فِي بَيَانِ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ وَبَيَانِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ
كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخُدَّامِ: أَنَّهُ قَدْ طَالَتِ المُدَّةُ وَلَمْ أَطَّلِعْ عَلَى أَحْوَالِ خِدْمَةِ العَتَبَةِ العَلِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ المُفَاوَضَةِ الشَّرِيفَةِ وَالمُرَاسَلَةِ المُنِيفَةِ وَنَنْتَظِرُ الآنَ قُدُومَ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ وَلِهَذَا الشَّهْرِ مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ بِالقُرْآنِ المَجِيدِ الحَاوِي لِجَمِيعِ الكَمَالَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالشُّئُونِيَّةِ الدَّاخِلِ فِي دَائِرَةِ الأَصْلِ بِحَيْثُ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ الظِّلِّيَّةُ أَصْلاً وَالقَابِلِيَّةُ الأُولَى ظِلَّةٌ.

وَبِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ وَقَعَ نُزُولُهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ}[1] مُصَدِّقٌ لِهَذَا القَوْلِ وَبِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ كَانَ هَذَا الشَّهْرُ جَامِعًا لِجَمِيعِ الخَيْرَاتِ وَالبَرَكَاتِ. وَكُلُّ بَرَكَةٍ وَخَيْرٍ يَصِلُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ كَانَ فِي تَمَامِ السَّنَةِ إِنَّمَا هُوَ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ العَظِيمِ القَدْرِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ، وَالجَمْعِيَّةُ فِي هَذَا الشَّهْرِ سَبَبٌ لِلجَمْعِيَّةِ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ، وَالتَّفْرِقَةُ فِيهِ سَبَبٌ لِلتَّفْرِقَةِ فِي كُلِّ السَّنَةِ، فَطُوبَى لِمَنْ مَضَى عَلَيْهِ هَذَا الشَّهْرُ المُبَارَكُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ هُوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ، فَمُنِعَ مِنَ البَرَكَاتِ وَحُرِمَ المَبَرَّاتِ وَالخَيْرَاتِ.

وَأَيْضًا: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ سُنِّيَّةِ خَتْمِ القُرْآنِ بِوَاسِطَةِ تَحْصِيلِ جَمِيعِ الكَمَالَاتِ الأَصْلِيَّةِ وَالبَرَكَاتِ الظِّلِّيَّةِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا يُرْجَى أَنْ لَا يُحْرَمَ بَرَكَاتِهِ وَلَا يُمْنَعَ مِنْ خَيْرَاتِهِ، وَأَنَّ البَرَكَاتِ المُتَعَلِّقَةَ بِأَيَّامِ هَذَا الشَّهْرِ لَا تُشَابِهُ غَيْرَهَا، وَالخَيْرَاتُ المُتَعَلِّقَةُ بِلَيَالِيهِ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا وَلَعَلَّ. سِرُّ الحُكْمِ بِأَوْلَوِيَّةِ تَعْجِيلِ الإِفْطَارِ وَتَأْخِيرِ السُّحُورِ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ لِيَحْصُلَ تَمَامُ الامْتِيَازِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الوَقْتَيْنِ، وَالقَابِلِيَّةُ الأُولَى الَّتِي ذَكَرْتُ آنِفًا، وَالحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ عَلَى مَظْهَرِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنْهَا لَيْسَتْ هِيَ قَابِلِيَّةَ الذَّاتِ لِلاتِّصَافِ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ كَمَا حَكَمَ بِهَا البَعْضُ، بَلْ هِيَ قَابِلِيَّةُ الذَّاتِ ــ عَزَّ سُلْطَانُهَا ــ لِلاعْتِبَارِ العِلْمِيِّ الَّذِي هُوَ مُتَعَلَّقٌ بِجَمِيعِ الكَمَالَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالشُّئُونِيَّةِ، وَهُوَ حَاصِلُ حَقِيقَةِ القُرْآنِ المَجِيدِ. وَقَابِلِيَّةُ الاتِّصَافِ الَّتِي هِيَ مُنَاسَبَةٌ لِمَوْطِنِ الصِّفَاتِ وَبَرْزَخٌ بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ هِيَ

(١) ــ الآية: ١٨٥ من سورة البقرة.

حَقَائِقُ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ. وَتِلكَ القَابِلِيَّةُ مَعَ مُلاَحَظَةِ الاعْتِبَارَاتِ المُنْدَرِجَةِ فِيهَا صَارَتْ حَقَائِقَ مُتَعَدِّدَةً. وَالقَابِلِيَّةُ التي هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ فِيهَا ظَلِيلَةً لكِنْ لَمْ يَمْتَزِجْ بِهَا لَوْنُ الصِّفَاتِ وَلَمْ يَحْصُلْ فِي البَيْنِ حَائِلٌ أَصْلاً.

وَحَقَائِقُ جَمَاعَةِ مُحَمَّدِيِّي المَشْرَبِ قَابِلِيَّاتُ الذَّاتِ للاعْتِبَارِ العلميِّ الذي يَتَعَلقُ بِبَعْضِ تِلكَ الكَمَالاَتِ. وَالقَابِلِيَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الذَّاتِ وَبَيْنَ هَذِهِ القَابِلِيَّاتِ المُتَعَدِّدَةِ. وَإِنَّمَا حَكَمَ ذَلِكَ البَعْضُ بِمَا ذُكِرَ بِوَاسِطَةِ أَنَّ لَهَا مَوْضِعَ قَدَمٍ فَقَطْ فِي مَوْطِنِ الصِّفَاتِ. وَنِهَايَةُ عُرُوجِ ذَلِكَ المَوْطِنِ إِلى تِلكَ القَابِلِيَّةِ فَلاَ جَرَمَ نَسَبَهَا إِلَيْهِ ﷺ.

وَلَمَّا كَانَتْ قَابِلِيَّةُ الاتِّصَافِ غَيْرَ مُرْتَفِعَةٍ أَصْلاً حَكَمَ ذَلِكَ البَعْضُ بِالضَّرُورَةِ بِأَنَّ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ حَائِلَةٌ دَائِمًا وَإِلاَّ فَالحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ عَلى مَظْهَرِهَا الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ التي هِيَ مُجَرَّدُ اعْتِبَارٍ فِي الذَّاتِ يُمْكِنُ ارْتِفَاعُهَا عَنِ النَّظَرِ بَلْ هُوَ وَاقِعٌ. وَقَابِلِيَّةُ الاتِّصَافِ وَإِنْ كَانَتِ اعْتِبَارِيَّةً أَيْضًا لكِنَّهَا أَخَذَتْ لَوْنَ الصِّفَاتِ، وَوَصْفُهَا بِوَاسِطَةِ البَرْزَخِيَّةِ. وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِجِ بِوُجُودِهِ فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ، وَارْتِفَاعُهَا خَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ الإِمْكَانِ، فَلاَ جَرَمَ حَكَمَ بِوُجُودِ ذَلِكَ الحَائِلِ دَائِمًا.

وَأَمْثَالُ هَذِهِ العُلُومِ التي مَنْشَأُهَا الجَامِعِيَّةُ بَيْنَ الأَصَالَةِ وَالظِّلِّيَّةِ وَارِدَةٌ كَثِيرًا، وَأَكْثَرُهَا أَكْتُبُهُ فِي الأَوْرَاقِ.

وَمَقَامُ القُطْبِيَّةِ مَنْشَأُ دَقَائِقِ عُلُومِ مَقَامِ الظِّلِّيَّةِ.

وَمَرْتَبَةُ الفَرْدِيَّةِ وَاسِطَةُ وُرُودِ مَعَارِفِ دَائِرَةِ الأَصْلِ، وَالامْتِيَازُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالأَصْلِ لاَ يَتَيَسَّرُ بِدُونِ اجْتِمَاعِ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ، وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ بَعْضُ المَشَايِخِ بِزِيَادَةِ القَابِلِيَّةِ الأُولى التي يُقَالُ لَهَا التَّعَيُّنُ الأَوَّلُ عَلى الذَّاتِ، وَزَعَمُوا شُهُودَ تِلكَ القَابِلِيَّةِ تَجَلِّيًا ذَاتِيًّا.

وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ، وَالأَمْرُ مَا أَوْضَحْتُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

وَالرِّسَالَةُ التي كُنْتُ مَأْمُورًا بِتَسْوِيدِهَا: لَمْ أُوَفَّقْ إِلى الآنَ لإِتْمَامِهَا، بَلْ بَقِيَتْ مُسَوَّدَةً كَمَا هِيَ، وَلَمْ أَدْرِ فِي هَذَا التَّوَقُّفِ مَا الحِكْمَةُ الإِلهِيَّةُ؟ وَزِيَادَةُ الجَرَاءَةِ بَعِيدَةٌ عَنِ الأَدَبِ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ
فِي تَفْوِيضِ الخواجه بُرْهَان الذي هُوَ وَاحِدٌ مِنَ المُخْلصِينَ
مَعَ بَيَان بَعْضِ أَحْوَاله
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

عَرِيضَـــةُ أَحْقَـــرِ الخُـــدَّامِ: إِنِّي قَدْ كَتَبْتُ رِسَالةً فِي بَيَان طَرِيقَة خواجكان ـــ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ـــ وَأَرْسَلْتُهَا نَحْوَ الجَنَاب العَالِي؛ لعَلهَا تَكُونُ مَنْظُورَةً بالنَّظَرِ المُبَارَك، وَلكنَّهَا مُسَوَّدَةٌ فَقَطْ؛ لَمْ أَجدْ فُرْصَةً لنَقْلهَا إلى البَيَاضِ؛ بِسَبَبِ عَجَلَة الخواجه بُرْهَان فِي التَّوَجُّه، وَلاحْتِمَال أَنَّ يَلحَقَ بهَا عُلومٌ أُخَرُ.

وَلَمَّا وَقَعَ نَظَرِي ـــ يَوْمًا منَ الأَيَّامِ ـــ عَلى رِسَالة: "**سلسلة الأَحْرَارِ**" خَطَرَ فِي الخَاطِرِ الفَاتِرِ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكُمْ؛ لتَكْتُبُوا شَيْئًا فِي بَيَانِ بَعْضِ عُلومِهَا، أَوْ تَأْمُرُوا الفَقِيرَ؛ لأَكْتُبَ شَيْئًا فِيهَا، وَقَوِيَ هَذَا الخَاطِرُ.

وَبَيْنَا أَنَا فِي هَذَا الخَاطِرِ، إِذْ فَاضَتْ عُلومُ هَذه المُسَوَّدَة؛ فَكَتَبْتُهَا، وَبَيَّنْتُ بَعْضَ عُلومِ تلكَ الرِّسَالة فِي ضِمْنِ مَا كَتَبْتُ فِي هَذه المُسَوَّدَة فِي الجُمْلة.

فَإِنْ جَعَلتَ هَذه المُسَوَّدَةَ تَكْملةً لتلكَ الرِّسَالة فَبِهَا، وَإِلاَّ فَإِن انْتَخَبَ بَعْضَ العُلومِ المُنَاسِبَة لَهَا منْهَا، وَأُلحقَ بهَا فَلهُ وَجْهٌ.

وَزِيَادَةُ الانْبساط خُرُوجٌ عَنِ الأَدَب.

وَالخواجه بُرْهَانٌ فَعَل فِي هَذه المُدَّة فعْلاً حَسَنًا وَأَمْرًا مُسْتَحْسَنًا، وَنَال نَصِيبًا منَ السَّيْرِ الثَّالث الذي هُوَ مُنَاسِبٌ لمَقَام الجَذْبَة، وَصَارَ الآنَ بوَاسطَة مُهِمِّ مَدَدِ مَعَاشِ صوبة المالوه مُشَوَّشَ الحَال وَمُشَتَّتَ البَال، وَقَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الجَنَابِ المُعَلى؛ وَكُل شَيْءٍ أَمَرُوهُ بِهِ يَكُونُ مُبَارَكًا.

المَكْتُوبُ السَّادسُ
فِي بَيَان حُصُول الجَذْبَة وَالسُّلوك وَتَحْصيل التَّرْبيَة بصفَتَي الجَلاَل وَالجَمَال وَبَيَان الفَنَاء وَالبَقَاء وَبَيَان عُلوِّ نسْبَة النَّقْشَبَنْديَّة
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخه المُحْتَرَم

عَريضَـــةٌ أَقَل العَبيـــد أَحْمَـــــدَ: إِنَّهُ قَدْ أَكْرَمَني المُرْشدُ عَلى الإِطْلاَق جَل شَأْنُهُ؛ بِبَرَكَة التَّوَجُّه العَالي بتَرْبيَة طَريقَي الجَذْبَة وَالسُّلوك، وَرَبَّاني بصفَتَي الجَمَال وَالجَلاَل، وَالآنَ صَارَ الجَلاَلَ عَيْنَ الجَمَال، وَالجَمَال عَيْنَ الجَلاَل، وَقَدْ حَرَّفُوا هَذه العبَارَة في بَعْض حَوَاشي "**الرِّسَالة القُدُسيَّة**" عَنْ مَفْهُومهَا الصَّريح، وَحَمَلوهَا عَلَى المَفْهُوم المَوْهُوم.

وَالحَال أَنَّ العبَارَةَ مَحْمُولةٌ عَلى ظَاهرهَا، غَيْرُ قَابلة للتَّحْريف وَالتَّأْويل، وَعَلاَمَةُ هَذه التَّرْبيَة التَّحَقُّقُ بالمَحَبَّة الذَّاتيَّة، وَلاَ إِمْكَانَ لحُصُولهَا بدُون التَّحَقُّق بهَا.

وَالمَحَبَّةُ الذَّاتيَّةُ عَلاَمَةُ الفَنَاء، وَالفَنَاءُ عبَارَةٌ عَنْ نسْيَان مَا سوَى الله تَعَالى؛ فَمَتَى لَمْ تَزُل العُلوم عَنْ سَاحَة الصَّدْر بالتَّمَام، وَلَمْ يَحْصُل التَّحَقُّق بالجَهْل المُطْلق، لاَ نَصيبَ منَ الفَنَاء أَصْلاً، وَهَذَا الجَهْل دَائميٌّ لاَ إِمْكَانَ لزَوَاله، لاَ أَنَّهُ يَحْصُل أَحْيَانًا وَيَزُول أُخْرَى غَايَةً.

مَا فِي البَاب: أَنَّهُ قَبْل البَقَاء جَهَالةٌ مَحْضَةٌ، وَبَعْدَ البَقَاء يَجْتَمعُ الجَهَالةُ وَالعلمُ مَعًا؛ فَفي عَيْن الجَهَالة شُعُورٌ، وَفي عَيْن الحَيْرَة حُضُورٌ.

وَهَذَا مَوْطنُ حَقِّ اليَقين، الذي لاَ يَكُونُ فيه كُل منَ العلم وَالعَيْن حجَابًا للآخَر، وَالعلمُ الحَاصل قَبْل مثْل هَذه الجَهَالة خَارجٌ منْ حَيِّز الاعْتبَار، مَعَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ علمٌ فَفي النَّفْس، وَإِنْ كَانَ شُهُودٌ فَفي النَّفْس، وَإِنْ مَعْرفَةٌ أَوْ حَيْرَةٌ فَفي النَّفْس أَيْضًا.

وَمَا دَامَ النَّظَرُ في الخَارج لاَ حَاصَل فيه، وَإِنْ كَانَ النَّظَرُ في النَّفْس يَعْني في الجُمْلة، بَل اللاَّئق أَنْ يَنْقَطعَ النَّظَرُ عَن الخَارج بالكُلِّيَّة.

قَال الخواجه النَّقْشَبَنْديُّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ: "وَكُل مَا يَرَاهُ أَهْل الله بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء يَرَوْنَهُ في أَنْفُسهمْ، وَكُل مَا يَعْرفُونَ يَعْرفُونَهُ في أَنْفُسهمْ، وَحَيْرَتُهُمْ تَكُونُ في وُجُود أَنْفُسهمْ".

وَفُهِمَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا صَرِيحًا: أَنَّ الشُّهُودَ وَالمَعْرِفَةَ وَالحَيْرَةَ فِي النَّفْسِ فَحَسْبُ، لَيْسَ فِي الخَارِجِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَمَا دَامَ وَاحِدٌ مِنْهَا فِي الخَارِجِ، لاَ حَظَّ مِنَ الفَنَاءِ وَلاَ نَصِيبَ، وَإِنْ كَانَ بَعْضٌ مِنْهَا فِي الخَارِجِ، فَأَيْنَ البَقَاءُ بَعْدُ.

وَنِهَايَةُ المَرَاتِبِ فِي الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ هِيَ هَذِهِ، وَهَذَا هُوَ الفَنَاءُ المُطْلَقُ، وَمُطْلَقُ الفَنَاءِ أَعَمُّ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ، وَالبَقَاءُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى مِقْدَارِ الفَنَاءِ؛ وَلِهَذَا يَكُونُ لِبَعْضِ أَهْلِ اللهِ شُهُودٌ فِي الخَارِجِ بَعْدَ التَّحَقُّقِ بِالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ، وَلَكِنَّ نِسْبَةَ هَؤُلاَءِ الأَعِزَّةِ يَعْنِي: النَّقْشَبَنْدِيِّينَ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ.

وَهَيْهَاتَ مَا كُلُّ النَّسِيمِ حِجَازِيًّا وَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الحَدِيدِ يَمَانِيًّا

فَإِذَا تَشَرَّفَ وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ مِنْ أَكَابِرِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ بَعْدَ قُرُونٍ كَثِيرَةٍ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ، فَمَاذَا يَقُولُونَ فِي سَلاَسِلَ أُخَرَ، وَهَذِهِ نِسْبَةُ خواجه عَبْدِ الخَالِقِ الغَجْدَوَانِيِّ[1] قُدِّسَ سِرُّهُ، وَمُتَمِّمُهَا وَمُكَمِّلُهَا شَيْخُ الشُّيُوخِ، أَعْنِي: حَضْرَةَ الخواجه بَهَاءَ الدِّينِ المَعْرُوفَ بِالنَّقْشَبَنْدِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ، وَتَشَرَّفَ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ مِنْ خُلَفَائِهِ الخواجه عَلاَءُ الدِّينِ العَطَّارُ قُدِّسَ سِرُّهُ، (ع):

وَتِلْكَ سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

وَالعَجَبُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ؛ حَيْثُ كَانَ كُلُّ بَلاَءٍ وَمُصِيبَةٍ وَاقِعَةً بَاعِثَةً عَلَى السُّرُورِ وَالفَرَحِ أَوَّلاً، وَكُنْتُ أَقُولُ: "هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ وَكُلَّمَا فَاتَنِي شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا كَانَ يَطِيبُ بِهِ قَلْبِي، وَكُنْتُ أَتَمَنَّى مِثْلَهُ، وَلَمَّا أُنْزِلْتُ الآنَ إِلَى عَالَمِ الأَسْبَابِ، وَوَقَعَ نَظَرِي عَلَى عَجْزِي وَافْتِقَارِي، صَارَ يَحْصُلُ لِي نَوْعُ حُزْنٍ بِحُصُولِ ضَرَرٍ يَسِيرٍ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنْ زَالَ بِسُرْعَةٍ وَلَمْ يَبْقَ أَصْلاً وَكَذَا إِذَا دَعَوْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ لِدَفْعِ بَلاَءٍ أَوْ مُصِيبَةٍ، مَا كَانَ المَقْصُودُ مِنْهُ رَفْعَ تِلْكَ المُصِيبَةِ، بَلْ لأَجْلِ الامْتِثَالِ لأَمْرِ: "**ادْعُوا**".

وَالآنَ صَارَ المَقْصُودُ مِنَ الدُّعَاءِ رَفْعَ المَصَائِبِ وَالبَلاَءِ، وَقَدْ رَجَعَ الخَوْفُ وَالحُزْنُ، اللَّذَانِ قَدْ زَالاَ مِنْ قَبْلُ، وَصَارَ مَعْلُومًا لِي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنَ السُّكْرِ.

وَأَمَّا فِي الصَّحْوِ: فَكُلُّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي عَوَامِّ النَّاسِ مِنَ العَجْزِ وَالافْتِقَارِ

---

(١) ــ **عبد الخالق بن عبد الجميل الملطي الغجدواني ثم البخاري الصوفي:** من خلفاء يوسف الهمداني، توفي سنة ٥٧٥ هـ، له الوصايا في التصوف. انظر: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٥٠٩/٥.

وَالخَوْف وَالحُزْن وَالغَمِّ وَالفَرَح، مَوْجُودٌ فِي صَاحِب الصَّحْوِ فِي الابْتِدَاء، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ المَقْصُودُ مِنَ الدُّعَاءِ رَفْعَ البَلاَء، وَلكِنْ مَا كَانَ قَلبِي يَطِيبُ بِهَذَا المَعْنَى، إِلاَّ أَنَّ الحَال كَانَ غَالِبًا عَليَّ، وَكَانَ أَوَّلاً يَخْطرُ فِي البَال أَنَّ دَعْوَات الأَنْبِيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ ــ لَيْسَتْ مِنْ قَبِيل اسْتِدْعَاء حُصُول المُرَاد، وَلَمَّا شَرُفْتُ الآنَ بِتِلكَ الحَالة صَارَتْ حَقِيقَةُ الأَمْرِ وَاضِحَةً، وَعَلِمْتُ أَنَّ دَعَوَات الأَنْبِيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ ــ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ العَجْزِ وَالافْتِقَارِ وَالخَوْفِ وَالانْكِسَارِ، لاَ لِمُجَرَّدِ امْتِثَال الأَمْرِ.

وَتَصْدُرُ الجَرَاءَةُ أَحْيَانًا بِعَرْضِ بَعْضِ الأُمُورِ الوَاقِعَةِ حَسَبَ الأَمْرِ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ

فِي بَيَانِ بَعْضِ أَحْوَالِهِ الغَرِيبَة مَعَ بَعْضِ اسْتِفْسَارَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ المُكَرَّمِ

عَرِيضَةُ أَقَلِ العَبِيدِ أَحْمَدَ: إِنَّ المَقَامَ الذي كَانَ فَوْقَ المُحَدَّدِ وَجَدْتُ رُوحِي هُنَاكَ بِطَرِيقِ العُرُوجِ، وكَانَ لهَذَا المَقَامِ اخْتِصَاصٌ بِحَضْرَةِ الخواجه النَّقْشَبَنْدِيِّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ الأَقْدَسُ ـ ثُمَّ وَجَدْتُ بَدَنِيَ العُنْصُرِيَّ هُنَاكَ بَعْدَ زَمَانٍ، وَخُيِّل لي فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ هَذَا العَالَم بتَمَامه مِنَ العُنْصُرِيَّات وَالفَلَكِيَّاتِ نازِلاً إِلى التَّحْتِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ اسْمٌ وَلاَ رَسْمٌ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلكَ المَقَامِ إِلاَّ بَعْضُ الأَوْلِيَاءِ الكبَارِ، وَالآنَ أَجِدُ تَمَامَ العَالم شَرِيكًا لي فِي المَحَل وَالمَقَامِ، حَصَلتِ الحَيْرَةُ بِأَنَّهُ مَعَ وُجُودِ الأَجْنَبِيَّة التَّامَّة أَرَى نَفْسِي مَعَهُمْ.

وَالحَاصِل: تَظْهَرُ أَحْيانًا حَالةٌ لاَ أَبْقَى فِيهَا أَنَا وَلاَ العَالمُ، وَلاَ يَظْهَرُ شَيْءٌ لاَ فِي النَّظَرِ وَلاَ فِي العلم، وَتِلكَ الحَالةُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلى الآن وَوُجُودُ العَالم مُحْتَجَبٌ عَنِ النَّظَرِ وَالعلَم، ثُمَّ ظَهَرَ فِي ذَلكَ المَقَام قَصْرٌ عَال، قَدْ وُضِعَ فِيه سَلاَلمُ فَطَلَعْتُ فِيهِ، ثُمَّ تَنَزَّل ذَلكَ المَقَامُ أَيْضاً بالتَّدْرِيج مِثْلَ العَالم، وَوَجَدْتُني صَاعِدًا سَاعَةً فَسَاعَةً، فَصَلَيْتُ اتِّفَاقاً رَكْعَتَيْ شُكْرِ الوُضُوءِ، فَظَهَرَ مَقَامٌ عَال جدًّا، فَرَأَيْتُ فيه الأَكَابِرَ الأَرْبَعَةَ[1] النَّقْشَبَنْدِيِّينَ ـ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمْ ـ وَكَانَ فِيهِ أَيْضاً مَشَايخُ آخَرُونَ مثْل: سَيِّد الطَّائِفَة، وَغَيْرِهِ، وَكَانَ بَعْضٌ مِنَ المَشَايخ فَوْقَ ذَلكَ المَقَام، وَلكِنْ كَانُوا قَاعِدِينَ آخِذِينَ بِقَوَائِمِهِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ تَحْتَهُ عَلى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ، وَوَجَدْتُ نَفْسِي بَعِيدًا عَنْ ذَلكَ المَقَام جدًّا، بَل لَمْ أَرَ فِي نَفْسِي مُنَاسَبَة بِهَذَا المَقَام، فَحَصَلَ لي مِنْ هَذِهِ الوَاقِعَةِ اضْطرابٌ تَامٌّ، حَتَّى كِدْتُ أَكُونُ مَجْنُوناً، وَيَخْرُجُ رُوحي مِنْ بَدَنِي مِنْ فَرْطِ الحُزْنِ وَالأَسف، فَمَرَّتْ عَلى هَذِهِ النهج أَوْقَاتٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ نَفْسَي أَخيرًا مُنَاسبًا لذَلكَ المَقَام؛ بِتَوَجُّهاتِكُمُ العَلِيَّة، وَوَجَدْتُ رَأْسِي أَوَّلاً مُحَاذِيًا لذَلكَ المَقَام، ثُمَّ صَعَدْتُ تَدْرِيجًا وَقَعَدْتُ فَوْقَهُ، ثُمَّ خَطَرَ في بَالي بَعْدَ التَّوَجُّه ـ أَنَّ ذَلكَ المَقَامَ مقامُ التَّكْمِيل التَّامِّ؛ يُوْصَل إِلَيْهِ بَعْدَ تَمَامِ السُّلوكِ وَلاَ

---

(١) ـ لعله أراد بهم الخواجه عبد الخالق الغجدواني والخواجه محمد بهاء الدين النقشبند والخواجه علاء الدين العطار والخواجه عبيد الله أحرار قدس سرهم لمؤلفه عفى عنه.

حَظَّ مِنْ ذَلكَ المَقَامِ لَمجْذُوب، لَمْ يُتمَّ السُّلوكَ، وَخُيِّل لي في ذَلكَ الوَقْتِ أَنَّ الوُصُولَ إلى ذَلكَ المَقَامِ مِنْ نَتَائجِ تلكَ الوَاقعَة التي كُنْتُ رَأَيْتُهَا حينَ كَوْني في مُلاَزَمَتكُمْ، وَهيَ أَنِّي رَأَيْتُ سَيِّدَنَا عَليًّا ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ قَدْ جَاءَ وَقَال: "**جِئْتُكَ لأُعَلمَكَ علمَ السَّمَوَات**" إلخ.

وَلَمَّا أَمْعَنْتُ النَّظَرَ وَجَدْتُ ذَلكَ المَقَامَ مَخْصُوصًا بسَيِّدنَا عَليٍّ[1] ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ منْ بَيْنِ سَائرِ الخُلفَاءِ الرَّاشدينَ ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعينَ ـــ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أَعْلمُ.

وَالمَعْرُوضُ ثانيًا: أَنَّهُ يَظْهَرُ لي أَنَّ الأَخْلاَقَ السَّيِّئَةَ تَرْتَفعُ سَاعَةً فَسَاعَةً، بَعْضُهَا يَخْرُجُ منَ البَدَن مثْل الخَيْط، وَبَعْضُهَا مثْل الدُّود، وَيُخَيَّل في بَعْضِ الأَوْقَات أَنَّ كُلهَا قَدْ زَالتْ، ثُمَّ يَظْهَرُ في وَقْت آخَرَ.

وَثَالثًا: أَنَّ التَّوَجُّهَ لدَفْعِ بَعْضِ الأَمْرَاضِ وَالشَّدَائدِ هَل هُوَ مَشْرُوطٌ بأَنْ يُعْلمَ رِضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَوَّلاً أَوْ لاَ ؟:

وَالظَّاهرُ منْ عبَارَة الرَّشَحَات المَنْقُولة عَنْ حَضْرَة الخواجه يَعْني: عُبَيْدَ الله أَحْرَارَ ـــ قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ الأَقْدَسَ ـــ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بشَرْطٍ، فَبمَاذَا تَحْكُمُونَ في هَذَا البَاب، مَعَ أَنَّ التَّوَجُّهَ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ : يَعْني: عنْدَهُ.

وَرَابعًا: أَنَّ بَعْدَ تَحَقُّق الحُضُور في الطَّالبينَ، هَل يَلزَمُ المَنْعُ منَ الذِّكْر وَالأَمْرُ بالمُحَافَظَة عَلى الحُضُور أَوَّلاً؟ ثُمَّ أَيُّ مَرْتَبَة منَ الحُضُور لاَ ذكْرَ فيهَا، مَعَ أَنَّ البَعْضَ لَمْ يَتْرُكِ الذِّكْرَ منَ الأَوَّل إلى الآخر؟ وَلَمْ يَمْتَنعْ منَ الذِّكْر أَصْلاً حَتَّى أَنْهَى الأَمْرَ إلى النِّهَايَة. فَمَا حَقيقَةُ الأَمْر فيه ؟ وَبمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟

---

(١) ـــ **أبو الحسن علي بن أبي طالب**: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم أبي طالب عبد مناف، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت، ويكنى أبا الحسن وأبا تراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، وشهد المشاهد كلها، و لم يتخلف إلا في تبوك؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله، وكان غزير العلم مرجعا في الفتوى والقضاء حتى قيل: " فتوى ولا أبا الحسن لها "، توفي بالمدينة سنة خمسين. انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٥٦/١، ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١٦٢/١، الشيخ يس السنهوتي النقشبندي ت (١٤١٦هـ): الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية: ٢١.

وَخَامسًا: أَنَّ حَضْرَةَ الخواجه ـــ يَعْني: عُبَيْدَ الله أَحْرَارَ ـــ قَال في الفقْرَات: "وَيَأْمُرُونَ أَخيرًا بالذِّكْرِ؛ فَإِنَّ بَعْضَ المَقَاصِدِ لاَ يَتَيَسَّرُ إلاَّ بِهِ، وَمَا هَذِهِ المَقَاصِدُ فَعَيِّنُوهُ".

وَسَادسًا: أَنَّ بَعْضَ الطَّالبينَ يَطْلُبُونَ تَعْليمَ الطَّريقَة إِيَّاهُمْ، وَلكنَّهُمْ لاَ يَحْتَاطُونَ في اللقْمَة، وَمَعَ عَدَمِ الاحْتيَاط قَدْ حَصَّلوا حُضُورًا وَنَحْوًا منَ الاسْتغْرَاق، فَإِنْ أَكَّدْنَا عَلَيْهِمْ بالاحْتيَاط في اللقْمَة يَتْرُكُونَ الكُل، يَعْني: يَخْتَارُونَ تَرْكَ الطَّريقَة بالكُليَّة منْ ضَعْف الطَّلَب. فَمَا الحُكْمُ في هَذَا البَاب ؟ وَالبَعْضُ الآخَرُ يَطْلُبُونَ مُجَرَّدَ الاتِّصَال بهَذه السِّلسلة الشَّريفَة بطَريق الإِرَدَاة منْ غَيْر طَلَب تَعْليم الذِّكْر، وَهَل يَجُوزُ ذَلكَ أَوْ لاَ ؟ فَإِنْ كَانَ يَجُوزُ، فَمَا طَرِيقُهُ، وَزِيَادَةُ الانْبسَاط خُرُوجٌ منَ الأَدَب.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ
فِي بَيَانِ الأَحْوَالِ المُتَعلقَة بمَرْتَبَة البَقَاءِ وَالصَّحْوِ
كَتَبَهُ أَيْضًا إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَقَلِّ العَبِيدِ أَحْمَدَ: إِنِّي لَمَّا أُخْرِجْتُ إِلى الصَّحْوِ، وَشَرُفْتُ بالبَقَاءِ، أَخَذَ تَظْهَرُ العُلومُ الغَرِيبَةُ، وَالمَعَارِفُ غَيْرُ المُتَعَارَفَة، وَتُفَاضُ عَلى التَّوَاتُرِ وَالتَّوَالِي، وَأَكْثَرُهَا لاَ يُوَافِقُ بَيَانَ القَوْمِ وَاصْطِلاَحَهُمُ المُتَدَاوَلَ.

وَكُلُّ مَا بَيَّنُوهُ فِي مَسْأَلَةِ وَحْدَةِ الوُجُودِ وَقَالوا بِهِ، قَدْ شَرُفْتُ بِهِ فِي أَوَائِلِ الحَالِ، وَتَيَسَّرَ شُهُودُ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ، ثُمَّ تَرَقَّيْتُ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ بِعِنَايَةِ المَلِكِ العَلاَّمِ إِلى مَا فَوْقَهُ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَفَاضَ عَلَيَّ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ أَنْوَاعُ العُلومِ، وَلَكِنْ لاَ يُوجَدُ فِي كَلاَمِ القَوْمِ مِصْدَاقُ تِلكَ المَقَامَاتِ، وَمِصْدَاقُ هَاتِيكَ المَعَارِفِ وَالمَقَالاَتِ صَرِيحًا.

وَفِي كَلاَمِ بَعْضِ الأَكَابِرِ إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ إِجْمَالِيَّةٌ فِيهَا، وَلَكِنَّ الشَّاهِدَ العَدْلَ لِصِحَّتِهَا مُوَافَقَتُهَا لِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ، وَإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ بِحَيْثُ لاَ تُخَالِفُ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ فِي شَيْءٍ، وَلاَ تُوَافِقُ أَقْوَالَ الفَلاَسِفَةِ وَأُصُولَهُمُ المَعْقُولَةَ، بَلْ لاَ تُوَافِقُ أُصُولَ طَائِفَةٍ مِنَ العُلَمَاءِ الإِسْلاَمِيِّينَ لَهُمْ مُخَالَفَةٌ لأَهْلِ السُّنَّةِ.

وَقَدِ انْكَشَفَ أَنَّ الاسْتِطَاعَةَ مَعَ الفِعْلِ، وَأَنْ لاَ قُدْرَةَ قَبْلَ الفِعْلِ، بَلْ تَحْصُلُ القُدْرَةُ مُقَارِنًا بِالفِعْلِ، وَالتَّكْلِيفُ مُسْتَنِدٌ إِلى سَلاَمَةِ الأَسْبَابِ وَالأَعْضَاءِ؛ كَمَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَجِدُنِي فِي هَذَا المَقَامِ عَلى قَدَمِ الخواجه بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي هَذَا المَقَامِ، وَكَانَ لِحَضْرَةِ الخواجه عَلاَءِ الدِّينِ العَطَّارِ نَصِيبٌ أَيْضًا مِنْ هَذَا المَقَامِ، وَمِنْ أَكَابِرِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ العَلِيَّةِ حَضْرَةُ الخواجه عَبْدُ الخَالِقِ الغَجْدَوَانِيُّ ـــ قَدَّسَ اللهُ تَعَالى سِرَّهُ الأَقْدَسَ ـــ وَمِنَ المُتَقَدِّمِينَ الشَّيْخُ مَعْرُوفٌ الكَرْخِيُّ، وَدَاوُدُ الطَّائِيُّ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَحَبِيبٌ العَجَمِيُّ، قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ المُقَدَّسَةَ.

وَحَاصِلُ هَذِهِ كُلِّهَا كَمَالُ البُعْدِ وَالوَحْشَةِ، وَقَدْ جَاوَزَ الأَمْرُ المُعَالَجَةَ، وَمَا دَامَتِ الحُجُبُ مَسْدُولَةً كَانَ لِلسَّعْيِ وَالاِهْتِمَامِ لِرَفْعِهَا مَجَالٌ، وَالآنَ كَانَتْ عَظَمَةُ الأَمْرِ حِجَابًا لَهُ (ع):

فَلاَ طَبِيبَ لَهَا وَلاَ رَاقِ

وَكَأَنَّهُمْ سَمَّوْا كَمَال الوَحْشَةِ وَعَدَمَ المُنَاسَبَةِ وَصْلاً وَاتِّصَالاً، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ !! وَهَذَا البَيْتُ مُوَافِقٌ للحَال.

إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَدَعْوَى وِصَالِه أَيْنَ الحَضِيضُ مِنَ السِّمَاكِ الأَعْزَلِ

أَيْنَ الشُّهُودِ، وَمَنِ الشَّاهِدُ وَمَا المَشْهُودُ، (ع):

وَمَتَى يُرَى للخَلقِ نُورُ جَمَالِه

مَا للتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ؟! وَإِنَّمَا للعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ نَفْسَهُ مَخْلوقًا غَيْرَ قَادِرٍ، وَكَذَلِكَ لهُ أَنْ يَعْتَقِدَ جَمِيعَ العَالَمِ كَذَلِكَ، وَأَنْ يُذْعِنَ أَنَّ الخَالِقَ وَالقَادِرَ هُوَ الحَقُّ عَزَّ وَجَل، لاَ يُثْبِتُ نِسْبَةً غَيْرَ هَذَا أَصْلاً. فَأَيْنَ العَيْنِيَّةُ وَالمرْآتِيَّةُ ؟ (ع):

وَبِأَيِّ مرْآة غَدًا مُتَصَوِّرًا ؟

وَعُلَمَاءُ الظَّاهِرِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانُوا مُقَصِّرِينَ فِي بَعْضِ الأَعْمَال، وَلَكِنْ يَظْهَرُ فِي النَّظَرِ أَنَّ لجَمَال صِحَّةِ عَقَائِدِهِمْ مِنَ النُّورَانِيَّةِ مَا يَضْمَحِل فِيهِ تَقْصِيرَاتُهُم وَتَتَلاَشَى.

وَلاَ يُوجَدُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ المُتَصَوِّفَةِ؛ لعَدَمِ كَمَال صِحَّةِ عَقِيدَتِهِمْ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، مَعَ وُجُودِ الرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهَدَاتِ.

وَقَدْ حَصَلَتْ لِي مَحَبَّةٌ كَثِيرَةٌ فِي حَقِّ العُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ العُلُومِ، وَتُسْتَحْسَنُ لِي سِيرَتُهُمْ، وَأَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ فِي زُمْرَتِهِمْ، وَنَتَذَاكَرَ مَعَ طَلَبَةِ العُلُومِ "**التَّوْضِيحَ وَالتَّلوِيحَ**" مِنَ المُقَدِّمَاتِ الأَرْبَعِ، وَنَتَبَاحَثُ مَعَهُمْ وَنَقْرَأُ "**الهِدَايَةَ**" أَيْضًا مِنَ الفِقْهِ.

وَأُشَارِكُ العُلَمَاءَ أَيْضًا فِي القَوْلِ بِالإِحَاطَةِ وَالمَعِيَّةِ العِلْمِيَّتَيْنِ.

وَكَذَلِكَ أَعْلَمُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَيْسَ عَيْنَ العَالَمِ، وَلاَ مُتَّصِلاً بِهِ، وَلاَ مُنْفَصِلاً عَنْهُ، وَلاَ مَعَ العَالَمِ، وَلاَ مُفَارِقًا عَنْهُ، وَلاَ مُحِيطًا بِهِ، وَلاَ سَارِيًا فِيهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ لَهُ تَعَالَى، لاَ أَنَّ صِفَاتِ المَخْلُوقَاتِ صِفَاتٌ لَهُ تَعَالَى وَأَفْعَالُهَا أَفْعَالُهُ سُبْحَانَهُ، بَلْ أَعْلَمُ أَنَّ المُؤَثِّرَ فِي الأَفْعَالِ إِنَّمَا هُوَ قُدْرَتُهُ تَعَالَى؛ لاَ تَأْثِيرَ لِقُدْرَةِ المَخْلُوقِ؛ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ عُلَمَاءِ المُتَكَلِّمِينَ.

وَكَذَلِكَ أَعْلَمُ أَنَّ الصِّفَاتِ السَّبْعَ مَوْجُودَةٌ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ مُرِيدٌ، وَأَتَصَوَّرُ القُدْرَةَ بِمَعْنَى صِحَّةِ الفِعْلِ وَالتَّرْكِ بِيَقِينٍ، لاَ بِمَعْنَى إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَلْ، وَلاَ أَقُولُ إِنَّ الشَّرْطِيَّةَ الثَّانِيَةَ مُمْتَنِعَةُ الوُقُوعِ؛ كَمَا قَالَ بِهِ الحُكَمَاءِ،

يَعْنِي الفَلاَسِفَةَ السُّفَهَاءَ، وَبَعْضَ الصُّوفِيَّة؛ فَإِنَّ هَذَا يَنْجَرُّ إِلى القَوْل بِالإِيجَاب، وَيُوَافِقُ أُصُول الحُكَمَاء، وَأَعْتَقِدُ مَسْأَلَةَ القَضَاء وَالقَدَرِ عَلى طَوْرِ العُلَمَاء؛ فَإِنَّ للمَالِك أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مِلكه كَيْفَ يَشَاءُ، وَلاَ أَرَى للقَابِلِيَّة وَالاسْتِعْدَاد دَخْلاً أَصْلاً؛ فَإِنَّهُ يَنْجَرُّ إِلى الإِيجَاب، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُخْتَارٌ فَعَّال لَمَا يُرِيدُ، وَعَلى هَذَا القِيَاسُ.

وَلَمَّا كَانَ عَرْضُ الأَحْوَال مِنْ جُمْلَةِ الضَّرُورِيَّات، اجْتَرَأْنَا بِعَرْضِهَا بِالضَّرُورَةِ (ع):

عَلى المَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَل الدَّهْرَ طَوْرَهُ

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ
فِي بَيَانِ الأَحْوَالِ الْمُنَاسَبَةِ لِمَقَامِ اَلنُّزُولِ
كَتَبَهُ أَيْضًا إِلَى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ

عَرِيضَـــةٌ: الْمُدبِرُ الأَسْوَدُ الوَجْهِ الْمُقَصِّرُ سَيِّئُ الخَلقِ مَغْرُورُ الوَقْتِ وَالحَالِ الكَامِلِ الاجْتِهَادِ فِي مُخَالَفَةِ الْمَوْلَى * العَامِلِ بِتَرْكِ العَزِيمَةِ وَالأَوْلَى * مُزَيِّنُ مَوْقِعِ نَظَرِ الخَلقِ * وَمُخَرِّبُ مَحَلِ نَظَرِ الحَقِّ * تَعَالَى وَتَقَدَّسَ مَقْصُورُ الهِمَّةِ فِي تَزْيِينِ الظَّاهِرِ * مُنْحَرِفُ البَاطِنِ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ نَحْوَ الأَغْيَارِ قَوْلُهُ مُنَافٍ لِحَالِهِ * وَحَالُهُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَيَالِهِ * فَمَاذَا يَحْصُلُ مِنْ هَذَا الْمَنَامِ وَالخَيَالِ * وَمَاذَا يَنْكَشِفُ مِنْ هَذَا القَالِ وَالحَالِ * نَقْدُ الوَقْتِ الأَدْبَارِ وَالخَسَارَةُ * وَالبِضَاعَةُ الغَبَاوَةُ وَالضَّلَالَةُ * وَنَفْسُهُ مَبْدَأُ الشَّرِّ وَالفَسَادِ * وَمَنْشَأُ الظُّلْمِ وَمَعْصِيَةِ رَبِّ العِبَادِ * وَبِالجُمْلَةِ إِنَّهُ ذُنُوبٌ مُجَسَّمَةٌ * وَعُيُوبٌ مُجْتَمِعَةٌ * خَيْرَاتُهُ لاَئِقَةٌ بِاللَّعْنِ وَالرَّدِّ * وَحَسَنَاتُهُ مُسْتَحِقَّةٌ لِلطَّعْنِ وَالطَّرْدِ * " رُبَّ قَارِئِ القُرْآنِ وَالقُرْآنُ يَلعَنُهُ "(١) شَاهِدُ عَدْلٍ فِي حَقِّهِ " وَكَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الظَّمَأُ وَالجُوعُ "(٢) شَاهِدُ صِدْقٍ فِي شَأْنِهِ * فَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ وَمَنْزِلَتُهُ وَكَمَالَهُ وَدَرَجَتُهُ * اسْتِغْفَارُهُ ذَنْبٌ كَسَائِرِ الذُّنُوبِ بَلْ أَشَدُّ * وَتَوْبَتُهُ مَعْصِيَةٌ كَسَائِرِ الْمَعَاصِي بَلْ أَقْبَحُ * كُلُّ مَا يَفْعَلُهُ القَبِيحُ قَبِيحٌ، مِصْدَاقُ هَذَا القَوْلِ (ع):

---

(١) ــ **لا أصل له**: ذكره الغزالي في الإحياء من قول أنس بن مالك رضي الله عنه وسكت عنه مخرجوا أحاديثه قاطبة.

(٢) ــ أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام، باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، والنسائي، والدارمي: كتاب الرقاق باب: المحافظة على الصوم، بلفظ: " رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الجُوعُ "، وَفِي بعض طرقه إلا العطش وذكره ابن حجر عن النسائي وابن ماجه بلفظ: " كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش " وفي رواية الدارمي: " كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ "، وعند أحمد في باقي مسند المكثرين وعند الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنه ــ بلفظ: " رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ " وصححه السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم: ٤٤٠٤، وانظر كذلك كشف الخفا مزيل الألباس للعجلوني: (ح ١٣٦٥)، تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي كتاب أسرار الصيام حديث: ٣، وكنز العمال للمتقي الهندي: (ح ٧٤٩٠)، وأخرجه، وقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم: " لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الجُوعُ " أي: ليس لصومه قبول عند الله؛ فلا ثواب له، قال الغزالي: قيل: هو الذي يفطر على حرام، أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام، وانظر: فيض القدير للمناوي الموضع السابق.

مَنْ يَزْرَعُ اَلشَّوْكَ لَمْ يَحْصُدْ به عنَبًا

مَرَضُهُ ذَاتِيٌّ لاَ يَقْبَل العِلاَجَ وَدَاؤُهُ أَصْلِيٌّ لاَ يَنْفَعُهُ اَلدَّوَاءُ ؛ كَفَاسِدِ المِزَاجِ مَا بِالذَّاتِ لاَ يَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ.

شِعْرٌ.

أَنَّى يَزُول منَ الحُبُوشِ سَوَادُهَا إنَّ اَلسَّوَادَ بأَصْله هُوَ لوْنُهَا

مَاذَا نَصْنَعُ: {وَمَا ظَلَمَهُمُ اَللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[1] نَعَمْ الخَيْرُ المَحْضُ يَسْتَدْعِي شرِّيرًا مَحْضًا ؛ لتَظْهَرَ حَقِيقَةُ الخَيْرِيَّة لأَشْيَاءَ إنَّمَا تَتَبَيَّنُ بضدِّهَا ؛ فَالخَيْرُ وَالكَمَال إذَا كَانَا مُهَيَّأَيْنِ يَلزَمُهُمَا اَلشَّرُّ وَالنَّقْصُ فَإنَّ الحُسْنَ وَالجَمَال لاَ بُدَّ لهُمَا منَ المرْآة وَالمرْآةُ لاَ تَكُونُ إلاَّ في مُقَابَلة شَيْءٍ فَلاَ جَرَمَ كَانَ اَلشَّرُّ مرْآةً للخَيْر وَالنَّقْصُ مرْآةً للكَمَال. فَمَا زَادَ فيه اَلنَّقْصُ وَالشَّرُّ يَكُونُ الكَمَال فيه أَزْيَدَ وَالخَيْرُ أَوْفَرَ وَالعَجَبُ أَنَّ هَذَا اَلذَّمَّ كَشَفَ عَنْ وَجْه مَعْنَى المَدْحِ وَصَارَ اَلشَّرُّ وَالنُّقْصَانُ مَحَلاً للخَيْر وَالكَمَال. فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مَقَامُ العَبْدِيَّة فَوْقَ جَميعِ المَقَامَات فَإنَّ هَذَا المَعْنَى أَتَمُّ وَأَكْمَل في مَقَام العَبْدِيَّة وَإنَّمَا يَتَشَرَّفُ بهَذَا المَقَام المَحْبُوبُونَ وَتَلَذُّذُ المُحبِّينَ إنَّمَا هُوَ بذَوْق اَلشُّهُود وَالالتذَاذُ بالعَبْدِيَّة وَالأُنْسُ بهَا مُخْتَصَّان بالمَحْبُوبينَ. أُنْسُ المُحبِّينَ في مُشَاهَدَة المَحْبُوب وَأُنْسُ المَحْبُوبينَ في عُبُودِيَّة المَحْبُوب. فَهُمْ يَتَشَرَّفُونَ في هَذَا الأُنْس بتلكَ اَلدَّوْلة وَالنِّعْمَة.

وَفَارِسُ هَذَا المَيْدَان عَلى الإطْلاَق هُوَ سَنَدُ اَلدُّنْيَا وَالدِّين وَسَيِّدُ الأَوَّلينَ وَالآخَرينَ وَحَبيبُ رَبِّ العَالمينَ عَلَيْه منَ اَلصَّلَوات أَتَمُّهَا وَمنَ اَلتَّحيَّات أَكْمَلهَا. فَإنْ أُريدَ إيصَال شَخْص إلى هَذه اَلدَّوْلة بمَحْض الفَضْل يُجْعَل أَوَّلاً مُتَحَقِّقًا بكَمَال مُتَابَعَته - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -، ثُمَّ يُرْفَعُ بتلكَ المُتَابَعَة إلى ذُرْوَة العُلاَ: {ذَلكَ فَضْلُ اَللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}[2].

وَالمُرَادُ منَ اَلشَّرِّ وَالنَّقْص العلمُ الذَّوْقِيُّ بهمَا لاَ الاتِّصَافُ بهمَا، وَصَاحبُ هَذَا العلم مُتَخَلِّقٌ بأَخْلاَق اَللهِ تَعَالى شَأْنُهُ وَتَقَدَّسَ وَهَذَا العلمُ منْ جُمْلَة ثَمَرَات ذَلكَ اَلتَّخَلُّق. فَكَيْفَ يَكُونُ للشَّرِّ وَالنَّقْصِ مَجَال في ذَلكَ المَوْطنِ سوَى تَعَلُّقِ العلمِ بهمَا.

---

(١) ــ الآية: ٣٣ من سورة النحل.

(٢) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

وَهَذَا العلمُ إِنَّمَا هُوَ بوَاسطَة اَلشُّهُود اَلتَّامِّ للخَيْرِ المَحْضِ اَلذي يَرَى الكُل في جَنْبه شَرًّا. وَهَذَا اَلشُّهُودُ بَعْدَ نُزُول النَّفْس المُطْمَئنَّة إلى مَقَامهَا؛ وَلذَلكَ مَا دَامَ العَبْدُ لَمْ يُسْقطْ حَظَّ نَفْسه وَلَمْ يَضْربْ به الأَرْضَ وَلَمْ يَبْلغْ أَمْرُهُ هَذه المَرْتَبَةَ لاَ نَصيبَ لهُ منْ كَمَال مَوْلاَهُ جَل شَأْنُهُ فَكَيْفَ إِذَا اعْتَقَدَ نَفْسَهُ أَنَّهُ عَيْنُ مَوْلاَهُ وَصفَاتُهُ صفَاتُهُ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا، وَهَذَا الاعْتقَادُ إِلحَادٌ في الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَأَرْبَابُهُ دَاخلونَ في زُمْرَة مصْدَاق قَوْله تَعَالى {وَذَرِ الذينَ يُلحدُونَ في أَسْمَائه}(١).

وَلَيْسَ كُل مَنْ تَقَدَّمَتْ جَذْبَتُهُ عَلى سُلوكه منَ المَحْبُوبينَ وَلكنَّ تَقَدُّمَ الجَذْبَة شَرْطٌ في المَحْبُوبيَّة نَعَمْ في كُل جَذْبَة نَوْعٌ منْ مَعْنَى المَحْبُوبيَّة. فَإِنَّ الجَذْبَ لاَ يَكُونُ بدُونه وَذَلكَ المَعْنَى حَصَل فيهمْ بسَبَب عَارض منَ العَوَارض لاَ ذَاتيٌّ، والذَّاتيُّ غَيْرُ مُعَلل بشَيْء منَ الأَشْيَاء ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ كُل مُنْتَه تَتَيَسَّرُ لهُ الجَذْبَةُ أَخيرًا مَعَ كَوْنه دَاخلاً في زُمْرَة المُحبِّينَ ظَهَرَ فيه مَعْنَى المَحْبُوبيَّة بوَاسطَة عَارض وَهُوَ لاَ يَكْفي فيه يَعْني حُصُول هَذَا المَعْنَى لاَ يَكْفي في كَوْن اَلسَّالك مَحْبُوبًا، وَذَلكَ العَارضُ هُوَ اَلتَّزْكيَةُ وَالتَّصْفيَةُ، وَيَكُونُ البَاعثُ عَلى حُصُول هَذَا المَعْنَى لبَعْض المُبْتَدئينَ في الجُمْلة اتِّبَاعَ اَلنَّبيِّ ﷺ وَلوْ في الجُمْلة بَل البَاعثُ عَلَيْه في المُنْتَهَى أَيْضًا هُوَ اَلاتِّبَاعُ فَقَطْ، وَظُهُورُ ذَلكَ المَعْنَى الذَّاتيِّ وَالفَضْليِّ في المَحْبُوبينَ أيضًا مَنُوطٌ باتِّبَاعه ﷺ بَل أَقُول: إِنَّ ذَلكَ المَعْنَى الذَّاتيَّ بوَاسطَة المُنَاسَبَة اَلذَّاتيَّة للنَّبيِّ ﷺ وَالاسْمُ اَلذي هُوَ رَبُّهُ وَاقعٌ مُنَاسبًا للاسْم اَلذي هُوَ رَبُّهُ ﷺ في حَقِّ تلكَ الخُصُوصيَّة وَبهَذَا اَلسَّبَب اكْتَسَبَ هَذه اَلسَّعَادَةَ وَاَللهُ أَعْلمُ بالصَّوَاب وَإِليْه المَرْجعُ وَالمَآبُ وَاَللهُ يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي اَلسَّبيل.

---

(١) ــ الآية: ١٨٠ من سورة الأعراف.

اَلْمَكْتُوبُ العَاشِرُ
فِي حُصُول القُرْب وَالبُعْد
وَالفَرْق وَالوَصْل بِمَعَانٍ غَيْرِ مُتَعَارِفَة
مَعَ بَعْضِ العُلومِ المُنَاسِبِ لِذَلِكَ المَقَامِ
كَتَبَهُ أَيْضًا إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخِدْمَة: أَنَّهُ قَدْ طَالتْ المُدَّةُ وَلاَ اِطِّلاَعَ لِي عَلى أَحْوَال خِدْمَةِ تِلكَ العَتَبَةِ العَلِيَّةِ مَعَ كَثْرَةِ الاِنْتِظَارِ.

شعْرٌ.

وَلاَ عَجَبَ أَنْ عَادَ رُوحِي إِذَا أَتَى ... سَلاَمٌ مِنَ الخِل الوَفِيِّ المُفَارِقِ
عَلِمْتُ بِأَنِّي غَيْرُ لاَحِــقِ رَكْبِــه ... فَيَكْفِي سَمَاعِي مَنْ وَرَاهُ تَدَاعَى

وَاعْجَبْ بِأَمْرٍ؛ حَيْثُ سَمَّوْا نِهَايَةَ البُعْدِ قُرْبًا وَغَايَةَ الفِرَاقِ وَصْلاً!! وَكَأَنَّهُمْ أَشَارُوا فِي ضِمْنِ ذَلِكَ إِلى نَفْيِ القُرْبِ وَالوِصَال. شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إِلى سُعَادَ وَدُونَهَا ... قُلَل الجِبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

فَلاَ جَرَمَ كَانَ الحُزْنُ الأَبَدِيُّ وَالفِكْرُ الدَّائِمِيُّ مُمِدًّا وَمُعِينًا، وَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ فِي آخِرِ الأَمْرِ مُرِيدًا أَيْضًا بِإِرَادَتِه وَالمَحْبُوبُ مُحِبًّا وَمُبْتَلى بِمَحَبَّةِ المَحْبُوب. وَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ مَعَ وُجُودِ مَقَامِ المُرَادِيَّةِ والمَحْبُوبِيَّةِ صَارَ مُرِيدًا وَمُحِبًّا فَلاَ جَرَمَ أَخْبَرُوا عَنْ حَالِه بِأَنَّهُ كَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الحُزْنِ دَائِمَ الفِكْرِ "[1] وَقَالَ النَّبِيُّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ: " مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَمَا أُوذِيتُ "[2].

---

(١) ــ هذا طرف من حديث طويل في شمائل حليته صلى الله عليه وسلم عزاه السيوطى في جمع الجوامع إلى ابن سعد والترمذى في الشمائل والبيهقى في الدلائل والشعب والطبرانى في الكبير والروياني وابن عساكر عن الحسن ابن على عن خاله ابن أبي هالة بلفظ كان متواصل الأحزان دائم الفكر ولا عبرة بإنكار المنكر بمجرد عقله بعد ثبوته بنقل الثقات وتقرير العلماء الإثبات اهـ.

ويؤيده ما أخرجه سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أنها قالت: " مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِه، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسمُ ".

(٢) ــ أخرجه ابن عدى وابن عساكر عن جابر رضه بلفظ ما أوذى أحد ما أوذيت وأخرجه أحمد والترمذى وابن حبان عن أنس مرفوعا لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد واخفت في الله وما يخاف أحد.

وَالمُحِبُّونَ هُمُ المُتَحَمِّلونَ لِثقَل المَحَبَّةِ، وَحَمْل هَذَا اَلثِّقَل عَسِيرٌ عَلى المَحْبُوبِينَ، (ع):

فَيَا لَهَا قِصَّةٌ فِي شَرْحِهَا طُول

(ع):

وَقِصَّةُ العِشْقِ مِمَّا لاَ انْفِصَامَ لهُ

وَحَامِل العَرِيضَة اَلشَّيْخُ اله بخش قَدْ حَصَل لهُ نَوْعٌ مِنَ الجَذْبِ وَالمَحَبَّةِ وَقَدْ صَارَ بَاعِثًا عَلى كِتَابَة كَلِمَات إلى خدْمَتكُمْ بالإبْرَامِ.

وَحَاصِل المَرَام أَنَّهُ أَظْهَرَ شَوْقَ المُلاَزَمَة وَتَوَجَّهَ نَحْوَ تلكَ الحُدُود وَقَدْ كَانَ أَوَّلاً أَظْهَرَ بَعْضَ الإرَادَات وَلَمَّا فَهِمَ مِنْ هَذَا الفَقِير تَقَاعَدَا فيه وَتَأَخَّرَا عَنْ إنْجَاحه رَضِيَ بِمُجَرَّدِ المُلاَقَاةِ فَكَتَبْنَا لأَجْل ذَلكَ هَذِه الكَلِمَاتِ وَزِيَادَةُ اَلانْبِسَاط بَعِيدَةٌ عَنْ طَوْرِ الأَدَبِ.

اَلْمَكْتُوبُ الحَادِيَ عَشَرَ
فِي بَيَانِ بَعْضِ الكُشُوفِ
وَحُصُولِ مَقَامِ رُؤْيَةِ قُصُورِ نَفْسِهِ وَاتِّهَامِهَا فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ
وَظُهُورِ مَعْنَى الكَلِمَاتِ اَلثَّلاَثِ لِلشَّيْخِ أَبِي سَعِيدٍ أَبِي الخَيْرِ
وَسِرِّهَا وَبَيَانِ أَحْوَالِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ المُكَرَّمِ أَيضًا

عَرِيضَةُ أَقَلِّ العَبِيدِ أَحْمَدَ: إِنَّ المَقَامَ اَلذِي كُنْتُ رَأَيْتَنِي فِيهِ سَابِقًا وَقَعَ اَلنَّظَرُ عَلَى عُبُورِ الخُلَفَاءِ اَلثَّلاَثَةِ مِنْهُ بَعْدَ المُلاَحَظَةِ حَسَبَ الأَمْرِ اَلشَّرِيفِ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ مَقَامٌ وَاسْتِقْرَارٌ لَمْ أَرَهُمْ فِيهِ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ كَمَا أَنَّهُ لاَ اسْتِقْرَارَ فِيهِ وَلاَ ثَبَاتَ لأَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ البَيْتِ غَيْرَ الإِمَامَيْنِ[1] وَالإِمَامِ زَيْنِ العَابِدِينَ[2] ـــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ـــ وَلَكِنْ وَقَعَ لَهُمُ العُبُورُ مِنْهُ وَيُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بِدِقَّةِ اَلنَّظَرِ.

وَأَمَّا وَجْهُ رُؤْيَةِ نَفْسِي أَوَّلاً غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِهَذَا المَقَامِ فَعَدَمُ المُنَاسَبَةِ عَلَى نَوْعَيْنِ:

أَحَدُهُمَا - عَدَمُ ظُهُورِ طَرِيقٍ مِنَ اَلطُّرُقِ فَلَوْ أُرِيتُ اَلطَّرِيقَ لَزَالَ عَدَمُ المُنَاسَبَةِ.

---

(١) ـــ يعني الإمام الحسن والإمام الحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا.

(٢) ـــ **الإمام زين العابدين علي بن الحسين**: أمه اسمها غزالة، وهو علي الأصغر، وأما الأكبر فإنه قُتِلَ مع أبيه الحسين عليهما السلام، وكان علي هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة إلا أنه كان مريضا نائما على فراش فلم يقتل، وكان يكنى أبا الحسين وقيل أبا محمد، ومن مناقبه:

عن عبدالرحمن بن حفص القرشي قال: كان علي بن الحسين إذا توضأ يصفر فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟!

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعل الناس يقولون له: يا ابن رسول الله النار، يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها ؟ فقال: ألهتني عنها النار الأخرى.

انظر في ترجمته: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٦٦/٢، الشيخ عبد المجيد بن محمد بن محمد الخاني الشافعي النقشبندي: الكواكب الدرية على الحدائق الوردية: ١١٧، الشيخ يس السنهوتي النقشبندي: الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية: ٣٢.

وَثَانِيهِمَا - عَدَمُ مُنَاسَبَةٍ مُطْلَقًا. وَهَذَا أَلاَ يَقْبَلَ الزَّوَالَ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوه.
وَالطَّرِيقُ المُوصِلُ لِذَلِكَ المَقَامِ اِثْنَانِ لاَ ثَالِثَ لَهُمَا، أَعْنِي أَنَّهُ لاَ يَظْهَرُ فِي اَلنَّظَرِ طَرِيقٌ غَيْرُ هَذَيْنِ اَلطَّرِيقَيْنِ:

أَحَدُهُمَا - رُؤْيَةُ اَلنَّقْصِ وَالقُصُورِ وَاتِّهَامُ اَلنَّيَّاتِ فِي الخَيْرَاتِ مَعَ قُوَّةِ الجَذْبِ.

وَثَانِيهِمَا - صُحْبَةُ مُكَمِّلٍ مَجْذُوبٍ قَدْ أَتَمَّ اَلسُّلُوكَ.

وَقَدْ رَزَقَنِي اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلطَّرِيقَ الأَوَّلَ عَلَى قَدْرِ اَلاسْتِعْدَادِ بِيُمْنِ عِنَايَتِكُمْ العَلِيَّةِ، فَإِنَّهُ لاَ يَصْدُرُ عَنِّي مِنْ أَعْمَالِ الخَيْرِ إِلاَّ أَتَّهِمُ فِيهِ نَفْسِي بَلْ لاَ أَسْتَرِيحُ وَلاَ يَسْتَقِرُّ قَلْبِي إِلَى أَنْ أَتَّهِمَ فِيهِ نَفْسِي، وَأُرَانِي كَأَنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ عَنِّي عَمَلٌ قَابِلٌ لِكِتَابَةِ مَلَكِ اليَمِينِ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ صَحِيفَةَ يَمِينِي خَالِيَةٌ عَنْ أَعْمَالِ الخَيْرِ كَتَبَتْهَا مُعَطِّلُونَ مِنَ الكِتَابَةِ فَكَيْفَ أَكُونُ مُسْتَحِقًّا لِقَبُولِ الحَقِّ - جَلَّ وَعَلاَ -. وَاعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي العَالَمِ مِنْ كَفَّارِ الإِفْرِنْجِ وَالزَّنَادِقَةِ وَالمَلاَحِدَةِ أَفْضَلُ مِنِّي بِوُجُوهٍ، وَشَرُّ الجَمِيعِ أَنَا.

وَجِهَةُ الجَذْبَةِ وَإِنْ تَمَّتْ بِتَمَامِ اَلسَّيْرِ إِلَى اَللهِ وَلَكِنْ كَانَ بَعْضُ لَوَازِمِهِ وَتَوَابِعِهِ بَاقِيًا وَتَمَّ الآنَ ذَلِكَ البَاقِي أَيْضًا فِي ضِمْنِ الفَنَاءِ اَلذِي وَقَعَ فِي مَرْكَزِ مَقَامِ اَلسَّيْرِ فِي اَللهِ وَكُنْتُ كَتَبْتُ أَحْوَالَ ذَلِكَ الفَنَاءِ فِي العَرِيضَةِ اَلسَّابِقَةِ بِالتَّمَامِ، وَلَعَلَّ المُرَادَ بِالفَنَاءِ الوَاقِعِ فِي كَلاَمِ الخواجهْ عُبَيْدِ اَللهِ أَحْرَارَ[1] - قُدِّسَ سِرُّهُ - حَيْثُ قَالَ:" قَالَ الأَكَابِرُ: نِهَايَةُ هَذَا الأَمْرِ الفَنَاءُ " هُوَ ذَلِكَ الفَنَاءُ اَلذِي يَتَحَقَّقُ بَعْدَ اَلتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ.

وَالتَّحَقُّقُ بِالسَّيْرِ فِي اَللهِ وَفَنَاءِ الإِرَادَةِ مِنْ جُمْلَةِ شُعَبِ ذَلِكَ الفَنَاءِ.

شِعْرٌ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيلُ

وَالَّذِينَ لاَ مُنَاسَبَةَ لَهُمْ بِهَذَا المَقَامِ فَهُمْ فِي اَلنَّظَرِ طَائِفَتَانِ طَائِفَةٌ مُتَوَجِّهُونَ إِلَيْهِ وَطَالِبُونَ لِطَرِيقِ الوُصُولِ إِلَيْهِ. وَطَائِفَةٌ أُخْرَى لاَ التِفَاتَ لَهُمْ إِلَيْهِ وَلاَ تَوَجُّهَ فِيهِمْ نَحْوَهُ. وَتَوَجُّهُ الحَضْرَةِ - يَعْنِي شَيْخَهُ - أَشَدُّ ظُهُورًا مِنَ اَلطَّرِيقِ اَلثَّانِي مِنْ طَرِيقَيِ الوُصُولِ إِلَيْهِ وَتَظْهَرُ مُنَاسَبَتُهُ لِهَذَا اَلطَّرِيقِ، وَحَيْثُ كُنْتُ مَأْمُورًا مِنْ جَانِبِ

(١) ــ **الشيخ العارف بالله خواجه ناصر الدين عبيد الله بن محمود بن شهاب الدين أحمد الشاشي السمرقندي النقشبندي:** الزاهد الملقب بالأحرار المتوفى في سلخ ربيع الأول من سنة ٨٩٥ هـ، في قرية كمان كشان ودفن بسمرقند، من مصنفاته: أنيس السالكين في التصوف، العروة الوثقى لأرباب الارتقا.

حَضْرَتِكُمْ نَتَجَاسَرُ بِأَمْثَال هَذِهِ الأُمُورِ امْتِثَالاً للأَمْرِ وَإِلاَّ فَأَنَا ذَاكَ أَحْمَدُ الأَمْسِ لَمْ أَتَغَيَّرْ أَصْلاً.

وَالمَعْرُوضُ ثَانيًا - أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ فِي أَثْنَاءِ مُلاَحَظَة ذَلكَ المَقَامِ مَرَّةً ثَانيَةً مَقَامَاتٌ أُخَرُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَلَمَّا وَصَلتُ إِلى المَقَامِ الَذي فَوْقَ المَقَامِ السَّابِقِ بَعْدَ التَّوَجُّه بالانْكسَارِ وَإِظْهَارِ الافْتقَارِ تَبَيَّنَ لي أَنَّهُ مَقَامُ حَضْرَة ذي النُّورَيْنِ[1] ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـــ. وَللخُلَفَاءِ البَاقينَ عُبُورٌ منْ ذَلكَ المَقَامِ. وَهَذَا المَقَامُ مَقَامُ التَّكْميل وَالإِرْشَاد أَيْضًا في هَذه المَرْتَبَة، وَكَذَلكَ المَقَامَان اللذَان يُذْكَرَان بَعْدُ. ثُمَّ وَقَعَ النَّظَرُ عَلى مَقَامٍ فَوْقَهُ وَلَمَّا وَصَلتُ إِلَيْه تَبَيَّنَ لي أَنَّهُ مَقَامُ حَضْرَة الفَارُوق[2] ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـــ وَللخُلَفَاءِ البَاقينَ عُبُورٌ منْ ذَلكَ المَقَامِ. ثُمَّ ظَهَرَ فَوْقَهُ مَقَامُ الصِّدِّيق الأَكْبَر[3] ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـــ وَوَصَلتُ إِلَيْه أَيْضًا وَوَجَدْتُ الخواجهْ بَهَاءَ الدِّينِ النَّقْشَبَنْديَّ[4] - قُدِّسَ سرُّهُ - رَفيقًا لي منْ بَيْنِ المَشَايخِ في جَميعِ المَقَامَات. وَلسَائرِ الخُلَفَاءِ عُبُورٌ منْ هَذَا المَقَامِ. لاَ تَفَاوُتَ إِلاَّ في العُبُورِ وَالمَقَامِ وَالمُرُورِ وَالثَّبَاتِ. وَلاَ يُرَى فَوْقَهُ مَقَامٌ أَصْلاً إِلاَّ مَقَامَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلينَ عَلَيْهِ منَ الصَّلَوَات أَكْمَلهَا وَمنَ التَّحيَّات أَتَمُّهَا وَظَهَرَ في مُحَاذَاة مَقَامِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـــ مَقَامٌ آخَرُ نُورَانيٌّ عَال جدًّا لَمْ أَرَ مثْلهُ قَطُّ، وَكَانَ لهُ ارْتفَاعٌ يَسيرٌ منْ ذَلكَ المَقَامِ كَمَا إِذَا رَفَعُوا اللوْحَ

---

(١) ـــ **عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، ذو النورين:** ثالث الخلفاء الراشدين ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، ولي الخلافة بعد عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ، استشهد سنة ٣٥ هـ، انظر صفة الصفوة (١/١٢٣).

(٢) ـــ **عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو حفص:** أول من لقب بأمير المؤمنين، كان إسلامه عزا ظهر به الإسلام هاجر مع الأولين، وشهد المشاهد، ولي الخلافة بعد أبي بكر، فمصر الأمصار ودون الدواوين، توفي ـــ رضي الله عنه ـــ مقتولا سنة ٢٣ هـ، انظر: صفة الصفوة: ١/١١٣ـــ١٢٣.

(٣) ـــ **أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة، أبو بكر الصديق** ﷺ: أول من أسلم من الرجال، والصاحب في الهجرة، شهد بدرا والمشاهد، له من المناقب والفضائل الكثير، والصحابة مجمعون على أنه أفضل هذه الأمة بعد النبي، استخلف على المسلمين في سقيفة بني ساعدة ومكث في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال، قضى على الردة، توفي سنة ١٣ هـ، نظر: الاستيعاب (٢/٢٣٤ـــ٢٤٨)، وفيات الأعيان (٣/٦٤)، صفة الصفوة (١/١٠٠ـــ١١٣).

(٤) ـــ **بهاء الدين النقشبندي:** محمد بن خواجه أحمد الظهوري الفاروقي العارف بالله الشيخ بهاء الدين النقشبندي الصوفي ولد سنة ٧٢٨ هـ وتوفي سنة ٧٩١ هـ، من تصانيفه: الأوراد البهائية، سلك الأنوار في التصوف، هدية السالكين وتحفة الطالبين في التصوف. انظر ترجمته في: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ٦/١٧٣، كحالة: معجم المؤلفين: ٣/٧١.

مِنَ الأَرْضِ وَتَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ مَقَامُ المَحْبُوبِيَّة وَكَانَ ذَلِكَ المَقَامُ مُزَيَّنًا وَمُنَقَّشًا فَوَجَدْتُ نَفْسِي أَيْضًا مُزَيَّنًا وَمُنَقَّشًا مِنَ انْعِكَاسِه ثُمَّ وَجَدْتُ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ لطيفًا فِي تلكَ الكَيْفِيَّة ورَأَيْتُنِي مُنْتَشِرًا فِي الآفَاقِ مِثْلَ الهَوَاءِ وَقِطْعَةِ السَّحَابِ حَتَّى اسْتَوْعَبْتُ بَعْضَ الأَطْرَافِ، وَحَضْرَةَ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ فِي مَقَامِ الصِّدِّيقِ وَأَجِدُنِي فِي المَقَامِ المُحَاذِي لَهُ بِكَيْفِيَّة مَعْرُوضَة.

وَالمَعْرُوضُ ثَالِثًا - أَنَّهُ لاَ يُرَى تَرْكُ الاشْتِغَال بِهَذَا العَمَل مُرْضِيًا كَيْفَ وَالعَالَمُ عَلَى شَرَفِ الغَرَقِ فِي لُجَّةِ الضَّلاَلَة وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِه قُوَّةَ الإِخْرَاجِ مِنْ تلكَ اللجَّة كَيْفَ يَسُوغُ لَهُ أَنْ يُسَامِحَ نَفْسَهُ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَمْرٌ آخَرُ أَمَامَهُ، وَلَكِنَّ الاشْتِغَال بِهَذَا العَمَل ضَرُورِيٌّ وَمَرْضِيٌّ بِشَرْطِ التِزَامِ الاسْتِغْفَارِ مِنْ بَعْضِ الوَسَاوِسِ وَالهَوَاجِسِ الذي يَحْصُل فِي أَثْنَاءِ هَذَا العَمَل وَبِهَذَا الشَّرْطِ يَكُونُ دَاخِلاً تَحْتَ الرِّضَا وَأَمَّا بِدُونِ مُلاَحَظَة هَذَا الشَّرْطِ فَلاَ، بَل يَبْقَى أَدْوَنَ. وَأَمَّا الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيُّ وَالخواجهْ عَلاَءُ الدِّينِ العَطَّارُ[1] - قُدِّسَ سِرُّهُمَا - فَهَذَا العَمَل مَرْضِيٌّ مِنْهُمَا مِنْ غَيْرِ مُلاَحَظَة هَذَا الشَّرْطِ.

وَأَمَّا عَمَل هَذَا الفَقِيرِ فَأَحْيَانًا دَاخِل فِي الرِّضَا مِنْ غَيْرِ مُلاَحَظَة هَذَا الشَّرْطِ وَأَحْيَانًا يَبْقَى أَدْوَنَ.

ورابعًا - أَنَّهُ ذَكَرَ فِي النَّفَحَات أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا سَعِيد أَبَا الخَيْرِ قَال:" إِذَا لَمْ يَبْقَ العَيْنُ فَأَيْنَ يَبْقَى الأَثَرُ لاَ تَبْقَى وَلاَ تَذَرُ " وَقَدْ أَشْكَل عَلَيَّ هَذَا الكَلاَمُ فِي أَوَّل النَّظَرِ فَإِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّينِ[2] وَأَتْبَاعَهُ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ زَوَال العَيْنِ الذي هُوَ مَعْلُومٌ

---

(١) ــ **الشيخ محمد بن محمد علاء الدين البخاري الخوارزمي العطار**: ولد ونشأ في حجر والده ن ولما توفي والده ترك ثلاثة أنجال فخرج من ميراثه لأخويه واختار التجرد لتحصيل العلوم في مدارس بخارى حتى نبغ في عديد من الفنون، وأخذ الطريق على يد الشاه نقشبند، فهو الذي تولى تربيته وزوجه ابنته وفي ذلك قصة طريفة - ينظر: الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للشيخ يس السنهوتي ص١٤٥، ١٤٦.

(٢) **محيي الدين ابن عربي**: الشيخ الأكبر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المرسي المعروف بابن عربي ،حكيم ،صوفي ،متكلم ،فقيه ،مفسر ،أديب ،شاعر ،مشارك في علوم أخرى ،ولد في مرسية بالأندلس في رمضان ،وانتقل إلى إشبيلية ،وسمع من ابن بشكوال ،ورحل إلى مصر والحجاز وبغداد والموصل وبلاد الروم ،أنكر عليه أهل مصر آراءه ؛فعمل بعضهم على إراقة دمه ،وحبس فسعى في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجا واستقر بدمشق وتوفي بها في ٢٢ ربيع الآخر سنة [٦٣٨هـ ــ ١٢٤٠م] ،ودفن بسفح قاسيون.

مِنْ مَعْلومَاتِ اَللهِ تَعَالى مُحَال، وَإلاَّ لاَنْقَلبَ العِلمُ جَهْلاً. فَإِذَا لَمْ يَزَل العَيْنُ أَيْنَ يَذْهَبُ الأَثَرُ ؟!

وَقَدْ كَانَ هَذَا الكَلاَمُ مُتَمكِّنًا فِي اَلذِّهْنِ بِهَذَا الوَجْه فَلمْ يَنْحَل كَلاَمُ اَلشَّيْخِ أَبِي سَعِيد قَطُّ. ثُمَّ كَشَفَ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ وَجْهِ سِرِّ هَذَا الكَلاَمِ بَعْدَ اَلتَّوَجُّهِ اَلتَّامِّ وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لاَ يَبْقَى العَيْنُ وَلاَ الأَثَرُ.

وَوَجَدْتُ هذَا المَعْنَى فِي نَفْسِي أَيْضًا فَلمْ يَبْقَ اَلإِشْكَال أَصْلاً. وَقَدْ وَقَعَ اَلنَّظَرُ عَلى مَقَامِ هَذه المَعْرِفَة أَيْضًا رَأَيْتُهُ عَالِيًا جِدًّا فَوْقَ المَقَامِ اَلذي بَيَّنَهُ اَلشَّيْخُ وَأَتْبَاعُهُ وَلاَ تَنَافِيَ بَيْنَ هَذَيْنِ المَبْحَثَيْنِ ؛ فَإِنَّ أَحَدَهُمَا مِنْ مَقَامٍ وَالآخَرَ مِنْ مَقَامٍ آخَرَ.

وَتَفْصيلهُ فِي العَرِيضَة مُوجبٌ للتَّطْوِيل وَالمَلاَل.

وَقَدْ ظَهَرَ أَيْضًا مَا قَالهُ اَلشَّيْخُ يَعْنِي أَبَا سَعِيد أَبَا الخَيْرِ مِنْ دَوَامِ هَذَا الحَدِيث[1] وَأَنَّ الحَديثَ عِبَارَةٌ عَنْ مَاذَا وَدَوَامَهُ مَاذَا، وَوَجَدْتُ هذَا الحَدِيثَ فِي نَفْسِي دَائمًا وَلوْ كَانَ مِنَ اَلنَّوَادِرِ.

وَأَيْضًا لاَ يَميل قَلبِي إِلى مُطَالعَة الكُتُب وَلاَ يَطيبُ به إلاَّ مَا كَانَ فيه ذِكْرُ مَنَاقِب المَشَايِخِ الكِبَارِ العَالِيَة وَأَحْوَالِهِمُ اَلسَّامِيَّةِ الوَاقِعَةِ فِي المَقَامَاتِ فَيَسْتَحْسِنُ لِي مُطَالعَةُ أَمْثَال ذَلكَ.

وَأَحْوَال المَشَايِخِ المُتَقَدِّمِينَ أَكْثَرُ رَغْبَةً فيهَا. وَلاَ أَقْدِرُ عَلى مُطَالعَة كُتُبَ الحَقَائِقِ وَالمَعَارِف خُصُوصًا كَلمَات تَوْحيد الوُجُود وتَنَزُّلاَت المَرَاتب، وأُرَانِي فِي هَذَا البَاب كَثِيرَ المُنَاسَبَة للشَّيْخِ عَلاَءِ اَلدَّوْلَة[2] وَمُتَّفِقًا مَعَهُ فِي اَلذَّوْقِ وَالحَال فِي

---

(١) ـــ وهذه القصة مذكورة في النفحات قال فيه أن الشيخ أبا سعيد أبا الخير قال لأستاذه أبي على الدقاق أن هذا الحديث يكون دائما قال الأستاذ لا فأطرق الشيخ مليا ثم رفع رأسه وقال أن هذا الحديث كان دائما فقال الأستاذ لا فأطرق الشيخ ثانيا ثم رفع رأسه وقال أيها الأستاذ إن هذا الحديث يدوم قال الأستاذان كان دائما يكون نادرا فصفق الشيخ وقال هذا من تلك النوادر أهو المراد من هذا الحديث عند الإمام الرباني قدس سره وعلى ما بينه في محل آخر التجلي الذاتى البرقى وهو دائمى عنده وإن كان برقيا بالنسبة إلى غيره كما سيبينه في بعض مكاتيبه اهـــ.

(٢) ـــ الشيخ علاء الدولة السمناني، تقدمت ترجمته.

هَذه المَسْأَلة وَلكنَّ العلمَ اَلسَّابقَ لاَ يَتْرُكُني[1] لإِنْكَارِهَا وَالتَّشْدِيدِ عَلى أَرْبَابِهَا يَعْني كَمَا صَدَرَ مِنَ اَلشَّيْخِ عَلاَءِ اَلدَّوْلة.

وَأَيْضًا قَدْ وَقَعَ اَلتَّوَجُّهُ لدَفْعِ بَعْضِ الأَمْرَاضِ مَرَّات وَظَهَرَ أَثَرُهُ، وَكَذَلكَ ظَهَرَتْ أَحْوَال بَعْضِ المَوْتَى اَلتي هيَ منْ عَالمِ البَرْزَخِ، وَوَقَعَ اَلتَّوَجُّهُ أَيْضًا لدَفْعِ الآلاَمِ وَالشَّدَائد عَنْهُمْ. وَلكنْ لَمْ تَبْقَ الآنَ قُدْرَةُ اَلتَّوَجُّه ؛ فَإِنِّي لاَ أَقْدرُ أَنْ أَجْمَعَ نَفْسي بشَيْءٍ منَ الأَشْيَاءِ بسَبَبِ أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ بَعْضُ المُصَادَرَات وَالظُّلمِ وَالجَوْرِ في حَقِّ الفَقيرِ منْ بَعْضِ اَلنَّاسِ، وَحَمَلوا عَلى اَلشَّدَائد وَظَلَمُوا جَمْعًا كَثيرًا منْ مُتَعَلقِي هَذَا الجَانبِ وَجَلَوْهُمْ عَنِ الوَطَنِ بغَيْرِ حَقٍّ.

وَمَعَ ذَلكَ لَمْ يَقَعْ الغُبَارُ عَلى الخَاطرِ وَلَمْ يَتَطَرَّقْ الكُلفَةُ وَالتَّضَجُّرُ إلى القَلبِ أَصْلاً فَضْلاً عَنْ صُدُورِ قَصْدِ الإِسَاءَةِ إلَيْهمْ. وَاكْتَسَبَ بَعْضُ الأَصْحَاب شُهُودًا وَمَعْرِفَةً في مَقَامِ الجَذْبَة وَلَمْ يَضَعُوا إلى الآنَ قَدَمًا في مَنَازِل اَلسُّلوك. وَأَنَا أَذْكُرُ نُبْذَةً منْ أَحْوَالهمْ وَأَعْرِضُهَا عَلى حَضْرَتكُمْ عَسَى اَللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُشَرِّفَهُمْ بدَوْلة اَلسُّلوك بَعْدَ تَمَامِ جهَة الجَذْبَة فَأَقُول:

إنَّ اَلشَّيْخَ نُورًا مَرْبُوطٌ وَمَحْبُوسٌ في ذَلكَ المَقَامِ وَلَمْ يَصل بَعْدُ إلى نُقْطَة فَوْقَانيَّة منْ مَقَامِ الجَذْبَة فَإِنَّهُ يُؤْذي في الحَرَكَات وَالسَّكَنَات وَلاَ يُمَيِّزُ اَلطَّيِّبَات منَ القَبَائحِ ؛ فَوَقَعَ أَمْرُهُ في اَلتَّوَقُّف بلاَ اخْتيَار، وَكَذَلكَ وَقَعَ اَلتَّوَقُّفُ في أُمُورِ أَكْثَرِ الأَصْحَاب بوَاسطَة عَدَمِ رعَايَة الآدَاب. وَأَنَا حَيْرَانُ في هَذَا البَاب ؛ فَإِنَّهُ لاَ إرَادَةَ للتَّوَقُّف منْ هَذَا اَلطَّرَف بَل الإِرَادَةُ لتَرَقِّيهمْ، وَيَقَعُ المُكْثُ في أُمُورِهمْ بلاَ اخْتيَار وَإلاَّ فَالطَّريقُ أَقْرَبُ. وَنَزَل مَوْلاَنَا المَعْهُودُ إلى اَلنُّقْطَة الأَخيرَة وَأَتَمَّ أَمْرَ الجَذْبَة وَوَصَلَ إلى بَرْزَخيَّة ذَلكَ المَقَامِ وَأَوْصَلَ الفَرْقَ منْ وُجْهَة إلى اَلنِّهَايَة قَدْ رَأَى اَلصِّفَات أَوَّلاً بَل اَلنُّورَ القَائمَةَ به اَلصِّفَاتُ مُفَارقًا عَنْ نَفْسه، وَوَجَدَ نَفْسَهُ شَبَحًا خَاليًا، ثُمَّ رَأَى اَلصِّفَات مُنْفَكَّةً عَنِ اَلذَّات وَوَصَلَ بهَذه الرُّؤْيَة منْ مَقَامِ الجَذْبَة إلى الأُحَديَّة وَالآنَ قَدْ ذُهلَ عَنِ العَالمِ وَعَنْ نَفْسه ؛ بحَيْثُ لاَ يَقُول بالإِحَاطَة وَلاَ بالمَعيَّة وَتَوَجُّهُهُ إلى أَبْطَنِ البُطُونِ بحَيْثُ لاَ حَاصلَ لهُ غَيْرُ الحَيْرَة وَالجَهَالة.

---

(١) ـــ يريد أنه مع كونه في مشرب الشيخ ركن الدولة علاء الدين السمنانى في تلك المعرفة لا ينكر أهل معارف وحدة الوجود لحصولها له قبل ذلك.

وَوَصَل اَلسَّيِّدُ شَاهْ حُسَيْنٌ أَيْضًا إِلى قُرْب اَلنُّقْطَة الأَخيرَة مِنْ مَقَام الجَذْبَة عَلى وَجْه وَصْل رَأْسه إِلى اَلنُّقْطَة وَكَذَلكَ وَجَدَ اَلصِّفَات مُنْفَكَّةً عَنِ اَلذَّات وَلكنْ يَجدُ اَلذَّاتَ الأَحَدَ فِي كُل مَحَل وَيَحْتَظُّ بالظَّاهر. وَكَذَلكَ مَيَّانُ جَعْفَر وَصَل إِلى قُرْب اَلنُّقْطَة الأَخيرَة وَكَثيرًا مَا يَظْهَرُ بالشَّوْق وَالوَله وَقَريبٌ مِنَ اَلشَّاه حُسَيْن. وَيَظْهَرُ اَلتَّفَاوُتُ أَيْضًا فِي بَقيَّة الأَصْحَاب. وَقَدْ وَصَل مَيَّانُ شيخن وَالشَّيْخُ عيسَى وَالشَّيْخُ كَمَال إِلى اَلنُّقْطَة الفَوْقَانيَّة مِنْ مَقَام الجَذْبَة وَالشَّيْخُ كَمَال أَيْضًا مُتَوَجِّهٌ إِلى اَلنُّزُول وَوَصَل اَلشَّيْخُ ناكورى تَحْتَ اَلنُّقْطَة الفَوْقَانيَّة وَلكنَّ أَمَامَهُ مَسَافَةً كَثيرَةً وَبَلغَ مِنَ الأَصْحَاب الكَائنينَ هُنَا ثَمَانيَةً أَوْ تسْعَةً بَل عَشَرَةَ أَشْخَاص تَحْتَ اَلنُّقْطَة الفَوْقَانيَّة وَبَلغَ بَعْضُهمْ اَلنُّقْطَةَ وَبَعْضُهمْ تَهَيَّأَ للنُّزُول وَبَعْضُهمْ قَريبٌ منْهَا وَبَعْضُهمْ بَعيدٌ عَنْهَا. وَيَجدُ اَلشَّيْخُ مَيَّانُ مُزَمِّل نَفْسه مَعْدُومًا وَيَرَى اَلصِّفَات مِنَ الأَصْل وَيَجدُ اَلْمُطْلقَ فِي كُل مَحَل وَيَرَى الأَشْيَاءَ كَالسَّرَاب عَديمَ الاعْتبَار بَل لاَ يَرَى شَيْئًا. وَيَظْهَرُ مَوْلاَنَا المَعْهُودُ فِي هَذَا البَاب عَلى وَجْه يَكُونُ إِجَازَتُهُ لتَعْليم اَلطَّالبينَ مِنَ المَرْضيَّات لكنْ إِجَازَةٌ مُنَاسبَةٌ للجَذْبَة، وَإِنْ بَقيَ بَعْضُ الأُمُور اَللاَّزمَة الاسْتفَادَة وَلكنَّهُ اسْتَعْجَل فِي اَلذَّهَاب وَلَمْ يَتَوَقَّفْ. فَإِذَا وَصَل إِلى الحُضُور الأَقْدَس تَأْمُرُونَهُ بمَا فيه صَلاَحُ أَمْره. وَمَا هُوَ فِي علم الفَقير فَقَدْ عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ وَالحُكْمُ عنْدَكُمْ.

وَكَانَ الخواجهْ ضيَاءُ الدِّين مُحَمَّدٌ هُنَا أَيَّامًا وَاكْتَسَبَ الحُضُورَ وَالجَمْعيَّةَ فِي الجُمْلة ثُمَّ لَمْ يَقْدرْ آخرَ الأَمْر أَنْ يَجْمَعَ خَاطرَهُ مِنْ قلة أَسْبَاب المَعيشَة فَتَوَجَّهَ نَحْوَ العَسْكَر، وَوَلَدُ مَوْلاَنَا شير مُحَمَّد مُتَوَجِّهٌ نَحْوَكُمْ للمُلاَزَمَة وَلَهُ حُضُورٌ وَجَمْعيَّةٌ فِي الجُمْلة وَلَمْ يَتَرَقَّ كَمَا يَنْبَغي بوَاسطَة بَعْض المَوَانع. وَزيَادَةُ الانْبسَاط بَعيدَةٌ عَنِ الأَدَب، (ع):

عَلى المَرْء أَنْ لاَ يَجْهَل اَلدَّهْرُ طَوْرَهُ

ثُمَّ عَرَضْتُ بَعْدَ تَحْرير العَريضَة كَيْفيَّةَ وَحَالةً لاَ يُمْكنُ بَيَانُهَا بالتَّحْرير، وَتَحَقَّقَ فِي هَذَا المَحَل فَنَاءُ الإِرَادَة كَمَا أَنَّ تَعَلقَ الإِرَادَة بالمُرَادَات انْعَدَمَ سَابقًا وَبَقيَ أَصْل الإِرَادَة كَمَا عَرَضْتُهُ فِي العَريضَة. وَالآنَ انْقَطَعَ عرْقُ الإِرَادَة بالكُلِّيَّة فَحينَئذ لاَ مُرَادَ وَلاَ إِرَادَةَ، وَظَهَرَتْ صُورَةُ هَذَا الفَنَاء أَيْضًا فِي النَّظَر، وَفَاضَ بَعْضُ العُلُومِ المُنَاسبَة لهَذَا المَقَام، وَلَمَّا كَانَ فِي تَحْريرهَا وَحينَ التَّحَقُّق بهَذَا الفَنَاء وَفَيْضَات العُلُومِ، وَفَتْح نَظَرٍ خَاصٍّ عَلى مَا وَرَاءَ الوَحْدَة، وَإِنْ كَانَ عَدَمُ النَّظَر إِلى مَا وَرَاءَ

الوَحْدَة أَمْرًا مُقَرَّرًا، بَل لاَ نسْبَةَ فيه أَصْلاً لكنْ كُلمَا أَجدُهُ أَعْرِضُهُ وَلاَ أَتَجَاسَرُ بِكِتَابَتِه إلى أَنْ يَبْلغَ مَرْتَبَةَ اليَقِين وَأَرَى صُورَةَ ذَلكَ المَقَام فِي مَا وَرَاءَ الوَحْدَة كآ رة وراء دهلى. وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْه شُبْهَةٌ قَطُّ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي اَلنَّظَر وَحْدَةٌ وَلاَ مَا وَرَاءَهَا وَلاَ مَقَامٌ آخَرُ أَعْرِفُهُ بِعُنْوَان الحَقِّيَّة أَوْ أَعْرِفُ أَنَّ الحَقَّ وَرَاءَهُ وَالحَيْرَةَ وَالجَهَالَةَ عَلى صرَافَتِهمَا وَلَمْ تَتَفَاوَتَا بِسَبَب هَذه اَلرُّؤْيَة فَلاَ أَدْرِي مَاذَا أَعْرِضُ فَإِنَّ الكُل تَنَاقُضٌ فِي تَنَاقُضٍ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُورَدَ فِي قَيْد القَال وَإِنْ كَانَ الحَال مُتَحَقِّقًا بلاَ شُبْهَة.

أَسْتَغْفِرُ اَللّٰه وَأَتُوبُ إِلى اَللّٰه مَعَ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اَللّٰهُ قَوْلاً وَفِعْلاً خَاطِرًا وَنَاظِرًا.

وَأَيْضًا تَبَيَّنَ فِي هَذَا الوَقْت أَنَّ مَا ظَنَنْتُهُ سَابِقًا مِنْ فَنَاء اَلصِّفَات كَانَ فِي الحَقِيقَة فَنَاءَ خُصُوصِيَّات اَلصِّفَات وَمَا به امْتِيَازُهَا لَمَّا انْدَرَجَتْ اَلصِّفَاتُ فِي ضِمْنِ الوَحْدَة ارْتَفَعَتْ الخُصُوصِيَّاتُ وَتَوَهَّمَ مِنْ ذَلكَ فَنَاءَهَا. وَالآنَ قَدْ اضْمَحَل أَصْل اَلصِّفَات وَانْمَحَى وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَوْ عَلى سَبِيل الاَنْدِمَاج وَالاِنْدِرَاج وَلَمْ يَتْرُكْ قَهْرُ الأُحَدِيَّة شَيْئًا قَطُّ، وَلَمْ يَبْقَ اَلتَّمْيِيزُ اَلذي حَصَل مِنْ مَرْتَبَة العلمِ الإِجْماليِّ أَوْ التَّفصيليِّ، وَصَارَ اَلنَّظَرُ إِلى الخَارِج بِالتَّمَام كَانَ اَللّٰه وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ وَهُوَ الآنَ كَمَا كَانَ مُطَابِقٌ للحَال فِي هَذَا الوَقْت، وَكَانَ سَابِقًا العلمَ بِمَضْمُون هَذَا الحَدِيث دُونَ الحَال وَالمَرْجُوُّ حُصُول اَلتَّنْبِيه عَلى اَلصِّحَّة وَالسَّقَم.

وَقَدْ يُرَى لَمْوْلاَنَا القَاسِم عَلى نَصِيب مِنْ مَقَام اَلتَّكْمِيل، وَكَذَلكَ يُرَى مِنْ هَذَا المَقَام نَصِيبٌ لبَعْضِ الأَصْحَاب وَاَللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَة الحَال.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّانِي عَشَرَ
فِي بَيَانِ حُصُولِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ
وَظُهُورِ الوَجْهِ الخَاصِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ
وَحَقِيقَةِ اَلسَّيْرِ فِي اَللهِ وَالتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ البَرْقِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَلِّ العَبِيدِ أَحْمَدَ: يُنْهَى إِلَى ذُرْوَةِ العَرْضِ أَنَّهُ مَا يُدْرَى مَاذَا يَعْرِضُ مِنْ تقصيراتِهِ مَا شَاءَ اَللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاَللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

اَلعُلُومُ اَلتِي تَتَعَلَّقُ بِمَقَامِ الفَنَاءِ فِي اَللهِ وَالبَقَاءِ بِاَللهِ كَشَفَ عَنْهَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ بِعِنَايَتِهِ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَا الوَجْهُ الخَاصُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَا مَعْنَى اَلسَّيْرِ فِي اَللهِ وَمَا اَلتَّجَلِّي الذَّاتِيُّ البَرْقِيُّ وَمَنْ مُحَمَّدِيُّ المَشْرَبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ يَقَعُ اَلاطِّلاَعُ فِي كُلِّ مَقَامٍ عَلَى لَوَازِمِ ذَلِكَ المَقَامِ وَضَرُورِيَّاتِهِ ثُمَّ يَقَعُ العُبُورُ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ أَوْلِيَاءُ اَللهِ تَعَالَى غَيْرَ نُبْذَةٍ يَسِيرَةٍ إِلاَّ وَقَدْ أُرِيتُهُ وَأَعْلَمْتُهُ قَبْلَ مِنْ قَبْلُ بِلاَ علة، وَكَذَلِكَ أَرَى ذَوَاتَ الأَشْيَاءِ مَجْعُولَةً وَأَرَى أَصْلَ القَابِلِيَّاتِ وَالاسْتِعْدَادَاتِ مَجْعُولَةً وَمَصْنُوعَةً وَاَللهُ سبحانَهُ لَيْسَ بِمَحْكُومِ القَابِلِيَّاتِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ وَلْنَتْرُكْ زِيَادَةَ اَلانْبِسَاطِ، (ع):

عَلَى المَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَلَ الدَّهْرُ طَوْرَهُ

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثَ عَشَرَ
فِي بَيَانِ عَدَمِ نِهَايَةِ اَلطَّرِيقِ وَمُطَابَقَةِ عُلُومِ اَلْحَقِيقَةِ بِعُلُومِ اَلشَّرِيعَةِ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ اَلْمُعَظَّمِ

اَلْمَعْرُوضُ مِنْ أَقَلِّ اَلْعَبِيدِ أَحْمَدَ: آهْ أَلْفَ آهْ مِنْ عَدَمِ نِهَايَةِ هَذَا اَلطَّرِيقِ مَعَ هَذِهِ اَلسُّرْعَةِ فِي اَلسَّيْرِ وَكَثْرَةِ اَلإِرَادَاتِ وَالعِنَايَاتِ وَمِنْ هَهُنَا قَالَ اَلْمَشَايِخُ: " إِنَّ اَلسَّيْرَ إِلَى اَللهِ مَسَافَةُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " وَكَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {تَعْرُجُ اَلْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}[1] إِيمَاءٌ إِلَى هَذَا اَلْمَعْنَى وَلَمَّا انْجَرَّ اَلأَمْرُ إِلَى اَلْيَأْسِ وَانْقَطَعَ اَلرَّجَاءُ لَزِمَ اَلاسْتِمْسَاكُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَهُوَ اَلَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ}[2] وَكَانَ قَدْ وَقَعَ اَلسَّيْرُ فِي اَلأَشْيَاءِ مُنْذُ أَيَّامٍ وَلَمَّا غَالَى اَلْمُسْتَرْشِدُونَ وَأَلَحُّوا ثَانِيًا شَرَعْتُ فِي أُمُورِهِمْ فِي اَلْجُمْلَةِ وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ نَفْسِي قَابِلاً لِذَلِكَ اَلْمَقَامِ. وَلَكِنْ أُعْلِمُهُمْ شَيْئًا عَلَى مُقْتَضَى اَلْمُرُوءَةِ وَالحَيَاءِ لإِكْثَارِهِمْ فِي الإِلْحَاحِ وَالإِبْرَامِ، وَقَدْ كُنْتُ فِي مَسْأَلَةِ تَوْحِيدِ الوُجُودِ مُتَوَقِّفًا سَابِقًا كَمَا حَرَّرْتُهُ مُكَرَّرًا وَكُنْتُ أَنْسُبُ الأَفْعَالَ وَالصِّفَاتِ إِلَى الأَصْلِ وَلَمَّا صَارَ حَقِيقَةُ الأَمْرِ مَعْلُومًا تَرَكْتُ اَلتَّوَقُّفَ وَوَجَدْتُ القَوْلَ بِأَنَّ اَلْكُلَّ مِنْهُ أَحْسَنَ وَرَأَيْتُ اَلْكَمَالَ فِيهِ أَزْيَدَ مِنْهُ فِي القَوْلِ بِأَنَّ اَلْكُلَّ هُوَ، وَعَلِمْتُ الأَفْعَالَ وَالصِّفَاتِ بِلَوْنٍ آخَرَ - يَعْنِي بِوَجْهٍ آخَرَ - وَأُرِيتُ اَلْكُلَّ وَاحِدًا أَوْ أَحَدًا أَوْ جُوِّزَ بِي إِلَى الفَوْقِ وَلَمْ يَبْقَ رَيْبٌ وَلاَ شُبْهَةٌ أَصْلاً، وَجَاءَتْ اَلْكَشْفِيَّاتُ كُلُّهَا مُطَابِقَةً لِلشَّرِيعَةِ لاَ مُخَالَفَةَ فِيهَا لِظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَمَا بَيَّنَهُ بَعْضُ اَلصُّوفِيَّةِ مِنَ اَلْكَشْفِيَّاتِ اَلْمُخَالِفَةِ لِظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ فَهُوَ إِمَّا مِنَ اَلسَّهْوِ أَوْ مِنَ اَلسُّكْرِ، وَإِلاَّ فَلاَ مُخَالَفَةَ بَيْنَ اَلْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ.

وَالْمُخَالَفَةُ إِنَّمَا تَعْرِضُ لِلنَّظَرِ فِي أَثْنَاءِ اَلطَّرِيقِ فَيَحْتَاجُ إِلَى اَلتَّوَجُّهِ وَالجَمْعِ، وَأَمَّا اَلْمُنْتَهَى اَلْحَقِيقِيُّ فَإِنَّهُ يَجِدُ اَلْبَاطِنَ مُوَافِقًا لِظَاهِرِ اَلشَّرْعِيَّةِ.

وَالفَرْقُ بَيْنَ مَعْرِفَةِ اَلْعُلَمَاءِ وَمَعْرِفَةِ اَلْمَشَايِخِ اَلْكِرَامِ هُوَ أَنَّ اَلْعُلَمَاءَ يَعْرِفُونَ بِالاسْتِدْلاَلِ وَالعِلْمِ وَالْمَشَايِخَ بِالكَشْفِ وَالذَّوْقِ وَأَيُّ دَلِيلٍ أَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ حَالِهِمْ مِنْ هَذِهِ اَلْمُطَابَقَةِ: {يَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي}[3] نَقْدُ الوَقْتِ وَلاَ أَدْرِي مَاذَا

---

(١) ــ الآية: ٤ من سورة المعارج.

(٢) ــ الآية: ٢٨ من سورة الشورى.

(٣) ــ الآية: ١٣ من سورة الشعراء.

أَعْرِضُ وَقَدْ كُنْتُ مُوَفَّقًا لتَسْوِيد بَعْضِ الأَحْوَال وَلاَ يُمْكِنُ تَحْرِيرُهُ فِي العَرَائِضِ وَلعَل فِي ذَلكَ حكْمَةً وَالمَسْئُول أَنْ لاَ تَحْرِمُوا هَذَا المَحْرُومَ المَهْجُورَ مِنَ اَلتَّوَجُّهِ اَلذِي هُوَ للغُرَبَاء مَبْذُول وَأَنْ لاَ تَتْرُكُوهُ فِي اَلطَّرِيق، شعْرٌ.

وَأَنْتَ لهَذَا القَوْل قَدْ كُنْتَ مَبْدَأً فَإِنَّ فِيهِ إِطْنَابًا فَمِنْكَ مُسَبَّبُ

وَزِيَادَةُ اَلاِنْبِسَاطِ جَرَاءَةٌ، (ع):

عَلى المَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَل اَلدَّهْرَ طَوْرَهُ

المَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ
فِي بَيَانِ حُصُول الوَقَائِعِ الَتِي عَرَضَتْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ
وَبَيَان أَحْوَال بَعْضِ المُسْتَرْشِدِينَ
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَل العَبِيد أَحْمَدَ: إِنَّ التَّجَلِيَات الَتِي ظَهَرَتْ فِي مَرَاتِب الأَكْوَان وَقَدْ كُنْتُ عَرَضْتُ بَعْضَهَا فِي العَرِيضَة السَّابِقَة ظَهَرَتْ بَعْدَهَا مَرْتَبَةُ الوُجُوب الَتِي هِيَ جَامِعَةٌ للصِّفَات الكُلِّيَّة، وَتَمَثَّلتْ فِي صُورَة امْرَأَة دَمِيمَة مُسْوَدَّة اللوْن ثُمَّ تَجَلتْ بَعْدَ ذَلكَ مَرْتَبَةُ الأُحَدِيَّة فِي صُورَة رَجُل طَوِيل قَائِم عَلَى جدَار رَقِيق غَيْر مُرْتَفِع. وَظَهَرَ كُل وَاحد مِنْ هَذَيْنِ التَّجَلِيَيْنِ بِعُنْوَان الحَقَّانِيَّة بخلاَف التَّجَلِيَات السَّابِقَة فَإِنَّهَا مَا كَانَتْ بِهَذَا العُنْوَان. وَعَرَضَ لِي فِي ذَلكَ الأَثْنَاء تَمَنِّي المَوْت وَخُيِّل لِي كَأَنِّي قَائِمٌ عَلى سَاحل البَحْر المُحِيط لأَرْمِيَ فِيه نَفْسِي وَلَكِنِّي مَرْبُوطٌ بِالحَبْل عَلى وَرَائِي فَلاَ يُمْكِنُ الدُّخُول فِي البَحْر، وَصَارَ مَعْلومًا لِي أَنَّ ذَلكَ الحَبْل عِبَارَةٌ عَنِ التَّعَلق بالبَدَن، فَتَمَنَّيْتُ انْقطَاعَ ذَلكَ التَّعَلق. ثُمَّ عَرَضَتْ كَيْفِيَّةٌ خَاصَّةٌ فَوَجَدْتُ فِي ذَلكَ الوَقْت بِطَرِيق الذَّوْق أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي القَلب مُقْتَضًى غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ وَقَعَ النَّظَرُ عَلى الصِّفَات الكُلِّيَّة الوُجُوبِيَّة الَتِي اكْتَسَبَتْ الخُصُوصِيَّات باعْتِبَار المَحَال وَالمَظَاهِر، ثُمَّ سَقَطَتْ الخُصُوصِيَّاتُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلكَ بِالتَّمَام وَلَمْ تَبْقَ الصِّفَاتُ إِلاَّ بِعُنْوَان الكُلِّيَّة الوُجُودِيَّة، وَوَقَعَ النَّظَرُ أَيْضًا عَلى صُورَة تَجَرُّدِهَا عَنِ الخُصُوصِيَّات. وَحِينَئِذ صَارَ مَعْلومًا أَنَّ الصِّفَات قَدْ أُعْطِيَتْ الآنَ للأَصْل حَقِيقَةً وَقَبْل تَجَرُّدِهَا عَنِ الخُصُوصِيَّات لَمْ يَكُنْ مَعْنًى لإِعْطَائِهَا الأَصْل اللهُمَّ إِلاَّ إِنْ كَانَ عَلى طَرِيق التَّجَوُّز كَمَا هُوَ حَال أَرْبَاب التَّجَلي الصُّورِيِّ. وَتَحَقَّقَ الفَنَاءُ الحَقِيقِيُّ فِي هَذَا الوَقْت وَبَعْدَ التَّحَقُّق بِهَذِه الحَالة وَجَدْتُ الصِّفَات الَتِي فِي وَفِي غَيْرِي عَلى نَهْجٍ وَاحد وَارْتَفَعَ إِمْتِيَازُ المَحَال، وَتَيَسَّرَ فِي ذَلكَ الوَقْت التَّخَلصُ عَنْ بَعْض دَقَائِق أَنْوَاعِ الشِّرْك الخَفِيِّ فَلَمْ يَبْقَ حِينَئِذ العَرْشُ وَلاَ الفَرْشُ وَلاَ المَكَانُ وَلاَ الزَّمَانُ وَلاَ الجِهَاتُ وَلاَ الحُدُودُ. فَإِنْ تَفَكَّرْتَ فَرْضًا سِنِينَ لاَ يَحْصُل العِلمُ بِأَنَّ ذَرَّةً مِنَ العَالم مَخْلوقَةٌ. ثُمَّ وَقَعَ النَّظَرُ عَلى تَعَيُّن نَفْسِي وَالوَجْه الخَاصِّ الذي فِي وَكَانَ التَّعَيُّنُ فِي صُورَة ثَوْب بَال مُتَمَزِّق مَلبُوس لشَخْص وَعَلمْتَ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ هُوَ الوَجْهُ الخَاصُّ لكِنْ لَمْ يُتَصَوَّرْ ذَلكَ بِعُنْوَانِ الحَقَّانِيَّة، ثُمَّ تَعَلقَ النَّظَرُ بَعْدَ ذَلكَ بِجِلد رَقِيق فَوْقَ ذَلكَ الشَّخْص مُتَّصِلاً بِهِ،

ثُمَّ وَجَدْتُ نَفْسِي عَيْنَ ذَلِكَ الجلد وَرَأَيْتُ ذَلِكَ الثَّوْبَ الذي هُوَ التَّعَيُّنُ أَجْنَبِيًّا لِنَفْسِي - يَعْنِي مُفَارِقًا وَمُنْفَكًّا عَنْهُ - وَوَقَعَ النَّظَرُ عَلى نُورٍ فِي الجلد ثُمَّ غَابَ ذَلِكَ النُّورُ بَعْدَ سَاعَةٍ عَنِ النَّظَرِ وَارْتَفَعَ الجلدُ وَالثَّوْبُ أَيْضًا عَنِ النَّظَرِ وَبَقِيَتْ تلك الجَهَالَةُ السَّابِقَةُ. وَلِنَعْرِضْ تَعْبِيرَ صُورَةِ هَذِهِ الوَاقِعَةِ المَذْكُورَةِ عَلى مَا بَلَغَهُ عِلْمِي لِيُعْلَمَ صِحَّتُهُ وَسَقَمُهُ وَهُوَ أَنَّ الصُّورَةَ المَذْكُورَةَ عِبَارَةٌ عَنِ العَيْنِ الثَّابِتِ كَالبَرْزَخِ بَيْنَ الوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ حَيْثُ افْتَرَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ طَرَفَيْهِ عَنِ الآخَرِ وَتَحَقَّقَ بِكَمَالِ الفَرْقِ وَالجلد الذي وَقَعَ بَيْنَ الثَّوْبِ وَالنُّورِ بَرْزَخٌ بَيْنَ الوُجُودِ وَالعَدَمِ وَوَجَدْتُ أَنَّ نَفْسِي عَيْنَ ذَلِكَ الجلد أَخِيرًا إِشَارَةً إِلى وُصُولِي إِلى البَرْزَخِيَّةِ، وَقَدْ كُنْتُ وَجَدْتُنِي سَابِقًا فِي الوَقَائِعِ بَرْزَخًا بَيْنَ الوُجُودِ وَالعَدَمِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلى الآفَاقِ وَهَذَا بِالنَّظَرِ إِلى النَّفْسِ وَقَدْ ظَهَرَ فِي ذَلِكَ فَرْقٌ آخَرُ أَيْضًا، وَلَكِنِّي نَسِيتُهُ وَقْتَ الكِتَابَةِ هَذَا وَمَا هُوَ الحَاصِلُ دَائِمًا هُوَ النَّكَارَةُ وَالجَهَالَةُ وَيَظْهَرُ أَحْيَانًا مِثْلُ هَذِهِ الشَّعْبَذَةِ ثُمَّ يَنْعَدِمُ وَتَبْقَى مَعْرِفَتُهُ. وَأَعْجَزُ عَنْ تَعْبِيرِ بَعْضِ الوَقَائِعِ وَالذي يَقَعُ فِي الخَاطِرِ مِنْ تَعْبِيرِهِ لاَ أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ.

وَبِهَذَا السَّبَبِ أَتَجَاسَرُ فِي العَرَائِضِ رَجَاءَ حُصُولِي اليَقِينَ بِتَنْبِيهِ الحَضْرَةِ. وَالمَرْجُوُّ تَيَسُّرُ النَّجَاةِ عَنِ التَّعَلُّقَاتِ الدَّنِيَّةِ بِتَوَجُّهَاتِكُمُ العَلِيَّةِ وَإِلاَّ فَالأَمْرُ مُشْكِلٌ جِدًّا شِعْرٌ.

مَنْ لَمْ يَعْنِهِ مُهَيْمِنٌ وَخَوَاصُّهُ لاَسْوَدَّ صَفْحَتُهُ وَلَوْ هُوَ مَنْ مَلَكْ

وَالشَّيْخُ طَهَ ابْنُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ النِّيَازِيِّ الذي هُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ مَشَايِخِ سَرْهَنْدَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَاجِّ عَبْدِ العَزِيزِ مَوَدَّةٌ تَامَّةٌ اسْتَدْعَى تَقْبِيلَ الأَقْدَامِ المُبَارَكَةِ وَفِيهِ دَاعِيَةُ الإِنَابَةِ وَالدُّخُولِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَالتَجَأَ إِلَيَّ بِالصِّدْقِ وَالانْكِسَارِ فَأَمَرْتُهُ بِالاسْتِخَارَةِ وَلَهُ مُنَاسَبَةٌ فِي الظَّاهِرِ وَالأَصْحَابُ الذينَ أَخَذُوا الذِّكْرَ هُنَا مُشْتَغِلونَ بِطَرِيقِ الرَّابِطَةِ فِي الأَكْثَرِ يَجِيءُ بَعْضُهُمْ بِأَخْذِ الرَّابِطَةِ بِالرُّؤْيَةِ فِي الوَاقِعَاتِ. وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ رَابِطَةٌ قَبْلَ المَجِيءِ مِنْ دهلى يَذْهَبُونَ أَوَّلاً بِالحُضُورِ، وَالاسْتِغْرَاقِ وَبَعْضٌ مِنْهُمْ يُعْطَى الصِّفَاتِ الأَصْلَ - يَعْنِي يَرَاهَا مِنْهُ - وَبَعْضُهُمْ لاَ. وَلَكِنْ لاَ يَذْهَبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَلى طَرِيقِ تَوْحِيدِ الوُجُودِ وَالأَنْوَارِ وَالكُشُوفِ وَوَصَلَ الملا قَاسِمٌ عَلِيٌّ وَالملا مَوْدُودُ مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ المُؤْمِنِ ظَاهِرٍ إِلى نُقْطَةٍ فَوْقَانِيَّةٍ مِنْ مَقَامِ الجَذْبَةِ وَلَكِنَّ الملا قَاسِمًا مُتَوَجِّهٌ إِلَى النُّزُولِ. وَنُزُولُ البَاقِيَيْنِ لَيْسَ بِمَعْلُومٍ وَالشَّيْخُ

نُورٌ[1] أَيْضًا قَرِيبٌ مِنَ النُّقْطَةِ وَلَمْ يَصِل إِلَيْهَا بَعْدُ والملا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا قَرِيبٌ مِنَ النُّقْطَةِ وَلَكِنْ فِي البَيْنِ مَسَافَةٌ قَلِيلةٌ، وَحَصَل للملا عَبْد الهَادي فيه حُضُورٌ مَعَ الاسْتِغْرَاقِ وَهُوَ يَقُول: " أُشَاهِدُ المُطْلَقَ المُنَزَّهَ - جَل شَأْنُهُ - فِي الأَشْيَاء بصفَة التَّنْزِيه وَأَرَى الأَفْعَال أَيْضًا مِنْهُ تَعَالى، وَمَا يُفَاضُ عَلى الطَّالبينَ وَالمُسْتَعِدِّينَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ دَوْلَتِكُمْ وَلَيْسَ لِهَذَا الفَقِيرِ نَصِيبٌ فِي إِفَاضَته، (ع):

أَنَا ذَاكَ أَحْمَدُ لَمْ أَكُنْ مُتَغَيِّرًا

وَقَدْ قُلتُمْ يَوْمًا فِيمَا بَيْنُ وَاقِعَة مِنَ الوَقَائِعِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيه مَعْنَى المَحْبُوبِيَّة لوَقَعَ تَوَقُّفٌ كَثِيرٌ فِي الوُصُول إِلى المَقْصد، وَبَيَّنْتُمْ المَحْبُوبِيَّةَ أَيْضًا بِعِنَايَتِكُمْ. وَلِي مِنْ ذَلكَ الكَلاَمِ رَجَاءٌ تَامٌّ، وَهَذِهِ الجَرَاءَةُ كُلُّهَا مِنْ ذَلكَ.

---

(١) هو العلامة الصالح الشيخ المولوي نور محمد، وجه أقصى اهتمامه بالرياضات والخلوات حتى من الله تعالى عليه بالفتح، حتى كان بحرا زاخرا في كثير من العلوم. انظر: السنهوتي: الأنوار القدسية ٢٢٣.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ
فى بَيَانِ الأَحْوَالِ اَلتي لَهَا مُنَاسَبَةٌ لِمَقَامِ الهُبُوطِ وَالنُّزُول
مَعَ بَعْضِ الأَسْرَارِ المَكْنُونَة
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ الحَاضِرِ الغَائِبِ الوَاجِدِ الفَاقِدِ المُقْبِلِ المُعْرِضِ: أَنَّهُ طَلَبَهُ مُدَّةً مَديدَةً فَوَجَدَ نَفْسَهُ ثُمَّ انْجَرَّ أَمْرُه إِلى مَرْتَبَةٍ لَوْ طَلَبَ نَفْسَهُ وَجَدَهُ وَالآنَ فَقَدَهُ وَوَجَدَ نَفْسَهُ وَمَعَ فِقْدَانِه وَغَيْبَتِه لاَ يَطْلُبُهُ وَلاَ يَسْتَخْبِرُ عَنْهُ. فَمِنْ حَيْثُ العِلمُ حَاضِرٌ وَوَاجِدٌ وَمُقْبِلٌ وَمِنْ جِهَةِ الذَّوْقِ غَائِبٌ وَفَاقِدٌ وَمُعْرِضٌ. ظَاهِرُهُ بَقَاءٌ وَبَاطِنُهُ فَنَاءٌ فَفِي عَيْنِ البَقَاءِ فَانٍ، وَفِي عَيْنِ الفَنَاءِ بَاقٍ، وَلَكِنَّ الفَنَاءَ عِلمِيٌّ وَالبَقَاءَ ذَوْقِيٌّ. وَتَقَرَّرَ أَمْرُهُ عَلى الهُبُوطِ وَالنُّزُولِ وَامْتَنَعَ عَنِ الصُّعُودِ وَالعُرُوجِ فَكَمَا رَفَعُوهُ عَنِ القَلبِ إِلى مُقَلبِ القَلبِ كَذَلِكَ أَنْزَلوهُ مِنْ مُقَلبِ القَلبِ إِلى مَقَامِ القَلبِ. وَمَعَ تَخَلصِ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ وَخُرُوجِ النَّفْسِ بَعْدَ الاطْمِئْنَانِ مِنْ غَلَبَاتِ أَنْوَارِ الرُّوحِ جَعَلوهُ جَامِعًا لِجِهَتَيِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ وَشَرَّفُوهُ بِبَرْزَخِيَّةٍ هَاتَيْنِ الجِهَتَيْنِ وَأَعْطَوْهُ الاسْتِفَادَةَ مِنْ فَوْقٍ وَالإِفَادَةَ إِلى سُفْلٍ مَعًا بِسَبَبِ هَذِهِ البَرْزَخِيَّةِ، فَفِى عَيْنِ الاسْتِفَادَةِ مُفِيدٌ وَفِي عَيْنِ الإِفَادَةِ مُسْتَفِيدٌ. شِعْرٌ.

فَيَا لَهَا قِصَّةٌ فِي شَرْحِهَا طُولُ وَكَمْ يُرَاعُ إِذَا حُرِّرَتْ يَنْكَسِرُ

ثُمَّ المَعْرُوضُ: إِنَّ اليَدَ اليُسْرَى عِبَارَةٌ عَنْ مَقَامِ القَلبِ الحَاصِلِ قَبْلَ العُرُوجِ إِلى مُقَلبِ القُلوبِ وَأَمَّا مَقَامُ القَلبِ الذي يَكُونُ النُّزُولُ إِلَيْهِ بَعْدَ الهُبُوطِ مِنْ فَوْقٍ فَهُوَ مَقَامٌ آخَرُ، فَإِنَّهُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الشَّمَالِ وَاليَمِينِ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ لأَرْبَابِه،

وَالمَجْذُوبُونَ الذينَ لَيْسَ لَهُمْ سُلوكٌ مِنْ أَرْبَابِ القُلوبِ، وَالوُصُولُ إِلى مُقَلبِ القُلوبِ مَرْبُوطٌ بِالسُّلوكِ، وَتَعَلقُ مَقَامٍ بِشَخْصٍ كِنَايَةٌ عَنْ حُصُولِ شَأْنٍ خَاصٍّ لَهُ فِي ذَلِكَ المَقَامِ، وَلَهُ امْتِيَازٌ عَلى حِدَةٍ مِنْ أَرْبَابِ ذَلِكَ المَقَامِ. وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ الامْتِيَازِ سَبْقَةُ الانْجِذَابِ فِيمَا نَحْنُ فِيه. وَالبَقَاءُ الخَاصُّ الذي كَانَ مَنْشَأً لِلعُلومِ وَالمَعَارِفِ المُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ المَقَامِ وَتَحْقِيقُ عُلومِ مَقَامِ القَلبِ وَحَقِيقَةِ الجَذْبَةِ وَالسُّلوكِ وَالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مَكْتُوبَةٌ فِي الرِّسَالَةِ المَوْعُودَةِ بِالتَّفْصِيلِ. وَتَوَجَّهَ السَّيِّدُ شَاه حُسَيْنٌ بِالاضْطِرَابِ وَالعَجَلَةِ فَلَمْ تَكُنْ فُرْصَةٌ لِنَقْلِهَا إِلى البَيَاضِ وَنَتَشَرَّفُ إِنْ

شَاءَ اَللهُ تَعَالى عَلى الفَوْرِ بِمُطَالَعَتِكُمْ. وَالعَزِيزُ المُتَوَقِّفُ نَزَل مِنْ فَوْق مِنْ مَقَام الجَذْبَة وَلَكِنْ لَيْسَ وَجْهُهُ إلى العَالَم بَل تَوَجُّهُهُ إلى جهَة الفَوْق. وَلَمَّا كَانَ عُرُوجُهُ إلى الجهَة الفَوْقَانِيَّة بِالقَسْرِ كَانَتْ لهُ مُنَاسَبَةٌ بالطَّبْعِ للجَذْبَة وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ شَيْئًا يَسِيرًا وَقْتَ نُزُولِه مِنْ فَوْق وَبِضَاعَةَ نسْبَته اَلتي كَانَتْ مِنْ تَوَجُّه القَاسِر.

وَكَانَ العُرُوجُ إثْرَ ذَلكَ اَلتَّوَجُّه بَاقِيَةً إلى الآنَ فِي نسْبَة الجَذْبَة كَالرُّوح فِي الجَسَد وَكَالنُّور فِي اَلظُّلمَة، وَلكنَّ هَذه الجَذْبَة غَيْرُ جَذْبَة خواجكان قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ بَل هيَ جَذْبَةٌ وَصَلَتْ إلى خواجَهْ عُبَيْد اَللهِ أَحْرَارٍ[1] - قُدِّسَ سِرُّهُ - مِنْ آبَائِه الكِرَام[2].

وَكَانَ اَلشَّأْنُ الخَاصُّ لَهُمْ فِي ذَلكَ المَقَام. وَقَدْ رَأَى بَعْضُ اَلطَّالبينَ فِي الوَاقعَة أَنَّ ذَلكَ العَزِيزَ المُتَوَقِّفَ أَكَل الخواجهْ يَعْني المَذْكُورَ آنفًا بالتَّمَام وَظُهُورُ أَثَر هَذه الوَاقعَة إنَّمَا يَكُونُ فِي هَذَا المَقَام وَلَيْسَ لهَذه الجَذْبَة مُنَاسَبَةٌ لمَقَام الإفَادَة فَإنَّ اَلتَّوَجُّهَ فِي مَقَام هَذه الجَذْبَة إلى جهَة الفَوْق دائمًا وَالسُّكْرُ الدَّائميُّ لاَزمَةٌ، وَبَعْضُ مَقَامَات الجَذْبَة مُنَافيَةٌ للسُّلُوك بَعْدَ اَلدُّخُول فيه وَبَعْضٌ آخَرُ لَيْسَ بمُنَاف لهُ بَل يَتَوَجَّهُونَ لأَجْل اَلسُّلوك بَعْدَ اَلدُّخُول فيه. وَهَذه الجَذْبَةُ مُنَافيَةٌ للسُّلوك بَعْدَ اَلدُّخُول فيه. وَقَدْ تَوَجَّهْتُ إلى ذَلكَ المَقَام وَقْتَ تَحْرِير العَرِيضَة وَظَهَرَ بَعْضُ دَقَائقه وَلاَ يَتَيَسَّرُ اَلتَّوَجُّهُ مِنْ غَيْر بَاعث وَاَللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلمُ بحَقيقَة الحَال.

وَقَدْ نَزَل ذَلكَ العَزِيزُ مُنْذُ أَشْهُر وَلكَنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَاخلاً فِي مَقَام الجَذْبَة المَذْكُورَة بالتَّمَام، وَالمَانعُ عَدَمُ العلم بشَأْن ذَلكَ المَقَام مَعَ اَلتَّوَجُّهَات المُوَاجبَة للتَّفْرقَة وَتَشَتُّت البَال، وَعَسَى أَنْ يَتَيَسَّرَ اَلدُّخُول فيه بالتَّمَام وَقْتَ مُطَالعَة هَذه الكَلمَات غَيْرِ المُرْتَبطَة، وَلعَلهُ يَنْزل بَعْدَ ذَلكَ حَضْرَةُ الخَوَاجَهْ بالتَّمَام .

---

(١) ــ الشيخ عبيد الله أحرار، تقدمت ترجمته.

(٢) ــ يعني أجداده من طرف أمه كالشيخ عمر الباغستاني وأولاده وأقربائه كما هو مذكور في الرشحات لمؤلفه عفى عنه.

المَكْتُوب السَّادسَ عَشَرَ
فِي بَيَانِ أَحْوَالَ الخُرُوجِ وَالنُّزُول وَغَيْرِهَا
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الطَّلَبَة: أَنَّ مَوْلاَنَا عَلاَءَ الدِّين، قَدْ بَلغَ المَكْتُوبَ المُشْتَمل فِي الأَلقَاب ، وَقَدْ جَعَلتُ فِي الكَشْف كُل المُقَدَّمَات المَذْكُورَة فِي الكَشْف مُسَوَّدَةً مُتَمِّمَات تلكَ العُلوم المَسْطُورَة وَمُكَمِّلاَتُهَا مَحْظورًا أَيْضًا، وَلكِنْ لَمْ تُوجَدْ فُرْصَةٌ لتَحْرِيره ؛ لتَوَجُّه حَامل العَرِيضَة نُرْسلهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى إِلى خِدْمَتِكُمْ سريعًا. وَقَدْ أَرْسَلتُ الآنَ رِسَالةً أُخْرَى قَدْ نُقلتْ إِلى البَيَاض، وَكُنْت جَمَعْتُهَا بالتمَاس بَعْض الأَصْحَاب. فَإِنَّهُمُ التَمَسُوا منِّي أَنْ أَكْتُبَ لَهُمْ نَصَائِحَ تَكُونُ نَافعَةً فِي الطَّرِيقَة وَيَعْمَلونَ بمَضْمُونهَا. وَالحَقُّ أَنَّهَا رِسَالةٌ عَدِيمَةُ النَّظِير كَثِيرَةُ البَرَكَة. وَكَانَ بَعْدَ تَحْرِيره مَعْلومًا أَنَّ النَّبِيَّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ قَدْ حَضَرَ مَعَ جَمْعٍ كَثِير منْ مَشَايِخ أُمَّته وَفِي يَده المُبَارَكَة هَذه الرِّسَالةُ وَهُوَ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يُقَبِّلهَا منْ كَمَال كَرَمه وَيُرِيهَا المَشَايِخَ وَيَقُول: يَنْبَغِي أَنْ يَحْصُل مثْل هَذه المُعْتَقَدَات، وَالجَمَاعَةُ الذينَ اسْتَسْعَدُوا بهَذه العُلوم نُورَانِيُّونَ وَمُمْتَازُونَ. وَعَزِيزُو الوُجُودِ قَائمُونَ فِي مُقَابَلته - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَالحَاصل أَنَّ النَّبِيَّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ أَمَرَ هَذَا الفَقِيرَ بإِشَاعَة هَذه الوَاقعَة وَإِظْهَارهَا فِي ذَلكَ المَجْلس، (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَام

وَحِينَ جِئْتُ منَ المُلاَزَمَة لَمْ تَكُنْ فِي مُنَاسَبَة كَثِيرَة لمَقَام الإِرْشَاد بوَاسطَة وُجُود المَيْل إِلى جِهَة الفَوْق فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْعُدَ فِي زَاوِيَةٍ أَوْقَاتًا. وَظَهَرَ النَّاسُ فِي النَّظَر مثْل النَّمر وَالأَسَد وَكَانَ عَزْمُ العُزْلة والإِنْزواء مُصَمَّمًا، وَلكِنْ لَمْ تَقَعْ الاسْتخَارَةُ مُوَافقَةً للمَطْلوب، وَالعُرُوجُ إِلى غَايَة غَايَات مَدَارِج القُرْب وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لهَا غَايَةٌ قَدْ تَيَسَّرَ، وَلاَ يَزَال يَتَيَسَّرُ، وَالأَحْوَال فِي التَّقَلب دَائمًا كُل يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، وَجُوزِيَ بِي مَقَامَات جَمِيع المَشَايِخ إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ، (شعْرٌ):

وَتَدَاوَلتْ أَيْدِي الكِرَامِ وَرْدَةً حَتَّى إِلى العالي الجَنَابِ تَرَقَّتْ

فَإنْ عَدَدْتَ تَوَسُّطَ رُوحَانيَّة المَشَايخ في ذَلكَ يَنْجَرُّ إلى الإطْنَاب وَالتَّطْويل. وَبالجُمْلة قَدْ جُوزيَ بي منْ جَميع مَقَامَات الأَصْل كَمُجَاوَزَتي مَقَامَات الظِّل، فَمَاذَا أُبَيِّنُ منَ العنَايَات العَديمَة الغَايَات قَبْل منْ قَبْل بلاَ علة وَعَرَضَ عَليَّ منْ وُجُوه الوِلاَيَات وَكَمَالاَتهَا مَا لاَ يُمْكنُ تَحْريرُهُ. وَأُنْزلتُ في ذي الحجَّة إلى مَقَام القَلب منْ مَدَارج النُّزُول وَهَذَا المَقَامُ مَقَامُ التَّكْميل وَالإرْشَاد، وَلكنْ لاَ بُدَّ منْ أَشْيَاء لتَتْميم هَذَا المَقَام وَتَكْميله وَمَتَى يَتَيَسَّرُ - ذَلكَ وَالأَمْرُ لَيْسَ بسَهْل - وَمَعَ وُجُود المُرَاديَّة يُقْطَعُ منَ المَنَازل مَا لوْ أُعْطيَ المُريدُونَ عُمْرَ نُوح لاَ يُعْلَمُ تَيَسُّرُه بَل هَذه الوُجُوهُ مَخْصُوصَةٌ للمُرَادينَ وَلاَ مَحَل هُنَا للمُريدينَ، وَنهَايَةُ عُرُوج الأَفْرَاد إلى بدَايَة مَقَام الأَصْل فَحَسْبُ، وَلاَ مُجَاوَزَةَ للأَفْرَاد منْهَا؛ {ذَلكَ فَضْل اللهِ يؤتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}[1] وَهَذَا هُوَ وَجْهُ التَّوَقُّف في مَرَاتب التَّكْميل وَالإرْشَاد وَعَدَم النُّورَانيَّة، إنَّمَا هُوَ بوَاسطَة ظُهُور نُور ظُلمَة الغَيْب لاَ شَيْءٍ آخَرَ، وَقَدْ يَعْجزُ النَّاسُ في مُتَخَيِّلاَتهمْ أَشْيَاءَ لاَ يَنْبَغي اعْتبَارُهَا. شعْرٌ.

كَيْفَ يَدْري الأَغْبيَا حَال الكرَام فَاقْصُرْ الأَقْوَال وَاسْكُتْ وَالسَّلاَم

وَاحْتمَال الضَّرَر غَالبٌ في تَخَيُّل مثْل هَذه الظُّنُون.

فَيَنْبَغي أَمْرُ هَؤُلاَء الجَمَاعَة بإغْمَاض نَظَر خَيَالاَتهمْ عَنْ أَحْوَال هَذَا المَكْسُور البَال فَإنَّ مثْل هَذَا النَّظَر لَهُ مَجَال في مَحَال أُخْرَى كَثيرَة. شعْرٌ.

من كم شده أم مرامجو بيد باكم شد كان سخن مكوبيد

تَرْجَمَةٌ

كَفُّوا المَلاَمَ عَن الذي أَفْنَى وُجُو دَهُ في الإله وَاحْذَرُوا منْ بَأْسه

يَنْبَغي التَّفَكُّرُ في غَيْرَة الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - فَإنَّ التَّكَلمَ وَالتَّقَوُّلَ في تَنْقيص أَمْر يُريدُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ كَمَالهُ غَيْرُ مُنَاسب جدًّا بَل هُوَ في الحَقيقَة مُعَارَضَتُهُ تَعَالى. وَالنُّزُول في مَقَام القَلب المَارِّ ذكْرُهُ آنفًا نُزُول في مَقَام الفَرْق في الحَقيقَة الذي هُوَ مَقَامُ الإرْشَاد. وَالفَرْقُ في هَذَا المَوْطن عبَارَةٌ عَن امْتيَاز النَّفْس عَن الرُّوح وَالرُّوح عَن النَّفْس بَعْدَ دُخُول النَّفْس في نُور الرُّوح الذي هُوَ الجَمْعُ وَمَا فُهمَ منَ الجَمْع. وَالفَرْقُ قَبْل ذَلكَ فَهُوَ منَ السُّكْر فَإنَّ رُؤْيَةَ الحَقِّ مُفَارقًا وَمُنْفَكًّا عَن الخَلق التي يَزْعُمُونَهَا مَقَامَ الفَرْق لاَ حَقيقَةَ لَهَا بَل يَزْعُمُونَ الرُّوحَ المَذْكُورَةَ حَقًّا وَيَزْعُمُونَ رُؤْيَةَ مُفَارَقَتهَا وَامْتيَازهَا عَنِ النَّفْسِ رُؤْيَةَ مُفَارَقَة الحَقِّ وَامْتيَازه تَعَالى وَتَقَدَّسَ عَنِ

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

الخَلق. وَعَلى هَذَا القيَاسِ أَكْثَرُ عُلومِ أَرْبَابِ اَلسُّكْرِ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الأَمْرِ مَفْقُودَةٌ ثَمَّةَ وَالأَمْرُ عِنْدَ اَللهِ سُبْحَانَهُ. وَقَدْ حَرَّرْتُ عُلومَ أَرْبَابِ الجَذْبَةِ وَالسُّلوكِ وَحَقِيقَةُ كُلٍ مِنْ هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ بِالتَّفْصِيلِ فِي رِسَالةٍ أُخْرَى. وَسَتُشَرَّفُ بِوُقُوعِ اَلنَّظَرِ اَلشَّرِيفِ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِعَ عَشَرَ
فى الأَحْوَال الْمُتَعَلقَة بِالعُرُوجِ وَالنُّزُول
كَتَبَهُ إِلى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخدَمَة: إنَّ العَزِيزَ اَلذي كَانَ مُتَوَقِّفًا مُنْذُ أَوْقَات ظَهَرَ يَوْمَ اَلتَّحْرِيرِ أَنَّهُ عَرَجٌ مِنْ ذَلكَ الْمَقَامِ بِنَحْوِ منَ العُرُوجِ وَنَزَل اَلتَّحْتَ وَلكنَّهُ مَا نَزَل بِالتَّمَامِ. وَالبَقَايَا اَلذينَ كَانُوا تَحْتَ هَذَا الْمَقَامِ عَرَجُوا أَيْضًا وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ اَلنُّزُول مِنْ طَرِيق ذَلكَ الْمَقَامِ الفَوْقَانيِّ. وَكُل كَيْفيَّة تَظْهَرُ بَعْدَ هَذَا نَعْرِضُهَا فَإِنْ كَتَبَ صَاحِبُ الْمُعَامَلة شَيْئًا بَعْدَ انْكشَاف حَاله لكَانَ أَقْرَبَ إلى اَلصَّوَاب.

وَلَمَّا كَانَ حُدُوثُ قَضيَّة هَذَا اَلنُّزُول قَوِيًّا وَدَفْعيًّا، وَقَدْ طَرَأَ عَلى الفَقير ضَعْفٌ بوَاسطَة تَنَاوُل الجَلاَّب لَمْ أَشْتَغِل بِأَمْرِ هَذَا اَلنُّزُول وَلَمْ أَنْظُرْ إلى مَآله وَسَيَظْهَرُ إنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالَى.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنَ عَشَرَ
فى اَلتَّمْكِينِ اَلذي يَحْصُل بَعْدَ اَلتَّلوِينِ
وَبَيَانِ مَرَاتِب الوِلاَيَات اَلثَّلاَث
وَبَيَانِ أَنَّ وُجُودَ الوَاجِب تَعَالَى زَائِدٌ عَلَى ذَاته تَعَالَى وَغَيْرِ ذَلكَ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِه اَلْمُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَقَل العَبِيد ذي اَلتَّقْصِير أَحْمَدَ بْنِ عَبْد الأَحَد: أَنَّهُ مَا دَامَتْ الأَحْوَال وَارِدَةً كُنَّا نَتَجَاسَرُ بعَرْضِهَا وَلَمَّا حَرَّرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ رِقِّيَّة الأَحْوَال بِبَرَكَة تَوَجُّهَاتِكُمْ العَلِيَّة، وَشَرَّفَ بالتَّمْكِين بَعْدَ اَلتَّخْلِيص مِنَ اَلتَّلوِينِ، مَا بَقِيَ فِي اليَد حَاصِل الأَمْرِ غَيْرُ الحَيْرَة وَالعَجْز، وَمَا حَصَل مِنَ الوَصْل سِوَى الهَجْرِ وَالفَصْل، وَمِنَ القُرْب غَيْرُ البُعْد، وَلَمْ يَزِدْ مِنَ المَعْرِفَة غَيْرَ اَلنَّكِرَة وَمِنَ العِلمِ غَيْرَ الجَهْل، فَلاَ جَرَمَ وَقَعَ اَلتَّوَقُّفُ فِي تَقْدِيمِ العَرَائِضِ. وَلَمْ أَتَجَاسَرْ بِمُجَرَّد عَرْضِ أَحْوَال أَيَّام الفِرَاق وَمَعَ ذَلكَ قَدْ اسْتَوْلَتْ البُرُودَةُ عَلَى القَلب عَلَى نَهْجٍ لاَ مَيْل فِيه إِلَى أَمْرٍ مَا أَصْلاً وَلاَ شَوْقَ وَلاَ أَقْدَرُ عَلَى اَلاشْتِغَال بِعَمَل كَمَا هُوَ دَيْدَنُ أَرْبَاب البِطَالَة.

شِعْرٌ.

وَإِنِّي لاَ شَيْءَ وَمِنْ ذَاكَ أَنْقُصُ وَمَنْ هُوَ لاَ شَيْءَ يَكُونُ مُعَطَّلاً

وَلنَرْجِعَ إِلَى أَصْل المَقْصُود وَنَقُول: وَالعَجَبُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ قَدْ شَرَّفَنِي الآنَ بِمَقَام حَقِّ اليَقِين اَلذي لَيْسَ العِلمُ وَالعَيْنُ فِيه بَعْضَهُ حِجَابًا عَنْ بَعْض.

وَالفنَاءُ وَالبَقَاءُ مُجْتَمِعَان فِيه وَفِي عَيْنِ الحَيْرَة وَفقْدَان الأَمَارَة عِلمٌ وَشُعُورٌ، وَفِي نَفْسِ الغَيْبَة أُنْسٌ وَحُضُورٌ، وَمَعَ وُجُود العِلمِ وَالمَعْرِفَة لاَ يَحْصُل سِوَى ازْدِيَاد الجَهْل وَالنَّكِرَة، (ع):

أَلاَ فَاعْجَبُوا مَنْ وَاصِل مُتَحَيِّرٍ

وَقَدْ رَزَقَ اَللهُ تَعَالى بِمَحْضِ عِنَايَته اَلتي لَيْسَتْ لَهَا نِهَايَةٌ فِي مَدَارِجِ القُرْب وَالكَمَالاَت تَرْقِيَات بِلاَ نِهَايَة فَفَوْقَ مَقَام الوِلاَيَة مَقَامُ اَلشَّهَادَة. وَنِسْبَةُ الوِلاَيَة إِلَى اَلشَّهَادَة كَنِسْبَة اَلتَّجَلِي الصُّورِيِّ إِلَى اَلتَّجَلِي الذَّاتِيِّ، بَل بُعْدُ مَا بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ بُعْد مَا بَيْنَ هَذَيْنِ اَلتَّجَلِيَيْنِ كَذَا مَرَّة. وَفَوْقَ مَقَام اَلشَّهَادَة مَقَامُ الصِّدِّيقِيَّة. وَالتَّفَاوُتُ

فيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ أَجَل منْ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بعبارَة وَأَعْظَمُ منْ أَنْ يُشارَ إِلَيْهِ بإِشارَة وَلَيْسَ فَوْقَهُ مَقَامٌ إِلاَّ مَقَامَ اَلنُّبُوَّة عَلى أَهْلِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ.

وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقَامٌ بَيْنَ الصِّدِّيقيَّة وَالنُّبُوَّة بَل هُوَ مُحَال. وَهَذَا الْحُكْمُ - أَعَني الحُكْمَ بالاسْتحَالة - عُلمَ بكَشْف صَرِيح صَحِيح، وَمَا أَثْبَتَهُ بَعْضُ أَهْل اَللهِ منَ الوَاسطَة بَيْنَ هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ وَسَمَّوْهَا بمَقَام القُرْب قَدْ شُرِّفْتُ به أيضًا، وَاطَّلَعْتُ عَلى حَقيقَته بَعْدَ تَوَجُّه كَثير وَتَضَرُّع غَزير ظَهَرَ أَوَّلاً عَلى طَوْر بَيَّنَهُ بَعْضُ الأَكَابر، ثُمَّ صَارَتْ حَقيقَةُ الأَمْر مَعْلومَةً. نَعَمْ إِنَّ حُصُول هَذَا المَقَام إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ حُصُول مَقَام الصِّدِّيقيَّة وَقْتَ العُرُوج. وَلكنَّ كَوْنَهُ وَاسطَةً محَل تَأَمُّل. وَسَنَعْرضُ حَقيقَةَ الأَمْر بالتَّفْصيل بَعْدَ حُصُول المُلاَزَمَة الصُّوريَّة إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى.

وَذَلكَ المَقَامُ عَال جدًّا وَلاَ يُعْلَمُ في مَنَازل العُرُوج مَقَامٌ فَوْقَهُ وَيَظْهَرُ في هَذَا المَقَام زيَادَةُ الوُجُود عَلى ذَات اَللهِ عَزَّ وَجَل كَمَا هُوَ المُقَرَّرُ عنْدَ عُلَمَاء أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اَللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ وَيَبْقَى الوُجُودُ هُنَا أيضًا في اَلطَّرِيق وَيَقَعُ العُرُوجُ فَوْقَهُ كَمَا قَال اَلشَّيْخُ أَبُو المَكَارم رُكْنُ اَلدِّين عَلاَءُ اَلدَّوْلة في بَعْض مُصَنَّفَاته: " وَفَوْقَ عَالم الوُجُود عَالَمُ المَلك الوَدُود " وَمَقَامُ الصِّدِّيقيَّة منْ مَقَامَات البَقَاء اَلتي هِيَ نَاظرَةٌ إِلى العَالم وَأَسْفَل[1] منْهُ مَقَامُ اَلنُّبُوَّة، وَفي الحَقيقَة

هُوَ أَعْلى منْهُ وَهُوَ مَقَامُ كَمَال اَلصَّحْو وَالبَقَاء، وَلَيْسَ لمَقَام القُرْب لَيَاقَةُ البَرْزَخيَّة بَيْنَ هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ فَإِنَّهُ نَاظرٌ إِلى اَلتَّنْزيه اَلصِّرْف، وَتَمَام العُرُوج شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا. شعْرٌ.

قَدْ أَمْسَكُوني وَرَاءَ المَرْء كُدْرَتُهُمْ أَقُول مَا قَال لي أُسْتَاذي الأَزَلِيُّ

وَقَدْ صَارَتْ العُلومُ اَلشَّرْعيَّةُ اَلنَّظَريَّةُ الاسْتدْلاَليَّةُ ضَرُورَةً كَشْفيَّةً لاَ مُخَالفَةَ بَيْنهَا وَبَيْنَ أُصُول عُلَمَاء اَلشَّريعَة مقْدَارَ شَعْرَة، وَإِنَّمَا جُعلتْ تلكَ العُلومُ الإِجْمَاليَّةُ تَفْصيليَّةً وَأُخْرجَتْ منَ اَلنَّظَريَّة إِلَى اَلضَّرُوريَّة. سُئل الخواجهْ الأَعْظَمُ - يَعْني بَهَاءَ اَلدِّين النَّقْشَبَنْديَّ - قُدِّسَ سرُّهُ - أَنَّهُ مَا المَقْصُودُ منَ السُّلوك ؟ فَقَال: " المَقْصُودُ منْهُ كَوْنُ المَعْرفَة الإِجْمَاليَّة تَفْصيليَّةً وَالاسْتدْلاَليَّة كَشْفيَّةً " وَلَمْ يَقُل حُصُول عُلوم سوَاهَا نَعَمْ يَظْهَرُ في اَلطَّرِيق عُلومٌ كَثيرَةٌ وَمَعَارفُ غَزيرَةٌ وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُجَاوزَهَا، وَمَا دَامَ اَلسَّالكُ لَمْ يَصل إِلى نهَايَة اَلنِّهَايَات اَلتي هِيَ مَقَامُ الصِّدِّيقيَّة لاَ يَكُونُ لهُ

---

(١) ـــ يعني في مراتب النزول والبقاء ولهذا قال وهو في الحقيقة أعلى منه فافهم سند عفى عنه.

نَصيبٌ مِنْ هَذه العُلوم الحَقيقيَّة وَالمَعَارف اليَقينيَّة. فَيَا لَيْتَ شعْري إنَّ مِنْ أَهْل اَللهِ القَائلينَ بحُصُول هَذَا المَقَام اَلشَّريف لأَنْفُسهمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مُنَاسَبَةٌ بعُلوم هَذَا المَقَام وَمَعَارفه فَمَا وَجْهُهُ: {وَفَوْقَ كُل ذي علم عَليمٌ}(١).

وَاطَّلعْتُ أَيْضًا عَلى سرٍّ مَسْأَلَة القَضَاء وَالقَدَر وَعَلمْتُهَا عَلى نَهْج لاَ تَقَعُ المُخَالفَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُصُول ظَاهر اَلشَّريعَة الغَرَّاء بوَجْه منَ الوُجُوه مُبَرَّأَة وَمُنَزَّهَة عَنْ نَقْص الإيجَاب وَشَائبَة الجَبْر وَفي اَلظُّهُور كَالقَمَر لَيْلَةَ البَدْر، وَالعَجَبُ مَا وَجْهُ إخْفَائهَا مَعَ عَدَم مُخَالفَتهَا أُصُول اَلشَّريعَة فَلوْ كَانَتْ فيهَا شَائبَةُ المُخَالفَة لكَانَ للسَّتْر وَالإخْفَاء شَيْءٌ منَ المُنَاسَبَة: {لاَ يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل}(٢). شعْرٌ.

وَمَنِ اَلذي في فعْله يُتَكَلمُ ... دُونَ اَلرِّضَا يَا صَاحِ وَالتَّسْليمِ

وَتُفَاضُ العُلومُ وَالمَعَارفُ مثْل فَيَضَان المَطَر منْ سَحَاب اَلرَّبيع بحَيْثُ تَعْجَزُ القُوَّةُ المُدْركَةُ عَنْ تَحَمُّلهَا، وَإطْلاَقُ القُوَّة المُدْركَة مُجَرَّدُ تَعْبير وَإلاَّ فَلاَ يَحْمل عَطَايَا المَلك إلاَّ مَطَايَاهُ. وَقَدْ كَانَ في الأَوَائل شَوْقٌ قَيَّدَ هَذه العُلومَ الغَريبَةَ بالكتَابَة، وَلكنِّي لَمْ أُوَفَّقْ لذَلكَ وَكَانَ لي تَحَرُّجٌ وَثقَل منْ هَذه الجهَة فَسَليْتُ آخرَ الأَمْر بأَنَّ المَقْصُودَ منْ إفَاضَة هَذه العُلوم حُصُول المَلكَة لاَ حفْظُهَا، كَمَا أَنَّ طَلَبَةَ العُلوم يُحَصِّلونَ العُلومَ لينَالوا مَلكَةَ المَوْلويَّة لاَ أَنَّهُمْ يُحَصِّلونَهَا لأَجْل حفْظ أُصُول اَلصَّرْف وَالنَّحْو وَغَيْرهمَا. وَلنَعْرضْ بَعْضَ العُلوم المَذْكُورَة قَال اَللهُ تَعَالى: {لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ وَهُوَ اَلسَّميعُ البَصيرُ}(٣) أَوَّل هَذَا الكَلاَم إثْبَاتُ اَلتَّنْزيه المَحْض كَمَا هُوَ اَلظَّاهرُ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: {وَهُوَ اَلسَّميعُ البَصيرُ}(٤) مُتَمِّمٌ وَمُكَمِّل للتَّنْزيه، وَبَيَانُهُ أَنَّ ثُبُوتَ اَلسَّمْع وَالبَصَر للمَخْلوق لَمَّا كَانَ مُوهمًا لثُبُوت المُمَاثَلة، وَلوْ في الجُمْلة نَفَى اَللهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُمُ اَلسَّمْعَ وَالبَصَرَ لدَفْع هَذَا الوَهْم يَعْني أَنَّ اَلسَّميعَ وَالبَصيرَ هُوَ تَعَالى ليْسَ إلاَّ وَالسَّمْعُ وَالبَصَرُ المَوْجُودَتَان في المَخْلوقَات ليْسَ لهُمَا مَدْخَل في اَلسَّمَاع وَالرُّؤْيَة. فَكَمَا أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلَقَ اَلسَّمْعَ وَالبَصَرَ كَذَلكَ يَخْلقُ اَلسَّمَاعَ وَالرُّؤْيَةَ بَعْدَ خَلق هَاتَيْن اَلصِّفَتَيْن بطَريق جَرْي العَادَة منْ غَيْر تَأْثير لصفَاتهمْ. وَلوْ قُلنَا بالتَّأْثير فَالتَّأْثيرُ فيهَا أَيْضًا مَخْلوقٌ فَكَمَا أَنَّ ذَوَاتَهُمْ جَمَادٌ

---

(١) ــ الآية: ٦٧ من سورة يوسف.

(٢) ــ الآية: ٢٣ من سورة الأنبياء.

(٣) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

(٤) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

مَحْضٌ كَذَلِكَ صِفَاتُهُمْ أَيْضًا جَمَادٌ مَحْضٌ. مَثَلاً إِذَا خَلَقَ القَادِرُ بِمَحْضِ قُدْرَتِه كَلاَمًا فِي الحَجَرِ لاَ يُقَال إِنَّ الحَجَرَ مُتَكَلِّمٌ فِي الحَقِيقَةِ وَإِنَّ لَهُ صِفَةَ الكَلاَمِ وَفِي هَذِه الصُّورَةِ، كَمَا أَنَّ الحَجَرَ جَمَادٌ، كَذَلِكَ هَذِه الصِّفَةُ لَوْ فُرِضَ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِيه أَيْضًا جَمَادٌ لاَ مَدْخَل لَهُ أَصْلاً فِي ظُهُورِ الحَرْفِ وَالصَّوْتِ.

وَجَمِيعُ الصِّفَاتِ مِنْ هَذَا القَبِيلِ. غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ لَمَّا كَانَتْ أَظْهَرَ مِنْ غَيْرِهِمَا خَصَّهُمَا اللهُ تَعَالَى بِنَفْيِهِمَا وَيَكُونُ لُزُومُ نَفْيِ البَوَاقِي مِنْهَا بِالطَّرِيقِ الأَوْلَى. وَخَلَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ يَعْنِي فِي المَخْلُوقِ أَوَّلاً صِفَةَ العِلْمِ ثُمَّ خَلَقَ تَوَجُّهَهُ نَحْوَ المَعْلُومِ ثُمَّ خَلَقَ تَعَلُّقَهَا بِه ثُمَّ جَعَلَ ذَلِكَ المَعْلُومَ مُنْكَشِفًا لَهُ ثُمَّ خَلَقَ الانْكِشَافَ فِيه بَعْدَ خَلْقِ صِفَةِ العِلْمِ بِمُجَرَّدِ جَرْيِ العَادَةِ فَعُلِمَ أَنْ لاَ مَدْخَل لِلعِلْمِ فِي الانْكِشَافِ وَكَذَلِكَ خَلَقَ فِيه أَوَّلاً صِفَةَ السَّمْعِ ثُمَّ خَلَقَ الإِصْغَاءَ وَالتَّوَجُّهَ إِلَى المَسْمُوعِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاعَ ثُمَّ خَلَقَ إِدْرَاكَ المَسْمُوعِ وَكَذَلِكَ خَلَقَ فِيه البَصَرَ أَوَّلاً ثُمَّ تَقْلِيبَ الحَدَقَةِ وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَ المَرْئِيِّ ثُمَّ لِرُؤْيَةٍ ثُمَّ إِدْرَاكَ المَرْئِيِّ وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ الصِّفَاتِ وَالسَّمِيعُ وَالبَصِيرُ إِنَّمَا هُوَ مَنْ يَكُونُ مَبْدَأُ سَمَاعِه وَرُؤْيَتِه هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، وَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِسَمِيعٍ وَلاَ بَصِيرٍ. فَتَحَقَّقَ أَنَّ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ جَمَادَاتٌ كَذَوَاتِهِمْ. فَالمَقْصُودُ مِنْ آخِرِ الكَلاَمِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُمْ رَأْسًا لاَ أَنَّ لَهُمْ صِفَاتٍ.

وَتِلْكَ الصِّفَاتُ ثَابِتَةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ حَتَّى يَكُونَ جَمْعًا بَيْنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّشْبِيهِ بَل تَمَامُ الآيَةِ الكَرِيمَةِ لإِثْبَاتِ التَّنْزِيهِ وَنَفْيِ المُمَاثَلَةِ رَأْسًا. وَالعِلْمُ الأَوَّل، أَعْنِي إِثْبَاتَ صِفَاتِ هَؤُلاَءِ لِلحَقِّ سُبْحَانَهُ وَاعْتِقَادَ ذَوَاتِهِمْ جَمَادًا مَحْضًا وَزَعْمَهَا فِي ظُهُورِ هَذِه الصِّفَاتِ مِنْهُمْ مِثْل الدَّنِّ وَالكُوزِ فِي ظُهُورِ المَاءِ مِنْهُمَا مِنَ العُلُومِ المُنَاسِبَةِ لِمَقَامِ الوِلاَيَةِ. وَالعِلْمُ الثَّانِي، أَعْنِي وِجْدَانَ صِفَاتِ هَؤُلاَءِ مِثْل الجَمَادَاتِ وَاعْتِقَادَ أَنَّهُمْ لاَ شُعُورَ لَهُمْ كَالأَمْوَاتِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}[1] مِنَ العُلُومِ المُنَاسِبَةِ لِمَقَامِ الشَّهَادَةِ. وَمِنْ هُنَا أَيْضًا يُعْلَمُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ. القَلِيل يَدُل عَلَى الكَثِيرِ وَالقَطْرَةُ تُنْبِئُ عَنِ الغَدِيرِ (ع)

وَعَامُ الرُّخْصِ يُعْلَمُ مِنْ رَبِيعٍ

وَكَذَلِكَ يَجِدُ أَرْبَابُ هَذَا المَقَامِ العَالِي أَفْعَالَ المَخْلُوقَاتِ كَالمَيِّتِ وَالجَمَادِ لاَ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَ أَفْعَالَهُمْ إِلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَيَقُولُونَ إِنَّ فَاعِل هَذِه الأَفْعَالِ هُوَ اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا مَثَلاً إِذَا حَرَّكَ شَخْصٌ حَجَرًا لاَ يُقَال إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ مُتَحَرِّكٌ

(١) ــ الآية: ٣٠ من سورة الزمر.

بَل هُوَ مُوجِدٌ للحَرَكَة فِي الحَجَرِ وَالْمُتَحَرِّكُ إِنَّمَا هُوَ الحَجَرُ وَكَمَا أَنَّ الحَجَرَ جَمَادٌ مَحْضٌ كَذَلِكَ حَرَكَتُهُ جَمَادٌ صِرْفٌ فَإِنَّ هَلَكَ بِتلكَ الحَرَكَة فَرْضًا شَخْصٌ لاَ يُقَال إِنَّهُ قَتَلَهُ حَجَرٌ بَل يُقَال قَتَلَهُ ذَلِكَ اَلشَّخْصُ اَلذِي حَرَّكَ الحَجَرَ. وَقَوْل عُلَمَاء اَلشَّرِيعَة شَكَرَ اَللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ، مُوَافِقٌ لِهَذَا العِلمِ فَإِنَّهُمْ يَقُولونَ: إِنَّ مَفْعُولَ المَخْلُوقَات مَصْنُوعُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَعَ وُجُود صُدُور الأَفْعَال عَنْهُمْ بِالإِرَادَة وَالاخْتِيَار وَلاَ مَدْخَل لأَفْعَالِهِمْ فِي مَصْنُوعِيَّته وَأَفْعَالُهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ حَرَكَات شَتَّى مِنْ غَيْر أَنْ يَكُونَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي فِي حُصُول المُرَاد، كَانَتْ تلكَ الإِرَادَةُ أَيْضًا كَالمَيِّت وَفَائِدَتُهَا إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ المُرَاد مَخْلُوقًا بَعْدَ تَحَقُّقِهَا بِطَرِيق جَرْي العَادَة.

وَلَوْ قِيل إِنَّ قُدْرَةَ المَخْلُوق مُؤَثِّرَةٌ وَلَوْ فِي الجُمْلَة كَمَا ذَهَبَ إِلَيْه عُلَمَاءُ مَا وَرَاءَ اَلنَّهْر. فَذَلِكَ اَلتَّأْثِيرُ أَيْضًا مَخْلُوقٌ فِيهَا كَمَا هِيَ مَخْلُوقَةٌ بِنَفْسِهَا فَفِي تَأْثِيرِهَا لاَ اخْتِيَارَ لَهُ أَصْلاً فَيَكُونُ تَأْثِيرُهَا أَيْضًا كَالجَمَاد. مَثَلاً إِذَا رَأَى شَخْصٌ حَجَرًا نَازِلاً مِنْ فَوْق بِتَحْرِيك مُحَرِّك وَأَهْلَكَ حَيَوَانًا فَكَمَا أَنَّ ذَلِكَ اَلشَّخْصَ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الحَجَرَ جَمَادٌ كَذَلِكَ يَعْتَقِدُ أَنَّ فِعْلَهُ اَلذِي هُوَ حَرَكَتُهُ جَمَادٌ وَيَعْتَقِدُ أَنَّ الأَثَرَ المُتَرَتِّبَ لِذَلِكَ الفِعْل أَعَنِي الهَلاَكَ أَيْضًا جَمَادٌ. فَالذَّوَاتُ وَالصِّفَاتُ وَالأَفْعَال كُلُهَا جَمَادَاتٌ مَحْضَةٌ وَأَمْوَاتٌ صِرْفَةٌ. فَهُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَهُوَ اَلسَّمِيعُ البَصِيرُ وَهُوَ العَلِيمُ الخَبِيرُ وَهُوَ الفَعَّال لِمَا يُرِيدُ: {قُل لوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَات رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْل أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِه مَدَدًا}[1] وَقَدْ كَثُرَتْ إِسَاءَةُ الأَدَب وَجَاوَزَ الانْبِسَاطُ الحَدَّ فَمَاذَا أَصْنَعُ فَإِنَّ جَمَال الكَلاَم اَلذِي هُوَ مِنَ الجَمِيل المُطْلَق أَوْرَدَنِي مَوْرِدَان يَظُنُّ أَنَّ الكَلاَمَ كُلمَا يَطُول يَزْدَادُ حُسْنًا وَكُلمَا يُقَال حَاكِيًا عَنْهُ يَكُونُ مِنَ اللَّذَّة وَالحَلاَوَة فِي المَقَام الأَسْنِيِّ، مَعَ أَنِّي لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي مُنَاسَبَةً لأَنْ أَتَكَلمَ مِنْ ذَلِكَ الجَنَاب أَوْ أَتَفَوَّهُ بِاسْمِه. شعْرٌ.

غَسَلتُ بِمَاءِ الوَرْدِ وَالمِسْكِ أَلفَ مـــ ـــرَّةٍ فِي بُعْدٍ لسْت أَهْلاً لِذِكْرِه

(ع):

عَلى المَرْءِ أَنْ لاَ يَجْهَل اَلدَّهْرَ طَوْرَهُ

وَالمَرْجُوُّ بَذْل اَلتَّوَجُّه وَالعِنَايَة وَمَا إِذَا أَعْرِضُ مِنْ سُوءِ أَحْوَالِي وَكُل مَا أَجِدُ فِي نَفْسِي فَهُوَ مِنْ عِنَايَات مَبْدَأ ذَلِكَ اَلتَّوَجُّه العَالِي وَإِلاَّ، (ع):

---

(١) ـــ الآية: ١٠٨ من سورة الكهف.

أَنَا ذَاكَ أَحْمَدُ لَمْ أَكُنْ مُتَغَيِّرًا

وَظَهَرَ للمَيَّان شَاه حُسَيْنٍ طَرِيقُ اَلتَّوْحِيد فَهُوَ الآنَ مَحْظُوظٌ به وَيَخْطُرُ فِي البَال إِخْرَاجُهُ منْهُ لِيَبْلغَ الحَيْرَةَ فَإِنَّهَا مَقْصُودَةٌ. وَمُحَمَّدٌ صَادقٌ لاَ يَقْدرُ أَنْ يَضْبطَ نَفْسَهُ لصغَرِه فَإِنْ كَانَ رَفِيقًا فِي اَلسَّفَرِ يَنَال تَرْقِيَات كَثِيرَةً. وَقَدْ كَانَ فِي سَيْرِ سَفْحِ الجَبَل رَفِيقًا فَنَال تَرَقِّيًا كَثِيرًا وَتَجَرَّعَ مِنْ بَحْرِ الحَيْرَةَ فَلَهُ مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ للفَقِير فِي الحَيْرَة. وَالشَّيْخُ نُورٌ أَيْضًا فِي ذَلكَ المَقَامِ وَقَدْ تَرَقَّى تَرَقِّيًا كَثِيرًا. وَمِنْ أَقْرِبَاءِ هَذَا الفَقِيرِ غُلاَمٌ لهُ حَال عَال جِدًّا قَرِيبٌ مِنَ اَلتَّجَلِيَاتِ البَرْقِيَّةِ بَل مُسْتَسْعِدٌ بِهَا.

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعَ عَشَرَ
فى تَفْوِيضِ بَعْضِ أَرْبَابِ الحَوَائِجِ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ الْمُكَرَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخَدَمَةِ: إِنَّهُ جَاءَ شَخْصٌ مِنَ العَسْكَرِ وَأَخْبَرَ أَنَّ مَبْلَغَ أَرْبَابِ وَظَائِفِ فُقَرَاءِ دهلى وسرهندَ - يَعْنِي وَظَائِفَهُمْ - قَدْ مُنِعَ وَأُحِيلَ عَلَى مُلَازِمِي العَتَبَةِ العَلِيَّةِ مِنْ أَجْلِ مَادَّةِ فَصْلِ الخَرِيفِ المَارِّ لِيُوصِلُوا إِلَى الْمُسْتَحِقِّينَ بَعْدَ اَلتَّحْقِيقِ الحَقِيقِ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ صَدَرَ الجَرَاءَةُ فَإِنْ كَانَ هَذَا الخَبَرُ صِدْقًا يُحَالُ عَلَى حَامِلِ العَرِيضَةِ أَلْفُ دِرْهَمٍ فَصْلَانَهُ بِاسْمِ اَلشَّيْخِ الحَافِظِ أَبِي الحَسَنِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَأَلْفُ دِرْهَمٍ فَصْلَانَهُ بِاسْمِ اَلشَّيْخِ الحَافِظِ شَاهْ مُحَمَّدٍ مِنْ وُكَلَاءِ اَلشَّيْخِ نَوَّابٍ الْمُقَرَّرَةِ وَهُمَا حَيَّانِ قَائِمَانِ لَيْسَ فِيهِمَا شَائِبَةُ اَلاشْتِبَاهِ وَقَدْ أَرْسَلَ كُلَ مِنْهُمَا وَكِيلَهُ الْمُعْتَمَدَ وَالْمُشَارَ إِلَيْهِمَا فِي سرهندَ.

اَلْمَكْتُوبُ العِشْرُونَ
فِي تَفْوِيضِ بَعْضِ أَرْبَابِ الحَوَائِجِ
كَتَبَهُ إِلَى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ أَيْضًا

عَرِيضَةُ أَحْقَرِ الخَدَمَةِ: أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ منَّا تَشْوِيشُ أَوْقَاتِ خَادِمِي العَتَبَةِ العَلِيَّةِ مُكَرَّرًا فِي بَابِ وَظَائِفِ وَالِدَةِ حَبِيبِ اللهِ السَّرْهَنْدِيِّ وَمَنْكُوحَتِهِ وَمَخَادِمِهَا أُخْرَى ممَّنْ ذُكِرُوا فِي ضِمْنِ العَرِيضَةِ. فَإِنْ كَانَ مَبْلَغُ وَظَائِفِ المُشَارِ إِلَيْهِمْ فِي دهلى فَأَمَرُوا مَوْلَانَا عَلَيًّا بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ وَقَدْ جَاءَ بَعْضُهُمْ بِطَرِيقِ الوَكَالَةِ وَبَعْضُهُمْ بِطَرِيقِ الأَصَالَةِ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَبْلَغُهُمْ فِي دهلى فَالمُشَارُ إِلَيْهِمْ أَحْيَاءٌ قَائِمُونَ يَلْتَمِسُونَ تَصْحِيحَ حِصَصِهِمْ وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ انْبِسَاطٌ.

اَلْمَكْتُوبُ الحادِيَ وَالعِشْرُونَ
فى بَيَان دَرَجَات الوِلاَيَة لاَ سيَّمَا الوِلاَيَة المُحَمَّدِيَّة
عَلى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ
وَمَدْحِ اَلطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَ أَهْلِهَا
وَعُلوِّ نِسْبَتِهِمْ وَفَضْلِهَا عَلى نَسَبِ سَائِرِ اَلطُّرُق
أَرْسَلَهُ إِلى اَلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ المَكِّي اِبْنِ الحَاجِّ مُوسَى القَارِي اللاهوري

وَصَلَ المَكْتُوبُ اَلشَّرِيفُ اَللطِيفُ إلى العَبْد اَلضَّعِيف اَلنَّحِيف. عَظَّمَ اَللهُ سُبْحَانَهُ أَجْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَتَقَبَّلَ عُذْرَكُمْ، بِحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ المُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتُ أَكْمَلهَا.

اعْلَمُوا إِخْوَانِي: أَنَّ المَوْتَ اَلذي قَبْلَ المَوْت المُعَبَّر عَنْهُ بالفَنَاء عِنْدَ أَهْل اَللهِ مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ لَمْ يَتَيَسَّرْ الوُصُول إلى جَنَاب القُدْسِ بَل لَمْ يُمْكِنْ اَلنَّجَاةُ عَنْ عِبَادَة المَعْبُودَات البَاطلة الأَفَاقِيَّة وَالآلهَة الهَوَائِيَّة الأَنْفُسِيَّة فَلَمْ يَتَحَقَّقْ حَقِيقَةُ الإِسْلاَمِ وَلَمْ يَتَيَسَّرْ كَمَال الإِيمَان فَكَيْفَ يَحْصُل اَلدُّخُول فِي زُمْرَة العِبَاد وَالوُصُول إلى دَرَجَة الأَوْتَاد مَعَ أَنَّ هَذَا الفَنَاءَ قَدَمٌ أَوَّل يُوضَعُ فِي أَطْوَارِ الوِلاَيَة وَكَمَال أَسْبَقُ يَحْصُل فِي البِدَايَة.

فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ مِنْ أَوَّل الوِلاَيَة حَال آخِرِهَا وَمِنْ بِدَايَتِهَا دَرَجَةُ نِهَايَتِهَا وَلِنِعْمَ مَا قِيل، (ع) :

وَقِسْ مِنْ حَال بُسْتَانِي رَبِيعِي

وَغَيْرُهُ:

وَعَامُ اَلرُّخْصِ يُعْلَمُ مِنْ رَبِيعِ

وَللوِلاَيَة دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْض. إِذْ عَلى قَدَمِ كُل نَبِيٍّ وِلاَيَةٌ خَاصَّةٌ بِهِ وَأَقْصَى دَرَجَاتِهَا هِيَ اَلتِي عَلى قَدَمِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ وَعَلى جَمِيعِ إِخْوَانِه مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ اَلتَّحِيَّات أَيْمَنُهَا إِذْ اَلتَّجَلي الذَّاتيُّ اَلذي لاَ اعْتِبَارَ فيه للأَسْمَاء وَالصِّفَات والشئون وَالاعْتِبَارَات لاَ بالإِيجَاب وَلاَ بالسَّلب مَخْصُوصٌ بِوِلاَيَتِه ﷺ.

وَخَرْقُ جَمِيعِ الحُجُب الوُجُودِيَّة وَالاعْتِبَارِيَّة علمًا وَعَيْنًا يَتَحَقَّقُ فِي هَذَا المَقَامِ فَيَحْصُل الوَصْل عُرْيَانًا وَيَتَحَقَّقُ الوَجْدُ حَقِيقَةً لاَ حُسْبَانًا. وَللكَمال مِنْ مُتَابِعِيهِ

عَلَيْه اَلصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ نَصِيبٌ كَامِل وَحَظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَا المَقَام العَزِيز وُجُودُهُ. فَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعه ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ إِنْ كُنْتُمْ مُتَوَجِّهِينَ إِلى تَحْصِيل هَذه الوِلَايَة القُصْوَى وَتَكْمِيل هَذه اَلدَّرَجَة العُلْيَا وَهَذَا اَلتَّجَلي الذَّاتيُّ بَرْقِيٌّ عِنْدَ أَكْثَرِ المَشَايِخ رَحِمَهُمُ اَللهُ تَعَالى يَعْنِي أَنَّ خَرْقَ الحُجُب عَنْ حَضْرَة اَلذَّات - جَل سُلطَانُهُ - يَكُونُ فِي زَمَان يَسِير كَالبَرْق ثُمَّ تُسْدَل حُجُبُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَيُسْتَرُ سَطَوَاتُ أَنْوَار اَلذَّات تَعَالى فَيَكُونُ الحُضُورُ الذَّاتيُّ لَمْحَةً كَالبَرْق، وَالغَيْبَةُ اَلذَّاتيَّةُ كَثِيرَةٌ جدًّا. وَعِنْدَ أَكَابِر المَشَايِخ النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ هَذَا الحُضُورُ الذَّاتيُّ دَائِميٌّ. وَلَا عِبْرَةَ عِنْدَهُمْ للحُضُور اَلزَّائِل اَلمُتَبَدِّل بالغيبَة فَيَكُونُ كَمَال هَؤُلَاء الأَكَابِر فَوْقَ جَمِيع الكَمَالَات وَنِسْبَتُهمْ فَوْقَ جَمِيع اَلنِّسَب كَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَاتهمْ: " إِنَّ نِسْبَتَنَا فَوْقَ جَمِيع اَلنِّسَب " وَأَرَادُوا بالنِّسْبَة الحُضُورَ الذَّاتيَّ الدَّائِميَّ. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلكَ أَنَّ اَلنِّهَايَةَ فِي طَرِيقَة هَؤُلَاء الكَمال مُنْدَرِجَةٌ فِي البِدَايَة وَاقْتِدَاؤُهُمْ فِي ذَلكَ بِصَحَابَة رَسُول اَللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ وَبَارَكَ وَكَرَّمَ فَإِنَّهُمْ فِي أَوَّل صُحْبَة اَلنَّبِيِّ عَلَيْه اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَالوا مَا يَتَيَسَّرُ فِي اَلنِّهَايَة وَذَلكَ بِانْدِرَاج اَلنِّهَايَة فِي البِدَايَة، فَكَمَا كَانَتْ وِلَايَةُ مُحَمَّد رَسُول اَللهِ - صَلى اَللهُ عَلَيْه وَآله وَسَلمَ - فَوْقَ وِلَايَات جَمِيع الأَنْبِيَاء وَالرُّسُل - عَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ - كَذَلكَ كَانَتْ وِلَايَةُ هَؤُلَاء الأَكَابِر فَوْقَ جَمِيع وِلَايَات الأَوْلِيَاء قَدَّسَ اَللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ كَيْفَ وَإِنَّ وِلَايَتَهُمْ مَنْسُوبَةٌ إِلى اَلصِّدِّيق الأَكْبَر نَعَمْ لأَفْرَاد مَنْ كَمَل المَشَايِخ قَدْ حَصَلَتْ هَذه اَلنِّسْبَةُ لكنْ بِاقْتِبَاس مِنَ اَلصِّدِّيق الأَكْبَر ــ رَضِيَ اَللهُ تَعَالى ــ عَنْهُ كَمَا أَخْبَرَ أَبُو سَعِيد عَنْ دَوَام هَذَا الحَدِيث وَقَدْ وَصَلَتْ جُبَّةُ اَلصِّدِّيق الأَكْبَر ــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ ــ إِلى هَذَا اَلشَّيْخ أَبي سَعِيد كَمَا نَقَل صَاحِبُ اَلنَّفَحَات.

وَالغَرَضُ مِنْ إِظْهَار بَعْض كَمَالَات هَذه اَلطَّرِيقَة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة تَرْغِيبُ اَلطُّلَّاب فِي هَذِه اَلطَّرِيقَة وَإِلَّا فَمَا لِي وَلشَرْح كَمَالَاتهَا قَال المولوى فِي المثنوى شِعْرٌ.

لَمْ يُنَاسِبْ شَرْحُهُ للخَلق بَل ... حَقَّ أَنْ يَخْفَى كَعِشْق فِي المَثَل
غَيْرَ أَنِّي صِفْتُهُ كَيْ يَرْغَبُوا ... فِيه قَبْل الفَوْت كَيْ لَا يَحْزَنُوا

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِر مَن اتَّبَعَ الهُدَى.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّانِي وَالعِشْرُونَ
أَرْسَل إِلى اَلشَّيْخِ عَبْد المَجيد بْنِ اَلشَّيْخِ مُحَمَّد المُفْتي اللاهوري
فى بَيَان وَجْه اَلتَّعَلق بَيْنَ اَلرُّوحِ وَالنَّفْسِ
وَبَيَان عُرُوجهمَا وَنُزُولهمَا
وَبَيَان الفَنَاء الجَسَديِّ والرُّوحيِّ وَبَقَائهمَا
وَبَيَان مَقَام اَلدَّعْوَة وَالفَرْق بَيْنَ المُسْتَهْلَكِينَ
وَمِنِ الأَوْلِيَاءِ وَالرَّاجِعِينَ إِلى اَلدَّعْوَة

سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَينَ اَلنُّور وَالظُّلمَة وَقَرَنَ اَللاَّمَكانيَّ المُتَبرِّي عَنِ الجهَة مَعَ المَكانيِّ الحَاصل في الجهَة فَحُبِّبَتْ اَلظُّلمَةُ إِلى اَلنُّور فَعَشقَ بهَا وَامْتَزَجَ مَعَهَا بكَمَال المَحَبَّة لِيَزْدَادَ بهَذَا اَلتَّعَلق جَلاَؤُهُ وَيَكْمُل بمُجَاوَرَة اَلظُّلمَة صَفَاؤُهُ كَالمرْآة إِذَا أُرِيدَ صقَالَتُهَا وَقُصدَ ظُهُورُ لطَافَتهَا تَربَتْ أَوَّلاً لِيَظْهَرَ بمُجَاوَرَة اَلظُّلمَة اَلتُّرَابيَّة صَفَاؤُهَا وَيَزْدَادَ بتَعَلق الكَثَافَة اَلطِّينيَّة بَهَاؤُهَا فَنَسيَ ذَلكَ اَلنُّورُ مَا حَصَل لهُ أَوَّلاً مِنْ شُهُوده القُدْسيِّ بَل جَهل نَفْسَهُ وَتَوَابعَهُ الوُجُوديَّةَ لاسْتغْرَاقه فِي شُهُود مَعْشُوقه الظُّلمانيِّ وَتَعَلقه بالهَيْكَل الهيولانى فَصَارَ مِنْ أَصْحَاب المَشْأَمَة فِي مُصَاحَبَته وَضَاعَ مِنْ كَرَامَات المَيْمَنَة فِي مُجَاوَرَته فَإِنْ بَقيَ فِي مَضيق هَذَا اَلاسْتغْرَاق وَلَمْ يَتخَلصْ إِلى فَضَاء الإِطْلاَق فَالوَيْل لهُ كُلَّ الوَيْل لَمَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لهُ مَا هُوَ المَقْصُودُ منْهُ وَضَاعَ جَوْهَرُ اسْتعْدَاده فَضَل ضَلاَلاً بَعيدًا وَإِنْ سَبَقَتْ لهُ الحُسْنَى وَأَدْرَكَتْهُ العنَايَةُ القُصْوَى رَفَعَ رَأْسَهُ وَتَذَكَّرَ مَا ضَل عَنْهُ فَرَجَعَ القَهْقَرَى قَائلاً شعْرًا:

إِلَيْك يَا مُنْيَتي حَجِّي وَمُعْتَمري إِنْ حَجَّ قَوْمٌ عَلى تَرب وَأَحْجَار

وَإِنْ حَصَل لهُ اَلاسْتغْرَاقُ ثانيًا فِي شُهُود المَطْلوب الأَقْدَس عَلى أَحْسَن طُرُق وَتَيَسَّرَ لهُ اَلتَّوَجُّهُ إِلى الجَنَاب المُقَدَّس بأَكْمَل وُجُوه تَبعَهُ اَلظُّلمَةُ ح وَانْدَرَجَتْ فِي غَلبَات أَدْوَاره، فَإِذَا بَلغَ هَذَا اَلاسْتغْرَاقُ إِلى أَنْ نَسيَ المُتَعلقُ الظُّلمَاني رَأْسًا وَجَهل نَفْسَهُ وَتَوَابعَ وُجُوده كُلِّيَّةً فَاسْتَهْلكَ فِي مُشَاهَدَة نُور الأَنْوَار، وَحَصَل لهُ حُضُورُ المَطْلوب وَرَاءَ الأَسْتَار، شُرِّفَ بالفَنَاء الجَسَديِّ والرُّوحيِّ وَإِنْ حَصَل هَل البَقَاءُ بذَلكَ المَشْهُود أَيْضًا بَعْدَ الفَنَاء فيه فَقَدْ تَمَّتْ لهُ جهَتَا الفَنَاء وَالبَقَاء وَصَحَّ ح إِطْلاَقُ اسْمِ الوِلاَيَة عَلَيْه.

فَحِينَئِذٍ لاَ يَخْلو حَاله مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الاسْتِغْرَاقُ فِي المَشْهُودِ بالكُلِيَّة وَالاسْتِهْلاَكُ فِيهِ عَلى الدَّوَام. وَإِمَّا الرُّجُوعُ إِلى دَعْوَةِ الخَلقِ إِلى الحَقِّ عَزَّ سُلطَانُهُ بأَنْ يَصِيرَ بَاطِنُهُ مَعَ الله سُبْحَانَهُ وَظَاهِرُهُ مَعَ الخَلقِ فَيَتَخَلصَ النُّورُ مِنَ الظُّلمَةِ المُنْدَرِجَةِ فِيهِ المُتَوَجِّهَةِ إِلى المَطْلوبِ، وَيَصِيرُ بِهَذَا التَّخلص مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ، وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لهُ فِي الحَقِيقَة يَمينٌ وَلاَ شمَال لكنَّ اليَمينَ أَوْلى بِحَالِهِ وَأَنْسَبُ لكَمَالِه، لجَامِعِيَّته الجِهَة الخَيْرِيَّةَ مَعَ اشْتِرَاكهمَا فِي اليُمْنِ وَالبَرَكَةِ كَمَا وَقَعَ فِي شَأْنِهِ عَزَّ شَأْنُه كِلتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ[1] وَتَنْزل تلكَ الظُّلمَةُ مِنْ ذَلكَ النُّورِ فِي مَقَام العِبَادَةِ وَأَدَاءِ الطَّاعَة. ونَعْنِي بِالنُّورِ اللاَّمَكانيِّ الرُّوحَ بَل خُلاَصَتَهُ وَبِالظُّلمَةِ المُقَيَّدَةِ بِالجِهَةِ النَّفْسَ. وَكَذَا المُرَادُ بِالظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ فَإِنْ قَال قَائِل: إِنَّ للأَوْلِيَاءِ المُسْتَهْلِكينَ أَيْضاً شُعُورًا بِالعَلم وَتَوَجُّهًا إِلَيْهِ وَاخْتِلاَطًا مَعَ بَنِي نَوْع فَمَا مَعْنَى الاسْتِهْلاَكِ وَالتَّوَجُّهِ عَلى الدَّوَام؟ وَمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المَرْجُوعينَ إِلى العَالم للدَّعْوَةِ؟

قُلْنَا: إِنَّ الاسْتِهْلاَكَ وَالتَّوَجُّهَ بِالكُلِيَّة عِبَارَةٌ عَنْ تَوَجُّهِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ مَعًا بَعْدَ انْدِرَاجِ النَّفْسِ فِي أَنْوَارِ الرُّوحِ كَمَا مَرَّتْ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

وَالشُّعُورُ بِالعَالم وَنَحْوِهِ إِنَّمَا يَكُونُ بالحَوَاسِّ وَالقُوَى وَالجَوارَح التِي هِيَ كَالتَّفَاصِيل للنَّفْسِ، فَالمُجْمَل المُلَخَّصُ مُسْتَهْلَكٌ فِي ضِمْنِ أَنْوَارِ الرُّوحِ فِي مُطَالَعَةِ المَشْهُودِ وَتَفْصِيلِهِ بَاقٍ عَلى الشُّعُورِ السَّابِقِ مِنْ غَيْرِ تَطَرُّقِ فُتُورٍ إِلَيْهِ، بِخلاَفِ المَرْجُوعِ إِلى العَالم فإِنَّ نَفْسَهُ بَعْدَ كَوْنِهَا مُطْمَئِنَّةً تَخْرُجُ مِنْ تِلكَ الأَنْوَارِ للدَّعْوَةِ وَتَحْصُل لهُ المُنَاسَبَةُ مَعَ العِلمِ فَتَقَعُ الدَّعْوَةُ بِتلكَ المُنَاسَبَةِ فِي مَعْرِضِ الإِجَابَة.

وأَمَّا بَيَانُ أَنَّ النَّفْسَ مُجْمَلةٌ وَالحَوَاسَّ وَنَحْوَهَا تَفَاصِيلها؛ فَلأَنَّ النَّفْسَ لَها تَعَلقٌ بِالقَلبِ الصُّنُوبَرِيِّ، وَهُوَ لهُ تَعَلقٌ بِالرُّوحِ بِتَوَسُّط الحَقِيقَةِ الجَامِعِيَّةِ القَلْبِيَّةِ وَالفُيوض الوَارِدَةِ مِنَ الرُّوحِ تَرِدُ إِجْمالاً أَوَّلاً عَلَيْهَا ثُمَّ بِتَوَسُّطِهَا إِلى سَائِرِ القُوَى وَالجَوَارِحِ تَفْصِيلاً فَخُلاَصَتُهَا مَوْجُودَةٌ فِي النَّفْسِ إِجْمَالاً فَظَهَرَ الفَرْقُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ الطَّائِفَةَ الأُولى مِنْ أَرْبَابِ السُّكْرِ، وَالثَّانِيَةِ مِنْ أَرْبَابِ الصَّحْوِ. وَالشُّرَافَةُ للأُولى وَالفَضِيلةُ للأُخْرَى. وَالمَقَامُ الأَوَّل مُنَاسِبٌ للوِلاَيَةِ وَالثَّانِي للنُّبُوَّة. شَرَّفَنَا اللَّهُ تَعَالى بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَثَبَّتَنَا عَلى كَمَال مُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ الله تَعَالى وَسَلاَمُهُ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمْ وَعَلى جَمِيعِ إِخْوانِه مِن المَلاَئِكَة المُقَرَّبِينَ وَالعِبَادِ الصَّالِحِينَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ آمِينَ. المُحَرِّرُ الدَّاعِي وَإِنْ لَمْ يُحْسِن العَرَبِيَّة لعَجْمِيَّتِهِ لكِنْ لمَّا كَانَ مَكْتُوبُهُمُ الشَّرِيفُ مُحَرَّرًا بِالكَلِمَاتِ العَرَبِيَّةِ أَمْلى القِرْطَاسَ عَلى نَحْوِ إِمْلاَئِهِم وَالسَّلاَمُ خِتَامُ الكَلاَمِ.

---

(١) ـ رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو والترمذي عن أبي هريرة بلفظ وكلتا يدي ربي يمين مباركة.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ

أَرْسَل إِلى عَبْد الرَّحِيمِ المُشْتَهِرِ بِخَان خَانَان[1]

فِي جَوَابِ كِتَابِه فِي المَنْعِ عَنْ أَخْذ الطَّرِيقِ مِنَ النَّاقِصِ وَبَيَانِ مَضَرَّتِه وَالمَنْعِ عَنِ الأَلقَابِ الشَّبِيهَةِ بِأَهْلِ الكُفْرِ

نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ المَقَالِ الخَالِي عَنِ الحَالِ وَالعِلمِ المُعَرَّى عَنِ الأَعْمَالِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المَبْعُوثِ إِلى الأَسْوَدِ وَالأَحْمَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتُ أَكْمَلُهَا وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا، بَلَغَ رِسَالَتَكُمْ الأَخُ الصَّالِحُ الصَّادِقُ تَبْلِيغًا وَحَكَى عَنْ جَنَابِكُمْ بِلِسَانِ التُّرْجُمَانِ مَا حَكَى فَأَنْشَدْتُ شِعْرٌ

أَهْلاً لِسَعْدِي وَالرَّسُولِ وَحَبَّذَا وَجْهُ الرَّسُولِ لِحُبِّ وَجْهِ المُرْسَلِ

اعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ القَابِلُ لِظُهُورِ الكَمَالاَتِ أَظْهَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِعْلَكُمْ مِنَ القُوَّةِ: إِنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَزْرَعْ فِيهَا وَعَطَّلَ أَرْضَ الاِسْتِعْدَادِ وَأَضَاعَ بَذْرَ الأَعْمَالِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ إِضَاعَةَ الأَرْضِ وَتَعْطِيلَهَا إِمَّا بِأَنْ لاَ يَزْرَعَ فِيهَا شَيْئًا، أَوْ أَنْ يُلقِيَ فِيهَا بَذْرًا خَبِيثًا فَاسِدًا وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الإِضَاعَةِ أَشَدُّ مَضَرَّةً وَأَكْثَرُ فَسَادًا مِنَ القِسْمِ الأَوَّلِ، كَمَا لاَ يَخْفَى وَخُبْثُ البَذْرِ وَفَسَادُهُ بِأَنْ يَأْخُذَ الطَّرِيقَ مِنَ السَّالِكِ النَّاقِصِ وَيَسْلُكَ مَسْلَكَهُ لأَنَّ النَّاقِصَ صَاحِبُ هَوًى مُتَّبِعٌ وَمَا يَشُوبُ بِالهَوَى لاَ يُؤَثِّرُ وَإِنْ أَثَّرَ أَعَانَ عَلَى الهَوَى، فَيَحْصُلُ ظُلْمَةٌ عَلَى ظُلْمَةٍ لأَنَّ النَّاقِصَ لاَ يُمَيِّزُ بَيْنَ الطُّرُقِ المُوَصِّلَةِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ الطُّرُقِ الَتِي لاَ تُوَصِّلُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ إِذْ هُوَ غَيْرُ وَاصِلٍ قَطُّ، وَكَذَا لاَ يُمَيِّزُ بَيْنَ الاِسْتِعْدَادَاتِ المُخْتَلِفَةِ لِلطَّلَبَةِ وَإِذَا لَمْ يُمَيِّزْ طُرُقَ الجَذْبَةِ عَنْ طُرُقِ السُّلُوكِ فَرُبَّمَا يَكُونُ اسْتِعْدَادُ الطَّالِبِ مُنَاسِبًا لِطَرِيقِ الجَذْبَةِ غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِطَرِيقِ السُّلُوكِ ابْتِدَاءً وَالنَّاقِصُ لِعَدَمِ تَمْيِيزِهِ بَيْنَ الطُّرُقِ وَبَيْنَ الاِسْتِعْدَادَاتِ المُخْتَلِفَةِ يَسْلُكُهُ طَرِيقُ السُّلُوكِ ابْتِدَاءً فَأَضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ كَمَا ضَلَّ. فَالشَّيْخُ الكَامِلُ المُكَمِّلُ إِذَا أَرَادَ تَرْبِيَةَ هَذَا الطَّالِبِ وَتَسْلِيكَهُ احْتَاجَ أَوَّلاً إِلى إِزَالَةِ مَا أَصَابَ مِنَ السَّالِكِ النَّاقِصِ وَإِصْلاَحِ مَا فَسَدَ بِسَبَبِهِ، ثُمَّ أَلْقَى البَذْرَ الصَّالِحَ المُنَاسِبَ

---

(١) — تراجع ترجمة الشيخ حبيب الله جان جانان في الأنوار القدسية ص ٢٠٢.

لاسْتِعْدَاده فِي أَرْضِ الاسْتِعْدَاد فَيُنْبِتُ نَبَاتًا حَسَنًا {وَمَثَل كَلِمَة خَبِيثَة كَشَجَرَة خَبِيثَة اُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْق الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَار}(١) {وَمَثَل كَلِمَة طَيِّبَة كَشَجَرَة طَيِّبَة أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء}(٢) فَصُحْبَةُ الشَّيْخِ الكَامِل المُكَمَّل كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ، نَظَرُهُ دَوَاءٌ وَكَلِمَاتُهُ شِفَاءٌ، وَبِدُونِهَا خَرْطُ القَتَاد وَثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا أَفْضَل السَّلاَم وَالتَّحِيَّة إِذْ هُوَ مِلاَكُ الأَمْرِ وَمَدَارُ النَّجَاة وَمَنَاطُ السَّعَادَة وَلِنِعْمَ مَا قِيل بِالفَارِسِيَّة. شِعْرٌ.

مُحَمَّدٌ عَرَبِيٌّ كابروى هرد وسراست كسيكه خاك درش نيست خاك برسراو

تَرْجَمَتُهُ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيِّينَ مِنْ عَرَب تَعْسًا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَابِه التُّرْبَا

وَلِنَخْتِمِ المَقَالَةَ عَلى صَلَوَات سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَتَسْلِيمَاتِه وَتَحِيَّاتِه وَبَرَكَاتِه التَّتِمَّة.

وَالعَجَبُ كُل العَجَب أَنَّ الأَخَ الصَّادِقَ قَدْ نَقَل أَنَّ مِنْ جُلَسَائِهِمْ مِنَ الشُّعَرَاء الفُضَلاَء مَنْ يُلَقَّبُ فِي الشِّعْرِ بِالكفرى وَالحَال أَنَّهُ مِنَ السَّادَات العِظَام وَالنُّقَبَاء الكِرَام. فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَا حَمَلَهُ عَلى اخْتِيَار هَذَا الاسْم الشَّنِيع. البَيِّن شَنَاعَتُهُ. وَالمُسْلِمُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ هَذَا الاسْم زِيَادَةً مَا يَفِرُّ مِنَ الأَسَد المُهْلِك، وَيَكْرَهُهُ كُل الكَرَاهَة ؛ لأَنَّ هَذَا الاسْمَ وَمُسَمَّاهُ مَبْغُوضَان عَلى اللهِ تَعَالى وَرَسُوله - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالمُسْلِمُونَ مَأْمُورُونَ بِعَدَاوَة أَهْل الكُفْر وَالغِلْظَة عَلَيْهِمْ فالتَّحَاشِي عَنْ مِثْل هَذَا الاسْم القَبِيح وَاجِبٌ، وَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَات بَعْض المَشَايِخ - قُدِّسَ سِرُّهُمْ - فِي غَلَبَات السُّكْر مِنْ مَدْح الكُفْر وَالتَّرْغِيب فِي شَدِّ الزُّنَّار وَأَمْثَال ذَلِكَ، فَمَصْرُوفٌ عَنِ الظَّاهِر وَمَحْمُول عَلى التَّأْوِيل. فَإِنَّ كَلاَمَ السَّكَارَى يُحْمَل وَيُصْرَفُ عَنِ الظَّاهِر المُتَبَادِر فَإِنَّهُمْ مَعْذُورُونَ بِغَلَبَة السُّكْر فِي ارْتِكَاب هَذه المَحْظُورَات، مَعَ أَنَّ كُفْرَ الحَقِيقَة أَنْقَصُ بِالنِّسْبَة إِلى إِسْلاَم الحَقِيقَة عِنْدَ أَكَابِر هَؤُلاَء القَوْم، وَغَيْرُ السَّكَارَى غَيْرُ مَعْذُور فِي تَقْلِيدِهِمْ لاَ عِنْدَهُمْ وَلاَ عِنْدَ أَهْل الشَّرْع لأَنَّ لِكُل شَيْءٍ مَوْسِمًا وَوَقْتًا خَاصًّا صَلَحَ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي ذَلِكَ المَوْسِمِ وَقَبُحَ فِي مَوْسِمٍ

---

(١) ــ الآية: ٢٦ من سورة إبراهيم.

(٢) ــ الآية: ٢٤ من سورة إبراهيم.

آخَرَ، وَالعَاقل لاَ يَقيسُ أَحَدَهُمَا عَلى الآخَرِ فَالتَمسُوهُ مِنْ قَبْل أَنْ يُغَيِّرَ هَذا الاسْمَ وَيُبَدِّلَهُ بِاسْمٍ خَيْرٍ مِنْهُ وَيُلقَّبَ بِالإسلاَمِيِّ، فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِحَال المُسْلِمِ وَمَقَاله، وَانْتِسَابٌ إِلى الإِسْلاَمِ اَلذي هُوَ اَلدِّينُ المَرْضِيُّ عِنْدَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَعِنْدَ اَلرَّسُول عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَاجْتِنَابٌ عَنِ اَلتُّهْمَة اَلتِي أَمَرَنَا بِاتِّقَائِهَا " اتَّقُوا مَوَاضِعَ اَلتُّهَمِ ". كَلاَمٌ صَادِقٌ لاَ غُبَارَ عَلَيْه قَال سُبْحَانَهُ: {وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ}[1] {وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2].

(١) ــ الآية: ٢٢١ من سورة البقرة.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ
أَرْسَل إلى مُحَمَّد قليج خَانَ
فِي بَيَان أَنَّ الصُّوفِيَّ كَائِنٌ بَائِنٌ
وَأَنَّ تَعَلقَ القَلب لاَ يَكُونُ بِأَكْثَرِ مِنْ وَاحِد
وَأَنَّ ظُهُورَ المَحَبَّة اَلذَّاتيَّة يَسْتَلزِمُ اسْتوَاءَ الإِيلاَمِ وَالإِنْعَامِ مِنَ المَحْبُوب
وَالفَرْقُ بَيْنَ عِبَادَة اَلْمُقَرَّبِينَ وَعِبَادَة الأَبْرَارِ
وَكَذَا بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ المُسْتَهْلكِينَ وَبَيْنَ الأَوْلِيَاءِ المَرْجُوعِينَ إِلى دَعْوَة الخَلقِ

سَلمَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ بِحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ والتَّسْليمَاتُ: " المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ "(١) فَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يُبْقِ لِقَلبه حُبًّا إلاَّ مَعَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَلَمْ يُرِدْ إلاَّ وَجْهَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَيَكُونُ هُوَ مَعَ اَللهِ - جَلَ سُلطَانُهُ - وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهره منَ الخَلق وَاشْتَغَل بِهِمْ صُورَةً. وَهُوَ شَأْنُ الصُّوفِيِّ الكَائنِ البَائنِ أَيْ الكَائنُ مَعَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَالبَائنُ منَ الخَلق حَقيقَةً، أَوْ المُرَادُ الكَائنُ مَعَ الخَلق صُورَةً وَالبَائنُ مِنْهُمْ حَقيقَةً وَالقَلبُ لاَ تَتَعَلقُ مَحَبَّتُهُ بِأَكْثَرَ مِنْ وَاحد فَمَا لَمْ يَزَل اَلتَّعَلقُ الحُبِّيُّ بِذَلكَ الوَاحد لَمْ يَتَعَلقْ بِمَا سِوَاهُ مَحَبَّتُهُ وَمَا يُرَى مِنْ كَثْرَة مُرَادَاته وَتَعَلقِ مَحَبَّته بِالأَشْيَاءِ المُتَكَاثِرَة كَالمَال وَالوَلَد وَالرِّيَاسَة وَالمَدْحِ وَالرِّفْعَة عِنْدَ اَلنَّاس،

---

(١) ــ **متفق عليه**: وأخرجه البخاري في كتاب الأدب باب: علامة حب الله عز وجل، ومسلم في كتاب البر والصلة باب: المرء مع من أحب، وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب: إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه وأحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، من حديث عبد الله بن مسعود.

وأخرجه الدارمي في كتاب المقدمة من سننه: باب في اجتناب الأهواء موقوفا على علي بن أبي طالب أنه قال: " كُونُوا فِي النَّاس كَالنَّحْلَة فِي الطَّيْر إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الطَّيْر شَيْءٌ إِلاَّ وَهُوَ يَسْتَضْعفُهَا وَلَوْ يَعْلَمُ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَافهَا مِنَ الْبَرَكَة لَمْ يَفْعَلُوا ذَلكَ بهَا خَالطُوا النَّاسَ بِأَلْسنَتكُمْ وَأَجْسَادكُمْ وَزَايلُوهُمْ بِأَعْمَالكُمْ وَقُلُوبكُمْ فَإِنَّ لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ وَهُوَ يَوْمَ الْقيَامَة مَعَ مَنْ أَحَبَّ ".

وأخرج الترمذي وابن حبان وابن مردويه عن صفوان بن عسال ــ رضي الله عنه ــ أن رجلا من أهل البادية أتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجعل يناديه بصوت له جهوريٍّ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْنَا: وَيْحَكَ ! أَخْفضْ مِنْ صَوْتكَ؛ فَإِنَّكَ قَدْ نُهيتَ عَنْ هَذَا، قَالَ: لاَ وَاللهِ حَتَّى أَسْمَعَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ــ: هَاؤُمْ، قَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً يُحبُّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، قَالَ: " المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ".

فَثَمَّةَ أَيْضًا لاَ يَكُونُ مَحْبُوبُهُ إِلاَّ واحدًا وَهُوَ نَفْسُهُ وَمَحَبَّةُ هَؤُلاَءِ فَرْعُ مَحَبَّته لنَفْسه. فَإِنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ لاَ يُرِيدُهَا إِلاَّ لنَفْسه لاَ لأَنْفُسِهِمْ. فَإِذَا زَالتْ مَحَبَّتُهُ لنَفْسه زَالَتْ مَحَبَّتُهُمْ بالتَّبَعيَّة أَيْضًا، فَلهَذَا قيل: إنَّ الحجَابَ بَيْنَ العَبْد وَالرَّبِّ هُوَ نَفْسُ العَبْد لاَ العَالَمُ، فَإِنَّ العَالَمَ في نَفْسه غَيْرُ مُرَاد للعَبْد حَتَّى يَكُونَ حجَابًا وَإِنَّمَا مُرَادُ العَبْد هُوَ نَفْسُهُ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ الحجَابُ هُوَ العَبْدُ لاَ غَيْرُ. فَمَا لَمْ يَخْل العَبْدُ عَنْ مُرَاد نَفْسه كُليَّةً لاَ يَكُونُ الرَّبُّ مُرَادَهُ وَلاَ يَسَعُ قَلْبُهُ مَحَبَّتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

وَهَذه الدَّوْلَةُ القُصْوَى لاَ تَتَحَقَّقُ إلاَّ بَعْدَ الفَنَاء المُطْلق المَنُوط بالتَّجَلي الذَّاتيِّ، فَإِنَّ رَفْعَ الظُّلمَات رَأْسًا لاَ يُتَصَوَّرُ إلاَّ بطُلوع الشَّمْس بَازغَةً. فَإِذَا حَصَلَتْ تلكَ المَحَبَّةُ المُعَبَّرُ عَنْهَا بالمَحَبَّة الذَّاتيَّة اسْتَوَى عنْدَ المُحبِّ إنْعَامُ المَحْبُوب وَإِيلاَمُهُ فَحَصَلَ الإِخْلاَصُ فَلاَ يَعْبُدُ رَبَّهُ الإِلهَ لاَ لأَجْل نَفْسه منْ طَلَب الإِنْعَام وَدَفْع الإِيلاَم لأَنَّهُمَا عنْدَهُ سَوَاءٌ. وَهَذه مَرْتَبَةُ المُقَرَّبينَ فَإِنَّ الأَبْرَارَ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ اللهَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَهُمَا رَاجعَان إلى نَفْسهمْ لعَدَم فَوْزهمْ بسَعَادَة المَحَبَّة الذَّاتيَّة فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ حَسَنَاتُ الأَبْرَار سَيِّئَات المُقَرَّبينَ فَحَسَنَاتُ الأَبْرَار حَسَنَاتٌ منْ وَجْه وَسَيِّئَاتٌ منْ وَجْه وَحَسَنَاتُ المُقَرَّبينَ حَسَنَاتٌ مَحْضَةٌ نَعَمْ منَ المُقَرَّبينَ بَيْنَ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ خَوفًا وطَمَعًا أَيْضًا بَعْدَ تَحَقُّقهم بالبَقَاء الأَكْمَل وَتَنَزُّلُهُمْ بعَالم الأَسْبَاب لكنَّ خَوْفَهُمْ وَطَمَعَهُمْ غَيْرُ رَاجعَيْن إلى أَنْفُسهمْ بَل إِنَّمَا يَعْبُدُونَ طَمَعًا في رضَائه سُبْحَانَهُ وخَوفًا منْ سَخَطه تَعَالى.

وَكَذَا إِنَّمَا يَطْلُبُونَ الجَنَّةَ لأَنَّهَا مَحَل رضَائه تَعَالى لاَ لحُظُوظ أَنْفُسهمْ، وَإِنَّمَا يَسْتَعيذُونَ منَ النَّار لأَنَّهَا مَحَل سَخَطه تَعَالى لاَ لدَفْع الإِيلاَم عَنْ أَنْفُسهمْ ؛ لأَنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابرَ مُحَرَّرُونَ عَنْ رقِّيَّة الأَنْفُس وَصَارُوا خَالصينَ للهِ سُبْحَانَهُ.

وَهَذه الرُّتْبَةُ أَعْلى منْ بَيْن رُتَب المُقَرَّبينَ وَلصَاحب هَذه المَرْتَبَة نَصيبٌ تَامٌّ منْ كَمَالاَت مَقَام النُّبُوَّة بَعْدَ تَحَقُّقه بمَرْتَبَة الولاَيَة الخَاصَّة. وَمَنْ لَمْ يَنْزل إلى عَالم الأَسْبَاب فَهُوَ منَ الأَوْليَاء المُسْتَهْلكينَ، فَلاَ نَصيبَ لهُ منْ كَمَالاَت مَقَام النُّبُوَّة فَلاَ يَكُونُ أَهلاً للتَّكْميل بخلاَف الأَوَّل. رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مَحَبَّةَ هَؤُلاَءِ الأَكَابر بحُرْمَة سَيِّد البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله وَأَتْبَاعه منَ الصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا فَإِنَّ المَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ
أَرْسَلَ إِلى خواجهْ جِهَان
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَمُتَابَعَةِ الخُلَفَاءِ اَلرَّاشِدِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَتَمُّهَا

سَلَمَ اَللهُ تَعَالى قَلبَكُمْ وَشَرَحَ صُدُورَكُمْ وَزَكَّى أَنْفُسَكُمْ وَأَلاَنَ جلدَكُمْ كُل ذَلكَ بَل جَمِيعُ كَمَالاَتِ اَلرُّوحِ وَالسِّرِّ والخَفَى وَالأَخْفَى مَنُوطٌ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا ومِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا فَعَلَيْكُمْ بِمُتَابَعَتِه وَمُتَابَعَةِ خُلَفَائِه اَلرَّاشِدِينَ الهَادِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِه، فَإِنَّهُمْ نُجُومُ الهِدَايَةِ وَشُمُوسُ الوِلاَيَةِ، فَمَنْ شَرُفَ بِمُتَابَعَتِهِمْ فَقَدْ فَازَ فَوزًا عَظِيمًا وَمَنْ جُبِل عَلى مُخَالفَتِهِمْ فَقَدْ ضَل ضلالاً بعيدًا. البَقِيَّةُ مِنَ المَقْصُودِ إِظْهَارُ اَلاضْطِرَارِ وَضِيقِ المَعِيشَةِ بَنِي المَرْحُومِ اَلشَّيْخِ سُلطَانٍ فَالمُلتَمَسُ مِنْ جَنَابِكُمْ مَدَدُهمْ وَإِعَانَتُهمْ فَإِنَّكُمْ حَرِيُّونَ بِذَلكَ،

بَل مُوَفَّقُونَ لقَضَاءِ حَوَائِجِ اَلنَّاسِ طُرًّا زَادَ اَللهُ تَعَالى تَوْفِيقَكُمْ وَجَعَل الخَيْرَ رَفِيقَكُمْ. {وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالعِشْرُونَ
أَرْسَلَ إِلَى اَلشَّيْخِ العَالِمِ مَوْلاَنَا الحَاجِّ مُحَمَّد اللاهوري[1]
فِي بَيَانِ أَنَّ اَلشَّوْقَ يَكُونُ لِلأَبْرَارِ دُونَ المُقَرَّبِينَ مَعَ عُلومٍ تُنَاسِبُ هَذَا المَقَامَ

ثَبَّتَنَا اَللهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ عَلَى جَادَّةِ اَلشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ " أَلاَ طَالَ شَوْقُ الأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي وَأَنَا إِلَيْهِمْ لاَشَدُّ شَوْقًا "[2].

أَثْبَتَ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلشَّوْقَ لِلأَبْرَارِ لأَنَّ المُقَرَّبِينَ الوَاصِلِينَ لاَ شَوْقَ لَهُمْ، لأَنَّ اَلشَّوْقَ يَقْتَضِي الفَقْدَ وَالفَقْدُ فِي حَقِّهِمْ مَفْقُودٌ، أَلاَ يُرَى أَنَّ اَلشَّخْصَ لاَ يَشْتَاقُ إِلَى نَفْسِه مَعَ إِفْرَاطِه فِي حُبِّه لعَدَمِ تَحَقُّقِ الفَقْدِ فِي حَقِّه فَالمُقَرَّبُ الوَاصِلُ الباقِي بِاللهِ سُبْحَانَهُ الفَانِي عَنْ نَفْسِه حُكْمُهُ كَحَالِ اَلشَّخْصِ مَعَ نَفْسِه. فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ المُشْتَاقُ إِلاَّ الأَبْرَارَ لأَنَّهُ مُحِبٌّ فَاقِدٌ. وَنَعْنِي بِالأَبْرَارِ غَيْرُ المُقَرَّبِ الوَاصِلِ سَوَاءٌ كَانَ فِي اَلابْتِدَاءِ أَوْ فِي الوَسَطِ، وَلَوْ بَقِيَ مِنْهُ مِقْدَارُ خَرْدَلَةٍ وَلَنَعْمَ مَا قِيلَ فِي اَلشِّعْرِ الفَارِسِيِّ:

فَرَاق دوست اكراند كست اندك نيست درون ديده اكرنيم موست بسيارست

يَعْنِي

وَمَا قَلَّ هِجْرَانُ الحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا قَلِيلاً وَنِصْفُ اَلشَّعْرِ فِي العَيْنِ ضَائِرُ

نُقِلَ عَنِ اَلصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ ــ أَنَّهُ رَأَى قَارِئًا يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَبْكِي فَقَالَ: هَكَذَا كُنَّا نَفْعَلُ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُنَا. هَذَا مِنْ قَبِيلِ المَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ

---

(١) ــ **محمد بن عبد الله بن محمد بن جمعة اللاهوري**: صنف مبهج النفوس ومبلج العبوس في نوادر الحكايات، فرغ من جمعه وكتابته سنة: ١١٢٥ هـ.

(٢) ــ **لا أصل له**: ذكره في الإحياء بلفظ لقد طال شوق الأبرار الخ قال العراقي في تخريجه: لم أجد له أصلاً إلا أن صاحب الفردوس ذكره من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند الفردوس سنده، وقال الشيخ الأكبر في موضع من فتوحاته: " وقد ورد خبر لا علم لي بصحته أن الله ذكر المشتاقين إليه وقال عن نفسه: إنه أشد شوقاً إليهم " ولا علم لي به من الكشف ولا من رواية صحيحة إلا أنه مذكور مشهور " انتهى ملخصا، ولكن معناه صحيح مطابق لحديث: " من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً " الحديث.

الذَّمِّ. وَسَمِعْتُ شَيْخِي ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ يَقُول: إِنَّ الْمُنْتَهَى الوَاصِل رُبَّمَا يَتَمَنَّى الشَّوْقَ وَالطَّلَبَ الذي كَانَ لَهُ فِي الابْتِدَاء. وَلِرَفْعِ الشَّوْقِ مَقَامٌ آخَرُ أَكْمَل مِنَ الأَوَّل وَأَتَمُّ وَهُوَ مَقَامُ اليَأْسِ وَالعَجْزِ عَنِ الإِدْرَاكِ فَإِنَّ الشَّوْقَ يُتَصَوَّرُ فِي الْمُتَوَقَّع، فَحَيْثُ لاَ تَوَقُّعَ لاَ شَوْقَ. وَإِذَا رَجَعَ هَذَا الكَامِل البَالِغُ نِهَايَةَ الكَمَال إِلى العَالَم رُجُوعَ القَهْقَرَى لاَ يَعُودُ إِلَيْهِ الشَّوْقُ أَيْضاً مَعَ وُجُودِ الفَقْدِ بِالرُّجُوع؛ لأَنَّ زَوَال شَوْقِهِ مَا كَانَ لزَوَال الفَقْدِ بَل لحُصُول اليَأْس، وَهُوَ مَوْجُودٌ بَعْدَ الرُّجوعَ أَيْضاً بِخِلافِ الكَامِلِ الأَوَّل فإِنَّه يَعُودُ إِلَيْهِ الشَّوْقُ بِرُجُوعِهِ إِلى العَالم لحُصُول الفَقْدِ الذي زَال مِنْ قَبْلِ. فَحِينَ وُجِدَ الفَقْدُ بالرُّجُوع حَصَل الشَّوْقُ الذي زَال بِزَوَالِه.

لاَ يُقَال إِنَّ مَرَاتِبَ الوُصُول لاَ تَنْقَطِعُ أَبَدَ الآبِدِينَ فَيُتَوَقَّعُ بَعْدَ تلكَ المَرَاتب فَيُتَصَوَّرُ الشَّوْقُ؛ لأَنَّا نَقُول: عَدَمُ انْقِطَاعِ مَرَاتِبِ الوُصُول مَبْنِيٌّ عَلى السَّيْرِ التَّفْصِيليِّ الوَاقِعِ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ. وَهَذَا السَّالكُ لاَ يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّه نِهَايَةٌ وَلاَ يَزُول عَنْهُ الشَّوْقُ أَبَدًا. وَمَا نَحْن بِصَدَدِهِ هُوَ الْمُنْتَهَى الوَاصِل الذي قَطَعَ تِلكَ المَرَاتِبَ بِطَرِيقِ الإِجْمَال، وَانْتَهَى إِلى مَا لاَ يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ وَلاَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِإِشَارَةٍ. فَلاَ يُتَصَوَّرُ ثَمَّةَ تَوَقُّعٌ أَصْلاً، فَلاَ جَرَمَ يَزُول عَنْهُ الشَّوْقُ وَالطَّلبُ. وَهَذَا حَال الخَوَاصِّ مِنَ الأَوْلِيَاءِ لأَنَّهُمْ هُمُ الذِينَ عَرَجُوا عَنْ ضِيقِ الصِّفَاتِ وَوَصَلوا إِلى حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، بُخلاَفِ السَّالِكِينَ فِي الصِّفَاتِ مُفَصَّلاً وَالسَّائِرِينَ في الشُّئونَات مُرَتَّبًا، فَإِنَّهُمْ مَحْبُوسُونَ فِي التَّجلِيَاتِ الصِّفَاتِيَّة أَبَدَ الآبِدِينَ. وَمَرَاتِبُ الوُصُولِ فِي حَقِّهِمْ لَيْسَتْ إِلاَّ الوُصُول إِلى الصِّفَاتِ. وَالعُرُوجُ إِلى حَضْرَةِ الذَّاتِ لاَ يُتَصَوَّرُ إِلاَّ بِالسَّيْرِ الإِجْمالِيِّ فِي الصِّفَاتِ وَالاعْتِبَارَاتِ. ومِنْ وَقْعِ سَيْرِهِ فِي الأَسْمَاءِ بالتَّفْصِيل حَبْسٌ في الصِّفَاتِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَلَمْ يَزَل مِنْهُ الشَّوْقُ وَالطَّلَبُ وَلَمْ يُفَارِقْ عَنْهُ الوَجْدُ وَالتَّوَاجُدُ فَأَصْحَابُ الشَّوْقِ وَالتَّوَاجُدِ لَيْسُوا إِلاَّ أَصْحَابَ التَّجلِيَاتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَلَيْسَ مِنَ التَّجلِيَاتِ الذَّاتِيَّة لَهُمْ نَصِيبٌ مَا دَامُوا فِي الشَّوْقِ وَالوَجْدِ.

فَإِنْ قَال قَائِل: مَا مَعْنَى الشَّوْقِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَيْسَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَفْقُودٌ شَيْئاً؟ قُلتُ: ذِكْرُ الشَّوقِ ههنا يَحْتَمِل أَنْ يَكُونَ مِنْ قبيل صَنْعَةِ الْمُشَاكَلَة وذِكْرُ الشِّدَّة فِيهِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ كُل مَا يُنْسَبُ إِلى العَزِيزِ الجَبَّارِ فَهُوَ شَدِيدٌ وَغَالبٌ عَلى مَا يُنْسَبُ إِلى العَبْدِ الضَّعِيفِ. هَذَا الجَوَابُ عَلى طَرِيقَةِ العُلَمَاءِ. وَلِلعَبْدِ الضَّعِيفِ فِي جَوَابِهِ وُجُوهٌ أُخرُ تُنَاسِبُ طَرِيقَةَ الصُّوفِيَّةِ. ولَكِنَّ تِلكَ الأَجْوِبَةَ تَقْتَضِي نَحْوًا مِنَ السُّكْرِ وَبِدُونِ السُّكْرِ لاَ تُسْتَحْسَنُ بَل لاَ تَجُوزُ، لأَنَّ السَّكَارَى مَعْذُورُونَ وَأَرْبَابَ الصَّحْوِ مَسْئُولون. وَحَالي الآنَ الصَّحْوُ الصَّرْفُ فَلاَ يَلِيقُ بِحالي ذِكْرُهَا هَذَا.

الحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلاً وَآخِرًا وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى نَبِيِّه دَائِمًا وسَرْمدًا.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِع وَالعِشْرُونَ
إلى خواجهْ عَمِّكَ
فِي بَيَان مَدْحِ اَلطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة
وَعُلوِّ نِسْبَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ

اَلحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده اَلذينَ اصْطَفَى: وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ المُرْسَل إلى هَذَا المُخْلص عَلى وَجْه الكَرَم وَصَارَ بَاعِثًا عَلى اَلابْتِهَاج وَالسُّرُور، وَالمَرْجُوُّ سَلاَمَتُكُمْ وَلاَ أُرِيدُ أَنْ أُصَدِّعَكُمْ بِغَيْر مَدْح هَذه اَلسِّلسلة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ، قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَات أَكَابِر هَذه اَلسِّلسلة العَلِيَّة – قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ – أَنَّ نسْبَتنَا فَوْقَ جَمِيع اَلنِّسَب " وَأَرَادُوا بِتلكَ اَلنِّسْبَة الحُضُورَ وَالشُّعُورَ. وَالحُضُورُ المُعْتَبَرُ عِنْدَهُمْ إِنَّمَا هُوَ حُضُورٌ بِلاَ غَيْبَة. وَقَدْ عَبَّرُوا عَنْهُ بيادداشت. فَتَكُونُ نِسْبَةُ هَؤُلاَءِ الأَعِزَّة عِبَارَةً عَنْ يادداشت وياددَاشت، اَلذي تَقَرَّرَ فِي فَهْمِ هَذَا الفَقِير القَاصِر مَبْنِيٌّ عَلى هَذَا اَلتَّفْصيل، وَهُوَ أَنَّ اَلتَّجَلِيَ الذَّاتِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُور حَضْرَة اَلذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ. وَحُضُورُهُ تَعَالى بِلاَ مُلاَحَظَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشئون وَالاعْتِبَارَات. وَقَالوا لهَذَا اَلتَّجَلي تَجَلِيًا بَرْقِيًّا، يَعْنِي يَتَحَقَّقُ ارْتِفَاعُ الشئون وَالاعْتِبَارَات لَمْحَةً يَسيرَةً ثُمَّ تُسْدَل حُجُبُ الشئون وَالاعْتِبَارَات وَتَتَوَارَى حَضْرَةُ اَلذَّات. فَعَلى هَذَا اَلتَّقْدير لاَ يُتَصَوَّرُ حُضُورٌ بِلاَ غَيْبَة بَل الحُضُورُ لَمْحَةٌ يَسيرَةٌ وَالغَيْبَةُ دَائِمَةٌ وَكَائِنَةٌ فِي أَغْلَب الأَوْقَات فَلاَ تَكُونُ هَذه اَلنِّسْبَةُ مُعْتَبَرَةً عِنْدَ هَؤُلاَءِ الأَعِزَّة، وَالحَال قَدْ قَال مَشَائِخُ اَلسَّلاَسِل الأُخَر لهَذَا اَلتَّجَلي نِهَايَةُ اَلنِّهَايَة، فَإِذَا دَامَ هَذَا الحُضُورُ وَلَمْ يَقْبَل الاحْتِجَابَ وَالاسْتِتَارَ أَصْلاً، وَتَجَلي الحَقُّ سُبْحَانَهُ بِلاَ حَجْب الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشئون وَالاعْتِبَارَات دَائِمًا كَانَ حُضُورًا بِلاَ غَيْبَة. فَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ تَفَاوُتُ مَا بَيْنَ نِسْبَة هَؤُلاَءِ الأَكَابِر وَنِسَب الآخَرِينَ بِهَذَا القِيَاس، وَأَنْ يَعْتَقِدَهَا فَوْقَ الكُل بِلاَ تَحَاش وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الحُضُور وَإِنْ كَانَ مُسْتَبْعَدًا عِنْدَ أَكْثَر اَلنَّاس وَلكِنْ لاَ بُعْدَ فِيهَا عِنْدَ أَرْبَابِهَا. شعْرٌ.

هَنِيئًا لأَرْبَاب اَلنَّعيم نَعيمُهَا وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

وَقَدْ عَرَضْتُ لهَذه اَلنِّسْبَة غَرَابَةٌ عَلى نَهْجٍ لوْ حَكَيْتهَا فَرْضًا عِنْدَ أَرْبَاب هَذه اَلسِّلسلة العَظِيمَة اَلشَّأْن يَحْتَمِل أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُهمْ فِي مَقَام الإِنْكَار وَلاَ يُصَدِّقُوهَا،

وَالنِّسْبَةُ اَلتِي كَانَتْ مُتَعَارَفَةً الآنَ عِنْدَ أَرْبَاب هَذه اَلسِّلسلة عِبَارَةٌ عَنْ حُضُورِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَشُهُوده تَعَالى عَلى وَجْه يَكُونُ مُنَزَّهًا عَنْ وَصْف اَلشَّاهديَّه والمشهُوديَّة وَعَنِ اَلتَّوَجُّه المُعَرَّى عَنِ الجِهَاتِ اَلستِّ المُتَعَارَفة وَإِنْ تَوَهَّمْتَ جِهَةَ الفَوْق وَظَنَّ دَوَامَهَا بحَسَب اَلظَّاهر.

وَهَذه اَلنِّسْبَةُ - يَعْني اَلمَذْكُورَةَ المُتَعَارَفَةَ - الآنَ تَتَحَقَّقُ أَيْضًا فِي مَقَام الجَذْبَة فَقَطْ وَلاَ يَظْهَرُ وَجْهُ كَوْنهَا فَائقَةَ نَسَب سَائر اَلطُّرُق بخلاَف يادداشت بالمَعْنَى اَلسَّابق، فَإِنَّ حُصُولَهَا إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ تَمَام جهَة الجَذْبَة وَمَقَامَات اَلسُّلوك، وَعُلوُّ دَرَجَتهَا لاَ يَخْفَى عَلى أَحَد. فَإِنْ كَانَ خَفَاءٌ فَإِنَّمَا هُوَ فِي حُصُولهَا فَقَطْ فَإِنْ أَنْكَرَ حَاسِدٌ بسَبَب حَسَده وَجَحَدَ نَاقصٌ لنُقْصَانه فَهُوَ مَعْذُورٌ (شعْرٌ.

إِنْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ مِنْ أَفْحَشِ الكَلِمِ
هَل يَقْطَعُ اَلثَّعْلبُ المُحْتَال سِلسِلةً قَيَّدْتُ بِهَا أَسَدَ اَلدُّنْيَا بِأَسْرِهِمْ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ
أَرْسَل أَيْضًا إِلى خواجهْ عَمّك
فِي بَيَانِ عُلوِّ الحَال
لكِنْ بِعِبَارَةٍ مُوَهِمَةٍ للتَّنَزُّل وَالتَّبَاعُد

قَدْ ابْتَهَجْتُ بوُرُود مَكْتُوبكُمْ المُرْسَل إِلى هَذَا المُخْلص عَلى وَجْه الكَرَم، وَتَشَرَّفْتُ بمُطَالعَته، فَمَا أَعْظَمَ نعْمَةَ تَذَكُّر الأَحْرَار المَأْسُورينَ وَمَا أَجَّل دَوْلَة اهْتمَام الوَاصلينَ بحَال المَهْجُورينَ، وَالمَهْجُورُ العَاجزُ لَّما لَمْ يَجدْ نَفْسَهُ أَهْلاً للوصَال اخْتَارَ الخُمولَةَ فِي زَاوِيَة الهجْرَان بالضَّرُورَة وَهَرَبَ منَ القُرْب وَاطْمَئَنَّ بالبُعْد وَسَكَنَ إِلى اَلانْفصَال عَن اَلاتِّصَال وَلَّما رَأَى أَسْرًا اخْتَارَ الحُرِّيَّةَ اخْتيَارَ الأَسْر بالمَنُونيَّة. شعْرٌ.

ـــون طَمَع خو اهد زمن سلطان دين خاك برفرق قناعت بعدا زين

يَعْني:

إِذَا مَا أَرَادَ اَلطَّمَعُ منِّي مَالكي لقُلتُ عَلى رَأْسِ القَنَاعَة أَحْجَارُ

وَبمَاذَا أُصَدِّعُكُمْ بأَزْيَدَ منْ ذَلكَ بعبَارَات غَيْر مُرْتَبطَة وَإِشَارَات غَيْر مُنْتَظمَة. ثَبَّتَنَا اَللهُ تَعَالى وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد اَلْمُرْسَلينَ عَلَيْهِ وَعَلى آله منَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا.

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ
صَدَرَ إِلى اَلشَّيْخِ نِظَامِ اَلدِّينِ التانيسرى
فِي اَلتَّرْغِيبِ فِي أَدَاءِ الفَرَائِضِ وَرِعَايَةِ اَلسُّنَنِ وَالآدَابِ
وَعَدَمِ المُبَالَاتِ فِي أَدَاءِ النَّافِلَةِ فِي جَنْبِ الفَرَائِضِ
وَالمَنْعِ عَنْ أَدَاءِ العِشَاءِ فِي اَلنِّصْفِ الأَخِيرِ مِنَ اَللَّيْلِ
وَالمَنْعِ عَنْ تَجْوِيزِ شُرْبِ المَاءِ المُسْتَعْمَلِ فِي الوُضُوءِ
وَالمَنْعِ عَنْ تَجْوِيزِ سَجْدَةِ المُرِيدِينَ ــ يَعْنِي لِشَيْخِهِمْ أَوْ غَيْرِهِ ــ

عَصَمَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ اَلتَّعَصُّبِ وَالتَّعَسُّفِ وَنَجَّانَا وَإِيَّاكُمْ عَنِ اَلتَّلَهُّفِ وَالتَّأَسُّفِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المَنْفِي عَنْهُ زَيْغُ البَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ مُقَرَّبَاتِ الأَعْمَالِ إِمَّا فَرَائِضُ وَإِمَّا نَوَافِلُ فَالنَّوَافِلُ لاَ اعْتِبَارَ لَهَا فِي جَنْبِ الفَرَائِضِ أَصْلاً، فَإِنَّ أَدَاءَ فَرْضٍ مِنَ الفَرَائِضِ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ أَفْضَلُ مِنْ أَدَاءِ اَلنَّوَافِلِ أَلْفَ سَنَةٍ وَإِنْ أَدَّيْتَ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ أَيَّ نَفْلٍ كَانَ مِنَ اَلصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالذِّكْرِ وَالفِكْرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ بَلْ أَقُولُ: إِنَّ رِعَايَةَ سُنَّةٍ مِنَ اَلسُّنَنِ وَأَدَبٍ مِنَ الآدَابِ حِينَ أَدَاءِ الفَرَائِضِ لَهَا ذَلِكَ الحُكْمُ أَيضًا(١).

نُقِلَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ ــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ ــ صَلَّى يَوْمًا صَلَاةَ اَلصُّبْحِ بِجَمَاعَةٍ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى القَوْمِ وَتَفَقَّدَهُمْ فَلَمْ يَرَ فِيهِمْ شَخْصًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَلَمْ يَحْضُرْ فُلَانٌ الجَمَاعَةَ ؟ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَسْهَرُ أَكْثَرَ اَللَّيْلِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ غَلَبَهُ اَلنَّوْمُ فِي هَذَا الوَقْتِ. فَقَالَ:" لَوْ نَامَ تَمَامَ اَللَّيْلِ وَصَلَّى صَلَاةَ اَلصُّبْحِ مَعَ الجَمَاعَةِ لَكَانَ أَوْلَى وَأَفْضَلَ "(٢).

فَرِعَايَةُ الأَوْلَى وَالاجْتِنَابُ عَنِ المَكْرُوهِ وَإِنْ كَانَ تَنْزِيهِيًّا أَوْلَى مِنَ اَلذِّكْرِ وَالفِكْرِ وَالمُرَاقَبَةِ وَالتَّوَجُّهِ بِمَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ المَكْرُوهُ تَحْرِيمِيًّا نَعَمْ إِنْ جَمَعَ هَذِهِ الأُمُورَ مَعَ هَذِهِ اَلرِّعَايَةِ وَالاجْتِنَابِ فَقَدْ فَازَ فَوزًا عَظِيمًا وَبِدُونِهِ خَرَطُ القَتَادِ.

---

(١) ــ يعني رعاية سنة أو أدب وقت أداء الفرائض تزيد وتفضل على أداء النفل بكذا مرة.

(٢) ــ المسئول عنه سليمان ابن أبي حثمة والحديث رواه مالك في الموطأ.

فَكَمَا أَنَّ تَصَدُّقَ دَانَقٍ مَثَلاً فِي حِسَابِ اَلزَّكَاةِ أَفْضَلُ مِنْ تَصَدُّقِ مِقْدَارِ جِبَالٍ عِظَامٍ مِنْ ذَهَبٍ بِطَرِيقِ اَلنَّفْلِ بِمَرَاتِبَ، كَذَلِكَ رِعَايَةُ أَدَبٍ فِي تَصَدُّقِ ذَلِكَ اَلدَّانَقِ كَانَ يُعْطِيهِ إِلَى فَقِيرٍ مُسْتَحِقٍّ أَفْضَلُ مِنْهُ أَيْضًا بِمَرَاتِبَ، فَتَأْخِيرُ صَلاَةِ اَلْعِشَاءِ إِلَى اَلنِّصْفِ الأَخِيرِ مِنَ اَللَّيْلِ وَجَعْلُ ذَلِكَ اَلتَّأْخِيرِ وَسِيلَةً إِلَى قِيَامِ اَللَّيْلِ مُسْتَنْكَرٌ جِدًّا ؛ فَإِنَّ أَدَاءَ اَلْعِشَاءِ فِي ذَلِكَ اَلْوَقْتِ مَكْرُوهٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ اَلْحَنَفِيَّةِ ـــ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ ـــ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهَذِهِ اَلْكَرَاهَةِ اَلْكَرَاهَةَ اَلتَّحْرِيمِيَّةَ فَإِنَّهُمْ أَبَاحُوا أَدَاءَ اَلْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اَللَّيْلِ وَبَعْدَ نِصْفِ اَللَّيْلِ قَالُوا بِكَرَاهَتِهِ وَاَلْمَكْرُوهُ اَلْمُقَابِلُ لِلْمُبَاحِ مَكْرُوهٌ تَحْرِيمِيٌّ. وَعِنْدَ اَلشَّافِعِيَّةِ لاَ يَجُوزُ فِي ذَلِكَ اَلْوَقْتِ أَدَاءُ اَلْعِشَاءِ رَأْسًا. فَارْتِكَابُ هَذَا اَلأَمْرِ بِوَاسِطَةِ قِيَامِ اَللَّيْلِ وَحُصُولِ اَلأَذْوَاقِ وَاَلْجَمْعِيَّةِ فِي ذَلِكَ اَلْوَقْتِ مُسْتَكْرَهٌ جِدًّا، وَيَكْفِي لِهَذَا اَلْغَرَضِ تَأْخِيرُ اَلْوِتْرِ أَيْضًا وَذَلِكَ اَلتَّأْخِيرُ مُسْتَحَبٌّ فَيُؤَدِّي اَلْوِتْرَ فِي وَقْتٍ مُسْتَحَبٍّ وَيَتَيَسَّرُ اَلْغَرَضُ مِنْ قِيَامِ اَللَّيْلِ وَالسَّهَرِ، فَيَنْبَغِي تَرْكُ هَذَا اَلْعَمَلِ وَقَضَاءُ اَلصَّلَوَاتِ اَلْفَائِتَةِ فَإِنَّ اَلإِمَامَ اَلأَعْظَمَ أَبَا حَنِيفَةَ[1] اَلْكُوفِيَّ ـــ رَضِيَ اَللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ـــ قَضَى صَلاَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بِوَاسِطَةِ تَرْكِ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ اَلْوُضُوءِ.

وَأَيْضًا لاَ يَجُوزُ شُرْبُ اَلْمَاءِ اَلْمُسْتَعْمَلِ لإِزَالَةِ اَلْحَدَثِ أَوْ بِنِيَّةِ اَلْقُرْبَةِ. فَإِنَّ ذَلِكَ اَلْمَاءَ نَجِسٌ مُغَلَّظٌ عِنْدَ اَلإِمَامِ اَلأَعْظَمِ وَمَنَعَ اَلْفُقَهَاءُ مِنْ شُرْبِ ذَلِكَ اَلْمَاءِ وَكَرِهُوهُ. نَعَمْ قَالُوا:" إِنَّ شُرْبَ بَقِيَّةِ اَلْوُضُوءِ شِفَاءٌ " فَإِنْ طَلَبَ شَخْصٌ ذَلِكَ بِالاعْتِقَادِ اَلصَّحِيحِ فَأَعْطِ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ وَقَعَ لِلْفَقِيرِ مِثْلُ هَذَا اَلابْتِلاَءِ فِي دِهْلِي فِي هَذِهِ اَلنَّوْبَةِ بِسَبَبِ أَنَّ بَعْضَ اَلأَصْحَابِ قَدْ رَأَى فِي اَلْوَاقِعَةِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَشْرَبَ اَلْمَاءَ اَلْمُسْتَعْمَلَ فِي وُضُوءِ هَذَا اَلْفَقِيرِ وَإِلاَّ يَلْحَقُهُ ضَرَرٌ عَظِيمٌ، وَكُلَّمَا دَفَعْتُهُ لَمْ يَنْفَعْ وَلَمْ يَمْتَنِعْ، فَرَاجَعْتُ اَلْكُتُبَ اَلْفِقْهِيَّةَ فَوَجَدْتُ مَخْلَصًا مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ قَالُوا: " إِنَّ اَلْمُتَوَضِّئَ لَوْ لَمْ يَنْوِ اَلْقُرْبَةَ بَعْدَ تَثْلِيثِ اَلْغُسْلِ لاَ يَكُونُ اَلْمَاءُ مُسْتَعْمَلاً فِي اَلْمَرْتَبَةِ اَلرَّابِعَةِ

---

(١) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي، إمام المذهب الحنفي، ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ، أراده الخليفة المنصور على القضاء فامتنع ورعا فحبسه الخليفة إلى أن مات، له المسند في الحديث وغيره، وأفردت التصانيف في أخباره وفضائله منها: أخبار أبي حنيفة لابن عقدة، ولابن همام الشيباني، وكذلك للمرزباني، انظر: النجوم الزاهرة (١٢/٢)، البداية والنهاية (١٠٧/١٠).

" فَكُنْتُ أُعْطِيهِ مَا أَغْسِلُ بِهِ فِي المَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ بِلاَ نِيَّةِ القُرْبَةِ لِيَشْرَبَهُ تَجْوِيزًا لهُ بِهَذِهِ الحِيلَةِ.

وَأَيْضًا قَدْ نَقَلَ رَجُلٌ مُعْتَمِدٌ أَنَّ مُريدي بَعْضِ خُلَفَائِكُمْ يَسْجُدُونَ لهُ وَلاَ يَكْتَفُونَ بِتَقْبِيلِ الأَرْضِ. وَشَنَاعَةُ هَذَا الفِعْلِ أَظْهَرُ مِنَ اَلشَّمْسِ فَامْنَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ بِالتَّأْكِيدِ، فَإِنَّ اَلاجْتِنَابَ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الفِعْلِ مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِ أَحَدٍ خُصُوصًا مِمَّنْ تَصَدَّى لاقْتِدَاءِ الخَلْقِ بِهِ فَإِنَّ اَلاجْتِنَابَ لهُ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الفِعْلِ مِنْ أَشَدِّ اَلضَّرُورِيَّاتِ ؛ لأَنَّ اَلْمُقَلِّدِينَ يَقْتَدُونَ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ فَيَقَعُونَ فِي بَلاَءٍ وَابْتِلاَءٍ وَأَيْضًا إِنَّ عُلُومَ هَذِهِ اَلطَّائِفَةِ عُلُومُ الأَحْوَالِ وَالأَحْوَالُ مَوَارِيثُ الأَعْمَالِ فَيَكُونُ المِيرَاثُ مِنْ عُلُومِ الأَحْوَالِ لِشَخْصٍ قَدْ صَحَّحَ الأَعْمَالَ وَقَامَ بِحَقِّهَا فِي كُلِ حَالٍ. وَتَصْحِيحُ الأَعْمَالِ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ إِذَا عَرَفَ الأَعْمَالَ وَعَلِمَ كَيْفِيَّةَ كُلٍ مِنْهَا بِلاَ إِهْمَالٍ، وَذَلِكَ عِلْمُ أَحْكَامِ اَلشَّرْعِ مِنَ اَلصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَسَائِرِ الفَرَائِضِ، وَعِلْمُ المُعَامَلاَتِ كَالنِّكَاحِ وَالطَّلاَقِ وَالمُبَايَعَاتِ، وَعِلْمُ كُلِ شَيْءٍ أَوْجَبَهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ عَلَى المُكَلَّفِ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ. وَهَذِهِ العُلُومُ اكْتِسَابِيَّةٌ لاَ بُدَّ مِنْ تَعَلُّمِهَا لِكُلِ أَحَدٍ وَالعِلْمُ بَيْنَ المُجَاهَدَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا فِي طَلَبِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَثَانِيَتُهُمَا المُجَاهَدَةُ فِي اسْتِعْمَالِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ فَكَمَا أَنَّهُ يُذْكَرُ فِي مَجْلِسِهِ اَلشَّرِيفِ مِنْ كُتُبِ اَلتَّصَوُّفِ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ فِيهِ مِنَ الكُتُبِ الفِقْهِيَّةِ. وَالكُتُبُ الفِقْهِيَّةُ بِالعِبَارَةِ الفَارِسِيَّةِ كَثِيرَةٌ مِثْلُ مَجْمُوعَةِ خَانِي وَعُمْدَةِ الإِسْلاَمِ وَالكَنْزِ الفَارِسِيِّ، بَلْ لاَ ضَرَرَ أَصْلاً إِنْ لَمْ يُذْكَرْ مِنْ كُتُبِ اَلتَّصَوُّفِ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالأَحْوَالِ لاَ دَخْلَ لهُ فِي القَالِ. وَعَدَمُ مُذَاكَرَةِ الكُتُبِ الفِقْهِيَّةِ مُحْتَمِلٌ لِلضَّرَرِ، وَزِيَادَةُ الإِطْنَابِ مُوجِبَةٌ لِلمَلاَلِ. القَلِيلُ يَدُلُّ عَلَى الكَثِيرِ (شعر):

وَبَثَثْتُ عِنْدَكَ مَنْ خَفِي ضَمَائِرَ نَبْذًا وَخِفْتُ سَآمَةً مِنْ كَثْرَةِ

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ كَمَالَ مُتَابَعَةِ حَبِيبِهِ صَلَّى اَللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّلاثُونَ
فِى بَيَانِ اَلشُّهُود الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ
وَفَرْق مَا بَيْنَ اَلشُّهُود الأَنْفسيِّ وَالتَّجَلي الصُّورِيِّ
وَبَيَان عُلوِّ شَأْن مَقَام العُبُودِيَّة
وَمُطَابَقَة عُلوم ذَلكَ المَقَام بِالعُلوم اَلشَّرْعِيَّة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

قَال الملا مُحَمَّدُ صدِّيق[1] مِنْ جُمْلة خَدَمَته المُتَقَدِّمينَ: إنَّ هَذَا المَكْتُوبَ أَيْضًا أُرْسِل إلى اَلشَّيْخ نظَام اَلدِّين التانيسرى

شَرَّفَكُمْ اَللهُ بِكَمَال الاتِّبَاع المُحَمَّديِّ وَزَيَّنَكُمْ بِزِيِّ اَلنَّبِيِّ المُصْطَفَوِيِّ عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ اَلتَّحيَّات أَكْمَلهَا. مَا أَدْرِي مَاذَا أَكْتُبُ فَإِنْ تَكَلمْتُ مِنْ جَنَاب قُدْس مَوْلاَيَ تَعَالى وَتَقَدَّسَ يَكُونُ كَذبًا صَرِيحًا وَافْتِرَاءً مَحْضًا؛ فَإِنَّ جَنَابَ كِبْرِيَائه أَجَل مِنْ أَنْ يَتَكَلمَ فيه مثْلي ؛ فإنَّ المُكْتَنفَ بالكَيْف كَيْفَ يَقُول وَيَتَكَلمُ ممَّنْ تَنَزَّهَ عَنِ الكَيْف وَمَاذَا يُرِيدُ وَأَيُّ شَيْءٍ يُدْرِكُ المُحَدَثُ مِنَ القَدِيم، وَإِلى مَتَى يَجْرِي المَكَانِيُّ وَيَعْدُو فِي لاَ مَكَانَ مِسْكِينٍ، لاَ خَبَرَ لهُ عَمَّا فِي خَارِجِ نَفْسِه وَلاَ مَمَرَّ لهُ فيمَا وَرَائه. شعْرٌ.

ذره كربس نيك وربس بديود كر جه عمرى تك زند درخو دبود

يَعْني

وَلَوْ سعَتْ ذَرَّةٌ فِي عُمْرِهَا طَلَبًا خَيْرًا وَشَرًّا تَنَل فِي نَفْسِهَا اكْتَمَنَا

وَهَذَا المَعْنَى أَيْضًا يَتَيَسَّرُ فِي اَلسَّيْر الأَنْفُسيِّ اَلذي يَتَيَسَّرُ فِي نهَايَة الأَمْر.

قَال الخواجهْ بَهَاءُ اَلدِّين النَّقْشَبَنْديُّ قُدِّسَ سرُّهُ: إنَّ أَهْل اَللهِ كُلمَا يَرَوْنَ بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء يَرَوْنَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَكُلمَا يَعْرِفُونَهُ يَعْرِفُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَحَيْرَتُهمْ إِنَّمَا

---

١١) **الشيخ محمد صديق**: ولد سنة ١٠٥٧ هـ، وبرع في تحصيل العلوم على يد ووالده، وخصه الله بالترقي في جميع المقامات العالية، وحج البيت الحرام وحصل له بفضل الله تعالى قبول عظيم في هذه الأماكن المطهرة، فأقام هناك، ثم انقلب إلى أهله مسرورا، وبنى رباطا بمدينة دهلى، وتصدى لهداية العالمين؛ فقصده الفقراء والأمراء، وازدحم على بابه العلماء والشرفاء، وكان ذا علم وحلم وتواضع وأخلاق حسنة، توفي رضي الله عنه سنة ١١٣٠ هـ في دهلى، ونقل إلى سرهند.انظر: السنهوتي: الأنوار القدسية: ٢٠٠.

تَكُونُ فِي وُجُودِهِمْ: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}[1]. وَكُل سَيْرٍ قَبْل ذَلِكَ دَاخل فِي اَلسَّيْرِ الآفَاقِيِّ اَلذي حَاصلهُ ممَّا لاَ حَاصل فيه وَإِطْلاَقُ لفْظ لاَ حَاصِل إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلى أَصْل المَطْلَب وَإِلاَّ فَهُوَ أَيْضًا مِنْ جُمْلَة اَلشَّرَائط وَالمُعدَّات.

وَلاَ يَتَوَهَّمَنَّ أَحَدٌ مِنَ اَلشُّهُود الأَنْفُسِيِّ أَنَّهُ مِثْل اَلتَّجَلي الصُّوريِّ اَلذي فِي نَفْسِ المُتَجَلى لهُ وَلاَ يَتَخَيَّل ذَلِكَ - حَاشَا وَكَلاَّ - فَإِنَّ اَلتَّجَلي الصُّوريَّ دَاخل فِي اَلسَّيْرِ الآفَاقِيِّ بِجَمِيعِ أَقْسَامه وَحَاصل فِي مَرْتَبَة علم اليَقين، وَالشُّهُودُ الأَنْفُسِيُّ كَائنٌ فِي مَرْتَبَة حَقِّ اليَقين اَلذي هُوَ نهَايَةُ مَرَاتب الكَمَال. وَإِطْلاَقُ لفْظ اَلشُّهُود فِي هَذَا المَقَام مِنْ ضيق مَيْدَان العبَارَة، وَإِلاَّ فَكَمَا أَنَّ مَطْلَبَهُمْ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالكَيْفِيَّة، كَذَلِكَ نسْبَتُهمْ إِلى ذَلِكَ المَطْلَب مُنَزَّهَةٌ عَنِ الكَيْف وَالكَيْفِيَّة فَإِنَّهُ لاَ سَبِيل للمُتَكَيِّف إِلى المُنَزَّه عَنِ الكَيْف قَال فِي المَثْنَوي. شعْرٌ.

هست رب الناس رابا جان ناس　　اتصـــالى بى تكيف بى قيـــاس
ليـــك كفـــتم نَاس رانسناس نـــه　　ناس غير ازجان جان اسناس نه

يَعْني

إنَّ للرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ　　إِتِّصـــالاً دُونَ كَيْفٍ وقيـــاسِ
قُلتُ نَاسًا دُونَ نسْنَاسِ الفَلاَ　　لَيْسَ نَاسٌ غَيْرَ رُوحٍ فِي المَلاَ

وَمَنْشَأُ تَوَهُّمِ اتِّحَاد اَلشُّهُود الأَنْفُسيِّ بِالتَّجَلي الصُّوريِّ المَذْكُور، هُوَ حُصُول بَقَاء شَخْصٍ فِي كِلاَ المَقَامَيْن. فَإِنَّ اَلتَّجَلي الصُّوريَّ لَيْسَ بمُفْنٍ - يَعْني للمُتَجَلى لهُ - وَهُوَ وَإِنْ رَفَعَ قَيْدًا منَ القُيُود، وَلكنَّهُ لاَ يُوصل إِلى حَدِّ الفَنَاء ؛ فَفيه بَقِيَّةٌ مِنْ وُجُود اَلسَّالك، وَالسَّيْرُ الأَنْفُسيُّ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الفَنَاء الأَتَمِّ وَالبَقَاء الأَكْمَل، فَلاَ جَرَمَ يَصْعُبُ تَفْرِقَةُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ البقاءَيْنِ لقلة المَعْرِفَة. فَيَحْكُمُونَ بالاتِّحَاد بالضَّرُورَة، فَإِنْ عَلمُوا أَنَّ البَقَاءَ اَلثَّانيَ مُعَبِّرٌ عِنْدَهُمْ بالبَقَاء بِاَللهِ وَأَنَّ ذَلِكَ الوُجُودَ يُقَال لهُ الوُجُودُ المَوْهُوبُ الحَقَّانيُّ فَعَسَى أَنْ يَتَخَلصُوا مِنْ ذَلِكَ اَلتَّوَهُّم.

وَلاَ يُقَال هُنَا إِنَّ البَقَاءَ بِاَللهِ عِبَارَةٌ عَنْ وجْدَان اَلسَّالك نَفْسَهُ عَيْنَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَإِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ. فَإِن اُسْتُفِيدَ هَذَا المَعْنَى مِنْ بَعْضِ عِبَارَات القَوْم. أُجِيبُ عَنْ ذَلِكَ: أَنَّ هَذَا البَقَاءَ يَتَيَسَّرُ للبَعْض فِي مَقَام الجَذْبَة بَعْدَ الاسْتِهْلاَكَ وَالاضْمِحْلاَل المُتَشَابِه بِالفَنَاء. وَأَكَابِرُ النَّقْشَبَنْدِيَّة يُعَبِّرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِوُجُود

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الذاريات.

اَلعَدَم، وَهَذَا قَبْل حُصُول الفَنَاء وَيُتَصَوَّرُ لهُ اَلزَّوَال، بَل هُوَ وَاقِعٌ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا يُؤْخَذُ اَلسَّالكُ عَنْ نَفْسه وَيَغيبُ ثُمَّ يَرْجعُ إلى نَفْسه أَحْيَانًا - يَعْني تَرْتَفعُ عَنْهُ اَلصِّفَاتُ البَشَرِيَّةُ ثُمَّ يُعْطَاهَا ثَانيًا - وَالبَقَاءُ اَلذي بَعْدَ الفَنَاء الأَتَمِّ مَصُونٌ عَن اَلزَّوَال وَمَحْفُوظٌ منَ الخَلل. وَفَنَاءُ أَرْبَاب هَذَا البَقَاء فَنَاءٌ دَائميٌّ فَهُمْ فَانُونَ في عَيْن البَقَاء وَبَاقُونَ في عَيْن الفَنَاء. فَإِنَّ الفَنَاءَ وَالبَقَاءَ اَللذَيْن يَتَطَرَّقُ إلَيْهمَا اَلزَّوَال منْ جُمْلَة تَلوينات الأَوْقَات وَالأَحْوَال، وَلاَ كَذَلكَ فيمَا نَحْنُ بصَدَد بَيَانه.

قَال الخَواجهْ بَهَاءُ اَلدِّين النَّقْشَبَنْديُّ - قُدِّسَ سرُّهُ - " إنَّ وُجُودَ العَدَم يَعُودُ إلى وُجُود البَشَرِيَّة وَأَمَّا وُجُودُ الفَنَاء فَلاَ يَعُودُ إلى وُجُود البَشَرِيَّة ".

فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ وَقْتُهمْ دَائميًّا وَحَالُهُمْ سَرْمَديًّا البَتَّةَ بَل لاَ وَقْتَ لَهُمْ وَلاَ حَال شَغْلهمْ مَعَ مُوَقِّت الأَوْقَات وَمُعَامَلَتُهمْ مَعَ مُحَوِّل الأَحْوَال، فَصَارَ قَبُول اَلزَّوَال مَخْصُوصًا بالوَقْت وَالحَال وَمَنْ تَخلصَ عَن الوَقْت وَالحَال فَقَدْ صَارَ مَا يَعْرضُ لهُ مَحْفُوظًا منَ اَلزَّوَال {ذَلكَ فَضْل اَللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}[1].

وَلاَ يَزْعُمُ اَلزَّاعمُ: أَنَّ إطْلاَقَهُمْ دَوَامَ الوَقْت، وَقَوْلُهُمْ به إنَّمَا هُوَ باعْتبَار بَقَاء أَثَر ذَلكَ الوَقْت وَدَوَامه منَ اَلتَّعَيُّن وَغَيْره. فَإِنَّ الأَمْرَ ليْسَ كَذَلكَ، بَل اَلدَّوَامُ لنَفْس الوَقْت وَالاسْتمْرَارُ لعَيْن الحَال

{إنَّ اَلظَّنَّ لاَ يُغْني منَ الحَقِّ شَيْئًا}[2].

بَل نَقُول: {إنَّ بَعْضَ اَلظَّنِّ إثْمٌ}[3].

قَدْ طَال الكَلاَمُ، فَلنَرْجعْ إلى أَصْل المَرَام وَنَقُول: إذَا لَمْ يَكُنْ في فَضَاء قُدْسه تَعَالى مَجَال للكَلاَم فَلنَتَكَلَّمْ في مَقَام عُبُوديَّتنَا وَذُلنَا وانْكسارنا.

إنَّ المَقْصُودَ منَ الخلقَة الإنْسَانيَّة إنَّمَا هُوَ أَدَاءُ وَظَائف العُبُوديَّة. وَمَنْ أَعْطَى العشْقَ وَالمَحَبَّةَ في الوَسَط وَالابْتدَاء فَالمَقْصُودُ منْهُ قَطْعُ اَلتَّعَلق منْ غَيْر جَنَاب قُدْسه - جَل شَأْنُهُ -. وَليْسَ العشْقُ وَالمَحَبَّةُ منَ المَقَاصد بَل هُوَ لحُصُول مَقَام العُبُوديَّة ؛ فَإِنَّ اَلسَّالكَ إنَّمَا يَكُونُ عَبْدَ اَللهِ تَعَالى إذَا تَخلصَ عَنْ أَسْر غَيْره تَعَالى وَعُبُوديَّته

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) ــ الآية: ٣٦ من سورة يونس.

(٣) ــ الآية: ١٢ من سورة الحجرات.

بالتَّمَام، وَلَيْسَ فَائِدَةُ العِشْقِ سِوَى أَنْ يَكُونَ وَسِيلَةَ اَلانْقِطَاعِ عَنْ غَيْرِه سُبْحَانَهُ ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ نِهَايَةُ مَرَاتِبِ الوِلاَيَةِ مَقَامَ العَبْدِيَّة، وَلَيْسَ فِي دَرَجَاتِ الوِلاَيَةِ مَقَامٌ فَوْقَ مَقَامِ العَبْدِيَّةِ وَلاَ يَجِدُ اَلسَّالِكُ فِي هَذَا اَلمَقَامِ مُنَاسَبَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلاَهُ تَعَالى إلاَّ اَلاحْتِيَاجَ مِنْ جَانِبِه وَالاسْتِغْنَاءَ الأَتَمَّ ذَاتًا وَصِفَةً مِنْ جَانِبِ المَوْلى تَعَالى وَتَقَدَّسَ لاَ إِنَّهُ يَجِدُ ذَاتَهُ مُنَاسِبًا لِذَاتِه وَصِفَاتِه لِصِفَاتِه وَأَفْعَالِهُ لأَفْعَالِه عَزَّ سُلْطَانُهُ وَلَوْ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ حَتَّى أَنَّهُ يَتَنَزَّهُ وَيَتَبَرَّأُ عَنْ إِطْلاَقِ اَلظِّلِّيَّةِ لِكَوْنِهَا مِنْ جُمْلَةِ المُنَاسَبَاتِ، بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقُهُ وَهُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ تَعَالى وَلاَ يَجْتَرِئُ بِغَيْرِ ذَلِكَ بِشَيْءٍ. وَالتَّوْحِيدُ الفِعْلِيُّ اَلذي يَظْهَرُ لِجَمْعٍ فِي أَثْنَاءِ اَلطَّرِيقِ بِأَنْ لاَ يَجِدُوا فَاعِلاً غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَقُولُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرُ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ خَالِقَ هَذِهِ الأَفْعَالِ وَاحِدٌ لاَ أَنَّ مُبَاشِرَهَا وَاحِدٌ، فَإِنَّ هَذَا الكَلاَمَ يَكَادُ يُوصِلُ قَائِلَهُ إِلى اَلزَّنْدَقَةِ.

وَلِنُوَضِّحَ ذَلِكَ بِمِثَالٍ وَهُوَ أَنَّ العَارِفَ بِالشَّعْبَذَةِ إِذَا قَعَدَ وَرَاءَ الحِجَابِ وَحَرَّكَ بِشَعْبَذَتِه صُوَرَ جَمَادَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَظْهَرَ مِنْهَا أَفْعَالاً عَجِيبَةً غَرِيبَةً فَالَّذِينَ فِيهِمْ حِدَّةُ البَصَرِ يَعْرِفُونَ أَنَّ جَاعِلَ هَذِهِ الأَفْعَالِ فِي تِلْكَ اَلصُّوَرِ هُوَ ذَلِكَ اَلشَّخْصُ القَاعِدُ وَرَاءَ الحِجَابِ وَلَكِنْ مُبَاشِرُ هَذِهِ الأَفْعَالِ هُوَ هَذِهِ اَلصُّوَرُ. وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ اَلصُّوَرَةَ مُتَحَرِّكَةٌ دُونَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ صَاحِبَ اَلشَّعْبَذَةِ مُتَحَرِّكٌ. وَهُمْ مُحِقُّونَ فِي ذَلِكَ الحُكْمِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَشَرَائِعُ الأَنْبِيَاءِ نَاطِقَةٌ بِذَلِكَ، وَالحُكْمُ بِوَحْدَةِ الفَاعِلِ مِنْ جُمْلَةِ اَلسُّكْرِيَّاتِ، بَلِ الحَقُّ اَلصَّرِيحُ أَنَّ الفَاعِلَ مُتَعَدِّدٌ وَخَالِقَ الأَفْعَالِ وَاحِدٌ، وَهَكَذَا العُلُومُ اَلتِي بَيَّنُوهَا فِي تَوْحِيدِ الوُجُودِ مَبْنَاهَا عَلى اَلسُّكْرِ وَغَلَبَةِ الحَالِ وَعَلاَمَةُ صِحَّةِ العُلُومِ اَللدُّنِّيَّةِ مُطَابَقَتُهَا لِصَرِيحِ العُلُومِ اَلشَّرْعِيَّةِ فَإِنْ جَاوَزَهَا مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَخَالَفَهَا فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فَهُوَ مِنَ اَلسُّكْرِ وَالحَقُّ مَا حَقَّقَهُ العُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ - يَعْنِي مِمَّا يُخَالِفُهُ - إِمَّا زَنْدَقَةٌ وَإِلْحَادٌ، أَوْ سُكْرُ وَقْتٍ وَغَلَبَةُ حَالٍ مُفْضِيَةٍ إِلى القَوْلِ بِالاتِّحَادِ. وَهَذِهِ المُطَابَقَةُ عَلى وَجْهِ الكَمَالِ وَالتَّمَامِ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ فِي مَقَامِ العَبْدِيَّةِ، وَفِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ يَتَحَقَّقُ فِيهِ نَحْوٌ مِنَ اَلسُّكْرِ/(ع) :

فَيَا لَهَا قِصَّةٌ فِي شَرْحِهَا طُولُ

سُئِلَ الخواجهْ بِهَاءُ اَلدِّينِ - قُدِّسَ سِرُّهُ - أَنَّهُ مَا المَقْصُودُ مِنَ اَلسُّلُوكِ ؟ فَقَالَ: " لِتَصِيرَ المَعْرِفَةُ الإِجْمَالِيَّةُ تَفْصِيلِيَّةً وَالاسْتِدْلاَلِيَّةُ كَشْفِيَّةً ضَرُورِيَّةً " وَلَمْ يَقُلْ لِيَحْصُلَ مَعْرِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلى مَعَارِفَ شَرْعِيَّةٍ وَإِنْ حَصَلَ فِي اَلطَّرِيقِ أُمُورٌ زَائِدَةٌ. لَكِنْ

إِذَا بَلغَ الأَمْرُ نهَايَتَهُ تَكُونُ تلكَ الأُمُورُ هَبَاءً مَنْثُورًا وَتَصيرُ المَعَارفُ اَلشَّرْعيَّةُ مَعْلومَةً عَلى وَجْه اَلتَّفْصيل وَتَخْرُجُ مِنْ مَضيقِ اَلاسْتدْلاَل إلى فَضَاءِ إِطْلاَقِ الكَشْف. يَعْني كَمَا أَنَّ اَلنَّبيَّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ كَانَ يَأْخُذُ هَذه العُلومَ منَ الوَحْي كَذَلكَ هَؤُلاَء الأَكَابرُ يَأْخُذُونَهَا بطَريق الإلهَام منَ الأَصْل. وَالعُلمَاءُ بَيَّنُوا هَذه العُلومَ أَخْذًا لهَا منَ اَلدَّلاَئل اَلشَّرْعيَّة بطَريق الإجْمَال. فَكَمَا أَنَّ هَذه العُلومَ كَانَتْ حَاصلةً للأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - تَفْصيلاً، كَذَلكَ تَكُونُ تلكَ العُلومُ حَاصلةً لَهُمْ كَشْفًا عَلى هَذَا اَلنَّهْج.

وَالأَصَالةُ وَالتَّبَعيَّةُ قَائمَتَان في البَيْن، وَإِنَّمَا يَنْتَخبُ لمثْل هَذَا القسْم منَ الكَمَال بَعْضٌ منْ كَمَل الأَوْليَاء بَعْدَ قُرُون مُتَطَاولة وَأَزْمنَة مُتَبَاعدَة. وَقَدْ كَانَ في الخَاطر أَنْ أَكْتُبَ مَسْأَلةً إجْمَاليَّةً وَاسْتدْلاَليَّةً عَلى وَجْه اَلتَّفْصيل لكنْ تَمَّتْ اَلصَّحيفَةُ وَلَمْ يَبْقَ مَحَل لكتَابَتهَا وَلَعَل في ذَلكَ حكْمَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَالسَّلاَمُ.

اَلْمَكْتُوبُ الحادِيَ وَالثَّلاثُونَ
فى بَيَانِ ظُهُورِ حَقِيقَةِ اَلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ
وَقُرْبِه تَعَالَى وَمَعِيَّتِه اَلذَّاتِيَّيْنِ وَمُجَاوَزَةِ ذَلِكَ المَقَامِ
مَعَ بَعْضِ الأَسْئِلَةِ وَالأَجْوِبَةِ المُتَعلقَةِ بِهَذَا المَقَامِ
أَرْسَلَهُ إِلى اَلشَّيْخِ صُوفِيٍّ

ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آله وَعَلَيْهِمْ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَفْضَلَهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلَهَا: قَدْ نَقَلَ مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِكُمْ اَلشَّرِيفِ أَنَّ شخصًا مَنْ مُرِيدِي اَلشَّيْخِ مَيَّانَ نِظَامِ اَلدِّينِ التانيسرى ذَكَرَ هَذَا الفَقِيرَ وَقَالَ إِنَّهُ يُنْكِرُ وَحْدَةَ الوُجُودِ، وَالتَمَسَ نَاقِلُ هَذَا الكَلَامِ مِنْ هَذَا الفَقِيرِ أَنْ أَكْتُبَ إِلى خُدَّامِكُمْ مَا هُوَ الحَقِيقَةُ فِي هَذَا البَابِ لِئَلاَّ يَقَعَ اَلنَّاسُ مِنْ هَذَا الكَلَامِ فِي سُوءِ اَلظَّنِّ فَإِنَّ بَعْضَ اَلظَّنِّ إِثْمٌ. فَتَجَرَّأْتُ عَلى تَصْدِيعِكُمْ بِكَلِمَاتٍ إِجَابَةً لِمَسْئُولِه.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: إِنَّ مُعْتَقَدَ الفَقِيرِ مِنَ اَلصِّغَرِ كَانَ مَشْرَبَ أَهْلِ اَلتَّوْحِيدِ - يَعْنِي تَوْحِيدَ الوُجُودِ - وَكَانَ وَالِدُ الفَقِيرِ - قُدِّسَ سِرُّهُ - فِي ذَلِكَ المَشْرَبِ بِحَسَبِ اَلظَّاهِرِ وَكَانَ مَشْغُولاً بِهَذَا اَلطَّرِيقِ عَلى سَبِيلِ اَلدَّوَامِ مَعَ وُجُودِ حُصُولِ اَلتَّوَجُّهِ اَلتَّامِّ بِحَسَبِ البَاطِنِ إِلى جَانِبِ المَرْتَبَةِ اَللاَّكَيْفِيَّةِ. وَبِحُكْمِ " ابْنُ الفَقِيهِ نِصْفُ الفِقْهِ " كَانَ لِلفَقِيرِ أَيْضًا حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَا المَشْرَبِ بِحَسَبِ العِلْمِ وَحَصَلَتْ لِي مِنْهُ لَذَّةٌ عَظِيمَةٌ إِلى أَنْ أَوْصَلَنِي اَللهُ بِمَحْضِ كَرَمِه إِلى جَنَابِ حَضْرَةِ مَعْدِنِ الإِرْشَادِ مُظْهِرِ الحَقَائِقِ وَالمَعَارِفِ مُؤَيِّدِ اَلدِّينِ اَلرَّضِيِّ شَيْخِنَا وَمَوْلاَنَا وَقِبْلَتِنَا مُحَمَّدٍ البَاقِيِّ قَدَّسَنَا اَللهُ تَعَالى بِسِرِّه.

فَعَلِمَ الفَقِيرُ اَلطَّرِيقَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةَ وَبَذَلَ اَلتَّوَجُّهَ البَلِيغَ فِي حَقِّ هَذَا المَسْكِينِ، فَانْكَشَفَ اَلتَّوْحِيدُ الوُجُودِيُّ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ بَعْدَ مُمَارَسَةِ هَذِه اَلطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ، وَعَرَضَ لِي غُلُوٌّ فِي هَذَا الكَشْفِ، وَظَهَرَ شَيْءٌ وَافِرٌ مِنْ عُلُومِ هَذَا المَقَامِ وَمَعَارِفِه وَلَمْ تَبْقَ دَقِيقَةٌ مِنْ دَقَائِقِ هَذِه المَرْتَبَةِ غَيْرَ مُنْكَشِفَةٍ، وَلاَحَتْ دَقَائِقُ عُلُومِ اَلشَّيْخِ مُحْيِي اَلدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ وَمَعَارِفُهُ، وَشَرُفْتُ بِالتَّجَلِي اَلذَّاتِيِّ اَلذِي بَيَّنَهُ صَاحِبُ الفُصُوصِ[1]

---

(١) ـــ فصوص الحكم: للشيخ محيي الدين أبى عبد الله محمد بن على المعروف بابن عربي الطائي الحاتمى الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨ ثمان وثلاثين وستمائة، وله كتاب النقوش وهو نقوش الفصوص على منواله لكنه مختصر، أوله الحمد لله مترل الحكم على قلوب الكلم الخ وهو على سبعة وعشرين فصا ترتيبها هكذا:

وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ نِهَايَةُ العُرُوجِ، وَقَال فِي حَقِّه: " وَمَا بَعْدُ هَذَا إِلاَّ العَدَمُ المَحْضُ " وَحَصَل لِي عُلومُ ذَلكَ التَّجَلي وَمَعَارِفُهُ اَلتِي قَال اَلشَّيْخُ مُحْيِي اَلدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِخَاتَمِ الوِلاَيَةِ بِالتَّفْصِيل، وَبَلغَ سُكْرُ الوَقْتِ وَغَلَبَةُ الحَال فِي هَذَا التَّوْحِيد حَدًّا كَتَبْتُ إِلى حَضْرَةِ الخواجهْ - يَعْنِي شَيْخَهُ - فِي بَعْضِ العَرَائِضِ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ المَمْلوَيْنِ بِأَلفَاظِ اَلسُّكْرِ. شِعْرٌ.

أى دريغا كاين شريعت ملت أعماه يست — ملت ما كافرى وملة ترساء يست

كفر إيمان زلف وروى يرى زيبا يست — كفر وإيمان هردواندرراه مايكتأ يست

يَعْني:

أَلاَ إِنَّ هَذَا اَلشَّرْعَ ملةُ مَنْ عَمِيَ — وَملتُـنا كُفْـرٌ وَملةُ جاحـد

ذَوَائِبُ مَنْ أَهْوَاهُ كُفْرٌ وَوَجْهُ الـ — قِيَاد هُمَا عِنْدي عَلى حَدٍّ وَاحِدِ

وَامْتَدَّ هَذَا الحَال إِلى مُدَّةٍ مَديدَةٍ وَانْجَرَّ الأَمْرُ مِنَ اَلشُّهُورِ إِلى سِنِينَ عَدِيدَةٍ ثُمَّ بَرَزَتْ عِنَايَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ اَلتِي لاَ غَايَةَ لَهَا مِنْ كُوَّةِ الغَيْبِ وَجَاءَتْ إِلى عُرْصَةِ اَلظُّهُورِ وَانْسَدَل نِقَابُ الكَيْفِيِّ وَاللاَّكَيْفِيَّةِ عَلى وَجْهِ المَطْلوبِ المَذْكُورِ وَتَوَجَّهَتْ العُلومُ اَلسَّابِقَةُ اَلتِي كَانَتْ مُنْبَثَّةً عَنِ الاتِّحَادِ وَوَحْدَةِ الوُجُودِ نَحْوَ اَلزَّوَال وَالفُتُورِ وَاسْتَتَرَتْ الإِحَاطَةُ وَالسَّرَيَانُ وَالقُرْبُ وَالمَعِيَّةُ اَلذَّاتِيَّاتُ اَلتِي كَانَتْ مُنْكَشِفَةً فِي ذَلكَ المَقَامِ المَسْطُورِ وَصَارَ مَعْلومًا بِيَقِينٍ يَقِينٍ أَنَّ هَذِه اَلنِّسَبَ المَذْكُورَةَ لَيْسَتْ بِثَابِتَةٍ للصَّانِعِ - جَل شَأْنُهُ - مَعَ العَالَمِ بَل إِحَاطَتُهُ وَقُرْبُهُ تَعَالى بِحَسَبِ العِلمِ كَمَا هُوَ

---

(١) ــ فص حكمة الهية في الكلمة آدمية. ٢ ــ نفثية في شيثية. ٣ ــ سبوحية في نوحية. ٤ ــ قدوسية في ادريسية. ٥ ــ مهيمية في ابراهيمية. ٦ ــ حقية في اسحاقية. ٧ ــ علية في اسماعيلية. ٨ ــ روحية في يعقوبية. ٩ ــ نورية في يوسفية. ١٠ ــ احادية في هودية. ١١ ــ فاتحية في صالحية. ١٢ ــ قلبية في شعيبية. ١٣ ــ ملكية في لوطية. ١٤ ــ قدرية في عيزرية. ١٥ ــ نبوية في عيسوية. ١٦ ــ رحمانية في سليمانية. ١٧ ــ وجودية في داودية. ١٨ ــ نفسية في يونسية. ١٩ ــ غيبية في ايوبية. ٢ ــ جلالية في يحياوية. ٢١ ــ مالكية في زكرياوية. ٢٢ ــ ايناسية في الياسية. ٢٣ ــ احسانية في لقمانية. ٢٤ ــ امامية في هارونية. ٢٥ ــ علوية في موسوية. ٢٦ ــ صمدية في خالدية. ٢٧ ــ فردية في محمدية.

قال في خطبته اما بعد فاني رأيت رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم لسنة ٦٢٧ سبع وعشرين وستمائة بدمشق وبيده كتاب فقال لي: " هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به الى الناس ينتفعون به فقلت السمع والطاعة " انتهى. انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١٢٦١/٢.

مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ شَكَرَ اَللهُ سَعْيَهُمْ وَهُوَ تَعَالى لَيْسَ بِمُتَّحِد بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاء. هُوَ هُوَ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَالعَالَمُ عَالَمٌ، وَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْفِ وَالكَيْفِيَّات وَالعَالَمُ مُتَّسِمٌ بِميسَمِ الكَيْفِ مِنَ الفَرْقِ إِلى القَدَمِ. وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال: إِنَّ المُنَزَّهَ عَنِ الكَيْفِ عَيْنُ المُكَيَّفِ بِالكَيْفِ وَأَنَّ الوَاجِبَ عَيْنُ المُمْكِنِ وَلاَ يَكُونُ القَدِيمُ عَيْنَ الحَادِثِ وَمُمْتَنِعُ العَدَمِ عَيْنُ جَائِزِ العَدَمِ أَصْلاً. فَإِنَّ انْقِلاَبَ الحَقَائِقِ مُحَال عَقْلاً وَشَرْعًا وَصِحَّةَ حَمْلِ أَحَدِهِمَا عَلى الآخَرِ مَفْقُودَةٌ لِكَوْنِهِ مُمْتَنِعًا أَصْلاً وَرَأْسًا.

وَالعَجَبُ مِنَ اَلشَّيْخِ مُحْيِي اَلدِّينِ وَتَابِعِيهِ حَيْثُ يَقُولُونَ لِذَاتِ الوَاجِبِ مَجْهُولَةً مُطْلَقَةً، وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِمَحْكُومَةٍ بِحُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ قَطْعًا. وَمَعَ ذَلِكَ يُثْبِتُونَ الإِحَاطَةَ وَالقُرْبَ وَالمَعِيَّةَ اَلذَّاتِيَّاتِ وَمَا هَذَا إِلاَّ حُكْمٌ عَلى اَلذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَالصَّوَابُ مَا قَالَهُ العُلَمَاءُ مِنَ القُرْبِ وَالإِحَاطَةِ العِلْمِيَّيْنِ.

وَكَانَ لِلفَقِيرِ اضْطِرَابٌ تَامٌّ وَقْتَ حُصُولِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ المُنَافِيَةِ لِمَشْرَبِ اَلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ لِظَنِّي بِأَنْ لَيْسَ وَرَاءَ هَذَا اَلتَّوْحِيدِ أَمْرٌ آخَرُ عَالٍ وَكُنْتُ أَدْعُو اَللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِالتَّضَرُّعِ وَالانْكِسَارِ أَنْ لاَ يُزِيلَ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَنِّي هَذِهِ المَعْرِفَةَ - يَعْنِي مَعْرِفَةَ اَلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ - إِلى أَنْ ارْتَفَعَتْ الحُجُبُ عَنْ وَجْهِ الأَمْرِ بِالتَّمَامِ وَانْكَشَفَ حَقِيقَةُ الحَالِ وَجَلِيَّةُ المَرَامِ كَمَا يَقْتَضِيهِ المَقَامُ، وَصَارَ مَعْلُومًا أَنَّ العَالَمَ وَإِنْ كَانَ مَرَايَا لِلكَمَالاَتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَمَجَالِي لِلظُّهُورَاتِ الأَسْمَائِيَّةِ، وَلَكِنَّ المَظْهَرَ لَيْسَ عَيْنَ اَلظَّاهِرِ وَالظِّلُّ لَيْسَ نَفْسَ الأَصْلِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ اَلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ.

وَلِنُوَضِّحْ هَذَا المَبْحَثَ بِمِثَال: وَهُوَ أَنَّ عَالِمًا ذَا فُنُونٍ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ كَمَالاَتِهِ المُتَنَوِّعَةَ إِلى عُرْصَةِ اَلظُّهُورِ وَأَنْ يُورِدَ خَفَايَاهَا المُسْتَحْسَنَةَ فِي مَعْرِضِ الإِيضَاحِ لأَهْلِ اَلشُّعُورِ فَأَوْجَدَ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ يَعْنِي بِالتَّكَلُّمِ وَأَظْهَرَ كَمَالاَتِهِ المُخْفِيَةَ فِي مَرَايَا تِلْكَ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ. فَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ لاَ يُقَال: إِنَّ هَذِهِ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ اَلتِي كَانَتْ مُجَالِي وَمَرَايَا لِتِلْكَ الكَمَالاَتِ أَنَّهَا عَيْنُ تِلْكَ الكَمَالاَتِ أَوْ مُحِيطَةٌ بِتِلْكَ الكَمَالاَتِ بِالذَّاتِ أَوْ قَرِينَةٌ مِنْهَا كَذَلِكَ بِالذَّاتِ أَوْ لَهَا مَعِيَّةٌ بِهَا كَذَلِكَ بَلْ بَيْنَهُمَا نِسْبَةُ اَلدَّالِيَةِ وَالمَدْلُولِيَةِ فَقَطْ، وَلَيْسَ لِتِلْكَ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ نَصِيبٌ وَوَظِيفَةٌ سِوَى اَلدَّلاَلَةِ عَلى تِلْكَ الكَمَالاَتِ، وَأَمَّا تِلْكَ الكَمَالاَتُ فَعَلى صِرَافَةِ إِطْلاَقِهَا. وَتِلْكَ اَلنِّسْبَةُ اَلتِي ظَهَرَتْ إِنَّمَا هِيَ فِي الأَوْهَامِ وَالخَيَالاَتِ وَإِلاَّ فَلاَ شَيْءَ مِنْهَا ثَابِتٌ فِي الحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا تَحَقَّقَتْ بَيْنَ تِلْكَ

الكَمَالاَت وَالحُرُوف وَالأَصْوَات مُنَاسَبَةُ اَلظَّاهرِيَّة وَالمَظْهَرِيَّة وَالدَّالِيَّة وَالمُدْلُوْلِيَة صَارَتْ هَذِه المُنَاسَبَةُ بَاعِثَةً عَلى تَوَهُّم حُصُول تلكَ اَلنِّسَب الوَهْمِيَّة للبَعْض بوَاسِطَة بَعْض العَوَارِض، وَإِلاَّ فَتلكَ الكَمَالاَتُ مُعَرَّاةٌ وَمُبَرَّأَةٌ عَنْ جَمِيع اَلنِّسَب فِي نَفْس الأَمْر، وَفِيمَا نَحْنُ فيه لاَ شَيْءَ سوَى عَلاَقَة اَلدَّالِيَّة وَالمُدْلُوْلِيَة وَالظَّاهرِيَّة وَالمَظْهَرِيَّة أَيْضًا فَإِنَّ العَالِمَ عَلَمٌ لصَانعِه تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَمَظْهَرٌ لظُهُور كَمَالاَته الأَسْمائِيَّة والصِّفاتِيَّة.

وَهَذه العَلاَقَةُ رُبَّمَا تَكُونُ بَاعِثَةً عَلى إِثْبَات بَعْض الأَحْكَام الوَهْمِيَّة بالنِّسْبَة إلى البَعْض بوَاسطَة بَعْض العَوَارِض.

وَقَدْ يُورِدُ البَعْضُ إلى هَذَا المَوْرِد - يَعْني مَوْرِدَ إِثْبَات هَذه الأَحْكَام - كَثْرَةَ مُرَاقَبَة اَلتَّوْحيد وَالأُحَدِيَّة لانْتقَاش صُورَة تلكَ المُرَاقَبَات فِي القُوَّة المُتَخَيَّلة.

وَيُورِثُ البَعْضُ نَحْوًا مِنْ ذَوْق هَذه الأَحْكَام مُمَارَسَةَ علم اَلتَّوْحيد وَتَكْرَاره وَهَذَانَ القسْمَان منَ اَلتَّوْحيد يَعْني الوُجُودِيَّ مَعْلولاَن وَدَاخلاَن فِي دَائرَة العلم لاَ مَسَاسَ لهُمَا بالحَال.

وَيَكُونُ مَنْشَأُ تَوَهُّم هَذه الأَحْكَام فِي البَعْض الآخَر غَلَبَةَ المَحَبَّة ؛ فَإِنَّهُ كَثيرًا مَا يَسْتَتِرُ عَنْ نَظَر المُحبِّ غَيْر مَحْبُوبه بوَاسطَة اسْتيلاَء حُبِّ مَحْبُوبه عَلَيْه فَلاَ يَرَى غَيْرَ مَحْبُوبه لاَ إِنَّهُ ليْسَ فِي نَفْس الأَمْر غَيْرُ مَحْبُوبه فَإِنَّهُ مُخَالفٌ لحُكْم الحسِّ وَالعَقْل وَالشَّرْع، وَتَصيرُ هَذه المَحَبَّةُ أَحْيَانًا بَاعِثَةً عَلى الحُكْم بالإِحَاطَة وَالقُرْب اَلذَّاتِيَّيْن،

وَهَذَا القسْمُ منَ اَلتَّوْحيد أَعْلى منَ القسْمَيْن اَلسَّابقَيْن وَدَاخل فِي دَائرَة الحَال وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابقًا لنَفْس الأَمْر وَمُوَافقًا للشَّريعَة وَتَطْبيقه عَلى اَلشَّريعَة، وَنَفْسُ الأَمْر تَكَلفٌ مَحْضٌ مثْل التَّكَلفات الفَلسَفيَّة البَارِدَة، حَيْثُ إِنَّ إِسْلاَمِيَّهُم يُرِيدُونَ تَطَبُّقَ أُصُولهمْ الفَاسدَة عَلى قَوَانين اَلشَّريعَة، وَكَتَابُ إِخْوَان اَلصَّفَا وَغَيْره منْ هَذَا القَبيل. غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنْ للخَطَأ الكَشْفِيِّ حُكْمَ الخَطَأ الاجْتهَاديِّ فِي ارْتفَاع المَلاَم وَالعتَاب عَنْ صَاحبه، بَل تَتَحَقَّقُ فيه دَرَجَةٌ منْ دَرَجَات اَلصَّوَاب وَإِنَّمَا اَلتَّفَاوُتُ بَيْنَهُمَا أَنَّ لمُقَلدي المُجْتَهد حُكْمَ المُجْتَهد وَلهُمْ دَرَجَةٌ منْ دَرَجَات اَلصَّوَاب عَلى تَقْدير الخَطَأ بخلاَف مُقَلدي أَهْل الكَشْف فَإِنَّهُمْ ليْسُوا بمَعْذُورينَ، بَل هُمْ مَحْرُومُونَ عَنْ نَيْل دَرَجَة اَلصَّوَاب عَلى تَقْدير الخَطَأ، فَإِنَّ كُلاً منَ الإِلهَام وَالكَشْف

لَيْسَ بِحُجَّة لِلغَيْر، وَقَوْل الْمُجْتَهِد حُجَّةٌ لِلغَيْر، فَتَقْلِيدُ الأَوَّل لاَ يَجُوزُ عَلى تَقْدِير احْتِمَال الخَطَأ وَتَقْلِيدُ الثَّاني جَائِزٌ عَلى تَقْدِير احْتِمَال الخَطَأ أَيْضًا بَل وَاجِبٌ.

وَشُهُودُ بَعْض السَّالكِينَ الذي هُوَ فِي مَرَايَا التَّعَيُّنَات الكَوْنِيَّة أَيْضًا مِنْ قَبِيل الأَحْكَام السَّابِقَة وَيُسَمُّونَ هَذَا الشُّهُودَ شُهُودَ الوَحْدَة وَشُهُودَ الأُحَدِيَّة فِي الكَثْرَة فَإِنَّ[1] الوَاجِبَ تَعَالى وَتَقَدَّسَ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالكَيْفِيَّات لاَ تَسَعُهُ مَرَايَا المُكَيَّف أَصْلاً وَلاَ مُجَالى المتكم قَطْعًا وَلاَ يَحْصُل المَكَانِيُّ فِي المَكَان يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ المُنَزَّهَ عَنِ المُكَيَّف فِي خَارِج دَائِرَة المُكَيَّف، وأَنْ يَبْتَغِي المَكَانِيَّ فِيمَا وَرَاءَ المَكَان. وَكُلمَا يُشَاهِدُهُ فِي الآفَاق وَالأَنْفُس فَهُوَ مِنْ آيَاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَتَقَدَّسَ.

قَال قُطْبُ دَائِرَة الوِلاَيَة - يَعْنِي حَضْرَة الخواجهْ بَهَاء الدِّين النَّقْشَبَنْدِيَّ قَدَّسَ اللهُ تَعَالى سِرَّهُ -: كُلمَا كَانَ مَشْهُودًا أَوْ مَسْمُوعًا أَوْ مَعْلومًا فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالى يَنْبَغِي نَفْيُهُ فِي الحَقِيقَة بِكَلمَة لاَ. شعْرٌ.

در تنكنای صورت معنی جگونه كنجد — در كلبهء كدايان سلطان جه كاردارد

صورت برست غافل معنی جدد اندآخر — كوباجال جانان بنهان جه كاردارد

فَإِنْ قِيل: قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَات كَثِير مِنْ مشائخ النَّقْشَبَنْدِيَّة وَغَيْرِهِمْ صَرِيحًا وَحْدَةُ الوُجُود وَالقُرْبُ الذَّاتِيُّ وَالمَعِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ وَشُهُودُ الوَحْدَة وَالأُحَدِيَّةُ فِي الكَثْرَة.

أُجِيبَ: إنَّ تلكَ الأَحْوَال إِنَّمَا حَصَلتْ لَهُمْ فِي تَوَسُّط الأَحْوَال، ثُمَّ تَرَقَّوْا بَعْدَ ذَلكَ عَنْ ذَلكَ المَقَام، كَمَا كَتَبَ هَذَا الفَقِيرُ عَنْ أَحْوَاله فِيمَا تَقَدَّمَ.

وَجَوَابٌ آخَرُ أَنَّ جَمْعًا مِنَ السَّالكِينَ مَعَ وُجُود التَّوَجُّه التَّامِّ فِيهِمْ إِلى جَانب الأُحَدِيَّة الصِّرْفَة بِبَاطِنِهِمْ تَتَشَرَّفُ ظَوَاهِرُهُمْ الَتِي هِيَ مُشَاهِدَةٌ للكَثْرَة بتلكَ الأَحْكَام وَالشُّهُودُ فَهُمْ بِحَسَب البَاطِن مُتَوَجِّهُونَ إِلى الأُحَدِيَّة وَفِي الظَّاهِر مُشَاهِدُونَ للمَطْلوب فِي الكَثْرَة، كَمَا أَخْبَرْتُ عَنْ حَال وَالدِي فِي أَوَائل هَذَا المَكْتُوب. وَتَفْصِيل تَحْقِيق هَذَا الجَوَاب مَسْطُورٌ فِي الرِّسَالَة المُؤَلفَة فِي تَحْقِيق مَرَاتِب وَحْدَة الوُجُود، وَلاَ يَتَحَمَّل هَذَا المَقَامُ زِيَادَةً عَلى ذَلكَ.

لاَ يُقَال: إِذَا كَانَ فِي نَفْس الأَمْر وُجُودَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ قُرْبٌ ذَاتِيٌّ وَإِحَاطَةٌ ذَاتِيَّةٌ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودُ الوَحْدَة فِي الكَثْرَة مُطَابِقًا للوَاقِع يَكُونُ حُكْمُ هَؤُلاَء

---

(١) ـــ علة لقوله من قبيل الأحكام السابقة سند عفى عنه.

الأَكَابِرِ كَاذِبًا ؛ لِكَوْنِه غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلوَاقِعِ وَنَفْسِ الأَمْرِ ؛ لأَنَّا نَقُول: إنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرَ إنَّمَا حَكَمُوا عَلَى مِقْدَارِ شُهُودِهِمْ مِثْل مَنْ يَحْكُمُ بِرُؤْيَةِ صُورَةِ زَيْدٍ فِي المِرْآةِ، وَهَذَا الحُكْمُ مَعَ كَوْنِه غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلوَاقِعِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرَ فِي المِرْآةِ صُورَةَ زَيْدٍ أَصْلاً لأَنَّهُ لاَ صُورَةَ فِي المِرْآةِ قَطْعًا حَتَّى تُرَى، لاَ يُقَال لِهَذَا الشَّخْصِ فِي العُرْفِ إنَّهُ كَاذِبٌ فِيه، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِنَفْسِ الأَمْرِ فَهُوَ مَعْذُورٌ فِي هَذَا الحُكْمِ، وَعَلاَمَةُ الكَذِبِ مُرْتَفِعَةٌ عَنْهُ كَمَا مَرَّ سَابِقًا.. وَالمَقْصُودُ مِنْ إظْهَارِ الأَحْوَالِ اللاَّزِمَةِ الإِخْفَاءُ وَالسَّتْرُ هُوَ الإِيذَانُ وَالإِعْلاَمُ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنَّا قَبُول وَحْدَةِ الوُجُود فَهُوَ مِنْ طَرِيقِ الكَشْفِ لاَ عَلَى وَجْهِ التَّقْلِيدِ، وَإِنْ وُجِدَ مِنَّا إنْكَارٌ فَهُوَ أَيْضًا مِنَ الإِلْهَامِ. فَلاَ مَجَالَ إِذًا لِلإِنْكَارِ - يَعْنِي عَلَى هَذَا الإِنْكَارِ - وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإِلْهَامُ حُجَّةً عَلَى الغَيْرِ.

وَجَوَابٌ آخَرُ لِدَفْعِ شُبْهَةِ الكَذِبِ: إنَّ لأَفْرَادِ العَالَمِ اشْتِرَاكًا مَعَ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضِ الأُمُورِ وَامْتِيَازًا فِي بَعْضٍ آخَرَ، وَهَكَذَا اشْتِرَاكُ المُمْكِنِ مَعَ الوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ فِي بَعْضِ الأُمُورِ العُرْفِيَّةِ - يَعْنِي فِي مُجَرَّدِ الاسْمِ وَالصُّورَةِ - وَإِنْ كَانَا مُمْتَازَيْنِ بِالذَّاتِ امْتِيَازًا كُلِّيًّا، فَرُبَّمَا يَخْتَفِي مَا بِهِ الامْتِيَازُ عَنْ نَظَرِ السَّالِكِ عَلَى تَقْدِيرِ غَلَبَةِ المَحَبَّةِ عَلَيْهِ، وَيَظْهَرُ مَا بِهِ الاشْتِرَاكُ لِنَظَرِهِ فَعَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ لَوْ حَكَمُوا بِعَيْنِيَّةِ أَحَدِهِمَا بِالآخَرِ لَكَانَ مُطَابِقًا لِلوَاقِعِ، فَلاَ يَبْقَى مَجَالٌ لِلكَذِبِ أَصْلاً. فَيَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ الإِحَاطَةَ الذَّاتِيَّةَ وَنَظَائِرَهَا عَلَى ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّانِي وَالثَّلاثُونَ
أَرْسَلَ إِلَى المَرْزَا حُسَامِ اَلدِّينِ أَحْمَدَ
فِي بَيَانِ الكَمَالِ المَخْصُوصِ بِالأَصْحَابِ الكِرَامِ
رِضْوَانُ اَللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
وَأَنَّهُ قَدْ تَشَرَّفَ بِهِ قَلِيلٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَدْ وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ المَرْسول عَلى وَجْه الالتفات. لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى مَا لَمْ يصر المَهْجُورُونَ مُنْسَبِينَ بَل ذُكِرُوا مَعَ المَذْكُورِينَ وَلَوْ اسْتِطْرَادِيًّا (ع):

دَعُونَا نُسَلي بالأَمَانيِّ قُلوبَنَا

قَدْ انْدَرَجَ فِي كِتَابِكُمْ الشِّكَايَةَ مِنْ فقْدَان نسْبَة حَضْرَة شَيْخنَا عَلَيْه الرَّحْمَةُ الخَاصَّةُ بِه وَعَدَم وِجْدَانهَا وَالاسْتِفْسَار عَنْ سَبَبِه. أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ شَرْحَ أَمْثَال هَذِه الكَلِمَات بِطَرِيق التَّحْرِير بَل بالتَّقْرِير غَيْرُ مُنَاسِب فَإِنَّهُ لاَ يُدْرَى مَاذَا يَحْصُل فِي فَهْمِ إِنْسَان، وَمَاذَا يَأْخُذُ مِنْهُ بَل اللاَّزِمُ الحُضُورُ بِشَرْطِ حُسْنِ الظَّنِّ أَوْ طُول الصُّحْبَة عَلى أَيِّ نَهْجٍ كَانَ وَبِدُونِه خَرْطُ القَتَاد. شعْرٌ.

أُرِيدُ صَفْوَ لَيَال مَعَ ضيَا قَمَرٍ حَتَّى أُحْدِثَ أَنْوَاعَ الحِكَايَات

وَلكِنْ بِحُكْمِ: لكُل سُؤَال جَوَابٌ، أَظْهَرَ هَذَا القَدْرَ أَنَّ لكُل مَقَام عُلومًا وَمَعَارِفَ عَلى حِدَة وَأَحْوَالاً وَمَوَاجِيدَ مُتَمَايِزَةً. فَفِي مَقَامٍ يُنَاسِبُ اَلذِّكْرَ وَالتَّوَجُّهَ وَفِي مَقَامٍ يُنَاسِبُ تِلاَوَةَ القُرْآن وَالصَّلاةَ،

وَمَقَامٌ مَخْصُوصٌ بالجَذْبَة وَمُقَامٌ بالسُّلوك وَمَقَامٌ مُمْتَزِجٌ بِهَاتَيْنِ اَلدَّوْلَتَيْنِ وَمَقَامٌ خَال عَنْ جِهَتَي الجَذْبَة وَالسُّلوك بِحَيْثُ لاَ مَسَاسَ لَهُ بالجَذْبَة وَلاَ تَعَلقَ لَهُ بالسُّلوك، وَهَذَا المَقَامُ عَال جدًّا، وَأَصْحَابُ اَلنَّبِيِّ عَلَيْه وَعَلى آله وَعَلَيْهِمْ مِنَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَات أَكْمَلهَا مُمْتَازُونَ بِهَذَا المَقَام وَمُشَرَّفُونَ بِهَذِه اَلدَّوْلَة العُظْمَى مِنْ بَيْنِ الأَنَام وَلصَاحب هَذَا المَقَام امْتِيَازٌ تَامٌّ عَنْ أَرْبَاب المَقَامَات الأُخَر، وَالمُشَابَهَةُ بَيْنَ أَرْبَاب هَذَا المَقَام قَلِيلةٌ بخلاَف أَرْبَاب مَقَامَات أُخَرَ فَإِنَّ لَهُمْ مُشَابَهَةَ بَعْضهِمْ ببَعْضٍ وَلَوْ بوَجْه دُونَ وَجْه. وَهَذِه اَلنِّسْبَةُ تَظْهَرُ بَعْدَ اَلصَّحَابَة رِضْوَان اَللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فِي المَهْدِيِّ عَلَيْه اَلسَّلاَمُ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى.

وَقَل مَنْ أَخْبَرَ عَنْ هَذَا المَقَامِ مِنْ مشائخِ اَلطَّبَقَات، فَكَيْفَ اَلتَّكَلمُ مِنْ عُلومِهِ وَمَعَارِفِه {ذَلكَ فَضْل اَللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم}(١).

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ هَذه اَلنِّسْبَةَ العَزِيزَةَ الوُجُود كَانَتْ تَظْهَرُ فِي اَلصَّحَابَة فِي أَوَّل القَدَم، ثُمَّ تَبْلغُ مَرْتَبَةَ الكَمَال بمُرُور اَلزَّمَان، وَأَمَّا غَيْرُ اَلصَّحَابَة فَإِنْ أُرِيدَ تَشْرِيفُهُ بهَذه اَلدَّوْلة وَتَرَتُّبُهُ عَلى قَدَم نسْبَة اَلصَّحَابَة إِنَّمَا يَسْتَسْعدُ بهَا بَعْدَ قَطْع مَنَازل الجَذْبَة وَمَرَاتب اَلسُّلوك وَطَيِّ عُلوم هَذَيْن المَقَامَيْن وَمَعَارفهمَا. وَظُهُورُ هَذه اَلنِّسْبَة اَلشَّرِيفَة فِي اَلابْتدَاء كَانَ مَخْصُوصًا ببَرَكَة صُحْبَة سَيِّد البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ وَالبَرَكَاتُ والتَّسْليمَاتُ وَلكنْ يُمْكنُ أَنْ يَتَشَرَّفَ بهَذه البَرَكَة بَعْضُ مُتَابعيه ـــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ـــ فَتَكُونُ صُحْبَتُه أَيْضًا سَبَبًا لظُهُور هَذه اَلنِّسْبَة العَلِيَّة فِي اَلابْتدَاء يَعْني فِي ابْتدَاء الحَال قَبْل قَطْع مَنَازل الجَذْبَة وَالسُّلوك شعْرٌ.

لوْ كَانَ منْ فَيْض رُوح القُدُس منْ مَدَد ... لغَيْر عيسَى ليَصْنَعَ مثْل صُنْع

وَفى هَذَا الوَقْت يَتَحَقَّقُ فِي هَذه اَلنِّسْبَة اَنْدرَاجُ اَلنِّهَايَة فِي البدَايَة أَيْضًا كَمَا هُوَ مُتَحَقِّقٌ فِي صُورَة تَقَدُّم الجَذْبَة عَلَى اَلسُّلوك وَلاَ مُسَاعَدَةَ للزِّيَادَة عَلى هَذَا. شعْرٌ.

وَمنْ بَعْد هَذَا مَا يَدُقُّ بَيَانُهُ ... وَمَا كَتَمَهُ أَحْظَى لدَيَّ وَأَجْمَل

فَإِنْ وَقَعَتْ المُلاَقَاةُ بَعْدَ ذَلكَ وَأَحَسَّتْ مَظنَّةَ حُسْن اَلاسْتمَاع مِنْ جَانب المُسْتَمعينَ، تَردُ نُبْذَةٌ مِنْ هَذَا المَقَام فِي مَعْرض اَلظُّهُور إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى وَهُوَ سُبْحَانُهُ المُوَفِّقُ.

وَقَدْ حَرَّرْتُمْ كَلمَات فِي حَقِّ بَعْض الأَصْحَاب فَالفَقيرُ قَدْ عَفَوْتَ زَلاَّتهمْ يَغْفرُ اَللهُ لهُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ اَلرَّاحمينَ. وَلكنْ يَنْبَغي نَصيحَةُ الأَصْحَاب لئَلاَّ يَكُونُوا فِي مَقَام الإِيذَاء فِي الحُضُور وَالغَيْبَة وَلاَ يُغَيِّرُوا أَوْضَاعَهُمْ: {إِنَّ اَللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اَللهُ بقَوْم سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لهُمْ منْ دُونه منْ وَال}(٢). وَكَتَبْتُمْ فِي حَقِّ اَلشَّيْخ الهَدَاد خُصُوصًا لاَ مُضَايَقَةَ فِي حَقِّ الفَقيرِ أَصْلاً،

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) ـــ الآية: ١١ من سورة الرعد.

وَلكِنَّ اَلنَّدَامَةَ عَلى تَغَيُّرِ الوَضْعِ لاَزِمَةٌ للمُشَارِ إِلَيْهِ: " اَلنَّدَمُ تَوْبَةٌ وَالاِسْتِشْفَاعُ فَرْعُ اَلنَّدَامَةِ"(١).

وَالفَقِيرُ عَلى كُل حَال فِي مَقَامِ العَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْ قِبَل نَفْسِهِ وَجَانِبِه، وَأَمَّا الجَانِبُ الآخَرُ فَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ وَمَا يَلزَمُ فِيمَا هُنَالِكَ.

وَأَيْضًا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَتَصَوَّرُوا سرهند مَنْزِل أَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّ عَلاَقَةَ المَحَبَّةِ وَنِسْبَةَ أُخُوَّةِ اَلطَّرِيقَةِ لَيْسَتْ مِمَّا يَنْقَطِعُ بِسَبَبِ أُمُورٍ عارِضِيَّةٍ. وَمَاذَا أَزِيْدُ عَلى ذَلِكَ. وَنَخُصُّ المَخادِمَ وَسَائِرَ أَهْلِ البَيْتِ بِالدُّعَاءِ.

وَبَعْدَ تَسْوِيدِ هَذِهِ الرُّقيمة وَقَعَ فِي الخَاطِرِ أَنْ أَكْتُبَ فِي بَابِ زَلاَّتِ الإِخْوَانِ وَالعَفْوِ عَنْهُمْ كَلاَمًا أَوْضَحَ مِنَ الأَوَّلِ فَإِنَّ فِي الإِجْمَالِ إِبْهَامًا. وَمَاذَا يُفْهَمُ مِنْهُ.

فَاعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ العَفْوَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ وَيُطْلَبُ عَلى تَقْدِيرِ اعْتِرَافِ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ بِسُوءِ تِلكَ الأَوْضَاعِ وَالنَّدَامَةِ عَلى فِعْلِهَا، وَإِلاَّ فَلاَ مَسَاغَ لِلعَفْوِ. وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا أَنَّ حَضْرَةَ شَيْخِنَا فَوَّضَ هَذَا المَقَامَ إِلَى اَلشَّيْخِ الهَدَادِ بِشَهَادَةِ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ، وَهَذَا الكَلاَمُ يَسْتَدْعِي بَيَانًا. فَإِنْ كَانَ اَلتَّفْوِيضُ يَعْنِي أَنَّهُ يَخْدِمُ الفُقَرَاءَ وَالوَارِدِينَ وَالصَّادِرِينَ وَيَكُونُ مُسْتَخْبِرًا عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَذَلِكَ مُسَلَّمٌ لاَ نِزَاعَ فِيهِ لأَحَدٍ. وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُرَبِّي جَمَاعَةً مِنَ اَلطَّالِبِينَ وَيَجْلِسُ فِي مَقَامِ المَشْيَخَةِ فَمَمْنُوعٌ. فَإِنَّ حَضْرَةَ شَيْخِنَا قَال لِلفَقِيرِ فِي آخِرِ مُلاَقَاتِنَا: مَا تَقُولُ فِي اَلشَّيْخِ الهَدَادِ لَوْ عَلِمَ بَعْضُ اَلطَّالِبِينَ المَشْغُولِيَّةَ مِنْ جَانِبِنَا وَبَلَغَ أَحْوَالُ بَعْضِهِمْ إِلَيْنَا فَإِنَّهُ لاَ طَاقَةَ لِي الآنَ بِإِحْضَارِهِمْ وَتَعْلِيمِ المَشْغُولِيَّةِ وَالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ. فَكَانَ الفَقِيرُ مُتَوَقِّفًا فِي هَذَا البَابِ أَيْضًا، وَلكِنْ لَمَّا اقْتَضَتْ اَلضَّرُورَةُ ذَلِكَ جَوَّزْتُ هَذَا القَدْرَ فِيمَا هُنَالِكَ، وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا القِسْمَ مِنَ اَلتَّبْلِيغِ مِنْ جِنْسِ اَلسِّفَارَةِ المَحْضَةِ خُصُوصًا إِذَا كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلى اَلضَّرُورَةِ، وَالضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، فَتَكُونُ تِلكَ اَلسِّفَارَةُ مَخْصُوصَةً بِزَمَنِ حَيَاةِ شَيْخِنَا وَيَكُونُ تَعْلِيمُ المَشْغُولِيَّةِ لِلطَّالِبِينَ وَسُؤَالُ أَحْوَالِهِمْ بَعْدَ اِرْتِحَالِهِ دَاخِلاً فِي الخِيَانَةِ.

---

(١) ــ أخرجه البخارى في التاريخ وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضه وكذا أخرجه الحاكم والبيهقى في الشعب عن أنس رضه قال المناوى أنه حديث صحيح وقال الحافظ ابن حجر في الفتح أنه حسن سند عفى عنه.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا: أَنَّ نِسْبَةَ حَضْرَةِ شَيْخِنَا تَكُونُ بَاقِيَةً البَتَّةَ يَعْنِي لاَ تَقْبَل اَلزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ بِمُرُورِ الدُّهُور وَالأَزْمَان. اعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ أَنَّ تَكْمِيل اَلصِّنَاعَةِ أَفْكَارُ المُتَأَخِّرِينَ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا. فَإِنَّ بَقَاءَ الشَيْءِ عَلى صِرَافَتِه عَيْنُ اَلنَّقْص. فَإِنَّ اَلنِّسْبَةَ اَلتِي كَانَتْ لخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ مَا كَانَتْ فِي زَمَنِ الخواجهْ عَبْد الخَالِق الغجدوانى - قُدِّسَ سِرُّهُمَا - وَعَلى هَذَا القِيَاس - يَعْنِي سَائِرَ الأَحْوَال - وَعَلى الخُصُوص كَانَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا فِي صَدَد تَكْمِيل هَذِه اَلنِّسْبَة وَكَانَ غَيْرَ قَائِل بِتَماميَّتِها فَإِنْ وَفَّتْهُ حَيَاتُهُ زَادَهَا بِإِرَادَة اَللهِ تَعَالى إِلَى مَا شَاءَ اَللهُ سُبْحَانَهُ. فالسَّعْيُ فِي عَدَمِ زِيَادَتِهَا لَيْسَ بِمُنَاسِب وَهَذَا الفَقِيرُ مَا يَدْرِي عَلى أَيِّ وَجْه يَكُونُ بَقَاؤُهَا فَإِنَّ لك نِسْبَةً عَلى حِدَة لاَ مَسَاسَ لَهَا بِنِسْبَة الآخَرِينَ، وَكَانَ هَذَا اَلكَلاَمُ مُشَخَّصًا - يَعْنِي مُعَيَّنًا فِي حُضُورِه - مُكَرَّرًا، وَالشَّيْخُ الهَدَاد المسْكِينُ مِنْ أَيْنَ يَعْرِفُ أَنَّ اَلنِّسْبَةَ مَا هِيَ وَإِنَّمَا لَهُ نَحْوٌ مِنْ حُضُورِ القَلب. وَمَعْلومٌ لِلآخَرِينَ أَنَّ الحَالَةَ مَا هِيَ، وَمِنْ قَيِّمِ تِلْكَ اَلنِّسْبَة وَمُرَبِّيهَا أَخْبَرُونِي عَنْهُ حَتَّى أَكُونَ مُمِدًّا وَمُعَاوِنًا لَهُ. وَلاَ يَنْبَغِي اعْتِبَارُ الوَاقِعَة وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا خَيَالِيَّةٌ غَيْرُ صَادِقَة. وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ قَوِيٌّ وَالأَمْنُ مِنْ تَسْوِيلاَتِه مُتَعَسِّرٌ إِلاَّ لِمَنْ عَصَمَهُ اَللهُ تَعَالى.

وَكَتَبْتُمْ أَيْضًا فِي حَقِّ سَلب اَلنِّسْبَة المُكْتَسَبَة فَاعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ أَنَّ ذَلِكَ اَلسَّلبَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِالاخْتِيَار كَمَا ذُكِرَ فِي اَلحُضُور. وَالآنَ هَذَا اَلسَّلبُ بِحَالَة وَمِنَ الخَيَال تَصَوُّرُ زَوَالِه. وَالصَّوْتُ المَسْمُوعُ مِنَ القَلب لاَ تَعَلقَ لَهُ بِتِلْكَ الحَالَة، أَلاَ تَرَى أَنَّ الرَّمَادَ اَلذِي زَالَتْ عَنْهُ اَلنَّارُ وَصَارَ بَارِدًا يَصْدُرُ عَنْهُ صَوْتٌ بَعْدَ صَبِّ المَاء فِيه، وَلاَ يُقَال إِنَّ اَلنَّارَ مَكْنُونَةٌ فِيه بَعْدُ، وَلاَ اعْتِبَارَ لِلوَقَائِعِ فَإِنْ كَانَ هَذَا الكَلاَمُ مَخْفِيًّا اليَوْمَ يَظْهَرُ صِدْقُهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالَى. وَلَمَّا كَانَ كِتَابُكُمْ مُشْتَمِلاً عَلى المُبَالَغَة صَدَرَ فِي جَوَابِه كَلِمَاتٌ وَإِلاَّ لاَ يَتَيَسَّرُ الكَلاَمُ بِلاَ دَاعٍ.

الأعلام: ٨١/٥، سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ناصف: ٦٤ وما بعدها، نشأة النحو: ٤٧، المدارس النحوية: ٥٧ــ٩٣.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ

صَدَرَ إِلَى الحَاجِّ الملا مُحَمَّد اللاهوري

فِي بَيَانِ مَذَمَّةِ عُلَمَاءِ اَلسُّوءِ اَلذِينَ هُمْ فِي أَسْرِ مَحَبَّةِ اَلدُّنْيَا وَمَدْحِ العُلَمَاءِ اَلزُّهَّادِ اَلذِينَ يَرْغَبُونَ عَنِ اَلدُّنْيَا

إِنَّ مَحَبَّةَ اَلدُّنْيَا مِنَ العُلَمَاءِ وَرَغْبَتَهُمْ فِيهَا كَلَفٌ عَلَى وَجْهِ جَمَالِهِمْ وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ مِنْهُمْ فَوَائِدُ لِلخَلاَئِقِ لَكِنْ لاَ يَكُونُ عِلمُهُمْ نَافِعًا فِي حَقِّهِمْ. وَإِنْ كَانَ تَأْيِيدُ اَلشَّرِيعَةِ وَتَقْوِيَةُ المِلَّةِ مُرَتَّبًا عَلَيْهِمْ لَكِنْ لاَ اعْتِبَارَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ اَلتَّأْيِيدَ وَالتَّقْوِيَةَ يَحْصُلُ مِنْ أَهْلِ الفُجُورِ وَأَرْبَابِ الفُتُورِ أَحْيَانًا كَمَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ عَنْ تَأْيِيدِ الفَاجِرِ حَيْثُ قَالَ: " إِنَّ اَللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا اَلدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ "(١) وَهُمْ كَحَجَرِ الفَارِسِ حَيْثُ إِنَّ كُلَّ مَا يَلصَقُ بِهِ مِنَ الشَّيْءِ الأَمْلَسِ وَالحَدِيدُ يَكُونُ ذَهَبًا، وَهُوَ بَاقٍ عَلَى حَجَرِيَّتِهِ، وَكَالنَّارِ المُودَعَةِ فِي الحَجَرِ وَالشَّجَرِ؛ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ مِنْهَا مَنَافِعُ لِلعَالَمِ، وَلَكِنْ لاَ نَصِيبَ لِلحَجَرِ وَالشَّجَرِ مِنْ تِلْكَ اَلنَّارِ المُودَعَةِ فِي بَاطِنِهِمَا، بَلْ أَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ العِلمَ مُضِرٌّ فِي حَقِّهِمْ لأَنَّهُ بِهِ تَمَّتْ

---

(١) ــ **متفق عليه**: أخرجه البخاري في كتاب الجهاد واليسر، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأحمد في المسند، باقي مسند المكثرين، والدارمي في سننه في كتاب المقدمة، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، جميعهم أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذى عن أنس ــ رضي الله عنه ــ والطبرانى في المعجم الكبير من حديث النعمان بن عبد الله بن مقرِّن وأبو نعيم في الحلية وابن عدى في الكامل بألفاظ مختلفة.

شرح الحديث: " **إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين** " أي: الدين المحمدي؛ بدليل قوله في الخبر الآتي: " إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " واللام للعهد، والمعهود: الرجل المذكور، أو للجنس، ولا يعارضه خبر مسلم: " إِنَّا لاَ نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ "؛ لأنه خاص بذلك الوقت، وحجة النسخ شهود صفوان بن أمية حنيناً مشركاً ــ كما قال ابن المنير ــ فلا يُتَخَيَّلُ في إمام أو سلطان فاجر إذا حمى بيضة الإسلام أنه مطروح النفع في الدين لفجوره؛ فيجوز الخروج عليه وخلعه لأن الله تعالى قد يؤيد به دينه وفجورُهُ على نفسه؛ فيجب الصبر عليه وطاعته في غير إثم، ومنه جَوَّزُوا الدعاء للسلطان بالنصر والتأييد مع جَوْرِه، وهذا قاله لَمَّا رأى في غزوة حنين رجلاً يدَّعِي الإسلام يقاتل شديداً: " هذا من أهل النار " فجرح فقتل نفسه من شدة وجده، فذكره.

والمراد بالفاجر: الفاسق إن كان الرجل مسلماً حقيقة أو الكافر إن كان منافقاً أي الإمام الجائر أو العالم الفاسق أو المجاهد في سبيل الله.

انظر: المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير: (ح١٧٩٠).

الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَال اَلنَّبِيُّ - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " إِنَّ أَشَدَّ اَلنَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَة عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اَللهُ بعلمه "(١).

فَكَيْفَ لاَ يَكُونُ مُضِرًّا فَإِنَّ العلمَ اَلذي هُوَ أَعَزُّ الأَشْيَاء عِنْدَ اَللهِ تَعَالى وَأَشْرَفُ المَوْجُودَات جَعَلوهُ وَسيلةً لجَمْع حُطَام اَلدُّنْيَا اَلدَّنِيَّة مِنَ المَال وَالجَاه وَالأَحْبَاب، وَالحَال أَنَّ اَلدُّنْيَا ذَليلةٌ عِنْدَ اَللهِ تَعَالى وَحَقيرَةٌ وَأَبْغَضُ المَخْلوقَات عِنْدَ اَللهِ وَإِذْلاَل مَا هُوَ عَزيزٌ عِنْدَ اَللهِ وَإِعْزَازُ مَا هُوَ ذَليل عِنْدَهُ في غَايَة القَبَاحَة، بَل هُوَ مُعَارَضَةٌ مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ في الحَقيقَة. وَالتَّدْريسُ وَالإِفْتَاءُ إِنَّمَا يَكُونَان نَافعَيْن إِذَا كَانَا خَالصَيْن لوَجْه اَللهِ تَعَالى وَخَاليَيْن مِنْ شَائبَة حُبِّ الجَاه وَالرِّيَاسَة وَطَمَع حُصُول المَال وَالرِّفْعَة. وَعَلاَمَةُ خُلوِّهمَا عَنْ تلكَ المَذْكُورَات اَلزُّهْدُ في اَلدُّنْيَا وَعَدَمُ اَلرَّغْبَة فيهَا. فَالعُلمَاءُ اَلذينَ هُمْ مُبْتَلَوْنَ بهَذَا اَلبَلاَء وَمَأْسُورُونَ في أَسْر مَحَبَّة اَلدُّنْيَا فَهُمْ مِنْ عُلمَاء اَلدُّنْيَا وَهُمْ عُلمَاءُ اَلسُّوء وَشَرَارُ اَلنَّاس وَلصُوصُ اَلدِّين، وَالحَال أَنَّهُمْ يَعْتَقدُونَ أَنْفُسَهُمْ مُقْتَدًا بهِمْ في اَلدِّين وَأَفْضَل الخَلاَئق أَجْمَعينَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْء إِلاَّ أَنَّهُمْ هُمُ الكَاذبُونَ {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ اَلشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اَللهِ أُولئكَ حِزْبُ اَلشَّيْطَان أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اَلشَّيْطَان هُمُ الخَاسِرُونَ}(٢) رَأَى وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِرِ

---

(١) ـــ هذا الحديث أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ ورواه الطبراني أيضا في الصغير، والبيهقي في شعب الإيمان عنه بإسناد ضعيف، وابن عدى والحاكم في مستدركه أيضا بألفاظ مختلفة.

شرح الحديث: ترتي على عصيان العالم هذا الوعيد الشديد " لأن عصيانه عن علم؛ ولذا كان المنافقون في الدرك الأسفل لكونهم جحدوا بعد العلم، وكان اليهود شراً من النصارى لكونهم أنكروا بعد المعرفة. قال عبد الحق: " ومفهوم الحديث أن أعظمهم ثواباً عالم ينفعه علمه. قال الغزالي: فالعلم لا يُهْمِلَ العالم، بل يهلكه هلاك الأبد، أو يحييه حياة الأبد، فمن لم ينفعه علمه لا ينجو منه رأسًا برأس. هيهات فخطره عظيم وطالبه طالب النعيم المؤبد أو العذاب السرمد، لا ينفك عن الملك أو الهلك، فهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم تتفق له الإصابة لم يطمع في السلامة أهـ.

وزعم بعض الصوفية أنه إنما كان أشد الناس عذاباً لأن عذابه مضاعف فوق عذاب مفارقة الجسد بقطعه عن اللذات الحسية المألوفة وعدم وصوله إلى ما هو أكمل منها لعدم انفتاح عين بصيرته مع عذاب الحجيم عن مشاهدة الحق تعالى، فعذاب الحجاب إنما يحصل للعلماء الذين تنبهوا للذة لقاء الله في الجملة و لم يتوجهوا إلى تحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك، وأما غيرهم فلا يعذب هذا العذاب الحجابي الذي هو أعظم من عذاب الجحيم لعدم تصورهم له بالكلية وعدم ذوقهم له رأساً.

(٢) ـــ الآية: ٢٠ من سورة المجادلة.

اَلشَّيْطَانَ قَاعِدًا فَارِغَ البَال عَنِ الإِغْوَاءِ وَالإِضْلاَل. فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ قُعُودِهِ بِفَرَاغِ البَال. فَقَال اَللعينُ: إِنَّ عُلَمَاءَ اَلسُّوءِ فِي هَذَا الوَقْتِ قَدْ أَمَدُّونِي فِي أَمْرِي مَدَدًا عَظِيمًا وَتَكَفَّلُوا لِي بِالإِضْلاَل حَتَّى جَعَلُونِي فَارِغَ البَال وَالحَقُّ أَنَّ كُل ضعْف وَوَهْمٍ وَقَعَ فِي أُمُورِ اَلشَّرِيعَةِ فِي هَذَا اَلزَّمَانِ وَكُل فُتُورٍ ظَهَرَ فِي تَرْوِيجِ الملة وَتَقْوِيَةِ اَلدِّينِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ شُؤْمِ عُلَمَاءِ اَلسُّوءِ وَفَسَادِ نِيَّاتِهِمْ. نَعَمْ إِنْ كَانَ العُلَمَاءُ رَاغِبِينَ عَنِ اَلدُّنْيَا وَمُحَرَّرِينَ مِنْ أَسْرِ حُبِّ الجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَطَمَعِ المَالِ وَالرِّفْعَةِ فَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الآخِرَةِ وَوَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَهُمْ أَفْضَل الخَلاَئِقِ وَهُمُ اَلذِينَ يُوزَنُ مِدادُهم يَوْمَ القِيَامَةِ بِدَمِ اَلشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اَللهِ فَيَتَرَجَّحُ مِدادُهم "[١].

" وَنَوْمُ العَالِمِ عِبَادَةٌ "[٢] مُتَحَقِّقٌ فِي حَقِّهِمْ وَهُمُ اَلذِينَ اسْتَحْسَنَ فِي نَظَرِهِمْ جَمَال الآخِرَةِ وَنَضَارَتُهَا وَظَهَرَتْ قَبَاحَةُ اَلدُّنْيَا وَشَنَاعَتُهَا، فَنَظَرُوا إِلى الآخِرَةِ بِنَظَرِ البَقَاءِ وَرَأَوْا اَلدُّنْيَا مُتَّسِمَةً بِسِمَةِ اَلزَّوَال وَالفَنَاءِ ؛ فَلاَ جَرَمَ هَرَبُوا مِنَ الفَانِي وَأَقْبَلُوا عَلَى البَاقِي. وَشُهُودُ عَظَمَةِ الآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ ثَمَرَةُ شُهُودِ الجَلاَل اليَزَالِيِّ، وَإِذْلاَل اَلدُّنْيَا وَتَحْقِيرُ مَا فِيهَا مِنْ لَوَازِمِ شُهُودِ عَظَمَةِ الآخِرَةِ ؛ لأَنَّ[٣] اَلدُّنْيَا

---

(١) ــ قوله: " يوزن" ... ... إلخ إشارة إلى حديث ذكره الغزالى في الإحياء مرفوعا ولفظة: " يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء " أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء قاله العراقى قال شارحه: " وأخرجه الشيرازى في الألقاب من طريق أنس بزيادة فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء أخرجه المرهبى في فضل العلم عن عمران ابن الحصين، وابن الجوزى في العلل عن النعمان ابن بشير، والديلمى عن ابن عمر اهـ بقدر المقصود والكلام عليه مستوفى في الشرح المذكور.

قلت: ورواه المنجنيقي في " رواية الأكابر عن الأصاغر " عن الحسن البصري مقطوعا، وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن ابن عمر مرفوعا: " وُزِنَ حِبْرُ العُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ فَرَجَحَ عَلَيْهِمْ " وفي سنده محمد بن جعفر متهم بالوضع، ومن ثَمَّ قال الخطيب موضوع، ورواه الديلمي عن نافع بلفظ: " يُوزَنُ حِبْرُ العُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ فَيَرْجُحُ ثَوَابُ حِبْرِ العُلَمَاءِ عَلَى ثَوَابِ دَمِ الشُّهَدَاءِ، ومن أحسن ما قيل في ذلك:

يَا طَالِبِي عِلْمَ النَّبِيِّ مُحَمَّد * مَا أَنْتُمُ وَسِوَاكُمُ بِسَوَاءِ
فَمِدَادُ مَا تَجْرِي بِهِ أَقْلاَمُكُمْ * أَزْكَى وَأَرْجَحُ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ

(٢) ــ **لا أصل له:** قوله نوم العالم عبادة كأنه تلميح إلى حديث مرفوع ذكره الغزالى في الإحياء وبعده: " وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ " قال العراقى المعروف فيه الصائم بدل العالم ذكره المخرج، قلت ولا يضر ذلك فإنه قد ثبت فضل العالم على الصائم القائم بل على مطلق العابد بمراتب كثيرة في أحاديث عديدة.

(٣) ــ قوله لأن الدنيا والآخرة الخ إشارة إلى ما ورد في الحديث من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يفنى على ما يبقى ذكره في الإحياء عن أبي موسى الأشعرى مرفوعا

وَالآخِرَةَ ضَرَّتَانِ إِنْ رَضِيَتْ إِحْدَاهُمَا سَخِطَتْ الأُخْرَى. فَإِنْ كَانَتْ اَلدُّنْيَا عَزِيزَةً فَالآخِرَةُ حَقِيرَةٌ وَإِنْ كَانَتْ اَلدُّنْيَا حَقِيرَةً فَالآخِرَةُ عَزِيزَةٌ، وَجَمْعُ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ مِنْ قَبِيلِ جَمْعِ الأَضْدَادِ (ع):

مَا أَحْسَنَ اَلدِّينَ وَالدُّنْيَا لَوْ اجْتَمَعَا

نَعَمْ قَدْ اخْتَارَ جَمْعٌ مِنَ الْمَشَايِخِ اَلذِينَ تَخَلَصُوا عَنْ أَسْرِ نُفُوسِهِمْ وَمُقْتَضَيَاتِ طَبَائِعِهِمْ بِالكُلِّيَّةِ صُورَةَ أَهْلِ اَلدُّنْيَا بِوَاسِطَةِ نِيَّاتٍ حَقَّانِيَّةٍ تَرَاهُمْ فِي اَلظَّاهِرِ رَاغِبِينَ فِيهَا وَلَكِنْ لاَ عَلاَقَةَ لَهُمْ بِهَا فِي الحَقِيقَةِ أَصْلاً، بَلْ هُمْ فَارِغُونَ عَنِ الكُلِّ وَمُتَخَلِّصُونَ عَنِ الجَمِيعِ: {رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللهِ}[1] فَلاَ يَمْنَعُهُمُ البَيْعُ وَالشِّرَاءُ عَنْ ذِكْرِ اَللهِ، فَهُمْ فِي عَيْنِ التَّعَلُّقِ بِهَذِهِ الأُمُورِ غَيْرُ مُتَعَلِّقِينَ بِشَيْءٍ. قَالَ الخواجهْ بَهَاءُ اَلدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: " رَأَيْتُ فِي سُوقِ مِنًى تَاجِرًا اتَّجَرَ بِمِقْدَارِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ تَقْرِيبًا وَلَمْ يَغْفُلْ قَلْبُهُ عَنِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ لَحْظَةً ".

قال العراقى رواه أحمد والبزار والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين قلت وهو منقطع بين المطلب بن عبد الله وبين أبي موسى اهـ قال شارحه قلت سبقه إلى ذلك الذهبى وقد رواه كذلك القضاعى في مسند الشهاب والبيهقى في الشعب وقال المنذرى رجال أحمد ثقاة وعند بعضهم إلا فآثروا بزيادة إلا للتبنيه اهـ وقلت وذكر في الإحياء في موضع آخر من قول على كرم الله وجهه بلفظ الدنيا والآخرة ضرتان فيقدر ما ترضي أحديهما تسخط الآخرى وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضه قال من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة فأضروا بالفانى للباقى انتهى وهذا الحديث كثير الدوران في هذا الكتاب بألفاظ مختلفة فليتنبه المطالع اهـ سند عفى عنه.

(١) ـ الآية: ٣٧ من سورة النور.

اَلْمَكْتُوبُ اَلرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ
أَرْسَل الحَاجُّ مُحَمَّدُ اللاهوري أَيْضًا
في بَيَان الجَوَاهِرِ الخَمْسَة الأَمْرِيَّة
بِطَرِيقِ البَسْطِ وَالتَّفْصِيل مَهْمَا أَمْكَنَ

اعْلَمْ: أَنَّ نَقْدَ سَعَادَة اَلدَّارَيْنِ مَرْبُوطٌ بِاتِّبَاعِ سَيِّد الكَوْنَيْنِ عَلَيْه وَعَلَى آله مِنَ اَلصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَات أَكْمَلهَا. وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ عَيْنُ بَصِيرَة الفَلسَفيِّ مُكَحَّلَةً بِكُحْل مُتَابَعَة صَاحب اَلشَّرِيعَة عَلَيْه وَعَلَى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ صَارَتْ فِي عمَايَة عَنْ حَقِيقَة عَالم الأَمْر، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ لهُ شُعُورٌ عَنْ مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَنَظَرُهُ القَاصرُ مَقْصُورٌ عَلى عَالم الخَلق وَلَيْسَ بتَامٍّ فيه أَيْضًا.

وَمَا أَثْبَتُوهُ منَ الجَوَاهِر الخَمْسَة كُلهَا في عَالم الخَلق. وَمنْ جَهَالتهمْ عَدُّوا العَقْل وَالنَّفْسَ منَ المُجَرَّدَات فَإِنَّ اَلنَّفْسَ اَلنَّاطقَةَ هيَ اَلنَّفْسُ الأَمَّارَةُ المُحْتَاجَةُ إِلى اَلتَّزْكيَة وَهَمَّتهَا بالذَّات في اَلسَّفَالة وَالدَّنَاءَة، فَمَا المُنَاسَبَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَالم الأَمْر، وَأَيُّ نسْبَة لهُ بالتَّجَرُّد، وَالعَقْل لاَ يُدْرِكُ منَ المَعْقُولاَت إِلاَّ الأُمُورَ اَلتي لهَا مُنَاسَبَةٌ بالمَحْسُوسَات بَل لاَ يُدْرِكُ إِلاَّ مَا لهُ حُكْمُ المَحْسُوسَات وَأَمَّا الأُمُورُ اَلتي لاَ مُنَاسَبَةَ لهَا بالمَحْسُوسَات بَل لاَ يُدْرِكُ إِلاَّ مَا لهُ حُكْمُ المَحْسُوسَات وَأَمَّا الأُمُورُ اَلتي لاَ مُنَاسَبَةَ لهَا بالمَحْسُوسَات وَلَيْسَ لهَا شَبَهٌ وَمثَال في المُشَاهَدَات، فَلاَ سَبيل لإِدْرَاك العَقْل إِلَيْهَا وَلاَ يَفْتَحُ بمفْتَاح العَقْل مُغْلقَاتهَا. وَلهَذَا كَانَ نَظْرَةً قَاصرًا في أَحْكَام الكَيْفيِّ وَضَالاً مَحْضًا عَنِ اَلطَّرِيق في إِدْرَاك الغَيْب وَذَلكَ عَلاَمَةُ كَوْنه منْ عَالم الخَلق. وَمَيْل عَالم الأَمْر إِلى الكَيْفيِّ وَتَوَجُّهه إِلى مَا تَنَزَّهَ عَنِ الكَيْفيَّة وَابْتدَاءُ عَالم الأَمْر منْ مَرْتَبَة القَلب وَفَوْقَ القَلب اَلرُّوحُ وَفَوْقَ اَلرُّوح اَلسرُّ وَفَوْقَ اَلسِّرِّ الخَفيُّ وَفَوْقَ الخَفيِّ الأَخْفَى.

فَإِنْ قيل: لهَذه الخَمْسَة الأَمْريَّة جَوَاهرُ خَمْسَةٌ فَلهُ وَجْهٌ. وَمنْ قُصُور نَظَرهمُ التَقَطُوا عُدَّةً منْ قُطُعَات الخَذَف وَظَنُّوهَا جَوَاهرَ. وَإِدْرَاكُ هَذه الجَوَاهر الخَمْسَة الأَمْريَّة وَالاطِّلاَعُ عَلى حَقَائقهَا إِنَّمَا هُوَ نَصيبُ كَمَل تَابعي اَلنَّبيِّ - صَلى اَللهُ تَعَالَى عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ - وَلَمَّا كَانَ مَا في العَالم اَلصَّغير اَلذي هُوَ الإِنْسَانُ أَنمُوذَجًا ممَّا في العَالم الكَبير، كَانَ أُصُول هَذه الجَوَاهر الخَمْسَة أَيْضًا في العَالم الكَبير، فَالعَرْشُ المَجيدُ مَبْدَأُ هَذه الجَوَاهر في العَالم الكَبير كَالقَلب في العَالم الصَّغير، وَبهَذه المُنَاسَبَة يُقَال للقَلب عَرْشُ اَللهِ تَعَالَى أَيْضًا. وَالمَرَاتبُ البَاقيَةُ منْ جَوَاهر العَالم الكَبير الخَمْسَة فَوْقَ العَرْش، وَالعَرْشُ بَرْزَخٌ بَيْن عَالم الخَلق وَعَالم الأَمْر في العَالم

الكَبِير بِمَثَابَةِ قَلبِ الإِنْسَانِ حَيْثُ إِنَّهُ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالِمِ الخَلقِ وَعَالِمِ الأَمْرِ فِي العَالَمِ الصَّغِيرِ.

وَالقَلبُ وَالعَرْشُ وَإِنْ كَانَا ظَاهِرَيْنِ فِي عَالَمِ الخَلقِ لكِنَّهُمَا مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَلَهُمَا نَصِيبٌ مِنَ الكَيْفِيِّ والكَمِّيِّ. وَالاطِّلاَعُ عَلى حَقِيقَةِ هَذِه الجَوَاهِرِ الخَمْسَةِ مُسَلَّمٌ لكَمَلِ أَفْرَادِ أَوْلِيَاءِ اَللهِ اَلذِينَ أَتَمُّوا مَرَاتِبَ اَلسُّلوكِ بِالتَّفْصِيلِ وَبَلَغُوا نِهَايَةَ اَلنِّهَايَاتِ. شِعْرٌ:

هر كداى مرد ميدان كى شود يشهء آخر سليمان كى شود

تَرْجَمَةٌ

هَل كُل مَنْ خَلتْ رَجُلاً رَجُل مَعْرَكَةٍ أَوَكُل مَنْ صَارَ ذَا مُلكٍ سُلَيْمَانُ

فَإِنْ انْفَتَحَ نَظَرُ بَصِيرَةِ صَاحِبِ دَوْلَةٍ بِتَفْصِيلِ مَرْتَبَةِ الوُجُوبِ عَلى حَسَبِ الإِمْكَانِ بِمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يُطَالِعُ أُصُولَ هَذِه الجَوَاهِرِ أَيْضًا فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ، وَتَصِيرُ هَذِهِ الجَوَاهِرُ الصَّغِيرِيَّةُ والكَبِيرِيَّةُ فِي عِلْمِهِ كَالظِّلاَلِ لِتِلكَ الجَوَاهِرِ الحَقِيقِيَّةِ، (ع):

وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

{ذَلِكَ فَضْلُ اَللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[1].

وَالمَنْعُ مِنْ إِظْهَارِ حَقَائِقِ عَالَمِ الأَمْرِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ دِقَّةِ تِلكَ المَعَانِي المَكْنُونَةِ، وَمَاذَا يُدْرِكُ مِنْهَا قَاصِرُو اَلنَّظَرِ، وَالرَّاسِخُونَ المُشَرَّفُونَ بِشَرَفِ خِطَابِ: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إِلاَّ قَلِيلاً}[2] لَهُمُ اطِّلاَعٌ عَلى مَا هُنَالِكَ، (ع):

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ اَلنَّعِيمِ نَعِيمُهَا

شِعْرٌ:

وَلَيْسَ فِي بَثِّي الأَسْرَارِ مَصْلَحَةٌ وَإِنْ ظَهَرْنَ لَنَا كَالشَّمْسِ فِي فَلَكِ

{وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[3] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ والتَّسْلِيمَاتِ أَتَمُّهَا وَأَدْوَمُهَا.

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

(٢) ــ الآية: ٨٥ من سورة الإسراء.

(٣) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

وَأَيْضًا قَدْ وَقَعَ فِي الخَاطِرِ أَنْ أُحَرِّرَ نُبْذَةً مِنْ بَيَانِ الجَوَاهِرِ المُقَدَّسَةِ العَلِيَّا. يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ ابْتِدَاءَ تِلْكَ الجَوَاهِرِ مِنَ اَلصِّفَاتِ الإِضَافِيَّةِ اَلتِي هِيَ كَالبَرْزَخِ بَيْنَ الوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ وَفَوْقَهَا صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلِلرُّوحِ نَصِيبٌ مِنْ تَجَلِيَاتِهَا وَلِلقَلْبِ تُعَلِّقٌ بِالصِّفَاتِ الإِضَافِيَّةِ وَهُوَ مُشَرَّفٌ بِتَجَلِيَاتِهَا. وَبَقِيَّةُ الجَوَاهِرِ العُلْيَا اَلتِي فَوْقَ اَلصِّفَاتِ الحَقِيقِيَّةِ دَاخِلَةٌ فِي دَائِرَةِ حَضْرَةِ اَلذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَلِهَذَا يُقَالُ لِتَجَلِيَاتِ هَذِهِ اَلمَرَاتِبِ اَلثَّلاَثَةِ تَجَلِيَاتٌ ذَاتِيَّةٌ. وَلاَ مَصْلَحَةَ فِي اَلتَّكَلُّمِ وَرَاءَ ذَلِكَ، (ع):

بَلَغَ اليَرَاعُ إِلى هُنَا فَتَكَسَّرَا

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ
فى بَيَانِ المَحَبَّةِ اَلذَّاتيَّةِ اَلتي يَسْتَوِي فِي هَذَا المَقَامِ الإِنْعَامُ وَالإِيلاَمُ
كَتَبَهُ إِلَى الحَاجِّ مَيَّانِ مُحَمَّدٍ اللاهوري أَيْضًا

نَجَّانَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ.

اعْلَمْ أَنَّ المَقْصُودَ مِنَ اَلسَّيْرِ وَالسُّلُوكِ تَزْكِيَةُ اَلنَّفْسِ الأَمَّارَةِ وَتَطْهِيرُهَا حَتَّى يَتَيَسَّرَ اَلنَّجَاةُ مِنْ عِبَادَةِ الآلِهَةِ البَاطِلَةِ اَلنَّاشِئَةِ عَنِ الهَوَى النَّفْسَانِيِّ وَلاَ تَبْقَى قِبْلَةُ اَلتَّوَجُّهِ فِي الحَقِيقَةِ غَيْرَ المَعْبُودِ الوَاحِدِ الحَقِيقِيِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَلاَ يَخْتَارُ عَلَيْهِ مَقْصَدًا مَا أَصْلاً سَوَاءٌ كَانَ مِنَ المَقَاصِدِ اَلدِّينِيَّةِ أَوْ مِنَ المَطَالِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ. وَالمَقَاصِدُ اَلدِّينِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الحَسَنَاتِ وَلَكِنَّهَا مِنْ شُغْلِ الأَبْرَارِ، وَالمُقَرَّبُونَ يَرَوْنَهَا سَيِّئَةً وَلاَ يَعُدُّونَ سِوَى الوَاحِدِ مِنَ المَقَاصِدِ. وَحُصُولُ هَذِهِ اَلدَّوْلَةِ مَنُوطٌ بِحُصُولِ الفَنَاءِ وَتَحَقُّقِ المَحَبَّةِ اَلذَّاتيَّةِ اَلتي يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ المَقَامِ اَلإِنْعَامُ وَالإِيلاَمُ، وَيَحْصُلُ مِنَ اَلالتِذَاذِ مِنَ اَلتَّعْذِيبِ مِثْلَ مَا يَحْصُلُ مِنَ اَلتَّنْعِيمِ، فَإِنْ أَرَادُوا الجَنَّةَ إِنَّمَا يُرِيدُونَهَا لِكَوْنِهَا مَحَلَ رِضَائِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَفِي طَلَبِهَا مَرْضَاةُ سُبْحَانَهُ، وَإِنْ اسْتَعَاذُوا مِنَ اَلنَّارِ إِنَّمَا يَسْتَعِيذُونَ مِنْهَا لِكَوْنِهَا مَحَلَ سَخَطِهِ تَعَالَى، لاَ أَنَّ مَقْصُودَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ اسْتِيفَاءُ الحُظُوظِ اَلنَّفْسَانِيَّةِ وَلاَ فِرَارُهُمْ مِنَ اَلنَّارِ لِخَوْفِ الأَلَمِ وَالأَذِيَّةِ. فَإِنَّ كُلَمَا يَحْصُلُ مِنَ المَحْبُوبِ فَهُوَ عِنْدُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ مَحْبُوبٌ وَمَرْغُوبٌ وَعَيْنُ المَطْلُوبِ، فَإِنَّ كُلَمَا يَفْعَلُهُ المَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ وَهَهُنَا تَتَيَسَّرُ حَقِيقَةُ الإِخْلاَصِ وَيَحْصُلُ الخَلاَصُ مِنْ عِبَادَةِ الآلِهَةِ البَاطِلَةِ وَتَصِحُّ كَلِمَةُ اَلتَّوْحِيدِ فِي هَذَا الوَقْتِ وَبِدُونِهِ خَرْطُ القَتَادِ. وَالأَمْرُ مِنْ غَيْرِ حُصُولِ المَحَبَّةِ اَلذَّاتيَّةِ الحَاصِلَةِ بِلاَ مُلاَحَظَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَبِلاَ تَوَسُّطِ إِنْعَامِ المَحْبُوبِ وَإِكْرَامِهِ لاَ يَخْلُو مِنَ الخَلَلِ، وَالفَنَاءُ المُطْلَقُ لاَ يَحْصُلُ بِدُونِ هَذِهِ المَحَبَّةِ المُحْرِقَةِ المُبْطِلَةِ لِلشَّرِكَةِ. شعْرٌ.

مَا العِشْقُ إِلاَّ شُعْلَةٌ قَدْ أَحْرَقَتْ ... كُلَ الوَرَى غَيْرَ الحَبِيبِ البَاقِي
قَدْ هَزَّ فِي قَتْلِ اَلسِّوَى صَمْصَامَ لاَ ... فَانظُرْ إِلَى مَا بَعْدَ لاَ مَا البَاقِي
بُشْرَاكَ يَا صَاحِ قَدْ احْتَرَقَ الوَرَ ... لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الهَنَا الخَلاَقِ

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ
فِى بَيَان أَنَّ اَلشَّرِيعَةَ مُتَكَفِّلَةٌ بِجَمِيعِ اَلسَّعَادَات اَلدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَالطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ خَادِمَتَان للشَّرِيعَةِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ
إِلى الحَاجِّ مُحَمَّدٍ اللاهوري

حَقَّقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ بِحَقِيقَةِ اَلشَّرِيعَةِ اَلْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اَللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينا.

اعْلَمْ: أَنَّ للشَّرِيعَةِ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ: العِلمُ وَالعَمَل وَالإِخْلاَصُ. وَمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ كُل مِنْ هَذِه الأَجْزَاءِ اَلثَّلاَثَةِ لاَ تَتَحَقَّقُ اَلشَّرِيعَةُ، وَمَتَى تَحَقَّقَتْ اَلشَّرِيعَةُ فَقَدْ تَحَقَّقَ رِضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى اَلذي هُوَ فَوْقَ جَمِيعِ اَلسَّعَادَاتِ اَلدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ وَرِضْوَانٌ مِنَ اَللهِ أَكْبَرُ، فَكَانَتْ اَلشَّرِيعَةُ مُتَكَفِّلَةً بِجَمِيعِ اَلسَّعَادَاتِ اَلدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ مَطْلَبٌ يَقَعُ فِيهِ اَلاحْتِيَاجُ إِلى مَا وَرَاءَ اَلشَّرِيعَةِ.

وَالطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ اَللَتَانِ امْتَازَتْ بِهِمَا اَلصُّوفِيَّةُ خَادِمَتَان للشَّرِيعَةِ فِي تَكْمِيلِ جُزْئِهَا اَلثَّالِث اَلذي هُوَ الإِخْلاَصُ فَالمَقْصُودُ مِنْ تَحْصِيلِ كُل مِنْهُمَا تَكْمِيل اَلشَّرِيعَةِ لاَ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ اَلشَّرِيعَةِ. وَالأَحْوَال وَالمَوَاجِيدُ وَالعُلومُ وَالمَعَارِفُ اَلتِي تَحْصُلُ للصُّوفِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ اَلطَّرِيقِ لَيْسَتْ مِنَ المَقَاصِدِ بَل هِيَ أَوْهَامٌ وَخَيَالاَتٌ تُرَبَّى بِهَا أَطْفَال اَلطَّرِيقَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِزَ جَمِيعَ ذَلِكَ وَأَنْ يَصِل إِلى مَقَامِ اَلرِّضَا اَلذي هُوَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ اَلسُّلوكِ وَالجَذْبَةِ. فَإِنَّ المَقْصُودَ مِنْ طَيِّ مَنَازِل اَلطَّرِيقَةِ وَالحَقِيقَةِ لَيْسَ هُوَ شَيْءٌ غَيْرُ تَحْصِيلِ الإِخْلاَصِ اَلْمُسْتَلزِمِ لِحُصُولِ مَقَامِ اَلرِّضَا وَيُوصِل إِلى دَوْلَةِ الإِخْلاَصِ. وَمَقَامُ اَلرِّضَا وَاحِدٌ مِنْ أُلوفٍ بَعْدَ العُبُورِ بِهِ مِنَ اَلتَّجَلِيَاتِ اَلثَّلاَثَةِ وَمُشَاهَدَاتِ العَارِفِينَ.

وَالقَاصِرُونَ هُمُ اَلذينَ يَعُدُّونَ الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدَ مِنَ المَقَاصِدِ وَيَظُنُّونَ المُشَاهَدَاتِ وَالتَّجَلِيَاتِ مِنَ المَطَالِبِ فَلاَ جَرَمَ يَبْقَوْنَ فِي حَبْسِ الوَهْمِ وَالخَيَال وَيَحْرُمُونَ كَمَالاَتِ اَلشَّرِيعَةِ بِهَذَا الاعْتِقَاد: {كَبُرَ عَلى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اَللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}(١).

---

(١) ــ الآية: ١٣ من سورة الشورى.

نَعَمْ إنَّ حُصُول مَقَامِ الإخْلاَصِ وَالوُصُول إلى مَرْتَبَة اَلرِّضَا مَنُوطٌ بطَيِّ هَذه الأَحْوَال وَالمَوَاجيد وَمَرْبُوطٌ بتَحَقُّق هَذه العُلوم وَالمَعَارف فَتَكُونُ هَذه الأَشْيَاءُ مُعَدَّات للمَطْلوب وَمُقَدِّمَات للمَقْصُود. وَحَقيقَةُ هَذَا المَعْنَى اتَّضَحَتْ للفَقير بَعْدَ الاشْتغَال بهَذَا الطَّريق عَشْرَ سنينَ بالتَّمَام ببَرَكَة حَبيب اللهِ - عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَانْجَلى شَاهدُ اَلشَّريعَة كَمَا يَنْبَغي.

وَفيمَا قَبْل وَإنْ لَمْ يَكُنْ لي تُعَلقٌ بالأَحْوَال وَالمَوَاجيد وَلَمْ يَكُنْ في نَظَري مَطْلبٌ غَيْرَ اَلتَّحَقُّق بحَقيقَة اَلشَّريعَة، وَلكنْ ظَهَرَتْ حَقيقَةُ الأَمْر بَعْدَ عَشَرَة كَاملة ظُهُورًا بَيِّنًا وَالحَمْدُ للهِ عَلى ذَلكَ حَمْدًا كَثيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه مُبَارَكًا عَلَيْه. وَخَبَرُ مَوْت المَغْفُور لهُ اَلشَّيْخ مَيَّان جَمَال بَاعثٌ عَلى حُزْن جَميع الإسْلاَم وَتَفْرقَة خَوَاطرهمْ. وَالمُلتَمَسُ تَعْزيَةُ أَوْلاَد المَرْحُوم المُتَوَفَّى وَقرَاءَةُ الفَاتحَة منْ جَانب الفَقير وَالسَّلاَمُ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ
صَدَرَ إِلَى اَلشَّيْخِ مُحَمَّد الجتري
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ اَلسُّنَّةِ اَلسَّنِّيَّةِ
عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ
وَالتَّرْغِيبُ فِي تُحَصُّلِ اَلنِّسْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ
قُدِّسَ سِرُّهُمْ

قَدْ حَصَلَ اَلسُّرُورُ وَالابْتِهَاجُ بِمُطَالَعَةِ المَكْتُوبِ اَلشَّرِيفِ اَلذي صَدَرَ عَلَى وَجْهِ الكَرَمِ، وَقَدْ انْدَرَجَ فيه بَيَانُ اسْتِقَامَتِكُمْ وَثَبَاتِكُمْ عَلَى هَذِهِ اَلطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَالحَمْدُ للهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ يُكْرِمُكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ بِتَرْقِيَّاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ بِبَرَكَةِ أَكَابِرِ هَذِهِ اَلطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ، وَطَرِيقُهُمْ كَبْرِيتٌ أَحْمَرُ مَبْنِيٌّ عَلَى مُتَابَعَةِ اَلسُّنَّةِ اَلسَّنِّيَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَيَكْتُبُ هَذَا الفَقِيرُ بَيَانًا لنَقْدِ وَقْتِه. وَحَاصِلُهُ أَنَّ العُلومَ وَالمَعَارِفَ وَالأَحْوَالَ وَالمَقَامَاتِ قَدْ أُفِيضَتْ على مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ مِثْلَ مَطَرِ اَلرَّبِيعِ، وَكُلمَا يَلزَمُ فِعْلُهُ فَقَدْ فُعِلَ بِعِنَايَةِ اَللهِ تَعَالَى وَالآنَ مَا بَقِيَ ثَمَنٌ غَيْرُ إِحْيَاءِ سُنَّةٍ مِنَ اَلسُّنَنِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَالأَحْوَالُ وَالمَوَاجِيدُ إِنَّمَا هِيَ مَنْظُورَةٌ لأَرْبَابِ اَلذَّوْقِ يَنْبَغِي أَنْ يُعَمَّرَ البَاطِنُ بِنِسْبَةِ خواجكان قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ وَأَنْ يُحَلى اَلظَّاهِرُ بِالكُلِّيَّةِ بِمُتَابَعَةِ اَلسُّنَنِ اَلظَّاهِرَةِ، (ع):

هَذَا هُوَ اَلشُّغْلُ وَالبَاقِي خَيَالاَتٌ

وَيَنْبَغِي أَنْ تُؤَدُّوا اَلصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِهَا غَيْرَ العِشَاءِ وَقْتَ اَلشِّتَاءِ فَإِنَّ تَأْخِيرَهَا إِلَى ثُلُثِ اَللَّيْلِ مُسْتَحَبٌّ. وَالفَقِيرُ مُضْطَرٌّ فِي هَذَا الأَمْرِ لاَ أُرِيدُ تَأْخِيرَ أَدَاءِ اَلصَّلاَةِ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَالعَجْزُ البَشَرِيُّ مُسْتَثْنًى.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ
صَدَرَ أيضًا إلى اَلشَّيْخ مُحَمَّد الجنرى
فِي بَيَان اَلتَّعَلق بِالذَّات البَحْت تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ
اَلْمُنَزَّه عَنِ اعْتِبَارِ الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشئون وَالاعْتِبَارَات
وَفِي مَذَمَّةِ النَاقِصِينَ اَلذِينَ زَعَمُوا المُنَزَّهَ عَنِ المَثَل مِثْلِيًّا وَالكَيْفِيَّ كَيْفِيًّا فَتَعَلقُوا به وَافْتُتِنُوا
وَبَيَانِ تَفَاوُتِ الأَقْدَام فِي الفَنَاءِ المُتَرَتِّبِ عَلَيْهِ تَفَاوُتُ العُلومِ وَالمَعَارِفِ وَأَمْثَال ذَلِكَ

قَدْ أَورَثَ المَكْتُوبُ اَلشَّرِيفُ بوُصُوله فَرَحًا كَثِيرًا جَعَلَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مَعَهُ دَائِمًا وَلاَ يَتْرُكُنَا بِغَيْرِه لحْظَةً، وَكُل شَيْءٍ غَيْرُ ذَاته البَحْت سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مُعَبَّرٌ عَنْهُ بالغَيْر وَالسِّوَى وَإِنْ كَانَ ذَلكَ الغَيْرُ أَسْمَاءً وَصِفَات، وَمَا قَالهُ المُتَكَلمُونَ مِنْ أَنَّ صِفَاته تَعَالى لاَ هُوَ وَلاَ غَيْرُه لهُ مَعْنًى آخَرُ فَإِنَّهُمْ أَرَادُوا بالغَيْر الغَيْرَ المُصْطَلحَ وَنَفَوْا الغَيْرِيَّةَ بهَذَا المَعْنَى لاَ بالمَعْنَى المُطْلق، وَنَفْيُ الخَاصِّ لاَ يَسْتَلزِمُ نَفْيَ العَامِّ، وَلاَ يُمْكِنُ اَلتَّعْبِيرُ عَنِ اَلذَّات بغَيْر اَلسَّلوب وَكُل إِثْبَات فِي مَرْتَبَة اَلذَّات إِلحَادٌ، وَأَفْضَل اَلتَّعْبِيرَات وَأَجْمَعُ العِبَارَات فِيهَا {لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ}[1] وَمَعْنَاهُ بالفَارِسِيَّة: (بيـــچون وبيـــچوكونه.

وَلاَ سَبِيل للعلم وَالشُّهُود وَالمَعْرِفَة إِلَيْه سُبْحَانَهُ، كُل مَا تَرَاهُ العُيُونُ أَوْ وَعَاهُ الآذَانُ أَوْ حَوَاهُ الظُّنُونُ فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالى. وَالتَّعَلقُ به تَعَلقٌ بالغَيْر فَيَلزَمُ نَفْيُه بكَلمَة لاَ إِلهَ وَإِثْبَاتُ اَلذَّات المُنَزَّهَة عَنِ المِثْل بكَلمَة إِلاَّ اَللهُ وَهَذَا الإِثْبَاتُ يَكُونُ أَوَّلاً بالتَّقْليد ثُمَّ يَنْقَلبُ أَخيرًا إِلى اَلتَّحْقيق. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَرْبَاب اَلسُّلوك اَلذينَ لَمْ يَبْلغُوا نهَايَةَ الأَمْر المِثْلِيِّ وَالمُكَيَّفُ عَيْنُ المُنَزَّه عَنِ المِثْل وَالكَيْف وَقَالوا بإِمْكَان تَطَرُّق اَلشُّهُود وَالمَعْرِفَة إِلَيْه. وَأَرْبَابُ اَلتَّقْليد أَفْضَل مِنْ هَؤُلاَء بمَرَاتبَ، فَإِنَّ تَقْليدَهُمْ مُقْتَبَسٌ مِنْ مشْكَاة أَنْوَار اَلنُّبوَّة عَلى صَاحبهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلاَ سَبِيل للخَطَأ إِلَيْه، وَمُقْتَدَى هَؤُلاَء القَاصِرِينَ الكَشْفُ غَيْرُ اَلصَّحِيح، (ع):

---

(١) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ اَلطَّرِيقَيْنِ فَانْظُرُوا

وَهَؤُلاَءِ الجَمَاعَةُ مُنْكِرُونَ للذَّات فِي الحَقِيقَة، وَإِنْ أَثْبَتُوا شُهُودَ اَلذَّات، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ نَفْسَ الإِثْبَات هُنَا هُوَ عَيْنُ الإِنْكَار، وَقَدْ قَال إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ الكُوفِيُّ ــ رَضِيَ اَللهُ تَعَالى عَنْهُ ــ: " سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتك وَلكِنْ عَرَفْنَاك حَقَّ مَعْرِفَتك " وَعَدَمُ أَدَاءِ حَقِّ العِبَادَة ظَاهِرٌ، وَأَمَّا حُصُولَ حَقِّ الْمَعْرِفَة فَمَبْنِيٌّ عَلى أَنَّ نِهَايَةَ الْمَعْرِفَة فِي اَلذَّات تَعَالى شَأْنُهَا لَيْسَتْ إِلاَّ مَعْرِفَتَهَا بِعُنْوَان: {لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ}[1] وَلاَ يَظُنُّ الأَبْلَهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الخَاصَّ وَالعَامَّ وَالْمُبْتَدِئَ وَالْمُنْتَهِيَ مُتساوُ اَلأَقْدَام فِي هَذِه الْمَعْرِفَة لعَدَم تَمْيِيزِه بَيْنَ العلم وَالْمَعْرِفَة، فَإِنَّ العلمَ للمُبْتَدِئ وَالْمَعْرِفَةَ للمُنْتَهِي وَهِيَ لاَ تَحْصُل بِدُونِ الفَنَاءِ وَلاَ تَتَيَسَّرُ هَذِهِ اَلدَّوْلَةُ لِغَيْرِ الفاني. قَال المولوى فِي المثنوى. شعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانِيًا ... فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبِيل

فَتَكُونُ الْمَعْرِفَةُ إِذًا وَرَاءَ العلم.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ وَرَاءَ العلم وَالإِدْرَاك الْمُتَعَارَف أَمْرًا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْمَعْرِفَةِ وَيُقَال لَهُ الإِدْرَاكُ البَسِيطُ أيضًا. شعْرٌ.

خَلِيلِي مَا هَذَا بِهَزْل وَإِنَّمَا ... حَدِيثٌ عَجِيبٌ مِنْ بَدِيعِ الغَرَائِبِ

غَيْرُهُ مِنَ المثنوى شعْرٌ:

إِنَّ لِلرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ ... اتِّصَالاً دُونَ كَيْفٍ وقِيَاسِ

قُلتُ نَاسًا دُونَ نسْنَاسِ الفَلاَ ... لَيْسَ نَاسٌ غَيْرُ رُوحٍ فِي المَلاَ

وَلَمَّا كَانَتْ الأَقْدَامُ مُتَفَاوِتَةً فِي الفَنَاءِ لاَ جَرَمَ وُجِدَ اَلتَّفَاوُتُ فِي الْمَعْرِفَة بَيْنَ الْمُنْتَهِينَ، فَمَنْ كَانَ فَنَاؤُهُ أَتَمَّ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ أَكْمَل، وَمَنْ كَانَ دُونَهُ فِي الفَنَاءِ يَكُونُ دُونَهُ فِي الْمَعْرِفَة. وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سُبْحَانَ اَللهِ انْجَرَّ الكَلاَمُ مِنْ أَيْنَ إِلى أَيْنَ بَل كَانَ اَللاَّئِقُ بِحَالِي أَنْ أَكْتُبَ مِنْ عَدَمِ حَاصِلِي وَعَدَمِ حُصُولِ مُرَادِي وَعَدَمِ ثَبَاتِي واستقامَتِي وَطَلَبِ الْمَعُونَةِ وَالْمَدَدِ مِنَ الأَحْبَابِ وَأَيُّ مُنَاسَبَةٍ لِي بِأَمْثَال هَذِهِ الكَلِمَات. شعْرٌ:

مَنْ لَمْ يَكُنْ خَبَرٌ لَهُ عَنْ نَفْسِه ... هَل يُقَدِّرُ الأَخْبَارُ مِنْ هَذَا وَذَا

وَلكِنَّ الهِمَّةَ العَالِيَةَ وَالطِّينَةَ اَلسَّامِيَةَ لاَ تَترُكُنِي أَنْ أَقْنَعَ بِبِضَاعَةٍ دَنِيَّةٍ وَدُعَابَةٍ

---

(١) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

رَدِيَّة، فَلاَ جَرَمَ أَتَرَقَّى عَنْ مَرْتبتي فَإِذَا قلتْ فَمِنْهُ أَقُول وَإِنْ كَانَ لاَ شَيْئًا، وَإِذَا طَلَبْتُ فَإِيَّاهُ أَطْلبُ وَإِنْ لَمْ أَجدْ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ لِي حَاصِل فَهُوَ حاصلي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا وَإِنْ كُنْتُ وَاصِلاً فَإِلَيْه وصُولي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي حُصُول. وَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَات بَعْض الأَكَابِر قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ مِنَ اَلشُّهُودِ الذَّاتِيِّ لاَ يَظْهَرُ مَعْنَاهُ لِغَيْرِ أَرْبَاب الكَمَال وَفَهْمُه مُحَال للنَّاقصينَ وَالقَاصرينَ. شعْرٌ

لَيْسَ يُدْرَى الأغيبا حَالَ الكرَامِ هَلْ يُقَدِّرُ الأَخْبَارُ مِنْ هَذَا وَذَا

فَاقْصُرْ الأَقْوَال وَاسْكُتْ وَالسَّلاَمُ

وَقَدْ حَرَّرَ فِي عُنْوَان المَكْتُوب كَلِمَةً " هُوَ اَلظَّاهِرُ هُوَ البَاطِنُ " أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ هُوَ اَلظَّاهِرُ هُوَ البَاطِنُ صَحِيحٌ، وَلَكِنَّ هَذَا الفَقِيرَ لاَ يَفْهَمُ مِنْ هَذَا الكَلاَمِ مَعْنَى اَلتَّوْحِيد - يَعْنِي الوُجُودِيَّ - مِنْ مُدَّة بَل أَنَا مُتَّفِقٌ بالعُلمَاءِ فِي فَهْمِ مَعْنَاهُ وَمُوَافِقُهمْ فِي صِحَّته فَإِنَّ صِحَّةَ كَلاَمِهِمْ قَدْ صَارَتْ مَعْلومَةً لدَى فَوْقِ صِحَّةِ قَوْلِ أَرْبَابِ اَلتَّوْحِيدِ " **كُلٌ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ** "[1] (ع):

لِكُل مِنَ الإِنْسَانِ شَأْنٌ يَخُصُّهُ

---

(١) ـــ **متفق عليه:** أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: **{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى}**، ومسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله، عن علي ـــ رضي الله عنه ـــ قال: " كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ـــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: **{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}** ".

والحديث أخرجه أيضا: عبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، وابن جرير الطبري في تفسيره (حديث: ٢٥٤١٥).

شرح الحديث: قال الطِّيبِيُّ: " الجواب من الأسلوب الحكيم منعهم عن ترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية وزجرهم عن التصرف في الأمور المغيبة فلا يجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار بل هي علامات فقط ".

وقال الحافظ في فتح الباري: " وفي الحديث أن الأقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة "

وَمَا يَلزَمُ الإِنْسَانَ اَلذي لاَ بُدَّ لهُ منْهُ وَهُوَ مُكَلفٌ به امْتِثَال الأَوَامِر وَالانْتهَاءُ عَنِ المَناهِي: {وَمَا آتَاكُمْ اَلرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اَللهَ}[1].

وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ مَأْمُورًا بالإِخْلاَص، وَالإِخْلاَصُ لاَ يُتَصَوَّرُ بدُون الفَنَاء وَالمَحَبَّة اَلذَّاتيَّة لاَ جَرَمَ يَنْبَغي أَنْ يَحْصُل مُقَدِّمَاتُ الفَنَاء اَلتي هيَ المَقَامَاتُ العَشْرَةُ وَالفَنَاءُ وَإِنْ كَانَ نَفْسُهُ مَوْهبَةً مَحْضَةً وَلكنَّ مُقَدِّمَاته وَمَبَاديَهُ مُتَعَلقَةٌ بالكَسْب، وَإِنْ تَشَرَّفَ البَعْضُ بحَقيقَة الفَنَاء منْ غَيْر تَجَشُّم كَسْب منْهُ في مُقَدِّمَاته وَتَصْفيَة حَقيقَته بالرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات وَحينَئذ لاَ يَخْلو حَالهُ منْ أَحَد الأَمْرَيْن، إمَّا أَنْ يُوقَفَ في مَوْقف الوَاقفينَ، أَوْ يَرْجعَ إلى العَالم لتَكْميل الناقصينَ. فَعَلى اَلتَّقْدير الأَوَّل لاَ يَقَعُ سَيْرُه في المَقَامَات المَذْكُورَة وَلاَ يَكُونُ لهُ خَبَرٌ عَنْ تَفَاصيل اَلتَّجَليَات الأَسْمَائيَّة والصفاتيَّة. وَعَلى اَلتَّقْدير اَلثَّاني يَقَعُ سَيْرُه في تَفَاصيل المَقَامَات حينَ رُجُوعه إلى العَالم وَيَتَشَرَّفُ بتَجَليَات غَيْر مُتَنَاهيَة وَتَكُونُ لهُ صُورَةُ المُجَاهَدَة، وَلكنَّ هُوَ في كَمَال اَلذَّوْق وَاللذَّة في الحَقيقَة بالظَّاهـــر في اَلرِّيَاضَات وَبالبَاطـــن في اَلتَّنَعُّـــم وَاللذَّات (ع):

وَهَذَى سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصيبَ مَنْ

لاَ يُقَال: إنَّ الإِخْلاَصَ إذَا كَانَ منْ جُمْلَة المَأْمُورَات الوَاجبَة اَلامْتثَال وَلَمْ تَتَحَقَّقْ حَقيقَتُه بدُون الفَنَاء يَكُونُ العُلَمَاءُ وَالصُّلحَاءُ وَالأَخْيَارُ عَاصينَ بتَرْك الإِخْلاَص لعَدَم تَشَرُّفهمْ بحَقيقَة الفَنَاء لأَنَّا نَقُول: إنَّ نَفْسَ الإِخْلاَص حَاصل لَهُمْ وَلَوْ في ضمْن بَعْض أَفْرَاد الإِخْلاَص، وَالمُتَوَقِّفُ عَلى الفَنَاء إنَّمَا هُوَ كَمَال الإِخْلاَص اَلذي يَشْمَل جَميعَ أَفْرَاد الإِخْلاَص وَلهَذَا قيل لاَ يَحْصُل حَقيقَةُ الإِخْلاَص بدُون الفَنَاء دُونَ أَنْ يُقَال نَفْسُ الإِخْلاَص.

---

(١) ـــ الآية:٧ من سورة الحشر.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ
صَدَرَ أَيْضًا إلى الشَّيْخِ مُحَمَّد الجتري
في بَيَان أَنَّ مَدَارَ الأَمْرِ عَلىَ القَلب
وَأَنَّهُ لاَ يُفْتَحُ شَيْءٌ مِنْ مُجَرَّد الأَعْمَال الصُّورِيَّةِ وَالعِبَادَاتِ الرَّسْمِيَّةِ
وَامْتِثَال ذَلكَ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ الإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ وَالإِقْبَال عَلى جَنَاب قُدْسِهِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المُحَرَّر عَنْ زَيْغِ البَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ.

اعْلَمْ أَنَّ مَدَارَ الأَمْرِ عَلى القَلب. فَإِنْ كَانَ القَلبُ مَفْتُونًا وَمُتَعَلقًا بِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فَذَلكَ القَلبُ خَرَابٌ وَأَبْتَرُ وَلاَ يَحْصُل شَيْءٌ مِنْ مُجَرَّد الأَعْمَال الصُّورِيَّة وَالعِبَادَات الرُّسُومِيَّة بَل لاَ بُدَّ في كُل مِنْ سَلاَمَة القَلب مِنَ الالتفَات إلى مَا سِوَاهُ، تَعَالى وَالأَعْمَال الصَّالحَة المُتَعلقَةُ بالبَدَن التي أَمَرَ الشَّرْعُ بِفعْلهَا، وَدَعْوَى سَلاَمَة القَلب بِدُون إِتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة بَاطلةٌ كَمَا أَنَّ وُجُودَ الرُّوح بلاَ بَدَن غَيْرُ مُتَصَوَّر في هَذه النَّشْأَة وَحُصُول الأَحْوَال القَلبيَّة منْ غَيْر حُصُول الأَعْمَال الصَّالحَة القَالبيَّة مُحَال. وَكَثيرٌ منَ المُلحدينَ يَدَّعُونَ هَذه الدَّعْوَى في هَذَا الزَّمَان. نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ مُعْتَقَدَاتهمُ السَّيِّئَة بِحُرْمَة حَبِيبِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ.

اَلْمَكْتُوبُ الأَرْبَعُونَ
صَدَرَ أَيْضًا إِلى اَلشَّيْخِ مُحَمَّد الجتري
فِي بَيَانِ تَحْصِيلِ الإِخْلاَصِ
اَلذي هُوَ جُزْءٌ مِنَ الأَجْزَاءِ الثَّلاثة للشَّرِيعَة الغَرَّاء
وَأَنَّ اَلطَّرِيقَةَ وَالحَقِيقَةَ خَادِمَتَانِ لِلشَّرِيعَةِ فِي تَكْمِيلِ هَذَا الجُزْءِ
وَأَمْثَالِ ذَلِكَ

نَحْمَدُهُ وَنُصَلي عَلى نَبِيِّه وَنُسَلمُ:

أَيُّهَا المَخْدُومُ: قَدْ صَارَ مَعْلومًا لي بَعْد طَيْ مَسَارِ السُّلوك وَقَطْعِ مَقَامَاتِ الجَذْبَة، أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ هَذَا اَلسَّيْرِ وَالسُّلوك تَحْصِيل مَقَامِ الإِخْلاَصِ المَرْبُوطِ حُصُولُهُ بفَنَاء الآلهَة الآفَاقيَّه والأَنْفُسيَّة. وَهَذَا الإِخْلاَصُ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاء اَلشَّرِيعَة فَإِنَّ للشَّرِيعَة ثَلاَثَةَ أَجْزَاء: العِلمُ وَالعَمَل وَالإِخْلاَصُ. فَالطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ خَادِمَتَانِ للشَّرِيعَة فِي تَكْمِيل جُزْءِ الإِخْلاَص وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الأَمْر، وَلكِنْ لاَ يُدْرَكُ فَهْمُ كُلِ أَحَد ذَلِكَ وَأَكْثَرُ خَلق العَالم قَدْ اطْمَأَنُّوا بالمَنَام وَالخَيَال وَاكْتَفُوا بالجَوْز وَالمَوْز، فَمَاذَا يُدْرِكُونَ مِنْ كَمَالاَت اَلشَّرِيعَة وَأَنَّا يَصلونَ إِلى حَقِيقَة اَلطَّرِيقَة وَالحَقِيقَة، فَيَزْعُمُونَ اَلشَّرِيعَةَ قِشْرًا وَالحَقِيقَةَ لُبًّا وَلاَ يَدْرُونَ مَا حَقِيقَةُ المُعَامَلَة بَل يَغْتَرُّونَ بتُرَّهَات اَلصُّوفيَّة وَيَفْتَتِنُونَ بالأَحْوَال وَالمَقَامَات اَلسُّفْلِيَّة، هَدَاهُمُ اَللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ اَلطَّرِيقِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلى عِبَادِ اَللهِ اَلصَّالحِينَ.

اَلْمَكْتُوبُ الحَادِيَ وَالأَرْبَعُونَ
إلى اَلشَّيْخِ دَرْوِيشٍ
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلَى مُتَابَعَةِ اَلسُّنَّةِ اَلسَّنِّيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ
عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ
وَبَيَانِ أَنَّ اَلطَّرِيقَةَ وَالحَقِيقَةَ مُتَمِمَتَانِ للشَّرِيعَةِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّحَلِيَ وَالتَّزَيُّنَ بِمُتَابَعَةِ اَلسُّنَّةِ اَلسَّنِّيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِحُرْمَةِ اَلنَّبِيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اَللهِ ـــ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ـــ مَحْبُوبُ رَبِّ العَالَمِينَ وَكُلِ شَيْءٍ حَسَنٌ وَمَرْغُوبٌ فَهُوَ لأَجْلِ المَطْلُوبِ وَالمَحْبُوبِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ اَللهُ تَعَالَى فِي كَلَامِهِ المَجِيدِ: {إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[1] وَقَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَيْضًا: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[2] وَقَالَ أَيْضًا: {أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا اَلسُّبُلَ}[3] فَسَمَّى مِلَّتَهُ ـــ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ـــ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَجَعَلَ مَا سِوَاهَا دَاخِلاً فِي اَلسُّبُلِ وَمَنَعَ عَنِ اتِّبَاعِهَا، وَقَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِظْهَارًا لِلشُّكْرِ وَإِعْلَامًا لِلخَلْقِ وَهِدَايَةً لَهُمْ: " خَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ "[4] وَقَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَيْضًا:"**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**"[5] وَالبَاطِنُ مُتَمِّمٌ لِلظَّاهِرِ وَمُكَمِّلٌ لَهُ لاَ مُخَالِفَةَ بَيْنَهُمَا مِقْدَارَ شَعْرَةٍ. مَثَلاً عَدَمُ اَلتَّكَلُمِ بِالكَذِبِ شَرِيعَةٌ وَنَفْيُ الكَذِبِ عَنِ الخَاطِرِ طَرِيقَةٌ وَحَقِيقَةٌ. فَإِنَّ ذَلِكَ اَلنَّفْيَ لَوْ كَانَ بِالتَّعَمُّلِ وَالتَّكَلُفِ فَطَرِيقَةٌ وَإِلاَّ فَحَقِيقَةٌ فَكَانَ البَاطِنُ اَلَّذِي هُوَ اَلطَّرِيقَةُ

---

(١) ـــ الآية: ٤ من سورة القلم.

(٢) ـــ الآية: ٣ من سورة يس.

(٣) ـــ الآية: ١٥٣ من سورة الأنعام.

(٤) ـــ قوله: " وخير الهدى هدى محمد " أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه
وأخرجه البخاري موقوفا على عبد الله بن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ في كتاب: الأدب، باب: في الهدي الصالح.

(٥) ـــ قوله: " أدبني ربي فأحسن تأديبي " أخرجه ابن السمعاني في أدب الاملاء والاستملاء عن ابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ ورمز السيوطي في الجامع الصغير برمز الصحة قال السخاوي سنده ضعيف ومعناه صحيح وهو كذلك.

وَالحَقِيقَةُ مُتَمِّمًا وَمُكَمِّلاً في الحَقِيقَة للظَّاهِر اَلذي هُوَ اَلشَّرِيعَة، فَإِنْ ظَهَرَ لسالكي سُبُل اَلطَّرِيقَة وَالحَقِيقَة في أَثْنَاء طَرِيقهمْ أُمُورٌ مُخَالفَةٌ لظَاهِر اَلشَّرِيعَة وَأَظْهَرُوا ذَلكَ فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلى سُكْر الوَقْت وَغَلَبَة الحَال، فَإِنْ جَاوَزُوا ذَلكَ المَقَامَ وَخَرَجُوا منْ مَضيق اَلسُّكْر إلى فَضَاء اَلصَّحْو، تَرْتَفعُ تلكَ المُنَافَاةُ بالكُلِّيَّة وَتَكُونُ تلكَ العُلومُ المُتَضَادَّةُ هَبَاءً مَنْثُورًا، مَثَلاً قَالتْ طَائفَةٌ منَ اَلسُّكْر بالإحَاطَة اَلذَّاتيَّة وَرَأَوْا أَنَّ الحَقَّ مُحيطٌ بالعَالم بالذَّات تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَهَذَا الحُكْمُ مُخَالفٌ لآرَاء عُلَمَاء أَهْل الحَقِّ ؛ فَإِنَّهُمْ قَائلونَ بإحَاطَة علميَّة، وَآرَاءُ العُلَمَاء أَقْرَبُ إلى اَلصَّوَاب في الحَقيقَة، وَإِذَا قَال هَؤُلاَء اَلصُّوفيَّةُ بنَفْسهمْ بأَنَّ ذَاتَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لاَ يُحْكَمُ عَلَيْهَا بحُكْم يَكُونُ الحُكْمُ عَلَيْهَا بالإحَاطَة وَالسَّرَيَان مُخَالفًا لهَذَا القَوْل. وَالحَقُّ أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالى: {لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ}[1] لاَ سَبيل لحُكْم منَ الأَحْكَام إلَيْهَا أَصْلاً، بَل في ذَلكَ المَوْطن الحَيْرَةُ اَلصِّرْفَةُ وَالجَهَالةُ المَحْضَةُ فَكَيْفَ يَتَطَرَّقُ اَلسَّرَيَانُ وَالإحَاطَةُ إلَيْهَا وَيُمْكنُ اَلاعْتذَارُ منْ جَانب اَلصُّوفيَّة القَائلينَ بهَذه الأَحْكَام بأَنَّ مُرَادَهُمْ بالذَّات هُوَ اَلتَّعَيُّنُ الأَوَّل فَإِنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَقُولوا بزيَادَة ذَلكَ اَلتَّعَيُّن عَلى المُتَعَيَّن قَالوا لذَلكَ اَلتَّعَيُّن عَيْنَ اَلذَّات وَذَلكَ اَلتَّعَيُّنُ الأَوَّل المُعَبَّرُ عَنْهُ بالواحديَّة سَارَ في جَميع المُمْكنَات فَيَصحُّ الحُكْمُ بالإحَاطَة اَلذَّاتيَّة.

وَهَهُنَا دَقيقَةٌ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ ذَاتَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ عنْدَ عُلَمَاء أَهْل الحَقِّ مُنَزَّهَةٌ عَنِ المَثَل وَالكَيْف وَكُل مَا سوَاهَا زَائدٌ عَلَيْهَا حَتَّى أَنَّ ذَلكَ اَلتَّعَيُّنَ لوْ كَانَ ثَابتًا عنْدَهُمْ لكَانَ زَائدًا عَلى اَلذَّات وَخَارجًا عَنْ دَائرَة اللاَّمثْليَّة وَاللاَّكَيْفيَّة، فَلاَ يُقَالُ لإحَاطَته إحَاطَةٌ ذَاتيَّةٌ. فَكَانَ نَظَرُ العُلَمَاء أَعْلى منْ نَظَر هَؤُلاَء اَلصُّوفيَّة ؛ فَإِنَّ اَلذَّاتَ عنْدَهُمْ كَانَتْ دَاخلةً فيمَا سوَاهَا عنْدَ العُلَمَاء. وَعَلى هَذَا القيَاس القُرْبُ وَالمَعيَّةُ اَلذَّاتيَّان وَمُوَافَقَةُ المَعَارف البَاطنيَّة لعُلوم ظَاهر اَلشَّرِيعَة بتَمَامهَا وَكَمَالهَا بحَيْثُ لاَ يَبْقَى مَجَال المُخَالفَة في اَلنَّقير وَالقطْمير، إنَّمَا هيَ في مَقَام الصِّدِّيقيَّة اَلذي هُوَ فَوْقَ مَقَام الولاَيَة وَفَوْقَ مَقَام الصِّدِّيقيَّة مَقَامُ اَلنُّبُوَّة. وَالعُلومُ الحَاصلةُ للنَّبيِّ بطَريق الوَحْي مُنْكَشفَةٌ للصِّدِّيق بطَريق الإلهَام وَلَيْسَ بَيْنَ هَذَيْن العلمَيْن فَرْقٌ سوَى كَوْن حُصُول أَحَدهمَا بالوَحْي وَالآخَر بالإلهَام، فَكَيْفَ يَكُونُ للمُخَالفَة مَجَال فيه وَفي كُل مَقَام دُونَ مَقَام اَلصِّدِّيقيَّة نَحْوٌ منَ اَلسُّكْر.

---

(١) ــ الآية: ١١ من سورة الشورى.

وَالصَّحْوُ اَلتَّامُّ إِنَّمَا هُوَ فِي مَقَامِ الصِّدِّيقِيَّة فَحَسْبُ وَفَوْقٌ آخَرُ بَيْنَ هَذَيْنِ العلمَيْنِ أَنَّ فِي الوَحْيِ قَطْعًا وَفِي الإِلهَامِ ظَنًّا ؛ فَإِنَّ الوَحْيِ بتَوَسُّطِ المَلَكِ وَالمَلَائِكَةَ مَعْصُومُونَ لَيْسَ فيهِمُ احتمال الخَطَأ، وَالإِلهَامُ وَإِنْ كَانَ لَهُ المَحَلُ المُعَلى وَالمَنْزِلَ الأَعْلى اَلذي هُوَ القَلْبُ اَلذي هُوَ منْ عَالمِ الأَمْرِ لكنْ للقَلب نَحْوٌ منَ اَلتَّعَلق بالعَقْل وَالنَّفْسِ، وَالنَّفْسُ وَإِنْ صَارَتْ مُطْمَئِنَّةً بالتَّزْكِيَة لكِنَّهَا لاَ تَرْجِعُ عَنْ صِفَاتِهَا أَصْلاً باطْمئْنَانهَا فَكَانَ للخَطَأ مَجَال في ذَلكَ المَيْدَان.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ لبَقَاء صفَات اَلنَّفْسِ مَعَ وُجُود اطْمئْنَانهَا مَنَافِعُ كَثيرَةٌ وَفَوَائِدُ عَديدَةٌ فَإِنَّهُ لوْ كَانَتْ اَلنَّفْسُ مَمْنُوعَةً عَنْ ظُهُور صفَاتهَا بالكُلِّيَّة لكَانَ طَرِيقُ التَّرَقِّي مَمْدُودًا وَلظَهَرَ في اَلرُّوح صفَةُ المَلك بحَيْثُ تَصيرُ مَحْبُوسَةً في مَقَامهَا فَإِنَّ تَرَقِّيَهَا إِنَّمَا هُوَ بوَاسطَة مُخَالفَتهَا اَلنَّفْسَ، فَإِنْ لَمْ تَبْقَ في اَلنَّفْسِ مُخَالفَةٌ فَمنْ أَيْنَ يَحْصُلُ التَّرَقِّي وَلَما رَجَعَ سَيِّدُ الكَائنَات عَلَيْه أَفْضَل الصَّلوَات وَأَكْمَل التَّسْليمَات منَ الجهَاد مَعَ الكُفَّار مَرَّةً قَال: " رَجَعْنَا منَ الجهَاد الأَصْغَر إِلى الجهَاد الأَكْبَر "[1] فَقَال للجهَاد مَعَ اَلنَّفْسِ جهادًا أَكْبَرَ وَمُخَالفَةُ اَلنَّفْسِ في ذَلكَ المَوْطنِ إِنَّمَا تَكُونُ بتَرْك أَدْنَى عَزِيمَة بَل بإِرَادَتهَا ذَلكَ اَلتَّرْكَ مَهْمَا أَمْكَنَ لعَدَم تَصَوُّر تُحَقُّق اَلتَّرْك فيه. وَيَحْصُل بهَذه الإِرَادَة منَ اَلنَّدَامَة والخَجَالة وَالالتجَاء وَالتَّضَرُّع إِلى جَنَاب قُدْسه - جَل سُلطَانُهُ - مَا يَتَيَسَّرُ بهَا فَوَائدُ أُمُور سُنَّة مثلاً في سَاعَة لطيفَة.

وَلنَرْجعْ إِلى أَصْل الكَلاَم وَنَقُول: كُلمَا يُوجَدُ فيه شَمَائل اَلمَحْبُوب وَأَخْلاَقُهُ يَكُونُ ذَلكَ الشَيْءُ أَيْضًا مَحْبُوبًا بتَبَعيَّة المَحْبُوب وَفي قَوْله تَعَالى: {فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اَللهُ}[2] بَيَانٌ لهَذَا اَلرَّمْز فَالسَّاعي في مُتَابَعَته - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يُجَرُّ إِلى المَحْبُوبيَّة فَعَلى كُل عَاقل ذي لبٍّ السَّعْيُ في كَمَال اتِّبَاع حَبيبه - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - ظَاهرًا وَبَاطنًا.

---

(١) ـــ قال السيوطى روى الخطيب في تاريخه من حديث جابر قال قدم النبي عليه السلام من غزاة لهم فقال النبي علية السلام قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال مجاهدة العبد هواه انتهى من موضوعات على القارى قلت روى السيوطى في جامعة الكبير بعد هذا الحديث أحاديث يعضده منها: " المجاهد من جاهد نفسه " أخرجه الترمذي وابن حبان عن فضالة ابن عبيد ومنها: " أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه " أخرجه ابن النجار عن أبي ذر، ونسبه العراقى في تخريج أحاديث الإحياء إلى البيهقى من حديث جابر.

(٢) ـــ الآية: ٣١ من سورة آل عمران.

وَقَدْ انْجَرَّ الكَلاَمُ إِلى اَلتَّطْوِيل وَالمَأْمُول مُسَامَحَتُكُمْ وَجَمَال الكَلاَمِ إِذَا كَانَ مِنَ الجَمِيل المُطْلَقِ يَزْدَادُ حُسْنًا كُلمَا يَزْدَادُ طُولاً: {قُل لوْ كَانَ البَحْرُ مدَادًا لكَلمَات رَبِّي لنَفدَ البَحْرُ قَبْل أَنْ تَنْفَدَ كَلمَاتُ رَبِّي وَلوْ جئْنَا بمثْله مَدَدًا}[1] وَلنَنْقُل الكَلاَمَ إِلى مَحَل آخرَ وَنَقُول: إنَّ حَامِل هَذه اَلرَّقَميَّة مَوْلاَنَا مُحَمَّد حَافظ منْ أَهْل العلم وَكَثير العيَال وَبسَبَب قلة أَسْبَاب المَعيشَة تَوَجَّهَ نَحْوَ العَسْكَرِ فَإِنْ بَذَلْتُمْ فِي حَقِّه العنَايَةَ وَالالتفَاتَ وَكَلمْتُمْ اَلرَّئيسَ المَنْصُورَ الأَميرَ اَلنَّقيبَ اَلسَّيِّدَ اَلشَّيْخَ جيو لتَحْصيل الوَظيفَة أَوْ الإمْداد للمُشَارِ إِلَيْهِ يَكُونُ عَيْنَ الكَرَمِ وَلاَ نُصَدِّعُ بِأَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ.

(١) ــ الآية: ١٠٨ من سورة الكهف.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ
إِلَى اَلشَّيْخِ مُحَمَّد المَذْكُورِ أيضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ أَفْضَل المَصاقِيلِ لإِزَالَة صَدَاءِ مَحَبَّةِ مَا سِوَى الحَقِّ
مِنَ الحَقِيقَة الجَامِعَة القَلْبِيَّة
مُتَابَعَةُ اَلسُّنَّة اَلسَّنِّيَّة
عَلَى صَاحِبِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ

سَلمَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاكُمْ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِنْسَانَ مَا دَامَ مُتَلوِّثًا بِدَنَسِ التَّعَلقات اَلشَّتَّى مَحْرُومٌ وَمَهْجُورٌ وَلاَ بُدَّ مِنْ تَصْقِيل مِرْآة الحَقِيقَة الجَامِعَة مِنْ صَدَاءِ مَحَبَّة مَا سِوَاهُ عَزَّ وَجَل.

وَأَفْضَل المَصاقِيل فِي إِزَالَة ذَلِكَ اَلصَّدَاء مُتَابَعَةُ اَلسُّنَّة اَلسَّنِّيَّة المُصْطَفَوِيَّة عَلَى مَصْدَرِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ، وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى رَفْعِ العَادَات اَلنَّفْسَانِيَّة وَدَفْعِ اَلرُّسُومِ الظُّلمانيَّة فَطُوبَى لِمَنْ تَشَرَّفَ بِهَذه اَلنِّعْمَة العُظْمَى وَوَيْل لِمَنْ حُرِمَ مِنْ هَذه اَلدَّوْلة القُصْوَى وَبَقيَّةُ المَرَام أَنَّ أَخي الأَعَزَّ مَيَّانَ مُظَفَّرَ ابْنِ المَرْحُومِ اَلشَّيْخ كهورن وَمِنْ أَعْيَان اَلنَّاس وَأَوْلَاد الأَكَابِر وَحَوْلَهُ مِنْ مُتَعَلقَاته جَمْعٌ كَثِيرٌ فَهُوَ مَحَل اَلتَّرَحُّمِ فَبِمَاذَا نُصَدِّعُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهدى﴾[1].

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ

إلى اَلسَّيِّد اَلنَّقيب اَلشَّيْخ فَريد البُخَاريِّ

فِي بَيَان أَنَّ اَلتَّوْحيدَ عَلى قسْمَيْن شُهوديٌّ ووجُوديٌّ

وَأَنَّ مَا لاَ بُدَّ منْهُ هُوَ الشُّهوديُّ المَرْبُوطُ به الفَنَاءُ

وَأَنَّهُ فِي مَرْتَبَة عَيْن اليَقين وَمَا فَوْقَهُ فَهُوَ حَقُّ اليَقين

وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ منَ الأَسْئلة وَالأَجْوبَة والتَّمثيلات المُوَضِّحَة

سَلمَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَعَصَمَكُمْ عَمَّا يَصمُكُمْ وَصَانَكُمْ عَمَّا شَانَكُمْ وَاعْلَمْ أَنَّ اَلتَّوْحيدَ اَلذي يَظْهَرُ فِي أَثْنَاء طَريق هَذه اَلطَّائفَةُ العَليَّةُ عَلى قسْمَيْن: تَوْحيدٌ شُهوديٌّ، وَتَوْحيدٌ وجُوديٌّ. فَالتَّوْحيدُ الشُّهوديُّ هُوَ مُشَاهَدَةُ الوَاحد - يَعْني لاَ يَكُونُ مَشْهُودُ اَلسَّالك غَيْرَ وَاحد -. وَالتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ هُوَ أَنْ يَعْلَمَ اَلسَّالكُ وَيَعْتَقدَ المَوْجُودَ واحدًا وَأَنْ يَعْتَقدَ أَوْ يَظُنَّ غَيْرَه مَعْدُومًا وَأَنْ يَزْعُمَ الغَيْرَ مَعَ اعْتقَاد عَدَميَّته مُجَالى ذَلكَ الوَاحد وَمَظَاهرَهُ. فَكَانَ اَلتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ منْ قَبيل علمِ اليَقين.

وَالتَّوْحيدُ الشُّهُوديُّ منْ قَبيل عَيْن اليَقين وَهُوَ منْ ضَرُوريَّات هَذَا اَلطَّريق. فَإنَّ الفَنَاءَ لاَ يَتَحَقَّقُ بدُونه وَلاَ يَتَيَسَّرُ عَيْنُ اليَقين بلاَ تَحَقُّقه، فَإنَّ مُشَاهَدَةَ الأُحَديَّة باسْتيلاَئهَا مُسْتَلزمَةٌ لعَدَم رُؤْيَة مَا سوَاهُ بخلاَف اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ فَإنَّهُ ليْسَ كَذَلكَ - يَعْني أَنَّهُ ليْسَ بضَرُوريٍّ فَإنَّ علمَ اليَقين حَاصل بدُون تلكَ المَعْرفَة ؛ لأَنَّ علمَ اليَقين ليْسَ بمُسْتَلزم لنَفْي مَا سوَاهُ تَعَالى.

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّهُ مُسْتَلزمٌ لنَفْي علم مَا سوَاهُ وَقْتَ غَلَبَة علم ذَلكَ الوَاحد وَاسْتيلاَئه - مَثَلاً إذَا حَصَلَ لشَخْص يَقينٌ بوُجُود اَلشَّمْس فَاسْتيلاَءُ هَذَا اليَقين غَيْرُ مُسْتَلزم للعلم بأَنَّ اَلنُّجُومَ مُنْتَفيَةٌ وَمَعْدُومَةٌ فِي ذَلكَ الوَقْت، وَلَكنْ حينَ رُؤْيَته اَلشَّمْسَ لاَ يَرَى اَلنُّجُومَ البَتَّةَ وَلاَ يَكُونُ مَشهودُه غَيْرَ اَلشَّمْس، وَفِي هَذَا الوَقْت اَلذي لاَ يَرَى فيه اَلنُّجُومَ يَعْلَمُ أَنَّ اَلنُّجُومَ ليْسَتْ بمَعْدُومَة بَل يَعْلَمُ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَلَكنَّهَا مَسْتُورَةٌ وَفِي تَشَعْشُع نُور اَلشَّمْس مَغْلوبَةٌ، وَهَذَا اَلشَّخْصُ فِي مَقَام الإنْكَار لجَمَاعَة يَنْفُونَ وُجُودَ اَلنُّجُوم فِي ذَلكَ الوَقْت وَيَرَى أَنَّ تلكَ المَعْرفَةَ غَيْرُ وَاقعيَّة.

فَالتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ اَلذي هُوَ نَفْيُ مَا سوَى ذَات وَاحدَة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مُخَالفٌ للعَقْل وَالشَّرْع، بخلاَف اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ فَإنَّهُ لاَ مُخَالفَةَ فِي مُشَاهَدَة

الوَاحِد وَنَفْيِ اَلنُّجُومِ وَقْتَ طُلوعِ اَلشَّمْسِ مَثَلاً، وَالقَوْل بِأَنَّهَا مَعْدُومَةٌ مُخَالِفٌ للوَاقِعِ، وَأَمَّا عَدَمُ رُؤْيَةِ اَلنُّجُومِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ فَلاَ مُخَالِفَةَ فيه أَصْلاً بَل هَذَا إِنَّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ غَلَبَةِ ظُهُورِ نُورِ اَلشَّمْسِ وَضَعْفِ بَصَرِ الرَّائِي فَإِنْ اكْتَحَلَ بَصَرُ الرَّائِي بِنُورِ اَلشَّمْسِ تَحْصُلُ لهُ قُوَّةٌ يَرَى بِهَا أَنَّ اَلنُّجُومَ مُمْتَازَةٌ مِنَ اَلشَّمْسِ وَهَذِهِ اَلرُّؤْيَةُ - يَعْنِي رُؤْيَةَ اَلنُّجُومِ - مُمْتَازَةٌ مِنَ اَلشَّمْسِ فِي مَرْتَبَةِ حَقِّ اليَقِينِ.

وَأَقْوَال بَعْضِ المَشَايِخِ اَلتِي تُرَى مُخَالِفَةً لِظَاهِرِ اَلشَّرِيعَةِ الحَقَّةِ وَنَزَّلَهَا بَعْضُ اَلنَّاسِ إِلى اَلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ مِثْلُ قَوْلِ الحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ الحَلاَّجِ[1]: أَنَا الحَقُّ.

وَقَوْلُ أَبِي يَزِيدَ البِسْطَامِيِّ[2]: سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي. وَأَمْثَال ذَلِكَ. فَالأَوَّل وَالأَنْسَبُ تَنْزِيلهَا إِلى اَلتَّوْحِيدِ الشُّهُودِيِّ وَإِبْعَادُ المُخَالَفَةِ عَنْهَا فَإِنَّهُمْ لَمَّا اخْتَفَى مَا سِوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَنْ نَظَرِهِمْ تَكَلَّمُوا بِهَذِهِ الأَلْفَاظِ فِي غَلَبَةِ ذَلِكَ الحَال وَلَمْ يُثْبِتُوا غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ. وَمَعْنَى: أَنَا الحَقُّ. أَنَّهُ الحَقُّ دُونَ أَنَا فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ يَرَ نَفْسَهُ لَمْ يُثْبِتْهُ، لاَ أَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ وَقَال إِنَّهُ الحَقُّ فَإِنَّ هَذَا كُفْرٌ.

---

(١) ــ **الحسين بن منصور الحـــــلاج أبو مغيث**: الفارسي البغدادي الصوفي، توفي مصلوبا ببغداد سنة ٣٠٩ هـــ، له من التصانيف: بستان المعرفة، تفسير سورة الإخلاص، كتاب الأبد، كتاب الأحرف المحدثة والأزلية والأسماء الكلية، كتاب الأمثال، كتاب التوحيد، كتاب الجيم الأصغر، كتاب الجيم الأكبر، كتاب حمل النور والحياة والأرواح، كتاب خزائن الخيرات ويعرف أيضا بالإلف المألوف، كتاب خلق الإنسان والبيان، كتاب خلق خلائق القرآن والاعتبار، كتاب الذاريات ذروا، كتاب سر العالم والمبعوث، كتاب السمري وجوابه، كتاب السياسة إلى حسين بن حمدان، كتاب السياسة والخلفاء والأمراء، كتاب شخص الظلمات، كتاب الصدق والإخلاص، كتاب الصلاة والصلوات، كتاب الصيهون، كتاب طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة الزيتونة النورية، كتاب الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية، كتاب العدل والتوحيد، كتاب علم البقاء والفناء، كتاب الغريب والفصيح، كتاب في: **{إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}**، كتاب قرآن القرآن والفرقان، كتاب القيامة والقيامات، كتاب الكبر والعظمة، كتاب الكبريت الأحمر، كتاب كيد الشيطان وأمر السلطان، كتاب الكيفية بالمجاز، كتاب الكيفية والحقيقة، كتاب كيف كان وكيف يكون، كتاب لا كيف، كتاب المتجليات، كتاب مدح النبي والمثل الأعلى، كتاب موابيد العارفين، كتاب النجم إذا هوى، كتاب نور النور، كتاب الوجود الأزل، كتاب الوجود الثاني، كتاب هو هو، كتاب الهيا كل والعالَم والعالِم، كتاب اليقظة وبدو الخلق، كتاب اليقين.

(٢) ــ **أبو يزيد البسطامي**: طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي بن سروشان أبو يزيد البسطامي، الزاهد المشهور، توفي سنة ٢٦٤ هـــ له من التصانيف: معارج التحقيق في التصوف، ورسائل أخر.

لاَ يُقَال: إنَّ عَدَمَ الإِثْبَات مُسْتَلزِمٌ للنَّفْي وَهُوَ اَلتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ بعَيْنه.

لأَنَّا نَقُول: لاَ يَلزَمُ منْ عَدَم الإِثْبَات اَلنَّفْيُ، فَإِنَّ في ذَلكَ اَلمَوْطن حَيْرَةً بحَيْثُ قَدْ سَقَطَتْ الأَحْكَامُ فيه بالتَّمَام وَفي قَوْل: سُبْحَاني أَيْضًا تَنْزيهُ الحَقِّ لاَ تَنْزيهُ القَائل نَفْسَهُ فَإِنَّ نَفْسَهُ قَدْ ارْتَفَعَ عَنْ نَظَره بالكُلِّيَّة لاَ يَتَعَلقُ به حُكْمٌ أَصْلاً. وَأَمْثَال هَذه الأَقْوَال تَظْهَرُ منَ البَعْض في مَقَام عَيْن اليَقين اَلذي هُوَ مَقَامُ الحَيْرَة، فَإذَا تَرَقَّوْا منْ ذَلكَ المَقَام وَبَلغُوا مَرْتَبَةَ حَقِّ اليَقين يَتَحَاشَوْنَ منْ أَمْثَال تلكَ الكَلمَات وَلاَ يَتَعَدَّوْنَ عَنْ حَدِّ الاعْتدَال. وَقَدْ أَشَاعَ اَلتَّوْحيدُ الوُجُوديُّ في هَذَا اَلزَّمَان كَثيرًا منْ هَذه اَلطَّائفَة المُتَّزينَ بزيِّ اَلصُّوفيَّة وَلاَ يَدْرُونَ أَنَّ الكَمَال فيمَا وَرَاءَهُ وَيَقْنَعُونَ منَ العَيْن بالعلم وَيُنْزلونَ أَقْوَال المَشَايخ إلى مُتخَيِّلاتهم وَيَجْعَلونَهَا مُقْتَدًا بهَا لأَوْقَاتهمْ وسَندًا لأَحْوَالهمْ وَيُرَوِّجُونَ سُوقَهُمُ الكَاسدَ بهَذه اَلتَّخَيُّلات. وَلئنْ وَقَعَ في عبَارَات بَعْض المَشَايخ المُتَقَدِّمينَ فَرْضًا أَلفَاظٌ صَريحَةٌ في اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ كَانَ يَنْبَغي حَمْلهَا عَلى أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا بهَذه الكَلمَات في اَلابْتدَاء حينَ كَوْنهمْ في مَقَام علم اليَقين، ثُمَّ تَرَقَّى حَالُهُمْ منْ ذَلكَ المَقَام وَجَاوَزُوا منَ العلم إلى العَيْن أَخيرًا.

لاَ يُقَال هُنَا إنَّ أَرْبَابَ اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ كَمَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الوَاحدَ فَقَطْ كَذَلكَ هُمْ لاَ يَرَوْنَ إلاَّ الوَاحدَ فَقَطْ فَكَانَ لَهُمْ نَصيبٌ منْ عَيْن اليَقين أيضًا. لأَنَّا نَقُول: إنَّ أَرْبَابَ هَذَا اَلتَّوْحيد إنَّمَا يَرَوْنَ صُورَةَ اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ المثَاليَّة لاَ إنَّهُمْ تَحَقَّقُوا بذَلكَ اَلتَّوْحيد. وَلاَ مُنَاسَبَةَ للتَّوْحيد الشُّهُوديِّ بهَذه اَلصُّورَة المثَاليَّة في الحَقيقَة لأَنَّ وَقْتَ حُصُول ذَلكَ اَلتَّوْحيد وَقْتُ حَيْرَة لاَ حُكْمَ بشَيْء في ذَلكَ المَوْطن، وَصَاحبُ اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ مَعَ شُهُوده لصُورَة اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ المثَاليَّة منْ أَرْبَاب العلم فَإنَّهُ يَنْفي مَا سوَى الوَاحد، وَاَلنَّفْيُ حُكْمٌ منَ الأَحْكَام وَهُوَ منْ مَقُولة العلم، وَالعلمُ لاَ يَجْتَمعُ مَعَ الحَيْرَة، فَثَبَتَ أَنَّ صَاحبَ اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ لاَ حَظَّ لَهُ منْ مَقَام عَيْن اليَقين. نَعَمْ إذَا وَقَعَ لصَاحب اَلتَّوْحيد الشُّهُوديِّ اَلتَّرَقِّي منْ مَقَام الحَيْرَة يَبْلغُ مَقَامَ المَعْرفَة اَلتي هُوَ مَقَامُ حَقِّ اليَقين فَيَجْتَمعُ العلمُ في ذَلكَ المَوْطن مَعَ الحَيْرَة وَالعلم الحَاصل قَبْلَ الحَيْرَة وَمَعَ الحَيْرَة هُوَ علمُ اليَقين.

وَيَتَّضحُ هَذَا الجَوَابُ بمثَال وَهُوَ أَنَّ شَخْصًا رَأَى نَفْسَهُ مثلاً سُلطَانًا في المَنَام بوَاسطَة مُنَاسَبَة تَتَعَلقُ بمَقَام اَلسَّلطَنَة، وَوَجَدَ في نَفْسه لوَازمَ اَلسَّلطَنَة، وَمَعْلومٌ أَنَّ ذَلكَ اَلشَّخْصَ لَمْ يَصرْ سُلطَانًا بَعْدُ بهَذه اَلرُّؤْيَة بَل رَأَى نَفْسَهُ في صُورَة اَلسَّلطَنَة

المثاليَّة وَلاَ مُنَاسَبَةَ في الحَقيقَة للسَّلطَنَة بصُورَتهَا المثاليَّة أَصْلاً، إلاَّ أَنَّ هَذَا اَلشُّهُودَ وَلَوْ كَانَ لصُورَة مثاليَّة يُؤْذنُ بوُجُود الاسْتعْدَاد في ذَلكَ اَلشَّخْص للتَّحقُّق بحَقيقَة هَذه اَلصُّورَة، بحَيْثُ لوْ اجْتَهَدَ بغَايَة جُهْده وَكَانَتْ عنَايَةُ الحَقِّ – جَل شَأْنُهُ – شَاملاً حَالَهُ لَبَلغَ مَقَامَ اَلسَّلطَنَة. وَفَرْقٌ مَا بَيْنَ القُوَّة وَالفعْل كَثيرٌ، وَكَمْ منْ حَديد لهُ قَابليَّةٌ لأَنْ يَكُونَ مرْآةً لاَ يَصل إلى أَيْدي المُلوك حَتَّى يَصيرَ مرْآةً بالفعْل وَلاَ يَحْصُل لهُ نَصيبٌ منْ جمَالهمْ أَيْنَ وَقَعَتْ.

إلاَّ أَنِّي أَقُول: إنَّ سَبَبَ تَحْرير هَذه العُلوم الغَامضَة هُوَ أَنَّ أَكْثَرَ أَبْنَاء هَذَا اَلزَّمَان قَدْ تَمَسَّكَ بذَيْل اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ بَعْضُهمْ بالتَّقْليد، وَبَعْضُهمْ بمُجَرَّد العلم، وَبَعْضُهمْ بالعلم اَلمَمْزُوج بالذَّوْق وَلوْ في الجُمْلة، وَبَعْضُهمْ بالإلحاد وَالزَّنْدَقَة. وَصَارُوا يَرَوْنَ الكُل منَ الحَقِّ بَل يَرَوْنَ الكُل حَقًّا، وَطَفقُوا يُخرجُونَ رقَابَهمْ بهَذه الحيلة منْ رِبْقَة الإسْلاَم وَتَكَاليف اَلشَّريعَة وَيَخْتَرعُونَ أَنْوَاعَ المُدَاهَنَات في الأَحْكَام اَلشَّرْعيَّة، وَيَفْرَحُونَ بهَذه المُعَامَلاَت الغَيْر المَرْعيَّة. وَلئنْ اعْتَرَفُوا بإتْيَان الأَوَامر اَلشَّرْعيَّة إنَّمَا يَعْتَرفُونَ به بالتَّبعيَّة وَيَتَخَيَّلونَ المَقْصُودَ الأَصْليَّ وَرَاءَ اَلشَّريعَة العَليَّة حَاشَا وَكَلاَّ ثُمَّ حَاشَا وَكَلاَّ نَعُوذُ بالله سُبْحَانَهُ منْ هَذَا الاعْتقَاد اَلسُّوء ؛ فَإنَّ اَلطَّريقَةَ وَالشَّريعَةَ كُل منْهُمَا عَيْنُ الآخَر لاَ مُخَالفَةَ بَيْنهمَا مقْدَارَ شَعْرَة، وَإنَّمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا بالإجْمَال وَالتَّفْصيل وَالاسْتدْلاَل وَالكَشْف وَكُلمَا هُوَ مُخَالفٌ للشَّريعَة فَهُوَ مَرْدُودٌ. وَكُل حَقيقَة رَدَّتْه اَلشَّريعَةُ فَهُوَ زَنْدَقَةٌ. وَطَلَبُ الحَقيقَة مَعَ الاسْتقَامَة في اَلشَّريعَة حَال أَهْل الكَمَال منَ الرِّجَال. رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ الاسْتقَامَةَ وَالثَّبَاتَ عَلَى مُتَابَعَة سَيِّد البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ والتَّسْليمَاتُ وَالتَّحيَّاتُ ظَاهرًا وَبَاطنًا.

وَكَانَ العَارفُ بالله حَضْرَةُ شَيْخنَا وَقَبْلتنَا قَدَّسَ اَللهُ سرَّهُ في مَشْرَب اَلتَّوْحيد الوُجُوديِّ زَمَانًا، وَبَيَّنَهُ في رَسَائله ومكاتيبه، ثُمَّ رَزَقَهُ اَللهُ سُبْحَانَهُ التَّرَقِّيَ منْ ذَلكَ المَقَام أَخيرًا وَوَجَّهَ نَحْوَ اَلطَّريق الأَعْظَم وَخَلصَهُ منْ مَضيق هَذه المَعْرفَة.

نَقَل اَلشَّيْخُ مَيَّانُ عَبْدُ الحَقِّ اَلذي هُوَ منْ جُمْلة مُخَلصيه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَبْل مَرَض مَوْته بجُمُعَة: إنَّهُ قَدْ صَارَ لي مَعْلومًا بيَقين يَقين أَنَّ اَلتَّوْحيدَ الوُجُوديَّ سكَّةٌ صَغيرَةٌ وَالطَّريقُ الأَعْظَمُ غَيْرُه، وَقَدْ كُنْتُ عَلمْتُ هَذَا سَابقًا وَلَكنَّ الآنَ قَدْ حَصَل لي يَقينٌ آخَرُ ". وَكَانَ هَذَا الفَقيرُ أَيْضًا في مَشْرَب اَلتَّوْحيد مُدَّةً حين كُنْتُ في مُلاَزَمَة شَيْخي وَحُضُوره وَلاَحَتْ لي مُقَدِّمَاتٌ كَشْفيَّةٌ في تَأْييد هَذَا اَلطَّريق وَتَقْويَته

كَثِيرًا، ثُمَّ جَاوَزْتُ ذَلِكَ المَقَامَ بعنَايَة اَللهِ - جَل سُلطَانُهُ - وشَرَّفَنِي اَللهُ سُبْحَانَهُ بِمَقَامٍ أَرَادَهُ لِي. وَلَنَكْتَفِ بهَذَا القَدْرِ فَإِنَّ اَلزِّيَادَةَ عَلى ذَلِكَ مُوجِبٌ للإطْنَاب.

وَالشَّيْخُ مَيَّانُ زَكَرِيَّا لاَ يَزَالُ يَكْتُبُ فِي شَأْن مَنْصِبه وَيَظْهَرُ اَلالتِجَاءُ إلى عَتَبَتِكُمْ العَلِيَّة وَهُوَ فِي غَايَة الخَوْف منَ المُحَاسَبَة وَجَعَل مَلجَأَهُ وَمُعْتَصَمَهُ فِي عَالِم الحِكْمَة جَنَابَ قُدْسِكُمْ وَلَيْسَ لهُ مَلاَذٌ وَمَلجَأٌ فِي اَلظَّاهِر سوَى تَوَجُّهَاتِكُمْ العَلِيَّة، فَكَمَا سَبَقَ التفَاتُكُمْ إلَيْه كَذَلِكَ يَرْجُو أَنْ تُعِينُوهُ وَتَحْفَظُوهُ منْ ذئَاب الحَوَادث، وَهُوَ لاَ يَتَجَاسَرُ أَنْ يَعْرِضَ أَحْوَالهُ عَلَيْكُمْ بنَفْسه لكَمَال رِعَايَة الأَدَب مَعَكُمْ ؛ وَلهَذَا يُتَوَسَّل بِالفَقِيرِ إلَيْكُمْ فِي إظْهَارِ أَحْوَاله وَالمَرْجُوُّ أَنْ يَقْتَرِنَ مَسْئُولهُ بِالإجَابَة.

اَلمَكْتُوبُ اَلرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي مَدْحِ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ
وَبَيَانِ أَنَّ مُصَدِّقِيه مِنْ خَيْرِ الأُمَمِ وَمُكَذِّبِيه مِنْ أَشْرَارِ بَنِي آدَمَ
وَفِي اَلتَّرْغِيبِ فِي مُتَابَعَةِ سُنَّتِه اَلسَّنِيَّة
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ

وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ فِي أَعَزِّ الأَزْمِنَة وَتَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَتِه الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ وَالمِنَّةُ عَلَى مَا حَصَلْتُمْ مِنْ مِيرَاثِ الفَقْرِ المُحَمَّدِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ، وَمَحَبَّةُ الفُقَرَاءِ وَالارْتِبَاطُ بِهِمْ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ الفَقْرِ، وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا أَكْتُبُ فِي جَوَابِه سِوَى أَنْ أُحَرِّرَ فِقْرَاتٍ بِعِبَارَةٍ عَرَبِيَّةٍ مَأْثُورَةٍ فِي فَضَائِلِ جَدِّكُمْ الأَعْظَمِ خَيْرِ العَرَبِ وَالعَجَمِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ اَلتَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا، وَأَجْعَلَ هَذَا المَكْتُوبَ وَسِيلَةً لِنَجَاةٍ أُخْرَوِيَّةٍ لاَ أَنِّي أَمْدَحُ بِهِ اَلنَّبِيَّ عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَلْ أَمْدَحُ بِه مَقَالِي. شعْرٌ.

مَا أَنْ مَدَحْتُ مُحَمَّدًا بِمَقَالَتِي لَكِنْ مَدَحْتُ مَقَالَتِي بِمُحَمَّدِ

فَأَقُولُ وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اَللهِ " سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ "[١]، " وَأَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ عَلَى اَللهِ[٢] وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ[٣] وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اَللهُ لَهُ وَحَامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ[٤] وَهُوَ اَلذِي قَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " وَنَحْنُ الآخِرُونَ وَنَحْنُ اَلسَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ[٥]، وَإِنِّي قَائِلٌ

---

(١) ــ قوله أن محمدا رسول الله سيد ولد آدم الخ هذا حديث بين الناس مشهور وفي ألسنتهم مذكور وفي سائر الكتب مسطور روى من طرق متعددة بألفاظ مختلفة وممن رواه مسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه.

(٢) ــ قوله أكرم الأولين الخ رواه الترمذى والدارمى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ــ قوله أول من ينشق الخ هو في حديث مسلم وأبي داود.

(٤) ــ قوله لواء الحمد بيدى الخ الترمذى والدارمى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ــ قوله نحن الآخرون الخ الدارمى من حديث عمرو بن قيس رضي الله عنه.

قَوْلاً غَيْرَ فَخْرٍ وَأَنَا حَبِيبُ اَللهِ وَأَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلاَ فَخْرَ[١]، وَأَنَا خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اَللهِ بْنِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ، إِنَّ اَللهَ خَلَقَ الخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ ثُمَّ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا فَأَنَا خَيْرُهُمْ بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا وَأَنَا أَوَّلُ اَلنَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا[٢] وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذْ أَنْصَتُوا وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَئِسُوا وَلِوَاءُ الكَرَمِ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَلِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ اَلنَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ[٣] وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ "

لَوْلاَهُ لَمَا خَلَقَ اَللهُ سُبْحَانَهُ الخَلْقَ[٤] وَلَمَا أَظْهَرَ اَلرُّبُوبِيَّةَ، وَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ[٥]، (شِعْرٌ):

---

(١) ـــ قوله وأنا قائد أخرجه الدارمى من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) ـــ قوله وأنا أول الناس خروجا الخ أخرجه الترمذى والدرامى من حديث أنس رضي الله عنه سند.

(٣) ـــ قوله وإذا كان يوم القيامة الخ الترمذى وأحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه سند.

(٤) ـــ قوله لولاه لما خلق الله الخ إشاره إلى ما رواه الديلمى في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول الله " وعزتى وجلالى لولاك لما خلقت الدنيا ولولاك لما خلقت الجنة " وأورده في المواهب معزيا إلى ابن طغربك بلفظ " لولاه ما خلقتك " خطابا لآدم عليه السلام " ولا خلقت سماء ولا أرضا " ثم قال ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه أن آدم رأى اسم محمد مكتوبا على العرش وأن الله قال لآدم " لولا محمد ما خلقتك " قال الزرقانى روى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما " أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار " الحديث وأقره السبكى في شفاء الأسقام والبلقينى في فتاواه ومثله لا يقال رأيا وعند الديلمى عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه " أتانى جبريل فقال أن الله يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار " قلت معنى هذا الحديث لا شبهة في صحته ومطابقته لنفس الأمر عند كافة الصوفية وعامة من سواهم فهو صحيح إن شاء الله سند.

(٥) ـــ قوله وكان نبيا وآدم بين الماء والطين إشارة إلى حديث مشتهر في الألسنة " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " قال السخاوى نقلا عن ابن حجرانه قوى بهذا القدر. وقال السيوطى لا أصل له بهذا اللفظ ولكن في الترمذى متى كنت " نبيا قال وآدم بني الروح والجسد " وفي صحيح ابن حبان والحاكم " إنى لمكتوب عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته والحاصل هذا الحديث كثير الدوران بين الناس خصوصا عند الصوفية.

مَنْ كَانَ هَذَا مُقْتَداهُ بِأَمْرِهِ لنْ يَبْقَ فِي قَيْدِ الذُّنُوبِ وَأَسْرِهِ

فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُصَدِّقُ مِثْلِ هَذَا الرَّسُولِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ سَيِّدِ البَشَرِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خَيْرِ الأُمَمِ البَتَّةَ، وَيَكُونُ قَوْلُه تَعَالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[1] نَقْدَ وَقْتِهِمْ وَوَصْفَ حَالِهِمْ وَيَكُونُ مُكَذِّبُوهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ شَرَّ بَنِي آدَمَ وَيَكُونُ قَوْلُه تَعَالى: {الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا}[2] عَلاَّمَةَ حَالِهِمْ، فَيَا سَعَادَةَ مَنْ يُشَرَّفُ بِدَوْلَةِ اتِّبَاعِ سُنَّتِه السَّنِّيَّةِ وَمُتَابَعَةِ شَرِيعَتِه المَرْضِيَّةِ، وَالْيَوْمَ يَقْبَلُ الأَمْرُ اليَسِيرُ المَقْرُونُ بِتَصْدِيقِ حَقِّيَّةِ دِينِه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَكَانَ العَمَلِ الكَثِيرِ وَلاَ غَرْوَ فِيهِ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ نَالُوا مَا نَالُوا مِنَ الدَّرَجَاتِ بِوَاسِطَةِ حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الهِجْرَةُ وَالفِرَارُ عَنْ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالى بِسَبَبِ نُورِ اليَقِينِ الإِيمَانِيِّ وَقْتَ اسْتِيلاَءِ المُعَانِدِينَ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ العَسْكَرَ إِذَا صَدَرَتْ عَنْهُمْ حَرَكَةٌ يَسِيرَةٌ حِينَ غَلَبَةِ الأَعْدَاءِ وَاسْتِيلاَءِ المُخَالِفِينَ تَكُونُ مِنَ القَبُولِ وَالاِعْتِبَارِ بِمَرْتَبَةٍ لاَ تَبْلُغُهَا أَضْعَافُ تِلْكَ الحَرَكَةِ وَقْتَ الأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ.

وَأَيْضًا أَنَّهُ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ لَمَّا كَانَ مَحْبُوبَ رَبِّ العَالَمِينَ لاَ جَرَمَ يَبْلُغُ اتِّبَاعُهُ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ مَرْتَبَةَ المَحْبُوبِيَّةِ بِسَبَبِ المُتَابَعَةِ ؛ فَإِنَّ المُحِبَّ إِذَا رَأَى شَيْئًا مِنْ شَمَائِلِ مَحْبُوبِه عِنْدَ شَخْصٍ يُحِبُّ ذَلِكَ الشَّخْصَ بِالضَّرُورَةِ لِمُلاَبَسَتِه بِشَمَائِلِ مَحْبُوبِه وَأَخْلاَقِه. وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ حَالَ المُخَالِفِينَ.

شِعْرٌ.

رَئِيسُ جَمِيعِ العَالَمِينَ مُحَمَّد عَلَى رَأْسِ أَعْدَاهُ حَصًى وَتُرَابُ

فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ الهِجْرَةُ الظَّاهِرِيَّةُ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَى الهِجْرَةُ البَاطِنِيَّةُ بِكَمَالِهَا، وَأَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ - يَعْنِي مَعَ النَّاسِ فِي الظَّاهِرِ دُونَهُم يَعْنِي فِي البَاطِنِ، وَلَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا. وَقَدْ أَتَى مَوْسِمُ النَّيْرُوزِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَهْلَ المَمْلَكَةِ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ مُتَفَرِّقِي البَالِ وَمُتَشَتِّتِي الحَالِ فَإِذَا سَاعَدَتْ إِرَادَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى تَتَيَسَّرُ المُلاَقَاةُ بَعْدَ مُضِيِّ تِلْكَ الأَحْوَالِ. وَزِيَادَةُ الإِطْنَابِ مُوجِبَةٌ لِلمَلاَلِ. ثَبَّتَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمْ الكِرَامِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

---

(١) ـــ الآية: ١١٠من سورة آل عمران.

(٢) ـــ الآية: ٩٧ من سورة التوبة.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ
كَتَبَهُ إِلى المَذْكُورِ أَيْضًا
إِظْهَارًا لشُكْرِ تَقْوِيَته اَلظَّاهِرِيَّةَ أُمُورَ فُقَرَاءِ الخانقاه بَعْدَ ارْتِحَال شَيْخه وَبَيَّنَ فِيهِ أَيْضًا كَوْنَ جَامِعيَّةِ الإِنْسَان سَبَبًا لنُقْصَانه كَكَوْنِهَا سَبَبًا لكَمَالِه
مَعَ ذِكْرِ فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

ثَبَّتَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّةِ آبَائِكُمْ الكِرَامِ وَسَلَمَكُمْ عَنْ مُوجِبَاتِ اَلتَّلَهُّفِ وَالتَّأَسُّفِ عَلى مُرُورِ اَلشُّهُورِ وَالأَيَّامِ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اَللهِ تَعَالى بِحُكْمِ " المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ " مَعَ اَللهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَالتَّعَلُّقُ بِالبَدَنِ نَوْعٌ مِنْ مَوَانِعِ تِلْكَ المَعِيَّةِ وَالاتِّصَالِ. وَأَمَّا بَعْدَ الانْفِصَالِ مِنْ هَذَا المَقَرِّ الهيولانى وَالمُفَارَقَةِ عَنِ الهَيْكَلِ الظُّلْمَانِيِّ فَقُرْبٌ فِي قُرْبٍ وَاتِّصَالٌ فِي اتِّصَالٍ، المَوْتُ جِسْرٌ يُوصِلُ الحَبِيبَ إِلى الحَبِيبِ. بَيَانٌ لِهَذَا المَعْنَى، وَفِي قَوْلِه تَعَالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اَللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اَللهِ لَآتٍ}[1] تَسْلِيَةٌ لِلمُشْتَاقِينَ وَرَمْزٌ مِنْ ذَلِكَ البَيَانِ، وَلَكِنْ أَحْوَالُ العَاجِزِينَ اَلذِينَ أَخَّرَتْهُمُ العَلاَئِقُ وَالعَوَائِقُ بِلاَ دَوْلَةِ الحُضُورِ عِنْدَ أَكَابِرِ اَلدِّينِ خَرَابٌ وَأَبْتَرُ، وَالاسْتِفَاضَةُ مِنْ رُوحَانِيَّاتِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ مَشْرُوطَةٌ بِشَرَائِطَ لاَ مَجَالَ لِكُلِّ شَخْصٍ فِي إِيفَائِهَا، وَلَكِنَّ الحَمْدَ لله سُبْحَانَهُ ذِي الإِنْعَامِ وَالمِنَّةِ عَلى أَنَّ جَعْلَ مُرَبِّي هَؤُلاَءِ الفُقَرَاءِ العَاجِزِينَ وَمُعِينِهِمْ وَقْتَ ظُهُورِ هَذِه الحَادِثَةِ الهَائِلَةِ وَالوَاقِعَةِ المُوحِشَةِ المُفْزِعَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ اَلنُّبُوَّةِ عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ، فَصَارَ سَبَبًا لاِنْتِظَامِ هَذِه اَلسِّلْسِلَةِ العَلِيَّةِ، وَوَاسِطَةً لِجَمْعِيَّةِ اَلنِّسْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ، وَلاَ غَرْوَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ هَذِه اَلنِّسْبَةَ العَلِيَّةَ لَمَّا كَانَتْ فِي هَذِه اَلدِّيَارِ غَرِيبَةً جِدًّا وَكَانَ أَهْلُهَا فِي هَذِه المَمْلَكَةِ قَدْ جَاوَزُوا فِي القِلَّةِ حَدًّا كَنِسْبَةِ أَهْلِ البَيْتِ بَيْنَ سَائِرِ اَلنَّسَبِ، نَاسَبَ أَنْ يَكُونَ مُرَبِّيهَا وَحَامِيهَا مِنْ أَهْلِ البَيْتِ وَكَانَ تَقْوِيَتُهَا مِنْهُمْ أَوْلَى وَأَحْرَى ؛ لِئَلاَّ يَلْزَمَ تَكْمِيلُ تِلْكَ اَلدَّوْلَةِ العُظْمَى بِالغَيْرِ، فَكَمَا أَنَّ شُكْرَ هَذِه اَلنِّعْمَةِ القُصْوَى لاَزِمٌ لِلفُقَرَاءِ، كَذَلِكَ شُكْرُ هَذِه اَلدَّوْلَةِ الأَسْمَى[2] لاَزِمٌ لِذِمَّتِهِمْ. وَكَمَا أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلى الجَمْعِيَّةِ البَاطِنِيَّةِ كَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلى الجَمْعِيَّةِ اَلظَّاهِرِيَّةِ بَلْ هَذَا الاحْتِيَاجُ مُقَدَّمٌ عَلى ذَلِكَ اَلاحْتِيَاجِ.

---

(١) ــ الآية: ٥ من سورة العنكبوت.

(٢) ــ يعني يلزمهم أيضا أن يشكروا على من قام بتربيتهم وتقوية نسبتهم لموجب قضية شكر النعم واجب وهو المكتوب إليه السيد فريد البخارى منه عفى عنه.

وَأَحْوَجُ الخَلاَئِقِ هُوَ الإِنْسَانُ وَشِدَّةُ احْتِيَاجِه إِنَّمَا هِيَ بِوَاسِطَةِ جَامِعِيَّتِه فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ وَحْدَهُ مَا يَلْزَمُ الكُلَّ وَلَهُ تَعَلُّقٌ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَتعلقاتُه أَكْثَرُ مِنْ تَعَلقات الكُلِّ، وَكُلُّ تَعَلُّقٍ مُسْتَلزِمٌ لِلإِعْرَاضِ عَنْ جَنَابِ قُدْسِه تَعَالَى، فَكَانَ الإِنْسَانُ أَشَدَّ الخَلاَئِقِ وَأَكْثَرَهُمْ حِرْمَانًا مِنْ هَذِه الحَيْثِيَّة. شِعْرٌ.

وَمَرْتَبَةُ الإِنْسَانِ فِي آخِرِ الوَرَى ... لِذَلِكَ عَنْ عِزِّ الحُضُورِ تَأَخُّرَا
فَإِنْ لَمْ يَعُدْ مِنْ بُعْدِه وَاغْتِرَابِه ... فَلاَ شَيْءَ مَحْرُومٌ كَإِنْسٍ مِنَ الوَرَى

وَالحَال أَنَّ سَبَبَ أَفْضَلِيَّتِه مِنْ جَمِيعِ الخَلاَئِقِ كَانَ أَيْضًا مِنْ جِهَةِ جَامِعِيَّتِه ؛ وَلِهَذَا كَانَ مِرْآتُهُ أَتَمَّ فَكُلَمَا يَظْهَرُ فِي مَرَايَا جَمِيعِ الخَلاَئِقِ فَهُوَ لاَئِحٌ فِي مِرْآةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ، فَكَانَ أَفْضَلَ الخَلاَئِقِ مِنْ هَذِه الجِهَةِ هُوَ الإِنْسَانُ، وَشَرُّ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ هُوَ الإِنْسَانُ ؛ إِذْ مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَمِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ اللَعِينُ. وَلاَ شَكَّ أَنَّكُمْ كَفِيلٌ بِجَمْعِيَّةِ هَؤُلاَءِ الفُقَرَاءِ فِي الظَّاهِرِ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِحُكْمِ: الوَلَدُ سِرُّ أَبِيه.

اَلرَّجَاءُ تَامٌّ بِحُصُولِ الجَمْعِيَّةِ البَاطِنِيَّةِ أَيْضًا بِسَبَبِكُمْ.

وَلَمَّا وَرَدَ مَكْتُوبُكُمُ الشَّرِيفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ خَطَرَ فِي الخَاطِرِ الفَاتِرِ أَنْ أَكْتُبَ نُبْذَةً مِنْ فَضَائِلِ هَذَا الشَّهْرِ العَظِيمِ القَدْرِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرٌ عَظِيمٌ. وَكُلُّ عِبَادَةٍ نَافِلَةٍ مِنَ الصَّلاَةِ وَالذِّكْرِ وَالصَّدَقَةِ وَأَمْثَالِهَا فِي هَذَا الشَّهْرِ تُسَاوِي أَدَاءَ فَرِيضَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيه كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ فَطَّرَ فِيه صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِه وَعِتْقَ رَقَبَتِه مِنَ النَّارِ وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِه مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِه شَيْءٌ، وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِه فِيه غَفَرَ اللهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ. " وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ أَطْلَقَ كُلَّ أَسِيرٍ وَأَعْطَى كُلَّ سَائِلٍ "[1]. وَمَنْ وُفِّقَ لِلخَيْرَاتِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ التَّوْفِيقُ رَفِيقَهُ فِي تَمَامِ هَذِه السَّنَةِ. وَإِذَا مَرَّ هَذَا الشَّهْرُ عَلَى تَفْرِقَةٍ يَكُونُ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ عَلَى تَفْرِقَةٍ. فَيَنْبَغِي فِيه أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ الجَمْعِيَّةِ مَهْمَا أَمْكَنَ مُغْتَنِمًا لِهَذَا

---

(١) ـــ رواه البيهقي في شعب الإيمان عن سلمان الفارسي ـــ رضي الله عنه ـــ بلفظ: "من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه "،،،،،، الخ مشكاة وفسر الشراح الخير بقولهم: " أي " من أنواع النوافل " رواه البيهقي عن ابن عباس مشكاة.

اَلشَّهْرِ؛ فَإِنَّ اَللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يُعْتِقُ فِي كُل لَيْلةٍ مِنْ لَيَاليهَا أَلوفًا مِمَّنْ اِسْتَحَقَّ اَلنَّارَ(١).

وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّة فِي هَذَا اَلشَّهْرِ.

وَتُغْلقُ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ.

وَتُسَلسَل اَلشَّيَاطِينُ.

وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ اَلرَّحْمَة.

وَتَعْجيل الإِفْطَارِ(٢) وَتَأْخيرُ اَلسُّحُورِ(٣) مِنَ اَلسُّنَنِ.

قَدْ بَالغَ اَلنَّبيُّ ــ صَلى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ فِي هَذَا البَابِ وَيُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ مُبَالغَةً لإِظْهَار احْتيَاجه المُنَاسب لمَقَامِ العُبُودِيَّة.

وَالإِفْطَارُ بالتَّمْرِ سُنَّةٌ(٤).

وَيَقْرَأُ وَقْتَ الإِفْطَارِ هَذَا اَلدُّعَاءَ: ذَهَبَ اَلظِّمَاءُ وَابْتَلتْ العُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى(٥).

وَأَدَاءُ اَلتَّرَاوِيحِ وَخَتْمُ القُرْآنِ فِي هَذَا اَلشَّهْرِ مِنَ اَلسُّنَنِ المُؤَكِّدَةِ(٦) وَمُثْمِرٌ لنَتَائجَ كَثيرَة.

وَفَّقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ بحُرْمَة حَبيبه عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. وَبَقيَّةُ الكَلاَمِ أَنَّ اَلصَّحيفَةَ اَلشَّريفَةَ وَرَدَتْ فِي وَسَطِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَإِلاَّ مَا كُنْتُ أُسَامحُ نَفْسِي فِي اَلتَّأْخيرِ عَنِ امْتثَال الأَمْرِ، وَالتَّكَلمُ ممَّا بَعْدَ اَلشَّهْرِ المَذْكُورِ حُكْمٌ بالغَيْب، وَمَبْنِيٌّ عَلى طُولِ الأَمَل. وَبالجُمْلة يَكُونُ مَا هُوَ مَرْضَاكُمْ وَلاَ أَكُونُ فِي صَوْنِ

---

(١) ــ رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة بألفاظ متقاربة كما في المشكاة.

(٢) ــ قال الله تعالى: " أحب عبادى إلىّ أعجلهم فطرا " الترمذى عن أبي هريرة مشكاة.

(٣) ــ عن زيد بن ثابت أنه قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله علية وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قال أنس كم كان قدر ذلك قال قدر خمسين آية سند.

(٤) ــ عن سلمان بن عامر قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمرة؛ فإن فيه بركة " رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى، مشكاة وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال: " كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يفطر قبل أن يصلى على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات " الحديث رواه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب.

(٥) ــ رواه أبو داود عن أنس مشكاة.

(٦) ــ يعني من سنن الخلفاء الراشدين فإنها يقال لها أيضا سنة كما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ".

نَفْسِي بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ فَإِنَّ حُقُوقَكُمْ ثَابِتَةٌ فِي ذِمَّتِنَا نَحْنُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

قَال حَضْرَةُ قِبْلَتِنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - إِنَّ حُقُوقَ اَلشَّيْخِ جيو ثَابِتَةٌ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا وَمُقَرَّرَةٌ لَدَيْكُمْ فَإِنَّهُ هُوَ البَاعِثُ عَلى هَذه الجَمْعِيَّةِ وَفَّقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعًا دَائِمًا للأَعْمَال المَرْضِيَّةِ بِحُرْمَةِ اَلنَّبِيِّ وَآلِهِ الأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ تَصْدِيعٌ تَامٌّ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ وُجُودَ الوَاجِبِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَكَذَلِكَ وَحْدَانِيَّتُهُ بَل نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِسَالَتُهُ وَجَمِيعُ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ كُلُّهَا بَدِيهِيٌّ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلى فِكْرٍ وَدَلِيلٍ
وَذُكِرَ فِي إِيضَاحِ ذَلِكَ مُقَدِّمَاتٌ كَثِيرَةٌ

ثَبَّتَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّةِ آبَائِكُمُ الكِرَامِ عَلى أَوَّلِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ أَوَّلاً وَعَلى بَوَاقِيهِمْ ثَانِيًا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ وُجُودَ البَارِي تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَكَذَلِكَ وَحْدَانِيَّتُه سُبْحَانَهُ بَل نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ بَل جَمِيعُ مَا جَاءَ بِه مِنْ عِنْدِ اللهِ بَدِيهِيٌّ لاَ يَحْتَاجُ إِلى فِكْرٍ وَدَلِيلٍ عَلى تَقْدِيرِ سَلاَمَةِ القُوَّةِ المُدْرِكَةِ مِنَ الآفَاتِ الرَّدِيَّةِ وَالأَمْرَاضِ المَعْنَوِيَّةِ وَالنَّظَرُ وَالفِكْرُ فِيهَا مَقْصُورٌ عَلى زَمَنِ وُجُودِ العِلةِ وَثُبُوتِ الآفَةِ، وَأَمَّا بَعْدَ النَّجَاةِ مِنَ المَرَضِ القَلْبِيِّ وَزَوَالِ الغِشَاوَةِ البَصَرِيَّةِ فَلاَ شَيْءَ سِوَى البَدَاهَةِ ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ الصَّفْرَاوِيَّ مَثَلاً مَا دَامَ مُبْتَلاً بِعِلةِ الصَّفْرَاءِ يَحْتَاجُ إِثْبَاتَ حَلاَوَةِ السُّكَّرِ وَالعَسَلِ عِنْدَهُ إِلى الدَّلِيلِ، وَلكِنْ إِذَا تَخَلصَ مِنْ تِلكَ العِلةِ لاَ يَحْتَاجُ إِلى دَلِيلٍ أَصْلاً، وَلاَ مُنَافَاةَ بَيْنَ احْتِيَاجِه إِلى الدَّلِيلِ النَّاشِئِ عَنْ وُجُودِ الآفَةِ وَبَيْنَ بَدَاهَتِه - يَعْنِي فِي ذَاتِه - أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَحْوَلَ يَرَى الوَاحِدَ اثْنَيْنِ وَيَحْكُمُ بِعَدَمِ وَحْدَتِه، فَهُوَ مَعْذُورٌ فِي هَذَا الحُكْمِ. وَلاَ يُخْرِجُ حُكْمُهُ هَذَا النَّاشِئُ مِنَ الآفَةِ فِيه وَحْدَةُ ذَلِكَ الوَاحِدِ مِنَ البَدَاهَةِ، وَلاَ يُدْخِلهَا فِي النَّظَرِيَّةِ. وَمِنَ المُحَقَّقِ أَنَّ مَيْدَانَ الاسْتِدْلاَلِ ضَيِّقٌ جِدًّا وَحُصُولَ اليَقِينِ مِنْ طَرِيقِ الدَّلِيلِ وَالنَّظَرِ وَالفِكْرِ مُتَعَذِّرٌ ؛ فَكَانَ فِكْرُ إِزَالةِ المَرَضِ القَلْبِيِّ لِتَحْصِيلِ الإِيمَانِ اليَقِينِيِّ ضَرُورِيًّا كَمَا أَنَّ إِزَالةَ عِلةِ الصَّفْرَاءِ فِي تَحْصِيلِ اليَقِينِ بِحَلاَوَةِ السُّكَّرِ أَشَدُّ ضَرُورَةً مِنْ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلى حَلاَوَةِ السُّكَّرِ، وَكَيْفَ يَحْصُلُ اليَقِينُ بِه بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ مَعَ حُكْمِ وِجْدَانِه بِمَرَارَتِه بِسَبَبِ عِلةِ الصَّفْرَاءِ القَائِمِ بِه، وَهَكَذَا الحُكْمُ فِيمَا نَحْنُ فِيه فَإِنَّ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ مُنْكِرَةٌ لِلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالذَّاتِ وَحَاكِمَةٌ بِتَنَاقُضِهَا بِالطَّبْعِ، فَتَحْصِيلُ اليَقِينِ بِحَقِّيَّةِ هَذِهِ الأَحْكَامِ الصَّادِقَةِ مِنْ طَرِيقِ الدَّلِيلِ مَعَ وُجُودِ إِنْكَارِ وِجْدَانِ المُسْتَدَلِ عَلَيْهِ عَسِيرٌ جِدًّا، فَكَانَتْ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ ضَرُورِيَّةً لِتَعَسُّرِ حُصُولِ اليَقِينِ اللاَّزِمِ الحُصُولِ بِدُونِهَا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[١] فَتَقَرَّرَ أَنَّ مُنْكِرَ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ البَاهِرَةِ وَالمِلَّةِ الطَّاهِرَةِ الظَّاهِرَةِ مَعْلُولٌ بِعِلَّةِ مِثْلِ مُنْكِرِ حَلَاوَةِ السُّكَّرِ وَلَكِنْ:

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفْقِ طَالِعَةً أَنْ لَا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

فَالمَقْصُودُ مِنَ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةِ القَلْبِ هُوَ إِزَالَةُ الآفَاتِ المَعْنَوِيَّةِ وَالأَمْرَاضِ القَلْبِيَّةِ المُشَارِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}[٢] لِتَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ، فَإِنْ وُجِدَ الإِيمَانُ مَعَ وُجُودِ هَذِهِ الآفَاتِ فَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ فَقَطْ ؛ لِأَنَّ وِجْدَانَ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ حَاكِمٌ بِخِلَافِهِ وَهِيَ مُصِرَّةٌ عَلَى كُفْرِهَا، وَمِثْلُ هَذَا الإِيمَانِ الصُّورِيِّ مِثْلُ إِيمَانِ الصَّفْرَاوِيِّ بِحَلَاوَةِ السُّكَّرِ فِي كَوْنِ وِجْدَانِهِ حَاكِمًا وَشَاهِدًا بِخِلَافِهِ، فَكَمَا أَنَّ اليَقِينَ الحَقِيقِيَّ بِحَلَاوَةِ السُّكَّرِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بَعْدَ زَوَالِ مَرَضِ الصَّفْرَاءِ، كَذَلِكَ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ - يَعْنِي بِحَقِّيَّةِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَصِدْقِهَا - إِنَّمَا تَحْصُلُ بَعْدَ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَاطْمِئْنَانِهَا، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ الإِيمَانُ وِجْدَانِيًّا وَهَذَا القِسْمُ مِنْ أَقْسَامِ الإِيمَانِ مَحْفُوظٌ مِنَ الزَّوَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٣] صَادِقٌ فِي شَأْنِ صَاحِبِهِ. شَرَّفَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِشَرَفِ هَذَا الإِيمَانِ الكَامِلِ الحَقِيقِيِّ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ القُرَشِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

---

(١) ــ الآية:٩، ١٠ من سورة الشمس.

(٢) ــ الآية: ١٠ من سورة البقرة.

(٣) ــ الآية: ٦٢ من سورة يونس.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ
إلى المَذْكُور أَيْضًا
فِي اَلشِّكَايَةِ مِنْ ضَعْفِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَغَلَبَةِ الكُفَّارِ
وَتَرْغِيبِ اَلسَّلاَطِينِ فِي تَرْوِيجِ اَلدِّينِ وَتَقْوِيَةِ المُسْلِمِينَ

ثَبَّتَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى جَادَّةِ آبَائِكُمْ الكِرَامِ عَلَى أَفْضَلِهِمْ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ أَوَّلاً وَعَلَى بَوَاقِيهِمْ ثَانِيًا اَلصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ وَالسَّلاَمُ.

اعْلَمْ أَنَّ اَلسُّلْطَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى العَالَمِ بِمَثَابَةِ القَلْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى البَدَنِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَكَمَا أَنَّ القَلْبَ إِذَا كَانَ صَالِحًا يَكُونُ البَدَنُ صَالِحًا وَإِذَا كَانَ فَاسِدًا يَكُونُ البَدَنُ فَاسِدًا، كَذَلِكَ صَلاَحُ اَلسُّلْطَانِ صَلاَحُ العَالَمِ وَفَسَادُهُ فَسَادُهُ، أَلاَ تَرَى أَنَّهُ مَاذَا جَرَى عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فِي القَرْنِ اَلسَّابِقِ وَفِي ابْتِدَاءِ الإِسْلاَمِ مَعَ كَمَالِ غُرْبَتِهِ وَعَجْزِ أَهْلِهِ وَقِلَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ لَمْ يُورِثْ ذَلِكَ وَلَمْ يُوجِبْ شَيْئًا سِوَى أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُونَ عَلَى دِينِهِمْ وَالكُفَّارُ عَلَى كُفْرِهِمْ - يَعْنِي لَمْ يَقْدِرْ الكُفَّارُ أَنْ يُغَيِّرُوا مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ شَيْئًا وَأَنْ يُجْرُوا عَلَيْهِمْ أَحْكَامَ الكُفْرِ مَعَ قُوَّتِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ - وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[1] بَيَانٌ لِذَلِكَ وَأَمَّا فِي القَرْنِ المَاضِي فَقَدْ أَجْرَى الكُفَّارُ أَحْكَامَهُمْ فِي دَارِ الإِسْلاَمِ عَلَى المَلاَ بِطَرِيقَةِ الغَلَبَةِ وَالاسْتِيلاَءِ، حَتَّى عَجَزَ المُسْلِمُونَ عَنْ إِظْهَارِ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ بِحَيْثُ مَنْ أَظْهَرَهُ قَتَلُوهُ، وَا وَيْلاَ وَيَا مُصِيبَتَا وَيَا حَسْرَتَا وَيَا حُزْنًا عَلَى مَا صَارَ مُصَدِّقُو مُحَمَّدٍ رَسُولِ اَللهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ مَحْبُوبِ رَبِّ العَالَمِينَ أَذِلاَّءَ حَقِيرِينَ عَدِيمِي المِقْدَارِ، وَمُنْكِرُوهُ فِي غَايَةِ العِزِّ وَالاعْتِبَارِ، وَالمُسْلِمُونَ فِي تَعْزِيَةِ الإِسْلاَمِ مَعَ قُلُوبٍ مَجْرُوحَةٍ، وَالمُعَانِدُونَ يَرُشُّونَ المِلْحَ عَلَى جِرَاحَاتِهِمْ بِالسُّخْرِيَةِ وَالاسْتِهْزَاءِ، وَشَمْسُ الهِدَايَةِ مَسْتُورَةٌ تَحْتَ أُفُقِ اَلضَّلاَلَةِ وَنُورُ الحَقِّ مُنْزَوٍ وَمُنْعَزِلٌ فِي حُجُبِ البَاطِلِ. وَقَدْ وَصَلَ الآنَ زَوَالُ مَانِعِ ظُهُورِ الإِسْلاَمِ وَبِشَارَةُ جُلُوسِ سُلْطَانِ المُسْلِمِينَ عَلَى سَرِيرِ اَلسَّلْطَنَةِ إِلَى مَسَامِعِ الخَاصِّ وَالعَامِّ. فَيَنْبَغِي لأَهْلِ الإِسْلاَمِ أَنْ يُعِدُّوا مُعَاوَنَةَ اَلسُّلْطَانِ وَإِمْدَادَهُ لاَزِمَةً لِذِمَّتِهِمْ، وَأَنْ يَدُلُّوهُ عَلَى تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَةِ وَتَقْوِيَةِ الملة ؛ وَهَذَا الإِمْدَادُ وَالتَّقْوِيَةُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِاللِّسَانِ، وَأَنْ يَكُونَ بِاليَدِ. وَأَسْبَقُ الإِمْدَادِ بِاللِّسَانِ وَأَفْضَلُهُ هُوَ تَبْيِينُ المَسَائِلِ اَلشَّرْعِيَّةِ وَإِظْهَارُ العَقَائِدِ اَلكَلاَمِيَّةِ عَلَى طِبْقِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اَلسَّنِيَّةِ وَإِجْمَاعِ

---

(١) ـــ الآية: ٦ من سورة الكافرون.

الأُمَّة اَلنَّبَوِيَّة ؛ لئلاَّ يَظْهَرَ فِي البَيْنِ ضَال وَمُبْتَدِعٌ فَيَسُدَّ اَلطَّرِيقَ، وَيَنْجَرَّ الأَمْرُ إلى الفَسَاد. وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الإِمْدَاد مَخْصُوصٌ بِعُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ المُقْبِلِينَ عَلى الآخِرَة، فَإِنَّ عُلَمَاءَ اَلدُّنْيَا اَلذِينَ هِمَّتُهُمُ اَلتَّهَافُتُ عَلى مَتَاعِ اَلدُّنْيَا وَجَمْعِ حُطَامِهَا صُحْبَتُهُمْ سُمٌّ قَاتِل وَفَسَادُهُمْ فَسَادٌ مُتَعَدٍّ. شِعْرٌ.

إِذَا كَانَ ذُو علمٍ أَسيرًا بنَفْسه فَمَنْ ذَا اَلذي يَنْجُو به منْ غَوَايَته

وَكُل بَلاَء ظَهَرَ فِي القَرْن المَاضِي إِنَّمَا ظَهَرَ بِسَبَبِ شآمَة هَؤُلاَء الجَمَاعَة ؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ اَلذِينَ أَخْرَجُوا اَلسُّلطَانَ مِنَ اَلطَّرِيق الحَقَّة، بَل لَيْسَتْ فِرْقَةٌ مِنَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً إِلاَّ ومُقْتداهُم فِي اخْتِيَار طَرِيق اَلضَّلاَلَة هُمُ العُلَمَاءُ اَلسُّوءُ وَقَل مَنْ تَتَعَدَّى ضَلاَلَتُه إِلى الغَيْرِ اخْتَارَ اَلضَّلاَلَةَ غَيْرَ العُلَمَاء اَلسُّوء وَأَكْثَرُ الجُهَلاَء المُتَشَبِّهِينَ بالصُّوفِيَّة فِي هَذَا اَلزَّمَان لَهُمْ حُكْمُ العُلَمَاء اَلسُّوء أَيْضًا، فَإِنَّ فَسَادَهُمْ فَسَادٌ مُتَعَدٍّ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ كُل مَنْ يُقَصِّرُ فِي الإِمْدَاد مَعَ وُجُود الاسْتِطَاعَة فِي أَيِّ نَوْعٍ كَانَ مِنَ الإِمْدَاد وَوَقَعَ الفُتُورُ عَلى أُمُور أَهْل الإِسْلاَم يَكُونُ مُعَاتَبًا.

وَبِنَاءً عَلى هَذَا يُرِيدُ هَذَا الفَقِيرُ أَنْ يُلقِيَ نَفْسَهُ إِلى مَيْدَان مُمِدِّي دَوْلَة الإِسْلاَم وَيَجْتَهِدَ فِيه بِقَدْرِ الإِمْكَان فَبِحُكْمِ " مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ "(١) يَحْتَمِل أَنْ يَكُونَ هَذَا العَاجِزُ عَدِيمَ الاسْتِطَاعَة دَاخِلاً فِي زُمْرَة هَؤُلاَء الجَمَاعَة. وَإِنَّ مَثَلِي مَثَل عَجُوزٍ جَاءَتْ بِغَزْلِهَا فِي سُوق مُشْتَرِي يُوسُفَ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِتَشْتَرِيَهُ بِه، وَالمَرْجُوُّ أَنْ أَتَشَرَّفَ بِشَرَف الحُضُور عَنْ قَرِيب إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالى، وَالمُتَوَقَّعُ مِنْ جَنَاب شَرَفِكُمْ حَيْثُ يَسَّرَ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لَكُمُ الاسْتِطَاعَةَ وَقُرْبَ اَلسُّلطَان عَلى الوَجْه الأَتَمِّ أَنْ تَجْتَهِدَ فِي تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَة المُحَمَّدِيَّة عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ، وَإِخْرَاجُ المُسْلِمِينَ مِنَ الكُرْبَة، وَالإِسْلاَمِ مِنَ الغُرْبَة فِي خَلْوَة وَجَلْوَة. وَلِحَامِل الرَّقِيمَة مَوْلاَنَا حَامِد وَظِيفَةٌ مُقَرَّرَةٌ مِنَ الأَمِير صَاحِب الإِقْبَال وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَخَذَهَا فِي العَام المَاضِي فِي حُضُورِكُمْ، وَجَاءَ فِي هَذِهِ اَلسَّنَة أَيْضًا بِهَذَا اَلرَّجَاء. يَسَّرَ لَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلدَّوْلَةَ الحَقِيقَةَ وَالمَجَازِيَّةَ.

---

(١) ــ هذا حديث أخرجه أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا بزيادة ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به اهـــ سند عفى عنه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ
إِلى اَلْمَذْكُورِ أَيْضًا فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى تَعْظِيمِ العُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ العُلُومِ اَلذِينَ هُمْ حَمَلَةُ اَلشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ

نَصَرَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلى الأَعْدَاءِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ. قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَةِ مَكْتُوبِكُمْ اَلشَّرِيفِ اَلْمُرْسَلِ عَلى وَجْهِ اَلالتِفَاتِ إِلى الفُقَرَاءِ وَحَرَّرَ مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ قليج مُوَفَّقٌ فِي الكِتَابِ أَنَّهُ قَدْ أُرْسِلَ شَيْءٌ مِنَ الخَرْجِ لأَجْلِ طَلَبَةِ العُلُومِ وَالصُّوفِيَّةِ وَقَدْ حَسُنَ تَقْدِيمُ طَلَبَةِ العُلُومِ عَلى اَلصُّوفِيَّةِ فِي نَظَرِ الهِمَّةِ جِدًّا، وَبِحُكْمِ اَلظَّاهِرِ عُنْوَانُ البَاطِنِ نَرْجُو أَنْ يَحْصُلَ تَقْدِيمُ هَؤُلَاءِ الجَمَاعَةِ فِي البَاطِنِ أَيْضًا، (ع):

وَكُلُ إِنَاءٍ بِالَذِي فِيهِ يَنْضَحُ

وَفِي تَقْدِيمِ طَلَبَةِ العُلُومِ تَرْوِيجُ اَلشَّرِيعَةِ لأَنَّهُمْ حَمَلَةُ اَلشَّرِيعَةِ اَلنَّبَوِيَّةِ، وَالمِلَّةُ المُصْطَفَوِيَّةُ قَائِمَةٌ بِهِمْ، وَالنَّاسُ إِنَّمَا يَسألون يَوْمَ القِيَامَةِ عَنِ اَلشَّرِيعَةِ دُونَ اَلتَّصَوُّفِ، وَكُلُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ وَتَجَنُّبِ اَلنَّارِ مَرْبُوطٌ بِإِتْيَانِ اَلشَّرِيعَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ اَلذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الكَائِنَاتِ إِنَّمَا دَعَوْا الخَلْقَ إِلى اَلشَّرَائِعِ وَجَعَلوا مَدَارَ اَلنَّجَاةِ عَلَيْهَا. وَالمَقْصُودُ مِنْ بَعْثَةِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ هُوَ تَبْلِيغُ اَلشَّرَائِعِ. فَأَعْظَمُ الخَيْرَاتِ إِذًا هُوَ السَّعْيُ فِي تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَةِ وَإِحْيَاءِ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِه خصوصًا فِي اَلزَّمَانِ اَلذِي انْهَدَمَتْ فيه شَعَائِرُ الإِسْلَامِ بِحَيْثُ لَوْ أَنْفَقَ أُلوفًا فِي سَبِيلِ اَللهِ لَا يُسَاوِي ذَلِكَ تَرْوِيجَ مَسْأَلَةٍ مِنَ المَسَائِلِ اَلشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّ فِي هَذَا الفِعْلِ اقْتِدَاءً بِالأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ اَلصَّلَاةُ اَلسَّلَامُ اَلذِينَ هُمْ أَعْظَمُ المَخْلُوقَاتِ وَمُشَارَكَةٌ لِهَؤُلَاءِ اَلأَكَابِرِ، وَمِنَ المُقَرَّرِ أَنَّ أَكْمَلَ الحَسَنَاتِ مُسَلَّمٌ لَهُمْ وَإِنْفَاقَ الأُلوفِ مُيَسَّرٌ لِغَيْرِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ أَيْضًا.

وَفِي إِقَامَةِ اَلشَّرِيعَةِ وَالعَمَلِ بِأَحْكَامِهَا مُخَالَفَةُ اَلنَّفْسِ أَيْضًا ؛ لأَنَّ اَلشَّرِيعَةَ وَرَدَتْ عَلى خِلَافِ اَلنَّفْسِ، وَفِي إِنْفَاقِ الأَمْوَالِ مُوَافَقَةُ اَلنَّفْسِ أَحْيَانًا. نَعَمْ إِنْ كَانَ الإِنْفَاقُ لِتَأْيِيدِ اَلشَّرِيعَةِ وَتَرْوِيجِ المِلَّةِ فَلَهُ دَرَجَةٌ عُلْيَا وَإِنْفَاقُ فَلْسٍ بِهَذِهِ اَلنِّيَّةِ يُسَاوِي إِنْفَاقَ أُلوفٍ فِي سَائِرِ الأُمْنِيَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ طَالِبَ عِلْمٍ أَسِيرٌ فِي يَدِ نَفْسِهِ فَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلى صُوفِيٍّ تَخَلَّصَ مِنْ رِقِّيَّةِ نَفْسِهِ ؟

أُجيبُ أنَّ هَذَا القَائل لَمْ يَفْهَمْ بَعْدُ حَقِيقَةَ الكَلاَمِ وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلى أَصْل المَرَام، فَإِنَّ طَالبَ علمٍ سَبَبٌ لنَجَاة الخَلاَئق مَعَ وُجُود أَسْرِه في يَده نَفْسه، فَإِنَّ تَبْليغَ الأَحْكَامِ اَلشَّرْعيَّة مَنُوطٌ به وَإِنْ لَمْ يَنْتَفعْ هُوَ نَفْسُهُ بهَا. والصُّوفيُّ مَعَ وُجُود تَخلصه إِنَّمَا خَلصَ نَفْسَهُ فَقَطْ لاَ التفَاتَ لهُ إلى الخَلاَئق. وَأَفْضَليَّةُ مَنْ تَعَلقَتْ به نَجَاةُ كَثير وَجَم غَفير ممَّنْ اقْتَصرَتْ اَلنَّجَاةُ عَلَيْه أَمْرٌ مُقَرَّرٌ. نَعَمْ إِذَا رَجَعَ الصُّوفيُّ إلى العَالَم لدَعْوَة الخَلْق بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء وَالسَّيْر عَن اَللهِ وَبَاللهِ وَحَصَل لهُ نَصيبٌ منْ مَقَام اَلنُّبُوَّة، فَهُوَ دَاخل في مُبَلغي اَلشَّريعَة وَلهُ حُكْمُ العُلمَاء الأَشْرَاف {ذَلكَ فَضْل اَللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}[1].

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ
إِلى اَلْمَذْكُورِ أَيْضًا
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى الجَمْعِ بَيْنَ دَوْلَتَيْ تَحْلِيَةِ اَلظَّاهِرِ بِإِتْيَانِ الأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّةِ
وَتَخْلِيةِ البَاطِنِ عَنْ عَلاَقَةِ مَا سِوَاهُ تَعَالى

أَسْعَدَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ بِدَوْلَةٍ صُورِيَّةٍ وَسَعَادَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ. وَالدَّوْلَةُ اَلصُّورِيَّةُ فِي الحَقِيقَةِ هِيَ **كَوْنُ اَلظَّاهِرِ** مُحَلًى بِالأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّةِ اَلْمُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ. وَالسَّعَادَةُ اَلْمَعْنَوِيَّةُ هِيَ تَخَلصُ البَاطِنِ وَخُلُوُّهُ عَنْ عَلاَقَةِ مَا سِوَاهُ وَالاِرْتِبَاطُ بِغَيْرِهِ تَعَالى. فَيا فَوْزَ مَنْ تَشَرَّفَ بِهَاتَيْنِ اَلدَّوْلَتَيْنِ، (ع):

هَذَا هُوَ اَلأَمْرُ والبَاقِي مِنَ العَبَثِ

وَالزِّيَادَةُ تَصْدِيعٌ.

المَكْتُوبُ الخَمْسُونَ
في مَذَمَّة الدُّنْيَا الدَّنِيَّة
إِلَى السَّيِّدِ المَذْكُورِ أَيْضًا

أَكْرَمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ بالحَرِيَّة مِنْ رِقِّيَة مَا سِوَاهُ وَجَعَلكُمْ مُتَوَجِّهًا إِلَيْه سُبْحَانَهُ بالتَّمَام وَمَشْغُوفًا به عَلَى الدَّوَام بحُرْمَة سَيِّد البَشَر المُحَرَّر عَنْ زَيْغ البَصَر عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اعْلَمْ: أَنَّ هَذه الدُّنْيَا حُلْوٌ فِي الظَّاهِر وَلَهَا طَرَاوَةٌ صُورِيَّةٌ، وَلَكِنَّهَا فِي الحَقِيقَة سُمٌّ قَاتل وَمَتَاعٌ بَاطل، وَلَيْسَ فِي التَّعَلق وَالارْتبَاط بهَا طَائل، مَقْبُولهَا مَخْذُول وَمفتُونُها مَجْنُونٌ، وَحُكْمُهَا حُكْمُ نَجَاسَة طُلِيَتْ بالذَّهَب، وَمَثَلهَا مَثَل سُمٍّ مَخْلوط بالسُّكَّر، وَالعَاقل هُوَ الذي لاَ يَغْتَرُّ بمثْل هَذَا المَتَاع الكَاسد وَلاَ يَتَعَلقُ بمثْل هَذَا الشَّيْء الفَاسد ؛ وَلهَذَا قَال الفُقَهَاءُ لوْ أَوْصَى بمَاله للعُقَلاَء فَهُوَ للزُّهَّاد لأَنَّهُمْ يَرْغَبُونَ عَن الدُّنْيَا، وَرَغْبَتُهمْ عَنْهَا تَدُل عَلَى كَمَال عَقْلهمْ وَفطْنَتهمْ. وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلكَ إِطْنَابٌ وَبَقِيَّةُ المَرَام - أَنَّ الشَّيْخَ زَكَرِيَّا مُبْتَلاً بمَنْصب اسْتيفَاء الخَرَاج فِي هَذَا السَّنِّ وَأَنَّهُ مَعَ وُجُود هَذَا الابْتلاَء خَائفٌ دَائمًا منَ المُحَاسَبَة العَاجلة التي هيَ فِي غَايَة السُّهُولة بالنِّسْبَة إِلَى المُحَاسَبَة الآجلة، وَيَرَى وَثيقَتَهُ العُظْمَى فِي عَالم الأَسْبَاب تَوَجُّهَكُمْ الشَّرِيفَ، وَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ كَوْنُهُ منْ خدْمَة العَتَبَة العَلِيَّة ظَاهِرًا فِي الدِّيوَان الجَديد أَيْضًا يَعْني مَعْلومًا عنْدَ أَرْبَابهَا. شعْرٌ.

أَلاَ أَعْطني قَلْبًا تَرَى منْ جَسَارَة الأَ سُودَ وَإِنْ أَلفَيْتَني قَبْل ثَعْلبَا

يَسَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ الدَّوْلَةَ الصُّورِيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ بحُرْمَة النَّبِيِّ الأُمِّي وَآله الأَمْجَاد - عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

اَلمَكْتُوبُ الحَادِيَ وَالخَمْسُونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي اَلتَّرْغِيبِ فِي تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ
عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

نَسْأَل اَللهَ سُبْحَانَهُ تَقْوَى أَرْكَانِ اَلشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ وَرَوَاجَ أَحْكَامِ المِلةِ اَلسَّمْحَةِ البَيْضَاءِ بِتَوَسُّلِ وُجُودِ سُلَالَةِ العِظَامِ اَلشَّرِيفَةِ.

ع هَذَا هُوَ الأَمْرُ وَالبَاقِي مِنَ العَبَثِ وَالنَّجَاةُ لِغُرَبَاءِ أَهْلِ الإِسْلَامِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ مِنْ لُجَّةِ بَحْرِ اَلضَّلَالَةِ إِنَّمَا تَرَجَّى مِنْ سَفِينَةِ أَهْلِ بَيْتِ خَيْرِ البَشَرِ مَعْدِنِ اَلرِّسَالَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَفْضَلُهَا قَالَ - عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: "مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ"[1].

فَيَنْبَغِي صَرْفُ الهِمَّةِ العُلْيَا فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ اَلسَّعَادَةِ العُظْمَى. وَقَدْ تَيَسَّرَ لَكُمْ بِعِنَايَةِ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الجَاهُ وَالجَلَالُ وَالعَظَمَةُ وَالشَّوْكَةُ كُلُّهَا، فَإِنْ انْضَمَّتْ هَذِهِ العَلَاوَةُ إِلَى هَذِهِ المَذْكُورَاتِ مَعَ وُجُودِ اَلشَّرَفِ الذَّاتِيِّ، فَقَدْ أَحْرَزْتُمْ قَصَبَ اَلسَّبْقِ فِي مَيْدَانِ اَلسَّعَادَةِ عَلَى جَمِيعِ الأَقْرَانِ وَهَذَا الفَقِيرُ مُتَوَجِّهٌ نَحْوَكُمْ بِإِرَادَةِ إِظْهَارِ أَمْثَالِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ فِي تَأْيِيدِ اَلشَّرِيعَةِ الحَقَّةِ وَتَرْوِيجِهَا. وَرَأَوْا هِلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي دِهْلِي وَفَهِمَ مَرْضِيَ حَضْرَةُ الوَالِدَةِ فِي اَلتَّوَقُّفِ فَتَوَقَّفْتُ بِالضَّرُورَةِ لِاسْتِمَاعِ خَتْمِ القُرْآنِ. وَالأَمْرُ عِنْدَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالمَرْجُوُّ مِنَ اَللهِ حُصُولُ سَعَادَةِ اَلدَّارَيْنِ.

---

(١) ــ أخرجه البزار عن ابن عباس وابن الزبير والحاكم عن أبي ذر سند.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّانِي وَالْخَمْسُونَ
إِلى اَلسَّيِّد اَلْمَذْكُورِ أَيْضًا
فِي مَذَمَّةِ اَلنَّفْسِ الأَمَّارَةِ
وَبَيَانِ مَرَضِهَا الذَّاتِيِّ
وَبَيَانِ عِلاَجِ إِزَالَةِ ذَلِكَ اَلْمَرَضِ

قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَةِ مَكْتُوبِ الأَخِ اَلْمُكَرَّمِ اَلذي جَعَل هَذَا الدَّاعِيَ اَلْمُخْلِصَ مُمْتَازًا به عَلى وَجْهِ اَلشَّفَقَةِ وَالرَّأْفَةِ عَظَّمَ اَللهُ سُبْحَانَهُ أَجْرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ بِحُرْمَةِ جَدِّكُمْ الأَمْجَدِ عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ الصلاة أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلهَا ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَلى مُتَابَعَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَيَرْحَمُ اَللهُ عَبْدًا قَال آمِينًا.

وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّرَ فقْرَات فِي اَلشِّكَايَةِ مِنْ صَاحِبِ اَلسُّوءِ وَالنَّدِيمِ السَّيِّءِ الخُلق. فَالمَرْجُوُّ الإِصْغَاءُ إِلَيْهِ بِسَمْعِ القَبُولِ فَاعْلَمْ أَيُّهَا اَلْمَخْدُومُ اَلْمُكَرَّمُ: أَنَّ اَلنَّفْسَ الأَمَّارَةَ الإِنْسَانِيَّةَ مَجْبُولَةٌ عَلى حُبِّ الجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَجَمِيعُ هِمَّتِهَا اَلتَّرَفُّعُ عَلى جَمِيعِ الأَقْرَانِ، وَمُتَمَنَّاهَا بِالذَّاتِ أَنْ يَكُونَ الخَلاَئِقُ كُلهمْ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهَا وَمُنْقَادِينَ إِلى أَوَامِرِهَا وَنَوَاهِيهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ هِيَ مُحْتَاجَةً إِلى الشَيْءِ وَمَحْكُومَةً لأَحَدٍ أَبَدًا، وَهَذِه كُلهَا هِيَ دَعْوَى الأُلوهِيَّةِ مِنْهَا وَالشَّرِكَةُ مَعَ خَالِقِهَا اَلْمُنَزَّهِ عَنِ اَلْمَثَلِ وَالشَّبَهِ - جَل سُلْطَانُهُ -، بَل هِيَ البَعِيدَةُ عَنِ اَلسَّعَادَةِ غَيْرُ رَاضِيَةٍ بِالشَّرِكَةِ بَل تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ هِيَ الحَاكِمَةُ فَقَطْ لاَ غَيْرُ وَيَكُونُ الكُل تَحْتَ حُكْمِهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ " عَادِ نَفْسَكَ فَإِنَّهَا انْتَصَبَتْ لِمُعَادَاتِي "[1] فَتَرْبِيَةُ اَلنَّفْسِ بِإِعْطَاءِ مُرَادَاتِهَا مِنَ الجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَالتَّرَفُّعِ وَالتَّكَبُّرِ، إِمْدَادُهَا فِي الحَقِيقَةِ لِعَدَاوَةِ اَللهِ عَزَّ وَجَل وَتَقْوِيَتِهَا لِذَلِكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُدْرِكَ شَنَاعَةَ هَذَا الأَمْرِ جِدًّا وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ " الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ فِي نَارِي وَلاَ أُبَالِي "[2] وَإِنَّمَا كَانَتْ اَلدُّنْيَا اَلدَّنِيَّةُ مَبْغُوضَةً عِنْدَ

---

(١) ـــ قيل هذا من قدسيات داود عليه السلام.

(٢) ـــ (وقوله والكبرياء الحديث) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجه عن ابن عباس أيضا سند. إشارة لما ورد فيه من الأحاديث سند.

الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَلعُونَةً بِسَبَبِ أَنَّ حُصُولَهَا مُمِدٌّ وَمُعَاوِنٌ فِي حُصُولِ مُرَادَاتِ اَلنَّفْسِ، فَمَنْ أَمَدَّ العَدُوَّ لاَ جَرَمَ يَسْتَحِقُّ اللعْنَ وَالطَّرْدَ.

وَإِنَّمَا صَارَ الفَقْرُ فَخْرًا مُحَمَّدِيًّا[1] عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنَّ فِي الفَقْرِ عَدَمَ حُصُولِ مُرَادِ اَلنَّفْسِ وَحُصُولِ عَجْزِهَا. وَالمَقْصُودُ مِنْ بَعْثَةِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالحِكْمَةُ فِي اَلتَّكْلِيفَاتِ اَلشَّرْعِيَّةِ هُوَ تَعْجِيزُ هَذِهِ اَلنَّفْسِ الأَمَّارَةِ وَتَخْرِيبُهَا، وَقَدْ وَرَدَتْ اَلشَّرَائِعُ لِرَفْعِ الهَوَى النَّفسانيِّ، وَكُلمَا يُعْمَلُ شَيْءٌ بِمُقْتَضَى اَلشَّرِيعَةِ يَزُولُ مِنَ الهَوَى النَّفْسانيِّ بِقَدْرِهِ وَلِهَذَا كَانَ فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ الأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّةِ أَفْضَلَ فِي إِزَالَةِ الهَوَى النَّفسانيِّ مِنْ رِيَاضَاتِ أَلفِ سَنَةٍ وَمُجَاهَدَاتِهَا اَلتِي كَانَتْ مِنْ قِبَلِ اَلنَّفْسِ، بَلْ هَذِهِ اَلرِّيَاضَةُ وَالمُجَاهَدَاتُ اَلتِي لَمْ تَقَعْ عَلَى مُقْتَضَى اَلشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ مُؤَيِّدَةٌ وَمُقَوِّيَةٌ لِلهَوَى النَّفسانيِّ. وَلَمْ تُقَصِّرِ البَرَاهِمَةُ الجوكية فِي اَلرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهَدَاتِ شَيْئًا، وَلَكِنَّهَا لَمَّا لَمْ تَكُنْ عَلَى وَفْقِ اَلشَّرِيعَةِ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا أَصْلاً وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ غَيْرُ تَقْوِيَةِ اَلنَّفْسِ وَتَرْبِيَتِهَا.

فَمَنْ صَرَفَ مَثَلاً دَانَقًا بِنِيَّةِ أَدَاءِ اَلزَّكَاةِ اَلتِي أَمَرَ بِهَا اَلشَّرْعُ فَهُوَ أَنْفَعُ فِي تَخْرِيبِ اَلنَّفْسِ مِنْ صَرْفِ أَلفِ دِينَارٍ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ أَكْلُ اَلطَّعَامِ يَوْمَ عِيدِ الفِطْرِ بِحُكْمِ اَلشَّرِيعَةِ أَنْفَعُ فِي دَفْعِ الهَوَى مِنْ صِيَامِ سِنِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَأَدَاءُ رَكْعَتَيِ الفَجْرِ مَعَ الجَمَاعَةِ اَلتِي هِيَ سُنَّةٌ مِنَ اَلسُّنَنِ أَفْضَلُ مِنْ قِيَامِ تَمَامِ اَللَّيْلَةِ بِالنَّافِلَةِ مَعَ تَرْكِ الجَمَاعَةِ فِي الفَجْرِ. وَبِالجُمْلَةِ: إِنَّ اَلنَّفْسَ مَا لَمْ تَتْرُكْ مِنْ خُبْثِ ماليخوليا دَعْوَى اَلسِّيَادَةِ وَالرِّفْعَةِ فَالنَّجَاةُ مُحَالٌ، فَفِكْرُ إِزَالَةِ هَذَا المَرَضِ ضَرُورِيٌّ كَيْلاَ يُفْضِيَ إِلَى المَوْتِ الأَبَدِيِّ، وَكَلِمَةُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ اَلتِي وُضِعَتْ لِنَفْيِ الآلِهَةِ الآفَاقِيَّةِ وَالأَنْفُسِيَّةِ أَنْفَعُ فِي تَزْكِيَةِ اَلنَّفْسِ وَأَنْسَبُ لِتَطْهِيرِهَا، وَاخْتَارَ أَكَابِرُ اَلطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ لِتَزْكِيَةِ اَلنَّفْسِ هَذِهِ الكَلِمَةَ اَلطَّيِّبَةَ. شِعْرٌ.

مَا دُمْتُ لَمْ تَضْرِبْ بِلاَ عُنُقِ اَلسِّوَى ... فِي قَصْرِ إِلاَّ اَللهَ لسْت بِوَاصِلِ

وَمَا دَامَتْ اَلنَّفْسُ فِي مَقَامِ البَغْيِ وَالعِنَادِ وَنَقْضِ العَهْدِ وَالفَسَادِ يَنْبَغِي أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانُ بِتَكْرَارِ هَذِهِ الكَلِمَةِ قَالَ عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ " جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بِقَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ

---

(١) — (قوله وإنما صار الفقر الخ) إشارة لما هو دائر بين الناس من قوله صلى الله عليه وسلم (الفقر فخرى) قال ابن حجر وابن تيمية أنه باطل لا أصل له وقد ذكره في الشفاء عن على كرم الله وجهه في حديث طويل بهذا اللفظ على ما في بعض نسخه وبلفظ والعجز فخرى في بعض آخر. قال القارى في شرحه بعد الكلام فيه الحكم بوضعه وبطلانه باعتبار السنة لا باعتبار مبناه المطابق معناه للكتاب يعني قوله تعالى (والله الغني وأنتم الفقراء) انتهى ملخصا سند عفى عنه.

اَللهُ " بَل لاَ بُدَّ مِنْ تَكْرَارِ هَذِه الكَلِمَة فِي جَمِيعِ الأَوْقَات، فَإِنَّ اَلنَّفْسَ الأَمَّارَةَ فِي مَقَامِ الخُبْث دَائِمًا. وَقَدْ وَرَدَ عَنِ اَلنَّبِيِّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ فِي فَضَائِل هَذِه الكَلِمَة حَدِيثُ " لَوْ وُضِعَتْ اَلسَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ فِي كِفَّةِ المِيزَانِ وَهَذِه الكَلِمَةُ فِي كِفَّةٍ لَتَرَجَّحَتْ هَذه الكِفَّةُ عَلَى الأُخْرَى"[1].

{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلاَةُ الأَكْمَل وَالسَّلاَمُ الأَوْفَى.

---

(١) ــ قال الحافظ العراقى في تخريج أحاديث الإحياء رواه ابن السنى في عمل اليوم والليلة وصححه الحاكم عن أبي سعيد مرفوعا قلت في المشكاة عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال موسى يا رب علمنى شيأ أذكرك به أو أدعوك به فقال يا موسى قل لا إله إلا الله فقال يا رب كل عبادك يقول هذا إنما أريد شيأ تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات وعامرهن غيرى والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله) شرح السنة اهـ سند.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ
إلى اَلسَّيِّد اَلْمَذْكُور أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ اِخْتِلَافَ عُلَمَاءِ اَلسُّوءِ مُوجِبٌ لِفَسَادِ العَالَمِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

ثَبَّتَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّة آبَائِكُمْ الكِرَامِ. قَدْ سَمِعْتُ أَنَّ سُلطَانَ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَمَرَ جَنَابَكُمْ مِنْ حُسْنِ نَشْأَتِه الإِسْلَامِيَّة اَلتِي أُودِعَتْ فِي جِبلته أَنْ تَنْتَخِبَ أَرْبَعَةَ أَنْفَارٍ مِنَ العُلَمَاءِ الْمُتَدَيِّنِينَ لِيُلَازِمُوهُ وَيُبَيِّنُوا لَهُ اَلْمَسَائِلَ اَلشَّرْعِيَّةَ حَتَّى لاَ يَقَعَ أَمْرٌ عَلى خِلاَفِ اَلشَّرِيعَة. اَلحَمْدُ للهِ سُبْحَانَهُ عَلى ذَلِكَ، وَمَاذَا يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ أَحْسَنُ بِشَارَةً مِنْ ذَلِكَ وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ لأَهْلِ الْمَآتِمِ أَشَدُّ تَسْلِيَةً مِمَّا هُنَاكَ. وَلكِنَّ الفَقِيرَ حَيْثُ كُنْتُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ جَانِبِكُمْ العالي بِوَاسِطَةِ هَذَا الغَرَضِ كَمَا أَظْهَرْتُ ذَلِكَ مُكَرَّرًا لاَ أُسَامِحُ نَفْسِي وَلاَ أُرَخِّصُ لَهَا فِي اَلسُّكُوتِ وَالقُعُودِ عَنِ الكِتَابَةِ فِي هَذَا البَابِ بِالضَّرُورَة، فَالْمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ إِيَّايَ فَإِنَّ صَاحِبَ الغَرَضِ مَجْنُونٌ وَالْمَعْرُوضُ الآنَ هُوَ أَنَّ العُلَمَاءَ الْمُتَدَيِّنِينَ أَقَل مِنَ القَلِيل وَهُمُ اَلذِينَ جَاوَزُوا حُبَّ الجَاه وَالرِّيَاسَة وَخَلَفُوهُ وَرَاءَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مَقْصِدٌ وَمَطْلَبٌ سِوَى تَرْوِيجِ اَلشَّرِيعَة وَتَأْيِيد الملة فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِيهِمْ حُبُّ الجَاه يَأْخُذُ كُل وَاحِد مِنْهُمْ طَرَفًا مِمَّا يُلائِمُ مَرَامَه وَيَتَمَسَّكُ بِه وَيُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ اَلطَّرَف أَفْضَلِيَّتَهُ وَيُورِدُ اَلاِخْتِلاَفَات وَيُوقِعُ الخلافِيَّات فِي البَيْنِ وَيَجْعَل ذَلِكَ وَسِيلَةً لِقُرْبِ اَلسُّلطَان فَيَكُونُ مُهِمُّ اَلدِّينِ لاَ مَحَالَةَ أَبْتَرَ وَأَقْطَعَ، وَاخْتِلاَفَاتُ العُلَمَاءِ هِيَ اَلتِي أَلقَتْ العَالَمَ إِلى البَلاَءِ فِي القَرْنِ اَلسَّابِق فَإِذَا كَانَ هَذَا اَلدَّاءُ مُسْتَمِرًّا وَتِلكَ اَلصُّحْبَةُ دَائِمَةً مِنْ أَيْنَ يُرْجَى تَرْوِيجُ اَلشَّرِيعَة ؛ وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَجَال لِتَأْيِيد الملة ؛ بَل يَكُونُ بَاعِثًا عَلى اَلتَّخْرِيب وَالعِيَاذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ فِتْنَة العُلَمَاءِ اَلسُّوءِ، فَإِنْ اُنْتُخِبْتُمْ لِهَذَا الغَرَضِ عَالِمًا وَاحِدًا فَهُوَ أَفْضَل وَأَحْسَنُ، فَإِنْ تَيَسَّرَ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَاءِ الآخِرَة فَنَعْمَت اَلسَّعَادَةُ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ فَاخْتَارُوا أَفْضَل هَذَا الجِنْس بَعْدَ اَلتَّأَمُّل اَلصَّحِيحِ مَا ل يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّه. وَلاَ أَدْرِى مَاذَا أَكْتُبُ. فَكَمَا أَنَّ نَجَاةَ الخَلاَئِق مَرْبُوطَة بِوُجُود العُلَمَاءِ كَذَلِكَ خُسْرَان العَالَم أَيْضًا مَنُوط بِهِمْ. وَأَفْضَل العُلَمَاءِ أَفْضَل العَالَم وَشَرُّهُمْ شَرّ الخَلاَئِق قَدْ نِيطَتْ الهِدَايَة وَالضَّلاَلَة بِهِمْ رَأَى وَاحِد مِنَ الأَعِزَّة إِبْلِيس اَللعِينُ قَاعِدًا عَلى الفَرَاغِ عَلى خِلاَفِ عَادَتِه فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ يَعْنِي مُتَعَجِّبًا فَقَال

اَللعينُ: إنَّ عُلمَاءَ هَذَا الوَقْت قَدْ كَفَونِي مُؤنتِي وتَكفَّلوا لِي بالإغْوَاءِ وَالإضْلاَل وَالغَرَضُ إقْدَامُكُمْ عَلى هَذَا الأَمْرِ وَشُرُوعُكُمْ فِيه بَعْدَ رِعَايَةِ الفِكْرِ اَلصَّحِيحِ وَالتَّأَمُّل اَلصَّادِقِ فَإنَّ الأَمْرَ إذَا خَرَجَ مِنَ اليَد لاَ يَقْبَل العلاَجَ. وَإنِّي وَإنْ كُنْتُ مُسْتَحْيِيًا مِنْ إظْهَارِ أَمْثَال هَذه الكَلمَات لأَرْبَاب الفَطَانَة اَلصَّحِيحَة وَلَكِنْ لَّما عَلمْتُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ وَسِيلةٌ للسَّعَادَةِ اَلعُظْمَى كُنْت بَاعِثًا عَلى اَلتَّصْدِيعِ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ
إلى السَّيِّد المَذْكُور أَيْضًا
في بَيَان أَنَّ الاجْتِنَابَ منْ صُحْبَة المُبْتَدِع لاَزِمٌ
وَإِنَّ ضَرَرَ صُحْبَتِهِمْ فَوْقَ ضَرَر صُحْبَة الكُفَّار
وَأَنَّ شَرَّ الفِرَق المُبْتَدِعَةُ الشِّيعَةُ الشَّنِيعَةُ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

عَظَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَجْرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ بِحُرْمَة سَيِّد البَشَر المُطَهَّر عَنْ زَيْغ البَصَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ الأَوْفَى وَالسَّلاَمُ الأَوْفَرُ. قَدْ وَرَدَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللهَ، فَشُكْرُ إِحْسَانَاتِكُم لاَزِمٌ لَنَا فَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَوَّلاً سَبَبًا لِجَمْعِيَّة حَضْرَة شَيْخِنَا، فَطَلَبْنَا الحَقَّ سُبْحَانَهُ بِبَرَكَتِكُمْ فِي تِلْكَ الجَمْعِيَّة وَنِلْنَا حَظًّا وَافِرًا مِنْ تِلْكَ الأُمْنِيَة، وَلَمَّا بَلَغَتْ النُّبُوَّةُ هَذِه الطَّبَقَةَ بِحُكْمِ: كَبِرْتُ بِمَوْتِ الكُبَرَاء كُنْتُمْ مَرَّةً ثَانِيَةً وَاسِطَةَ اجْتِمَاعِ الفُقَرَاءِ وَبَاعِثًا عَلَى انْتِظَامِ نِظَامِ الطَّالِبِينَ الغُرَبَاءِ فَجَزَاكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاء. شعْرٌ.

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُل مَنْبَت شَعْرَة لِسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقَصِّرًا

وَالمَأْمُول مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَنَابِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة بِحُرْمَة جَدِّكُمْ سَيِّد المُرْسَلِينَ عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلَوَات أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَات أَكْمَلُهَا. وَقَدْ بَعُدَ هَذَا الفَقِيرُ عَنْ صُحْبَتِكُمْ وَنَأَى وَلاَ أَدْرِي أَنَّ أَيَّ قِسْمٍ مِنَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِكُمْ الشَّرِيف وَمَنْ أَنِيسُكُمْ وَجَلِيسُكُمْ فِي مَحْفِلِكُمْ المَنِيف. شعْرٌ.

مَنْ مُقْلَتِي طَارَ المَنَامُ تُفَكُّرًا مَنْ كَانَ مِنْ نُدَمَائِكُمْ وَضَجِيعِكُمْ

وَأَيْقِنُوا أَنَّ فَسَادَ صُحْبَة المُبْتَدِعِ أَزْيَدُ مِنْ فَسَاد صُحْبَة الكَافِر، وَأَخْبَثُ جَمِيعِ المُبْتَدِعِينَ وَأَخَسُّهُمْ طَائِفَةٌ يُبْغِضُونَ أَصْحَابَ رَسُول اللهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـــ وَقَدْ قَال اللهُ تَعَالَى فِي القُرْآن المَجِيد لِهَؤُلاَء الطَّائِفَة كُفَّارًا حَيْثُ قَال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) وَالمُبْلِغُونَ لِلقُرْآن وَالشَّرِيعَة هُمُ الأَصْحَابُ، فَإِنْ كَانَ الأَصْحَابُ مَطْعُونًا فِيهِمْ يَلْزَمُ الطَّعْنُ فِي القُرْآن وَالشَّرِيعَة، وَالقُرْآنُ جَمَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ[1] ـــ عَلَيْه

(١) – هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أبو عمرو، أمير المؤمنين ذي النورين رضي الله عنه تزوج ابنتي النبي صلى اله عليه وسلم رقية وأم كلثوم واحدة بعد الأخرى، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر و عمر رضي الله عنهما وروى عنه أولاده: أبان، وسعيد، وعمرو، وغيرهم، وهو أول من هاجر إلى

الرِّضْوَانُ ـــ فَإِنْ كَانَ عُثْمَانُ مَطْعُونًا فيه كَانَ القُرْآنُ مَطْعُونًا فيه أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ ممَّا يَعْتَقِدُهُ الزَّنَادقَةُ وَالاخْتلاَفُ الوَاقِعُ بَيْنَ الأَصْحَاب عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَكَذَا الجدَال وَالقتَال ليْسَ بمَحْمُول عَلَى الهَوَى النَّفْسانيِّ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ قَدْ تَزَكَّتْ في صُحْبَة خَيْر البَشَر وَتَخلصَتْ منْ وَصْف الأمَّاريَّة، وَلكنَّ الذي نَعْتَقدُهُ أَنَّ الحَقَّ كَانَ في طَرَف عَليٍّ[1] ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ وَالخَطَأَ في طَرَف مُخَالفيه، وَلكنَّ هَذَا الخَطَأَ خَطَأٌ اجْتهاديٌّ وَهُوَ لاَ يَبْلغُ حَدَّ الفسْق بَل لاَ مَجَال للمَلاَمَة في مثْل هَذَا الخَطَأ وَللمُخْطئ فيه دَرَجَةٌ وَاحدَةٌ منَ الثَّوَاب. وَيَزيدُ البَعيدُ عَن السَّعَادَة ليْسَ منَ الأَصْحَاب فَلاَ كَلاَمَ لأَحَد في كَوْنه بَعيدًا عَنْ سَاحَة السَّعَادَة فَإِنَّ الأَمْرَ الذي فَعَلَهُ هُوَ لاَ يَفْعَلُهُ كُفَّارُ إِفْرِنْجَ، وَقَدْ تَوَقَّفَ بَعْضُ العُلمَاء منْ أَهْل السُّنَّة في لعْنه لاَ لكَوْنه رَاضيًا عَنْهُ أَوْ بفعْله بَل رعَايَةً لاحْتمَال رُجُوعه وَتَوْبَته.

وَيَنْبَغي أَنْ يُقْرَأَ في المَجْلس الشَّريف كُل يَوْم شَيْءٌ منْ كُتُب قُطْب الزَّمَان مَخْدُوم العَالم ليُعْلمَ أَنَّهُ كَيْفَ مَدَحَ أَصْحَابَ النَّبيِّ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم وَبأَيِّ نَوْع منَ الآدَاب ذَكَرَهُمْ حَتَّى يَكُونَ المُخَالفُونَ مَحْجُوبينَ وَمَخْذُولينَ. وَقَدْ غَالى هَذه الطَّائفَةُ البَاغيَةُ الطَّاغيَةُ في هَذه الأَيَّام غُلوًّا كَثيرًا وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبيرًا وَانْتَشَرُوا في الآفَاق والأَكناف فَكَتَبْنَا في بَيَان فَسَادهمْ كَلمَات بهَذَا السَّبَب ؛ لئَلاَّ تَتَطَرَّقَ هَذه الطَّائفَةُ إلى المَجْلس الشَّريف ؛ وَكَيْلاَ يَكُونَ لَهُمُ اعْتبَارٌ في ذَلكَ المَحْفَل المَنيف. ثَبَّتَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الطَّريقَة المُرْضيَة.

الحبشة، ولم يشهد بدرا لتخلفه على تمريض زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.وشهد المشاهد بعدها.، مناقبه وفضائله كثيرة وشهيرة ـــ توفي رضي الله عنه في أيام التشريق سنة ٣٥ هـــ. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩١/٤ ترجمة ٥١٩٠.

(١) هو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة، كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا تراب، أمه فاطمة بنت أسد أسلمت وماتت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، شهد بدرا وأحدا والمشاهد بعدها، وأبلى بلاء حسنا في بدر وأحد، والخندق، وخيبر، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في كثير من المشاهد، وما تخلف إلا عن غزوة تبوك، خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة، وقال له أنت مني بمنزلة هارون وموسى إلا أنه لا نبي بعدي، فضائله كثيرة رضي الله عنه – توفي رضي الله عنه مقتولا ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٤٠ من الهجرة. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢١١/٤ ترجمة ٥٤٦٧.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ
إِلى اَلسَّيِّد عَبْد الوَهَّاب البُخارِيِّ[١]
فِي إِظْهَارِ المَحَبَّة

قَدْ ظَهَرَتْ فِي قَلبي مَحَبَّةٌ لجَنَابكُمْ منْ مُدَّة مَديدَة غَيْر اَلارْتبَاط اَلذي تَحقَّقَ سَابقًا، فَنَحْنُ مَشْغُولونَ بدُعَائكُمْ الخَيْرَ منْ ظَهْر الغَيْب بلاَ اخْتيَار. بنَاءً عَلى تلكَ المَحَبَّة وَحَيْثُ وَرَدَ منْ سَيِّد الكَائنَات وَمَفْخَر المَوْجُودَات عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ والتَّسْليمَاتُ " مَنْ أَحَبَّ أَخَاهُ فَليُعْلمْ إيَّاه "[٢] رَأَيْتُ أَنَّ إظْهَارَ حُبِّي أَوْلَى وَأَنْسَبُ، وَبهَذه المَحَبَّة المُتَعَلقَة بأَقْرِبَاء اَلنَّبيِّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ حَصَل فِي اليَد حَبْل اَلرَّجَاء اَلتَّامِّ رَزَقنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتقَامَةَ عَلى مَحَبَّتهمْ بحُرْمَة سَيِّد البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ **عبد الوهاب بن السيد أحمـــد الملتاني**: جلال الدين شريف الله البخاري ثم الملتاني الهندي الحنفي الصوفي المتوفى سنة: ٩٣٢ هـــ، له: تفسير القرآن.

(٢) ــ أحمد والبخارى في الأدب المفرد والترمذى في الزهد وابن حبان والحاكم وصححه عن المقدام بن معد يكرب وابن حبان عن أنس والبخارى في الأدب عن رجل من الصحابة بلفظ (إذا أحب أحدكم أخاه فليعلم أنه يحبه) شرح الجامع الصغير.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالخَمْسُونَ
إِلى اَلشَّيْخِ عَبْد الوَهَّاب أَيْضًا
فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ مِنَ اَلسَّادَات

إِنَّ جَنَابَ قُدْسِ اَلسَّادَاتِ كَثِيرُ البَرَكَات بِوَاسِطَةِ الجُزْئِيَّةِ مِنْ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ اَلصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ أَجَل مَنْ أَنَّ يُبَيِّنَ مَنْقَبَتَهُمْ وَمَحْمَدَتَهُمْ بِاللِّسَان إِلاَّ أَنْ نَجْتَرِئَ فِي هَذَا البَاب لِيَكُونَ مَدْحُهُمْ سَبَبًا لِسَعَادَتِنَا بَل إِنَّمَا نَمْدَحُ أَنْفُسَنَا فِي ضِمْنِهِ وَنُظْهِرُ المَوَدَّةَ اَلتِي أَمَرَنَا اَللهُ بِهَا

اَللهُمَّ اجْعَلنَا مِنْ مُحِبِّيهِمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَحَامِلِ العَرِيضَةِ هَذِهِ اَلسَّيِّدُ أَحْمَدُ مِنْ زُمْرَةِ اَلسَّادَاتِ وَمِنْ جُمْلَةِ طَلَبَةِ العُلُومِ وَمِنْ جَمَاعَةِ اَلصَّالِحِينَ. وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلى تِلْكَ الحُدُودِ مِنْ جِهَةِ ضِيقِ المَعِيشَةِ، فَإِنْ كَانَ فِي البَابِ العَالِي مَجَال فَالمُشَارُ إِلَيْهِ لَائِقٌ بِالنَّظَرِ وَالإِمْدَادِ، وَمُسْتَحِقٌّ فِي الغَايَةِ، وَإِلاَّ فَيَنْبَغِي تَفْوِيضُهُ إِلى شَخْصٍ مِنَ المُخْلِصِينَ لِيَجْعَلَهُ مُطْمَئِنًا مِنْ جِهَةِ المَعِيشَةِ، وَلَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنَّ لِجَانِبِكُمْ تَوَجُّهًا أَتَمَّ فِي أَحْوَالِ الفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ وَعَلى الخُصُوصِ فِي إِمْدَادِ اَلسَّادَاتِ العِظَامِ أَقْدَمْنَا عَلى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ وَالمَذْكُورُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَسْعِدْ وَقْتَ اَلذَّهَابِ بِسَعَادَةِ اَلرُّخْصَةِ إِلاَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي زُمْرَةِ المُخْلِصِينَ. رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتِقَامَةَ وَالإِخْلَاصَ فِي مَحَبَّتِهِمْ.

وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ انْبِسَاطٌ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالخَمْسُونَ
إِلى اَلشَّيْخِ مُحَمَّد يُوسُفٍ
فِي اَلنَّصِيحَةِ

رَزَقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة آبَائِكُمْ الكِرَامِ بِحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اعْلَمْ: أَنَّ اَلسُّؤْدُدَ وَالرِّيَاسَةَ وَالحشْمَةَ مَوْرُوثَةٌ فِي جَمَاعَتِكُمْ، فَيَنْبَغِي أَنَّ تَكُونَ مَعِيشَتُكُمْ وَمُعَاشَرَتُكُمْ عَلى نَهْجٍ يَتَيَسَّرُ لَكُمْ اسْتِحْقَاقُ هَذه الوِرَاثَة، أَعَنِي تَحْلِيَةَ اَلظَّاهِرِ بِظَاهِرِ اَلشَّرِيعَة وَتَزْيِينَ البَاطِنِ بِبَاطِنِهَا اَلذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الحَقِيقَة، فَإِنَّ اَلطَّرِيقَةَ وَالحَقِيقَةَ عِبَارَتَانِ عَنْ حَقِيقَة اَلشَّرِيعَة، وَالطَّرِيقَةُ هِيَ نَفْسُ تِلْكَ الحَقِيقَة اَلشَّرِيعَةُ أَمْرٌ وَالطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ أَمْرَانِ آخَرَانِ مُغَايِرَانِ لَهَا، فَإِنَّ اعْتِقَادَ ذَلِكَ إِلْحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ. وَظَنُّ الفَقِيرِ بِكُمْ حَسَنٌ جِدًّا وَاجْعَل بَعْضَ الوَقَائِعِ شَاهِدًا لِهَذَا المَعْنَى وَقَدْ أَظْهَرْتُ نُبْذَةً مِنْ ذَلِكَ لِوَالِدِكُمْ المَاجِد وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ اَلشَّيْخَ عَبْدَ الغَنِيِّ رَجُل مُحَلى بِالصَّلاَحِ وَحُسْنِ اَلشِّيمَة، فَإِنْ رَاجَعَ خِدْمَتَكُمْ فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ فَالمَرْجُوُّ مِنْكُمْ بَذْل اَلالْتِفَاتِ إِلَيْهِ وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ
إلى اَلسَّيِّد مَحْمُود
فِي بَيَان أَنَّ هَذَا اَلطَّرِيقَ كُلهُ سَبْعُ خُطُوَات
وَأَنْ مشائخَ النَّقْشَبَنْدِيَّة اخْتَارُوا ابْتِدَاءَ اَلسَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ
بخلاَف مَشَائِخِ اَلسَّلاَسِل الأُخَرِ
وَأَنَّ طَرِيقَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِك

قَدْ وَرَدَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ وَلَمَّا فَهِمْتُ مِنْهُ شَوْقَكُمْ إِلى اِسْتِمَاعِ كَلِمَات هَؤُلاَءِ اَلطَّائِفَة العَلِيَّة أَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّرَ بالضَّرُورَة كَلِمَات إِجَابَة للمسئول وَتَرْغِيبًا فِي المَأْمُول.

أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ هَذَا اَلطَّرِيقَ اَلذي نَحْنُ فِي صَدَد قَطْعِه كُلُه سَبْعُ أَقْدَامٍ بِعَدَد اَللطَائف اَلسَّبْعِ الإِنْسَانِيَّة: قَدَمَان مِنْهَا فِي عَالَمِ الخَلْق يَتَعَلَقَان بِالقَالَبِ - أَعْنِي البَدَنَ العُنْصُرِيَّ وَالنَّفْسَ - وَخَمْسَةٌ مِنْهَا فِي عَالَمِ الأَمْرِ مَرْبُوطَةٌ بِالقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالسِّرِّ والخَفَى وَالأَخْفَى، وَفِي كُل قَدَمٍ مِنْ هَذِه الأَقْدَامِ اَلسَّبْعِ تَرْتَفِعُ عَشَرَةُ آلاَف حِجَاب نُورَانِيَّة كَانَتْ تلكَ الحُجُبُ أَوْ ظُلمَانِيَّة: " إِنَّ للهِ سَبْعِينَ أَلفَ حِجَاب مِنْ نُور وَظُلْمَة "[1] فَفِي القَدَمِ الأُولى اَلتي تُوضَعُ فِي عَالَمِ الأَمْرِ يَظْهَرُ اَلتَّجَلي الأفعالي، وَفِي اَلثَّانِيَة اَلتَّجَلي الصِّفاتي، وَيَقَعُ اَلشُّرُوعُ فِي اَلتَّجَلِيَات اَلذَّاتِيَّة فِي اَلثَّالِثَة ثُمَّ وَثُمَّ عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتِهَا، كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَابِهَا، وَفِي كُل خَطْوَة مِنَ الخَطَوَاتِ اَلسَّبْعِ يَبْعُدُ اَلسَّالِكُ عَنْ نَفْسِه وَيُقَرِّبُ مِنْ رَبِّه سُبْحَانَهُ حَتَّى يَتِمَّ القُرْبُ بِتَمَامِ هَذِه الأَقْدَامِ، فَحِينَئِذ يَتَشَرَّفُ بِالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَيَبْلُغُ دَرَجَةَ الوِلاَيَةِ الخَاصَّة. وَاخْتَارَ مشائخُ النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة قَدَّسَ اَللهُ

---

(١) ــ الحديث رواه في المشكاه من قول جبريل كان بيني وبينه سبعون ألف حجاب وترك البياض ثم ألحق بعض الشراح روى ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر وقال ابن حجرانه صحيح ثم ذكر من الصحابة جبيرا بن مطعم وأن تعقب عليه على القارى بأن ذكر العد غير صحيح ونفس الحجاب في صحيح مسلم من رواية أبي موسى مرفوعا حجاب من النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه قلت الحديث الذي في المشكاة غير الذي أخرجه مسلم والذي في المشكاة أورده السيوطى في حديث طويل جدا وعزاه إلى ابن زنجوية عن على بن يزيد الهلالى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامه مرفوعا بلفظ يا محمد لقد دنوت من الله دنوا ما دنوت مثله قط فكان بيني وبنه سبعون ألف حجاب من نور الحديث بطولة ثم قال حم القاسم بن عبد الرحمن حدث عن على بن يزيد باعا جيب ما أراها إلا من قبل القاسم اهـــ سند عفى عنه.

أَسْرَارَهُمُ اَلسُّنِّيَّةَ ابْتِدَاءَ هَذَا اَلسَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَهُمْ يَقْطَعُونَ مَسَافَةَ عَالَمِ الخَلْقِ أَيْضًا فِي ضِمْنِ هَذَا اَلسَّيْرِ، بِخِلاَفِ مَشَائِخِ سَلاَسِلَ أُخَرَ قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ لِهَذَا كَانَ طَرِيقُ اَلنَّقْشَبَنْدِيَّةِ أَقْرَبُ اَلطُّرُقِ. فَلاَ جَرَمَ صَارَتْ نِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ (ع):

يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ اَلزَّمَانِ رَبِيعُهُ

وَطَرِيقُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ هُوَ بِعَيْنِهِ طَرِيقُ اَلصَّحَابَةِ الكِرَامِ رِضْوَانُ اَللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَإِنَّ مَا حَصَلَ لِلأَصْحَابِ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ خَيْرِ اَلْبَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِطَرِيقِ انْدِرَاجِ اَلنِّهَايَةِ فِي اَلْبِدَايَةِ قَلَمَا يَحْصُلُ لِكَمَلِ الأَوْلِيَاءِ فِي اَلنِّهَايَةِ، وَلِهَذَا كَانَ الوَحْشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ[1] ــ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ ــ أَفْضَلَ مِنْ أُوَيْسٍ اَلْقَرْنِيِّ[2] اَلَّذِي هُوَ خَيْرُ اَلتَّابِعِينَ ؛ لِنَيْلِهِ صُحْبَةَ اَلنَّبِيِّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مَرَّةً وَاحِدَةً. سُئِلَ عَبْدُ اَللهِ بْنُ اَلْمُبَارَكِ[3]: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ مُعَاوِيَةُ[1] أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ[2] ؟ فَقَالَ: وَاَللهِ لِلْغُبَارُ

---

(١) ــ حمزة بن عبدالمطلب ــ رضي الله عنه ــ: عم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن عبد كلاب بن مرة، يكنى أبا عمارة، وكان له من الولد: يعلى وعامر وبنت وهي التي اختصم بها زيد وجعفر وعلي واسمها أمامة، كان إسلام حمزة عزة للإسلام والمسلمين؛ قال محمد بن كعب القرظي: قال أبو جهل في رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبلغ ذلك حمزة، فدخل المسجد مغضبا فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته، وأسلم حمزة فعزَّ به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمون، وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد دخول لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ دار الأرقم بن أبي الأرقم (أخرجه الطبراني مرسلا عن محمد بن كعب القرظي).

وقال يزيد بن رومان المدني: وأول لواء عقده رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين قدم المدينة لحمزة. انظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١/١٩٥.

(٢) ــ أويس القرني: أويس بن عامر القرني المرادي، والقرني بفتح القاف والراء نسبة إلى قرن بن رومان، سيد التابعين، ذكر الصريفيني أن مسلما أخرج حديث أويس، والذي في مسلم ذكر أويس وحكاية كلامه، لا ذكر روايته؛ قلال ابن عدي: ليس لأويس من الرواية شيء، إنما له حكايات ونتف في زهده، وقد شك قوم فيه، ولا يجوز أن يُشَكَّ فيه لشهرته، ولا يتهيأ أن يحكم عليه بالضعف، بل هو ثقة صدوق، قال: ومالك ينكر أويسا ويقول: لم يكن. انظر: الحافظ ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١/٢٤٤.

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح من أهل مرو: ولد سنة ثمان عشرة ومائة، عالم فقيه مفسر محدث مؤرخ نحوي لغوي، قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأت عيناي أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك، له رحلات عديدة ومن تصانيفه الكثيرة: كتاب الزهد، السنن في الفقه، كتاب التفسير، البر والصلة، كتاب الجهاد، مات ب " هيت " منصرفا من الغزو في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة. انظر: المعارف: ٥١١، طبقات الفقهاء للشيرازي: ١٠٧، صفة الصفوة: ٢/٣٣٠، تهذيب التهذيب: ٣/٢٤٧، شذرات الذهب: ١/٢٩٥، النجوم الزاهرة: ٢/١٠٣، هدية العارفين: ١/٤٣٨، الأعلام: ٤/١١٥، معجم المؤلفين: ٢/٢٧١، بروكلمان: ٣/١٥٣، تاريخ التراث العربي: ١/١٣٧.

اَلذي دَخَل أَنْفَ فَرَسِ مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُول اَللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْد العَزِيزِ كَذَا مَرَّةً[٣]، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَمَّل فِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِدَايَةَ جَمَاعَة بِحَيْثُ انْدَرَجَتْ فِيهَا نِهَايَةً غَيْرِهِمْ مَاذَا تَكُونُ نِهَايَتُهمْ ؟! وَكَيْفَ يَسَعُهَا إِدْرَاكُ الآخَرِينَ: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ}[٤] (شعْرٌ):

لوْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا ... بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ مِنْ أَفْحَشِ الكَلِمِ

هَل يَقْطَعُ اَلثَّعْلَبُ المُحْتَال سلسلةً ... قَيَّدْتُ بِهَا أَسَدَ اَلدُّنْيَا بِأَسْرِهِم

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مَحَبَّةَ هَؤُلاَءِ اَلطَّائِفَة العَزِيزِي الوُجُود. وَالوَرَقَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُحَقَّرَةً وَلكِنَّهَا قَدْ انْدَرَجَتْ فِيهَا مَعَارِفُ عَالِيَةٌ وَحَقَائِقُ سَامِيَةٌ، فَيَنْبَغِي إِعْزَازُهَا، يَعْنِي مِنْ أَجْلِهَا .

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الرحمن الأموي، أسلم يوم الفتح وقيل: قبل ذلك، روى عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعن أبي بكر وأخته أم حبيبة أم المؤمنين، وروى عنه: جرير بن عبد الله البجلي والسائب بن يزيد الكندي وابن عباس ومعاوية بن خديج وغيرهم، له في صحيح البخاري ثمانية أحاديث، ولاه عمر على الشام بعد أخيه يزيد، وأقره عثمان عليها مدة خلافته، ثم ولي الخلافة، قال ابن إسحاق: " كان معاوية أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة "، توفي معاوية ــ رضي الله عنه ــ في رجب لأربع بقين من سنة ٦٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب: ٤٧٨/٥، هدي الساري لابن حجر: ٥٠٠، رجال صحيح البخاري للكلاباذي: ٧٠٣/٢، رجال صحيح مسلم لابن منجويه: ٢٢٨/٢.

(٢) ــ عمر بن عبدالعزيز بن مروان: يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر وعثمان وعلي وعمر بن العزيز رضي الله عنهم، وقال الإمام أحمد بن حنبل: يروى في الحديث: " إن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها " فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبدالعزيز، ونظرنا في المائة الثانية فإذا هو الشافعي.

وعن الضحاك بن عثمان قال: لما انصرف عمر بن عبدالعزيز عن قبر سليمان بن عبدالملك صُفَّتْ له مراكب سليمان، فقال:

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت في حب الصبا كل زاجرِ

قضى ما قضى فيما قضى ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالي الغوابرِ

انظر في ترجمة عمر بن عبدالعزيز: ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٨٠/٢.

(٣) ــ في الفتاوى الحديثية لابن حجر من مائة وواحد مثل ابن عبد العزيز اهـ سند.

(٤) ــ الآية: ٣١ من سورة المدثر.

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ
إلى اَلسَّيِّد مَحْمُود أَيْضًا
فِي بَيَان أَنَّهُ لاَ بُدَّ فِي حُصُول اَلنَّجَاة منْ أُمُور ثَلاَثَة:
وَإِنَّهَا لاَ تُتَصَوَّرُ بِدُون اتِّبَاعِ أَهْل اَلسُّنَّة وَالجَمَاعَةِ
وَأَنَّ العلمَ وَالعَمَل مُتَعَلقَان بالشَّرِيعَة
وَالإِخْلاَصَ مَنُوطٌ بِسُلوك طَرِيقِ اَلصُّوفِيَّة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلك

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة اَلشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَالإِقْبَال عَلى جَنَاب قُدْسه بالكُلِّيَّة. وَقَدْ وَرَدَتْ اَلصَّحِيفَةُ اَلشَّرِيفَةُ المُشْتَملةُ عَلى المُفَاوَضَة المَنِيفَة فَصَارَتْ مُوجِبَةً للفَرَح، وَاتَّضَحَتْ المُقَدِّمَاتُ المَنِيفَةُ عَنْ مَحَبَّة الفُقَرَاء وَالإِخْلاَص لهَؤُلاَء اَلطَّائفَة الغُرَبَاء، اَللهُمَّ زِدْ. وَانْدَرَجَ فيهَا أَيْضًا طَلَبُ الفَوَائد فَاعْلَمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ. وَلاَ بُدَّ للإِنْسَان منْ ثَلاَثَة أَشْيَاء حَتَّى تَتَيَسَّرَ اَلنَّجَاةُ الأَبَدِيَّةُ: العلمُ وَالعَمَل وَالإِخْلاَصُ. وَالعلمُ عَلى قسْمَيْن: قسْمٌ المَقْصُودُ منْهُ العَمَل وَقَدْ تَكَفَّل ببَيَانه علمُ الفقْه. وَقسْمٌ المَقْصُودُ منْهُ مُجَرَّدُ الاعْتقَاد وَاليَقين القَلبيِّ وَذُكرَ هَذَا القسْمُ في علم الكَلاَم بالتَّفْصيل عَلى مُقْتَضَى آرَاء أَهْل اَلسُّنَّة وَالجَمَاعَة اَلذينَ هُمُ الفرْقَةُ النَّاجيَةُ. وَلاَ إمْكَانَ للنَّجَاة وَلاَ مَطْمَعَ لأَحَد فيهَا بدُون اتِّبَاع هَؤُلاَء الأَكَابر فَإِنْ وَقَعَتْ المُخَالفَةُ لَهُمْ مقْدَارَ شَعْرَة فَالأَمْرُ في خَطَر أَيِّ خَطَر. وَهَذَا الكَلاَمُ قَدْ بَلغَ منَ اَلصِّحَّة مَرْتَبَةَ اليَقين بالكَشْف اَلصَّحيح وَالإِلهَام اَلصَّريح أَيْضًا لاَ احْتمَال فيه للتَّخَلف. فَطُوبَى لمَنْ وُفِّقَ لمُتابعتهم وَتَشَرَّفَ بتَقْليدهمْ وَوَيْل لمَنْ خَالفَهُمْ وَاعْتَزَلَهُمْ وَرَفَضَ أُصُولَهُمْ وَخَرَجَ منْ زُمْرَتهمْ فَضَلَّ وَأَضَل وَأَنْكَرَ اَلرُّؤْيَةَ وَالشَّفَاعَةَ وَخَفِيَ عَلَيْه فَضيلةُ اَلصُّحْبَة وَفَضْل اَلصَّحَابَة وَحُرِمَ مَحَبَّةَ أَهْل بَيْت اَلرَّسُول وَمَوَدَّةَ أَوْلاَد البَتُول[1] فَمُنِعَ منْ خَيْرٍ كَثيرٍ نَالهَا أَهْل اَلسُّنَّة.

وَاتَّفَقَتْ اَلصَّحَابَةُ عَلى أَنَّ أَفْضَلهُمْ أَبُو بَكْر قَال الإِمَامُ الشَّافعيُّ[2] ـــ رَضيَ اَللهُ عَنْهُ ـــ وَهُوَ أَعْلَمُ بأَحْوَال اَلصَّحَابَة: اضْطَرَّ اَلنَّاسُ بَعْدَ رَسُول اَللهِ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْه

---

(١) ـــ يعني السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الشافعي المطلبي القرشي إمام الأئمة مجدد القرن الثاني يجتمع مع رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في عبد مناف، الإمام الأعظم والحبر المكرم أحد الأئمة المجتهدين الأعلام ركن الإسلام أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنتسب الشافعية،

وَسَلَمَ ـــ فَلَمْ يَجِدُوا تَحْتَ أَدِيمِ اَلسَّمَاءِ خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَوَلَوْهُ رِقَابَهُمْ وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْهُ بِأَنَّ اَلصَّحَابَةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ اَلصِّدِّيقِ فَيَكُونُ إِجْمَاعًا عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ فِي اَلصَّدْرِ الأَوَّلِ فَيَكُونُ قَطْعِيًّا لاَ يَسُوغُ إِنْكَارُهُ. وَأَهْلُ بَيْتِ اَلرَّسُولِ مَثَلُهمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ إِنَّ رَسُولَ اَللهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ـــ جَعَلَ أَصْحَابَهُ كَالنُّجُومِ[1] وَبِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ.

وَشَبَّهَ أَهْلَ بَيْتِهِ بِسَفِينَةِ نُوحٍ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ رَاكِبَ اَلسَّفِينَةِ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ رِعَايَةِ اَلنُّجُومِ لِيَأْمَنَ مِنَ الهَلاَكَ وَبِدُونِ رِعَايَةِ اَلنُّجُومِ اَلنَّجَاةُ مُمْتَنِعَةٌ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الإِنْكَارَ عَلَى بَعْضِ إِنْكَارٌ عَلَى جَمِيعِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِي فَضِيلَةِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ مُشْتَرِكُونَ، وَفَضِيلَةُ اَلصُّحْبَةِ فَوْقَ جَمِيعِ الفَضَائِلِ وَالكَمَالاَتِ، وَلِهَذَا لَمْ يَبْلُغْ أُوَيْسٌ القَرْنِيُّ اَلذِي هُوَ خَيْرُ اَلتَّابِعِينَ مَرْتَبَةً أَدْنَى مِنْ صَحْبِهِ - عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَلاَ تَعْدِلُ بِفَضِيلَةِ اَلصُّحْبَةِ شَيْئًا كَائِنًا مَا كَانَ، فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ بِبَرَكَةِ اَلصُّحْبَةِ وَشُهُودِ نُزُولِ الوَحْيِ صَارَ شُهُودِيًّا. وَلَمْ يَتَّفِقْ لأَحَدٍ بَعْدَ اَلصَّحَابَةِ هَذِهِ المَرْتَبَةُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالأَعْمَالِ مُتَفَرِّعَةٌ عَلَى الإِيمَانِ كَمَا لَهَا بِحَسَبِ كَمَالِ الإِيمَانِ، وَمَا جَرَى بَيْنَهُمْ مِنَ المُشَاجَرَاتِ وَالمُنَازَعَاتِ فَمَحْمُولٌ عَلَى مُحَامِلَ صَالِحَةٍ وَحِكَمٍ بَالِغَةٍ مَا كَانَتْ عَنْ هَوًى وَجَهْلٍ وَلَكِنْ عَنِ اجْتِهَادٍ وَعِلْمٍ، فَإِنْ أَخْطَأَ بَعْضُهُمْ فِي اَلاجْتِهَادِ فَلِلْمُخْطِئِ أَيْضًا دَرَجَةٌ عِنْدَ اَللهِ سُبْحَانَهُ. هَذَا هُوَ اَلطَّرِيقُ الوَسَطُ بَيْنَ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ اَلذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ اَلسُّنَّةِ وَاَلجَمَاعَةِ وَهُوَ اَلطَّرِيقُ الأَسْلَمُ وَالسَّبِيلُ الأَحْكَمُ.

ومذهبه ينحو إلى التوفيق بين مذهب أهل الحديث الذي سار عليه مالك ومذهب أهل الرأي الذي أخذ به أبو حنيفة، ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي بالقرافة الصغرى بمصر سنة ٢٠٤ هـ، أول من دون علم أصول الفقه، له الرسالة في أصول الفقه، الأم في الفقه، جماع العلم، أفرد العلماء ترجمته بالتصنيف منها: مناقب الشافعي لابن أبي حاتم والبيهقي والرازي ومنها معالي التأسيس للحافظ ابن حجر، الشافعي حياته وعصره لأبي زهرة، انظر: تاريخ بغداد: ٥٦/٢، طبقات الفقهاء للشيرازي: ٦٠، طبقات الشافعية لابن هداية: ١٨٥، صفة الصفوة: ٤٨٢/١، طبقات الحنابلة: ٢٨٠/١، المنهج الأحمد: ٦٣/١، تهذيب التهذيب: ٢٠/٥، شذرات الذهب: ٩/٢، النجوم الزاهرة: ١٧٦/٢، هدية العارفين: ٩/٢، الأعلام: ٢٦/٦، معجم المؤلفين: ١١٦/٣، بروكلمان: ٢٩٢/٣، تاريخ التراث العربي: ١٦٥/٢.

(١) ـــ (أشارة إلى ما هو المشهور على الألسنة من قول أصحابي كالنجوم الخ) والحديث متكلم فيه وقد أخرج المسلم عن أبي موسى الأشعرى بلفظ النجوم أمنة أهل السماء فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي بما يوعدون اهـ سند عفى عنه.

وَبالجُمْلة إنَّ العلمَ وَالعَمَل مُسْتَفَادَانِ مِنَ اَلشَّرِيعَة، وَتَحْصِيل الإِخْلاَصِ اَلذي هُوَ بِمَنْزِلة اَلرُّوحِ للعلمِ.

وَالعَمَل مَرْبُوطٌ بسُلوك طَرِيقَة اَلصُّوفِيَّة. وَمَا لَمْ يَقْطَعْ اَلسَّالكُ مَسَافَةَ اَلسَّيْرِ إلى اَللهِ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ لهُ اَلسَّيْرُ فِي اَللهِ فَهُوَ بَعيدٌ منْ حَقيقَة الإِخْلاَصِ وَمَحْرُومٌ منْ كَمَالاَت المُخْلصينَ أَهْل اَلاخْتصَاص. نَعَمْ قَدْ يَتَحَقَّقُ الإِخْلاَصُ في بَعْض الأَعْمَال لعَامَّة المُؤْمنينَ بالتَّعَمُّل وَالتَّكَلف وَلَوْ في الجُمْلة وَلكنَّ الإِخْلاَصَ اَلذي نَحْنُ في صَدَد بَيَانه هُوَ الإِخْلاَصُ في جَميع الأَفْعَال وَالأَقْوَال وَالحَرَكَات وَالسَّكَنَات منْ غَيْر تَعَلم وَتَكَلف فيه. وَحُصُول هَذَا الإِخْلاَص مَنُوطٌ بانْتفَاء الآلهَة الآفَاقيَّة والأَنْفسيَّة اَلذي هُوَ مَرْبُوطٌ بالفَنَاء وَالبَقَاء. وَالوُصُول بالولاَيَة الخَاصَّة وَالإِخْلاَص اَلذي يُحْتَاجُ فيه إلَى اَلتَّعَمُّل وَالتَّكَلف لاَ يَكُونُ لهُ دَوَامٌ، وَلاَ بُدَّ منْ سُقُوط اَلتَّكَلف في حُصُول اَلدَّوَام اَلذي هُوَ مَرْتَبَةُ حَقِّ اليَقين. وَأَوْليَاءُ اَللهِ تَعَالى كُلمَا يَفْعَلونَهُ يَفْعَلونَهُ للهِ - جَل وَعَلاَ - لاَ لحُظُوظ نُفُوسهمْ فَإنَّ نُفُوسَهُمْ، كَانَت فدَاءَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلاَ حَاجَةَ لَهُمْ إلى تَصْحيح اَلنِّيَّة في حُصُول الإِخْلاَص فَإنَّ نيَّتَهُمْ قَدْ صَحَّتْ بالفَنَاء في اَللهِ وَالبَقَاء بِاَللهِ، فَإنَّ شَخْصًا مَثَلاً إذَا كَانَ أَسيرًا في يَد نَفْسه فَكُلمَا يَفْعَلهُ، يَفْعَلهُ لحَظِّ نَفْسه نَوَى أَوْ لَمْ يَنْو، وَمَتَى زَال تَعَلقُه بنَفْسه وَتَخَلصَ منْ رِبْقَة رِقِّيَّتهَا وَحَصَل بَدْلةُ اَلتَّعَلق بالحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَلاَ جَرَمَ يَفْعَلَ كُلمَا يَفْعَلهُ للهِ نَوَى أَوْ لَمْ يَنْو فَإنَّ اَلنِّيَّةَ إنَّمَا يُحْتَاجُ إلَيْهَا في المُحْتَمل،وَأَمَّا المُتَعَيِّنُ فَلاَ حَاجَةَ فيه إلى اَلتَّعْيين {ذَلكَ فَضْلُ اَللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاَللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}[1] وَصَاحبُ الإِخْلاَص اَلدَّائم هُوَ منَ المُخْلصينَ - بفَتْح اَللاَّم - وَمَنْ لاَ دَوَامَ في إخْلاَصه بَل هُوَ في كَسْب الإِخْلاَصُ دَائمًا فَهُوَ منَ المُخْلصينَ - بكَسْر اَللاَّم - وَشَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا. وَالنَّفْعُ اَلذي يَحْصُل في العلم وَالعَمَل منْ طَريق اَلصُّوفيَّة هُوَ أَنْ تَكُونَ العُلومُ الكَلاَميَّةُ الاسْتدْلاَليَّةُ كَشْفيَّةً، وَأَنْ يَحْصُل اليُسْرُ اَلتَّامُّ في أَدَاء الأَعْمَال وَأَنْ يَزُول الكَسَلَ اَلنَّاشئُ منْ جَانب اَلنَّفْس وَالشَّيْطَان. (ع):

وَهَذي سعَادَاتٌ تَكُونُ نَصيبَ مَنْ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا

---

(١) ـــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ السِّتُّونَ
إلى السَّيِّد مَحْمُود أَيْضًا
فِي بَيَانِ نَفْيِ الخَوَاطِرِ وَدَفْعِ الوَسَاوِسِ الكُلِّيَّةِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

شَرَّفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِدَوَامِ التَّعَلقِ بِجَنَابِ قُدْسِه، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الحُرِّيَّة إِنَّمَا هِيَ فِي ذَلِكَ التَّحَقُّق، وَمَنْعُ الخَوَاطِرِ، وَدَفْعُ الوساوِيسِ حَاصِل فِي طَرِيقَة خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ عَلى الوَجْهِ الأَتَمِّ، حَتَّى جَلسَ بَعْضُ مشائخ هَذه الطَّائفَة الأَرْبَعِينَ لُملاَحَظَة خُطُورِ الخَوَاطِرِ وَمَنْعِهَا عَنْ سَاحَة صَدْرِه فِي هَذه المُدَّة كُلِهَا، قَالَ حَضْرَةُ الخواجهْ عُبَيْدُ اللهِ أَحْرَارٌ - قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ - فِي هَذَا المَقَامِ: إِنَّ المُرَادَ بعَدَمِ خُطُورِ الخَوَاطِرِ وَدَفْعِهَا هِيَ الخَوَاطِرُ الَتِي تَكُونُ مَانعَةً مِنْ دَوَامِ التَّوَجُّه إِلى المَطْلوب لاَ دَفْعُ الخَوَاطِرِ مُطْلقًا يَقُول وَاحدٌ مِنْ مُخلصِي هَذه السِّلسلة العَلِيَّة مُخْبرًا عَنْ حَالِه بحُكْمِ {وَأَمَّا بِنِعْمَة رَبِّك فَحَدِّثْ}[1]: إِنَّ نَفْيَ الخَوَاطِرِ عَنِ القَلب يَبْلغُ حَدًّا لوْ أُعْطِيتَ عُمْرَ نُوحٍ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم فَرْضًا لاَ يَخْطُرُ عَلى قَلبِي شَيْءٌ مِنَ الخَوَاطِرِ، لاَ أَنَّهُ مُتَكَلفٌ فِي هَذَا الدَّفْعِ فَإِنَّ كُل شَيْءٍ كَانَ حُصُولهُ بالتَّكَلف فَهُوَ مُؤَقَّتٌ لاَ يَقْبَل الدَّوَامَ بَل لوْ تَكَلفَ فِي إِتْيَان الخَوَاطِرِ وَإِيقَاعِهَا سنينَ لاَ يَتَيَسَّرُ أَصْلاً، وَتَعْيِينُ الأَرْبَعِينَ يُنْبِئُ عَنِ التَّكَلف. وَالتَّكَلفُ إِنَّمَا هُوَ فِي مَرْتَبَة الطَّرِيقَة، وَأَمَّا الحَقِيقَةُ فهِيَ التَّخَلصُ مِنَ التَّعَمُّل وَالتَّكَلف يادكرد فِي الطَّرِيقَة ويادداشت فِي الحَقِيقَة، فَتَحَقَّقَ أَنَّ دَوَامَ التَّوَجُّه إِلى المَطْلوب عَلى تَقْدِير تَحَقُّق مَنْع الخَوَاطِرِ المُؤَقَّت بوَقْت مِنَ العَشْرِ وَالأَرْبَعِينَ مُحَال ؛ لَمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ التَّكَلفَ فِي مَرْتَبَة الطَّرِيقَة وَالدَّوَامَ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِي الطَّرِيقَة وَإِنَّمَا هُوَ فِي الحَقِيقَة، وَذَلكَ لعَدَم مَجَال للتَّكَلف فِي ذَلكَ المَوْطِن، فَوُرُودُ الخَاطِرِ وَخُطُورُه فِي مَرْتَبَة التَّكَلف يَكُونُ مَانعًا مِنْ دَوَامِ التَّوَجُّه. وَالذي يَحْصُل لقُلوب مُبْتَدئ هَذه السِّلسلة العَلِيَّة مِنْ دَوَامِ التَّوَجُّه فَهُوَ أَمْرٌ آخَرُ. وَمَا نَحْنُ بصَدَد بَيَانه فَعِبَارَةٌ عَنْ يادداشت الَذي هُوَ نِهَايَةُ مَرْتَبَة الكَمَال. قَالَ حَضْرَة الخواجهْ عَبْد الخَالق - قُدِّسَ سرُّهُ - لَيْسَ وَرَاءَ يادداشت غَيْرُ الأَوْهَامِ وَالظُّنُون - يَعْني لَيْسَ وَرَاءَهُ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى - وَالمَقْصُودُ مِنْ إِظْهَارِ

---

(١) ـــ الآية: ١١من سورة الضحى.

أَمْثَال هَذه الأَحْوَال هُوَ تَرْغيبُ طَالبِي هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة وَإِنْ لَمْ يُزِدْ للمُنْكِرِينَ غَيْرَ الإِنْكَارِ شَيْئًا {يُضَل بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا}[1].

قَال فِي المثنوى. شعْرٌ.

خَابَ الذي قَدْ يَرَى ذَا القُبْحِ كَالحُسْنِ ... وَفَازَ مَنْ كَانَ فيه حـدَّةُ البَصَرِ

النيـــل كَانَ دَمًا للقبـــطِ ولبَـنِي ... يَعْقُوبَ مَاءٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ

وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

---

(١) ـــ الآية: ٢٦ من سورة البقرة.

اَلْمَكْتُوبُ الحادي وَالسِّتُّونَ
إلى اَلسَّيِّد مَحْمُود أَيْضًا
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى صُحْبَة اَلشَّيْخِ الكَامِل المُكَمِّل
وَالاجْتِنَاب عَنْ صُحْبَة النَّاقِصِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَكُمُ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلزِّيَادَةَ فِي طَلَبِه وَالاجْتِنَابَ عَنْ كُل مَا يُنَافِي الوُصُول إلى المَطْلب بحُرْمَة سَيِّد البَشَر المُحَرَّر عَنْ زَيْغ البَصَر عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ. قَدْ شَرَّفَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ بوُصُوله، وَلَمَّا كَانَ مُنْبِئًا عَن اَلطَّلب وَالشَّوْق وَمُشْعِرًا بوُجُود الهَيَام وَالظَّمأ وَالذَّوْق، كَانَ لدَى اَلنَّظَر مُسْتَحْسَنًا جدًّا فَإِنَّ وُجُودَ اَلطَّلَب مُبَشِّرٌ بحُصُول المَطْلوب، وَحُصُولَ الهَيَام مُقَدِّمَةُ الوُصُول إلى المَقْصُود. وَقَال أَحَدٌ منَ الأَعِزَّة: إنْ طَلَبْتَ تُعْطَى وَإِنْ لَمْ تُعْطَ تُزَادُ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّ حُصُول دَوْلة اَلطَّلب نعْمَةً عُظْمَى، وَأَنْ يَحْتَرِزَ منْ كُل مَا يُنَافيهَا لئلاَّ يَتَطَرَّقَ الفُتُورُ إلَيْهَا منْ غَيْر شُعُور وَكَيْلاَ تُؤَثِّرَ البُرُودَةُ في تلكَ الحَرَارَة. وَمُعْظَمُ أَسْبَاب المُحَافَظَة عَلَيْهَا هُوَ القيَامُ بشُكْر حُصُول تلكَ اَلدَّوْلة {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[1] وَدَوَامُ اَلالتجَاء وَالتَّضَرُّع إلى جَنَاب قُدْس الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - حَتَّى لاَ يُصْرَفَ وَجْهُ طَلَبه عَنْ كَعْبَة جَمَاله اَلزَالِيِّ، فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ حَقيقَةُ اَلالتجَاء وَالتَّضَرُّع يَنْبَغي أَنْ لاَ يُقَصِّرَ في صُورَة اَلالتجَاء وَالتَّضَرُّع " فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا " بَيَانٌ لهَذَا المَعْنَى، وَهَذه المُحَافَظَةُ إنَّمَا هيَ إلى زَمَان الوُصُول إلى اَلشَّيْخ الكَامل المُكَمِّل ثُمَّ بَعْدَ الوُصُول إلَيْه لاَ شَيْءَ عَلَيْه سوَى تَفْويضِ جَميعِ مُرَادَاته إلَيْه وَكَوْنه كَالمَيِّت بَيْن يَدَي الغَسَّال لدَيْه.

وَالفَنَاءُ الأَوَّل هُوَ الفَنَاءُ فِي اَلشَّيْخ، وَيَكُونُ هَذَا الفَنَاءُ وَسيلَةَ الفَنَاء فِي اَللهِ، (شِعْرٌ).

مِنْ أَجْل كَوْنكَ فِي البدَايَة أحْوَلاَ لاَ بُدَّ منْ شَيْخٍ يَقُودُك أَوَّلاَ

فَإِنَّ طَرِيقَ الإِفَادَة والاستفادَة مَبْنِيٌّ عَلى وُجُود المُنَاسَبَة بَيْنَ اَلطَّرَفَيْن.

وَالطَّالبُ لاَ بُدَّ لهُ أَوَّلاً منْ بَرْزَخٍ ذي جهَتَيْن لكَوْنه في اَلابْتدَاء في غَايَة الدناءَة وَنهَايَة الخَسَاسَة وَعَدَمُ مُنَاسَبَته أَصْلاً لجَنَاب قُدْسه - جَل سُلطَانُهُ - منْ هَذه

---

(١) ــ الآية: ٧ من سورة إبراهيم.

الحَيْثِيَّة، وَذَلكَ البَرْزَخُ هُوَ اَلشَّيْخُ الكَامِل المُكَمَّل. وَأَقْوَى أَسْبَاب وُقُوع الفُتُور عَلى طَلَب اَلطَّالب هُوَ الإِنَابَةُ إِلى اَلشَّيْخ اَلنَّاقص، وَهُوَ اَلذي جَلسَ عَلى مُسْنَد المَشْيَخَة بدُون إِتْمَام أَمْره بالسُّلوك وَالجَذْبَة، فَصُحْبَتُهُ سُمٌّ قَاتل للطَّالب وَالإِنَابَةُ إِلَيْه مَرَضٌ مُهْلكٌ. وَمَثَل هَذه اَلصُّحْبَة تُورثُ اَلانْحطَاطَ وَالتَّنَزُّل للاسْتعْدَاد العالي، بَل تَرْميه منَ اَلذُّرْوَة إِلى الحَضيض ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ المَريضَ إِذَا أَكَل مَثَلاً دَوَاءً منْ طَبيب نَاقص في اَلطِّبِّ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ ذَلكَ سَعْيًا وَاجْتهَادًا منْهُ في زيَادَة مَرَضه وَتَضْييع قَابليَّة إِزَالة مَرَضه، وَهَذَا اَلدَّوَاءُ وَإِنْ أَوْرَثَ تَسْكينَ الوَجَع وَتَخْفيفًا مَا في أَوَّل وَهْلة وَلكنْ في الحَقيقَة هُوَ عَيْنُ المَضَرَّة، فَإِنْ وَصَل هَذَا المَريضُ فَرْضًا إِلى طَبيب حَاذق يَجْتَهدُ هَذَا اَلطَّبيبُ أَوَّلاً في إِزَالة تَأْثير ذَلكَ اَلدَّوَاء وَيُعَالجُهُ بالمُسَهِّلاَت - يَعْني لإِخْرَاجه - ثُمَّ يَشْرَعُ في مُعَالجَة إِزَالة المَرَض بَعْدَ زَوَال ذَلكَ اَلتَّأْثير.

وَمَدَارُ طَريق هَؤُلاَء الأَكَابر عَلى اَلصُّحْبَة لاَ يَحْصُل فيه شَيْءٌ منَ القيل وَالقَال وَالسَّمَاع العاري عَن الأَحْوال بَل يُورثُ ذَلكَ فُتُورًا في طَلَب التَّرَقِّي إِلى مَدَارج القُرْب وَالكَمَال، وَيُحْتَمَل أَنْ يَقَعَ اَلسَّيْرُ إِلى جَانب دهلى وَأ ـــره بَعْدَ أَيَّام فَإِنَّ أَوْصَلتَ نَفْسَكَ هُنَاكَ وَاسْتَفَدْتَ بالمُشَافَهَة شَيْئًا ثُمَّ رَجَعْتَ بلاَ تَأْخير يَكُونُ حَسَنًا. وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ تَصْديعٌ. وَأَجْوبَةُ بَقيَّة الأَسْئلَة أَنَّ اَلشَّيْخَ نَاجَا صَاحبَ المَعَارف وَالابْتهَاج مُغْتَنمٌ في ذَلكَ اَلطَّرَف فَإِنَّهُ رَجُل مُحْتَشمٌ وَعَظيمُ اَلشَّأْن جدًّا وَلكنَّ اسْتعْدَادَك إِلى طَريقَة قَليلة جدًّا، وَحُصُول المَطْلوب منْ غَيْر رَابطَة المُنَاسَبَة مُتَعَسِّرٌ، وَالأَمْرُ مُفَوَّضٌ إِلَيْكُمْ فَإِنْ كَتَبْتُمْ منْ أَحْوَالكُمْ شَيْئًا في بَعْض الأَحْيَان لنَكْتُبَ منْ هَذَا الجَانب في جَوَابه شَيْئًا لكَانَ مُنَاسبًا فَإِنَّ تلكَ الحَيْثيَّةَ تَكُونُ بَاعثَةً عَلى تَحْريك سلسلة الإِخْلاَص دَائمًا.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالسِّتُّونَ
إلى جَنَاب المَرْزَا حُسَام الدِّين أَحْمَدَ
فِي بَيَان أَنَّ الجَذْبَةَ الَتي هيَ قَبْل السُّلوك ليْسَتْ منَ المَقَاصد
بَل هيَ وَسيلةٌ لقَطْع مَنَازل السُّلوك بالسُّهُولة
وَالجَذْبَةُ الَتي منَ المَقَاصد إنَّمَا هيَ بَعْدَ السُّلوك
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الَذينَ اصْطَفَى اعْلمْ أَنَّ طَريقَ الوُصُول مُرَكَّبٌ منْ جُزْأَيْن: جَذْبَة وَسُلوك. وَبعبَارَة أُخْرَى تَصْفيَة وَتَزْكيَة، وَالجَذْبَةُ الَتي هيَ مُقَدَّمَةٌ عَلى السُّلوك ليْسَتْ منَ المَقَاصد، وَالتَّصْفيَةُ الَتي قَبْل التَّزْكيَة ليْسَتْ منَ المَطَالب. وَالجَذْبَةُ المَقْصُودَةُ وَالتَّصْفيَةُ المَطْلوبَةُ إنَّمَا هُمَا الحَاصلتَان بَعْد تَمَام السُّلوك، وَحُصُول التَّزْكيَة الَتي هيَ فِي السَّيْر فِي اللهِ. وَفَائدَةُ الجَذْبَة وَالتَّصْفيَة السَّابقَتَيْن للسُّلوك وَالتَّزْكيَة إنَّمَا هيَ تَسْهيل مَسَالك السُّلوك فَإنَّ الأَمْرَ لاَ يَحْصُل بدُون السُّلوك، وَجَمَال المَطْلوب لاَ يَتَجَلى منْ غَيْر قَطْع المَنَازل. وَالجَذْبَةُ الأُولى كَالصُّورَة للجَذْبَة الثَّانيَة لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا فِي الحَقيقَة يَعْني سوَى هَذَا المُرَاد بانْدرَاج النِّهَايَة فِي البدَايَة كَمَا وَرَدَ ذَلكَ فِي عبَارَات مشَائخ هَذه السِّلسلة العَليَّة هُوَ انْدرَاجُ صُورَة النِّهَايَة فِي البدَايَة وَإلاَّ فَالبدَايَةُ لاَ تَسَعُ حَقيقَةَ النِّهَايَة وَلاَ مُنَاسَبَة بَيْنَ النِّهَايَة وَالبدَايَة. وَتَحْقيقُ هَذَا المَبْحَث مَذْكُورٌ بالتَّفْصيل فِي الرِّسَالة الَتي حَرَّرْتُهَا لتَحْقيق حَقيقَة الجَذْبَة وَالسُّلوك وَأَمْثَالهَا. وَالحَاصل أَنَّ العُبُورَ منَ الصُّورَة إلَى الحَقيقَة ضَرُوريٌّ وَالاكْتفَاءُ منَ الحَقيقَة بالصُّورَة مَهْجوريٌّ. حَقَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ بالحَقيقَة الحَقَّة وَجَنَّبَنَا عَنِ الصُّورَة البَاطلة بحُرْمَة النَّبيِّ المُخْتَار وَآله الأَبْرَار عَلَيْه وَعَلَيْهمْ منَ الصَّلَوَات أَكْمَلهَا وَمنَ التَّحيَّات أَفْضَلهَا.

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ
إلى اَلسَّيِّد اَلنَّقيب اَلشَّيْخ فَريد
فِي بَيَانِ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُتَّفِقُونَ فِي أُصُولِ اَلدِّينِ وَاخْتِلَافَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِي الفُرُوعِ
وَبَيَانِ بَعْضِ كَلِمَاتِهِمُ المُتَّفِقَةِ

ثَبَّتَنَا اَللهُ تَعَالى وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّة آبَائِكُمْ الكِرَامِ عَلى أَفْضَلِهِمْ أَصَالةً وَعَلى بَوَاقِيهِمْ مُتَابَعَةً اَلصَّلَاةُ اَلسَّلَامُ وَاعْلَمْ: أَنَّ الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اَللهِ تَعَالى وتسليماتُه وَبَرَكَاتُه عَلى جَميعهِمْ عُمُومًا وَعَلى أَفْضَلِهِمْ خُصُوصًا كُلُهُمْ رَحَمَاتٌ مِنَ اَللهِ سُبْحَانَهُ اسْتَسْعَدَ العَالَمُ بتَوَسُّط هَؤُلَاءِ العظَامِ بالنَّجَاة الأَبَدِيَّة وَتَخَلصُوا مِنَ البَلِيَّاتِ اَلسَّرْمَدِيَّة فَلَوْلَا وُجُودُهُمُ الشَّرِيفُ لَمَا أَخْبَرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ اَلذي هُوَ الغَنِيُّ المُطْلَقُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ العَالَمِ عَنْ ذَاته وَصِفَاته تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلَمَا دَل عَلَيْهَا أَحَدًا وَلَمَا أَهْدَى إلى مَعْرِفَته شَخْصًا أَبَدًا وَلَمَا كَلَفَ عِبَادَهُ بامْتِثَال أَوَامِره وَالانْتِهَاء عَنْ مَناهيه سَرْمَدًا اَللذَيْنِ كَلَفَهُمْ بهِمَا بمَحْضِ كَرَمه لنَفْعِهِمْ وَلَمَا امْتَازَتْ مَرْضِيَّاتُه تَعَالى مِنْ غَيْرِ مَرْضِيَّاته، فَشُكْرُ هَذه اَلنِّعْمَة العُظْمَى بأَيِّ لسَانٍ يُؤَدِّي وَلَمْ يَكُونُ مَجَال الخُرُوج عَنْ عُهْدَته، الحَمْدُ للهِ اَلذي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إلى الإِسْلَامِ وَجَعَلَنَا مِنْ مُصَدِّقِي الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَام - وَهَؤُلَاءِ العظَامُ مُتَّفِقُونَ فِي الأُصُول وَكَلِمَتُهمْ مُتَّحِدَةٌ فِي ذَات الحَقِّ وَصِفَاته تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَفِي الحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَإِرْسَال اَلرُّسُل وَنُزُول المَلَك وَوُرُود الوَحْي وَنَعِيم الجَنَّة وَعَذَاب الجَحِيم بطَرِيق الخُلود وَالتَّأْبيد، وَاخْتِلَافُهمْ إِنَّمَا هُوَ فِي بَعْضِ الأَحْكَام المُتَعَلقَة بفُرُوع اَلدِّينِ وَذَلكَ لأَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَرْسَل فِي كُل زَمَان إلى أَنْبِيَاء ذَلكَ الزَّمَان بَعْضَ الأَحْكَام المُنَاسبَة لذَلكَ اَلزَّمَان بطَرِيق الوَحْي، وَكَلفَهُمْ بأَحْكَام مَخْصُوصَة، وَالنَّسْخُ وَالتَّبْديل دَائِرَان عَلى حُكْمٍ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَصَالحَ وكثيرًا مَا وَرَدَتْ إلى نَبِيٍّ صَاحب شَرِيعَة - يَعْني مُسْتَقلةً - أَحْكَامٌ مُتَضَادَّةٌ فِي أَوْقَات مُخْتَلفَة بطَرِيق اَلنَّسْخ وَالتَّبْديل. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمُ المُتَّحِدَة وَعِبَارَاتِهِمُ المُتَّفقَة نَفْيُ عِبَادَة غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَنْعُ الاشْتِرَاك مَعَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَمَنْعُ المَخْلُوقَات عَنِ اتِّخَاذ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ. وَهَذَا الحُكْمُ مَخْصُوصٌ بالأَنْبِيَاء وَلَمْ يُشَرَّفْ بهَذه الدَّوْلة غَيْرُ مُتَابعيهِمْ وَلَمْ يَتَكَلمْ بهَذَا الكَلَام أَحَدٌ غَيْرَ الأَنْبِيَاء. وَالَذِينَ يُنْكِرُونَ الأَنْبِيَاءَ وَإِنْ أَقَرُّوا بوَحْدَانِيَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلكِنَّ حَالَهُمْ غَيْرُ

خَال عَنْ أَحَد أَمْرَيْن: إِمَّا تَقْليدُ أَهْل الإِسْلاَم، وَإِمَّا اَلتَّوْحيدُ فِي وُجُوب الوُجُود فَقَطْ دُونَ اسْتِحْقَاق العِبَادَة بِخلاَف أَهْل الإِسْلاَم - يَعْني اِتِّبَاعَ الأَنْبِيَاء الكِرَام - فَإِنَّهُمْ يُوَحِّدُونَهُ سُبْحَانَهُ فِي وُجُوب الوُجُود وَفِي اِسْتِحْقَاق العِبَادَة، فَإِنَّ المُرَادَ بِنُطْقِ كَلِمَة: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ .

نَفْيُ الآلِهَة البَاطلة وَإِثْبَاتُ المَعْبُود بِالحَقِّ، وَممَّا يَخْتَصُّ بِهَؤُلاَء العظَام اعْتِقَادُ أَنْفُسهمْ بَشَرًا مِثْل سَائِر اَلنَّاس وَاعْتِقَادُ أَنَّ الإِلهَ المَعْبُودَ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَدَعْوَةُ اَلنَّاس إِلَيْه تَعَالى وَتَنْزيهُه - جَل شَأْنُهُ - عَنِ الحُلول وَالاتِّحَاد. وَمُنْكِرُو اَلنُّبُوَّة لَيْسُوا كَذَلكَ بَل رُؤَسَاؤُهُمْ يَدَّعُونَ الأُلوهيَّةَ وَيُثْبِتُونَ حُلول الحَقِّ فِي أَنْفُسهِمْ وَلاَ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ دَعْوَى اسْتِحْقَاق العِبَادَة وَإِطْلاَق اسْم الأُلوهيَّة عَلى أَنْفُسهِمْ. فَلاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ لاَ يَزَالونَ يَخْلعُونَ رِبْقَةَ العُبُوديَّة عَنْ رِقَابهِمْ وَيَقَعُونَ فِي مُنْكَرَات الأَفْعَال وَمُسْتَقْبحَات الأَعْمَال وَيَسْلكُونَ سَبِيل الإِبَاحَة وَيَزْعُمُونَ أَنَّ اَللهَ غَيْرُ مَمْنُوعٍ مِنْ شَيْءٍ أَصْلاً وَكُل مَا يَقُولونَهُ يَحْسَبُونَهُ صَوَابًا وَكُل مَا يَفْعَلونَ يَزْعُمُونَهُ مُبَاحًا ضَلوا فَأَضَلوا فَوَيْل لَهُمْ وَلأَتْبَاعهمْ وَلأَشْيَاعهمْ.

وَممَّا اتَّفَقَ عَلَيْه الأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَحَرَّمَهُ مُنْكِروُهُمْ وَصَارُوا لاَ نَصِيبُ لَهُمْ مِنْ هَذه اَلدَّوْلة أَنَّهُمْ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قَائلونَ بِنُزُول المَلاَئكَة الكِرَام اَلذينَ هُمْ مَعْصُومُونَ مُطْلقًا مِنَ الآثَام وَلَيْسَ فِيهِمْ تَلوُّثٌ وَتَعَلقٌ بِالأَنَام وَمُعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أُمَنَاءُ الوَحْي وَحَمْلةُ كَلاَم اَللهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ - يَعْني إِلى الأَنْبِيَاء العظَام - فَكُل مَا يَقُولهُ هَؤُلاَء الأَكَابِرُ يَقُولونَهُ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكُل مَا يُبَلغُونَ يُبَلغُونَهُ مِنْهُ تَعَالى، وَأَحْكَامُهمْ الاجْتِهَادِيَّةُ أَيْضًا مُؤَيَّدَةٌ بِالوَحْي فَإِنْ وَقَعَتْ مِنْهُمْ زَلةٌ فَرْضًا تَدَارَكَهَا اَللهُ سُبْحَانَهُ فِي الحَال بِالوَحْي القَاطِع. وَرُؤَسَاءُ المُنْكِرِينَ اَلذينَ يَدَّعُونَ الأُلوهيَّةَ كُل مَا يَقُولونَ يَقُولونَهُ مِنْ قِبَل أَنْفُسهِمْ وَيَحْسَبُونَهُ صَوَابًا بِوَاسطَة زَعْم الأُلوهيَّة، فَيَنْبَغي الإِنْصَافُ لَوْ أَنَّ شَخْصًا زَعَمَ نَفْسَهُ مِنْ كَمَال قلة العَقْل إِلهًا مُسْتَحقًّا للعبَادَة وَبِهَذَا اَلزَّعْمِ الفَاسِد يَرْتَكبُ أَفْعَالاً قَبيحَةً، أَيُّ اعْتِبَارٍ يَكُونُ فِي كَلاَمه وَمَا البَاعِثُ وَالمَدَارُ عَلى اتِّبَاعه، (ع):

وَكُل إِنَاءٍ بِالَذي فِيهِ يَنْضَحُ

وَإِيرَادُ أَمْثَال هَذه الكَلمَات إِنَّمَا هُوَ لزِيَادَة الإِيضَاح، وَإِلاَّ فَالحَقُّ مُمْتَازٌ عَنِ البَاطل وَالنُّورُ مُبَاينٌ وَمُغَايِرٌ للظُّلمَة: {جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطل إِنَّ البَاطِل كَانَ

زَهُوقًا}[1] اَللهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلى مُتَابَعَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَوَّلاً وَآخِرًا.

وَبَقِيَّةُ المَقْصُود أَنَّ جَنَابَكُمْ أَعْلَمُ بالسَّيِّد ميان بير كَمَال فَمَا الحَاجَةُ إلى الكِتَابَة فِي هَذَا البَاب وَلكِنْ نَكْتُبُ هَذَا القَدْرَ أَنَّ الفَقِيرَ مَحْظُوظٌ بمَوَدَّته منْ مُدَّة أَزْمَان وَفيه اشْتِيَاقُ تَقْبِيل العَتَبَة العَلِيَّة منْ مُدَّة مَديدَة وَلكنَّ الآنَ طَرَأَ عَلَيْه اَلضَّعْفُ بحَسَب الأَبْدَان حَتَّى صَارَ صَاحبَ فرَاش مُنْذُ أَزْمَان، وَبَعْدَ القِيَام بتَوَجُّه نَحْوَ ذَلكَ الجَانب العَالي رَاجيًا العِنَايَةَ منْ حَضْرَتكُمْ مَحَطَّ الآمَال وَالأَمَانيِّ.

(١) ــ الآية: ٨١ من سورة الإسراء.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ
إلى السَّيِّد النَّقيب الشَّيْخ فَريد
في بَيَان اللذَّة وَالأَلم الجسْمَانيَّيْن وَالرُّوحَانيَّيْن
وَالتَّحْرِيضِ عَلى تَحمُّل المَصَائب وَالآلاَم الجِسْمَانِيَّة
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ في الدَّارَيْن بحُرْمَة سَيِّد الثَّقْلَيْن - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - وَاعْلَمْ: أَنَّ لذَّةَ الدُّنْيَا وَأَلَمَهَا عَلى قسْمَيْن: جسمَانيٌّ ورُوحَانيٌّ، وَكُل شَيْء فيه لذَّةٌ للجسْم فيه أَلمٌ للرُّوح وَكُل شَيْء فيه أَلمٌ للجسْم فيه التذاذٌ للرُّوح، فَالرُّوحُ وَالجسْمُ ضدَّان، وَفي هَذه النَّشْأَة الَتي تَنزَّلتْ الرُّوحُ فيهَا إلى مَقَام الجسْم وَتَعَلقَتْ به اكْتَسَبَتْ حُكْمَ الجسْم فَصَارَتْ تَتَلذَّذُ بتَلذُّذه وَتَتَأَلمُ بتَأَلمه، وَهَذَا هُوَ مَرْتَبَةُ العَوَامِّ كَالأَنْعَام وَقَوْله تَعَالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافلينَ}[1] صَادقٌ في شَأْنهمْ فَآهًا أَلفَ آهٍ لوْ لَمْ تَتَخَلصْ الرُّوحُ منْ هَذَا التَّعَلق وَلَمْ تَرْجعْ إلى وَطَنهَا الأَصْليِّ. شعْرٌ.

وَمَرْتَبَةُ الإِنْسَان في آخر الوَرَى ... لذَلكَ منْ عــزِّ الحُضُور تَأَخَّرَا
فَلوْ لَمْ يَعُــدْ منْ بُعْده وَاغْترَابه ... فَلاَ شَيْءَ مَحْرُومٌ كَأُنْس منَ الوَرَى

وَالرُّوحُ منْ مَرَضهَا تَزْعُمُ أَلَمَهَا لَذَّةً وَتَظُنُّ لذَّتَهَا أَلَمًا وَمَثَلهَا مَثَل الصَّفْرَاويِّ حَيْثُ يَجدُ الحُلوَ بوَاسطَة علة الصَّفْرَاء مُرًّا، فَالفكْرُ في إزَالة هَذَا المَرَض لاَزمٌ للعُقَلاَء حَتَّى يَغْشَاهُمُ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ في الآلاَم وَالمَصَائب الجسْمَانيَّتَيْن. شعْرٌ.

منْ أَجْل هَذَا العَيْش وَالمَعيشَة ... لاَ بُدَّ مَنْ شَقِّ المَرَائر يَا فَتَى

فَإنْ لوحظَ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً لتَبَيَّنَ أَنَّهُ لوْ لَمْ يَكُنْ الأَلَمُ وَالمُصيبَةُ وَالمَرَضُ في الدُّنْيَا لَمَا تَسَاوَى بشَعيرَة ؛ فَإنَّ الوَقَائعَ وَالحَوَادثَ هيَ الَتي تُزيل ظُلمَتَهَا، وَمَرَارَةُ الحَوَادث مَثَل مَرَارَة الدَّوَاء النَّافع المُزيل للمَرَض.

وَكَانَ مَحْسُوسًا للفَقير أَنَّ كَثيرًا منَ النَّاس يُهَيِّئُونَ الطَّعَامَ لدَعْوَة عَامَّة وَلاَ يَقْدرُونَ أَنْ يُصَحِّحُوا النِّيَّةَ وَأَنْ يُخَلصُوهَا عَنْ شَائبَة الرِّيَاء وَالسُّمْعَة، فَيَشْرَعُ في ذَلكَ الأَثْنَاء طَائفَةٌ منَ الحَاضرينَ في ذَلكَ الجَمْع وَالآكلينَ منْ ذَلكَ الطَّعَام في ذَمِّ صَاحب الطَّعَام وَمَنْقَصَته وَمَنْقَصَة طَعَامه، فَيَحْصُل لصَاحب الطَّعَام انْكسَارُ القَلب منْ هَذه

---

(١) ــ الآية: ٥ من سورة التين.

الجهَة، وَبِهَذَا الانْكِسَارِ تَرْتَفِعُ ظُلمَةُ الطَّعَامِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَيْه مِنْ عَدَمِ خُلوصِ النِّيَّة، وَيَقَعُ فِي مَعْرِضِ القَبُول. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَكْوَى هَؤُلاَءِ الجَمَاعَة وَذَمُّهُمْ وَلَمْ يَحْصُل لصَاحِبِ الطَّعَامِ انْكِسَارُ القَلْبِ بِسَبَبِه لكَانَ الطَّعَامُ مَمْلوءًا بالظُّلمَة وَالكَدُورَة، فَكَيْفَ المَسَاغُ لاحْتِمَالِ القَبُول فِي هَذِه الصُّورَة. فَكَانَ مَدَارُ الأَمْرِ إِذًا عَلَى الانْكِسَارِ وَالعَجْزِ وَالافْتِقَارِ. وَالأَمْرُ مُشْكِلٌ عَلَى أَمْثَالِنَا أَرْبَابِ التَّرْبِيَةِ وطَالِبِي العَيْشِ الحَسَنِ وَالتَّنَعُّمِ: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[1] نَصٌّ قَاطِعٌ.

وَالعِبَادَةُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّذَلُّلِ وَالانْكِسَارِ فَالمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ هُوَ التَّذَلُّل خُصُوصًا المُسْلِمِينَ وَالمُتَدَيِّنِينَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُهُمْ وَطَلَبُ العَيْشِ الحَسَنِ فِي السِّجْنِ بعيدٌ مِنْ طَوْرِ العَقْل، فَلاَ بُدَّ إِذًا لِلإِنْسَانِ مِنْ تَحَمُّلِ المَشَقَّة وَالمِحْنَة، وَلاَ مَنْدُوحَةَ لَهُ فِي ذَلِكَ التَّحَمُّل. أَكْرَمَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِالاسْتِقَامَة عَلَى هَذَا المَعْنَى بِحُرْمَةِ جِدِّكُمْ الأَمْجَدِ عَلَيْه وَعَلَى آلِه مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَيْمَنُهَا.

---

(١) ــ الآية: ٥٦ من سورة الذاريات.

اَلْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ
إِلى الخَانِ الأَعْظَمِ فِي اَلتَّأَسُّفِ وَالتَّلَهُّفِ عَلى ضَعْفِ الإِسْلاَمِ وَعَجْزِ المُسْلِمِينَ وَالتَّحْرِيضِ عَلى تَقْوِيَةِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَالإِغْرَاءِ عَلى إِجْرَاءِ أَحْكَامِ اَلدِّينِ أَيَّدَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَنَصَرَكُمْ عَلى أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ فِي إِعْلاَءِ الأَحْكَامِ

قَالَ المُخْبِرُ اَلصَّادِقُ - عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَفْضَلَهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلَهَا[1] ـــ: " الإِسْلاَمُ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلغُرَبَاءِ " وَقَدْ بَلَغَتْ غُرْبَةُ الإِسْلاَمِ حَدًّا يَطْعَنُ الكُفَّارُ فِي الإِسْلاَمِ بَيْنَ مَلاَ وَيَذُمُّونَ المُسْلِمِينَ وَيُجْرُونَ أَحْكَامَ الكُفْرِ بِلاَ تَحَاشٍ وَيَمْدَحُونَ أَهْلَهُ فِي الأَزِقَّةِ وَالأَسْوَاقِ وَالمُسْلِمُونَ عَاجِزُونَ مَمْنُوعُونَ مِنْ إِجْرَاءِ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ وَمَطْعُونٌ فِيهِمْ فِي إِتْيَانِ أَحْكَامِ اَلشَّرَائِعِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الكَفَرَةِ اَللئَامِ. شِعْرٌ.

مَليحٌ عَديمُ المِثْلِ مَرْمِيٌّ وَضِدُّهُ ... يُقَبَّلُ مِنْهُ الخَدُّ وَالعَيْنُ وَالفَمُ

سُبْحَانَ اَللهِ وَبِحَمْدِهِ وَقَدْ قِيلَ: اَلشَّرْعُ تَحْتَ اَلسَّيْفِ وَجُعِلَ رَوْنَقُ اَلشَّرْعِ اَلشَّرِيفِ مَرْبُوطًا بِالمُلُوكِ وَالسَّلاَطِينِ، وَالآنَ قَدْ انْعَكَسَتْ القَضِيَّةُ وَانْقَلَبَتْ المُعَامَلَةُ فِي هَذَا اَلزَّمَانِ وَاحَسْرَتًا وَانَدامَتًا واوَايْلَتًا. وَنَحْنُ اليَوْمَ نَعُدُّ وُجُودَكُمْ اَلشَّرِيفَ مُغْتَنَمًا وَلاَ نَدْرِي مَنِ المُبَارِزُ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ اَلضَّعِيفَةِ المُنْكَسِرَةِ غَيْرَكُمْ، وَاَللهُ سُبْحَانَهُ يَكُونُ مُؤَيِّدَكُمْ وَنَاصِرَكُمْ بِحُرْمَةِ اَلنَّبِيِّ وَآله الأَمْجَادِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَالبَرَكَاتُ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ " لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ مَجْنُونٌ " وَهَذَا الجُنُونُ اَلذِي مَبْنَاهُ عَلى فَرْطِ غَيْرَةِ الإِسْلاَمِ مَحْسُوسٌ فِي شِيمَتِكُمْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَالحَمْدُ للهِ عَلى ذَلِكَ.

وَهَذَا اليَوْمُ يَوْمٌ يُقْبَلُ فِيهِ عَمَلٌ قَلِيلٌ بِالاعْتِبَارِ اَلتَّامِّ عَلى أَجْرٍ جَزِيلٍ وَلاَ يُعْلَمُ وُقُوعُ عَمَلٍ مِنْ أَصْحَابِ الكَهْفِ سِوَى هِجْرَتِهِمْ وَفِرَارِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ، مَعَ هَذَا اَلاعْتِبَارُ فِيهِمْ وَالاشْتِهَارُ ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ العَسَاكِرَ إِذَا صَدَرَتْ عَنْهُمْ خِدْمَةٌ يَسِيرَةٌ وَإِقْدَامٌ قَلِيلٌ

---

(١) ـــ (قوله الإسلام) الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجه عن ابن مسعود وأنس رضي الله عنه والطبراني عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس رضي الله عنهم اهـــ سند.

وَقْتَ غَلَبَةِ الأَعْدَاءِ يَنَالونَ بِهَا اعْتِبَارَاتٍ كَثِيرَةً وإنعامات جَزِيلةً، بخلاَف وَقْت الأَمْنِ وَسُكُونِ الأَعْدَاءِ. وَهَذَا الجِهَادُ القَوْلِيُّ الَذِي تَيَسَّرَ لكُمْ اليَوْمَ يَنْبَغِي أَنْ تَغْتَنِمَهُ وَتَقُول هَل مِنْ مَزِيد مُعْتَقِدًا أَنَّ هَذَا الجِهَادَ القَوْلِيَّ أَفْضَل مِنْ جِهَادِ القَتْل، وَأَمْثَالَنَا العَاجِزُونَ المُقْعَدُونَ مَقْطُوعُوالَيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مَحْرُومُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ. شعْرٌ.

هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

آخَرُ

وَأَبْدَيْتُ مِنْ كَنْزِ المَرَامِ عَلاَمَةً وَأَرْجُوكَ أَنْ تَحْظَى بِهِ أَنْ تُحَاوِل

قَال حَضْرَةُ الخواجهْ عُبَيْدُ اَللهِ أَحْرَارٌ - قَدَّسَ اَللهُ سِرَّهُ -: وَلَوْ كُنْتُ فِي مَقَامِ المَشْيَخَةِ وَالإِرْشَادِ لَمَا وَجَدَ شَيْخٌ مِنْ شُيُوخِ العَالِمِ مُرِيدًا وَلَكِنْ أُمِرْتُ - يَعْنِي مِنْ عَالِمِ الغَيْبِ - بِأَمْرٍ آخَرَ وَهُوَ تَرْوِيجُ الشَّرِيعَةِ وَتَأْيِيدُ الملة فَلاَ جَرَمَ اخْتَارَ صُحْبَةَ السَّلاَطِين وَجَعَلَهُمْ مُنْقَادِينَ إِلَيْهِ بِتَصَرُّفِه وَرَوَّجَ الشَّرِيعَةَ بِوَاسِطَتِهِمْ وَقَدْ جَعَلَ اَللهُ سُبْحَانَهُ كَلاَمَكُمْ مُؤَثِّرًا وَأَوْدَعَ فِيه تَأْثِيرًا بِبَرَكَةِ مَحَبَّتِكُمْ لأَكَابِرِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ - قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ - وَظَهَرَتْ عَظَمَةُ إِسْلاَمِيَّتِكُمْ فِي نَظَرِ الأَقْرَانِ، فَالْمُلْتَمَسُ سَعْيُكُمْ فِي هَذَا البَابِ وَلَوْ لِهَدْمِ أَكْبَرِ أَحْكَامِ الكُفْرِ الَذِي لَهُ شُيُوعٌ تَامٌّ بَيْنَ أَهْلِ الإِسْلاَمِ حَتَّى يَكُونَ أَهْلُ الإِسْلاَمِ مَحْفُوظِينَ مِنْ تِلْكَ المُنْكَرَاتِ جَزَاكُمْ اَللهُ عَنَّا وَعَنْ سَائِرِ المُسْلِمِينَ خَيْرَ الجَزَاءِ. وَقَدْ فُهِمَ العِنَادُ لِلدِّينِ المُصْطَفَوِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فِي السَّلْطَنَةِ الأُولَى وَلَيْسَ هَذَا العِنَادُ ظَاهِرًا فِي هَذِهِ السَّلْطَنَةِ، فَإِنْ كَانَ فَمَبْنِيٌّ عَلَى عَدَمِ العِلْمِ، وَنَحْنُ فِي خَوْفٍ مِنْ أَنْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ هُنَا أَيْضًا إِلَى العِنَادِ فَتَصِيرُ المُعَامَلَةُ ضَيِّقَةً عَلَى المُسْلِمِينَ، (ع):

وَمَا خَوْفِي لِشَيْءٍ غَيْرَ دِينِي

ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ.

وَالفَقِيرُ قَدْ جِئْتُ هُنَا بِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ وَلَمْ أَسْتَصْوِبْ أَنْ لاَ أُطْلِعُكُمْ عَلَى مَجِيءِ وَأَنْ لاَ أَكْتُبَ بَعْضَ كَلِمَاتٍ نَافِعَةٍ وَأَنْ لاَ أُخْبِرَ عَنْ مَحَبَّةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِوَاحِدٍ مِنَ الأَعِزَّةِ بِحَسَبِ المُنَاسَبَةِ الفِطْرِيَّةِ قَال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " مَنْ أَحَبَّ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْ إِيَّاهُ " وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى جَمِيعِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي مَدْحِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ
وَبَيَانِ مُنَاسَبَةِ هَذَا الطَّرِيقِ بِطَرِيقِ الأَصْحَابِ الكِرَامِ
وَبَيَانِ فَضِيلَةِ الأَصْحَابِ العِظَامِ عَلَى غَيْرِهِمْ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الغَيْرُ أُوَيْسًا القَرْنِيَّ أَوْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ المَرْوَانِيَّ

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اعْلَمْ: أَنَّ الطَّرِيقَ حَضَرَاتِ خواجكان - قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ - مَبْنِيٌّ عَلَى انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ قَالَ حَضْرَةُ الخواجهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ -: نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي البِدَايَةِ وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ بِعَيْنِهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مَا يَتَيَسَّرُ لِسَائِرِ أَوْلِيَاءِ الأُمَّةِ نُبْذَةٌ مِنْهُ فِي نِهَايَةِ النِّهَايَةِ، وَلِهَذَا كَانَ وَحْشِيٌّ قَاتِلُ حَمْزَةَ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـــ أَفْضَلَ مِنْ أُوَيْسٍ القَرْنِيِّ الَّذِي هُوَ خَيْرُ التَّابِعِينَ وَذَلِكَ لِتَشَرُّفِهِ بِشَرَفِ صُحْبَةِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ فِي بِدَايَةِ إِسْلَامِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَمَا حَصَلَ لِوَحْشِيٍّ فِي أَوَّلِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لأُوَيْسٍ القَرْنِيِّ فِي الانْتِهَاءِ بِتِلْكَ الخُصُوصِيَّةِ، فَلَا جَرَمَ كَانَ خَيْرُ القُرُونِ قَرْنَ الأَصْحَابِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -، وَأَخَّرْتُ كَلِمَةً ثُمَّ أَمَرَ الآخَرِينَ وَأَشَارَتْ إِلَيَّ بَعْدَمَا بَيَّنَ الدَّرَجَتَيْنِ.

سُئِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ أَيُّهِمَا أَفْضَلُ مُعَاوِيَةُ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ ؟ قَالَ: الغُبَارُ الَّذِي دَخَلَ أَنْفَ فَرَسِ مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ كَذَا مَرَّةً.

فَلَا جَرَمَ كَانَتْ سلسلةُ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ سلسلةَ الذَّهَبِ. وَكَوْنُ مَزِيَّةِ هَذَا الطَّرِيقِ العَالِي عَلَى سَائِرِ الطُّرُقِ كَمَزِيَّةِ قَرْنِ الأَصْحَابِ عَلَى سَائِرِ القُرُونِ صَارَ مُبَرْهَنًا، وَالاطِّلَاعُ عَلَى حَقِيقَةِ جَمَاعَةٍ ذَاقُوا فِي أَوَّلِ شُرْبٍ مِنْ ذَلِكَ الجَامِ مِنْ كَمَالِ الفَضْلِ وَالكَرَمِ مُتَعَذِّرٌ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّ نِهَايَتَهُمْ فَوْقَ نِهَايَةِ الآخَرِينَ (ع):

وَعَامُ الخِصْبِ يُعْلَمُ مِنْ رَبِيعِ

{ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[1].

قَال حَضْرَةُ الخَوَاجهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: نَحْنُ المُفَضَّلونَ جَعَلَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مُحِبِّي هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ ومُتَابعِي آثَارِهِمْ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ القُرَشِي عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَكْمَلهَا.

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

اَلمَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالسِّتُّونَ
إلى خَانٍ خَائِنَانٍ
فِي تَفْوِيضِ مُحْتَاجٍ

ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آله اَلصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيماتُ - ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَيَرْحَمُ اَللهُ عَبْدًا قَال آمِينَا قَدْ اضْطَرَّنِي إلى تَصْدِيعِكُم أَمْرَانِ أَهَمَّان: أَحَدُهُمَا إِظْهَارُ رَفْعِ مَظِنَّةِ الأَذَى بَل إِظْهَارُ حُصُولِ المَوَدَّةِ وَالإِخْلَاصِ، وَثَانِيهِمَا: الإِيمَاءُ إلى احْتِيَاجِ مُحْتَاجٍ مُتَحَلِّي بِالفَضِيلَةِ وَالصَّلَاحِ وَمُتَزَيِّنٍ بِالمَعْرِفَةِ، وَالشُّهُودُ كَرِيمٌ مِنْ جِهَةِ اَلنَّسَبِ شَرِيفٌ مِنْ جِهَةِ الحَسَبِ. أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ فِي إِظْهَارِ الحَقِّ نَوْعًا مِنَ المَرَارَةِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً بِحَسَبِ اَلشِّدَّةِ وَالضَّعْفِ. فَيَا سَعَادَةَ مَنْ يَأْكُلُ هَذِهِ المَرَارَةَ مِثْلَ العَسَلِ وَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ.

وتَلْوِينَاتُ الأَحْوَالِ مِنْ لَوَازِمِ صِفَةِ الإِمْكَانِ، حَتَّى إِنَّ طَائِفَةً بَلَغُوا مَرْتَبَةَ اَلتَّمْكِينِ لَمْ يَتَخَلَّصُوا مِنَ اَلتَّلْوِينِ فَإِنَّ المُمْكِنَ المِسْكِينَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَغْلُوبَ سُلْطَانِ اَلصِّفَاتِ الجَلَالِيَّةِ أَوْ يَكُونَ مَغْلُوبَ اَلصِّفَاتِ الجَمَالِيَّةِ، أَوْ يَكُونَ وَقْتًا مَحَلًّا لِلقَبْضِ وَوَقْتًا مَوْطِنًا لِلبَسْطِ، وَلِكُلِّ مَوْسِمٍ أَحْكَامٌ عَلى حِدَةٍ كَانَ بِالأَمْسِ ذَلِكَ وَاليَوْمَ هَذَا " قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اَلرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ "[1] وَالسَّلَامُ.

---

(١) ــ أخرج مسلم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء مشكاة).

اَلْمَكْتُوبُ اَلثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ اَلتَّوَاضُعَ يُسْتَحْسَنُ مِنْ أَرْبَابِ الغِنَى
وَالاِسْتِغْنَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الفَقْرِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اَلخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اَللهُ أَيُّهَا المَخْدُومُ. شعْرٌ:

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ البَلاَغِ أَقُولُهُ فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا نَاصِحًا أَوْ مَلاَلَة

اَلتَّوَاضُعُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ أَرْبَابِ الغِنَى وَالاِسْتِغْنَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الفَقْرِ، لأَنَّ المُعَالجَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بالأَضْدَادِ، وَلَمْ يُفْهَمْ مِنْ مَكَاتِيبِكُمُ اَلثَّلاَثَةِ شَيْءٌ غَيْرَ اَلاِسْتِغْنَاءِ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُكُمْ اَلتَّوَاضُعَ وَكَانَ فِي المَكْتُوبِ الأَخِيرِ مَسْطُورًا بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلاَةِ فَلْيُعْلَمْ إِلخْ: يَنْبَغِي أَنْ يُلاَحَظَ فِي هَذِهِ العِبَارَةِ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً حَتَّى يَظْهَرَ أَنَّهَا إِلَى أَيْنَ يُكْتَبُ وَإِلَى مَنْ تُرْسَلُ. نَعَمْ، قَدْ خَدَمْتُمُ الفُقَرَاءَ كَثِيرًا، وَلَكِنَّ رِعَايَةَ الأَدَبِ أَيْضًا ضَرُورِيَّةٌ لِتَتَرَتَّبَ اَلثَّمَرَةُ عَلَيْهَا وَبِدُونِهَا خَرْطُ القَتَادِ. نَعَمْ إِنَّ أَتْقِيَاءَ أُمَّتِهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ بَرِيئُونَ مِنَ اَلتَّكَلُّفِ وَلَكِنَّ اَلتَّكَبُّرَ مَعَ المُتَكَبِّرِينَ صَدَقَةٌ. قَالَ شَخْصٌ لِحَضْرَةِ الخَوَاجَهْ: إِنَّهُ مُتَكَبِّرٌ فَقَالَ فِي جَوَابِهِ: إِنَّ تَكَبُّرِي مِنْ كِبْرِيَائِهِ تَعَالَى لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ هَذِهِ اَلطَّائِفَةَ ذَلِيلِينَ حَقِيرِينَ " رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اَللهِ لأَبَرَّهُ "[1] حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ – عَلَيْهِ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –، شعْرٌ:

بَثَثْتُ قَلِيلاً مِنْ هُمُومِي وَخِفْتُ أَنْ تَمَلُّوا وَإِلاَّ فَالكَلاَمُ كَثِير

وَيَنْبَغِي لِمُحِبِّيكُمُ الأَعِزَّةِ وَمُخْلِصِيكُمُ الأَجِلَّةِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ المُلاَحَظَةِ المُطَابِقَةِ لِنَفْسِ الأَمْرِ، وَأَنْ يُبَلِّغُوا إِلَيْكَ كُلَّ مَا هُوَ وَاقِعٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَأَنْ يَنْظُرُوا فِي كُلِّ مَشُورَةٍ إِلَى مَا فِيهِ صَلاَحُكُمْ لاَ إِلَى مَا فِيهِ صَلاَحُ أَنْفُسِهِمْ فَإِنَّهُ خِيَانَةٌ، وَلَقَدْ كَانَ مِنَ العِلَلِ الغَائِبَةِ لِهَذَا اَلسَّفَرِ إِفَادَةُ مَا فِيهِ بَعْضُ مَنَافِعِكُمْ وَلَكِنْ مَحْبُوكُمْ لَمْ يَتْرُكُونِي لأَنْ أُلاَقِيَكُمْ فَلاَ تَنْسُبُوا اَلتَّقْصِيرَ إِلَى هَذَا اَلطَّرَفِ. وَهَذِهِ المُقَدِّمَاتُ وَإِنْ كَانَتْ مُرًّا فِي اَلظَّاهِرِ وَلَكِنَّ مَنْ يَمُدُّ حُكْمًا وَيَسْتَمِيلُكُمْ كَثِيرٌ، فَاكْتَفُوا بِهِمْ. وَالمَقْصُودُ مِنْ مَوَدَّةِ الفُقَرَاءِ وَمَحَبَّتِهِمُ الاِطِّلاَعُ عَلَى العُيُوبِ المَكْنُونَةِ وَظُهُورُ الرَّذَائِلِ المَخْزُونَةِ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ إِظْهَارَ أَمْثَالِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الإِيذَاءِ بَلْ عَلَى وَجْهِ اَلنَّصِيحَةِ وَحُرْقَةِ

(١) ـــ مسلم وأحمد عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة.

القَلب. وَأَيْقِنْ أَنَّ الخواجهْ مُحَمَّدَ صدِّيق لوْ تَقَدَّمُ يَوْمًا وَاحِدًا لأَوْصَل هَذَا الفَقِيرُ نَفْسَهُ إِلَيْكُمْ عَلى كُل حَال وَلكِنَّهُ لقِيَ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِ سرهند.

فَالمَأمُول مُسَامَحَتُكُمْ.

اَلخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اَللهُ سُبْحَانَهُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
في بَيَانِ أَنَّ التَّوَاضُعَ مُوجِبٌ للرِّفْعَةِ في الدَّارَيْنِ
وَأَنَّ النَّجَاةَ مَرْبُوطَةٌ بِمُتَابَعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ

الحَمْدُ للهِ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى رَسُولِ اللهِ. وَصَلَ مَكْتُوبُكُمْ الشَّرِيفُ صُحْبَةَ الأَخِ مَوْلاَنَا مُحَمَّد صدِّيق وَقَدْ أَكْرَمْتُمْ جَزَاكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرًا الجَزَاءَ، وَحَيْثُ إِنَّكُمْ رَاعَيْتُمْ الأَدَبَ مَعَ الفُقَرَاءِ وَسُقْتُمْ الكَلاَمَ بالتَّوَاضُعِ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّنَزُّل بِحُكْمِ " مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ "(١) مُوجِبًا للرِّفْعَةِ الدِّينِيَّة والدُّنْيَوِيَّة بَل كَانَ كَذَلِكَ بُشْرَى لكُمْ، وَحَيْثُ أَوْرَدْتُمْ الكَلاَمَ في البَيْنِ منَ الإِنَابَة وَالمُرَاجَعَة فَتَصَوَّرَ أَنَّ هَذه الإِنَابَةَ قَدْ وَقَعَتْ عَلى يَد دَرْوِيشٍ منَ الدَّرَاوِيش، وَكُنْ مُتَرَصِّدًا لنَتَائجه وَثَمَرَاته وَلكنْ يَنْبَغِي لك أَنْ تُرَاعِيَ حُقُوقَهُ مَهْمَا أَمْكَنَ وايش نَكْتُبُ منَ الوَصَايَا وَالنَّصَائح وَمَاذَا نُبَيِّنُ منَ العُلوم وَالمَعَارف، فَإِنَّ العُلَمَاءَ المُجْتَهدينَ وَالصُّوفِيَّةَ المُحَقِّقينَ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهمْ لَمْ يُقَصِّرُوا في بَسْط الكَلاَم وَتَفْصيله. وَأَظُنُّ أَنَّ بَعْضَ الأَصْحَاب أَوْصَلَ بَعْضَ مُسْوَدَّات هَذَا الفَقِيرِ قَليل البِضَاعَة إِلى خِدْمَتِكُمْ وَلَعَل نَظَرَكُمْ الشَّرِيفَ وَقَعَ عَلَيْه.

وَبالجُمْلة: إِنَّ طَرِيقَ النَّجَاة هُوَ مُتَابَعَةُ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة كَثَّرَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ في الأَفْعَال وَالأَقْوَال وَفي الفُرُوعِ وَالأُصُول ؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ وَمَا سِوَاهُمْ منَ الفِرَق فَإِنَّهُمْ في مَعْرِضِ الزَّوَال وَشَرَف الهَلاَك عَلِمَهُ اليَوْمَ وَاحِدٌ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، وَأَمَّا غَدًا فَيَعْلَمُهُ كُل أَحَد وَلاَ يَنْفَعُ. اللهُمَّ نَبِّهْنَا قَبْل أَنْ يُنَبِّهَنَا المَوْتُ.

وَالسَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ مَنْسُوبٌ إِلى تلكَ العَتَبَة العَلِيَّة منْ قَديم الأَيَّام وَمُنْتَظِمٌ في سلك الدُّعَاة، فَاللاَّزِمُ لذِمَّة الكِرَام أَنْ يُعِينُوهُ وَيَأْخُذُوا بيَده حَتَّى يُخَلصُوهُ وَأَهْلَهُ منَ الفَقْر وَالعَجْز لِيَحْصُل لهُ فَرَاغُ الخَاطِر وَيَشْتَغِل بِدُعَاءِ سَلاَمَة الدَّارَيْنِ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ـــ أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال العزيزى واسناده حسن.

المَكْتُوبُ السَّبْعُونَ
إلى المَذْكُور أَيْضًا
فِي بَيَان أَنَّ جَامعيَّةَ الإِنْسَان سَبَبٌ لبُعْده
كَمَا أَنَّهَا سَبَبٌ لقُرْبه
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

ثَبَّتَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّة الشَّريعَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ رَحمَ اللهُ عَبْدًا قَال آمينَا اعْلَمْ: أَنَّ جَامعيَّةَ الإِنْسَان كَمَا أَنَّهَا سَبَبٌ لقُرْبه وَتَكْريمه وَتَفْضيله كَذَلكَ هيَ سَبَبٌ أَيْضًا لبُعْده وَتَجْهيله وَتَضْليله، أَمَّا قُرْبُهُ فَبوَاسطَة أَتَمِّيَّة مرْآته وَقَابليَّته لظُهُور جَميع الأَسْمَاء وَالصِّفَات بَل للتَّجَليَات الذَّاتيَّة، وَمَا وَرَدَ منَ الحَديث القُدْسيِّ " لاَ يَسَعُني أَرْضي وَلاَ سَمائي وَلَكنْ يَسَعُني قَلبُ عَبْدي المُؤْمن "[1] رَمْزٌ منْ هَذَا البَيَان. وَأَمَّا بُعْدُهُ فَبسَبَب احْتيَاجه إلى كُل شَيْء منْ جُزْئيَّات العَالم " فَإِنَّ لهُ احْتيَاجًا إلى كُل مَا في العَالم {خَلَقَ لَكُمْ مَا في الأَرْض جَميعًا}[2] فَبوَاسطَة هَذَا الاحْتيَاج لهُ تَعَلقٌ بجَميع الأَشْيَاء وَهَذَا التَّعَلقُ هُوَ الذي صَارَ سَببًا لبُعْده وَضَلاَله. شعْرٌ.

وَمَرْتَبَةُ الإِنْسَان في آخر الوَرَى لذَلكَ عَنْ عزِّ الحُضُــور تَأَخَّرَا
فَإِنْ لَمْ يَعُدْ منْ بُعْــده وَاغْترَابه فَلاَ شَيْءَ مَحْرُومٌ كَأُنْس منَ الوَرَى

فَكَانَ الإِنْسَانُ أَشْرَفَ المَوْجُودَات وَشَرَّ الكَائنَات أَيْضًا إِذْ منْهُ مُحَمَّدٌ حَبيبُ رَبِّ العَالمينَ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ والتَّسْليماتُ وَالتَّحيَّاتُ - وَمنْهُ أَبُو جَهْل اللعين عَدُوُّ رَبِّ الأَرَضينَ وَالسَّمَوَات، فَلاَ جَرَمَ كَانَ الأَمْرُ مُشْكلاً جدًّا مَا لَمْ يَتَيَسَّرْ النَّجَاةُ منْ

---

(١) ــ ذكر الغزالى في الإحياء بلفظ: " لم تسعنى أرضي ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى من حديث أبي عنبسة الخولانى رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أن لله آنية من الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين) قال المخرج رواه الديلمى في مسند الفردوس عن أنس رضي الله وأخرج أحمد في الزهد عن وهب ابن منبه أن الله فتح لحزقيل حتى نظر العرش فقال (سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال الله تعالى السموات والأرض ضعفن أن يسعنى ووسعنى قلب المؤمن الوادع اللين) قال شارح الإحياء بعد أن رد على من أنكر الصوفية روايتهم لهذا الحديث وبعد أن ذكر هذين الطريقين وهذا القدر يكفى للصوفى ولا يعترض عليه إذا عزاه إلى حضرة الرسالة والإنصاف من أوصاف المؤمنين اهـ سند.

(٢) ــ الآية: ٢٩ من سورة البقرة ٢.

جَمِيعِ التَّعَلقات اَلشَّتَّى وَ لَمْ يَحْصُل تَعَلقٌ بِوَاحِدٍ مُنَزَّهٍ عَنِ الوَحْدَةِ أَيْضًا وَلكِنْ بِمُقْتَضَى " مَا لاَ يُدْرَكُ كُلهُ لاَ يُتْرَكُ كُلهُ "

يَنْبَغِي أَنْ يَلتَزِمَ كَوْنَ المُعَامَلة وَالمَعيشَة فِي أَيَّامٍ قَليلة عَلى وَفْقِ اَلسُّنَّة وَاتِّبَاعِ صَاحِبِ اَلشَّرِيعَة عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ، فَإِنَّ التَّخَلصَ مِنْ عَذَابِ الآخرَة وَالفَوْزَ بِالتَّنَعُّمَاتِ اَلسَّرْمَدِيَّة مَرْبُوطَةٌ بِسَعَادَة هَذَا اَلاتِّبَاعِ، فَيَنْبَغِي أَدَاءُ اَلزَّكَاة منَ الأَمْوَال اَلنَّامِيَة وَالأَنْعَامِ اَلسَّائمَة كَمَا هُوَ حَقُّهَا وَأَنْ يَجْعَل ذَلكَ وَسيلةً لقَطْعِ اَلتَّعَلقِ عَنِ الأَمْوَال وَالأَنْعَام، وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ يَكُونَ حَظُّ اَلنَّفْسِ مَلحُوظًا وَمَنْظُورًا إِلَيْه فِي أَكْلِ الأَطْعمَة اَللذيذَة وَلبْسِ الأَلبسَة اَلنَّفيسَة، بَل اَللاَّئقُ فِي اسْتعْمَال الأَطْعمَة وَالأَشْرِبَة أَنْ لاَ يَنْوِيَ شَيْئًا غَيْرَ حُصُول القُوَّة لأَدَاء اَلطَّاعَات. وَفِي لبْسِ اَلثَّوْب اَلنَّفيس يَنْبَغِي أَنْ يَنْوِيَ اَلتَّزَيُّنَ المَأْمُورَ بقَوْله تَعَالى: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُل مَسْجِد}[1] أَيْ عِنْدَ كُل صَلاَة، وَأَنْ لاَ يَشُوبَهُ نِيَّةٌ أُخْرَى. فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ حَقِيقَةُ اَلنِّيَّة يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلفَ فِيهَا " فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا "

وَأَنْ يَلتَجِئَ وَيَتَضَرَّعَ إِلى اَللهِ سُبْحَانَهُ دائمًا لتَتَيَسَّرَ حَقِيقَةُ اَلنِّيَّة وَلِيَتَخَلصَ مِنَ اَلتَّكَلف.

وَلعَل يَقْبَل دَمْعِيَ المُتَقَاطِرَ مَنْ كَانَ يَخْلقُ لؤْلؤًا مِنْ قَطْرَة

وَعَلى هَذَا القِيَاسِ يَنْبَغِي أَنْ يُعَامِل فِي جَمِيعِ الأُمُورِ بِمُقْتَضَى فَتَاوَى العُلَمَاءِ المُتَدَيِّنِينَ اَلذينَ اخْتَارُوا العَزِيمَةَ وَاجْتَنَبُوا اَلرُّخْصَةَ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ ذَلكَ وَسِيلةً للنَّجَاة الأَبَدِيَّة: {مَا يَفْعَل اَللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}[2].

---

(١) ــ الآية: ٣١ من سورة الأعراف.

(٢) ــ الآية: ١٤٧ من سورة النساء.

المَكْتُوبُ الحَادِيَ وَالسَّبْعُونَ
إلى الميرزا داراب بْن خَانَ خَانَان
في بَيَانِ أَنَّ شُكْرَ المُنْعِمِ وَاجِبٌ عَلى المُنْعَمِ عَلَيْه
وَحُصُولِ اَلشُّكْرِ إِنَّمَا هُوَ بِإِتْيَانِ أَحْكَامِ اَلشَّرِيعَةِ لاَ غَيْرُ

أَيَّدَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ وَنَصَرَكُمْ اعْلَمْ أَنَّ شُكْرَ المُنْعِمِ وَاجِبٌ عَلى المُنْعَمِ عَلَيْه عَقْلاً وَشَرْعًا وَمِنَ المَعْلومِ أَنَّ وُجُوبَ اَلشُّكْرِ عَلى قَدْرِ وُصُولِ اَلنِّعْمَةِ، فَكُلمَا كَانَ وُصُولِ اَلنِّعْمَةِ أَكْثَرَ كَانَ وُجُوبُ اَلشُّكْرِ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ، فَكَانَ اَلشُّكْرُ عَلى الأَغْنِيَاءِ عَلى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ بِأَضْعَافِ مَا يَجِبُ عَلى الفُقَرَاءِ، وَلِهَذَا وَرَدَ فِي الخَبَرِ " إِنَّ فُقَرَاءَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسمائَةِ عَامٍ "(١).

وَالشُّكْرُ للهِ المُنْعِمِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَصْحِيحِ العَقَائِدِ أَوَّلاً عَلى مُقْتَضَى آرَاءِ اَلفِرْقَةِ اَلنَّاجِيَةِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَإِتْيَانِ الأَحْكَامِ اَلشَّرْعِيَّةِ العَمَلِيَّةِ ثانيًا عَلى وَفْقِ بَيَانِ المُجْتَهِدِي هَذِهِ الفِرْقَةِ العَلِيَّةِ، وَالتَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ ثالثًا عَلى طِبْقِ سُلُوكِ اَلصُّوفِيَّةِ العَلِيَةِ مِنْ هَذِهِ الفِرْقَةِ اَلنَّاجِيَةِ اَلسُّنِّيَّةِ، وَوُجُوبُ هَذِهِ اَلرُّكْنِ الأَخِيرِ اسْتِحْسَانِيٌّ بِخِلاَفِ اَلرُّكْنَيْنِ اَلسَّابِقَيْنِ. فَإِنَّ أَصْلَ الإِسْلاَمِ مَرْبُوطٌ بِذَيْنِكَ اَلرُّكْنَيْنِ وَإِنَّمَا المَنُوطُ بِالرُّكْنِ الأَخِيرِ هُوَ كَمَالِ الإِسْلاَمِ لاَ أَصْلُهُ، وَالعَمَلِ المُخَالِفُ لِهَذِهِ الأَرْكَانِ اَلثَّلاَثَةِ وَلَوْ كَانَ مِنْ جِنْسِ اَلرِّيَاضِيَّاتِ اَلشَّاقَّةِ وَالمُجَاهَدَةِ اَلشَّدِيدَةِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي المَعْصِيَةِ وَالبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ عَلى المُنْعِمِ - جَل سُلْطَانُهُ -. وَلَمْ يُقَصِّرْ بَرَاهِمَةُ الهِنْدِ وَفَلاَسِفَةُ اليُونَانِ فِي اَلرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهَدَاتِ شَيْئًا وَلَمْ يُفَوِّتُوا فِيهَا دَقِيقَةً، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ تَكُنْ تِلْكَ اَلرِّيَاضَاتُ وَالمُجَاهَدَاتُ عَلى وَفْقِ شَرَائِعِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَانُوا مَرْدُودِينَ وَصَارُوا مِنَ اَلنَّصِيبِ الأُخْرَوِيِّ مَحْرُومِينَ، فَعَلَيْكُمْ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا وَشَفِيعِ ذُنُوبِنَا وَطَبِيبِ قُلُوبِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اَللهِ صَلى اَللهُ تَعَالى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَسَلمَ وَمُتَابَعَةِ خُلَفَائِهِ اَلرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ رِضْوَانُ اَللهِ تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

---

(١) — روى مسلم عن عبد الله ابن عمرو (وأن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا) وروى ابن ماجة عن أبي سعيد بلفظ (أن الفقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة) وما ذكره الإمام فهو في رواية الترمذى عن أبي هريرة (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام مقدار نصف يوم) سند.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ
إلى الخواجهْ جهَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ جَمْعَ الدِّينِ مَعَ الدُّنْيَا مُتَعَسِّرٌ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ، (ع):

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لوْ اجْتَمَعَا

وَالجَمْعُ بَيْنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْ قَبِيل الجَمْعِ بَيْنَ الأَضْدَاد، فَلاَ بُدَّ إِذَا لطَالبَ الآخرَة مِنْ تَرْك الدُّنْيَا. وَحَيْثُ كَانَ تَرْكُهَا حَقِيقَةً مُتعَسِّرًا فِي هَذه الأَوَان يَنْبَغِي أَنْ يَلتَزمَ تَرْكَهَا حُكْمًا بالضَّرُورَة. وَالتُّرْكُ الحُكْميُّ عبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَحْكومًا بمُقْتَضَى حُكْم الشَّريعَة الغَرَّاء فِي الأُمُور الدِّينيَّة، وَأَنْ يُرَاعِيَ حُدُودَ الشَّرْع فِي المَطَاعم وَالمَشَارب وَالمَسَاكن غَيْرَ مُجَوِّز لمُجَاوَزَتهَا، وَأَنْ يُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ فِي الأَمْوَال النَّامية وَالأَنْعَام السَّائمَة. فَإِذَا تَيَسَّرَ التَّحَلي بالأَحْكَام الشَّرْعيَّة فَقَدْ حَصَلتْ النَّجَاةُ مِنْ مَضَرَّة الدُّنْيَا وَاجْتَمَعَتْ الدُّنْيَا حينَئذ بالآخرَة، وَمَنْ لمْ يَتَيَسَّرْ لهُ هَذَا القسْمُ أَيْضًا منَ التَّرْك فَهُوَ خَارجٌ منَ المَبْحَث وَحُكْمَهُ حُكْم المُنَافق وَصُورَةُ الإِيمَان الَتي فيه لاَ تَنْفَعُهُ فِي الآخرَة وَإِنَّمَا نَتيجَتُهَا عصْمَةُ الدِّمَاء وَالأَمْوَال فِي الدُّنْيَا. شعْرٌ.

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْط البَلاَغ أَقُولهُ فَخُذْ منْهُ نُصْحًا نَافعًا أَوْ مَلاَلَةً

وَأَيُّ صَاحب دَوْلة يَسْمَعُ الكَلمَةَ الحَقَّةَ بسَمْع القَبُول مَعَ هَذه الزَّمْزَمَة الدُّنْيَويَّة وَالخَدَم وَالحَشَم وَالأَطْعمَة اللذيذَة وَالأَلبسَة الفَاخرَة. شعْرٌ.

فِي أُذُنه مَنْ أَنْتَى صَمَمٌ فَلاَ يَرْضَى سَمَاعَ نَصيحتي وَبُكَائيَا

وَفَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ لمُتَابَعَة الشَّريعَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَبَقيَّةُ المَرَام: أَنَّ الشَّيْخَ مَيَّان زَكَريَّا كَانَ سَابقًا مُسْتَوْفي الخَرَاج وَهُوَ عَالمٌ وَفَاضل وَقَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مَديدَةٌ وَهُوَ مَحْبُوسٌ فِي السِّجْن بشُؤْم أَعْمَاله، وَقَدْ عَجَزَ الآنَ بوَاسطَة ضَعْف الهَرَم وَضيق المَعيشَة وَتَمَادَتْ مُدَّةُ حَبْسه. وَقَدْ كَتَبَ إِلى الفَقير يَطْلبُ حُضُوري فِي العَسْكَر فَأَسْعَى فِي تَخْليصه، وَلكنَّ كَثْرَةَ مَسَافَة الطَّريق كَانَتْ مَانعَةً منْ ذَلكَ. وَلَمَّا أَرَادَ أَخي الخواجهْ مُحَمَّدُ صَادق التَّوَجُّهَ إِلى خدْمَتكُمْ كُنْتُ سَبَبًا للتَّصْديع بتَحْرير كَلمَات بالضَّرُورَة فَالمَرْجُوُّ رعَايَةُ التَّوَجُّه العَالي فِي حَقِّ ذَلكَ الضَّعيف فَإِنَّهُ عَالمٌ وَشَيْخٌ كَبيرٌ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ
إِلى قليج اَللهِ ابْنِ قليج خَان
فِي مَذَمَّةِ اَلدُّنْيَا وَأَبْنَائِهَا
وَتَرْكِ تَحْصِيلِ العُلومِ الغَيْرِ اَلنَّافِعَةِ
وَالاجْتِنَابِ عَنْ فُضُولِ المُبَاحَاتِ
وَالتَّحْرِيضِ عَلى اَلخَيْرَاتِ وَالأَعْمَالِ اَلصَّالِحَةِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّةِ اَلشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ الأَبَدِيَّةُ اَلسَّرْمَدِيَّةُ أَيُّهَا الوَلَدَانُ: اَلدُّنْيَا مَحَلُ اَلامْتِحَانِ وَالابْتِلَاءِ ظَاهِرُهَا مُمَوَّهٌ وَمُزَيَّنٌ بِأَنْوَاعِ المُزَخْرَفَاتِ وَصُورَتُهَا مُنَقَّشَةٌ وَمُلَوَّنَةٌ بِالخَيَلَانِ وَالخُطُوطِ وَالذَّوَائِبِ وَالخُدُودُ المَوْهُومَةُ حُلوَةٌ فِي بَادِي اَلنَّظَرِ مُتَخَيَّلَةٌ بِالطَّرَاوَةِ وَالنَّضَارَةِ فِي البَصَرِ وَلكِنَّهَا فِي الحَقِيقَةِ جِيفَةٌ مَرْشُوشٌ عَلَيْهَا العِطْرُ وَمَزْبَلَةٌ مَلَآنَةٌ بِالذُّبَابِ وَالدُّودِ، سَرَابٌ يُرَى كَالشَّرَابِ وَسُمٌّ فِي صُورَةِ سُكَّرٍ بَاطِنُهَا خَرَابٌ وَأَبْتَرُ وَمُعَامَلَتُهَا مَعَ أَبْنَائِهَا مَعَ وُجُودِ هَذِهِ اَلذَّمَامَةِ وَالوَقَاحَةِ شَرٌّ مِنْ جَمِيعِ مَا يُقَالُ وَيُذْكَرُ، عَاشِقُهَا سَفِيهٌ وَمَسْحُورٌ وَمَفْتُونُهَا مَجْنُونٌ وَمَخْدُوعٌ، كُلُ مَنِ افْتُتِنَ بِظَاهِرِهَا فَقَدْ اتَّسَمَ بِسِيمَةِ الخَسَارَةِ الأَبَدِيَّةِ، وَكُلُ مَنْ نَظَرَ إِلى حَلَاوَتِهَا وَطَرَاوَتِهَا كَانَ نَصِيبُهُ اَلنَّدَامَةَ اَلسَّرْمَدِيَّةَ. قَالَ سَيِّدُ الكَائِنَاتِ حَبِيبُ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " مَا اَلدُّنْيَا وَالآخِرَةُ إِلاَّ ضَرَّتَانِ إِنْ رَضِيَتْ إِحْدَاهُمَا سَخِطَتْ الأُخْرَى فَمَنْ أَرْضى اَلدُّنْيَا فَقَطْ أَسْخَطَ الآخِرَةَ عَلى نَفْسِهِ " فَلَا جَرَمَ لَا يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الآخِرَةِ أَعَاذَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مَحَبَّتِهَا وَمَحَبَّةِ أَهْلِهَا.

أَيُّهَا الوَلَدُ: هَل تَدْرِي مَا اَلدُّنْيَا، كُلُ مَا يَعُوقُكَ وَيَحْجُبُكَ عَنِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مِنَ اَلنِّسَاءِ وَالأَوْلَادِ وَالأَمْوَالِ وَالجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَاللَّهْوِ وَاللعبِ وَالاشْتِغَالِ بِمَا لَا يَعْنِي فَهُوَ دَاخِلٌ فِي اَلدُّنْيَا، وَالعُلومُ اَلتِي لَا دَخْلَ لَهَا فِي أُمُورِ الآخِرَةِ فَهِيَ أَيْضًا مِنَ اَلدُّنْيَا، فَلَوْ نَفَعَ تَحْصِيلِ عِلمِ اَلنُّجُومِ وَالمَنْطِقِ وَالهَنْدَسَةِ وَالحِسَابِ وَأَمْثَالِهَا مِنَ العُلومِ اَلتِي

لاَ طَائِل فِيهَا لَكَانَتْ الفَلاَسِفَةُ مِنْ أَهْل النَّجَاة قَال النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " عَلاَمَة إِعْرَاضه تَعَالى عَن العَبْد اشْتِغَالُهُ بِمَا لاَ يَعْنِيه "[1]، شِعْرٌ.

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِقْدَارُ خَرْدَلَة سِوَى هَوَى الحَقِّ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَرَضٌ

وَمَا قَالوا مِنْ أَنَّ مَعْرِفَةَ عِلْمِ النُّجُومِ لاَزِمَةٌ لِمَعْرِفَة أَوْقَات الصَّلاَة لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ مَعْرِفَةَ أَوْقَات الصَّلاَة لاَ تُمْكِنُ إِلاَّ بِمَعْرِفَة عِلْمِ النُّجُومِ، بَل يَعْنِي أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ أَحَدُ طُرُق مَعْرِفَة الأَوْقَات وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لاَ خَبَرَ لَهُمْ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ وَمَعَ ذَلِكَ يَعْرِفُونَ أَوْقَاتَ الصَّلاَة أَزْيَدَ مِنْ عُلَمَاءِ عِلْمِ النُّجُومِ، وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ الوُجُوهُ الَّتِي ذَكَرُوهَا فِي تَحْصِيل المَنْطِقِ وَالحِسَابِ وَأَمْثَالِهِمَا مِنَ العُلُومِ الَّتِي لَهَا دَخْل فِي الجُمْلَة فِي بَعْضِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّة.

وَبِالجُمْلَة لاَ يَظْهَرُ وَجْهُ جَوَاز الاشْتِغَال بِهَذِه العُلُومِ إِلاَّ بَعْد تَمَحُّلات كَثِيرَة، وَذَلِكَ أَيْضًا بِشَرْط أَنْ لاَ يَكُونَ المَقْصُودُ مِنْهَا غَيْرَ مَعْرِفَة الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة وَتَقْوِيَة الأَدِلَّة الكَلاَمِيَّة، وَإِلاَّ فَلاَ يَجُوزُ الاشْتِغَال بِهَا أَصْلاً. يَنْبَغِي الإِنْصَافُ أَنَّ الأَمْرَ المُبَاحَ إِذَا كَانَ الاشْتِغَال بِهِ مُسْتَلْزِمًا لِفَوَات أَمْرٍ وَاجِب هَل يَخْرُجُ مِنَ الإِبَاحَة أَوْ لاَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الاشْتِغَال بِهَذِه العُلُومِ مُسْتَلْزِمٌ لِفَوَات الاشْتِغَال بِالعُلُومِ الشَّرْعِيَّة الضَّرُورِيَّة.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ قَدْ رَزَقَكَ مِنْ كَمَال عِنَايَتِه الَّتِي لاَ غَايَةَ لَهَا التَّوْفِيقَ لِلتَّوْبَة فِي عُنْفُوَان الشَّبَاب وَوَفَّقَكَ لِلإِنَابَة عَلَى يَد وَاحِد مِنْ دَرَاوِيش السِّلْسِلَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة - قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلِهَا - وَلاَ أَدْرِي هَل لَكَ عَلَى تِلْكَ التَّوْبَة ثَبَاتٌ أَوْ أَغُوثُكَ عَنْهَا النَّفْسُ بِأَنْوَاعِ المُزَخْرَفَات، وَأَرَى الاسْتِقَامَةَ عَلَيْهَا مُشْكِلَةً، فَإِنَّ المَوْسِمَ عُنْفُوَانُ الشَّبَاب وَمَتَاعُ الدُّنْيَا مُتَيَسِّرُ الأَسْبَاب وَأَكْثَرُ القُرَنَاء غَيْرُ مُنَاسِب فِي هَذَا البَاب.

أَيُّهَا الوَلَدُ: إِنَّ الأَمْرَ وَالحَزْمَ هُوَ الاجْتِنَابُ عَنْ فُضُول المُبَاحَات وَالاكْتِفَاءُ بِقَدْر الضَّرُورَة، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ أَيْضًا بِنِيَّة حُصُول القُوَّة وَالجَمْعِيَّة لأَدَاء وَظَائِف العُبُودِيَّة، فَإِنَّ المَقْصُودَ مِنَ الأَكْل مَثَلاً هُوَ حُصُولُ القُوَّة عَلَى أَدَاء الطَّاعَة وَمَنْ لُبْسِ اللِّبَاسِ سَتْرُ العَوْرَة وَدَفْعُ الحَرِّ وَالبَرْد، وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ المُبَاحَات الضَّرُورِيَّة.

وَاخْتَارَ أَكَابِرُ النَّقْشَبَنْدِيَّة - قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّة - العَمَل بِالعَزِيمَة وَاجْتَنَبُوا

---

(١) ـــ قال ابن حجر في شرح الأربعين من علامات أعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه أنه من قول الحسن وروى الترمذى عن أبي هريرة مرفوعاً من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ورواه ابن ماجة وحسنه النووى بل وصححه ابن عبد البر قال المخرج ذكر على المتق في جوامع الكلم مرفوعا بلفظ الشيخ اهـ.

مِنَ الرُّخْصَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ وَمِنْ جُمْلَةِ العَزَائِمِ الاكْتِفَاءُ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ فَإِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَخْرُجَ مِنْ دَائِرَةِ المُبَاحَاتِ إِلَى حَدِّ المُشْتَبِهَاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ، وَلَقَدْ أَبَاحَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ كَرَمِهِ تَنَعُّمَاتٍ كَثِيرَةً عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَجَعَلَ دَائِرَةَ هَذِهِ التَّنَعُّمَاتِ وَاسِعَةً جِدًّا، وَمَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ هَذِهِ التَّنَعُّمَاتِ أَيُّ عَيْشٍ يُسَاوِي رِضَا مَوْلَى العَبْدِ بِأَفْعَالِهِ وَأَيُّ جَفَاءٍ يُشَبَّهُ بِسَخَطِ سَيِّدِهِ عَلَى أَعْمَالِهِ رِضَاءُ اللهِ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الجَنَّةِ وَسَخَطُ اللهِ فِي النَّارِ شَرٌّ مِنَ النَّارِ وَالإِنْسَانُ عَبْدٌ مَحْكُومٌ بِحُكْمٍ لَمْ يَجْعَلْهُ المَوْلَى وَلَدَهُ وَلَمْ يَتْرُكْهُ سُدًى حَتَّى يَتَهَافَتَ عَلَى كُلِّ مَا يَشَاءُ فَيَنْبَغِي التَّفَكُّرُ وَإِعْمَالُ القَلْبِ، وَلاَ يَحْصُلُ غَدًا شَيْءٌ غَيْرَ النَّدَامَةِ وَالخَسَارَةِ، وَقْتُ العَمَلِ إِنَّمَا هُوَ عَهْدُ الشَّبَابِ، وَالعَاقِلُ مَنْ لاَ يُضَيِّعُ هَذَا الوَقْتَ وَيَغْتَنِمُ الفُرْصَةَ فَإِنَّ الأَمْرَ مُبْهَمٌ فَعَسَاهُ أَنْ لاَ يَبْقَى إِلَى زَمَنِ الشَّيْخُوخَةِ وَلَئِنْ بَقِيَ فَلَعَلَّهُ لاَ تَتَيَسَّرُ لَهُ الجَمْعِيَّةُ وَلَئِنْ تَيَسَّرَتْ فَلَعَلَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى العَمَلِ فِي أَوَانِ اسْتِيلاَءِ الضَّعْفِ وَالعَجْزِ. وَالحَالُ أَنَّ أَسْبَابَ الجَمْعِيَّةِ كُلَّهَا مُتَيَسِّرَةٌ الآنَ وَوُجُودُ الوَالِدَيْنِ أَيْضًا مِنْ إِنْعَامَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُمْ مَعِيشَتُكَ عَلَى ذِمَّتِهِمْ وَالمَوْسِمُ مَوْسِمُ الفُرْصَةِ وَزَمَانُ القُوَّةِ وَالاسْتِطَاعَةِ فَبِأَيِّ عُذْرٍ يُمْكِنُ أَنْ يُؤَخِّرَ شُغْلَ اليَوْمِ إِلَى غَدٍ وَيَخْتَارَ التَّسْوِيفَ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -: " هَلَكَ المُسَوِّفُونَ " نَعَمْ إِذَا أَخَّرْتَ المُهِمَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ الدَّنِيَّةَ إِلَى غَدٍ لأَجْلِ الاشْتِغَالِ بِأُمُورِ الآخِرَةِ فِي اليَوْمِ يَكُونُ مُسْتَحْسَنًا جِدًّا كَمَا أَنَّ عَكْسَهُ مُسْتَقْبَحٌ جِدًّا، وَفِي هَذَا الوَقْتِ الَّذِي هُوَ عُنْفُوَانُ الشَّبَابِ وَوَقْتُ اسْتِيلاَءِ أَعْدَاءِ الدِّينِ مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ لِعَمَلٍ قَلِيلٍ مِنَ الاعْتِبَارِ مَا لَيْسَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الوَقْتِ لأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، كَمَا أَنَّ فِي القَاعِدَةِ العَسْكَرِيَّةِ لِلعَسَاكِرِ " الشُّجْعَانُ أَقْوِيَاءُ الجَنَانِ اعْتِبَارٌ زَائِدٌ وَقْتَ اسْتِيلاَءِ الأَعْدَاءِ حَتَّى يُعْتَبَرَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ عَمَلٌ يَسِيرٌ وَثَبَاتٌ قَلِيلٌ وَيَكُونُ ذَلِكَ مَنْظُورًا، وَلاَ يَكُونُ مِثْلَ هَذَا الاعْتِبَارِ وَقْتَ الأَمْنِ مِنْ شَرِّ الأَعْدَاءِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ المَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ خُلاَصَةُ المَوْجُودَاتِ لَيْسَ هُوَ اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ وَلاَ الأَكْلَ وَالنَّوْمَ، وَإِنَّمَا المَقْصُودُ مِنْهُ أَدَاءُ وَظَائِفِ العُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ وَالانْكِسَارِ وَالعَجْزِ وَالافْتِقَارِ وَدَوَامِ الالْتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الغَفَّارِ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - وَالعِبَادَاتُ الَّتِي الشَّرْعُ المُحَمَّدِيُّ نَاطِقٌ بِهَا المَقْصُودُ مِنْ أَدَائِهَا مَنَافِعُ العِبَادِ وَمَصَالِحُهُمْ وَلاَ يَعُودُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ عَزَّ شَأْنُهُ، فَيَنْبَغِي إِذَا أَدَاؤُهَا بِغَايَةِ المَمْنُونِيَّةِ وَأَنْ يَسْعَى وَيَجْتَهِدَ فِي انْقِيَادِ الأَوَامِرِ وَامْتِثَالِهَا وَالانْتِهَاءِ عَنِ المَنَاهِي وَامْتِنَاعِهَا

وَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ بِالأَوَامِرِ والنَّوَاهِي مَعَ وُجُودِ غِنَاهُ المُطْلَق، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي امْتِثَالِ أَحْكَامِهَا بِكَمَالِ المَمْنُونِيَّةِ.

اعْلَمْ أَيُّهَا الوَلَدُ، لَوْ أَنَّ واحِدًا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا الذينَ تَحَقَّقُوا بِشَوْكَةٍ ظَاهِرِيَّةٍ وَجَاهٍ صُورِيٍّ أَنْعَمَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ مُتَعَلِّقِيهِ بِخِدْمَةٍ يَرْجِعُ مِنْهَا نَفْعٌ لِلآمِرِ بِهَا أَيْضًا كَيْفَ يَعُدُّهَا عَزِيزَةً وَيَقُولُ إِنَّ شَخْصًا عَظِيمَ القَدْرِ أَمَرَنِي بِهَذِهِ الخِدْمَةِ فَيَنْبَغِي لِي القِيَامُ بِهَا بِغَايَةِ المَمْنُونِيَّةِ، فَأَيُّ بَلاَءٍ نَزَلَ وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ. هَلْ كَانَتْ عَظَمَةُ الحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ فِي النَّظَرِ أَقَلَّ مِنْ عَظَمَةِ هَذَا الشَّخْصِ حَيْثُ لاَ يَجْتَهِدُ فِي امْتِثَالِ أَحْكَامِ الحَقِّ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحِيَ وَأَنْ يَتَنَبَّهَ مِنْ نَوْمِ الأَرْنَبِ. وَعَدَمُ امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللهِ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - لاَ يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُكَذِّبَ الإِخْبَارَاتِ الشَّرْعِيَّةَ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَظَمَةُ أَمْرِ الحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَحْقَرَ مِنْ عَظَمَةِ أَمْرِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يُلاَحِظَ شَنَاعَةَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، لَوْ أَنَّ شَخْصًا قَدْ جُرِّبَ كَذِبُهُ مِرَارًا، أَخْبَرَ بِأَنَّ الأَعْدَاءَ فِي صَدَدِ الهُجُومِ بِاللَّيْلِ لاِسْتِيلاَءٍ تَامٍّ عَلَى قَوْمٍ كَذَا لاَجْتَهَدَ عُقَلاَءُ ذَلِكَ القَوْمِ فِي المُحَافَظَةِ وَفِكْرِ دَفْعِ تِلْكَ البَلِيَّةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ المُخْبِرَ مُتَّهَمٌ بِالكَذِبِ؛ لِكَوْنِ الاِحْتِرَازِ عَمَّا يُتَوَهَّمُ فِيهِ الخَطَرُ لاَزِمًا. وَقَدْ أَخْبَرَ المُخْبِرُ الصَّادِقُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِتَمَامِ المُبَالَغَةِ عَنْ عَذَابِ الآخِرَةِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا مِنْهُ أَصْلاً، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَأَثَّرُوا لاَنْزَعَجُوا وَتَفَكَّرُوا فِي دَفْعِهِ وَالحَالُ أَنَّهُمْ عَرَفُوا عِلاَجَ دَفْعِهِ بِبَيَانِ الخَبَرِ الصَّادِقِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -، فَبِئْسَ الإِيمَانُ الذي لاَ يَكُونُ لِخَبَرِ المُخْبِرِ الصَّادِقِ اعْتِبَارٌ عِنْدَ صَاحِبِهِ مِثْلَ اعْتِبَارِ خَبَرِ الكَاذِبِ. وَصُورَةُ الإِسْلاَمِ لاَ تَنْفَعُ مِنَ النَّجَاةِ شَيْئًا بَلْ لاَ بُدَّ لِحُصُولِ النَّجَاةِ مِنْ تَحْصِيلِ اليَقِينِ وَأَيْنَ اليَقِينُ بَلْ لاَ ظَنَّ وَلاَ وَهْمَ أَيْضًا ؛ فَإِنَّ العُقَلاَءَ يَعْتَبِرُونَ الوَهْمَ فِي أُمُورٍ فِيهَا خَطَرٌ وَخَوْفٌ وَكَذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ (وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ هَذِهِ الأَعْمَالَ القَبِيحَةَ وَالحَالُ أَنَّهُمْ لَوْ أَحَسُّوا اطِّلاَعَ شَخْصٍ حَقِيرٍ عَلَى أَعْمَالِهِمْ لَمَا عَمِلُوا حِينَئِذٍ عَمَلاً شَنِيعًا أَصْلاً. فَحَالُ هَؤُلاَءِ لاَ يَخْلُو عَنْ أَحَدِ الحَالَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُكَذِّبُوا خَبَرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَإِمَّا أَنْ لاَ يَعْتَبِرُوا اطِّلاَعَهُ تَعَالَى. فَمِثْلُ هَذَا العَمَلِ هَلْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ أَوْ مِنَ الكُفْرِ فَيَلْزَمُ لِذَلِكَ الوَلَدَانِ يُجَدِّدُ الإِيمَانَ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بِقَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ "[1].

(١) — عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الإيمان سيخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فسلو الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) الطبراني في الكبير كذا في الأمم

وأنْ يُعيدَ تَوْبَةً نَصُوحًا منْ أُمُورٍ لاَ يَرْضَى بِهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَنْ يَجْتَنِبَ عَنْ أُمُورٍ مُحَرَّمَة مَنْهِيَّة عَنْهَا وَأَنْ يُؤَدِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ مَعَ الجَمَاعَة فَإِنْ تَيَسَّرَ قِيَامُ اللَّيْلِ وَصَلاَةُ التَّهَجُّد فَنَعِمْتُ السَّعَادَةُ، وَأَدَاءُ زَكَاة الأَمْوَال أَيْضًا منْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ فَلاَ بُدَّ منْ أَدَائِهَا البَتَّةَ. وَأَسْهَلُ طُرُقِ أَدَائِهَا أَنْ يَعْزِلَ حَقَّ الفُقَرَاءِ منَ المَالِ في كُلِّ سَنَة بنيَّة الزَّكَاة فَيَحْفَظُهُ عنْدَهُ وَيَصْرِفُهُ في مَصَارِفِ الزَّكَاة في تَمَامِ السَّنَة، فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لاَ يَلْزَمُ تَجْدِيدُ نيَّة أَدَاءِ الزَّكَاة في كُلِّ مَرَّة بَلْ تَكْفِي النِّيَّةُ وَقْتَ العَزْلِ مَرَّةً وَاحِدَةً. وَمنَ المَعْلُومِ أَنَّهُ كَمْ يُصْرَفُ إِلَى الفُقَرَاءِ وَالمُسْتَحِقِّينَ في جَمِيعِ السَّنَة وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بنيَّة أَدَاءِ الزَّكَاة لَمْ يَكُنْ مَحْسُوبًا منْهَا، وَفِي الصُّورَة المَذْكُورَة تَسْقُطُ الزَّكَاةُ منَ الذِّمَّة وَيَحْصُلُ التَّخَلُّصُ أَيْضًا منَ الخَرَجِ منْ غَيْرِ مُضَايَقَة، فَإِنْ لَمْ يَصْرِفْ للفُقَرَاءِ في تَمَامِ السَّنَة مقْدَارَ الزَّكَاة بَلْ بَقِيَتْ منْهَا بَقِيَّةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَحْفَظَهَا كَذَلِكَ مَعْزُولَةً عَنْ سَائِرِ الأَمْوَالِ، فَإِنَّ مثْلَ هَذَا العَمَلِ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ في كُلِّ عَامٍ، وَمَتَى كَانَ مَالُ الفُقَرَاءِ مُمْتَازًا وَمَعْزُولاً فَعَسَى أَنْ يَحْصُلَ التَّوْفِيقُ لإِنْفَاقِهِ غَدًا وَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ اليَوْمَ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ النَّفْسَ بَخِيلَةٌ بالذَّات وَهَارِبَةٌ منَ امْتِثَالِ الأَحْكَامِ الإِلهِيَّة - جَلَّ سُلْطَانُهُ -، فَلاَ جَرَمَ يَصْدُرُ الكَلاَمُ بالرِّفْقِ وَاللِّينِ وَإِلاَّ فَالأَمْوَالُ وَالأَمْلاَكُ كُلُّهَا حَقُّ اللهِ تَعَالَى، فَأَيْنَ المَجَالُ للعَبْدِ في المُكْثِ وَالتَّوَقُّفِ فيه بَلْ يَنْبَغِي أَدَاؤُهَا بالمَمْنُونِيَّة التَّامَّة، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَتَسَاهَلَ في أَدَاءِ العِبَادَاتِ بِاتِّبَاعِ هَوَى النَّفْسِ وَأَنْ يَسْعَى في أَدَاءِ حُقُوقِ العِبَادِ سَعْيًا بَلِيغًا وَأَنْ يَبْذُلَ الجُهْدَ فيه حَتَّى لاَ يَبْقَى لأَحَد حَقٌّ في الذِّمَّة فَإِنَّ أَدَاءَ الحَقِّ هُنَا - يَعْنِي في الدُّنْيَا - سَهْلٌ بِحَيْثُ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بالمُلاَيَمَة وَالتَّمَلُّقِ، وَأَمَّا في الآخِرَة فَالأَمْرُ مُشْكِلٌ غَيْرُ قَابِلٍ للعِلاَجِ.

وَيَنْبَغِي الاسْتِفْسَارُ عَنِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَالاسْتِفْتَاءُ فيهَا منْ عُلَمَاءِ الآخِرَة فَإِنَّ لكَلاَمِهِمْ تَأْثِيرًا فَعَسَى أَنْ يَحْصُلَ التَّوْفِيقُ للعَمَلِ بهَا بِبَرَكَة أَنْفَاسِهِمْ.

وَيَنْبَغِي الاجْتِنَابُ عَنْ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا الَّذِينَ جَعَلُوا العِلْمَ وَسِيلَةً للجَاه إِلاَّ أَنْ لاَ يُوجَدَ العُلَمَاءُ المُتَّقُونَ فَيُرْجَعَ إِلَيْهِمْ بالضَّرُورَة بِقَدْرِ الضَّرُورَة. وَالحَاجُّ مَيَّانُ مُحَمَّدُ الأترة منَ العُلَمَاءِ المُتَدَيِّنِينَ هُنَاكَ وَالشَّيْخُ عَلَى الأترة منْ أَحْبَابِكُمْ وَكُلٌّ منْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ مُغْتَنَمٌ في تِلْكَ النَّوَاحِي وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِمَا في تَحْقِيقِ المَسَائِلِ الشَّرْعِيَّة أَنْسَبُ.

لإيقاظ الهمم للكورانى وفي رواية أحمد والحاكم في المستدرك بلفظ من قول لا إله إلا الله قال العزيزى إسناده صحيح.

أَيُّهَا الوَلَدُ، مَا لَنَا وَلأَبْنَاءِ الدُّنْيَا وَأَيَّةُ مُنَاسَبَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَتَّى نَتَكَلَمَ فِي خَيْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ، وَقَدْ وَرَدَتْ النَّصَائِحُ الشَّرْعِيَّةُ فِي هَذَا البَاب عَلى الوَجْه الأَتَمِّ وَالأَكْمَل فَلله الحُجَّةُ البَالِغَةُ. وَلكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلكَ الوَلَدُ رَاجِعًا إلى الفُقَرَاءِ وَمَنْسُوبًا إِلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقِ الإِنَابَةِ كَانَ للقَلب تَوَجُّهٌ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ إِلَى أَحْوَاله، وَكَانَ هَذَا التَّوَجُّهُ بَاعِثًا عَلى القِيل وَالقَال. وَاعْلَمْ: أَنَّ أَكْثَرَ هَذه النَّصَائِحِ وَالمَسَائِل قَدْ بَلغَهُ وَقَرَعَ سَمْعَهُ وَلَكِنَّ المَقْصُودَ هُوَ العَمَل لاَ مُجَرَّدُ العلم، أَلاَ تَرَى أَنَّ مَرِيضًا إِذَا كَانَ عَالِمًا بدَاء مَرَضه لاَ يَنْفَعُهُ علمُهُ بذَلكَ الدَّوَاءِ وَلاَ يَحْصُل الشِّفَاءُ بدُون أَكْل الدَّوَاءِ. وَكُل هَذَا الإِبْرَامِ وَالمُبَالغَة لأَجْل العَمَل ؛ فَإِنَّ العلمَ العَارِيَ عَنِ العَمَل يُقِيمُ الحُجَّةَ عَلى صَاحبه قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَة عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بعلمه ".

وَلْيَعْلَمْ ذَلكَ الوَلَدَانُ الإِنَابَةَ السَّابقَةَ وَإِنْ لَمْ تُثْمرْ بوَاسطَة قلة صُحْبَة أَرْبَاب الجَمْعِيَّة وَلكِنَّهَا تُنْبِئُ عَنْ نَفَاسَة جَوْهَرِ اسْتعْدَاده. وَالمَرْجُوُّ أَنْ يُوَفِّقَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ لمَرْضَيَاته بِبَرَكَة تلكَ الإِنَابَة وَأَنْ يَجْعَلهُ مِنْ أَهْل النَّجَاة. وَعَلى كُل حَال يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَفْلتَ حَبْلَ مَحَبَّة هَذه الطَّائفَة، وَأَنْ يَجْعَل الالتجَاءَ وَالتَّضَرُّعَ إِلى هَؤُلاَء القَوْمِ شعَارًا وَأَن يَنْتَظرَ تَشْرِيفَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بمَحَبَّته بسَبَب مَحَبَّة هَذه الطَّائفَة وَجَذْبه إِلَيْه بالتَّمَام وَتَخْلِيصه مِنَ الأَدْنَاسِ وَالأَوْسَاخِ بالكُلِّيَّة. شعْرٌ.

مَا العِشْقُ إِلاَّ شُعْلَةٌ قَدْ أَحْرَقَتْ كُل الوَرَى إِلاَّ الحَبِيبَ البَاقِيَ

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ
إلى المَرَاز بَدِيعِ الزَّمَان
فِي التَّحْرِيضِ عَلى مَحَبَّةِ الفُقَرَاءِ وَالتَّوَجُّهِ إلَيْهِمْ
وَعَلى اتِّبَاعِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

قَدْ وَرَدَتْ الرُّقْعَةُ الشَّرِيفَةُ وَالنَّمِيقَةُ اللطِيفَةُ حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ حَيْثُ يُفْهَمُ مِنْ فَحْوَاهُ مَحَبَّةُ الفُقَرَاءِ وَالتَّوَجُّهُ إلى الدَّرَاوِيشِ الَتِي هِيَ رَأْسُ مَال السَّعَادَةِ لأَنَّهُمْ جُلَسَاءُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ، وَكَانَ رَسُول اللهِ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ يَسْتَفْتِح بِصَعَالِيك المُهَاجِرِينَ، وَقَال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فِي شَأْنِهِمْ " رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ " وَقَدْ انْدَرَجَتْ فِي الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ فَقْرَةُ خدِيو النَّشْأَتَيْنِ وَهَذه لغَةٌ مَخْصُوصٌ إطْلاَقُهَا بِحَضْرَةِ وَاجِبِ الوُجُودِ - جَل سُلطَانُهُ -، وَكَيْفَ يَسُوغُ لعَبْدٍ مَمْلوكٍ لاَ يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ أَنْ يَبْتَغِيَ المُشَارَكَةَ بِاللهِ جَل شَأْنُهُ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَأَنْ يَسْعَى وَيَعْدُوَ فِي طَرِيقِ الاسْتِقْلاَلِ خُصُوصًا فِي النَّشْأَةِ الأُخْرَوِيَّةِ الَتِي تَخْتَصُّ فِيهَا المَالِكِيَّةُ وَالمَلِكِيَّةُ سَوَاءٌ كَانَتْ بِطَرِيقِ الحَقِيقَةِ أَوْ بِطَرِيقِ المَجَازِ بِمَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وَيَوْمئِذٍ يُنَادِي الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَيَقُول " لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ " يَقُولُ فِي جَوَابِهِ بِنَفْسِهِ " للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ "، وَلَيْسَ للعِبَادِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ شَيْءٌ سِوَى الهَوْلِ وَالدَّهْشَةِ وَالنَّدَمِ وَالحَسْرَةِ وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي القُرْآنِ المَجِيدِ عَنْ شِدَّةِ ذَلِكَ اليَوْمِ وَغَايَةِ اضْطِرَابِ الخَلاَئِقِ حَيْثُ قَال تَبَارَكَ وَتَعَالى " إنَّ زَلزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَل كُل مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُل ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ "

شِعْرٌ.

عَنِ الفِعْلِ لاَ قَوْلٍ بِذَا اليَوْمَ تُسْأَل ... قُلوبُ ذَوِي الأَلْبَابِ تُشْوَى وَتَذْبُل
وَيُدهَشُ فِيهِ الأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ ... فَمَا عُذْرُ ذَنْبٍ فِيكَ أَمْ كَيْفَ تَفْعَل

وَبَقِيَّةُ النُّصْحِ أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنَ اتِّبَاعِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالتَّحِيَّةُ ؛ فَإِنَّ النَّجَاةَ بِدُونِهِ مُحَال. وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ يُلتَفتَ إلى زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَأَنْ لاَ يُعْتَنَى بِوُجُودِهَا وَعَدَمِهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ لاَ قَدْرَ لَهَا عِنْدَهُ تَعَالى،

فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَدَمُهَا خَيْرًا مِنْ وُجُودِهَا عِنْدَ العِبَاد. وَعَدَمُ وَفَائِهَا وَسُرْعَةُ زَوَالِهَا مَشْهُورَةٌ بَل مَشْهُودَةٌ، فَاعْتَبِرُوا بِأَبْنَائِهَا الَذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْل. وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْه وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الخَامسُ وَالسَّبْعُونَ
إلى المِرْزَا بَدِيع الزَّمَان أَيْضًا
فِي التَّحْرِيضِ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد الكَوْنَيْنِ
عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ
بتَصْحيح العَقَائد أوَّلاً
وَتَعَلمِ الأَحْكَامِ الفقْهيَّة الضَّرُورِيَّة ثَانيًا
وَمَا يُنَاسِبُهُ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ اعْلمْ أَنَّ نَقْدَ سَعَادَة الدَّارَيْنِ مَنُوطٌ بمُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - عَلى نَهْجٍ بَيْنَهُ عُلمَاءُ أَهْل السُّنَّة شَكَرَ اللهُ سَعْيَهمْ وَذَلكَ بتَصْحيح الاعْتقَاد أَوَّلاً عَلى مُقْتَضَى آرَاء هَؤُلاَء الأَكَابر، وَبتَحْصيل علم الحَلاَل وَالحَرَام وَالفَرْض وَالوَاجب وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوب وَالمُبَاح وَالمُشْتَبه ثَانيًا. وَلاَ بُدَّ منَ العَمَل بمُقْتَضَى هَذَا العلم. وَبَعْدَ حُصُول هَذَيْن الجَنَاحَيْن الاعْتقَاديِّ والعَمَليِّ إذَا سَبَقَتْ العنَايَةُ الأَزَليَّةُ بحُصُول السَّعَادَة السَّرْمَديَّة يَتَيَسَّرُ الطَّيَرَانُ نَحْوَ عَالم القُدْس، وَبدُونهَا خَرْطُ القَتَاد. وَالدُّنْيَا الدَّنيَّةُ لَيْسَتْ ممَّا يَخْفَى فعْلهَا حَتَّى تُعَدَّ منَ المَطَالب، وَيُظَنُّ حُصُول آمَالهَا وَجَاههَا منَ المَقَاصد. يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ عَاليَ الهمَّة، فَإنَّ الإنْسَانَ كُلمَا يَجدُ منَ اللهِ سُبْحَانَهُ إنَّمَا يَجدُهُ بالوَسيلة، فَيَنْبَغي إذًا طَلَبُ الوَسيلة إلَيْه تَعَالى، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والباقي منَ العَبَث

وَحَيْثُ طُلبَتْ الهمَّةُ منْ كَمَال الالتفَات فَبُشْرَى لك تَرْجعُ سَالمًا وَغَانمًا، لكنْ لاَ بُدَّ منْ أَنْ تُرَاعيَ شَرْطًا واحدًا وَهُوَ تَوْحيدُ قبْلة التَّوَجُّه، فَإنَّ جَعْل قبْلة التَّوَجُّه مُتَعَدِّدَةً إلْقَاءُ السَّالك نَفْسَهُ إلى التَّفْرقَة. وَمنَ الأَمْثَال المَشْهُورَة أَنَّ المُقيمَ في مَحَل في كُل مَحَل، وَالمُتَرَدِّدَ بَيْنَ المَحَال لَيْسَ في مَحَل أَصْلاً. رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ الاسْتقَامَةَ عَلى جَادَّة الشَّريعَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ، {وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ
إلى قليج خَانَ
فِي بَيَان أَنْ التَّرَقِّيَ مَرْبُوطٌ بالوَرَعِ وَالتَّقْوَى
وَفِي التَّحْرِيضِ عَلى تَرْكِ فُضُول المُبَا - ات
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

عَصَمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَصِمُكُمْ وَصَانَكُمْ عَمَّا شَانَكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المَنْفَى عَنْهُ زَيْغُ البَصَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ الصَّلَوَات أَكْمَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمات أَفْضَلهَا. قَال اللهُ تَعَالى " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " فَكَانَ مَدَارُ النَّجَاة عَلى جُزْأَيْن: امْتِثَال الأَوَامِر، وَالانْتِهَاء عَنِ المَنَاهِي. وَمُعْظَمُ هَذَيْن الجُزْأَيْنِ هُوَ الجُزْءُ الأَخِيرُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بالوَرَعِ وَالتَّقْوَى. ذُكِرَ رَجُل عِنْدَ رَسُول اللهِ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ بعِبَادَة وَاجْتِهَاد فِيهَا وَذُكِرَ آخَرُ بِرِعَة فَقَال النَّبِيُّ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ـــ: " لاَ تَعْدِل بالرِّعَةِ شَيْئًا " يَعْنِي الوَرَعَ وَقَال أَيْضًا عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلهَا: " ملاَكُ دِينكُمْ الوَرَعُ " وَفَضِيلةُ الإِنْسَان عَلى المَلَك إِنَّمَا هِيَ بِسَبَب هَذَا الجُزْء، والتَّرَقِّي فِي مَدَارِجِ القُرْب أَيْضًا مِنْ هَذَا الجُزْء، فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ أَيْضًا مُتَشَارِكُونَ فِي الجُزْءِ الأَوَّل والتَّرَقِّي مَفْقُودٌ فِيهِمْ. فَكَانَتْ رِعَايَةُ جُزْءِ الوَرَعِ وَالتَّقْوَى مِنْ أَهَمِّ مَهَامِّ الإِسْلاَمِ وَأَشَدِّ ضَرُورِيَّات الدِّين، وَرِعَايَةُ هَذَا الجُزْءِ الذي مَدَارُه عَلى الاجْتِنَاب مِنَ المَحَارِمِ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ عَلى وَجْه الكَمَال إِذَا حَصَل الاجْتِنَابُ عَنْ فُضُول المُبَاحَاتِ وَاكْتُفِى مِنْهَا بِقَدْرِ الضَّرُورَة فَإِنَّ إِرْخَاءَ عَنَان النَّفْسِ فِي ارْتِكَاب المُبَاحَات يَجُرُّ إِلَى المُشْتَبِهَات، وَالمُشْتَبَهُ قَرِيبٌ مِنَ المُحَرَّمِ وَمَنْ حَامَ حَوْل الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيه، فَلاَ بُدَّ إِذًا فِي حُصُول كَمَال الوَرَعِ وَالتَّقْوَى مِنَ الاكْتِفَاء بِقَدْرِ الضَّرُورَة مِنَ المُبَاحَات، وَهُوَ أَيْضًا مَشْرُوطٌ بنِيَّة تَحْصِيل القُوَّة عَلى أَدَاءِ وَظَائِف العُبُودِيَّة، وَإِلاَّ فَهَذَا القَدْرُ أيضًا وَبَال وَلقَلِيله حُكْمُ الكَثِير. وَلَمَّا كَانَ الاجْتِنَابُ عَنْ فُضُولِ المُبَاحَات بالكُلِّيَّة فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ خُصُوصًا فِي هَذَا الزَّمَان مُتَعَسِّرًا وَعَزِيزَ الوُجُود، لزِمَ الاجْتِنَابُ عَنِ المُحَرَّمَات وَتَضْيِيقُ دَائِرَة ارْتِكَاب فُضُولِ المُبَاحَات مَهْمَا أَمْكَنَ، وَأَنْ يَكُونَ نَادِمًا عَلى هَذَا الارْتِكَاب وَمُسْتَغْفِرًا مِنْهُ دَائِمًا، وَأَنْ يَلْتَجِئَ وَيَتَضَرَّعَ إِلى اللهِ تَعَالى فِي جَمِيعِ الأَوْقَات مُعْتَقِدًا أَنَّ هَذَا الارْتِكَابَ لفُضُولِ المُبَاحَات فَتْحُ بَابِ الدُّخُول حَوَالِي المُحَرَّمَات. فَعَسَى أَنْ تَقُومَ هَذِه النَّدَامَةُ وَالاسْتِغْفَارُ وَالالتِجَاءُ وَالتَّضَرُّعُ مَقَامَ الاجْتِنَاب عَنْ فُضُول المُبَاحَات، وَأَنْ تَسُدَّ مَسَدَّهُ، وَأَنْ تَدْفَعَ آفَاتِهَا وَتَحْفَظَ عَنْهَا. قَال وَاحِدٌ مِنْ أَعِزَّةِ الأَكَابِرِ:

انْكِسَارُ العَاصِينَ أَحَبُّ إِلى اللهِ تَعَالى مِنْ صَوْلَةِ المُطِيعِينَ.

وَالاجْتِنَابُ عَنِ المُحَرَّمَاتِ عَلى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ العِبَادِ. وَرِعَايَةُ القِسْمِ الثَّانِي أَهَمُّ مِنْ رِعَايَةِ القِسْمِ الأَوَّلِ، فَإِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَلى الإِطْلاَقِ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَالعِبَادُ فُقَرَاءُ مُحْتَاجُونَ وَبُخَلاَءُ وَلِئَامٌ بِالذَّاتِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ " مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ " وَقَالَ أَيْضًا ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ: " أَتَدْرُونَ مَنِ المُفْلِسُ ؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ! فَقَالَ: إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " صَدَقَ رَسُولُ اللهِ - صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَسَلَمَ -.

وَنَقُولُ إِظْهَارًا لِمَحْمَدَتِكُمْ وَشُكْرًا عَلى صَنِيعِكُمْ: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ صَارَ مُرَوَّجًا فِي بَلْدَةِ هور بِوُجُودِكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ وَحَصَلَتْ تَقْوِيَةُ الدِّينِ وَتَرْوِيجُ الملة فِي تِلْكَ البُقْعَةِ وَهَذِهِ البَلْدَةِ عِنْدَ الفَقِيرِ بِالنِّسْبَةِ إِلى سَائِرِ بِلاَدِ الهِنْدِ كَقُطْبِ الإِرْشَادِ بِالنِّسْبَةِ إِلى سَائِرِ النَّاسِ، وَخَيْرُ هَذِهِ البَلْدَةِ وَبَرَكَاتُهَا سَارَ فِي جَمِيعِ بِلاَدِ الهِنْدِ فَإِذَا حَصَلَ هُنَاكَ تَرْوِيجٌ يَتَحَقَّقُ نَحْوٌ مِنَ التَّرْوِيجِ فِي كُلِّ مَحَلٍّ كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُؤَيِّدَكُمْ وَنَاصِرَكُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ: " لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلى الحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلى ذَلِكَ"، وَلَمَّا كَانَ حَبْلُ ارْتِبَاطِكُمْ الحُبِّي بِحَضْرَةِ مَعْدِنِ المَعَارِفِ شَيْخِنَا وَقِبْلَتِنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - مُحْكَمًا قَوِيًّا، كُنْتُ بَاعِثًا عَلى تَحْرِيكِ ذَلِكَ الارْتِبَاطِ الحُبِّيِّ بِتَسْوِيدِ الأَوْرَاقِ وَتَحْرِيرِ بَعْضِ الكَلِمَاتِ، وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ إِطْنَابٌ. وَحَامِلُ رُقَيْمَةِ الدُّعَاءِ رَجُلٌ صَالِحٌ ذُو نَسَبٍ طَيِّبٍ وَقَدْ وَقَعَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلى جَنَابِكُمْ فَالمَرْجُوُّ رِعَايَةُ التَّوَجُّهِ الشَّرِيفِ فِي حَقِّهِ، وَإِنْجَاحُ حَاجَتِهِ. رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الدَّوْلَةَ الحَقِيقِيَّةَ وَالسَّعَادَةَ السَّرْمَدِيَّةَ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ الأَمْجَادِ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ
إلى جبارى خَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ الذي لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ مَتَّى تَكُونُ مُيَسَّرَةً وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى: (شعْرٌ):

وَمَا عَبَدُوا غَيْرَ الإله فَبَاطِل فَيَا وَيْلَ مَنْ يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطِلاً

وَعِبَادَةُ اللهِ الذي لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا تَخَلصَ العَبْدُ عَنْ رِقِّيَّة سِوَاهُ - جَلَ سُلطَانُهُ - بالتَّمَام، وَلَمْ تَبْقَ قِبْلَةُ التَّوَجُّه غَيْرَ الذَّات الأُحَديَّة. وَمِصْدَاقُ هَذَا التَّوَجُّه اسْتِوَاءُ إِنْعَامِه وَإِيلَامِه تَعَالى، بَل يَكُونُ الإِيلَامُ أَرْغَبَ فيه مِنَ الإِنْعَامِ فِي ابْتِدَاءِ حُصُولِ هَذَا المَقَامِ، وَإِنْ انْجَرَّ الأَمْرُ أَخِيرًا إِلى التَّفْوِيضِ وَكَانَ كُلمَا يَصِلُ وَيَحْصُلُ هُوَ الأَوْلى وَالأَنْسَبُ. وَالعِبَادَةُ الَتي مَنْشؤُهَا الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ فَتِلكَ العِبَادَةُ هِيَ عِبَادَةُ النَّفْسِ فِي الحَقِيقَة، فَإِنَّ المَقْصُودَ مِنْهَا إِمَّا حُصُولُ نَجَاةِ النَّفْسِ أَوْ سُرُورُهَا. شعْرٌ.

مَا دُمْتُ مَفْتُونًا بِنَفْسِك يَا خَلِيُّ دَعْوَى المَحَبَّة مِنْك دَعْوَى كَاذِب

وَحُصُولُ هَذه الدَّوْلَة مَنُوطٌ بالفَنَاءِ المُطْلَق. وَهَذَا التَّوَجُّهُ مِنْ نَتِيجَة المَحَبَّة الذَّاتيَّة، وَمُقَدِّمَة ظُهُورِ الوِلاَيَة الخَاصَّة المُحَمَّدِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَحُصُولُ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى مَوْقُوفٌ عَلى كَمَال اتِّبَاعِ شَرِيعَته عَلَيْه مِنَ الصَّلَوَات أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّات أَكْمَلُهَا فَإِنَّ شَرِيعَةَ كُل نَبِيٍّ الَتي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا مِنْ طَرِيق النُّبُوَّة مُنَاسِبَةٌ لوِلاَيَته، فَإِنَّ التَّوَجُّهَ فِي الوِلاَيَة إِلى الحَقِّ بالكُلِّيَّة، فَإِذَا نَزَل بِإِذْن اللهِ سُبْحَانَهُ إِلى مَقَام النُّبُوَّة يَنْزِل بِذَلِكَ النُّور وَيَجْمَعُ ذَلِكَ الكَمَال مَعَ التَّوَجُّه إِلى الخَلق. وَسَبَبُ حُصُولِ كَمَالاَت مَقَام النُّبُوَّة هُوَ ذَلِكَ النُّورُ أَيْضًا ؛ وَلِهَذَا قِيل: وِلاَيَةُ النَّبِيِّ أَفْضَل مِنْ نُبُوَّته، فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ شَرِيعَةُ كُل نَبِيٍّ مُنَاسِبَةً لوِلاَيَته وَاتِّبَاعُ تِلكَ الشَّرِيعَة مُسْتَلزِمٌ للوُصُول إِلى تِلكَ الوِلاَيَة.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ بَعْضَ مَنْ يَتْبَعُ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لاَ نَصِيبَ لَهُ مِنْ وِلاَيَته ـــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ـــ بَل هُوَ عَلى قَدَم نَبِيٍّ آخَرَ وَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ وِلاَيَته. أُجِيبَ: إِنَّ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - جَامِعَةٌ لجَمِيع الشَّرَائِع، وَالكِتَابُ الَذي أُنْزِل إِلَيْه شَامِل لجَمِيع الكُتُب السَّمَاوِيَّة. فَاتِّبَاعُ هَذِه

الشَّرِيعَةِ كَأَنَّهُ اتِّبَاعٌ لِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ، فَمَنْ لهُ مُنَاسَبَةٌ لنَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَأْخُذُ نَصِيبًا مِنْ وِلاَيَتِه عَلى قَدْرِ اسْتِعْدَادِه وَلاَ مَحْذُورَ فيه. بَل أَقُول إنَّ وِلاَيَتَهُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَاوِيَةٌ لِوِلاَيَاتِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيماتُ. فَالوُصُول إلى وَاحِدَةٍ مِنْ تلكَ الوِلاَيَاتِ وُصُول إلى جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ هَذِه الوِلاَيَةِ الخَاصَّة، وَسَبَبُ عَدَمِ الوُصُول إلى تلكَ الوِلاَيَةِ القُصُورُ فِي كَمَالِ مُتَابَعَتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - -، وَللقُصُورِ دَرَجَاتٌ.

فَلاَ جَرَمَ حَصَلَ التَّفَاوُتُ فِي دَرَجَاتِ الوِلاَيَة، وَلَوْ تَيَسَّرَ كَمَالُ الاتِّبَاعِ لاَمْكَنَ الوُصُول إلى تلكَ الوِلاَيَة، وَالاعْتِرَاضُ إنَّمَا يَرِدُ إذَا حَصَلَتْ الوِلاَيَةُ المُحَمَّدِيَّةُ لِمُتابِعِي شَرَائِعِ الأَنْبِيَاءِ الأُخَرِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيماتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَلَيْسَ فَلَيْسَ. الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إلى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَالدِّينِ القَوِيمِ. وَالصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ المَتِينِ وَالشَّرْعِ المُبِينِ (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) دَلِيل لِهَذَا المَعْنَى رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ كَمَالَ اتِّبَاعِ شَرِيعَتِه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِحُرْمَةِ كَمَلِ أَتْبَاعِه وَمُعْظَمِ أَوْلِيَائِه رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ آمِينَ. وَحَامِل رُقَيْمَةِ الدُّعَاءِ لَمَّا كَانَ فِي صَدَدِ التَّوَجُّهِ إلى تلكَ الحُدُود صَارَ بَاعِثًا عَلَى تَحْرِيكِ سِلْسِلَةِ المَحَبَّةِ بِتَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ لَدَيْكُمْ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ
إلى جباري خَانَ أَيْضًا
فِي بَيَانِ مَعْنَى السَّفَرِ فِي الوَطَنِ وَالسَّيْرِ الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ وَأَنَّ حُصُولَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَوْقُوفٌ عَلَى اتِّبَاعِهِ ﷺ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلَى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ الحَقَّةِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلَاةُ وَالتَّحِيَّةُ. قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مِنَ العَوْدِ مِنْ سَفَرِ دهلى وَأَرَهُ إِلَى الوَطَنِ المَأْلُوفِ وَنَقْدُ الوَقْتِ الآنَ حُبُّ الوَطَنِ مِنَ الإِيمَانِ فَإِنْ وَقَعَ السَّفَرُ بَعْدَ الوُصُولِ إِلَى الوَطَنِ، فَهُوَ فِي نَفْسِ الوَطَنِ فَإِنَّ السَّفَرَ فِي الوَطَنِ مِنَ الأُصُولِ المُقَرَّرَةِ عِنْدَ أَكَابِرِ الطَّائِفَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ السَّنِيَّةَ. وَيَحْصُلُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ذَوْقٌ مِنْ هَذَا السَّفَرِ فِي الابْتِدَاءِ بِطَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ، وَيَجْعَلُ جَمْعٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الطَّائِفَةِ مَجْذُوبِينَ سَالِكِينَ إِذَا أُرِيدَ ذَلِكَ، وَيُرْمَوْنَ أَوَّلاً فِي السَّيْرِ الآفَاقِيِّ ثُمَّ يُجْذَبُونَ إِلَى السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ بَعْدَ تَمَامِ السَّيْرِ الآفَاقِيِّ. وَالسَّفَرُ فِي الوَطَنِ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ، (ع):

وَهَذِي سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

آخَرُ:

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا

وَالوُصُولُ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ العُظْمَى مَنُوطٌ بِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَفْضَلُهَا. وَمَا لَمْ يُفْنِ السَّالِكُ نَفْسَهُ فِي الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَتَحَلَ بِحُلَا امْتِثَالِ الأَوَامِرِ وَالانْتِهَاءِ عَنِ المَنَاهِي لَا تَصِلُ رَائِحَةٌ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ إِلَى مَشَامِّ رُوحِهِ، فَإِنْ حَصَلَتْ لَهُ الأَحْوَالُ وَالمَوَاجِيدُ فَرْضًا مَعَ وُجُودِ مُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ، وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي الاسْتِدْرَاجِ تَفْضَحُهُ أَخِيرًا، وَلَا إِمْكَانَ لِلْخَلَاصِ بِدُونِ اتِّبَاعِ مَحْبُوبِ رَبِّ العَالَمِينَ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا -.

يَنْبَغِي لِلعَاقِلِ أَنْ يَصْرِفَ حَيَاةَ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ فِي مَرْضِيَّاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَيُّ صَفَاءٍ فِي عَيْشٍ وَأَيَّةُ لَذَّةٍ فِي مَعِيشَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَوْلَى العَبْدِ رَاضِيًا عَنْ أَفْعَالِهِ وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى الأَحْوَالِ الكُلِّيَّةِ وَالجُزْئِيَّةِ وَحَاضِرٌ وَنَاظِرٌ،

فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحيِيَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ. فَإِنَّهُ لوْ ظَنَّ اطِّلاَعَ مَخْلوق عَلى الغُيُوب وَالأَفْعَال القَبيحَة لَمَا صَدَرَتْ حينَئذ قَبيحَةٌ وَلاَ عَيْبٌ قَطْعًا وَلاَ يُرَادُ إِطْلاَعُهُ عَلى الغُيُوب البَتَّةَ، فَأَيُّ بَلاَء وَقَعَ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَتَّقُونَ وَلاَ يَنقبضونَ وَلاَ يُبَالونَ مَعَ علمهِمْ بِحُضُور الحَقِّ سُبْحَانَهُ واطِّلاَعه عَلى الضَّمَائِر وَالسَّرَائِر فَأَيُّ إِسْلاَم هَذَا حَيْثُ لاَ اعْتِبَارَ للحَقِّ عنْدَهُمْ مثْل اعْتِبَار هَذَا المَخْلوق. نُعُوذُ بِاللهِ منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا فَبحُكْمِ: جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ بقَوْل لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ. يَنْبَغِي أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانُ في كُل آن بهَذَا القَوْل العَظيم الشَّأْن، وَأَنْ يَتُوبَ إِلى اللهِ سُبْحَانَهُ منْ جَميع الأَفْعَال المَذْمُومَة وَيُنيبَ إِلَيْه تَعَالى، فَإِنَّهُ لاَ يَدْري رُبَّمَا تَكُونُ الفُرْصَةُ للتَّوْبَة في وَقْت آخَرَ هَلكَ المُسَوِّفُونَ. حَديثٌ نَبَويٌّ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ والتَّسْليماتُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْتَنمَ الفُرْصَةَ وَيَصْرِفَهَا في مَرْضَاته تَعَالى وَالتَّوْفيقُ للتَّوْبَة منْ عنَايَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَطْلبَ هَذَا المَعْنَى دَائمًا، وَأَنْ يَطْلبَ الهمَّةَ منَ الدَّرَاويش الذينَ لَهُمْ قَدَمٌ رَاسخٌ في الشَّريعَة وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ منْ عَالم الحَقيقَة، وَأَنْ يَسْتَمدَّ منْهُمْ حَتَّى تَظْهَرَ عنَايَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ منْ بَابهِمْ فَتَجْذبَ إِلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى بالتَّمَام فَلاَ تَبْقَى حينَئذ مُخَالفَةٌ أَصْلاً، فَإِنَّهُ لوْ وُجدَتْ منْ مُخَالفَة الشَّريعَة مقْدَارُ شَعْرَة فَالأَمْرُ في خَطَر، فَلاَ بُدَّ مَنْ سَدِّ سُبُل المُخَالفَة بالتَّمَام. شعْرٌ.

وَمِنَ المُحَال المَشْيُ في طُرُق الصَّفَا ... يَا سَعْدَ مَنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ المُصْطَفَى

صَلَوَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْه وَعَلى آله.

وَلاَ يَنْبَغِي الاعْتِرَاضُ عَلى أَهْل اللهِ خُصُوصًا إِذَا تَحَقَّقَ في البَيْن اسْمُ المُرْشديَّة والمُريديَّة، وَكَانَ طَريقُ الإِفَادَة وَالاسْتفَادَة مَفْتُوحًا. وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقدَهُ سُمًّا قَاتلاً. وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ إِطْنَابٌ.

وَقَدْ حَرَّرْتُ هَذه الكَلمَات بسَبَب ارْتبَاط المَحَبَّة وَالإِخْلاَص. فَالمَرْجُوُّ أَنْ لاَ تَكُونَ مُوجبَةً للمَلاَل ثُمَّ إِنَّ الملا عُمَرَ وَشَاهُ حُسَيْنًا كليْهمَا منْ أَوْلاَد الكبَار يُريدَان مُلاَزَمَتَكُمْ، فَالمَرْجُوُّ إِدْخَالهمَا في زُمْرَة المُلاَزمَيْن المَخْصُوصينَ وَجَاءَ الشَّيْخُ إِسْمَاعيل أَيْضًا بهَذه الإِرَادَة وَلوْ كَانَ رَاجلاً فَالمَأْمُول أَنْ يَحْتَظ بمَا يُنَاسبُ حَالهُ. وَلنَكْتَف بهَذَا القَدْر منْ زيَادَة التَّصْديع وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ
إلى المَذْكُور أَيْضًا
في بَيَان أَنَّ هَذه الشَّرِيعَةَ الغَرَّاءَ جَامعَةٌ للشَّرَائِعِ المُتَقدِّمَة وَالإِتْيَانَ بِمُقْتَضَى هَذه الشَّرِيعَة إِتْيَانٌ بِمُقْتَضَى الشَّرَائِعِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الثَّبَاتَ وَالاسْتقَامَةَ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَجَعَلَكُمْ مُتَوَجِّهًا إِلى جَنَاب قُدْسه بالكُلِّيَّة. وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ جَامعٌ لجَميع الكَمَالات الأَسْمائيَّة والصِّفاتيَّة وَمَظْهَرٌ جَميع الأَنْبيَاء عَلى سَبيل الاعْتدَال، وَالكتَابُ الذي أُنْزل إِلَيْه خُلاَصَةُ جَميع الكُتُب السَّمَاويَّة المُنَزَّلة عَلى سَائر الأَنْبيَاء عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ، وَأَيْضًا إِنَّ الشَّرِيعَةَ الَتي أُعْطيهَا زُبْدَةُ الشَّرَائع المُتَقدِّمَة، وَالأَعْمَال بمُقْتَضَى هَذه الشَّرِيعَة الحَقَّة مُنْتَخَبَةٌ منْ أَعْمَال الشَّرَائع، بَل منْ أَعْمَال المَلاَئكَة أَيْضًا صَلَوَاتُ اللهِ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمْ أَجْمَعينَ. فَإِنَّ بَعْضَ المَلاَئكَة مَأْمُورُونَ بالرُّكُوع وَبَعْضَهمْ بالسُّجُود وَبَعْضَهمْ بالقيَام، وَكَذَلكَ الأُمَمُ السَّابقَةُ كَانَ بَعْضُهمْ مَأْمُورينَ بصَلاَة الصُّبْح وَبَعْضُهمْ بصَلاَة أُخْرَى. وَوَرَدَ الأَمْرُ في هَذه الشَّرِيعَة بإِتْيَان الأَعْمَال المُنْتَخَبَة منْ خُلاَصَة أَعْمَال الأُمَم السَّابقَة وَالمَلاَئكَة المُقَرَّبينَ وَزُبْدَتهَا. فَالتَّصْديقُ بهَذه الشَّرِيعَة تَصْديقٌ بجَميع الشَّرَائع وَالعَمَل بمُقْتَضَاهَا عَمَل بمُقْتَضَيَات تلكَ الشَّرَائع، فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُصَدِّقُو هَذه الشَّرِيعَة خَيْرَ الأُمَم، وَكَذَلكَ تَكْذيبُ هَذه الشَّرِيعَة تَكْذيبٌ لجَميع الشَّرَائع وَتَرْكُ العَمَل بمُوجبهَا تَرْكُ العَمَل بمُوجب سَائر الشَّرَائع، وَكَذَلكَ إِنْكَارُ نَبيِّنَا ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ إِنْكَارٌ لجَميع الكَمَالات الأَسْمائيَّة والصفاتيَّة، وَتَصْديقُه تَصْديقٌ بجَميع ذَلكَ، فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ مُنْكرُهُ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ وَمُكَذِّبُ شَريعَته شَرَّ الأُمَم وَلهَذَا قَال اللهُ تَعَالى " الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنفَاقًا " شعْرٌ.

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْن منْ عَرَب تَعْسًا لمَنْ لَمْ يَكُنْ في بَابه تَربَا

اَلحَمْدُ لله ذي الإِنْعَام وَالمنَّة قَدْ صَارَ حُسْنُ الاعْتقَاد وَحُسْنُ الظَّنِّ بالشَّرِيعَة وَصَاحبهَا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ - مَشْهُودًا فيكَ بأَحْسَن الوُجُوه، وَكَانَتْ النَّدَامَةُ عَلى الأَوْضَاع المَذْمُومَة مُمَدَّتَك وَمُعينَتَك دَائمًا زَادَهُمَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

ثُمَّ إنَّ حَامِل رُقَيْمَة الدُّعَاء الشَّيْخ مَيَّانَ مُصْطَفَى مِنْ نَسْل القاضي شُرَيْحٍ وَقَدْ كَانَتْ أَسْلاَفُهُ الأَكَابِرُ مِنْ كُبَرَاءِ هَذِه الدِّيَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ وَظَائِفُ كَثِيرَةٌ وَأَسْبَابُ مَعِيشَة وَافِرَة، وَقَدْ تَوَجَّهَ المُشَارُ إلَيْه إلَى العَسْكَرِ بسَبَب ضيق المَعِيشَة وَمَعَهُ إسْنَادُهُ وَمَنْشُورُهُ. فَالمَرْجُوُّ حُصُول الجَمْعِيَّة لَهُ بوَاسطَتكُمْ. وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ مُوجبَةٌ للتَّصْديع، وَيَنْبَغي تَفْويضُ المُشَارِ إلَيْه إلى الصُّدُورِ العِظَامِ عَلى نَهْجٍ يَتَيَسَّرُ لهُ الأَمْرُ فَيَكُونُ سَبَبًا لجَمْعِيَّة أَرْبَابِ التَّفْرِقَة وَالسَّلاَمُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ

إلى المَرْزَا فَتْح اللهِ الحَكِيمِ

فِي بَيَانِ أَنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ مِنْ بَيْنِ الفِرَقِ الثَّلاَثِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

وَفِي المَنْعِ مِنَ الالتِفَاتِ إِلى الفِرَقِ المُبْتَدِعَةِ وَالاخْتِلاَطِ مَعَهُمْ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ:

(ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي مِنَ العَبَثِ

وَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنَ الفِرَقِ الثَّلاَثِ وَالسَّبْعِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِلشَّرِيعَةِ وَيَجْزِمُونَ بِكَوْنِهِمْ نَاجِينَ " كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ " مِصْدَاقَ حَالِهِمْ وَنَقْدَ وَقْتِهِمْ، وَأَمَّا الدَّلِيلُ الَّذِي بَيَّنَهُ النَّبِيُّ الصَّادِقُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَكْمَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَفْضَلُهَا عَلى تَمْيِيزِ فِرْقَةٍ نَاجِيَةٍ مِنْ تِلْكَ الفِرَقِ المُتَعَدِّدَةِ فَهُوَ قَوْلُهُ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ: " الَّذِينَ هُمْ عَلى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي " وَذِكْرُ الأَصْحَابِ مَعَ وُجُودِ الكِفَايَةِ بِذِكْرِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ - فِي ذَلِكَ المَحَلِّ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلإِيذَانِ بِأَنَّ طَرِيقِي هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَابِ، وَطَرِيقُ النَّجَاةِ مَنُوطٌ بِاتِّبَاعِ طَرِيقِهِمْ فَحَسْبُ. كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى " وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ " فَكَانَ إِطَاعَةُ الرَّسُولِ عَيْنَ إِطَاعَةِ اللهِ تَعَالى وَخِلاَفُ إِطَاعَتِهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ عَيْنُ مَعْصِيَتِهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالِ جَمَاعَةٍ زَعَمُوا طَاعَتَهُ تَعَالى خِلاَفَ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَحُكْمَ بِكُفْرِهِمْ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ " يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ " الآيَةَ. فَدَعْوَى اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ بِدُونِ اتِّبَاعِ طَرِيقِ الأَصْحَابِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ دَعْوَى بَاطِلٍ، بَلْ ذَلِكَ الاتِّبَاعُ فِي الحَقِيقَةِ عَيْنُ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

فَأَيْنَ المَجَالُ لِطَمَعِ النَّجَاةِ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ " مُطَابِقَةً لِحَالِهِمْ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الفِرْقَةَ المُلْتَزِمَةَ لاتِّبَاعِ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ فَهُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ،

فَإِنَّ الطَّاعِنينَ فِي أَصْحَاب رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ كَالشِّيعَة وَالخَوَارِجِ مَحْرُومُونَ منَ اتِّبَاعِهِمْ. وَللمُعْتَزِلة مَذْهَبٌ عَلى حِدَة مُحْدَثٌ وَرَئِيسُهُمْ وَاصِل بْنُ عَطَاء كَانَ منْ أَصْحَاب حَسَن البَصْرِيِّ ثُمَّ اعْتَزَلَ مَجْلسَهُ وَصَارَ يَقُول بإِثْبَات الوَاسطَة بَيْنَ الكُفْر وَالإِيمَان. فَقَالَ الحَسَنُ: اعْتَزَل عَنَّا وَعَلى هَذَا القيَاس سَائِرُ الفرَق. وَالطَّعْنُ فِي الأَصْحَاب طَعْنٌ فِي رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ فِي الحَقِيقَة. مَا آمَنَ برَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ، فَإِنَّ خُبْثَهُمْ يَنْجَرُّ إِلى خُبْث صَاحبهمْ نَعُوذُ بِاللهِ منْ هَذَا الاعْتقَاد السُّوء.

وَأَيْضًا إِنَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَة الَتي وَصَلتْ إِلَيْنَا منْ طَرِيق القُرْآن وَالأَحَاديث إِنَّمَا وَصَلتْ بتَوَسُّط نَقْلهمْ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلاَء مَطْعُونًا فيهمْ يَكُونُ نَقْلهمْ أَيْضًا مَطْعُونًا فيه. وَهَذَا النَّقْل ليْسَ مَخْصُوصًا ببَعْض دُون بَعْض، بَل كُلهمْ فِي العَدَالة وَالصِّدْق وَالتَّبْليغ سَوَاءٌ. فَالطَّعْنُ فِي وَاحد منْهُمْ أَيِّ وَاحد كَانَ طَعْنًا فِي الدِّين وَالعيَاذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ منْهُ.

فَإِنْ قَال الطَّاعنُونَ فِي الأَصْحَاب: نَحْنُ أَيْضًا نُتَابعُهُمْ وَلكنْ لاَ يَلزَمُ فِي تَحَقُّق المُتَابَعَة مُتَابَعَةُ الجَميع بَل ذَلكَ غَيْرُ مُمْكن لتَنَاقُض آرَائهمْ وَاخْتلاَف مَذَاهبهمْ. أُجيبُ إِنَّ مُتَابَعَةَ البَعْض إِنَّمَا تَنْفَعُ إِذَا لَمْ يُوجَدْ إِنْكَارُ البَاقينَ، وَمَتَى تَحَقَّقَ إِنْكَارُ البَعْض لاَ يَتَحَقَّقُ مُتَابَعَةُ البَعْض الآخَر. فَإِنَّ عَليًّا ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ كَانَ يُوَقِّرُ الخُلفَاءَ الثَّلاَثَةَ وَيُعَظِّمُهُمْ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ وَبَايَعَهُمْ عَالمًا باسْتحْقَاقهمُ الاقْتدَاءَ بهمْ. فَدَعْوَى مُتَابَعته مَعَ وُجُود إِنْكَارهمُ افْترَاءٌ مَحْضٌ وَادِّعَاءٌ صِرْفٌ، بَل إِنْكَارُهمْ إِنْكَارٌ فِي الحَقِيقَة لسَيِّدنَا عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَرَدٌّ صَريحٌ لأَقْوَاله وَأَفْعَاله وَتَجْويزُ احْتمَال التُّقَاة فِي حَقِّ أَسَد اللهِ منْ غَايَة سَخَافَة العَقْل، فَإِنَّ العَقْل الصَّحيحَ لاَ يَجُوزُ إِضْمَارُ بُغْض الخُلفَاء الثَّلاَثَة لأَسَد اللهِ قريبًا منْ مُدَّة ثَلاَثينَ سَنَةً، وَإِظْهَارُ خلاَفه وَصُحْبَته مَعَهُمْ عَلى النِّفَاق أَصْلاً. فَإِنَّ مثْل هَذَا النِّفَاق لاَ يُتَصَوَّرُ منْ أَدْنَى أَهْل الإِسْلاَم. فَينْبَغي التَّأَمُّل وَالتَّفَكُّرُ فِي شَنَاعَة هَذَا الفعْل فَإِنَّهُ يَسْتَلزمُ نسْبَةَ ضَعْف كَبير وَوَهَن كَثير وَخَديعَة شَنيعَة إِلى أَسَد اللهِ عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ فَلئنْ جَوَّزْنَا التُّقَاةَ فِي حَقِّ أَسَد اللهِ عَلَى سَبيل فَرْض المُحَال فَمَاذَا يَقُولونَ فِي تَعْظيم رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ للخُلفَاء الثَّلاَثَة، وَتَوْقيره إِيَّاهُمْ منَ الابْتدَاء إِلى الانْتهَاء، فَإِنَّهُ لاَ مَسَاغَ فيه للتُّقَاة، لأَنَّ تَبْليغَ مَا هُوَ الحَقُّ وَاجبٌ عَلى الرَّسُول

وَتَجْوِيزُ التُّقَاة هُنَاكَ يَنْجَرُّ إلى الزَّنْدَقَة. قَال اللهُ تَعَالى " يَا أَيُّهَا الرَّسُول بَلغْ مَا أُنْزل إلَيْك مِنْ رَبِّكَ فَإنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلغْتَ رِسَالتَهُ " قَال الكُفَّارُ: إنَّ مُحَمَّدًا يُظْهِرُ مِنَ الوَحْيِ مَا يُوَافقُهُ وَيُخْفِي مِنْهُ مَا يُخَالفُهُ وَمِنَ المُقَرَّر أَنَّ تَقْرِيرَ النَّبِيِّ عَلى الخَطَأ غَيْرُ جَائز وَإلاَّ يَتَطَرَّقُ الخَلل إلى شَرِيعَته، فَإذَا لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ خِلاَفُ تَعْظِيمِ الخُلفَاءِ الثَّلاَثَة، وَلَمْ يَظْهَرْ مَا يُنَافِي تَوْقِيرَهُمْ، عُلمَ أَنَّ تَعْظِيمَهُ وَتَوْقِيرَهُ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ إيَّاهُمْ مَصُونٌ عَنِ الخَطَأ وَمَحْفُوظٌ عَنِ الزَّوَال.

وَلنَرْجِعْ إلى أَصْل الكَلاَم وَنُبَيِّنُ جَوَابَ اعْتِرَاضِهِمْ يَعْنِي شُبْهَتَهُمْ. أَوْضَحَ مِمَّا سَبَقَ وَأَنْقَحَ فَنَقُول: إنَّ مُتَابَعَةَ جَمِيعِ الأَصْحَاب وَاجِبَةٌ فِي أُصُول الدِّين فَإنَّهُ لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهمْ فِي الأُصُول وَإنَّمَا اخْتِلاَفُهُمْ فِي الفُرُوعِ فَقَطْ، فَالذي يَطْعَنُ فِي بَعْضِهِمْ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ مُتَابَعَة جَمِيعِهِمْ وَكَلِمَةُ الأَصْحَاب وَإنْ كَانَتْ فِي نَفْسِهَا مُتَّفِقَةً وَلكِنَّ شُؤْمَ الإنْكَار لأَكَابِر الدِّين يُخْرِجُهَا مِنَ الاتِّفَاق إلى الاخْتِلاَف، بَل يَجُرُّ إنْكَارُ القَائل إلى إنْكَار المَقُول، وَأَيْضًا إنَّ مُبَلغِي الشَّرِيعَة جَمِيعُ الأَصْحَاب كَمَا مَرَّ، لأَنَّ الأَصْحَابَ كُلهمْ عُدُول وَبَلغَ مِنْ كُل وَاحد شَيْءٌ مِنَ الشَّرِيعَة إلَيْنَا، وَكَذَلكَ جَمَعُوا القُرْآنَ أَخْذًا مَنْ كُل وَاحد مِنْهُمْ آيَةً فَمَا فَوْقَهَا. فَإنْكَارُ البَعْض إنْكَارٌ لمُبلغِي القُرْآن، فَلاَ يَتَحَقَّقُ الإتْيَانُ بِجَمِيعِ الشَّرِيعَة فِي حَقِّ المُنْكِر، فَكَيْفَ النَّجَاةُ وَالفَلاَحُ. قَال اللهُ تَعَالى " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكتَاب وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ " الآيَة. مَعَ أَنَّا نَقُول: إنَّ جَامِعَ القُرْآن عُثْمَانُ بَل أَبُو بَكْر الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ الفَارُوقُ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ وَمَا جَمَعَهُ عَلِيٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَمَا حَوَاهُ فَهُوَ سوَى هَذَا القُرْآن. فَيَنْبَغِي التَّأَمُّل وَالتَّفَكُّرُ، فَإنَّ إنْكَارَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِر يَنْجَرُّ إلى إنْكَار القُرْآن فِي الحَقِيقَة عياذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ.

سَأل شَخْصٌ مُجْتَهِدٌ أَهْل التَّشَيُّع - يَعْنِي فِي زَعْمِهِمْ - أَنَّ القُرْآنَ جَمَعَهُ عُثْمَانُ. فَمَا اعْتِقَادُك فِي حَقِّ هَذَا القُرْآن ؟ فَقَال:لاَ أَرَى المَصْلحَةَ فِي إنْكَاره فَإنَّ بِإنْكَاره يَنْهَدِمُ الدِّينُ بِالتَّمَام وَأَيْضًا إنَّ العَاقل لاَ يُجَوِّزُ اجْتِمَاعَ أَصْحَاب رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ عَلى أَمْر بَاطل قَبْل مُرُور يَوْم مِنْ رِحْلته ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ وَمِنَ المُقَرَّر أَنَّ أَصْحَابَ رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ كَانُوا يَوْمَ رِحْلته مِقْدَارَ ثَلاَث وَثَلاَثِينَ أَلفًا، وَبَايَعَ كُلهمْ الصِّدِّيقَ الأَكْبَرَ بِالطَّوْعِ وَالاخْتِيَار، وَاجْتِمَاعُ جَمِيعِ أَصْحَاب رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ فِي

تلكَ الحَالة عَلى الضَّلاَلة منْ جُمْلة المُحالاَت. وَقَدْ قَال النَّبيُّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ: "لاَ يَجْتَمعُ أُمَّتي عَلى الضَّلاَلة".

وَتَأَخَّرَ عَليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ يَعْني: منَ البَيْعَة ــ في الابْتدَاء ليْسَ إلاَّ لعَدَم دَعْوَتهمْ إيَّاهُ إلى المَشُورَة كَمَا قَال بنَفْسه: مَا غَضبْنَا إلاَّ لتَأَخُّرنَا عَن المَشُورَة وَإلاَّ لنَعْلَمَ أَنَّ أَبَا بَكْر خَيْرٌ منَّا إلخْ وَعَدَمُ دَعْوَتهمْ أيَّاه يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مَبْنيًّا عَلى مَصْلحَة كَتَسْليَة أَهْل البَيْت بقُعُوده عنْدَهُنَّ في الصَّدْمَة الأُولى منَ المُصيبَة أَوْ نَحْو ذَلكَ. وَالاخْتلاَفُ الوَاقعُ بَيْنَ الأَصْحَاب ليْسَ مَنْشَأَهُ الهَوَى النَّفْسَانيُّ، فَإنَّ نُفُوسَهُمْ قَدْ تَزَكَّتْ وَتَخَلصَتْ منْ أَنْ تَكُونَ أَمَارَةً بالسُّوء، وَصَارَتْ مُطَمْئنَةً وَكَانَتْ أَهْوَاؤهُمْ تَابعَةً للشَّريعَة، بَل كَانَ مَبْنَاهُ عَلى الاجْتهَاد وَإعْلاَء الحَقِّ، فَللمُخْطئ منْهُمْ دَرَجَةٌ وَاحدَةٌ عنْدَ اللهِ وَللمُصيب عَشْرُ دَرَجَات. فَيَنْبَغي إذًا حفْظُ اللسَان منْ أَذَاهُمْ وَجَفَاهُمْ وَأَنْ يَذْكُرَ كُلاً منْهُمْ بخَيْر. قَال الإمَامُ الشَّافعيُّ رَحمَهُ اللهُ تَعَالى: تلكَ دمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ أَيْديَنَا عَنْهَا فَلنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلسنَتَنَا. وَقَال أَيْضًا: اضْطُرَّ النَّاسُ بَعْدَ رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ فَلمْ يَجدُوا تَحْتَ أَديم السَّمَاء خَيْرًا منْ أَبي بَكْر فَوَلوْهُ رقَابَتهمْ. وَهَذَا القَوْل تَصْريحٌ منْهُ بنَفْي التُّقَاة وَرضَاء عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ بَيْعَةَ الصِّدِّيق رَضيَ اللهُ عَنْهُ.

بَقيَّةُ المَقْصُود أَنَّ المَيَّانَ سَيِّد وَلد الشَّيْخ مَيَّان أَبي الخَيْر منْ أَوْلاَد الكبَار، وَقَدْ سَافَرَ إلى دَكْن في رفَاقَتكم فَيُرْجَى في حَقِّه التفَاتُكُمْ وَعنَايَتُكُمْ وَأَيْضًا أَنَّ مَوْلاَنَا مُحَمَّدًا عَارفٌ طَالبُ علم وَمنْ أَوْلاَد الكبَار وَكَانَ أَبُوهُ عَالمًا وَقَدْ جَاءَ لأَجْل الاسْتمْدَاد في أَمْر المَعَاش فَيُرْجَى التَّوَجُّهُ إلَيْه وَالسَّلاَمُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالثَّمَانُونَ
إلى لا لا بك
في اَلتَّحْرِيضِ عَلى تَرْوِيجِ الإِسْلاَمِ
وَبَيَانِ حُصُولِ الوَهَنِ وَالضَّعْفِ للإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ
وَاسْتِيلاَءِ الكُفَّارِ الأَشْرَارِ وَغَلَبَتِهِمْ

زَادَنَا اَللهُ وَإِيَّاكُمْ حَمِيَّةَ الإِسْلاَمِ وَقَدْ بَلَغَتْ غُرْبَةُ الإِسْلاَمِ مُنْذُ قَرْنٍ وَاحِدٍ مَبْلَغًا، وَغَايَةً لاَ يَرْضَى أَهْلُ الكُفْرِ بِمُجَرَّدِ إِجْرَاءِ أَحْكَامِ الكُفْرِ فِي بِلاَدِ الإِسْلاَمِ، بَلْ يُرِيدُونَ إِزَالَةَ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ وَرَفْعَهَا بِالكُلِّيَّةِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي إِعْدَامِ أَثَرِ الإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ، وَبَلَغَ الأَمْرُ حَدًّا لَوْ أَظْهَرَ مُسْلِمٌ شَيْئًا مِنْ شِعَارِ الإِسْلاَمِ يُذِيقُونَهُ القَتْلَ. وَذَبْحُ البَقَرَةِ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الإِسْلاَمِ فِي بِلاَدِ الهِنْدِ، وَلَعَلَّ الكُفَّارَ يَرْضَوْنَ بِأَدَاءِ الجِزْيَةِ وَلاَ يَرْضَوْنَ بِذَبْحِ البَقَرَةِ أَصْلاً. فَإِنْ حَصَلَ الرَّوَاجُ وَالقُوَّةُ لِلإِسْلاَمِ وَالاعْتِبَارِ لِلمُسْلِمِينَ فِي ابْتِدَاءِ السَّلْطَنَةِ فَبِهَا، وَإِلاَّ فَالأَمْرُ مُشْكِلٌ فِي حَقِّ المُسْلِمِينَ جِدًّا الغِيَاثَ الغِيَاثَ ثُمَّ الغِيَاثَ الغِيَاثَ. وَيَا سَعَادَةَ مَنْ يَسْتَسْعِدُ بِهَذِهِ السَّعَادَةِ، وَيَا إِقْبَالَ بَازٍ يَصِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}[1] ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا - وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالثَّمَانُونَ
إلى إسكندر خَانَ اللوْدَهيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ سَلاَمَةَ القَلبِ لاَ تُتَصَوَّرُ بِدُونِ نِسْيَانِ مَا سِوَى الحَقِّ جَل وَعَلاَ
وَهَذَا النِّسْيَانُ مُعَبَّرٌ عَنْهُ بِالفَنَاءِ

جَعَلكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ مَعَهُ عَلى الدَّوَامِ وَلاَ يُتْرَكُ مَعَ غَيْرِه مِنَ الأَنَامِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ - عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيماتُ -. وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ لَناوَلَكُمْ سَلاَمَةَ القَلبِ مِنْ غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذه السَّلاَمَةُ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مُرُورٌ وَخُطُورٌ عَلى القَلبِ، وَعَدَمُ مُرُورِ الغَيْرِ مَنُوطٌ بِنِسْيَانِ ذَلكَ الغَيْرِ المُعَبَّرِ عَنْهُ بِالفَنَاءِ عِنْدَ هَذه الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ. وَيَبْلغُ ذَلكَ النِّسْيَانُ مَبْلغًا لَوْ أَرَادُوا إِخْطَارَ الغَيْرِ بِالبَالِ وَإِيقَاعه فِي القَلبِ بِالتَّكَلفِ فَرْضًا لاَ يَخْطُرُ أَبَدًا وَلاَ يَقَعُ سَرْمَدًا، وَمَا لَمْ يَبْلغْ النِّسْيَانُ هَذه المَرْتَبَةَ فَسَلاَمَةُ القَلبِ مُحَال. وَهَذه النِّسْبَةُ - يَعْنِي نِسْيَانَ السِّوَى - بِهَذِهِ المَرْتَبَةِ صَارَتْ الآنَ كَعَنْقَاءِ المَغْرِبِ، بَل لاَ يُصَدَّقُ بِهَا إِنْ أَخْبَرَ عَنْهَا. شعْرٌ.

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ السَّلاَمِ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ
إلى بهَادِر خَانَ
فِي التَّحْرِيضِ عَلى الجَمْعِ بَيْنَ جَمْعِيَّتِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ
مَعَ الاسْتِقَامَةِ عَلى الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ النَّجَاةَ مِنَّ تَعَلقَات شَتَّى وَجَعَلكُمْ مُقْبلاً عَلى جَنَاب قُدْسه بالكُلِّيَّة بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَى آله مِنَ الصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمِنَ التسليمات أَفْضَلهَا. شعْرٌ.

مَنْ كَانَ فِي قَلبه مثْقَال خَرْدَلة سوَى هَوَى الحَقِّ فَاعْلمْ أَنَّهُ مَرَضٌ

وَتَحْلِيَةُ الظَّاهِرِ بالشَّرِيعَة الغَرَّاء، وَرَبْطُ البَاطِنِ عَلى الدَّوَام بِاللهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ. أَيُّ صَاحب دَوْلة يَشْرَفُ بهَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ العَظِيمَتَيْنِ وَالجَمْعُ بيْنَ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ فِي هَذَا الوَقْت، بَلِ الاسْتقَامَةُ عَلى ظَاهِرِ الشَّرِيعَة عَزِيزُ الوُجُود جدًّا، بَل أَعَزُّ مِنَ الكبْرِيت الأَحْمَر. رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَال كَرَمه كَرَامَةَ الاسْتَقَامَة عَلى مُتَابَعَة سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ظاهرًا وَبَاطِنًا.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ
إلى السَّيِّد أَحْمَدَ القَادريِّ
في بَيَان أَنَّ كُلاً منَ الشَّريعَة وَالحَقيقَة عَيْنُ الآخَر
وَأَنَّ عَلاَّمَةَ الوُصُول إلى مَرْتَبَة حَقِّ اليَقين مُطَابَقَةُ عُلومِ ذَلكَ المَقَامِ
وَمَعَارِفِهَا بِالعُلومِ الشَّرْعيَّة وَمَعَارِفِهَا
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتقَامَةَ عَلى جَادَّة الشَّريعَة وَجَعَل جَميعَ همَّتكُمْ التَّوَجُّهَ إلى جَنَاب قُدْسه وَأَخَذَكَ عَنْدَهُ التَّمَامَ وَيَسَّرَ لك وَلَنَا الإعْرَاضَ عَمَّا سوَاهُ بالكُلِّيَّة بحُرْمَة سَيِّد البَشَر المُقَدَّس عَنْ زَيْغ البَصَر عَليْه منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَعَلى آله وَأَصْحَابه أَجْمَعينَ آمينَ، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمْلى حَديثُ الأَحبَّة

وَكُلمَا قيل عَن الحَبيب وَإنْ لَمْ يَكُنْ منْ كَلاَمه، وَلَكنْ لَّما كَانَ لهَذَا الكَلاَم نَوْعُ مُنَاسَبَة بجَنَابه تَعَالى وَتَقَدَّسَ نَغْتَنمُ هَذَا المَعْنَى المُنَاسبَ وَنَجْتَرئُ في إطَالة اللسَان في ذَلكَ البَاب المَقْصُود: إنَّ كُلاً منَ الشَّريعَة وَالحَقيقَة عَيْنُ الآخَر لاَ تَمَايُزَ بَيْنَهُمَا في الحَقيقَة غَيْرَ الإجْمَال وَالتَّفْصيل وَالاسْتدْلاَل وَالكَشْف وَالغَيْبَة وَالشَّهَادَة وَالتَّعَمُّل وَزَوَاله، فَإنَّ الأَحْكَامَ وَالعُلومَ التي صَارَتْ مَعْلومَةً بمُوجب بَيَان الشَّريعَة الغَرَّاء تَنْكَشفُ تلكَ العُلومُ وَالأَحْكَامُ بعَيْنهَا تَفْصيلاً بَعْدَ التَّحَقُّق بحَقيقَة حَقِّ اليَقين، وَتَخْرُجُ منَ الغَيْبَة إلى الشَّهَادَة وَيَرْتَفعُ تَجَشُّمُ الكَسْب وَتَمَحُّل العَمَل منَ البَيْن وَعَلاَمَةُ الوُصُول إلى مَرْتَبَة حَقِّ اليَقين، مُطَابَقَةُ عُلوم ذَلكَ المَقَام وَمَعَارفه بعُلوم الشَّريعَة وَمَعَارفهَا، فَلوْ بَقيَتْ المُخَالفَةُ مقْدَارَ شَعْرَة فَهُوَ دَليل عَلى عَدَم الوُصُول إلى حَقيقَة الحَقَائق

. وَكُلمَا وَقَعَ منْ مَشَائخ الطَّريقَة ممَّا يُخَالفُ الشَّريعَةَ منْ علم أَوْ عَمَل، فَهُوَ مَبْنيٌّ عَلى سُكْر الوَقْت. وَسُكْر الوَقْت لاَ يَقَعُ إلاَّ في أَثْنَاء الطَّريق. وَحَال المُنْتَهينَ إلى نهَايَة النِّهَايَة كُلهُ صَحْوٌ، وَالوَقْتُ مَغْلوبُ فعَالهمْ وَالحَال وَالمَقَامُ تَابعَان لكَمَالهم

شعْرٌ.

صُوفِيُّ ابْنِ القُوت آمدٌ في المثال كُل صَاف فَارِغ عَنْ كُل حَال

فَتَحَقَّقَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُخَالفَةَ الشَّرِيعَة عَلاَمَةُ عَدَمِ الوُصُول إلى حَقِيقَة الأَمْر. وَوَقَعَ فِي عِبَارَة بَعْضِ المَشَايِخِ أَنَّ الشَّرِيعَةَ قِشْرُ الحَقِيقَة لبُّ الشَّرِيعَة، وَهَذَا الكَلاَمُ وَإِنْ كَانَ مُنْبِئًا عَنْ عَدَمِ اسْتِقَامَة قَائله وَلكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ به أَنَّ المُجْمَل حكْمَةٌ بالنِّسْبَة إلى المُفَصَّل كَحُكْمِ القِشْرِ بالنِّسْبَة إلى اللبِّ، وَالاسْتدْلاَل في جَنْب الكَشْف كَالقِشْرِ فِي جَنْب اللبِّ. وَأَمَّا الأَكَابِرُ المستقيمُو الأَحْوَال فَلاَ يُجَوِّزُونَ التَّكَلمَ بأَمْثَال هَذه العِبَارَة المُوهمَة للمُخَالفَة، وَلاَ يُثْبِتُونَ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا غَيْرَ الإِجْمَال وَالتَّفْصيل وَالاسْتدْلاَل وَالكَشْف. سَأَل سَائل الخواجهْ بَهَاءَ الدِّين النَّقْشَبَنْدِيَّ - قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ الأَقْدَس - أَنَّهُ مَا المَقْصُودُ منَ السَّيْر وَالسُّلوك ؟ فَقَال: كَوْنُ المَعْرِفَة الإِجْمَاليَّة تَفْصيليَّةً وَالاسْتدْلاَليَّة كَشْفيَّة رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ الثَّبَاتَ وَالاسْتقَامَةَ عَلَى الشَّرِيعَة علمًا وَعَملاً صَلوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ على صَاحبهَا. وَبَقِيَّةُ التَّصْدِيع: أَنَّ حَامل رُقَيْمَة الدُّعَاء الشَّيْخُ مُصْطَفَى الشُّرَيْحِيُّ مِنْ نَسْل القاضي شُرَيْح وَكَانَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ منَ الأَكَابِر وَأَصْحَاب وَظَائفَ وَفيرَة ومعائشَ كَثيرَة وَقَدْ تَوَجَّهَ إلى العَسْكَر بسَبَب اضْطرَاره منْ فقْدَان أَسْبَاب المَعيشَة، وَأَخَذَ مَعَهُ إِسْنَادَهُ وَمَنْشُورَهُ. وَالمَأْمُول التفَاتُكُمْ وَتَوَجُّهَكُمْ إلى حَاله عَلى نَهْجٍ يَكُونُ سَبَبًا لحُصُول الجَمْعيَّة وَيَنْجُو منَ الاضْطرَاب وَالتَّفْرقَة. وَلنَكْتَف بهَذَا القَدْرِ منْ زيَادَة التَّصْديع.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ
إلى المَرْزَا فَتْح اللهِ الحَكِيم
فِي التَّحْرِيضِ عَلى إتْيَانِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَة
خُصُوصًا عَلى أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ بِالجَمَاعَة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَفَّقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَرْضِيَاته وَاعْلَمْ: أَنَّ الإِنْسَانَ كَمَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَصْحِيحِ الاعْتِقَادَات، كَذَلِكَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ إِتْيَانِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَات. وَأَجْمَعُ العِبَادَاتِ وَأَقْرَبُ الطَّاعَاتِ هُوَ أَدَاءُ الصَّلاَة كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " الصَّلاَةُ عِمَادُ الدِّينِ فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ " وَمَنْ وُفِّقَ لِمُوَاظَبَةِ أَدَاءِ الصَّلاَة فَقَدْ امْتَنَعَ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَقَوْله تَعَالى:" إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ " مُؤَيِّدٌ لِهَذَا الكَلاَم، وَالصَّلاَةُ الَّتِي لَيْسَتْ بِهَذِهِ المَثَابَة - يَعْنِي لَمْ تَمْنَعْ صَاحِبَهَا عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ - فَهِيَ صُورَةٌ وَالصَّلاَةُ لاَ حَقِيقَةَ لَهَا وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تُتْرَكَ الصُّورَةَ إِلَى أَنْ تَحْصُلَ الحَقِيقَةُ فَإِنَّ مَا لاَ يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّهُ، وَلاَ يُسْتَبْعَدُ اعْتِبَارُ أَكْرَمِ الأَكْرَمِينَ الصُّورَةَ وَأَنْ يَقْبَلَهَا مَكَانَ الحَقِيقَة. فَعَلَيْكُمُ المُوَاظَبَةُ عَلى أَدَاءِ الصَّلاَة مَعَ الجَمَاعَة وَمَعَ الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ فَإِنَّهَا سَبَبُ النَّجَاةِ وَالفَلاَحِ قَالَ اللهُ تَعَالى " قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ.

وَالحَاصِل أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ مَعَ وُجُودِ الخَطَرِ - يَعْنِي الرَّدَّ - أَلاَ تَرَى أَنَّ العَسَاكِرَ يَحْصُلُ لَهُمُ اعْتِبَارٌ كَثِيرٌ فِي مُقَابَلَةِ حَرَكَتِهِمُ اليَسِيرَةِ وَمُنَاضَلَتِهِمُ القَلِيلَةِ وَقْتَ غَلَبَةِ العَدُوِّ، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ صَلاَحُ الشُّبَّانِ لأَنَّهُمُ اخْتَارُوا لِصَلاَحٍ وَكَلَّفُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ مَعَ وُجُودِ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ النَّفْسَانِيَّةِ فِيهِمْ، وَقَدْ نَالَ أَصْحَابُ الكَهْفِ جَمِيعَ تِلْكَ الحِشْمَةِ وَالعَظَمَةِ وَالرُّتْبَةِ عِنْدَ اللهِ تَعَالى بِسَبَبِ هِجْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُخَالِفِي الدِّينِ. وَوَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " عِبَادَةٌ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ " فَكَانَ المُنَافِي عَيْنَ البَاعِثِ فِي الحَقِيقَة. وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ. وَصُحْبَةُ الفُقَرَاءِ غَيْرُ مَرْغُوبَةٍ فِيهَا لَدَى وَلَدِي بَهَاءِ الدِّينِ، بَلْ مَيْلُهُ وَانْجِذَابُهُ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالغِنَا وَأَرْبَابِ التَّنَعُّمِ وَالاسْتِغْنَاءِ، وَلاَ يُدْرَى أَنَّ صُحْبَتَهُمْ سُمٌّ قَاتِل وَلَقْمَتُهُمُ السَّمِينَةُ

- يَعْني أَطْعمَتَهمْ اَللذيذَةَ - زَائدَةٌ في ظُلمَة البَاطن وَقَسَاوَة القَلب. الحَذَرَ الحَذَرَ ثُمَّ الحَذَرَ الحَذَرَ منْهُمْ. وَوَرَدَ في الحَديث اَلصَّحيح عَلى مَصْدَره اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ " مَنْ تَوَاضَعَ للغَنيِّ لغنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دينه " فَوَيْل لَمَنْ تَوَاضُعُهُمْ لغنَاهُمْ وَاَللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

المَكْتُوبُ اَلسَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ
إلى شَخْصٍ مِنْ حُكَّامِ بَعْضِ القَصَبَةِ
فِي بَيَانِ سَلَامَةِ القَلبِ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى

رَزَقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتِقَامَةَ عَلى حَدِّ اَلاعْتِدَال وَمَرْكَزَ العَدَالة بجَاه سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا -، وَمَا هُوَ اَللاَّزِمُ لنَا وَلَكُمْ سَلَامَةُ القَلب

مِنَ اَلتَّعَلق بمَا سوَى الحَقِّ تَعَالى. وَهَذه اَلسَّلَامَةُ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ عَلى تَقْدير عَدَم بَقَاء خُطُور غَيْره تَعَالى فِي القَلب بحَيْثُ لَوْ امْتَدَّتْ الحَيَاةُ إلى أَلف سَنَة فَرْضًا لاَ يَقَعُ الغَيْرُ فِي القَلب بوَاسطَة نسْيَان مَا سوَاهُ تَعَالى الحَاصل للقَلب، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والباقي منَ الهَوَس

وَقَدْ قُلتُمْ وَقْتَ المُلاَقَاة عَلى وَجْه الكَرَم إِنَّهُ إِذَا وَقَعَ أَمْرٌ مُهِمٌّ لاَزِمٌ اَلرُّجُوعُ فيه يَنْبَغي أَنْ تَكْتُبُوهُ إِلَيْنَا فَبنَاءً عَلى ذَلكَ اُجْتُرِئَ عَلى اَلتَّصْديع: إِنَّ اَلشَّيْخَ عَبْدَ اَللهِ اَلصُّوفيَّ مَنَّ اَلصُّلحَاء وَقَدْ رَكبَهُ اَلدِّينُ بسَبَب أَدَاء بَعْض حَوَائجه فَالمَرْجُوُّ حُصُول المَدَد لَهُ مِنْكُمْ فِي تَخْليص ذِمَّته وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ
إلى يهلوان مَحْمُود
فِي بَيَانِ سَعَادَةِ مَنْ قَبِلهُ أَوْلِيَاءُ اللهِ تَعَالى

سَلمَكُمْ اللهُ وَثَبَّتَكُمْ عَلى جَادَّة الشَّريعَة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ. أَوَّل بِشَارَات جَمَاعَتكُمْ قُدُومُ الشَّيْخ مَيَّان مُزَّمِّل وَمَاذَا أُبَيِّنُ مِنْ بَرَكَات صُحْبَته، وَأَيُّ سَعَادَة أَفْضَل مِنْ قَبُول أَوْلِيَاء اللهِ عَزَّ وَجَل شخصًا، فَكَيْفَ لوْ امْتَازَ بمَحَبَّتهمْ وَقُرْبهمْ هُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَليسُهُمْ وَبالجُمْلة يَنْبَغي اغْتنَامُ صُحْبَتهمْ، حَتَّى تَكُونَ مُؤَثِّرَةً. وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ الشَّيْبِ فِي الإِيمَانِ وَالصَّلاَحِ
وَلُزُومِ غَلَبَةِ الخَوْفِ فِي عَهْدِ الشَّبَابِ
وَالرَّجَاءِ فِي الشَّيْخُوخَةِ

جَعَلَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ مَعَهُ عَلى الدَّوَامِ. أَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمَ مِنَ الشَّيْبِ فِي الإِيمَانِ وَالصَّلاَحِ وَوَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - " مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ غُفِرَ لَهُ " يَنْبَغِي بَعْدَ الشَّيْبِ أَنْ يُرَجِّحَ جَانِبَ الرَّجَاءِ وَأَنْ يُغَلِّبَ ظَنَّ المَغْفِرَةِ، فَإِنَّ الخَوْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَزْيَدَ فِي عَهْدِ الشَّبَابِ، وَأَمَّا فِي سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ فَلاَ يَنْبَغِي إِلاَّ تَرْجِيحُ الرَّجَاءِ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ
إلى المَرْزَا عَلى جَان
فِي التَّعْزِيَةِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة عَلى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ بُدَّ للإنْسَان منَ المَوْت تَصْدِيقًا لقَوْله تَعَالى:" كُل نَفْس ذَائقَةُ المَوْت " فَطُوبَى لمَنْ طَال عُمْرُهُ وَكَثُرَ عَمَلهُ. وَالمَوْتُ هُوَ الذي يَتَسَلى به المُشْتَاقُونَ، وَجُعل وَسيلةً لوُصُول الحَبيب إلى الحَبيب " مَنْ كَانَ يَرْجُو لقَاءَ اللهِ فَإنَّ أَجَل اللهِ لاَت " نَعَمْ إنَّ أَحْوَال العَاجزينَ المَحْرُومينَ منْ دَوْلة الحُضُور، وَالوُصُول إلى مَطْلَب الوَاصلينَ المُجَرَّدينَ منْ رَقِّيَّة السِّوَى خَرَابٌ وَأَبْتَرُ. وَقَدْ كَانَتْ المَرْحُومَةُ وَلِيَّةُ نعْمَتكُمْ مُغْتَنَمَةً لكُمْ في هَذه الآوَان جدًّا، وَاللاَّزمُ لكُمْ الآنَ مُكَافَأَةُ الإحْسَان بالإحْسَان، وَالإمْدَادُ بالدُّعَاء وَالصَّدَقَة سَاعَةً فَسَاعَةً، فَإنَّ المَيِّتَ كَالغَريق يَنْتَظرُ دَعْوَةً مُلحَقَةً منْ أَب أَوْ أُمٍّ أَوْ صَديق.

وَأَيْضًا يَنْبَغي لكُمْ أَنْ تَعْتَبرُوا منْ مَوْتهَا وَتَتَذَكَّرُوا مَوْتَكُمْ وَأَنْ تُقْبلوا عَلى مَرْضيَّات الحَقِّ سُبْحَانَهُ بالكُليَّة، وَأَنْ لاَ تَعُدُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَويَّةَ غَيْرَ مَتَاع الغُرُور، فَإنْ كَانَ للتَّمَتُّعات الدُّنْيَويَّة مقْدَارُ شَعْرَة منَ الاعْتبَار لَمَا مُنحَ بهَا الكُفَّارُ وَلَمَا أُعْطيهَا الأَشْرَارُ. رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ الإعْرَاضَ عَمَّا سوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَالإقْبَال عَلى جَنَاب قُدْسه بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَالسَّلاَمُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ اَلتِّسْعُونَ

إلى الخواجهْ قَاسِم

في اَلتَّحْرِيضِ عَلى اَلتَّوَجُّه إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ بالكُلِّيَّة

وَبَيَان أَنَّ حُصُول هَذه اَلدَّوْلة مَوْقُوفٌ في هَذَا الوَقْت عَلى الإِخْلاَصِ لهَذِهِ اَلطَّائفَة العَليَّة النَّقْشَبَنْديَّة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ وَالتَّوَجُّه إِلَيْهِمْ

جَعَل اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلدُّنْيَا اَلدَّنِيَّةَ حَقِيرَةَ المقْدَار عَدِيمَةَ اَلاعْتِبَار في نَظَر همَّتكُمْ، وَجَعَل جَمَال الآخرَة مُحَلى وَمُزَيَّنًا في مرْآة بَصيرَتكُمْ بحُرْمَة سَيِّد البَشَر المُطَهَّر عَنْ زَيْغ البَصَر - عَلَيْه وَعَلى آله منَ اَلصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا -. قَدْ وَصَل مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّريفُ المُرْسَل عَلى وَجْه اَلالتفَات مَعَ الهدَايَة المُحْتَرَمَة جَزَاكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ عَلى كَرَمكُمْ خَيْرَ الجَزَاء. وَالنَّصيحَةُ اَلتي يَنْصَحُ بهَا المُحبُّونَ وَالمُخْلصُونَ هُوَ اَلتَّرْغيبُ في السَّعْي وَالاجْتهَاد في تَحْصيل الإِقْبَال بالكُلِّيَّة عَلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى، وَالإِعْرَاضُ عَمَّا سوَاهُ عَزَّ شَأْنُهُ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقي منَ العَبَث

وَحُصُول هَذه اَلدَّوْلة العُظْمَى مَوْقُوفٌ في هَذَا الوَقْت عَلى الإِخْلاَص للطَّائفَة العَليَّة النَّقْشَبَنْديَّة وَالتَّوَجُّه إِلَيْهِمْ. فَإِنَّ اَلذي يَحْصُل في صُحْبَتهمُ الوَاحدَة لاَ يَتَيَسَّرُ بالرِّيَاضَات اَلشَّديدَة وَالمُجَاهَدَات اَلشَّاقَّة في مُدَّة مَديدَة، وَذَلكَ لأَنَّ في طَريق هَؤُلاَء الأَكَابر انْدرَاجَ اَلنِّهَايَة في البدَايَة بحَيْثُ يُعْطَى في أَوَّل صُحْبَتهمْ مَا يَقَعُ في يَد المُنْتَهينَ في نهَايَتهمْ. وَطَريقُ هَؤُلاَء الأَكَابر هُوَ طَريقُ الأَصْحَاب الكرَام فَإِنَّهُ كَانَ يَحْصُل لَهُمْ في أَوَّل صُحْبَة خَيْر البَشَر - عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - مَا يَنْدُرُ حُصُولهُ لأَوْليَاء الأُمَّة في اَلنِّهَايَة، وَهَذَا طَريقُ انْدرَاج اَلنِّهَايَة في البدَايَة فَعَلَيْكُمْ بمَحَبَّة هَؤُلاَء الأَكَابر فَإِنَّهَا ملاَكُ الأَمْر. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائر مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالتِّسْعُونَ
إلى الشَّيْخِ الكَبير
فِي بَيَانِ أَنَّ تَصْحِيحَ العَقَائِدِ وَإِتْيَانَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كِلَيْهِمَا جَنَاحَانِ لِلطَّيَرَانِ إِلَى عَالَمِ القُدْسِ
وَأَنَّ المَقْصُودَ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْوَالِ الحَقِيقَةِ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةُ القَلْبِ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الاسْتِقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَاعْلَمْ: أَنَّ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ هُوَ تَصْحِيحُ الاعْتِقَادِ أَوَّلاً عَلَى وَفْقِ آرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ: ثُمَّ العَمَلُ بِمُقْتَضَى الأَحْكَامِ الفِقْهِيَّةِ ثَانِيًا فَإِذَا حَصَلَ هَذَانِ الجَنَاحَانِ الاعْتِقَادِيُّ وَالعَمَلِيُّ يَنْبَغِي أَنْ يُقْصَدَ الطَّيَرَانُ إِلَى عَالَمِ القُدْسِ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والباقي منَ العَبَث

وَالمَقْصُودُ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْوَالِ الطَّرِيقَةِ وَالحَقِيقَةِ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةُ القَلْبِ وَمَا لَمْ تَتْرُكِ النَّفْسُ لَا تَحْصُلُ السَّلَامَةُ لِلقَلْبِ، وَلَا يَحْصُلُ الإِيمَانُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي بِهِ نِيطَتْ النَّجَاةُ. وَسَلَامَةُ القَلْبِ إِنَّمَا تُتَصَوَّرُ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ مَا سِوَاهُ تَعَالَى فِي القَلْبِ أَصْلاً بِحَيْثُ لَوْ مَضَى أَلْفُ سَنَةٍ مَثَلاً لَا يَقَعُ الغَيْرُ فِي القَلْبِ وَلَا يَمُرُّ عَلَيْهِ قَطْعًا لِأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلقَلْبِ حِينَئِذٍ نِسْيَانُ السِّوَى بِالكُلِّيَّةِ، بِحَيْثُ لَوْ ذَكَّرُوهُ بِالتَّكْلِيفِ لَمَا يَتَذَكَّرُ. وَهَذِهِ الحَالَةُ هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِالفَنَاءِ وَأَوَّلُ قَدَمٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَالسَّلَامُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالتِّسْعُونَ
إلى المَذْكُور أَيْضًا
فِي بَيَان أَنَّ اطْمِئْنَانَ القَلب إِنَّمَا هُوَ بِالذِّكْرِ
لاَ بِالاسْتِدْلاَل وَالنَّظَرِ

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ: {أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ}[1].

وَطَرِيقُ اطْمِئْنَانِ القَلبِ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالى دُونَ النَّظَرِ وَالاسْتِدْلاَل. شِعْرٌ.

أَقْدَامُ أَرْبَاب الحجَى كَالخَزَف وَمَا الذي تَمْكِينُه يَا أَسَفَى

فَإِنَّ فِي الذِّكْرِ اكْتِسَابَ المُنَاسَبَة بِجَنَاب قُدْسه تَعَالى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُنَاسَبَةٌ أَصْلاً - يَعْنِي فِي الحَقِيقَة - مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب وَلكِنْ يَحْصُل بَيْنَ الذَّاكِرِ وَالمَذْكُور نَوْعٌ مِنَ الارْتِبَاط وَالعَلاَقَةُ المُوجِبَةُ للمَحَبَّة، فَإِذَا اسْتَوْلَتْ المَحَبَّةُ عَلى الذَّاكِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ سِوَى الاطْمِئْنَان أَصْلاً، وَإِذَا بَلغَ الأَمْرُ اطْمِئْنَانَ القَلبِ كَانَتْ الدَّوْلَةُ الأَبَدِيَّةُ نَقْدَ الوَقْت. شِعْرٌ.

عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ الحَقِّ دَوْمًا فَإِنَّهُ جَلاَءُ القُلوبِ وَالغِذَاءِ للأَرْوَاحِ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

---

(١) ـــ الآية: ٢٨ من سورة الرعد.

المَكْتُوبُ اَلثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ
إلى اسكندر خَانَ اللودى
فِي اَلتَّحْرِيضِ عَلى صَرْفِ الأَوْقَاتِ إِلى ذِكْرِ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى

يَنْبَغِـــي: صَرْفُ الأَوْقَات إلى ذكْرِ اَللهِ تَعَالى بَعْدَ أَدَاءِ اَلصَّلوَات الخَمْسِ مَعَ الجَمَاعَة وَأَدَاءِ اَلسُّنَنِ اَلرَّوَاتب، وَأَنْ لاَ يَشْتَغِل بِغَيْرِه سَوَاءً كَانَ وَقْتَ الأَكْل أَوْ اَلنَّوْمِ أَوْ المَشْيِ. وَقَدْ بَيَّنَ لكُمْ طَرِيقَ اَلذِّكْر، فَيَنْبَغِي اَلاشْتِغَال به بِهَذَا اَلطَّرِيق المَعْهُود.

فَإِنْ طَرَأَ الفُتُورُ عَلى الجَمْعِيَّة يَنْبَغِي البَحْثُ عَنْ سَبَب ذَلكَ الفُتُور وَتَعْيِنُهُ وَتَشْخِيصُه أَوَّلاً، ثُمَّ اَلتَّشَبُّثُ بِأَسْبَاب تَلاَفِي اَلتَّقْصِير ثانيًا. وَيَنْبَغِي اَلتَّوَجُّهُ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ بالالتجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ اَلتَّامِّ، وَأَنْ يَسْأَلَهُ سُبْحَانَهُ دَفْعَ ظُلمَة الفُتُور وَالتَّقْصِير وَأَنْ يَتَوَسَّل بِالشَّيْخِ اَلذِي أَخَذَ عَنْهُ اَلذِّكْرَ. وَاَللهُ سُبْحَانَهُ المُيَسِّرُ كُلَ عَسِيرٍ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ اَلرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ
إلى خُضَر خَانَ اللودى
فِي بَيَانِ أَنَّهُ لاَبُدَّ للإِنْسَان منْ تَصْحِيحِ العَقَائِد
وَإِتْيَان الأَعْمَالَ اَلصَّالِحَة
لِيَطِيرَ بِهَذَيْنِ اَلجَنَاحَيْنِ إِلى العَالَمِ الحَقِيقَة

رَزَقَكُمْ اَللهُ سُبْحَانَهُ اَلاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة اَلشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ. وَالَذي لاَ بُدَّ منْهُ للإِنْسَان هُوَ تَصْحِيحُ العَقَائد أَوَّلاً عَلى مُقْتَضَى آرَاء أَهْل اَلسُّنَّة وَالجَمَاعَة اَلصَّائِبَة اَلذينَ هُمُ الفرْقَةُ اَلنَّاجِيَةُ، وَإِتْيَانُ الأَعْمَال اَلصَّالِحَة ثَانِيًا بِمُوجِب الأَحْكَام الفِقْهِيَّة. فَإِنْ سَاعَدَ اَلتَّوْفِيقُ الإِلهِيُّ بَعْدَ تَعَلمِ أَحْكَام الفَرَائِض وَالسُّنَن وَالوَاجِبَات وَالمُسْتَحَبَّات وَالحَلاَل وَالحَرَام وَالمُشْتَبِهَات وَحُصُول هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ الاعْتِقَادِيِّ والعمَلِيِّ، يُمْكِنُ اَلطَّيَرَانُ نَحْوَ عَالمِ الحَقِيقَة، وَبِدُونِ حُصُول هَذَيْنِ اَلسَّاعِدَيْنِ يَسْتَحِيل اَلطَّيَرَانُ نَحْوَهَا شعْرٌ.

وَمنَ المُحَال اَلسَّيْرُ فِي طُرُق اَلصَّفَا يَا سَعْدَ مَنْ غَيْر اتِّبَاعِ المُصْطَفَى

ثَبَّتَنَا اَللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَتِه عَلَيْه وَعَلى آله اَلصَّلاَةُ اَلسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ
إلى السَّيِّد بجواره
في بَيَان أَنَّ الإِنْسَان نسخة جامعة
وَقَلْبُهُ أَيْضًا مَخْلوقٌ عَلى وَصْف الجَامعيَّة
وَتَوْجِيهَاتِ أَقْوَال بَعْضِ المَشَايِخِ الوَاقِعَة حَالَةَ السُّكْرِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اعْلَـــمْ: أَنَّ الإِنْسَانَ نُسْخَةٌ جَامِعَةٌ، وَكُل مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ الكَائِنَات مُتَفَرِّقًا مَوْجُودٌ فِي الإِنْسَان وَحْدَهُ، وَلكِنْ مِنْ عَالَمِ الإِمْكَان بِطَرِيقِ الحَقِيقَة، وَمِنْ مَرْتَبَةِ الوُجُوب بِطَرِيقِ الصُّورَة " أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلى صُورَتِه "(١) وهذه الجامعية ثابتة لقَلب الإِنْسَان؛ فَإِنَّ جَمِيعَ مَا هُوَ فِي كُلِّيَّة الإِنْسَان فَهُوَ مَوْجُودٌ فِي القَلب وَحْدَهُ، وَلِهَذَا يُقَال لهُ الحَقِيقَةُ الجَامِعَةُ. وَمِنْ حَيْثِيَّة هَذه الجَامِعيَّة أَخْبَرَ بَعْضُ المَشَايِخِ عَنْ وَسعَة القَلب بِقَوْلِه: لوْ أُلْقِيَ العَرْشُ وَمَا فِيه فِي زَاوِيَة قَلب العَارِف لَمَا أَحَسَّ بِه أَصْلاً فَإِنَّ القَلبَ جَامِعٌ للعَنَاصِر وَالأَفْلاَك وَالعَرْش والكُرسِيِّ. وَالعَقْل وَالنَّفْس وَشَامِل للمَكَانِيِّ والإِمكَانِيِّ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ للعَرْش مقْدَارٌ فِي جَنْب القَلب بِوَاسطَة شُمُوله للإِمْكَانِيَّة لأَنَّ العَرْشَ وَمَا فِيه مَعَ وُجُود الوَسعَة فِيه دَاخِل فِي دَائِرَة الإِمْكَان، والمَكَانِيُّ وَإِنْ كَانَ وَسِيعًا فِي حَدِّ ذَاته لكِنَّهُ ضَيِّقٌ فِي جَنْب الإِمْكَانِيِّ لاَ مقْدَارَ لهُ بالنِّسْبَة إِلَيْه. وَلكِنْ أَرْبَابَ الصَّحْو مَنَّ المَشَايِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ يَعْلمُونَ أَنَّ هَذَا الحُكْمَ مَبْنِيٌّ عَلى السُّكْر وَمَحْمُول عَلى عَدَم التَّمْيِيز بَيْنَ حَقِيقَة الشَيْء وَبَيْنَ أُنْمُوذَجه، فَإِنَّ العَرْشَ المَجِيدَ الذي هُوَ مَحَل الظُّهُور التَّامِّ أَجَل وَأَرْفَعُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لهُ حُصُول فِي القَلب، وَالذي يُرَى فِي القَلب مِنَ العَرْش فَهُوَ أُنْمُوذَجُ العَرْش لاَ حَقِيقَتُهُ، وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ لاَ مقْدَارَ لهَذَا الأُنْمُوذَج فِي جَنْب القَلب، فَإِنَّهُ جَامِعٌ لأَنمُوذَجات غَيْر مُتَنَاهِيَة. وَلاَ يُقَال للمرْآة التي تَرَى فِيهَا السَّمَوَات مَعَ هَذه الوَسعَة وَالكِبَر بِأَشْيَاءَ أُخَرَ إِنَّهَا أَكْبَرُ مِنَ السَّمَوَات. نَعَمْ إِنَّ تِمْثَال السَّمَوَات الذي هُوَ فِي المرْآة أَصْغَرُ مِنَ المرْآة لاَ حَقِيقَةَ السَّمَوَات.

وَلنُوَضِّحْ هَذَا المَبْحَثَ بِمِثَال وَهُوَ أَنَّ أَنَمُوذَجًا مِنْ عُنْصُر كُرَة الأَرْض مَكْمُونٌ فِي بَدَنِ الإِنْسَان، وَلاَ يُقَال: إِنَّ بَدَنَ الإِنْسَان أَكْبَرُ وَأَوْسَعُ مِنْ كُرَة الأَرْض

---

(١) ـــ متفق عليه من حديث أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ بلفظ: " خلق الله آدم على صورته ".

نظرًا إلى جَامعيَّة الإنْسَان، بَل لاَ مقْدَارَ لبَدَن الإنْسَان في جَنْب كُرَة الأَرْض أَصْلاً. وَمَنْشَأُ هَذَا الحُكْم إنَّمَا هُوَ تَوَهُّمُ الجُزْء الحَقير للشَيْء بَل الأُنْمُوذَجُ الحَقيرُ للشَيْء نَفْسُ ذَلكَ الشَيْء.

وَمنْ هَذَا القَبيل كَلاَمُ بَعْض المَشَايخ الذي صَدَرَ عَنْهُمْ وَقْتَ غَلَبَة السُّكْر كَقَوْلهمْ:إنَّ الجَمْعَ المُحَمَّديَّ أَجْمَعُ منَ الجَمْع الإلهيِّ - جَل سُلطَانُهُ - فَإنَّهُمْ لَمَّا زَعَمُوا أَنْ مُحمدًا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - جَامعٌ لحَقيقَة الإمْكَان وَمَرْتَبَة الوُجُوب حَكَمُوا بأَنَّ جَامعيَّةَ مُحَمَّد عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَجْمَعُ منْ جَامعيَّة اللهَ تَعَالى شَأْنُه، وَهُنَا أَيْضًا زَعَمُوا الصُّورَةَ حَقيقَةً فَحَكَمُوا بذَلكَ فَإنَّ مُحمدًا - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - جَامعٌ لصُورَة مَرْتَبَة الوُجُوب دُونَ حَقيقَتهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَتَقَدَّسَ وَاجبُ الوُجُود عَلى الحَقيقَة. فَلوْ فَرَّقُوا بيْنَ حَقيقَة الوُجُوب وَصُورَته لَمَا حَكَمُوا به حَاشَا وَكَلاَّ منْ أَمْثَال هَذه الأَحْكَام السُّكْريَّة. فَإنَّ مُحَمَّدًا ـــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَمَ ـــ عَبْدٌ مَخْلوقٌ مُتَنَاهٍ مَحْدُودٌ وَاللهُ سُبْحَانَهُ غَيْرُ مُتَنَاهٍ وَغَيْرُ مَحْدُود.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ كُل مَا هُوَ منَ الأَحْكَام السُّكْريَّة فَهُوَ منْ مَقَام الوِلاَيَة، وَكُل مَا هُوَ منْ أَحْكَام الصَّحْو فَلهُ تَعَلقٌ بمَقَام النُّبُوَّة، وَلكَمَال أَتْبَاع الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ والتسليماتُ نَصيبٌ منْ هَذَا المَقَام بوَاسطَة الصَّحْو بطَريقَة التَّبَعيَّة. والبسْطَاميَّةُ يُفَضِّلونَ السُّكْرَ عَلى الصَّحْو وَلهَذَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَزيدَ البسطَاميُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: لوائي أَرْفَعُ منْ لوَاء مُحَمَّد.

أَرَادَ بلوَائه لوَاءَ الوِلاَيَة وَبلوَاء مُحَمَّد - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لوَاءَ النُّبُوَّة. وَيُرَجِّحُ لوَاءَ الوِلاَيَة الذي هُوَ نَاظرٌ إلى السُّكْر عَلى لوَاء النُّبُوَّة الذي هُوَ نَاظرٌ إلى الصَّحْو.

وَمنْ هَذَا القَبيل قَوْل بَعْضهمْ: الوِلاَيَةُ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة وَذَلكَ لَمَا رَأَوْا منْ أَنَّ التَّوَجُّهَ في الوِلاَيَة إلى الحَقِّ، وَفي النُّبُوَّة إلى الخَلق. وَلاَ شَكَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ إلى الحَقِّ أَفْضَل منَ التَّوَجُّه إلى الخَلق. وَقَالَ بَعْضُهمْ في تَوْجيه هَذَا الكَلاَم: إنَّ وِلاَيَةَ النَّبيِّ أَفْضَل منْ نُبُوَّته وَأَمْثَال هَذه الكَلمَات بَعيدَةٌ عَنِ الصَّوَاب عنْدَ هَذَا الفَقير، فَإنَّ التَّوَجُّهَ في النُّبُوَّة ليْسَ إلى الخَلق فَقَطْ، بَل فيهَا تَوَجُّهٌ إلى الحَقِّ أَيْضًا مَعَ وُجُود هَذَا التَّوَجُّه، فَإنَّ بَوَاطنَهُمْ مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَظَوَاهرَهمْ مَعَ الخَلق. وَأَمَّا الذينَ تَوَجُّهُهُمْ

إلى الخَلقِ فَقَطْ فَهُمْ مِنَ المُعْرِضينَ المُدَبِّرِينَ، وَالأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ أَفْضَل جَمِيعِ المَوْجُودَات، وَلَهُمْ مُسَلَّمُ أَفْضَل الدَّوْلاَت، وَالوِلاَيَةُ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّة وَمُنْدَرِجَةٌ فِيهَا وَالنُّبُوَّةُ كُل شَامِل لَهَا، فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ النُّبُوَّةُ أَفْضَل مِنَ الوِلاَيَة سَوَاءٌ كَانَتْ وِلاَيَةَ نَبِيٍّ أَوْ وِلاَيَةَ غَيْرِه؛ فَكَانَ الصَّحْوُ أَفْضَل مِنَ السُّكْرِ، وَالسُّكْرُ مُنْدَرِجٌ فِي الصَّحْوِ انْدِرَاجَ الوِلاَيَةِ فِي النُّبُوَّة، وَالصَّحْوُ الخَالِي عَنِ السُّكْرِ الذي هُوَ للعَوَامِّ خَارِجٌ عَنِ المَبْحَث، وَلاَ مَعْنَى لتَرْجِيحِ ذَلكَ، وَالصَّحْوُ المُتَضَمِّنُ للسُّكْرِ أَفْضَل مِنَ السُّكْرِ البَتَّةَ. وَالعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ الَتِي مَصْدَرُهَا النُّبُوَّةُ نَاشِئَةٌ كُلهَا مِنْ كَمَال الصَّحْوِ وَمَا يُخَالِفُهَا كَائِنًا مَا كَانَ مِنَ السُّكْرِ، وَصَاحِبُ السُّكْرِ مَعْذُورٌ. وَمَا يَسْتَحِقُّ التَّقْلِيدُ وَالاسْتِمْسَاكُ بِه هُوَ عُلُومُ مَقَامِ الصَّحْوِ لاَ عُلُومُ حَالة السُّكْرِ. ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى تَقْلِيد العُلُومِ الشَّرْعِيَّة عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ يَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَال آمِينَا. وَمَا وَقَعَ فِي الحَدِيث القُدْسِيِّ حَيْثُ وَرَدَ لاَ يَسَعُنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي وَلَكِنَّ يَسَعُنِي قَلبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ فَالمُرَادُ بِه وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِه سَعَتُهُ صُورَةَ مَرْتَبَة الوُجُوب لاَ حَقِيقَتُهَا، فَإِنَّ الحُلول مُحَال هُنَاكَ كَمَا تَقَدَّمَ، فَظَهَرَ أَنَّ شُمُول القَلب للإِمْكَانِيَّة باعْتِبَار الصُّورَة لاَ الحَقِيقَة حَتَّى لاَ يَكُونَ للعَرْشِ وَمَا حَوَاهُ مِقْدَارٌ فِيهِ فَإِنَّ هَذَا الحُكْمَ مَخْصُوصٌ بِحَقِيقَة اللاَّمَكَانِيَّة.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ
إلى مُحَمَّد شَرِيف
فِي المَنْعِ وَالزَّجْرِ عَنِ التَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ
وَفِي التَّحْرِيضِ عَلى مُتَابَعَةِ الشَّرِيعَةِ
عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ
وَمَا يُنَاسِبُهُ

أَيُّهَا الوَلَدُ: هَذَا الوَقْتُ الذي هُوَ أَوَانُ الفُرْصَة وَتَيَسُّرِ أَسْبَاب الجَمْعِيَّة كُلهَا لاَ مَجَال فيه للتَّسْوِيف وَالتَّأْخير أَصْلاً، يَنْبَغي صَرْفُ أَشْرَف الأَوْقَات الذي هُوَ زَمَانُ عُنْفُوَان الشَّبَاب في أَفْضَل الأَعْمَال الذي هُوَ طَاعَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَعبَادَتُه تَعَالى وَتَقَدَّسَ. وَيَنْبَغي أَيْضًا أَنْ يَلتَزمَ المُدَاوَمَةَ عَلى الصَّلوَات الخَمْسِ مَعَ الجَمَاعَة مُجْتَنبًا عَنِ المُحَرَّمَات وَالمُشْتَبهَات الشَّرْعيَّة.

وَأَدَاءُ الزَّكَاة عَلى تَقْدير وُجُود النِّصَاب منْ ضَرُوريَّات الإِسْلاَم أَيْضًا، فَيَنْبَغي إِذًا أَدَاؤُهَا بكَمَال الرَّغْبَة بَل بقَبُول المنَّة. وَقَدْ عَيَّنَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ بكَمَال كَرَمه للعبَادَة في اليَوْم وَاللَّيْلة خَمْسَةَ أَوْقَات وَعَيَّنَ منَ الأَمْوَال النَّامية وَالأَنْعَام السَّائمَة رُبْعَ العُشْر تَحْقيقًا وتقريبًا لأَجْل الفُقَرَاء، وَوَسَّعَ مَيْدَانَ تَصَرُّف المُبَاحَات، وَالتَّكَاسُل في صَرْف سَاعَة وَاحدَة منْ أَرْبَع وَعشْرينَ سَاعَةً في طَاعَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالبُخْل بأَدَاء سَهْم وَاحد منْ أَرْبَعينَ سَهْمًا إلى الفُقَرَاء. وَوَضْعُ القَدَم في خَارج دَائرَة المُبَاح الوَسيعَة الفَضَاء البَعيدَة الأَرْجَاء وَالوُقُوعُ في المُحَرَّمَات وَالمُشْتَبهَات منْ غَايَة عَدَم الإِنْصَاف. وَفي مَوْسم الشَّبَاب الذي هُوَ أَوَانُ غَلَبَة سُلطَان النَّفْس الأَمَّارَة وَقَهْرَمَانُ الشَّيْطَان اللعين يُعْطَى عَلى عَمَل قَليل أَجْرٌ جَزيل، فَإِذَا بَلَغَتْ غَدًا أَرْذَل العُمُر وَضَعُفَتْ الحَوَاسُّ وَالقُوَى وَتَشَتَّتَتْ أَسْبَابُ الجَمْعيَّة، لاَ يَحْصُل غَيْرُ النَّدَامَة وَالتَّأَسُّف، وَرُبَّمَا لاَ تَبْقَى إلى غَد فَلاَ تَتَيَسَّرُ فُرْصَةُ النَّدَامَة وَالتَّأَسُّف التي هيَ نَوْعُ تَوْبَة. وَالعَذَابُ الأَبَديُّ وَالعقَابُ السَّرْمديُّ الذي أَخْبَرَ به النَّبيُّ الصَّادقُ عَلَيْه منَ الصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَحَذَّرَ عَنْهُ العُصَاةَ أَمَامَنَا لاَ يَتَخَلفُ أَبَدًا، وَفي هَذَا اليَوْم يُلقي الشَّيْطَانُ اللعينُ في التَّسْوِيف وَالغُرُور وَالمُدَاهَنَة بإِظْهَار كَرَم اللهِ تَعَالى وَيَأْمُرُ بالمَعَاصي اتِّكَاءً بعَفْوه تَعَالى.

يَنْبَغِي أَنْ يُتَنَبَّهَ وَيُعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا الَتي هيَ دَارُ المِحْنَة وَالبَلاَء امْتَزَجَ فيهَا الأَعْدَاءُ وَالأَحِبَّاءُ وَاشْتَبَهَ الأَمْرُ، وَشَمَلتْ رَحْمَتُهُ تَعَالى الكُلَ كَمَا يُشْعِرُ به قَوْله تَعَالى " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُل شَيْءٍ " وَأَمَّا يَوْمَ القيَامَة الذي هُوَ دَارُ الجَزَاء فَيَمْتَازُ فيه الأَعْدَاءُ وَالأَحِبَّاءُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ بقَوْله " وَامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المُجْرِمُونَ " وَتَخْرُجَ قَرْعَةُ الرَّحْمَة يَوْمئذ باسْمِ الأَحْبَاب، وَتُصَيِّرُ الأَعْدَاءَ مَحْرُومينَ مُطْلقًا وَمَلعُونينَ مُحَقَّقًا كَمَا يَشْهَدُ به قَوْلُهُ تَعَالى " فَسَأَكْتُبُهَا للذين يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالذينَ هُمْ بآيَاتنَا يُؤْمنُونَ " فَخَصَّ الكَرَمَ وَالرَّحْمَةَ في الآخرَة بالأَبْرَار وَأَهْل الإسْلاَم الأَخْيَار. نَعَمْ إنَّ لمُطْلق أَهْل الإسْلاَم نَصيبًا منَ الرَّحْمَة عَلى تَقْدير حُسْن الخَاتمَة وَنَجَاة منْ عَذَاب جَهَنَّمَ وَلوْ بَعْدَ أَزْمنَة مُتَطَاولة، وَلكنْ كَيْفَ يَبْقَى نُورُ الإيمَان مَعَ تَرَاكُم ظُلمَات المُعَاصي، وَكَيْفَ يَتْرُكُ عَدَمَ المُبَالاَت بالأَحْكَام المُنَزَّلة منَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْرُجَ منَ الدُّنْيَا بالسَّلاَمَة، وَقَدْ قَال العُلمَاءُ: الإصْرَارُ عَلى الصَّغيرَة يُفْضي إلى الكَبيرَة وَالإصْرَارُ عَلى الكَبيرَة يُفْضِ إلى الكُفْر عياذًا باللهِ سُبْحَانَهُ. شعْرٌ.

بَثَثْتُ قليلاً منْ هُمومي وَخفْتُ أَنْ تَملوا وَإلاَّ فالكَلاَمُ كَثيرٌ

وَفَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ لمُرْضيَاته بحُرْمَة مُحَمَّد رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ.

وَبَقيَّةُ المَقْصُود أَنَّ حَاملَ الكتَاب مَوْلاَنَا إسْحَاقَ منْ أَحْبَاب الفَقير وَمُخْلصيه، وَلَهُ حَقُّ الجوَار منَ القَديم فَإنْ احْتَاجَ إلى الإعَانَة وَالإمْدَاد يَنْبَغي رعَايَةُ التَّوَجُّه في حَقِّه، وَلَهُ اطِّلاَعٌ عَلى فَنِّ الكتَابَة وَالإنْشَاء وَمُمَارَسَةٌ فيه بقَدْر الوُسْع وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ اَلسَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ
إلى اَلشَّيْخِ دَرْوِيشٍ
فِي بَيَانِ أَنَّ المَقْصُودَ مِنَ العِبَادَةِ هُوَ تَحْصِيلِ اليَقِينِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

شَرَّفَ اَللهُ سُبْحَانَهُ أَمْثَالَنَا المُفْلِسِينَ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ اَلصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَسلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا. وَكَمَا أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ خَلقِ الإِنْسَانِ أَدَاءُ العِبَادَةِ المَأْمُورِ بِهَا، كَذَلِكَ المَقْصُودُ مِنْ أَدَاءِ العِبَادَةِ تَحْصِيلُ اليَقِينِ اَلذِي هُوَ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ " رَمْزًا إِلَى هَذَا المَعْنَى، فَإِنَّ كَلِمَةَ (حَتَّى) كَمَا أَنَّهَا تَكُونُ للغَايَةِ تَكُونُ للعِلَةِ أَيْضًا، أَيْ لأَجْلِ أَنْ يَأْتِيَكَ وَكَانَ الإِيمَانُ المُتَقَدِّمُ عَلَى أَدَاءِ العِبَادَةِ صُورَةَ الإِيمَانِ لاَ حَقِيقَتَهُ اَلتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِاليَقِينِ قَالَ اَللهُ عَزَّ شَأْنُهُ:" يَا أَيُّهَا اَلذِينَ آمَنُوا آمِنُوا " أَيْ اَلذِينَ آمَنُوا صُورَةَ آمِنُوا حَقِيقَةً بِأَدَاءِ وَظَائِفِ العِبَادَةِ المَأْمُورِ بِهَا. وَالمَقْصُودُ مِنَ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ اَللذَيْنِ الوِلاَيَةُ عِبَارَةٌ عَنْ حُصُولِ هَاتَيْنِ اَلدَّوْلَتَيْنِ هُوَ هَذَا اليَقِينُ فَحَسْبُ، فَإِنْ أَرَادُوا بِالفَنَاءِ فِي اَللهِ وَالبَقَاءِ بِاَللهِ مَعْنًى آخَرَ يُوهِمُ بِالحَالِيَّةِ وَالمَحَلِّيَّةِ، فَهُوَ عَيْنُ الإِلحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ. وَيُظْهِرُ فِي أَثْنَاءِ غَلَبَةِ الحَالِ وَسُكْرِ الوَقْتِ شَيْئًا يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِزَهَا أَخِيرًا وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ مِنْهَا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ اَلذِي هُوَ مِنْ مَشَائِخِ اَلطَّبَقَاتِ قَدَّسَ اَللهُ أَرْوَاحَهُمْ: عِلمُ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ يَدُورُ عَلَى إِخْلاَصِ الوَحْدَانِيَّةِ وَصِحَّةِ العُبُودِيَّةِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَمَغَالِيطُ وَزَنْدَقَةٌ وَالحَقُّ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي هَذَا القَوْلِ وَقَوْلُهُ هَذَا يُنْبِئُ عَنِ اسْتِقَامَتِهِ ؛ فَإِنَّ الفَنَاءَ فِي اَللهِ عِبَارَةٌ عَنِ الفَنَاءِ فِي مَرْضِيَّاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ.

وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ اَلسَّيْرُ إِلَى اَللهِ وَالسَّيْرُ فِي اَللهِ وَنَحْوُهَا.

وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ اَلشَّيْخَ مَيَّانَ اَللهِ بَخَشَ رَجُلٌ مُتَّصِفٌ بِالصَّلاَحِ وَالتَّقْوَى وَالفَضِيلَةِ، وَقَدْ ارْتَبَطَ بِهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ، فَإِنْ احْتَاجَ إِلَى المَعُونَةِ فِي مَادَّةٍ مِنَ المَوَادِّ فَالمَرْجُوُّ رِعَايَةُ اَلتَّوَجُّهِ اَلشَّرِيفِ فِي حَالِهِ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَ اَلهُدَى.

المَكْتُوبُ الثّامِنُ وَالتِّسْعُونَ
إلى عَبْد القَادِرِ وَلَد الشَّيْخِ زَكَرِيَّا
فِي التَّحْرِيضِ عَلَى الرِّفْقِ وَتَرْكِ العُنْف
بِإِيرَادِ الأَحَادِيثِ عَلَى مَصْدَرِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

نَسْأَل اللهَ الاسْتِقَامَةَ عَلَى مَرْكَزِ العَدَالة. وَلنُورِدَ أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةً عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التسليمات أَكْمَلهَا الوَارِدَةَ فِي بَابِ التَّذْكِيرِ وَالوَعْظِ وَالنَّصِيحَةِ يَسَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ العَمَلَ بِمُقْتَضَاهَا.

قَال رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ: إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْف وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَة لهُ قَال لعَائشَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ وَعَنْ أَبَوَيْهَا: عَلَيْك بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكَ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ فَإِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ.

وَقَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ أَيْضًا: مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الخَيْرَ.

وَقَال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَيْضًا: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا.

وَقَال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَيْضًا: مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ أُعْطِيَ حَظَّه مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

وَقَال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَان وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّة، وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاء وَالجَفَاءُ فِي النَّار. إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ الفَحْشَاءَ البَذِيءَ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُحَرَّمُ عَلَى النَّارِ وَبِمَنْ يُحَرَّمُ النَّارُ عَلَيْهِ عَلَى كُل هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيب سَهْل المُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالجَمَل الأَنِف إِنْ قِيدَ انْقَادَ وَإِنْ اسْتُنِيخَ عَلَى صَخْرَة اسْتَنَاخَ، مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَة حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ، إِنَّ رَجُلاً قَال للنَّبِيِّ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ أَوْصِنِي. قَال: لاَ تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا. قَال: لاَ تَغْضَبْ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْل الجَنَّة كُل ضَعِيف مُسْتَضْعَف لوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْل النَّارِ كُل عُتُلٍّ جَوَّاظ مُسْتَكْبِر إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ إِنَّ الغَضَبَ لَيُفْسِدُ الإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ العَسَل مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ فَهُوَ فِي

نَفْسه صَغِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ وَفِي نَفْسه كَبِيرٌ حَتَّى لَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَلبٍ وَخِنْزِيرٍ.

قَالَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: يَا رَبِّ مَنْ أَعَزُّ عِبَادِك ؟ قَالَ: مَنْ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ وَقَالَ أَيْضًا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: مَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ عَنْهُ اللهُ عَذَابَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ.

وَقَالَ أَيْضًا: مَنْ كَانَتْ لهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيه مِنْ عِرْضه أَوْ شَيْءٌ فَيَتَحَلل مِنْهُ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِه وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِه فَحُمِلَ عَلَيْه وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَيْضًا: أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يأتي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَأَخَذَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِه وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِه فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُه قَبْلَ أَنْ يَقْضِي مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ أَنَّهُ كَتَبَ إِلى عَائِشَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ: " أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيه وَلاَ تُكْثِرِي. فَكَتَبَتْ: سَلاَمٌ عَلَيْك. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ يَقُولُ: مَنِ التَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنِ التَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلى النَّاسِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْك صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَسَلَمَ وَبَارَكَ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ التَّوْفِيقَ لِلعَمَلِ بِمَا أَخْبَرَ بِه الْمُخْبِرُ الصَّادِقُ وَالسَّلاَمُ.

وَهَذِه الأَحَادِيثُ وَإِنْ كُتِبَتْ بِدُونِ تَرْجَمَةٍ وَلَكِنْ تُفْهِمُ مَعَانِيهَا بِالرُّجُوعِ إِلى الشَّيْخِ جيو. وَيَنْبَغِي السَّعْيُ وَالاِجْتِهَادُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا بَقَاءُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ جِدًّا وَعَذَابُ الآخِرَةِ شَدِيدٌ فِي الغَايَةِ وَدَائِمٌ ؛ فَعَلَيْكُمْ اسْتِعْمَالَ العَقْلِ وَالفِكْرِ وَأَنْ لاَ يَغْتَرَّ بِطَرَاوَةِ الدُّنْيَا الخَالِيَةِ عَنِ الحَلاَوَةِ، فَإِنْ كَانَتْ العِزَّةُ وَالأَفْضَلِيَّةُ بِسَبَبِ الدُّنْيَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الكُفَّارُ الذِينَ لَهُم حَظٌّ وَافِرٌ مِنَ الدُّنْيَا أَعَزَّ وَأَفْضَلَ مِنَ الكُلِ، وَالاِنْخِدَاعُ بِظَاهِرِ الدُّنْيَا مِنْ عَدَمِ العَقْلِ وَإِنَّمَا اللاَّئِقُ بِالعَاقِلِ أَنْ يَغْتَنِمَ فُرْصَةَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي تِلْكَ الفُرْصَةِ اليَسِيرَةِ فِي تَحْصِيلِ مَرْضَاتِ اللهِ تَعَالى وَالإِحْسَانِ

إلى خَلقِ اللهِ عَزَّ وَجَل، فَإِنَّ التَّعْظِيمَ لأَمْرِ اللهِ وَالشَّفَقَةَ عَلى خَلقِ اللهِ كليْهِمَا أَصْلاَن عَظِيمَان لأَجْلِ النَّجَاة مِنْ عَذَابِ الآخِرَة، وَكُل مَا أَخْبَرَ به المُخْبَرُ الصَّادقُ فَهُوَ مُطَابِقٌ لَنَفْسِ الأَمْرِ لَيْسَ بالهَزْل وَلاَ بالهَذَيَان، فَإِلى مَتَى يَمْتَدُّ نَوْمُ الغَفْلة وَالغُرُور ! أَلَيْسَ آخِرُه وَعُقْبَاهُ إلى الفَضيحَة ؛ وَالحِرْمَان قَال اللهُ سُبْحَانَهُ: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ}، وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ وَقْتَكَ لاَ يَقْتَضِي اسْتِمَاعَ أَمْثَال هَذه الكَلِمَات لكَوْنك فِي عُنْفُوَان الشَّبَاب، والتَّنَعُّمات الدُّنْيَوِيَّةُ مُيَسَّرَةٌ وَالحُكُومَةُ وَالتَّسَلطُ عَلى الخَلق حَاصِلةٌ، وَلكِنَّ الشَّفَقَةَ عَلى أَحْوَالك كَانَتْ بَاعِثَةً عَلى هَذَا القيل وَالقَال، وَلَمْ يَفُتْ إِلى الآنَ شَيْءٌ مِنَ الفُرْصَة، وَالوَقْتُ قَابِل للتَّوْبَة وَالإِنَابَة وَالشَّرْطُ البَلاَغُ، (ع):

كَفَى الحَرْفُ لوْ فِي دَاخِل البَيْتِ إِنْسَانٌ

اَلْمَكْتُوبُ اَلتَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ
إِلى الملا حَسَنٍ الكَشْمِيرِيِّ
فِي جَوَابِ اِسْتِفْسَارِهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ دَوَامِ الحُضُورِ وَاجْتِمَاعِهِ مَعَ اَلنَّوْمِ اَلذِي هُوَ مَعْدِنُ الغَفْلَةِ

قَدْ شَرَّفَ مَكْتُوبُكُمْ اَلشَّرِيفُ بِوُصُولِه، وَمَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ اَلاسْتِفْسَارِ عَنْ كَيْفِيَّةِ دَوَامِ الحُضُورِ وَاجْتِمَاعِه مَعَ حَالَةِ اَلنَّوْمِ اَلتِي هِيَ حَالَةُ الغَفْلَةِ وَتُعَطِّلُ القُوَى وَالإِدْرَاكِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلى آخِرِهَا، كَمَا أَخْبَرَ بَعْضُ أَكَابِرِ هَذِه اَلطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ بِحُصُولِ هَذِه اَلدَّوْلَةِ العَظِيمَةِ. أَيُّهَا اَلمَخْدُومُ: إِنَّ حَلَ هَذَا المُشْكِلِ مَبْنِيٌّ وَمَوْقُوفٌ عَلى تَمْهِيدِ مُقَدِّمَةٍ لاَ بُدَّ مِنْ بَيَانِهَا. فَأَقُولُ: إِنَّ طَرِيقَ التَّرَقِّي وَالعُرُوجِ كَانَ مَسْدُودًا لِلرُّوحِ الإِنْسَانِيَّةِ قَبْلَ تَعَلقِهَا بِهَذَا الجِسْمِ الهيولانى، وَكَانَتْ مُقَيَّدَةً وَمَحْبُوسَةً فِي حَبْسِ: وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلومٌ وَلكِنْ كَانَتْ قَدْ أَوْدَعَتْ فِي طَبْعِهَا جَوْهَرَةً نَفِيسَةً وَهِيَ اَلاسْتِعْدَادُ لِلعُرُوجِ والترقِّي بِشَرْطِ اَلنُّزُولِ، وَكَانَتْ مَزِيَّتُهَا عَلى المَلكِ مُقَرَّرَةً مِنْ هَذِه الجِهَةِ، فَجَمَعَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَالِ كَرَمِه ذَلكَ الجَوْهَرَ النُّورَانِيَّ بِهَذَا الجِسْمِ الظُّلمَانِي فَسُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اَلنُّورِ وَالظُّلمَةِ وَقَرَنَ الأَمْرَ بِالخَلقِ. وَلَمَّا كَانَ كُل مِنْ هَذَيْنِ اَلشَّيْئَيْنِ وَاقِعًا فِي مُقَابَلَةِ الآخَرَةِ وَنَقِيضًا لَهُ فِي الحَقِيقَةِ، أَعْطَى الحَكِيمُ المُطْلَقُ - جَل سُلطَانُهُ - لِلرُّوحِ نِسْبَةَ اَلتَّعَشُّقِ وَالتَّعَلقِ بِالنَّفْسِ تَحْقِيقًا لِهَذَا الاجْتِمَاعِ وَتَقْرِيرًا لِهَذَا الانْتِظَامِ، وَجَعْلِ هَذَا اَلتَّعَلقَ سَبَبًا لِلانْتِظَامِ. وَفِي قَوْلِه تَعَالى " لَقَدْ خَلقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ " رَمْزٌ إِلى هَذَا البَيَانِ، وَهَذَا اَلتَّنْزِيلُ لِلرُّوحِ وَتَعَلقِهَا مِنْ قَبِيلِ المَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ اَلذَّمَّ فِي الحَقِيقَةِ، فَتَهَافَتَتْ اَلرُّوحُ إِلى عَالمِ اَلنَّفْسِ بِالتَّمَامِ وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهَا بِوَاسِطَةِ تِلكَ اَلنِّسْبَةِ الحُبِّيَّةِ وَجَعَلتْ نَفْسَهَا نَابِعَةً لَهَا، بَل نَسِيَتْ نَفْسَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً وَصَارَتْ تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهَا بِالنَّفْسِ الأَمَّارَةِ. وَهَذِه لطَافَةٌ أُخْرَى لِلرُّوحِ حَيْثُ إِنَّهَا تَأْخُذُ حُكْمَ كُل شَيْءٍ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ مِنْ كَمَالِ لطَافَتِه، فَإِذَا نَسِيَتْ نَفْسَهَا فَلاَ جَرَمَ أَنَّهَا نَسِيَتْ أَيْضًا حُضُورَهُ اَلسَّابِقَ مَعَ مَرْتَبَةِ الوُجُوبِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بِالضَّرُورَةِ، وَتَوَغَّلتْ فِي الغَفْلَةِ بِالتَّمَامِ وَأَخَذَ حُكْمَ اَلظُّلمَةِ، فَبَعَثَ اَللهُ مِنْ كَمَالِ كَرَمِه وَشَفَقَتِه عَلى عِبَادِه الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِوَاسِطَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ، وَأَمَرَهُمْ بِمُخَالَفَةِ اَلنَّفْسِ

اَلتي هِيَ مَعْشُوقَةُ اَلرُّوحِ، فَمَنْ رَجَعَ القَهْقَرَى فَقَدْ فَازَ فوزًا عَظِيمًا، وَمَنْ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ وَاخْتَارَ الخُلودَ إلى الأَرْضِ فَقَدْ ضَل ضَلاَلاً بَعيدًا.

هَذَا وَلْنَرْجِعْ إلى الجَوَابِ عَنِ الإِشْكَال وَنَقُول: إنَّهُ قَدْ فُهِمَ مِنْ هَذه المُقَدِّمَة مِنَ اجْتِمَاعِ اَلرُّوحِ بالنَّفْسِ، أَنَّ فَنَاءَ اَلرُّوحِ فِي اَلنَّفْسِ وَبَقَاءَهَا بِهَا فَحَسْبُ، فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ غَفْلَةُ اَلظَّاهِرِ عَيْنَ غَفْلَة البَاطِنِ مَا دَامَ هَذَا اَلاجْتِمَاعُ وَالانْتِظَامُ مَوْجُودًا، وَيَكُونُ اَلنَّوْمُ اَلذي هُوَ غَفْلَةُ اَلظَّاهِرِ عَيْنَ غَفْلَة البَاطِنِ. فَإِذَا طَرَأَ اَلخَلل عَلى هَذَا اَلانْتِظَامِ وَأَعْرَضَ البَاطِنُ عَنْ مَحَبَّةِ اَلظَّاهِرِ وَأَقْبَل عَلى مَحَبَّة أَبْطَنِ البُطُون وَزَال الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ اَللذَان كَانَا للرُّوحِ قَبْل، وَحَصَل لَهَا الفَنَاءُ فِي البَاقِي الحقيقيِّ وَالبَقَاء به تَعَالى وَتَقَدَّسَ، فَلاَ تُؤَثِّرُ غَفْلَةُ اَلظَّاهِرِ حِينَئذ فِي حُضُورِ البَاطِنِ. وَكَيْفَ تُؤَثِّرُ ؟ فَإِنَّ البَاطِنَ قَدْ أَدْبَرَ عَنِ اَلظَّاهِرِ بالتَّمَامِ، وَجَعَلَهُ خَلفَ ظَهْرِه وَلَمْ يَبْقَ للظَّاهِرِ سَبِيل إلى البَاطِنِ أَصْلاً فَيَجُوزُ حِينَئذ أَنْ يَكُونَ اَلظَّاهِرُ غَافلاً وَالبَاطِنُ حَاضرًا وَلاَ مَحْذُورَ فيه. أَلاَ تَرَى أَنَّ دُهْنَ اَللوْزِ مَثَلاً مَادَامَ مُمْتَزِجًا باللوْزِ حُكْمُهُ حُكْمُ اَللوْزِ فَإِذَا مُيِّزَ عَنِ اَللوْزِ ظَهَرَ اَلتَّغَايُرُ وَالتَّمَايُزُ فِي الأَحْكَامِ. فَإِذَا أَرَادَ اَللهُ سُبْحَانَهُ إِرْجَاعَ مِثْل صَاحِبِ هَذه اَلدَّوْلة إلى العَالم لتَخْلِيصِ أَهْله مِنَ اَلظُّلمَات اَلنَّفْسَانِيَّة بتَوَسُّط شَرِيعَته اَلتي شَرَعَهَا، يَنْزِل إلى العَالم بطَرِيق اَلسَّيْرِ عَنِ اَللهِ بِاَللهِ فَيَكُونُ تَوَجُّهُه إلى العَالم بالتَّمَامِ مِنْ غَيْرِ تَعَلق بِهِمْ ؛ لأَنَّهُ عَلى تَعَلقه اَلسَّابق - يَعْني بجَنَاب القُدْس - إِنَّمَا أُوْرِدَ إلى هَذَا العَالم مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْهُ، فَهَذَا المُنْتَهَى لهُ شَرِكَةٌ صُورِيَّةٌ مَعَ سَائِرِ المُبْتَدئِينَ في الإِعْرَاضِ عَنْ جَنَاب قُدْسه تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَالإِقْبَال عَلى الخَلق، وَلَكِنْ لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا فِي الحَقِيقَة، فَإِنَّ بَيْنَ اَلتَّعَلق وَعَدَم اَلتَّعَلق تَفَاوُتًا فَاحِشًا.

وَأَيْضًا الإِقْبَال عَلى الخَلق فِي حَقِّ هَذَا المُنْتَهَى بلاَ اخْتِيَارٍ مِنْهُ لاَ رَغْبَةَ لهُ فيه، وَإِنَّمَا ذَلكَ لكَوْنِ رِضَاءِ اَللهِ تَعَالى فِي ذَلكَ الإِقْبَال وَفِي حَقِّ المُبْتَدئِ ذاتيًّا، وَمَعَ اَلرَّغْبَة لهُ فيه وَلَيْسَ فيه رِضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

وَفَرْقٌ آخَرُ أَنَّ المُبْتَدئَ يُمْكِنُ لهُ الإِعْرَاضُ عَنِ الخَلق وَالإِقْبَال عَلى الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَذَلكَ مُحَال فِي المُنْتَهَى ؛ فَإِنَّ دَوَامَ الإِقْبَال إلى الخَلق لاَزِمٌ لمَقَامه وَمَرْتَبَته. إلاَّ أَنْ يَتِمَّ أَمْرُ دَعْوَته وَارْتَحَل مِنْ دَارِ الفَنَاءِ إلى دَارِ البَقَاءِ، فَيَكُونُ نِدَاءُ اَللهُمَّ اَلرَّفِيقَ الأَعْلى حِينَئذ نَقْدَ وَقْته.

وَقَدْ اخْتَلفَ مَشَائِخُ اَلطَّرِيقَة قَدَّسَ اَللهُ أَسْرَارَهُمْ فِي تَعْيِينِ مَقَامِ اَلدَّعْوَة.

فَقَال جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: إِنَّهُ مَقَامُ الجَمْعِ بَيْنَ اَلتَّوَجُّه إِلى الخَلق وَالتَّوَجُّه إِلى الحَقِّ، وَالاخْتِلاَفُ فيه مَبْنِيٌّ عَلى اَلاخْتِلاَف فِي الأَحْوَال وَالمَقَامَات. وَقَدْ أَخْبَرَ كُل شَخْص عَنْ مَقَامه وَالأَمْرُ عِنْدَ اَللّٰه تَعَالى. وَمَا قَال سَيِّدُ اَلطَّائِفَة جُنَيْدٌ ــ رَضِيَ اَللّٰهُ تَعَالى عَنْهُ ــ مِنْ أَنَّ اَلنِّهَايَةَ هِيَ اَلرُّجُوعُ إِلى البِدَايَة مُوَافِقٌ لِمَقَام اَلدَّعْوَة اَلذي حُرِّرَ فِي هَذه المُسَوَّدَة. فَإِنَّ الوَجْهَ وَالتَّوَجُّهَ فِي البِدَايَة إِلى الخَلق بِالتَّمَام. وَحَديثُ: تَنَامُ عَيْنَايَ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي اَلذي حَرَّرْتُمُوهُ لَيْسَ فيه إِشَارَةٌ إِلى دَوَام الحُضُور، بَل هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ عَدَم الغَفْلَة عَمَّا يَجْرِي عَلَيْه وَعَلى أُمَّته - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَعَمَّا يَصْدُرُ مِنْهُ ــ صَلى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ــ مِنَ الأَحْوَال ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ نَوْمُه نَاقِضًا لِوُضُوئه - عَلَيْه اَلصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - وَلَمَّا كَانَ اَلنَّبِيُّ مِثْل الراعي فِي حِفْظ أُمَّته لَمْ تَكُنْ الغَفْلَةُ لاَئِقَةً لِمَنْصب نُبُوَّته. وَحَديثُ لِي مَعَ اَللّٰه وَقْتٌ لاَ يَسَعُنِي فيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلى اَلتَّجَلي البَرْقِيِّ الذَّاتِيِّ عَلى تَقْدير صحَّته. وَأَيْضًا إِنَّ هَذَا اَلتَّجَلي لَيْسَ بِمُسْتَلزِم للتَّوَجُّه إِلى جَنَاب الحَقِّ سُبْحَانَهُ، بَل هُوَ مِنْ ذَلكَ الجَانب الأَقْدَس لاَ صُنْعَ فيه لِلْمُتَجَلى لَهُ، بَل هُوَ مِنْ قَبِيل سَيْر المَعْشُوق فِي العَاشِق لِشَبَع العَاشق مِنَ السَّيْر. شعْرٌ.

لاَ اَلكَوْنُ فِي المِرْآة مِنْ حَرَكَاتِهَا لكِنَّهَا قَبِلتْ لَهُ لصِفَاتِهَا

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الحُجُبَ المُرْتَفِعَةَ لاَ تَعُودُ عَلى تَقْدير اَلرُّجُوع، بَل مَعَ وُجُود ارْتِفَاع الحُجُب يَكُونُ المُنْتَهَى مَشْغُولاً بِالخَلق لِارْتِبَاط فَلاَح الخَلق به. وَمِثْل هَؤُلاَء الأَكَابِر كَمَثَل شَخْص لَهُ كَمَال اَلتَّقَرُّب مِنَ المَلك بِحَيْثُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا حَائِل وَمَانِعٌ أَصْلاً لاَ صُورَةً وَلاَ مَعْنًى. وَمَعَ ذَلكَ شَغَلَهُ المَلِكُ بِقَضَاء حَاجَات أَرْبَاب الحَوَائج وَخِدْمَاتِهِمْ، وَهَذَا فَرْقٌ آخَرُ أَيْضًا بَيْنَ المُبْتَدي وَالمُنْتَهي المَرْجُوع. فَإِنَّ المُبْتَدِيَ مَحْجُوبٌ بِخِلاَف ذَلكَ المُنْتَهي. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِر مَنِ اِتَّبَعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ المِائَةُ

إلى الملا حَسَنِ الكَشْمِيرِيِّ

أَيْضًا فِي جَوَابِ سُؤَالِه عَنْ قَوْلِ الشَّيْخِ عَبْدِ الكَرِيمِ اليَمَنِيِّ:

" إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِعَالِمِ الغَيْبِ "

قَدْ شَرَّفَنَا المَكْتُوبُ بِوُصُولِه وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فِيه بِأَبْوَابِه وَفُصُولِه وَفُرُوعِه وَأُصُولِه، وَمِمَّا انْدَرَجَ فِيهِ أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الكَبِيرِ اليُمْنَى قَالَ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِعَالِمِ الغَيْبِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ لاَ طَاقَةَ للفَقِيرِ باسْتِمَاعِ أَمْثَالِ هَذِه الكَلِمَاتِ أَصْلاً، وَيَتَحَرَّكُ عِرْقِي الفَارُوقِيُّ مِنَ اسْتِمَاعِهَا بِلاَ اخْتِيَارٍ، بِحَيْثُ لاَ يَبْقَى مَجَالُ التَّأَمُّلِ وَفُرْصَةُ التَّأْوِيلِ وَالتَّوْجِيهِ، سَوَاءٌ كَانَ قَائِلُهَا الشَّيْخَ عَبْدَ الكَبِيرِ اليُمْنَى أَوْ الشَّيْخَ الأَكْبَرَ الشَّامِيَّ، وَإِنَّمَا اللاَّزِمُ لَنَا اتِّبَاعُ كَلاَمِ مُحَمَّدٍ العَرَبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - دُونَ كَلاَمِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ وَصَدْرِ الدِّينِ القونوي[1] وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ الكَاشِيِّ نَحْنُ نَتَمَسَّكُ بِالنُّصُوصِ لاَ بِالفُصُوصِ، وَقَدْ أَغْنَانَا الفُتُوحَاتُ المَدَنِيَّةُ عَنِ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ فِي كَلاَمِه المَجِيدِ بِعَالِمِ الغَيْبِ، وَأَطْلَقَهُ عَلَى نَفْسِه. فَنَفْيُ عِلْمِ الغَيْبِ عَنْهُ تَعَالَى مُسْتَقْبَحٌ وَمُسْتَكْرَهٌ جِدًّا، بَلْ هُوَ تَكْذِيبٌ للحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي الحَقِيقَةِ، وَإِرَادَةُ مَعْنًى آخَرَ مِنَ الغَيْبِ لاَ يُخْرِجُ هَذَا الكَلاَمَ مِنَ الشَّنَاعَةِ " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ".

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا حَمَلَهُمْ عَلَى التَّفَوُّهِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ الصَّرِيحَةِ فِي خِلاَفِ الشَّرِيعَةِ.

وَابْنُ المَنْصُورِ مَعْذُورٌ فِي قَوْلِه: أَنَا الحَقُّ وَكَذَلِكَ البِسْطَامِيُّ[2] فِي قَوْلِه: " سُبْحَانِي " لكَوْنِهِمَا مَغْلُوبَيِ الحَالِ.

وَأَمَّا أَمْثَالُ هَذَا الكَلاَمِ فَلَيْسَ بِمَبْنِيَّةٍ عَلَى غَلَبَةِ الأَحْوَالِ، بَلْ هِيَ صَادِرَةٌ بِعَمَلٍ عَنْ صَاحِبِهَا وَمُسْتَنِدَةٌ إِلَى التَّأْوِيلِ. فَلَيْسَتْ بِقَابِلَةٍ للعُذْرِ، وَلاَ يُقْبَلُ فِي هَذَا المَقَامِ تَأْوِيلٌ

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي (صدر الدين) صوفي مشارك في بعض العلوم، أخذ عن محي الدين بن عربي، وتوفي بقونية سنة ٦٧٢هـ من أهم مصنفاته: إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن، الفكوك في مستندات حكم الفصوص لابن عربي، اللمعة النورانية في حل مشكلات الشجرة النعمانية، وغير ذلك. انظر: السبكي: طبقات الشافعية: ١٩/٥، الصفدي: الوافي: ٢٠٠/٢، الزركلي: الأعلام: ٢٥٤/٦، كحالة: معجم المؤلفين ١٢٣/٣.

(٢) أبو يزيد البسطامي تقدمت ترجمته.

أَصْلاً، وَإِنَّمَا يُصْرَفُ عَنِ الظَّاهِرِ كَلاَمُ السُّكَارَى لاَ غَيْرُ. فَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ المُتَكَلِمِ مِنْ إِظْهَارِ هَذَا الكَلاَمِ مَلاَمَةَ الخَلقِ إِيَّاهُ وَنَفْرَتَهُمْ عَنْهُ، فَهُوَ أَيْضًا مُسْتَكْرَهٌ وَمُسْتَهْجَنٌ ؛ فَإِنَّ طُرُقَ تَحْصِيلِ مَلاَمَةِ الخَلقِ كَثِيرَةٌ، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ تَدْعُو إِلى أَنْ يَرْتَكِبَ مَا يُوصِلُ إِلى حَدِّ الكُفْرِ.

وَحَيْثُ تَكَلمْتُمْ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الكَلاَمِ وَاسْتَفْسَرْتُمْ عَنْهُ فَبِحُكْمِ لكُلِ سُؤَالٍ جَوَابٌ نَتَكَلمُ فِي هَذَا البَابِ بِالضَّرُورَةِ: وَعِلمُ الغَيْبِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَمَا قِيلَ: إِنَّ الغَيْبَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَعْدُومًا وَالمَعْدُومُ لاَ يَكُونُ مَعْلومًا فَإِنَّ العلمَ لاَ يَتَعَلقُ بِالمَعْدُومِ مَعْنَاهُ أَنَّ الغَيْبَ لَمَّا كَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ مَعْدُومًا مُطْلقًا وَلاَ شَيْئًا مَحْضًا مَعَنًى لتَعَلقِ العلمِ به، فَإِنَّ مَعْلوميَّتَهُ تُخْرِجُهُ عَنْ مَعدُوميَّتِه المُطْلقَةِ وَاللاَّشَيْئِيَّةِ المَحْضَةِ. أَلاَ تَرَى أَنَّهُ لاَ يُقَالُ: إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِشَرِيكِه، فَإِنَّ شَرِيكَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ أَصْلاً بَلْ هُوَ لاَ شَيْءَ صِرْفٌ. نَعَمْ يُمْكِنُ تَصَوُّرُ مَفْهُومِ الغَيْبِ وَالشَّرِيكِ، وَلكِنَّ الكَلاَمَ لَيْسَ فِي مَفْهُومِهِمَا بَلْ فِي مِصْدَاقِهِمَا، وَمِثْلُ هَذَا حَالُ جَمِيعِ المُحَالاَتِ، فَإِنَّ مَفْهُومَاتِهَا مُمْكِنَةُ التَّصَوُّرِ وَمُصَادِقَهَا مُمْتَنِعَةُ التَّصَوُّرِ. فَإِنَّ المَعْلوميَّةَ تَخْرُجُ عَنِ الاِسْتِحَالةِ وَلاَ أَقَلَ مِنْ إِعْطَائِهَا الوُجُودَ الذِّهْنِيَّ.

وَالاعْتِرَاضُ الذي أَوْرَدْتُهُ عَلى تَوْجِيهِ مَوْلاَنَا مُحَمَّد الروجي[1] صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ نَفْيَ النِّسْبَةِ العِلميَّةِ فِي مَرْتَبَةِ الأُحَدِيَّةِ المُجَرَّدَةِ مُسْتَلزِمٌ لنَفْيِ مُطْلقِ العَلمِ، وَلاَ وَجْهَ

---

(١) هو الشيخ شمس الدين محمد الروجي، ولد في روج وهي قرية على تسعة فراسخ من هراة ليلة نصف شعبان عام ٨٢٠ هـ، وكان لأمه ولد نجيب فمات وهوابن خمس سنين فحزنت عليه؛ فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها لا تحزني فسوف يعطيك الله تعالى ولدا طويل العمر ذا دولة فأتاها هذا العزيز فكانت تقول له: أنت الذي بشرني بك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب الخلوة في صغر سنه فسمع مرة من والدته أن من قرأ كذا يرى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقرأ ونام، فرأى أنه على باب البيت وأمه على دكة الباب تقول له أين كنت فإني بانتظارك لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى بيتي فهلم نذهب إليه، قال: فأخذت بيدي إليه صلى الله عليه وسلم فرأيته جالسا وحوله ناس قياما وقعود، وهو يبعث بالرسائل إلى البلدان، فقدمتني أمي إليه وقالت يا رسول الله هذا الذي وعدتني به أم غيره، فنظر إلي وتبسم وقال هو هذا، وأمر الكاتب فكتب لي ورقة نحو ثلاثة أسطر وتحتها أسماء الشهود وقرأها وأعطانيها، قال ثم أفقت فرأيت والدتي على الباب وبيدها شمعة فقالت لي هل رأيت شيئا ؟ قلت نعم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت لي وأنا كذلك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما رأيت، وقد تتلمذ الشيخ الروجي على الشيخ صدر الدين الرواسي،وغيره، وتوفي - رضي الله عنه سنة ٩٠٤ هـ. انظر: السنهوتي: الأنوار القدسية: ١٥٣، ١٥٤.

لتَخْصيص اَلنَّفْي بعلم الغَيْب. والإشْكال الآخَرُ عَلى تَوْجيه مَوْلاَنَا أَنَّ اَلنِّسْبَةَ العلميَّةَ وَإِنْ كَانَتْ مُنْتَفيَةً في مَرْتَبَة الأُحَديَّة المُجَرَّدَة وَلكنَّ عَالميَّتَهُ تَعَالَى قَائمَةٌ عَلى حَالهَا، فَإِنَّهُ تَعَالى عَالمٌ بالذَّات لاَ بالصِّفَات ؛ لَكَوْن اَلصِّفَات مُنْتَفيَةً في تلكَ المَرْتَبَة. أَلاَ تَرَى أَنَّ نُفاةَ اَلصِّفَات رَأْسًا يَقُولونَ إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ عَالمٌ مَعَ سَلبهمُ اَلصِّفَات عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى. وَيَقُولونَ إنَّ اَلانْكشَافَ اَلذي يَتَرَتَّبُ عَلى اَلصِّفَات يَتَرَتَّبُ عَلى اَلذَّات. وَكَذَا هُنَا. وَالتَّوْجيهُ اَلذي بَيَّنْتُمُوهُ منْ إرَادَة غَيْب اَلذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ بالغَيْب وَعَدَم تَجْويز تَعَلق العلم به فَإنْ كَانَ المُرَادُ بالعلم علمَ الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَهُوَ أَقْرَبُ اَلتَّوْجيهَات وَلكنْ في عَدَم جَوَاز تَعَلق علم الوَاجب تَعَالى بذَاته البَحْثُ سُبْحَانَهُ بَحْثٌ للفَقير، فَإنَّ الوَجْهَ اَلذي بَيَّنُوهُ في عَدَم الجَوَاز هُوَ اقْتضَاءُ حَقيقَة العلم لإحَاطَة المَعْلوم، وَالذَّاتُ المُطْلقَةُ تَعَالتْ مُقْتَضيَةٌ لعَدَم الإحَاطَة فَلاَ يَجْتَمعَان في هَذَا اَلتَّعَلق وَهَهُنَا مَحَل خَدْشَة فَإنَّ هَذَا المَعْنَى يَعْني اقْتضَاءَ حَقيقَة العلم لإحَاطَة المَعْلوم إنَمَا هُوَ في العلم الحُصُوليِّ لحُصُول صُورَة المَعْلوم فيه في القُوَّة العلميَّة، وَأَمَّا في العلم الحضُوريِّ فَلاَ يَلزَمُ هَذَا المَعْنَى أَصْلاً. وَالعلمُ فيمَا نَحْنُ فيه حُضوريٌّ لاَ حُصُوليٌّ فَلاَ مَحْذُورَ فَإنَّ تَعَلقَ علم الوَاجب سُبْحَانَهُ بذَاته تَعَالى بطَريق الحُضوريِّ لاَ بطَريق الحُصُوليِّ. وَاَللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال. وَصَلى اَللهُ عَلى سَيِّدنَا مُحَمَّد وَآله اَلطَّاهرينَ وَبَارَكَ وَسَلمَ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالمائَةُ
إلى الملا حَسَن الكَشْمِيريِّ أَيْضًا
فِي الرَّدِّ عَلى جَمَاعَةٍ تَعَرَّضُوا لأَهْلِ الكَمَال وَأَطَالوا اللسَانَ فِي حَقِّهِ بِأَنْوَاعِ المَقَال

أَحْسَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ حَالكُمْ وَأَصْلحَ بَالكُمْ قَدْ أَوْصَل مَوْلاَنَا مُحَمَّدُ صدِّيق[1] المُفَاوَضَةَ الشَّرِيفَةَ حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ حَيْثُ لَمْ تَنْسَوْا النَّائِينَ المَهْجُورِينَ وَالخطَّابَات التي صَدَرَتْ للنَّفْسِ بحَسَب الظَّاهِر صَارَتْ وَاضحَةً فِي الجُمْلة. نَعَمْ كُل اعْتِرَاضٍ عَلى النَّفْسِ مُسَلمٌ وَقْتَ كَوْنِهَا أَمَّارَةً، وَأَمَّا بَعْدُ حُصُول الاطْمئْنَان لَهَا فَلاَ مَجَال للاعْتِرَاضِ أَصْلاً ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ رَاضِيَةٌ عَنِ الحَقِّ وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ رَاضٍ عَنْهَا فهيَ إِذًا مَرْضيَّةٌ وَمَقْبُولةٌ، وَلاَ اعْتِرَاضَ عَلى المَرْضيِّ المَقْبُول، وَكَيْفَ فَإِنَّ مُرَادَهَا حينَئذ مُرَادُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ. فَإِنَّ حُصُول هَذه الدَّوْلة إِنَّمَا هُوَ زَمَنُ التَّخَلق بِأَخْلاَق الله تَعَالَى، وَسَاحَةُ قُدْسِهُ أَعْلى وَأَجَل مِنَ اعْتِرَاضِ أَمْثَالنَا وَضِيعِي الفِطْرَةِ وعديمي القُدْرَةِ بَل كُل مَا نَقُول عَائِدٌ إِلَيْنَا.

شِعْرٌ.

مَنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ نَفْسه ذَا خبْرَة هَل يَقْدرُ الأَخْبَارَ عَنْ هَذَا وَذَا

وَمنْ جَاهل يَتَصَوَّرُ النَّفْسَ المُطْمَئِنَّةَ منْ كَمَال جَهْله أَمَّارَةً وَيُجْرِي أَحْكَامَ الأَمَّارَة عَلى المُطَمَئِنَّة كَمَا زَعَمَ الكُفَّارُ الأَشْرَارُ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مثْل سَائِر البَشَر، وَأَنْكَرُوا كَمَالات النُّبوَّة أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ منْ إِنْكَارِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَإِنْكَارِ مُتَابِعِيهِمْ عَلَيْهِ الصَّلوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

---

(١) **الملا محمد صديق**: تقدمت ترجمته.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالمِائَةُ
إلى الملا مُظَفَّر
فِي بَيَانِ أَنَّ المُحَرَّمَ فِي القَرْضِ مَعَ الفَيْضِ يَعْنِي الرِّبَا مَجْمُوعُ المَبْلغِ لاَ الزِّيَادَةُ فَقَطْ وَمَا يَتَعَلقُ بِذَلكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ قُلتُمْ فِي ذَلكَ اليَوْم إنَّ الرِّبَا فِي القَرْضِ بالفَيْضِ هُوَ الفَضْل فَقَطْ، وَالمُحَرَّمُ فِي قَرْضِ عَشَرَة دَرَاهِمَ بِاثْنيْ عَشَرَ درْهَمًا هُوَ الدِّرْهَمَان الزَّائدَان عَلى القَرْضِ. وَلَمَّا رَاجَعْتُ بَعْضَ الكُتُب الفقْهيَّة ظَهَرَ أَنَّ كُل عَقْد فِيه فَضَل فَهُوَ رِبًا فِي الشَّرِيعَة، فَيَكُونُ هَذَا العَقْدُ مُحَرَّمًا بالضَّرُورَة. وَكُل مَا يُفْضِي إلى تَحْصيل المُحَرَّم يَكُونُ مُحَرَّمًا، فَتَكُونُ الدَّرَاهِمُ العَشَرَةُ أَيْضًا مُحَرَّمَةً. وَكَانَ المَقْصُودُ مِنْ إرْسَال كتَاب جَامعِ الرُّمُوزِ وَرِوَايَاتِ كِتَاب إبْرَاهِيمَ الشاهى إظْهَارَ هَذَا المَعْنَى وَبَقِيَ صُورَةُ الاحْتِيَاجِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ إنَّ حُرْمَةَ الرِّبَا ثَابتَةٌ بنَصٍّ قَطْعِيٍّ شَامل للمُحْتَاج وَغَيْر المُحْتَاج، فَاسْتِثْنَاءُ المُحْتَاج مِنْ هَذَا الحُكْم نَسْخٌ لذَلكَ الحُكْم القَطْعِيِّ، وَرِوَايَةُ القنْيَة ليْسَتْ فِي مَرْتَبَة تَنْسَخُ الحُكْمَ القَطْعِيَّ. وَقَدْ قَال مَوْلاَنَا جَمَال اللاهوري الذي هُوَ أَعْلمُ عُلمَاء هور: إنَّ كَثيرًا مِنْ رِوَايَة القنْيَة لاَ يَسْتَحقُّ الاعْتمَادَ عَلَيْه لكَوْنهَا مُخَالفَةً لرِوَايَة الكُتُب المُعْتَبَرَة وَلَوْ سَلمَ صحَّةُ هَذه الرِّوَايَة يَنْبَغي أَنْ يَنْزل الاحْتيَاجُ إلى حَالة الاضْطرَار وَالمَخْمَصَة ليَكُونَ مُخَصِّصَ ذَلكَ الحُكْم القَطْعِيِّ قَوْلُهُ تَعَالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ} الآيَة، فَإنَّهُ مثْلهُ فِي القُوَّة، (ع):

وَقَاتَل رُسْتُمُ أَمْثَال رُسْتُمَ

وَأَيْضًا لوْ أَخَذَ المُحْتَاجُ أَعَمُّ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ فِي مَحَل لاَ يَظْهَرُ فيه حُكْمُ حُرْمَة الرِّبَا ؛ وَإلاَّ فَكُل مَنْ يَقْبَل إعْطَاءَ الزِّيَادَة إنَّمَا يَقْبَل بعلة الاحْتيَاج البَتَّةَ، فَإنَّهُ لاَ يَقْدُمُ أَحَدٌ عَلى ضَرَر نَفْسه مِنْ غَيْر احْتيَاج، فَلاَ يَبْقى لهَذَا الحُكْم المُنَزَّل مِنَ الحَكيم الحَميد مَزيدُ فَائدَة، تَعَالى كتَابُه العَزيزُ مِنْ أَمْثَال هَذَا التَّوَهُّم. وَلَوْ سَلمَ عُمُومُ الاحْتيَاج وَلَوْ عَلى سَبيل فَرْض المُحَال. فَأَقُول: إنَّ الاحْتيَاجَ مِنْ جُمْلة الضَّرُورَات، وَالضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، وَإطْعَامُ الطَّعَام النَّاسَ ممَّا اسْتَقْرَضَ بالفَيْض ليْسَ بدَاخل

فِي الاحْتِيَاجِ فَإِنَّهُ لاَ تَعَلقَ للضَّرُورَة به، وَلهَذَا يُسْتَثْنَى منْ تَرِكَة المَيِّت مَا يُحْتَاجُ إِلَيْه فِي تَجْهِيزِه وَقَصَرُوهُ فِي الكَفَنِ وَالدَّفْنِ. وَلَمْ يَجْعَلوا إِطْعَامَ الطَّعَامِ لرُوحه دَاخلاً فِي الاحْتِيَاجِ مَعَ أَنَّهُ أَحْوَجُ إِلى الصَّدَقَة - يَعْني منَ الدَّفْنِ وَالكَفَنِ - فَيَنْبَغي المُلاَحَظَةُ فِي الصُّورَة المُتَنَازَعِ فيهَا هَل المُسْتَقْرِضُونَ بالفَيْضِ مُحْتَاجُونَ أَوْ لاَ، وَعَلى تَقْدِير الاحْتِيَاجِ هَل يَحِل لغَيْرِهِمُ الأَكْل منَ الطَّعَام الذي يَطْبُخُونَهُ لهُمْ منْ ذَلكَ المَبْلغِ أَوْ لاَ، وَجَعْل الضِّيَافَة وَإِجْرَاءُ الرَّسْمِ وَالعَادَة حيلةُ الاحْتِيَاجِ وَالقَرْضِ بالفَيْضِ بهَذه العلة، وَاعْتقَادُ ذَلكَ جَائزًا وَحَلالاً بَعيدٌ عَنِ التَّدَيُّنِ وَالدِّيَانَة. يَنْبَغي رِعَايَةُ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَمَنْعِ جَمَاعَة ابْتُلوا بهَذَا البَلاَءِ وَتَنْبيههُمْ عَلى عَدَمِ صدْق هَذه الحيلة وَعَدَمِ جَوَازِهَا، وَكَيْفَ يَنْبَغي للإِنْسَان اخْتيَارُ هَذَا القسْمِ منَ الابْتلاَءِ بارْتكَاب مَحْظُور، فَإِنَّ أَسْبَابَ المَعَاش كَثيرَةٌ ليْسَتْ مَحْصُورَةً عَلى شَيْءٍ وَاحد. وَحَيْثُ إِنَّكُمْ منْ أَهْل الصَّلاَحِ وَالتَّقْوَى أَرْسَلنَا لكُمْ روَايَةَ الطِّيِّب فِي الأَكْل. وَكَتَبْتُمْ أَنَّ الخاليَ عَنِ الشُّبْهَة لاَ يُوجَدُ فِي هَذَا الزَّمَان، فَهَذَا الكَلاَمُ صَحيحٌ وَلكنْ يَنْبَغي الاحْترَازُ منَ الشُّبْهَة مَهْمَا أَمْكَنَ، وَقَدْ قيل إِنَّ الزِّرَاعَةَ بلاَ طَهَارَة مُنَافيَةٌ للطِّيِّب، وَالاجْتنَابُ عَنْ ذَلكَ غَيْرُ مُمْكنٍ فِي بلاَد الهنْد " لاَ يُكَلفُ اللهُ نَفسًا إِلاَّ وُسْعَهَا " وَلكنَّ تَرْكَ أَكْل طَعَام الرِّبَا فِي غَايَة السُّهُولَة، وَاعْتقَادُ الحَلال حلالاً وَالحَرَام حَرَامًا إِنَّمَا هُوَ فِي الحَلال وَالحَرَام القَطْعِيَّيْن الذينَ يَكْفُرُ جَاحدُهُمَا، وَفِي الظَّنِّيَّات ليْسَ كَذَلكَ. وَكَمْ منْ أُمُور مُبَاحَة عنْدَ الحَنَفيَّة غَيْرَ مُبَاحَة عنْدَ الشَّافعيَّة وَبالعَكْس. فَفيمَا نَحْنُ فيه إِذَا تَوَقَّفَ شَخْصٌ فِي حليَة القَرْض بالفَيْض لَمَنْ يَشُكُّ فِي احْتيَاجه لكَوْنه مُخَالفًا فِي الظَّاهر حُكْمَ النَّصِّ القَطْعِيِّ لاَ يَنْبَغي تَضْليله وَتَكْليفه باعْتقَاد حليَّته، بَل الرَّاجحُ أَنَّ الصَّوَابَ فِي جَانبه، بَل هَذَا مُتَيَقَّنٌ وَمُخَالفُهُ فِي خَطَرٍ.

وَنَقَل بَعْضُ أَصْحَابكُمْ أَنَّ مَوْلاَنَا عَبْدَ الفَتَّاح قَال يَوْمًا فِي حُضُوركُمْ: لوْ وُجدَ قَرْضٌ بلاَ فَيْضٍ فَهُوَ حَسَنٌ فَلمَاذَا يَسْتَقْرِضُ الإِنْسَانُ بالفَيْضِ فَزَجَرْتُمُوهُ قَائلاً لاَ تُنْكرُ الحَلال.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إِنَّ أَمْثَال هَذه الكَلمَات لهَا مَسَاغٌ وَمَجَال فِي الحَلال القَطْعِيِّ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مَشْكُوكًا فِي حليَّته فَلاَ شَكَّ أَنَّ تَرْكَهُ أَوْلى.

وَأَهْل الوَرَعِ لاَ يَأْمُرُونَ بالرُّخْصَة بَل يَدُلونَ عَلى العَزيمَة، وَقَدْ أَفْتَى عُلمَاءُ

هور بالحليَة بعلة الاحْتِيَاجِ وَذَيْل الاحْتِيَاجِ وَاسِعٌ بحَيْثُ لوْ مُدَّ لاَ يَبْقَى ربًا أَصْلاً، وَيَكُونُ الحُكْمُ القَطْعِيُّ بحُرْمَة الرِّبَا عَبَثًا كَمَا سَبَقَ آنفًا، وَكَانَ يَنْبَغِي لهُمْ مُلاَحَظَةُ أَنَّ إِطْعَامَ الغَيْرِ أَيُّ قِسْمٍ هُوَ مِنَ احْتِيَاجِ المُسْتَقْرِضِ بالفَيْضِ، وَرِوَايَةُ القُنْيَة مُجَوِّزَةٌ للاِسْتِقْرَاضِ بالفَيْضِ بَعْدَ اللتَيَّا، وَالتِي فِي حَقِّ المُحْتَاجِ نَفْسه فَقَطْ لاَ فِي حَقِّ الغَيْرِ.

فَإِنْ قِيل: يَجُوزُ أَنْ يَطْبُخَ المُحْتَاجُ هَذَا الطَّعَامَ للإِطْعَامِ بنِيَّة كَفَّارَة اليَمين أَوْ الظِّهَارِ أَوْ غَيْرِهمَا وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إلى أَدَاءِ هَذه الكَفَّارَات. أَقُول: إِذَا لَمْ يَكُنْ فيه اسْتِطَاعَةُ الإِطْعَامِ يَصُومُ لهَا لاَ إِنَّهُ يَسْتَقْرِضُ بالفَيْضِ وَيُكَفِّرَ عَنْهَا. وَكُلُ مَا يَظْهَرُ مِنْ أَقْسَامِ الاحْتِيَاجِ مِنْ هَذَا القَبِيل يَنْدَفِعُ بأَدْنَى تَأَمُّل وَتَوَجُّه بِبَرَكَة التَّقْوَى " وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ " وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلكَ إِطْنَابٌ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالمِائَةُ
إِلى السَّـــيِّد فَريد
في بَيَان مَعْنَى العَافِيَة
وَطَلَبِ القَاضِي لبَلد سرهند

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ العَافِيَةَ وَالمُرَادُ بالعَافِيَة المَطْلوبَة مَا كَانَ وَاحدٌ منَ الأَعزَّة يَدْعُو اللهَ سُبْحَانَهُ دَائمًا وَيَتَمَنَّى منْهُ ـــ عَزَّ وَجَلَ ـــ عَافِيَةَ يَوْمٍ وَاحد، فَسَأَلَهُ شَخْصٌ أَنَّ جَميعَ هَذه الأَوْقَات التي تَمُرُّ عَلَيْك أَلَيْسَتْ تَمُرُّ عَلَيْك عَلَى عَافِيَة؟ قَال: بَل أُريدُ أَنْ يَمُرَّ عَليَّ يَوْمٌ لاَ أَرْتَكبُ فيه مَعْصيَةً منْ مَعَاصي اللهِ تَعَالى منَ الفَجْرِ إِلى المَغْرب، وَقَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ وَلَيْسَ في سرهند قَاضٍ وَيَقَعُ إِجْرَاءُ بَعْضِ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة بهَذَا السَّبَب في التَّوَقُّف. مَثَلاً أَنَّ لي ابْنَ أَخٍ وَبَقيَ لهُ ميرَاثٌ منْ أَبَوَيْه وَلَيْسَ لهُ وَصيٌّ وَالتَّصَرُّفُ في ذَلكَ المَال بلاَ إِذْنٍ شَرْعيٍّ غَيْرُ جَائزٍ. فَإِنْ كَانَ هُنَا قَاضٍ لاَمْكَنَ التَّصَرُّفُ فيه بإِذْنه.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالمِائَةُ
إِلى قُضَاةِ بَعْضِ القَصَبَةِ
فِي التَّعْزِيَةِ

اعْلَمُوا أَنَّ مُصِيبَةَ فَوْتِ المَغْفُورِ لهُ وَإِنْ كَانَتْ شَدِيدَةً جِدًّا وَمُسْتَصْعَبَةً وَلَكِنْ لاَ بُدَّ للعَبْدِ مِنَ الرِّضَا بِفِعْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى. فَإِنَّا لَمْ نُخْلَقْ للبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا بَل للعَمَلِ فَيَنْبَغِي السَّعْيُ فِي العَمَلِ، فَإِنْ ذَهَبَ المَرْحُومُ بِعَمَلِه لاَ ضَيْرَ فيه بَل هُوَ مَلَكُ المَوْتِ جِسْرٌ يُوصِّلُ الحَبِيبَ إِلى الحَبِيبِ ثَابِتٌ فِي شَأْنِه لَيْسَتْ المُصِيبَةُ للفَوْتِ بَل لحَالِ القَادِمِ إِلى الحَبِيبِ أَنَّهُ كَيْفَ يُعَامَلُ بِه، فَيَنْبَغِي الإِمْدَادُ بالدُّعَاءِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالتَّصَدُّقِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ: مَا المَيِّتُ إِلاَّ كَالغَرِيقِ المُتَغَوِّثِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلحَقُهُ مِنْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخٍ أَوْ صَدِيقٍ فَإِذَا لحِقَتْهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَإِنَّ اللهَ تَعَالى لَيُدْخِلُ عَلى أَهْلِ القُبُورِ مِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الأَرْضِ أَمْثَالَ الجِبَالِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَإِنَّ هدَايَةَ الأَحْيَاءِ إِلى الأَمْوَاتِ اسْتِغْفَارٌ لَهُمْ.

وَبَلغَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ وَالهَوَاءُ البَارِدُ شَدِيدٌ عَلى الفُقَرَاءِ جِدًّا وَإِلاَّ مَا كُنْتُ أَتَأَخَّرُ وَكَتَبَ التَّفْوِيضَ مُؤَكَّدًا يَنْفَعُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى. وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ تَصْدِيعٌ وَالدَّعَوَاتُ الكَثِيرَةُ مَبْذُولَةٌ للقَاضِي حَسَنٍ وَسَائِرِ الأَعِزَّةِ وَلِيَكُونُوا رَاضِينَ بِفِعْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَشَاكِرِينَ عَلَيْهِ تَعَالى فِي جَمِيعِ الأُمُورِ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالمِائَةُ
إلى الحَكِيمِ عَبْد القَادِرِ
فِي بَيَانِ أَنَّ المَرِيضَ مَا لَمْ يَصِحَّ وَلَمْ يَبْرَأْ لاَ يَنْفَعُهُ غِذَاءٌ أَصْلاً وَمَا يُنَاسِبُهُ

قَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الحُكَمَاءِ أَنَّ المَرِيضَ مَا دَامَ مَرِيضًا لاَ يَنْفَعُهُ غِذَاءٌ أَصْلاً وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعَزِّ الأَكْلِ وَأَحْسَنِهِ، بَل هُوَ مُقَوٍّ لِمَرَضِهِ، (ع):

الأَكْلُ مَا نَالَ العَلِيلَ عَلِيلُ

فَيَشْتَغِلونَ أَوَّلاً بِفِكْرِ إِزَالَةِ مَرَضِهِ ثُمَّ يَجْتَهِدُونَ فِي تَحْصِيلِ القُوَّةِ بِأَغْذِيَةٍ مُنَاسِبَةٍ لِمِزَاجِهِ وَحَالِهِ بِالتَّدْرِيجِ، فَكَذَلِكَ الإِنْسَانُ مَا دَامَ مُبْتَلاً بِمَرَضِ القَلْبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ " لاَ تَنْفَعُهُ عِبَادَةٌ وَطَاعَةٌ أَصْلاً بَل هِيَ مَضَرَّةٌ لَهُ " رُبَّ تَالٍ لِلقُرْآنِ وَالقُرْآنُ يَلعَنُهُ " حَدِيثٌ مَعْرُوفٌ " وَرُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الجُوعُ وَالظَّمَأُ " خَبَرٌ صَحِيحٌ فَأَطِبَّاءُ القُلُوبِ أَيْضًا يَأْمُرُونَ أَوَّلاً بِإِزَالَةِ المَرَضِ وَذَلِكَ المَرَضُ عِبَارَةٌ عَنْ تَعَلُّقِ القَلْبِ بِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَل هُوَ تَعَلُّقُ الإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ كُلَمَا يُحِبُّهُ وَيَطْلُبُهُ إِنَّمَا يُحِبُّهُ وَيَطْلُبُهُ لِنَفْسِهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَوْلاَدَهُ يُحِبُّهُمْ لِنَفْسِهِ وَكَذَلِكَ الأَمْوَالَ وَالرِّيَاسَةَ وَالجَاهَ، فَمَعْبُودُهُ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ نَفْسُهُ. فَمَا دَامَ الإِنْسَانُ لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْ هَذَا التَّعَلُّقِ وَالارْتِبَاطِ لاَ وَجْهَ لِرَجَاءِ النَّجَاةِ فَفِكْرُ إِزَالَةِ هَذَا المَرَضِ لاَزِمٌ لِلعُلَمَاءِ أُولِي الأَلْبَابِ وَالحُكَمَاءِ ذَوِي الأَبْصَارِ، (ع):

وَيَكْفِي مَنْ لَهُ فَهْمٌ إِشَارَةْ

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالمِائَةُ
إلى مُحَمَّد صَادِق الكَشْمِيرِيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ مَحَبَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ المُتَفَرِّعَةَ عَلى مَعْرِفَتِهِمْ
مِنْ أَجْلِ نِعَمِ اللهِ جَل شَأْنُهُ

قَدْ وَصَلَ المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ المُنْبِئُ عَنْ فَرْطِ المَحَبَّة وَكَمَال المَوَدَّة لله سُبْحَانَهُ المِنَّةُ عَلى ذَلِكَ فَإِنَّ مَحَبَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ التي هِيَ مُتَفَرِّعَةٌ عَلى مَعْرِفَتِهِمْ مِنْ أَجْلِ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَيَا سَعَادَةَ مَنْ يَتَشَرَّفُ بِهَا. قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ الهَرَوِيُّ[1] - قُدِّسَ سِرُّهُ -: إِلهِي مَا هَذَا الذي جَعَلتَ أَوْلِيَاءَكَ عَلى وَجْهِ مَنْ عَرَفَهُمْ وَجَدَكَ وَمَا لَمْ يَجِدْكَ لَمْ يَعْرِفْهُمْ، وَبُغْضُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ سُمٌّ قَاتِلٌ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ مُوجِبٌ للحِرْمَانِ الأَبَدِيِّ. نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ هَذَا الابْتِلاَءِ. وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ أَيْضًا: إِلهِي كُلُّ مَنْ أَرَدْتَ سُقُوطَهُ فَأَسْقِطْهُ عَلَيْنَا يَعْنِي أَوْقِعْهُ بِغَيْبَتِنَا وَمَلاَمَتِنَا شِعْرٌ

وَمَنْ لَمْ يَعْنِهِ مُهَيْمِنٌ وَخَوَاصُّهُ ... الأَمْرُ فِي خَطَرٍ وَلَوْ هُوَ مِنْ مَلَكْ

وَهَذِهِ الإِنَابَةُ التي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِتَجْدِيدِهَا، يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْتَقِدَهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً وَأَنْ تَسْأَلَ اللهَ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلَيْهَا.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ.

---

(١) ــ **أبو إسماعيل الأنصاري الهروي شيخ الإسلام**: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي، من نسل أبي أيوب الأنصاري، شيخ خراسان، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: " شيخ الإسلام الإمام القدوة الحافظ الكبير " وقال السيوطي: " وكان إماما متقنا قائما بنصر السنة ورد المبتدعة " من مصنفاته: ذم الكلام، منازل السائرين، والأربعين. انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥٠٣/١٨ - ٥١٨، السيوطي: طبقات الحفاظ ٤٤/١.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالمِائَةُ
إلى مُحَمَّد صَادِق الكَشْمِيرِيِّ أَيْضًا
في أَجْوِبَة أَسْئِلته التي كَتَبَهَا إِلَيْه
وَفِيهِ فَوَائِدُ ضَرُورِيَّةٌ نَافِعَةٌ فِي التَّسْلِيمِ لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ

أَسْعَدَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِسَعَادَةِ الإِيمَانِ بِهَذِهِ الطَّائِفَةِ. قَدْ وَصَلَ الكِتَابُ الذي أَرْسَلَتَهُ مُشْتَمِلاً عَلَى أَسْئِلة، وَالسُّؤَالُ الذي فِيهِ رَائِحَةُ التَّعَنُّتِ وَالتَّعَصُّبِ وَإِنْ كَانَ لاَ يَسْتَحِقُّ الجَوَابَ وَلَكِنْ نَتَصَدَّى عَلَى جَوَابِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّنَزُّلِ فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْ شَخْصًا لَعَلَهُ يَنْفَعُ آخَرَ.

السُّؤَالُ الأَوَّلُ مَا السَّبَبُ فِي كَثْرَةِ ظُهُورِ الكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ العَادَاتِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ وَقِلة ظُهُورِهَا مِنْ أَكَابِرِ هَذَا الزَّمَانِ ؟ فَإِنْ كَانَ المَقْصُودُ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ نَفْيَ أَكَابِرِ هَذَا الزَّمَانِ بِوَاسِطَةِ قِلة ظُهُورِ الخَوَارِقِ مِنْهُمْ، كَمَا هُوَ المَفْهُومُ مِنْ فَحْوَى العِبَارَةِ فَالعِيَاذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ تَسْوِيلاَتِ الشَّيْطَانِ. فَإِنَّ ظُهُورَ الخَوَارِقِ لَيْسَ مِنْ أَرْكَانِ الوِلاَيَةِ وَلاَ مِنْ شَرَائِطِهَا بِخِلاَفِ المُعْجِزَةِ مِنَ النَّبِيِّ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – فَإِنَّهَا مِنْ شَرَائِطِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّ ظُهُورَ الخَوَارِقِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى شَائِعٌ ذَائِعٌ قَلَمَا يَتَخَلفُ عَنْهُمْ. وَلَكِنَّ كَثْرَةَ ظُهُورِ الخَوَارِقِ لاَ تَدُلُ عَلَى الأَفْضَلِيَّةِ، فَإِنَّ التَّفَاضُلَ هُنَاكَ بِاعْتِبَارِ دَرَجَاتِ القُرْبِ الإِلهِيِّ – جَلَ سُلطَانُهُ –، بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ظُهُورُ الخَوَارِقِ مِنَ الوَلِيِّ الأَقْرَبِ أَقَلَ وَمِنَ الأَبْعَدِ أَكْثَرُ. أَلاَ تَرَى أَنَّ الخَوَارِقَ التي ظَهَرَتْ مِنْ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَمْ يَظْهَرْ عُشْرُ عَشِيرَةٍ مِنَ الأَصْحَابِ الكِرَامِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مَعَ أَنَّ أَفْضَلَ الأَوْلِيَاءِ لاَ يَبْلُغُ مَرْتَبَةَ أَدْنَى الصَّحَابَةِ. فَالنَّظَرُ إِلَى ظُهُورِ الخَوَارِقِ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ وَدَلِيلٍ عَلَى قُصُورِ الاسْتِعْدَادِ التَّقْلِيدِيِّ، وَالمُسْتَحِقُّ لِقَبُولِ فُيُوضِ النُّبُوَّةِ وَالوِلاَيَةِ جَمَاعَةٌ غُلِبَ فِيهِمُ الاسْتِعْدَادُ التَّقْلِيدِيُّ عَلَى قُوَّتِهِمُ النَّظَرِيَّةِ وَالصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ اسْتِعْدَادِهِ التَّقْلِيدِيِّ لَمْ يَحْتَجْ فِي تَصْدِيقِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى قَوْلِ لَمَ أَصْلاً وَأَبُو جَهْلِ اللعِينُ بِوَاسِطَةِ قُصُورِ هَذَا الاسْتِعْدَادِ فِيهِ لَمْ يَتَشَرَّفْ بِتَصْدِيقِ النُّبُوَّةِ مَعَ وُجُودِ ظُهُورِ آيَاتٍ بَاهِرَةٍ وَمُعْجِزَاتٍ قَاهِرَةٍ وَقَالَ اللهُ فِي شَأْنِ هَؤُلاَءِ المُنْكِرِينَ المَحْرُومِينَ " وَإِنْ يَرَوْا كُلَ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ

يُجَادِلونَك يَقُول الذينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ " عَلى أَنَّا نَقُول: إنَّ ظُهُورَ الخَوَارِق لَمْ يُنْقَل مِنْ أَكْثَرِ المُتَقَدِّمِينَ فِي طُولِ عُمْرِهِمْ أَزْيَدَ مِنْ خَمْسَة أَوْ ستَّة خَوَارِقَ حَتَّى أَنَّ الجُنَيْدَ سَيِّدَ هَذه الطَّائفَة لَمْ يُدْرَ هَل نُقِل عَنْهُ عَشَرَةُ خَوَارِقَ أَوْ لاَ، وَلَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالَ كَلِيمه عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِقَوْله عَزَّ مِنْ قَائل " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَات بَيِّنَات " وَمِنْ أَيْنَ يُعْلَمُ عَدَمُ ظُهورِ أَمْثَال هَذه الخَوَارِق مِنْ مَشَائخ هَذَا الوَقْت بَل لأَوْلِيَاء اللهِ تَعَالى مُتَقَدِّميهِمْ وَمُتَأَخِّريهِمْ فِي كُلِّ سَاعَة ظُهُورُ خَوَارِقَ يَعْرِفُهَا المُدَّعِي أَمْ لاَ. شعْرٌ.

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفْقِ طَالِعَةً أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

وَالثَّانِي أَنَّهُ هَل يَكُونُ لإِلْقَاء الشَّيْطَان دَخْل فِي كَشْف الطَّالبينَ الصَّادقينَ وَشُهُودهمْ فَإِنْ كَانَ فَبِمَاذَا يُعْلَمُ وَيَتَّضِحُ أَنَّهُ كَشْفٌ شَيْطَانِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَمَا السَّبَبُ فِي وُجُود الغَلَط فِي بَعْض الأُمُور المُلهَمَة وَالجَوَابُ اللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَاب لاَ أَحَدَ مَحْفُوظٌ مِنْ إلْقَاء الشَّيْطَان كَيْفَ وَإِذَا كَانَ ذَلكَ مُتَصَوَّرًا فِي الأَنْبِيَاء بَل مُتَحَقِّقًا فَبِالطَّرِيق الأَوْلَى أَنْ يَكُونَ فِي الأَوْلِيَاء وَمَنْ هُوَ الطَّالبُ الصَّادقُ بَعْدُ.

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ الأَنْبِيَاءَ يُنَبَّهُونَ عَلى هَذَا الإلْقَاء وَيُمَيِّزُ البَاطِل منَ الحَقِّ قَوْله تَعَالى (فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يَلقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاته) تَنْبِيهٌ دَالَ عَلى هَذَا المَعْنَى وَلَيْسَ هَذَا التَّنْبِيه بلاَزم فِي الأَوْلِيَاء فَإِنَّهُمْ تَابِعُونَ للنَّبِيِّ فَكُلَمَا وَجَدُوهُ عَلى خلاَف مَا جَاءَ به النَّبِيُّ يَرُدُّونَهُ وَيَرَوْنَ بُطْلاَنَهُ وَأَمَّا فِي صُورَة سَكَتَتْ عَنْهَا الشَّرِيعَةُ وَلَمْ تَحْكُمْ بِإِثْبَاتهَا وَنَفْيهَا فَامْتِيَازُ الحَقِّ عَنِ البَاطِل فِيهَا بِطَرِيق القَطْعِ مُشْكِل فَإِنَّ الإِلْهَامَ ظَنِّيٌّ وَلَكِنْ لاَ يَتَطَرَّقُ القَوْل إلى الوِلاَيَة بِسَبَب عَدَم ذَلكَ الامْتِيَاز أَصْلاً فَإِنَّ إِتْيَانَ أَحْكَام الشَّرِيعَة وَمُتَابَعَةَ النَّبِيِّ مُتَكَفَّل بِنَجَاة الدَّارَيْنِ وَالأَمْرُ المَسْكُوتُ عَنْهُ زَائدٌ عَلى الشَّرِيعَة وَنَحْنُ لَمْ نُكَلفْ بِالأُمُور الزَّائدَة.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الغَلطَ فِي الكَشْف غَيْرُ مُنْحَصِر فِي إلْقَاء شَيْطَانِيٍّ فَإِنَّهُ رُبَّمَا يُتَخَيَّل أَحْكَامٌ غَيْرُ صَادقَة فِي القُوَّة المنحيلة لاَ مَدْخَل للشَّيْطَان فِيهَا أَصْلاً وَمِنْ هَذَا القَبِيل رُؤْيَةُ النَّبِيِّ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ـــ فِي المَنَام وَالآخذُ عَنْهُ بَعْضَ الأَحْكَام ممَّا أَلْحَقَ فِي الحَقِيقَة خلاَفُ تلكَ الأَحْكَام وَالحَال أَنَّ إلْقَاءَ الشَّيْطَان غَيْرُ مُتَصَوَّر فِي تلكَ الصُّورَة فَإِنَّ مُخْتَارَ العُلَمَاء أَنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّل بِصُورَة خَيْر البَشَر عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى أَيِّ صُورَة يُرَى فَلَيْسَ فِي تلكَ الصُّورَة إلاَّ

تَصَرُّفُ المُتَخَيَّلة بِإلقَاء غَيْر الواقعيِّ وَاقعيًّا وَثَالثٌ أَنَّ التَّصَرُّفَ بطَرِيق الكَرَامَة وَالتَّصَرُّف بطَرِيق الاسْتِدْرَاجِ مُتَسَاوِيَان فِي بَادِي النَّظَرِ فَكَيْفَ يَعْرِفُ المُبْتَدي أَنَّ هَذَا وَليٌّ صَاحبُ كَرَامَة وَذَاكَ مُدَّعٍ كَذَّابٌ صَاحبُ اسْتدْرَاجٍ الجَوَابُ وَاللهُ أَعْلَمُ بالصَّوَاب أَنَّ الدَّلِيل فِي هَذه التَّفْرِقَة وَاضحٌ للطَّالب المُبْتَدي وَهُوَ وِجْدَانُهُ الصَّحِيحَ فَإِنَّهُ إِنْ وَجَدَ قَلْبَهُ مَائلاً وَمُنْجَذبًا إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَحَاضرًا مَعَهُ تَعَالى فِي صُحْبَته فَليَعْلَمْ أَنَّهُ وَليٌّ صَاحبُ كَرَامَة وَإِنْ وَجَدَ خلاَفَ ذَلكَ فَلْيُتَيَقنْ أَنَّهُ مَدَى كَذَّابٌ صَاحبُ اسْتدْرَاجٍ فَإِنْ كَانَ فِي ذَلكَ خَفَاءٌ فَإِنَّمَا هُوَ النِّسْبَةُ إِلى العَوَامِّ كَالأَنْعَام دُونَ الطَّالبينَ وَالخَفَاءُ عَلى العَوَامِّ سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار عنْدَ الخَوَاصِّ فَإِنَّ مَنْشَأَهُ مَرَضُ القَلب وَغشَاوَةُ البَصَر.وَكَمْ منْ شَيْءٍ خَفيَتْ عَلى العَوَامِّ علمُهَا أَشَدُّ ضَرُورَةً منْ إِدْرَاك هَذه التَّفْرِقَة وَلَنَخْتمْ هَذَا المَكْتُوبَ ببَعْض المَعَارف الذي يَنْفَعُك فِي إِزَالة مثْل هَذه الشُّكُوك وَالشُّبَهَات اعْلمْ أَنَّ التَّخَلقَ بأَخْلاَق اللهِ الذي هُوَ مَأْخُوذٌ فِي الوِلاَيَة يَعْني دَاخلاً فيهَا هُوَ أَنْ يَحْصُلَ للأَوْليَاء صفَاتٌ مُنَاسبَةٌ لصفَات الوَاجب تَعَالى وَلَكنْ تَكُونُ المُنَاسَبَةُ فِي الاسْمِ وَالمُشَارَكَةُ فِي عُمُومِ الصِّفَات لاَ فِي خَوَاصِّ المَعَاني فَإِنَّ ذَلكَ مُحَال وَمُسْتَلزِمٌ لقَلب الحَقَائق قَالَ الخواجهْ مُحَمَّدٌ بَارسَا - قُدِّسَ سرُّهُ - فِي تَحْقيقَاته فِي مَقَام بَيَان تَخَلقُوا بأَخْلاَق اللهِ: وَالصِّفَةُ الأُخْرَى المَلكُ وَيَعْني المَلكَ المُتَصَرِّفَ فِي الكُل وَالسَّالكَ، وَإِنْ كَانَ متصَرِّفًا فِي نَفْسه وقادرًا عَلى قَهْرهَا وَكَانَ تَصَرُّفُهُ نافذًا فِي القُلوب يَكُونُ مَوصوفًا بهَذه الصِّفَة وَالصِّفَةُ الأُخْرَى السَّميعُ فَإِنَّ سَمعَ السَّالكُ الكَلاَمَ الحَقَّ وَقَبلهُ مَنْ كُل أَحَد منْ غَيْر اسْتنْكَاف وَفَهمَ الأَسْرَارَ الغَيْبيَّةَ وَالحَقَائقَ الرَّبْبيَّة بسَمْع رُوحه يَكُونُ مَوْصُوفًا بهَذه الصِّفَة وَالصِّفَةُ الأُخْرَى البَصيرُ فَإِنْ كَانَ بَصَرُ بَصيرَة سَالك الطَّريق بَصيرا أَوْ رَأَى جَميعَ عُيُوب نَفْسه بنُور الفرَاسَة وَشَاهَدَ كَمَال غَيْره يَعْني اعْتَقَدَ أَنَّ كُل أَحَد أَفْضَل منْهُ وَكَانَ كَوْنُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بَصيرًا مَنْظُورًا فِي نَظَره بحَيْثُ يَعْمَل كُلمَا يَعْمَلهُ عَلى وَجْه يَكُونُ مُوجبًا لقَبُول الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَكُونُ مَوْصُوفًا بهَذه الصِّفَة وَالصِّفَةُ الأُخْرَى المُحْيي فَإِنْ قَامَ سَالكُ الطَّريق بإِحْيَاء السُّنَّة المَتْرُوكَة يَكُونُ موصُوفًا بهَذه الصِّفَة وَالصِّفَةُ الأُخْرَى المُميتُ فَإِنْ مَنَعَ السَّالكُ البدْعَات التي اسْتَعْمَلوهَا مَكَانَ السُّنَّة يَكُونُ مَوْصُوفًا بهَذه الصِّفَة وَعَلى هَذَا القيَاس سَائرُ الصِّفَات.

وَفَهمَ العَوَامُّ فِي مَعْنَى تَخَلقُوا بأَخْلاَق اللهِ شَيْئًا آخَرَ فَلاَ جَرَمَ وَقَعُوا فِي تيه

الضَّلالة وَزَعَمُوا أَنَّ المَوْلى لاَ بُدَّ لهُ منْ إحْيَاءِ الجَسَد المَيِّت وَأَنْ يَنْكَشفَ لهُ أَكْثَرُ المُغَيَّبَات وَأَمْثَال ذَلكَ وَهُوَ كَمَا تَرَى منَ الظُّنُون الفَاسدَة إنْ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ وَأَيْضًا أَنَّ الخَوَارقَ غَيْرُ مُنْحَصرَة في الإحْيَاء وَالإمَاتَة فَإنَّ العُلومَ وَالمَعَارفَ الإلهَاميَّةَ منْ أَعْظَم الآيَات وَأَرْفَعَ الخَوَارق وَلهَذَا كَانَ مُعْجزَةُ القُرْآن العَظيم أَقْوَى وَأَبْقَى في سَائر المُعْجزَات يَنْبَغي أَنْ يُمْعنَ النَّظَرَ منْ أَيْنَ تَحْصُلُ هَذه العُلومُ وَالمَعَارفُ التي تُفَاضُ كَمَطَر الرَّبيع وَهَذه العُلومُ مَعَ كَثْرَتهَا مُوَافقَةٌ للعُلُوم الشَّرْعيَّة بالتَّمَام لاَ مُخَالفَةَ بَيْنهمَا مقْدَارَ شَعْرَة وَهَذه الخُصُوصيَّةُ عَلاَمَةُ صحَّة وَقَدْ كَتَبَ حَضْرَةُ شَيْخنَا - قُدِّسَ سرُّهُ - أَنَّ عُلومَك كُلَّهَا صَحيحَةٌ وَلكنْ مَا الفَائدَةُ فَإنَّ كَلاَمَ حَضْرَة شَيْخنَا لاَ يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْكُمْ وَإنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ مُنْقَادُونَ إلى الشَّيْخ وَمَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ منْ ذَلكَ.

وأَسْئلَتك هَذه وَإنْ كَانَتْ ثَقيلةً أَوَّلاً وَلكنْ لَّما كَانَتْ بَاعثَةً عَلى ظُهُور هَذه العُلوم وَالمَعَارف كَانَتْ حَسَنَةً في الآخر. شعْرٌ.

هيچ زشتى نيست كورا خوبئى همراه نيست زنكى شب رنك رادندان وَدَرَّ كَوّ هَرَسَتْ

تَرْجَمَة

وَمَا منْ قَبيح ليْسَ فيه مَلاَحَةٌ أَلَمْ تَرَ سَنَّ الزِّنْج كَالشُّهُب في الدُّجَى

وَالعَجَبُ أَنَّك أَظْهَرْتَ في المَكْتُوب السَّابق إخْلاَصًا كَثيرًا وَزَعَمْتَ أَنَّ سَبَبَهُ ظُهُورُ وَاقعَتَيْن مُتَعَاقبَتَيْن وَكَتَبْتَ أَنَّ أَثَرَهُمَا يُوجَدُ في الإقَامَة أَيْضًا عَلى حَدٍّ تَحَقَّقَتْ النَّدَامَةُ عَلى الوَضْع السَّابق بالتَّمَام وَأَلْجَأَتَا إلى التَّوْبَة وَالإنَابَة وَتَجْديد الإيمَان وَلَمْ يَمْضِ عَلى ذَلكَ شَهْرٌ وَاحدٌ حَتَّى فُهمَ منْك التَّغَيُّرُ عَنْ هَذَا الوَضْع وَحَصَلَ الانْتقَال وَالتَّحَوُّل إلى الوَضْع السَّابق برُجُوع القَهْقَرَى حَتَّى صرْتَ في أبدأ وَجْهًا لهَاتَيْن الوَاقعَتَيْن يَنْجَرُّ إلى أَنَّهُمَا كَانَتَا بإلْقَاء الشَّيْطَان أَوْ بغَلَط الكَشْف فَمَا ذَاكَ وَمَا هَذَا. شعْرٌ.

تَقُول فُلاَنٌ يَفْعَل الشَّرَّ قُلتُ لاَ يَضُرُّ عَلَيْنَا بَل عَلَيْه وَبَالُهُ

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ والتَّسْليماتُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالمِائَةُ
إلى السَّيِّد أَحْمَدَ
في بَيَان أَنَّ النُّبُوَّةَ أَفْضَل منَ الولاَيَة
عَلى عَكْسِ مَا قِيل إنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل مِنَ النُّبُوَّةِ

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ وَجَميعَ المُسْلمينَ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمات أَكْمَلهَا - قَال بَعْضُ المَشَايخ وَقْتَ السُّكْر: إنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة وَأَرَادَ بَعْضُهمْ بهَذه الولاَيَة ولاَيَةَ النَّبيِّ ليَرْتَفعَ وَهُمْ أَفْضَليَّةُ الوَليِّ منَ النَّبيِّ وَلكنَّ الأَمْرَ عَلى العَكْس في الحَقيقَة فَإنَّ نُبُوَّةَ نَبيٍّ أَفْضَل منْ ولاَيَته وَفي الولاَيَة إنَّمَا لاَ يُمْكنُ التَّوَجُّهُ إلى الخَلق منْ ضيق الصَّدْر وَفي النُّبُوَّة تَمَامُ انْشرَاح الصَّدْر بحَيْثُ لاَ يَكُونُ التَّوَجُّهُ إلى الحَقِّ مَانعًا منَ التَّوَجُّه إلى الخَلق وَلاَ التَّوَجُّهُ إلى الخَالق مَانعًا منَ التَّوَجُّه إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَليْسَ التَّوَجُّهُ في النُّبُوَّة إلى الخَلق فَقَطْ حَتَّى تَتَرَجَّحَ الولاَيَةُ بسَبَبه عَليْهَا لكَوْن التَّوَجُّه فيهَا إلى الحَقِّ عياذًا بالله سُبْحَانَهُ منْ هَذَا الكَلاَم فَإنَّ التَّوَجُّهَ إلى الخَلق وَحْدَهُ مَرْتَبَةُ العَوَامِّ كَالأَنْعَام وَشَأْنُ النُّبُوَّة أَعْلى وَأَجَل منْ ذَلكَ وَفَهْمُ هَذَا المَعْنَى إنْ كَانَ عَسيرًا فَإنَّمَا هُوَ بالنِّسْبَة إلى أَرْبَاب السُّكْر وَأَمَّا الأَكَابرُ مُستقيمو الأَحْوَال فَهُمْ مُمْتَازُونَ بمَعْرفَة ذَلكَ، (ع):

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا

وَبَقيَّةُ المَقْصُود أَنَّ الشَّيْخَ مَيَّانَ عَبْد الله ابْن الشَّيْخ مَيَّانَ عَبْد الرَّحيم لهُ قَرَابَةٌ قَريبَةٌ لهَذَا الفَقير وَكَانَ وَالدُهُ مُلاَزمًا لبهَادر خَانَ مُدَّةً كَثْرَةً وَلهُ احْتيَاجٌ وَهُوَ مَعْذُورٌ عَاجزٌ عَن الكَسْب لكَوْنه ضَريرًا وَقَدْ أَرْسَل ابْنَهُ ليَكُونَ عنْدَ بهَادر خَان فَإنْ صَدَرَتْ منْ ذَلكَ الجَانب أَيْضًا إشَارَةٌ في هَذَا البَاب لكَانَ حَسَنًا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالمِائَةُ
إلى الحَكِيمِ صَدْرٍ
في بَيَانِ سَلاَمَةِ القَلْبِ
وَنِسْيَانِه مَا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ

اعْلـــــمْ: أَنَّ أَهْلَ اللهِ أَطِبَّاءَ الأَمْرَاضِ القَلبيَّة، وَإِزَالة العلل البَاطنيَّة مَنُوطَةٌ بتَوَجُّه هَؤُلاَءِ الأَكَابِر، كَلاَمُهمْ دَوَاءٌ وَنَظَرُهمْ شفاءٌ هُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَليسُهُمْ وَهُمْ جُلسَاءُ اللهِ بِهِمْ يُمْطَرُونَ وَبِهِمْ يُرْزَقُونَ وَرَأْسُ الأَمْرَاضِ القَلبيَّة وَرَئِيسُ العلل البَاطنيَّة هُوَ تَعَلقُ القَلبِ وَارْتِبَاطُهُ بِمَا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَمَا لَمْ يَتَيَسَّرْ التَّخَلصُ مِنْ هَذَا التَّعَلقِ بالتَّمَامِ فَالسَّلاَمَةُ مُحَال فَإِنَّهُ لاَ مَجَال للشَّرِكَة فِي جَنَاب الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - أَلاَ للهِ الدِّينُ الخَالصُ فَكَيْفَ إِذَا جَعَل الشَّرِيكَ غَالبًا وَجَعَل مَحَبَّةَ غَيْرِ الحَقِّ غَالبَةً عَلى مَحَبَّته تَعَالى عَلى نَهْجٍ تَكُونُ مَحَبَّتُه تَعَالى مَعْدُومَةً فِي جَنْبـــها أَوْ مَغْلوبَةً غَايَةَ الوَقَاحَة وَنَهَايَةَ عَدَمِ الحَيَاءِ وَلعَل المُرَادَ مِنَ الحَيَاءِ فِي قَوْله عَلَيْه السَّلاَمُ " الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَان " هُوَ هَذَا الحَيَاءُ وَعَلاَمَةُ عَدَمِ تَعَلقِ القَلبِ بِمَا سِوَاهُ تَعَالى نِسْيَانُه إِيَّاهُ بِالكُلِّيَّة وَذُهُوله عَنْهُ

جُمْلةً عَلى وَجْه لوْ كُلفَ بتَذَكُّرِ الأَشْيَاءِ لَمَا تَذَكَّرَ فَكَيْفَ يَكُونُ لتَعَلقِ القَلبِ بالأَشْيَاءِ مَجَال فِي ذَلكَ المَوْطِنِ وَهَذه الحَالةُ مُعَبَّرَةٌ عَنْهَا عنْدَ أَهْلِ اللهِ بالفَنَاءِ وَهُوَ أَوَّل قَدَمٍ يُوضَعُ فِي الطَّرِيقَةِ وَمَبْدَأُ ظُهُورِ أَنْوَارِ القَدَمِ وَمَنْشَأُ وُرُودِ المَعَارِفِ وَالحُكْمِ وَبِدُونِهَا خَرْطُ القَتَادِ.

المَكْتُوبُ العَاشِرُ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ صَدْرِ الدِّين
فِي بَيَان أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ خَلقِ الإِنْسَان أَدَاءُ وَظَائف السُّلوك وَكَمَال الإِقْبَال عَلى جَنَاب الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى

بَلغَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى إلى مُنْتَهى نهَايَة أَرْبَاب الكَمَال وَاعْلمْ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ خَلقِ الإِنْسَان هُوَ أَدَاءُ وَظَائف العُبُودِيَّة وَدَوَامُ الإِقْبَال عَلى جَنَاب الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذَا المَعْنَى لاَ يَتَيَسَّرُ بدُون التَّحَقُّق بكَمَال اتِّبَاع سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخَرينَ عَلَيْه منَ الصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمنَ التَّحيَّات أَيمنُهَا ظَاهرًا وَبَاطنًا رَزَقنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ كَمَال مُتَابَعَته ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ قَوْلاً وَفعْلاً ظاهرًا وَبَاطنًا عَملاً وَاعْتقَادًا آمينَ يَا رَبَّ العَالمينَ. شعْرٌ.

وَمَا اتَّخَذُوا غَيْرَ الإِله فَبَاطل فَتَعْسًا لَمَنْ يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطلاً

وَكُل مَا هُوَ مَطْلوبٌ غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْصُودٌ فَهُوَ مَعْبُودٌ وَإِنَّمَا تَحْصُل النَّجَاةُ منْ عبَادَة غَيْر الحَقِّ سُبْحَانَهُ إِذَا لَمْ يَبْقَ غَيْرَ الحَقِّ مَقْصُودٌ - جَل وَعَلاَ - وَإِنْ كَانَ ذَلكَ الغَيْرُ منَ المَقَاصد الأُخْرَوِيَّة وَتَنَعُّمَات الجَنَّة فَإِنَّ المَقَاصدَ الأُخْرَوِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ منَ الحَسَنَات لكنَّهَا عنْدَ المُقَرَّبينَ منْ جُمْلة السَّيِّئَات فَإِذَا كَانَ حَال أُمُور الآخرَة عَلى هَذَا المنْوَال مَا تَقُول فِي الأُمُور الدُّنْيَوِيَّة فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بحَيْثُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلقَهَا وَحُبُّهَا رَأْسُ كُل خَطيئَة وَطُلاَّبُهَا مُسْتَحقُّونَ للطَّرْد وَاللعْن: " الدُّنْيَا مَلعُونَةٌ وَمَلعُونٌ مَا فيهَا إِلاَّ ذكْرَ اللهِ تَعَالى "(١) نَجَّانَا اللهُ تَعَالى منْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا بحُرْمَة حَبيبه مُحَمَّد سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخَرينَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ـــ أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه عن أبي هريرة وزاد وما والاه وعالم أو متعلم وأخرجه أبو نعيم والضياء المقدسى من حديث جابر بلفظ إلا ما كان منها لله عز وجل وإسناده حسن والأول رواه الطبرانى أيضا من حديث ابن مسعود ولفظه عالما ومتعلما ورواه البزار أيضا من هذا الطريق بلفظ إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وذكر الله ورواه الطبرانى في الكبير من حديث أبي الدرداء بلفظ إلا ما ابتغى به وجه الله قال منذر إسناده لا بأس به من شرح الإحياء مختصرا.

المَكْتُوبُ الحادي عَشَرَ وَالمائَةُ
إلى الشَّيْخِ أَحْمَدَ السنبهلي
فِي بَيَانٍ أَنَّ التَّوْحِيدَ عِبَارَةٌ عَنْ تَخْلِيصِ القَلبِ عَمَّا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ التَّوْحيدَ عِبَارَةٌ عَنْ تَخْلِيصِ القَلبِ عَنِ التَّوَجُّه إلى مَا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَا دَامَ القَلبُ مُتَعَلقًا بِمَا سِوَاهُ تَعَالى وَإِنْ كَانَ أَقَل قَلِيل لاَ يَكُونُ صَاحِبُهُ مِنْ أَرْبَاب التَّوْحيد وَمُجَرَّدُ قَوْل التَّوْحيد وَاعْتِقَادُ التَّوْحيد مِنَ الفُضُول عِنْدَ أَرْبَاب الفَضَائل نَعَمْ لاَ بُدَّ مِنَ القَوْل بالتَّوْحيد وَاعْتِقَادُ التَّوْحيد الذي هُوَ مُعْتَبَرٌ فِي التَّصْديق وَالإِيمَانُ لكنَّهُ بِمَعْنًى آخرَ وَالفَرْقُ بَيْنَ لاَ مَعْبُودَ إِلاَّ اللهُ وَبَيْنَ لاَ مَوْجُودَ إِلاَّ اللهُ بَيِّنٌ وَتَصْديقُ الإِيمَان علميٌّ وَالإِدْرَاكُ الوجْدَانيُّ حَالةٌ وَالتَّكَلمُ به قَبْل حُصُول الحَال مَحْظُورٌ وَتَكَلمُ طَائفَة مِنَ المَشَايخ فِي هَذَا البَاب لاَ يَخْلو عَنْ أَحَد أَمْرَيْن إِمَّا أَنَّهُمْ فِي ذَلكَ مَعْذُورُونَ لكَوْنهمْ تَحْتَ غَلَبَة الحَال مَسْتُورينَ أَوْ كَانَ مَقْصُودُهمْ مِنْ كتَابَة الأَحْوَال وَإِظْهَارِهَا كَوْنُهَا مَحَطًّا وَمعْيَارًا لأَحْوَال غَيْرِهمْ ليَعْرِفُوا بِهَا اسْتِقَامَةَ أَحْوَالِهمْ وَاعْوجَاجَهَا وَإِلاَّ فَإِنْشَاءُ الأَسْرَار بِدُون حُصُول هَذه الدَّوْلة مَمْنُوعٌ جَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ نُبْذَةً مِنْ أَحْوَال أَرْبَاب الكَمَال نَصيبًا لأَمْثَالنَا المُدْبِرينَ وَرَزَقَنَا الاسْتِقَامَةَ عَلى مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنِّيَّة المُصْطَفَوِيَّة عَلى مَصْدَرِهَا الصلاةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ بِحُرْمَة النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ.

وَبَقِيَّةُ التَّصْديع أَنَّ حَامل رُقَيْمَة الدُّعَاء الشَّيْخَ الحَافظَ مَيَّانَ عَبْدَ الفَتَّاح مِنْ أَوْلاَد الكبَار وَكَثير العيَال خُصُوصًا البَنَاتَ وَاضْطَرَّتْهُ قلةُ أَسْبَاب المَعيشَة إِلى أَنْ يُوصِّل نَفْسَهُ إِلى بَاب الكرَام وَالمَرْجُوُّ وُصُوله إِلى مَا قَصَدَهُ وَرَامَ يَعْني بِيُمْنِ التِفَاتكُمْ الخَاصِّ بِهِ وَالعَامِّ وَالزِّيَادَةُ عَنْ ذَلكَ تَصْديعٌ.

المَكْتُوبُ الثَّاني عَشَرَ وَالمائَةُ
إلى الشَّيْخِ عَبْد الجَلِيل
فِي بَيَانِ أَنَّ المَدَارَ فِي التَّحْقِيقِ عَلى عَقَائد أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ
... ... إِلَخْ

حَقَّقْنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى شَأْنُهُ وَأَمْثَالَنَا المُفْلسينَ بحَقيقَة مُعْتَقَدَات أَهْل الحَقِّ يَعْني أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَجَعَل التَّوْفيقَ للأَعْمَال المَرْضيَة نَقْدُ الوَقْت وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بالأَحْوَال التي هِيَ ثَمَرَاتُ هَذِهِ الأَعْمَال وَجَذْبَةٌ إلى جَنَابِ قُدْسِهِ بالتَّمَامِ وَالكَمَال، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والباقي منَ البَعْث

فَإِنَّ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدَ الحَاصلةَ بدُون التَّحَقُّق بمُعْتَقَدَات هَذه الفرْقَة النَّاجيَة لاَ أَعُدُّهَا شَيْئًا سوَى الاسْتدْرَاج وَمَا أَظُنُّهَا غَيْرَ الخذْلاَن وَالحرْمَان فَإِنْ أَعْطَيْنَا مَعَ دَوْلة الاتِّبَاع لهَذه الفرْقَة النَّاجيَة شَيْئًا نَكُنْ مَمْنُونينَ وَنَجْتَهدُ في أَدَاء شُكْره وَإِنْ أَعْطينَا هَذَا الاتِّبَاعَ فَقَطْ وَلَمْ نُعْطَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدَ أَصْلاً لاَ نَغْتَمُّ وَلاَ نَحْزَنُ بَل نَرْضَى به وَنَقُول هَذَا أَوْلى وَأَحْسَنُ وَمَا ظَهَرَ منْ بَعْضِ المَشَايخِ قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ وَقْتَ غَلَبَة الحَال وَالسُّكْر منْ بَعْضِ العُلوم وَالمَعَارف المُنَافيَة لآرَاء أَهْل الحَقِّ الصَّائبَة لَمَا كَانَ مَنْشَؤُهَا كَشْفًا فَهُمْ معذورونَ في ذَلكَ وَنَرجو أَنْ لاَ يُؤَاخَذُوا بذَلكَ يَوْمَ القيَامَة بَل لَهُمْ حُكْمُ المُجْتَهد المُخْطئ فَيَكُونُ لهُ أَجْرٌ وَاحدٌ وَالحَقُّ في جَانب عُلمَاء أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ فَإِنَّ عُلومَ العُلمَاء مُقْتَبسَةٌ منْ مشْكَاة النُّبُوَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ المُؤَيَّدَةُ بالوَحْي القَطْعيِّ وَمُسْتَنَدُ مَعَارف الصُّوفيَّة الكَشْفُ وَالإلهَامُ اللذَان للخَطَأ سَبيل فيهمَا وَعَلاَمَةُ صحَّة الكَشْف وَالإلهَام مُطَابَقَتُهمَا بعُلوم عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة فَإِنْ وَقَعَتْ المُخَالفَةُ وَلَوْ مقْدَارَ شَعْرَة فَخَارجٌ منْ دَائرَة الصَّوَاب هَذَا هُوَ العلمُ الصَّحيحُ وَالحَقُّ الصَّريحُ فَإذَا بَعْدَ الحَقِّ إلاَّ الضَّلال رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتقَامَةَ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ ظَاهرًا وَبَاطنًا عَملاً وَاعْتقَادًا عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمنَ التسليمات أَفْضلهَا وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى.

المَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إلى جَمَال الدِّين حُسَيْن
في بَيَان الفرَق بَيْنَ جَذْبَة المُبْتَدئ وَبَيْنَ جَذْبَة المُنْتَهي
وَأَنَّ مَشْهُودَ المَجْذُوبينَ في الابْتدَاء ليْسَ إلاَّ الرُّوحَ
التي هيَ فَوْقَ مَقَام القَلب
وَإنَّهُمْ يَتَخَيَّلونَ أَنَّ ذَلكَ الشُّهُودَ شُهُودُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ الانْجذَابَ وَالانْجرَارَ لاَ يَكُونُ إلاَّ إلى مَقَام هُوَ فَوْقَ مَقَام السَّالك لاَ إلى مَا فَوْقَ مَقَامه وَكَذَا الحَال في الشُّهُود وَنَحْوه فَليْسَ للمَجْذُوبينَ الذينَ لاَ سُلوكَ لَهُمْ بَعْدَ بَل لَهُمْ في مَقَام القَلب انْجذَابٌ إلى مَقَام الرُّوح الذي فَوْقَ مَقَام القَلب وَالانْجذَابُ الإلهيُّ إنَّمَا هُوَ في جَذْبَة المُنْتَهي التي لاَ مَقَامَ فَوْقَهَا وَأَمَّا جَذْبَةُ البدَايَة فَليْسَ المَشْهُودُ فيهَا إلاَّ الرُّوحَ المَنْفُوخَ يَعْني في آدَمَ عَليْه السَّلاَمُ وَلَمَّا كَانَتْ الرَّوْحُ مَخْلوقَةً عَلى صُورَة أَصْله إنَّ الله خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته اعْتَقَدُوا شُهُودَ الرُّوح شُهُودَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَحَيْثُ كَانَتْ للرُّوح مُنَاسَبَةٌ قَليلَةٌ مَعَ عَالم الأَجْسَام أَطْلَقُوا عَلى ذَلكَ الشُّهُود أَحْيَانًا شُهُودَ الأُحَديَّة في الكَثْرَة وَأَحْيَانًا قَالوا بالمَعيَّة.

وَشُهُودُ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - لاَ يُتَصَوَّرُ بدُون حُصُول الفَنَاء المُطْلق الذي يَتَحَقَّقُ في نهَايَة السُّلوك. شعْرٌ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ في حُبِّ مَوْلاَهُ فَانيًا فَليْسَ لهُ في كبْرِيَاءَ سَبيل

وَليْسَ لهَذَا الشُّهُود مَسَاسٌ بالعلم أَصْلاً وَالفَرْقُ بَيْنَ الشُّهودَيْن أَنَّهُ لوْ كَانَتْ لهُ مُنَاسَبَةٌ بالعَالم بوَجْه منَ الوُجُوه فَليْسَ هُوَ شُهُودُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإنْ انْتَفَتْ المُنَاسَبَةُ أَصْلاً فَهُوَ عَلاَمَةُ الشُّهُود الإلهيِّ - جَل وَعَلاَ - وَإطْلاَقُ الشُّهُود هُنَا إنَّمَا هُوَ بوَاسطَة ضيق العبَارَة وَإلاَّ فَالنِّسْبَةُ لاَ مثْليَّةَ وَلاَ كَيْفيَّةَ كَالمُنْتَسب إليْه لاَ يَحْمل عَطَايَا المَلك إلاَّ مَطَايَاهُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إلى الصُّوفِيِّ قُرْبَانَ
في التَّحْرِيضِ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتسليماتُ

شَرَّفَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وأمثالَنَا المُفْلسينَ العَاجزينَ المُقْعَدينَ بدَوْلة اتِّبَاع سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخَرينَ الذي أَبْرَزَ كَمَالاَته الأسمَائيَّةَ والصفاتيَّةَ في طُفَيْل مَحَبَّته إلى عَرْصَة الظُّهُور وَجَعْلهُ أَفْضَلَ جَميع الكَائنَات عَلَيْه منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَرَزَقَنَا الاسْتقَامَةَ عَلَيْه فَإنَّ ذَرَّةً منْ هَذه المُتَابَعَة المَرْضيَّة أَفْضَل منْ جَميع التلذُّذات الدُّنْيَويَّة والتَنعُّمات الأُخْرَويَّة بمَرَاتبَ كَثيرَة وَالفَضيلةُ مَنُوطَةٌ بمُتَابَعَة سُنَّته وَالمَزيَّةُ مَرْبُوطَةٌ بإتْيَان شَريعَته عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَالنَّوْمُ في نصْف النَّهَار مَثَلاً الوَاقع عَلَى وَجْه هَذه المُتَابَعَة أَفْضَل منْ إحْيَاء أُلوف منَ الليالي الوَاقع عَلى غَيْر وَجْه المُتَابَعَة وَكَذَلكَ الإفْطَارُ في يَوْم عيد الفطْر الَّذي أَمَرَتْ الشَّريعَةُ به أَفْضَل منْ صيَام أَبَد الآبَاد الذي لَمْ يُؤْخَذْ منَ الشَّريعَة وَإعْطَاءُ حَبْل بأَمْر الشَّارع أَفْضَل منْ إنْفَاق جَبَل منَ الذَّهَب منْ قبَل نَفْسه صَلى عُمَرُ ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـــ مَرَّةً صَلاَةَ الصُّبْح بالجَمَاعَة ثُمَّ تَفَقَّدَ الأَصْحَابَ ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ ـــ فَلَمْ يَرَ فيهمْ شَخْصًا منْهُمْ فَسأَلهم عَنْهُ فَقيل: إنَّهُ يُحْيي الليالي كُلهَا وَلعَل النَّوْمَ غَلبَ عَلَيْه في هَذَا الوَقْت فَقَال: لوْ نَامَ اللَّيْل كُله وَصَلى صَلاَةَ الصُّبْح بجَمَاعَة لكَانَ أَفْضَل أَلاَ تَرَى أَنَّ أَهْل الضَّلالة مَعَ ارْتكَابهمُ الرِّيَاضَات الكَثيرَةَ وَالمُجَاهَدَات الشَّديدَةَ لَيْسَ لَهُمُ اعْتبَارٌ أَصْلاً بَل هُمْ أَذلاَّءُ يَعْني عنْدَ الله تَعَالى وَذَلكَ لعَدَم مُوَافَقَة أَعْمَالهمُ الشَّريعَةَ الحَقَّةَ فَإنْ تَرَتَّبَ أَجْرٌ عَلى تلكَ الأَعْمَال الشَّاقَّة فَهُوَ مَقْصُورٌ عَلى بَعْض المَنَافع الدُّنْيَويَّة وَمَا يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَكُلهَا حَتَّى يَعْتَبرَ بَعْضَهَا وَمثْلهمْ مثْل الكَنَّاس رياضَتُه أَزْيَدُ منْ رياضَة الكُل وَأُجْرَتُهُ أَقَل منْ أُجْرَة الكُل وَمَثَل مُتابعي الشَّريعَة مَثَل جَمَاعَة يَعْمَلونَ في الجَوَاهر النَّفيسَة بالمَاسَات لطيفَةً عَمَلهمْ في نهَايَة القلة وَأَجْرُهمْ في غَايَة الرِّفْعَة حَتَّى أَنَّ عَمَل سَاعَتهمْ يُسَاوي أَجْرَ مائَة أَلف وَالسِّرُّ في ذَلكَ أَنَّ العَمَل إذَا وَقَعَ موافقًا للشَّريعَة فَهُوَ مَرْضيُّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَخلاَفُهَا غَيْرُ مَرْضيِّه تَعَالى

فَكَيْفَ يَكُونُ غَيْرُ المَرْضِيِّ مَحَلاً للثَّوَابِ بَل هُوَ مَوْقِعُ العِقَابِ وَالشَّاهِدُ لِهَذَا المَعْنَى فِي هَذَا العَالِمِ المَجَازِيِّ وَاضِحٌ يَظْهَرُ بِأَدْنَى التفَات شعْرٌ.

كُل مَا نَال العَلِيل علةً وَالذي نَال النَّبيل ملةٌ

فَرَأْسُ جَمِيعِ السِّعَادَات وَأَصْلهَا مُتَابَعَةُ السُّنَّة وَهَيُولَى جَمِيعِ الفسادات وَمَادَّتهَا مُخَالفَةُ الشَّرِيعَة ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلوَاتُ وَالتَّسْلِيماتُ، وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ عَبْد الحَقِّ الدهلوي
فِي بَيَانِ أَنَّ الطَّرِيقَ الذي نَحْنُ فِي صَدَدِ قَطْعِهِ كُله سَبْعَةُ أَقْدَامٍ

(ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمْلى حَيْثُ الأَحبَّةُ

اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ الذي نَحْنُ فِي صَدَد قَطْعه سَبْعَةُ أَقْدَام قَدَمَان فِي عَالم الخَلق وَخَمْسَةُ أَقْدَام فِي عَالم الأَمْر ففى أَوَّل قَدَم تُوضَعُ فِي عَالم الأَمْر يَظْهَرُ التَّجَلي الأَفْعَالي وَفِي الثَّانِيَة التَّجَلي الصِّفاتيُّ وَفِي الثَّالثَة يَقَعُ الشُّرُوعُ فِي التَّجَلِيَات الذَّاتيَّة ثُمَّ وَتَمَّ عَلى تَفَاوُت دَرَجَات الكَمَالات كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَابهَا كُل ذَلكَ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَة سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْه منَ الصَّلوَات أَكْمَلهَا وَمنَ التسليمات أَفْضَلهَا وَمَا قِيل إِنَّ هَذَا الطَّرِيقَ خُطْوَتَان فَالمُرَادُ بهمَا عَالمُ الخَلق وَعَالمُ الأَمْر عَلى سَبِيل الإِجْمَال تَسْهِيلاً للأَمْرِ فِي نَظَرِ الطَّالبِينَ وَحَقِيقَةُ الأَمْرِ مَا حَقَّقْتُه بِتَوْفِيقِ الله سُبْحَانَهُ هَذَا.

المَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إلى الملا عَبْد الوَاحد اللاهوري
فِي بَيَانِ أَنَّ سَلاَمَةَ القَلبِ مَوْقُوفَةٌ عَلى نسْيَانِ مَا سِوَاهُ تَعَالى وَزَوَاله منَ القَلبِ بالكُلِّيَّة وَفِي المَنْعِ منْ كَثْرَة الاشْتغَال بالدُّنْيَا الدَّنيَّة لئَلاَّ تَحْصُل الرَّغْبَةُ فِيهَا

وَصَل مَكْتُوبُكُمْ المَرْغُوبُ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فيه منْ بَيَان سَلاَمَة القَلب نَعَمْ إنَّ سَلاَمَةَ القَلب مَوْقُوفَةٌ عَلى نسْيَان الغَيْر وَزَوَاله منَ القَلب عَلى حَدٍّ لوْ كُلفَ تَذْكرَةً لاَ يَتَذَكَّرُ فَعَلى هَذَا التَّقْدير لاَ مَعْنَى لخُطُور الغَيْر وَهَذه الحَالةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بفَنَاء القَلب وَأَوَّل قَدَم تُوضَعُ فِي هَذَا الطَّرِيق وَمُبَشَّرَةٌ بكَمَالات مَرَاتب الولاَيَة عَلى تَفَاوُت دَرَجَات الاسْتعْدَادَات يَنْبَغي للعَاقل أَنْ يَكُونَ عَاليَ الهمَّة وَأَنْ لاَ يَقْنَعَ بالجَوْز والمَوْز إنَّ اللهَ يُحبُّ مَعَاليَ الهمَم وَفِي كَثْرَة الاشْتغَال بأُمُور دُنيَوِيَّة خَوْفُ الرَّغْبَة فِي هَذه الأُمُور الدَّنيَّة وَلاَ تَغْتَرَّ بهَذَا القَدْر منْ سَلاَمَة القَلب فَإنَّ للرُّجُوع إمْكَانًا فَلاَ يَنْبَغي الإقْدَامُ عَلى الاشغالات الدُّنْيَوِيَّة مَهْمَا أَمْكَنَ لئَلاَّ تَظْهَرَ الرَّغْبَةُ فيهَا فَتَقَعَ فِي الخَسَارَة عياذًا بالله سُبْحَانَهُ.

الكُنَاسَةُ فِي الفَقْر أَفْضَل منَ القُعُود فِي صَدْر المَجْلس فِي الغنَى يَنْبَغي صَرْفُ جَميع الهمَّة فِي أن يَخْتَارَ مَعيشَةَ أَيَّام فِي الفَقْر وَالبَأْس فِرَّ منَ الغنَى وَأَرْبَابه الكُثْر ممَّا تَفرُّ منَ الأَسَد وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إِلى المَلاَ يار مُحَمَّد البدخشى القَدِيمِ
فِي أَنَّ القَلبَ تَابِعٌ لِلحسِّ فِي الابْتِدَاءِ
وَلاَ تَبْقَى تِلكَ التَّبَعِيَّةُ فِي الِانْتِهَاءِ

لعَل مَوْلاَنَا يار مُحَمَّد لَمْ يَنْسَ أَنَّ القَلبَ تَابِعٌ للحسِّ مُدَّةً فَلاَ جَرَمَ كُل مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنِ الحسِّ يَكُونُ بَعِيدًا عَنِ القَلبِ وَحَدِيثُ مَنْ لَمْ يَمْلكْ عَيْنَهُ فَلَيْسَ القَلبُ عِنْدَهُ وَارِدٌ فِي هَذِه المَرْتَبَة فَإِذَا لَمْ تَبْقَ تَبَعِيَّةُ القَلبِ للحسِّ فِي نهَايَة الأَمْرِ لاَ يُؤَثِّرُ بُعْدُ الشَيْءِ عَنِ الحسِّ فِي بُعْدِه عَنِ القَلبِ بَل يَكُونَ الشَيْءُ قريبًا بحَسَبِ القَلبِ وإِنْ كَانَ بَعِيدًا بحَسَبِ الحسِّ وَلهَذَا لَمْ يُجَوِّزْ مَشائخُ الطَّرِيقَة مُفَارَقَةَ المُبْتَدئ وَالمُتَوَسِّط صُحْبَةَ الشَّيْخِ الكَامِل المُكَمَّل وَبالجُمْلة بحُكْمِ مَا لاَ يُدْرَكُ كُله لاَ يُتْرَكُ كُله يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلى هَذَا الطَّرِيق وَأَنْ تَجْتَنِبَ عَنْ صُحْبَة غَيْرِ الجِنْسِ عَلى أَبْلغِ الوُجُوه وَأَنْ يَغْتَنِمَ صُحْبَةَ الشَّيْخِ مَيَّانَ مُزَمِّل مُعْتَقَدًا قُدُومَه مُقَدِّمَةَ السَّعَادَة وَكُنْ فِي صُحْبَتِه فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ فَإِنَّهُ عَزِيزُ الوُجُودِ جِدًّا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إلى الملا قَاسِمٍ عَلِيٍّ البدخشي
فِي بَيَانِ خَسَارَةِ جَمَاعَةٍ يَعْتَرِضُونَ عَلى أَهْلِ اللهِ

قَدْ وَصَلَ الكِتَابُ الذي أَرْسَلَهُ مُحِبُّنَا مَوْلاَنَا القَاسِمُ عَلِيٌّ وَاتَّضَحَ مَضْمُونُهُ قَال اللهُ تَعَالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) وَقَال الخواجهْ عَبْدُ اللهِ الأَنْصارِيُّ: إلهي إِذَا أَرَدْتُ أَنْ تُهْلِكَ أَحَدًا فَأَطْرَحْهُ عَلَيْنَا. شعْرٌ.

أَخَافُ عَلى قَوْمٍ مِنَ القَوْمِ يَضْحَكُو نَ أَنْ يُسْلَبَ الإِيمَانُ عَنْهُمْ وَيُطْرَدُوا

حَفِظَ اللهُ سُبْحَانَهُ كَافَّةَ المُسْلِمِينَ مِنْ إِنْكَارِ الفُقَرَاءِ وَالطَّعْنِ فِي الدَّرَاوِيشِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالمِائَةُ
إلى المير مُحَمَّد نُعْمَانَ
في التَّرْغِيبِ في صُحْبَةِ الشَّيْخِ المُقْتَدَى به
وَبَيَانِ أَنَّ الكُمَلاَءَ يُجِيزُونَ بَعْضَ مُرِيدِيهِمُ الناقصينَ بِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ أَحْيَانًا بِوَاسِطَةِ بَعْضِ نِيَّاتٍ صَالِحَةٍ وَأَغْرَاضٍ صَحِيحَةٍ

وَصَلَ المَكْتُوبُ مِنْ جَانِبِ خِدْمَةِ المَيْرِ هَذَا الطَّرِيقُ يُنَاسِبُ لهُ الجُنُونُ وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ: "أَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَالَ:إِنَّهُ مَجْنُونٌ"(١) فَمَا كَانَتْ جَنَّةٌ كَانَ فَارِغًا مِنْ تَدْبِيرِ أُمُورِ النَّاسِ وَالأَوْلاَدِ وَتَيَسَّرَتْ لهُ الجَمْعِيَّةُ مِنَ التَّفَكُّرِ فِي كَذَا وَكَذَا وَهَذَا الجُنُونُ مُودَعٌ فِي جِبِلَّتِكُمْ وَلَكِنَّكُمْ تَدْفِنُونَهُ وَتَكْتُمُونَهُ بِعَوَارِضَ لاَ طَائِلَ فِيهَا فَاذًّا نَفْعَلُ وَيُفْهَمُ فِي هَذَا الكَسْبِ عَدَمُ المُنَاسَبَةِ جِدًّا يَنْبَغِي أَنَّ تَدَارَكَهُ سَرِيعًا وَأَنْ تَرْفَعَ البُعْدَ الصُّورِيَّ مُعْتَقِدًا عَدَمَ الاسْتِطَاعَةِ فَإِنَّ جَمْعِيَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَرَاءَ جَمْعِيَّةِ سَائِرِ الخَلْقِ وَأَسْبَابَ جَمْعِيَّةِ الخَلْقِ بَاعِثَةٌ عَلَى تَفْرِقَةِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ فَيَنْبَغِي التَّشَبُّثُ بِأَسْبَابِ تَفْرِقَةِ الخَلْقِ حَتَّى تَحْصُلَ الجَمْعِيَّةُ فَإِنْ أُعْطِيَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ جَمْعِيَّةً فِي جَمْعِيَّةِ سَائِرِ الخَلْقِ يَنْبَغِي أَنْ يَخَافَ مِنْهَا وَأَنْ يَلْتَجِئَ إِلَى جَنَابِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ لِئَلاَّ تَكُونَ تِلْكَ الجَمْعِيَّةُ آفَةَ الرُّوحِ وَلاَ يَنْبَغِي القِيَاسُ عَلَى أَحْوَالِ فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ فَإِنَّ قَبْلَ التَّمَامِ كُلُّهُ مَرَاتِبُ النُّقْصَانِ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا، (ع):

وَلاَ تَسْتَقِلِ صَاحِ فِرَاقَ الأَحِبَّةِ

وَإِعْطَاءُ الإِجَازَةِ لِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ بَعْضَ المُرِيدِينَ قَبْلَ بُلُوغِ دَرَجَةِ الكَمَالِ مِنْ عَادَةِ مَشَائِخِ الطَّرِيقَةِ قَالَ الخواجهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - لَمَوْلاَنَا يَعْقُوبَ الجرخى بَعْدَ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَتَسْلِيكِهِ بَعْضَ المَنَازِلِ: يَا يَعْقُوبُ، كُلُّ مَا وَصَلَ مِنَّا إِلَيْكَ أَوْصَلَهُ إِلَى الخَلْقِ وَالحَالُ أَنَّهُ قَالَ لهُ تَكُونُ بَعْدِي فِي خِدْمَةِ عَلاَءِ الدِّينِ وَاشْتَغَلَ هُوَ بِأَكْثَرِ أَمْرِهِ فِي خِدْمَةِ الخواجهْ عَلاَءِ الدِّينِ حَتَّى عَدَّهُ مَوْلاَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الجامِيُّ فِي النَّفَحَاتِ فِي عِدَادِ مُرِيدِي الخواجهْ عَلاَءِ الدِّينِ أَوَّلاً ثُمَّ نَسَبَهُ إِلَى

---

(١) ـــ قالوا لم يوجد بهذا اللفظ ولكن معناه صحيح، وقد ورد: " أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون " ولا يقال له مجنون إلا لمخالفته سائر الناس، ولا يخالفهم إلا لكمال إيمانه؛فصح أن كمال الإيمان منشأ لهذا القول، وقد ورد أيضا: " خيار أمتي أحداؤهم " الحديث، وهذا الكلام يكثر وقوعه في هذا الكتاب وقد نقل معناه عن بعض الأعزة في المكتوب وفسر الجنون فراجعه فإن فيه شعاء منه.

الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ ثَانيًا وَبالجُمْلة إنَّ علاَجَ هَذه التَّفْرِقَة هُوَ صُحْبَةُ أَرْبَاب الجَمْعيَّة وَقَدْ كَتَبُوا مُكَرَّرًا وَمُؤَكَّدًا وَسَمعْنَا أَيْضًا أَنَّ مَوْلاَنَا مُحَمَّدَ صدِّيق اخْتَارَ العَسْكَرِيَّةَ وَتَرَكَ وَضْعَ الفُقَرَاءِ وَطَوْرَهمْ الوَيْل كُل الوَيْل لَمنْ يَنْحَطُّ منْ أَعْلى عليِّينَ إلى أَسْفَل سَافلينَ وَحَاله لاَ يَخْلو عَنْ أَحَد الأَمْرَيْنِ إمَّا أَنْ يُعْطَى الجَمْعيَّةَ فِي العَسْكَرِيَّة أَوْ لاَ فَإنْ أُعْطِيَهَا فَشَرٌّ وَإنْ لَمْ يُعْطَ فَأَشَدُّ

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}، وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ العشْرُونَ وَالمائَةُ
إلى المَيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ أَيْضًا
فِي التَّحْرِيضِ عَلى صُحْبَةِ أَرْبَابِ الجَمْعِيَّةِ

كَأَنَّهُ طَرَأَ النِّسْيَانُ عَلى المَيْرِ حَتَّى لاَ يَتَذَكَّرَ بسَلاَمٍ وَتَحيَّةِ الفُرْصَةُ قَليلةٌ وَصَرْفُهَا إلى أَهَمِّ المَهَامِّ ضَرُوريٌّ وَهُوَ صُحْبَةُ أَرْبَاب الجَمْعِيَّة لاَ تَعْدلُ بالصُّحْبَة شَيْئًا أَيَّامًا كَانَ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَصْحَابَ رَسُول الله ﷺ وَبَارَكَ ــ فُضِّلوا بالصُّحْبَة عَلى مَنْ عَدَاهُمْ سوَى الأَنْبيَاء عَليْهِمُ السَّلاَمُ وَإِنْ كَانَ أُوَيْسًا قَرْنيًّا أَوْ عُمَرَ مَرْوَانيًّا مَعَ بُلوغهمَا نهَايَةَ الدَّرَجَات وَوُصُولهمَا غَايَةَ الكَمَالات سوَى الصُّحْبَة فَلاَ جَرَمَ كَانَ خَطَأُ مُعَاوِيَةَ خَيْرًا مِنْ صَوَابهمَا بَبَرَكَة الصُّحْبَة وَسَهْوُ عَمْرو بْن العاص أَفْضَل مِنْ صَحِّهمَا لَمَا أَنَّ إِيمَانَ هَؤُلاَء الكُبَرَاء صَارَ شُهوديًّا برُؤْيَة الرَّسُول وَحُضُور المَلك وَشُهُود الوَحْي وَمُعَايَنَة المُعْجزَات وَمَا اتَّفقَ لمَنْ عَدَاهُمْ هَذه الكَمَالاتُ التي هيَ أُصُول سَائر الكَمَالات كُلهَا وَلوْ عَلمَ أُوَيْسٌ فَضيلةَ الصُّحْبَة بهَذه الخَاصِّيَّة لَمْ يَمْنَعْهُ مَانعٌ منَ الصُّحْبَة وَمَا آثَرَ شَيْئًا منَ الأَشْيَاء عَلى هَذه الفَضيلة؛ {وَاللهُ يَخْتَصُّ برَحْمَته مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظيم}[1]، شعْرٌ.

سكندر رانمى بنجشند أَبي ... يزور وزر ميسر نيست اينكار

تَرْجَمَةٌ

وَذُو القَرْنَيْنِ لَمْ يَظْفَرْ بمَاء ... به المَحْيَا بمَال أَوْ بقُوَّة

اللهُمَّ وَإِنْ لَمْ تَخْلقْنَا في هَذه المُنْشَأَة في قَرْن هَؤُلاَء الأَكَابر فَاجْعَلنَا في النَّشْأَة الآخرَة مَحْشُورينَ في زُمْرَتهمْ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ وَالتسليماتُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

المَكْتُوبُ الحَادِيَ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى المَيْرِ مُحَمَّدَ نُعْمَانَ أَيْضًا
فِي بَيَان أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ تَقَرَّرَ كُله عَلى سَبْعَة أَقْدَامٍ
وَأَنَّهُ قَدْ وَصَل بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِلى القَدَمِ السَّادِسَةِ

لِيَعْلَمَ خِدْمَةُ المَيْرِ بَعْدَ مُطَالَعَة الدَّعَوَات الوَافِرَة أَنَّهُ قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ وَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلى أَحْوَاله وَ لَمْ يَسْتَخْبِرْ عَنْ أَحْوَال فُقَرَاء هَذه الجِهَة لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ أَنَّ الفُقَرَاءَ مُرَفَّهُوَ الأَحْوَال وَلِنُبَيِّنَ نُبْذَةً مِنْ أَطْوَارِهِمْ أَيُّهَا المُحِبُّ الصَّادِقُ إِنَّ هَذَا الطَّرِيقَ تَقَرَّرَ كُله عَلى سَبْعَة أَقْدَامٍ وَقَدْ أَوْصَل جَمْعٌ مِنَ الإِخْوَان أَمْرَهُمْ إِلى ستَّة أَقْدَامٍ وَالبَعْضُ الآخَرُ إِلى خَمْسَة وَطَائِفَةٌ إِلى أَرْبَعَة وَفِرْقَةٌ إِلى ثَلَاثَة عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتِهِمْ وَأَصْحَابُ الأَقْدَامِ الثَّلَاث أَيضًا يُقَدِّرُونَ إِفَادَةَ النَّاسِ يَعْنِي الطَّرِيقَةَ فَكَيْفَ جَمَاعَةٌ لَهُمْ سَبْقَةُ القَدَمِ يَنْبَغِي للعَاقِل أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الهِمَّةِ دُونَ أَنْ يَكْتَفِيَ بِكُل حَقِير] وَنَقِيرٍ وَ لَمْ يَسَعْ الوَقْتُ الزِّيَادَةَ عَلى ذَلكَ وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِيَ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا طَاهِرِ البَدخشي
فِي التَّحْرِيضِ عَلَى عُلوِّ الهِمَّة
وَعَدَمِ الاكْتِفَاءِ بِكَلِمَةٍ يَتَيَسَّرُ

أَنَّ مَوْلاَنَا طَاهِرًا مَعْذُورٌ وَمَوْلاَنَا يار مُحَمَّد يُبَيِّنُ وَجْهَ الانْتِقَال وَحَيْثُ إنَّ إِرَادَةَ السَّفَرِ إلى جَانِبِ الهِنْد مُصَمَّمَةٌ فَلْيَذْهَبْ وَلْيَسْتَخْبِرْ عَنِ الأَهْلِ وَالعِيَال الباقي عِنْد التلاقي مِثْل مَشْهُورٌ وَدَوَامُ الحُضُورِ وَالاجْتِنَابُ عَنِ الاخْتِلاَطِ بِالأَغْيَارِ ضَرُورِيٌّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الهِمَّةِ دُونَ أَنْ يَقْنَعَ بِكُلِّمَا يَتَيَسَّرُ. شعْرٌ.

مَاز ى نوريكه بود مشرق أنوار از مغربي وكوكب ومشكاة كذشتيم

تَرْجَمَةٌ

وَمِنْ أَجْلِ نُورِ مُشْرِقِ كُلِ أَنْوَرَ تَجَاوَزَتْ مِشْكَاةٌ وَغَرْبًا وَكَوْكَبَا

وَأَكْثَرُ فُقَرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ يُقِيمُونَ فِي مَقَامِ الرِّضَى وَالاكْتِفَاءُ يَعْنِي بِشَيْءٍ يَسِيرٍ فَصُحْبَتُهُمْ سُمٌّ قَاتِلٌ فِرَّ مِنْهُمْ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ وَكُنْ مُلاَزِمًا لِهَذَا الطَّرِيقِ وَلَيْسَ لِلوَاقِعَاتِ كَثِيرًا اعْتِبَارٌ فَإِنَّ مَيْدَانَ التَّأْوِيلِ وَاسِعٌ فَلاَ يَنْبَغِي الانْخِدَاعُ بِالمَنَامِ وَالخَيَال. شِعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلل الجِبَال وَدُونَهُنَّ خيُوفُ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا طَاهِرِ البدَخشي أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّ أَدَاءَ النَّفْلِ وَإِنْ كَانَ حَجًّا دَاخِلٌ فِيمَا لاَ يَعْنِي
إِذَا اِسْتَلزَمَ فَوْتَ فَرْضٍ مِنَ الفَرَائِضِ

قَدْ وَصَلَ مَكْتُوبُ أَخِي الأَرْشَدِ لاَزَالَ كَأْسُهُ طَاهِرًا عَنْ دَنَسِ التَّعلقات أَيُّهَا الأَخُ قَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ عَلاَمَةُ إِعْرَاضِ اللهِ تَعَالى عَنِ العَبْدِ اشْتِغَاله بِمَا لاَ يَعْنِيه وَالاشْتِغَال بِنَفْلٍ مِنَ النَّوَافِلِ مَعَ الإِعْرَاضِ عَنْ فَرْضٍ مِنَ الفَرَائِضِ دَاخِلٌ فِيمَا لاَ يَعْنِي فَلزِمَكَ تَفْتِيشُ أَحْوَالِك لتَعْلَمَ أَنَّ اشْتِغَالك بِأَيِّ شَيْءٍ بِنَفْلٍ أَوْ بِفَرْضٍ وَكَمْ مِنْ مَحْظُورٍ يُرْتَكَبُ فِي أَدَاءِ الحَجِّ النَّفْلَ فَيَنْبَغِي أَنْ تُلاَحِظَ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً العَاقِلِ تَكْفِيه الإِشَارَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى رُفَقَائِكُمْ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالعشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
في بَيَان أَنَّ الاسْتطَاعَةَ شَرْطٌ لوُجُوب الحَجِّ
وَالحَجُّ مَعَ عَدَمِ الاسْتطَاعَة دَاخل في تَضْيِيعِ الأَوْقَاتِ
بِالنِّسْبَةِ إِلى تَحْصِيل المَطْلوبِ

قَدْ وَصَل مَكْتُوبُ أَخي الخواجهْ مُحَمَّدُ طَاهِر البدخشي للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ لَمْ يَتطَرَّقْ الفُتُورُ إلى إخْلاَصه للفُقَرَاء وَمَحَبَّتهمْ مَعَ وُجُود تَمَادي أَيَّام المُهَاجَرَة وَهَذه عَلاَمَةُ سَعَادَة عَظِيمَة أَيُّهَا المُحبُّ لَمَّا طَلَبْتَ الإِذْنَ يَعْني لسَفَر الحَجِّ وَصَمَّمْتَ العَزْمَ للسَّفَر قَدْ ذَكَّرْتُك وَقْتَ الوَدَاع أَنَّهُ يُحْتَمَل أَنْ أَلحَقَكُمْ في هَذَا السَّفَر وَلكنْ كُلمَا قَصَدْتُ لَمْ تُوَافقْ الاسْتخَارَاتُ وَلَمْ يُفْهَم التَّجْويزُ في هَذَا البَاب فَاخْتَرْتُ التَّقَاعُدَ بالضَّرُورَة وَلَمْ يَكُنْ في ذَهَابكُمْ صَلاَحُ الفُقَرَاء منَ الأَوَّل وَلكنْ لَمَّا رَأَيْتُ شَوْقَكُمْ لَمْ أَمْنَعْ صَرِيحًا وَالاسْتطَاعَةُ شَرْطُ الدُّخُول في الطَّرِيق يَعْني طَرِيقَ الحَجِّ وَبدُون الاسْتطَاعَة تَضْيِيعٌ للأَوْقَات وَالاشْتغَال بأَمْر غَيْر ضَرُوريٍّ تَارِكًا للأَمْر الأَهَمِّ لَيْسَ بمُنَاسب وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ هَذَا المَضْمُونَ مُكَرَّرًا وَصَل إِلَيْكُمْ أَوَّلاً وَالقَوْل هُوَ هَذَا وَأَنْتُمْ المُخَيَّرُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى المَيْرِ صَالِحِ النَّيْسابُوري
فِي بَيَانِ أَنَّ العَالَمَ كَبِيرَه وَصَغِيرَه مَظَاهِرُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلهِيَّةِ تَعَالى شَأْنُه
وَلَيْسَ للعَالَمِ نِسْبَةٌ إِلَيْه تَعَالى أَصْلاً سوَى المخلوقِيَّةِ والمظهَرِيَّةِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اللهُمَّ أَرِنَا حَقَائِقَ الأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ اعْلَمْ أَنَّ العَالَمَ كُله كَبِيرَه وَصَغِيرَه مَظَاهِرُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلهِيَّة تَعَالى شَأْنُه وَمَرَايَا شئونَاته وَكَمَالاته الذَّاتِيَّة وَكَانَ عَزَّ سُلطَانُهُ كَنْزًا مَخْفِيًّا وَسِرًّا مَكْنُونًا فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْرِضَ كَمَالاته مِنَ الخَلاَءِ إِلى المَلاَءِ وَأَنْ يُورِدَهَا مِنَ الإِجْمَالِ إِلى التَّفْصِيلِ فَخَلَقَ الخَلقَ عَلى نَهْجٍ يَكُونُ دَالاً بِذَاته وَصِفَاته عَلى ذَاته وَصِفَاته تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَلَيْسَ للعَالَمِ نِسْبَةٌ مَعَ صَانِعه أَصْلاً إِلاَّ أَنَّهُ مَخْلُوقُهُ تَعَالى وَدَالٌ عَلى أَسْمَائِه وشُئونَاته تَعَالى وَالحُكْمُ بِالاتِّحَادِ وَالعَيْنِيَّة وَنِسْبَةُ الإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ وَالمَعِيَّة الذَّاتِيَّات هُنَاكَ مِنْ غَلَبَةِ الحَالِ وَسُكْرِ الوَقْتِ وَالأَكَابِرُ المستَقِيمو الأَحْوَالِ الذينَ لَهُمْ شُرْبٌ مِنْ قَدَحِ الصَّحْوِ لاَ يُثْبِتُونَ للعَالَمِ نِسْبَةً مَعَ صَانِعه إِلاَّ المخلوقِيَّةَ وَالمَظْهَرِيَّةَ وَيَقُولونَ بِالإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ وَالمَعِيَّة العلميَّات عَلى طَبْقِ قَوْلِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَالعَجَبُ مِنْ بَعْضِ الصُّوفِيَّة حَيْثُ يُثْبِتُونَ بَعْضَ النِّسْبَةِ الذَّاتِيَّة كَالإِحَاطَةِ وَالمَعِيَّة مَثَلاً مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِسَلْبِ جَمِيعِ النِّسَبِ عَنِ الذَّاتِ حَتَّى الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّة فَهَلْ هَذَا إِلاَّ تَنَاقُضٌ وَإِثْبَاتُ المَرَاتِبِ فِي الذَّاتِ لِدَفْعِ هَذَا التَّنَاقُضِ تَكَلفٌ مِثْلُ التَّدقِيقَاتِ الفَلسَفِيَّة وَأَرْبَابُ الكَشْفِ الصَّحِيحِ لاَ يَشْهَدُونَ الذَّاتَ إِلاَّ بَسِيطًا حَقِيقِيًّا وَيَعُدُّونَ مَا وَرَاءَهُ كَائِنًا مَا كَانَ دَاخِلاً فِي الأَسْمَاءِ. شعْرٌ.

وَمَا قَل هجْرَانُ الحَبِيبِ وَإِنْ غَدَا قَلِيلاً وَنِصْفُ الشَّعْرِ فِي العَيْنِ ضَائِرُ

وَلِنُبَيِّنَ مِثَالاً لِتَحْقِيقِ هَذَا المَبْحَثِ أَرَادَ عَالِمٌ تَحْرِيرَ مُتَفَنِّنٍ مَثَلاً إِظْهَارَ كَمَالاته المَكْنُونَةَ وَإِبْرَازَهَا فِي عَرْصَةِ الظُّهُورِ فَأَوْجَدَ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ لِيَجْلُوَ كَمَالاته فِي حِجَابِ تِلكَ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ ففى تِلكَ الصُّورَةِ لاَ نِسْبَةَ لِتِلكَ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ الدَّوَالِ مَعَ تِلكَ المَعَانِي المَخْزُونَةِ إِلاَّ أَنَّ هَذِهِ الحُرُوفَ

وَالأَصْوَاتَ مَظَاهِرُ تلكَ المَعَالِي الخَفِيَّة وَمَرَايَا الكَمَالات المَخْزُونَة وَلاَ مَعْنَى لأَنْ يُقَال إنَّ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ عَيْنُ تلكَ المَعَانِي المَخْفِيَّة وَكَذَلكَ الحُكْمُ بالإحَاطَة وَالمَعِيَّة فِي هَذه الصُّورَة غَيْرُ مُطَابق للوَاقع بَل المَعَاني صرَافَتُه المَخْزُونَةُ لَمْ يَتَطَرَّقْ التَّغَيُّرُ إلَيْهَا لاَ فِي ذَاتهَا وَلاَ فِي صفَاتهَا أَصْلاً وَلكنْ لَّما كَانَ بَيْنَ تلكَ المَعَاني وَبَيْنَ الحُرُوف وَالأَصْوَات الدَّالة نَوْعُ مُنَاسَبَة منَ الدَّالِيَّة وَالمُدْلوْلِيَة يُتَخَيَّل منْهُ بَعْضُ المَعَاني الزَّائدَة وَتلكَ المَعَاني المَخْزُونَةُ مُنَزَّهَةٌ وَمُبَرَّأَةٌ فِي الحَقيقَة عَنْ تلكَ المَعَاني الزَّائدَة وَهَذَا هُوَ مُعْتَقَدُنَا فِي هَذه المَسْأَلة وَإثْبَاتُ الأَمْر الزَّائد عَلى المَظْهَرِيَّة والمرْآتيَّة منَ الاتِّحَاد وَالعَيْنيَّة وَالإحَاطَة وَالمَعيَّة منَ السُّكْر وَذَاتُه تَعَالى فِي الحَقيقَة مُعَرَّاةٌ عَنِ النِّسْبَة وَمُبَرَّأَةٌ عَنِ المُنَاسَبَة مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب وَبهَذَا القَدْر منْ مُنَاسَبَة الظَّاهرِيَّة وَالمَظْهَرِيَّة يُقَال بوَحْدَة الوُجُود أَوَّلاً بَل فِي الوَاقع وَجُودَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ لكنْ بطَرِيق الأَصَالة وَالظِّلِّيَّة وَالظَّاهرِيَّة وَالمَظْهَرِيَّة لاَ إنَّ المَوْجُودَ وَاحدٌ وَمَا سوَاهُ أَوْهَامٌ وَخَيَالاَتٌ فَإنَّ هَذَا المَذْهَبَ بعَيْنه مَذْهَبُ السُّوفُسطائيِّ وَإثْبَاتُ الحَقيقَة فِي العَالم لاَ يُخْرجُهُ منْ كَوْنه أَوْهَامًا وَخَيَالاَت كَمَا هُوَ مَقْصُودُ السوفُسطَائيِّ (شعْرٌ) :

وَإذَا عَرَفْتَهُ أَنْتَ مَنْ هُــوَ أَوَّلاً وَنَسَبْتَ نَفْسَكَ نَحْوَ حَضْرَته العُلى
وَعَلمْتَ أَنَّكَ ظِل مَنْ يَا مَنْ دَرَى كُنْ فَارِغًا حَيــًّا ومَيِّتــًا منْ مَــلاَ

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إِلى المِيْرِ صَالِحٍ النَّيسابُورِيِّ أَيْضًا
فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ الاهْتِمَامُ فِي نَفْيِ الآلِهَةِ البَاطِلَةِ
آفَاقِيَّةً كَانَتْ أَوْ أَنْفُسِيَّةً
وَإِثْبَاتُ المَعْبُودِ عَلى الحَقِّ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

أَيُّهَا السَّيِّدُ النَّقِيبُ يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ الاهْتِمَامُ فِي نَفْيِ الأَلِهَةِ البَاطِلَةِ آفَاقِيَّةً كَانَتْ أَوْ أَنْفُسِيَّةً وَكُلَّ مَا يَدْخُلُ فِي حَوْصَلَةِ الفَهْمِ وَحِيطَةِ الوَهْمِ وَقْتَ إِثْبَاتِ المَعْبُودِ بِالحَقِّ - جَلَ سُلطَانُهُ - يَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَهُ تَحْتَ النَّفْيِ أَيْضًا وَأَنْ يُكْتَفَى بِموجودِيَّةِ المَطْلُوبِ، (ع):

هُوَ المَوْجُودُ لاَ شَيْءَ سِوَاهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَسَاغٌ لِلوُجُودِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ أَيْضًا بَل يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَهُ مِنْ مَا وَرَاءَ الوُجُودِ وَلَقَدْ أَحْسَنَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ بِزِيَادَةِ وُجُودِ الوَاجِبِ تَعَالى عَلى ذَاتِه سُبْحَانَهُ وَالقَوْلِ بِعَيْنِيَّةِ الوُجُودِ مَعَ الذَّاتِ وَعَدَمِ إِثْبَاتِ شَيْءٍ وَرَاءَ الوُجُودِ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ قَالَ الشَّيْخُ عَلاَءِ الدَّوْلَةِ فَوْقَ عَالَمِ الوُجُودِ عَالَمُ المَلِكِ الوَدُودِ وَلَمَّا تَرَقَّى هَذَا الدَّرْوِيشُ مِنْ مَرْتَبَةِ الوُجُودِ كَانَ مَغْلُوبُ الحَالِ أَوْقَاتًا وَوَجَدَ نَفْسَهُ عَلى وَجْهِ الذَّوْقِ وَالوِجْدَانِ مِنْ أَرْبَابِ التَّعْطِيلِ وَلَمْ يَحْكُمْ بِوُجُودِ الوَاجِبِ فَإِنَّهُ كَانَ تَرَكَ الوُجُودَ فِي الطَّرِيقِ وَلَمْ يَجِدْ لِلوُجُودِ مَجَالاً فِي مَرْتَبَةِ الذَّاتِ وَكَانَ إِسْلاَمُهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ تَقْلِيدِيًّا لاَ تَحْقِيقِيًّا وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ كُلَّ مَا يَحْصُلُ فِي حَوْصَلَةِ المُمْكِنِ يَكُونُ مُمْكِنًا بِالطَّرِيقِ الأَوْلى فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ لِلخَلْقِ إِلى اللهِ سَبِيلاً إِلاَّ بِالعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِه وَلاَ يَظُنَّنَّ أَحَدٌ مِنْ حُصُولِ الفَنَاءِ فِي اللهِ وَالبَقَاءِ بِاللهِ إِنَّ المُمْكِنَ يَصِيرُ وَاجِبًا حَاشَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مُحَالٌ مُسْتَلْزِمٌ لِقَلْبِ الحَقَائِقِ فَإِذَا لَمْ يَصِرِ المُمْكِنُ وَاجِبًا لاَ يَكُونُ نَصِيبُه غَيْرَ العَجْزِ شَعْرٌ.

وَلاَ أَحَدَ يَصْطَادُ عَنْقَاءَ فَاطْرَحْ الفخَاخَ وَإِلاَّ دَامَ فِيكَ المَتَاعِبُ

وَعُلُوُّ الهِمَّةِ يَطْلُبُ مَطْلَبًا لاَ يَحْصُلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلاَ يَبْدُو مِنْهُ اسْمٌ وَلاَ رَسْمٌ وَطَائِفَةٌ يَطْلُبُونَ شَيْئًا يَجِدُونَهُ عَيْنَهُمْ وَيُثْبِتُونَ لَهُ قُرْبًا وَمَعِيَّةً، (ع):

لِكُلِّ مِنَ الإِنْسَانِ شَأْنٌ يَخُصُّهُ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالعشْرُونَ وَالمائَةُ
إلى الملا صَفَر أَحْمَدَ الرُّومِيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ خِدْمَةَ الوَالِدَيْنِ ــ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الحَسَنَاتِ ــ وَلَكِنَّهَا فِي جَنْبِ تَحْصِيلِ المَطْلَبِ الحَقِيقِيِّ لاَ شَيْءَ مَحْضٌ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَدْ وَصَلَ المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ وَالعُذْرُ الذي ذَكَرْتَهُ فِي بَابِ التَّوَقُّفِ صَحِيحٌ يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ أَزْيَدَ مِمَّا وَقَعَ وَأَنْ تَعْتَقِدَ نَفْسَكَ مُقَصِّرًا قَالَ اللهُ تَعَالَى {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَيْضًا {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ فُضُولٌ مَحْضٌ فِي جَنْبِ الوُصُولِ إِلَى المَطْلَبِ الحَقِيقِيِّ بَلْ فِي جَنْبِ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلُوكِ أَيْضًا تَعْطِيلٌ صِرْفٌ وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ حَسَنَاتِ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ. شعْرٌ.

كُلمَا دُونَ هَوَى الحَقِّ وَلَوْ ... أَكْلٌ قَنْدٍ فَهُوَ سُمٌّ قَاتِلٌ

وَحَقُّ اللهِ سُبْحَانَهُ مُقَدَّمٌ عَلَى حُقُوقِ جَمِيعِ الخَلاَئِقِ فَإِنَّ أَدَاءَ حُقُوقِ الخَلاَئِقِ إِنَّمَا هُوَ لاِمْتِثَالِ أَمْرِهِ تَعَالَى وَإِلاَّ لَمَنْ يَكُونُ مَجَالُ تَرْكِ خِدْمَتِهِ وَالاشْتِغَالِ بِخِدْمَةِ غَيْرِهِ فَخِدْمَةُ الخَلاَئِقِ بِهَذَا السَّبَبِ مِنْ جُمْلَةِ خِدْمَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَكِنَّ الفَرْقَ بَيْنَ خِدْمَةٍ وَخِدْمَةٍ كَثِيرٌ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَرْبَابَ الحَرْثِ وَأَصْحَابَ الزَّرْعِ كُلَّهُمْ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانِ وَلَكِنْ لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ خِدْمَتِهِمْ وَخِدْمَةِ المُقَرَّبِينَ حَتَّى إِنَّ إِجْرَاءَ اسْمِ الزِّرَاعَةِ وَالحِرَاثَةِ عَلَى اللِّسَانِ هُنَاكَ مَعْصِيَةٌ وَأَجْرِ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مِقْدَارِ ذَلِكَ الأَمْرِ فَأَهْلُ الحِرَاثَةِ يَأْخُذُونَ دِرْهَمًا وَاحِدًا عَلَى خِدْمَةِ يَوْمٍ كَامِلٍ مَعَ غَايَةِ المِحْنَةِ وَالمَشَقَّةِ وَالمُقَرَّبُونَ يَسْتَحِقُّونَ الأُلُوفَ عَلَى سَاعَةِ خِدْمَةِ الحُضُورِ وَمَعَ ذَلِكَ لاَ تَعَلُّقَ لَهُمْ بِتِلْكَ الأُلُوفِ وَغَايَةُ مَرَامِهِمْ إِنَّمَا هِيَ قُرْبُ السُّلْطَانِ فَحَسْبُ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَفَرْخُ حُسَيْنٍ مُوَفَّقٌ جِدًّا يَعْنِي لِلتَّرَقِّي وَالاِجْتِهَادِ وَلْيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ مِنْ طَرَفِهِ مَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ مُقيم
في التَّرْغيب في عُلوِّ الهمَّة
وَعَدَمِ الاكْتِفَاءِ بِغَيْرِ المَطْلبِ الحَقِيقِيِّ

إنَّ الخواجهْ مُقيمَ لاَ يَنْسَى النَّائينَ المَهْجُورينَ بَل يَرَاهُمْ قَريبًا لاَ بَعيدًا المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ المَسْلكُ فِي غَايَة الطُّول وَالمَطْلبُ فِي كَمَال الرِّفْعَة وَالهمَمُ فِي نهَايَة النُّقْصَان وَالمَنَازل الوُسْطَانيَّةُ فِي شُبَه المَطْلب كَالسَّرَاب عياذا باللهِ سُبْحَانَهُ مَنْ ظَنَّ الوَسَطَ نهَايَةً وَغَيْرَ المَقْصد مَقْصدًا وَتَصوَّرَ المَثَاليَّ والكَيْفيَّ مُنَزَّهًا عَن المثَال وَالكَيْف وَالتَّوَقُّف منَ الوُصُول إلى المَطْلب الحَقيقيِّ يَنْبَغي للعَاقل أَنْ يَكُونَ عَاليَ الهمَّة وَأَنْ لاَ يَقْنَعَ بكُل ما يحصُل وَيَتَيَسَّرُ وَأَنْ يَطْلبَ المَطْلوبَ ممَّا وَرَاءَ الوَرَاء وَحُصُولَ مثْل هَذه الهمَّة مَوْقُوفٌ عَلى تَوَجُّه الشَّيْخ المُقْتَدَى به وَتَوَجُّهُهُ إنَّمَا يَكُونُ عَلى قَدْر إخْلاَص المُريد المُقْتَدَى وَمَحَبَّته ذَلكَ فَضْل اللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَةُ
إلى السَّيِّد نُظُم
في بَيَان أَنَّ جَامعيَّةَ الإنْسَان بَاعِثَةٌ عَلى تَفْرِقَته
كَمَا أَنَّهَا سَبَبٌ لجَمْعِيَّته كمَا أنها سبب للمَحْبُوبِينَ وَبَلاَءٌ للمَحْجُوبِينَ

قَدْ وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ اعْلَمْ أَنَّ الإنْسَانَ أَجْمَعَ المَوْجُودَات وَلَهُ تَعَلقٌ وَارْتِبَاطٌ بالمَوْجُودَات المُتَكَثِّرَة بوَاسطَة كُل جُزْءٍ منْ أَجْزَائه فَكَانَتْ جَامعيَّتُه بَاعِثَةً عَلى زيَادَة بُعْده منْ جَنَاب قُدْس الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - عَلى بُعْد الكُل وتَعلقاته وَالمُتَعَدِّدَةُ كَانَتْ سَبَبًا لزيَادَة حرْمَانه عَلى حرْمَان مَا سوَاهُ فَإنْ جَمَعَ نَفْسَهُ منْ هَذه التَّعَلقات المُتَشَتِّتَة بتَوْفيق اللهَ عَزَّ شَأْنُه وَرَجَعَ قَهْقَرَى فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظيمًا وَإلاَّ فَقَدَ ضَل ضَلالاً بَعيدًا فَكَمَا أَنَّ الإنْسَانَ أَفْضَل المَوْجُودَات بوَاسطَة الجَامعيَّة كَذَلكَ هُوَ شَرُّ المَخْلوقَات بوَاسطَة تلكَ الجَامعيَّة وَمرْآتُهُ أَتَمُّ بوَاسطَة تلكَ الجَامعيَّة فَإنْ جَعَل وَجْهَهَا نَحْوَ العَالم فَهي أَشَدُّ تَكَدُّرًا منْ كَل شَيْءٍ وَإنْ وَجَّهَ وَجْهَهَا نَحْوَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَأَشَدُّ صَفَاءً وإراءةً منْ كُل شَيْءٍ وَكَمَال حُرِّيَّة القَلب منْ هَذه التَّعَلقات منْ خَوَاصِّ مُحَمَّد رَسُول الله ــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ــ ثُمَّ بَقيَّة الأَنْبيَاء ثُمَّ الأَوْلياء عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ صَلوَاتُ الله وتسليماتُه عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمْ وَعَلى أَتْبَاعهمْ أَجْمَعينَ إلى يَوْم الدِّين رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ النَّجَاةَ منْ هَذه التَّعَلقات بحُرْمَة النَّبيِّ المُصْطَفَى المَمْدُوح بقَوْله تَعَالَى (مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى) عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلوَات أَتَمُّهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ مُوجبَةٌ للمَلال وَالسَّلاَمُ وَالإكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّلاثُونَ وَالمِائَةُ
إلى جَمَال الدِّين
في بَيَان أَنْ لاَ اعْتِبَارَ بتلوينات الأَحْوَال
بَل يَنْبَغِي تَحْصِيل مَطْلَبٍ مُنَزَّهٍ عَنِ الشُّبَه وَالمِثَال

لَيْسَ لتلوينات الأَحْوَال كَثِيرُ اعْتِبَار يَنْبَغِي عَدَمُ الالتفَات إِلَيْهَا سَوَاءً كَانَ ذَهَابًا أَوْ مَجِيئًا أَوْ تَكَلمًا أَوْ سَمَاعًا فَإِنَّ المَقْصُودَ غَيْرُ ذَلكَ وَهُوَ مُبَرَّأٌ وَمُنَزَّهٌ عَنِ التَّكَلمِ وَالسَّمَاعِ وَالرُّؤْيَة وَالمَشْهُود وَإِنَّمَا يُتَسَلى بجَوْزِ الحَال وموزه أَطْفَال الطَّرِيقَة يَنْبَغِي للعَاقِل أَنْ يَكُونَ عَالِيَ الهمَّة فَإِنَّ الأَمْرَ وَرَاءَ ذَلكَ وَكُل ذَلكَ مَنَامٌ وَخَيَال وَمَنْ رَأَى نَفْسَه أَنَّهُ صَارَ سُلطَانًا فِي المَنَام لَيْسَ هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ كَذَلكَ وَلكنَّ هَذَا المَنَامَ يُورِثُ رَجَاءً وَطَمَعًا لصَاحبه لاَ اعْتِبَارَ للوَقَائِع المناميَّة فِي الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة وَهَذَا البَيْتُ مَسْطُورٌ فِي كُتُبهمُ العَلِيَّة. شعْرٌ.

وَإِنِّي غُلاَمُ الشَّمْسِ أَرْوِي حَدِيثَهَا ... وَمَالِي وَلليْل فَأَرْوِي حَدِيثَهُ

فَإِنْ حَصَل حَال مِنَ الأَحْوَال أَوْزَال فَلَيْسَ ذَلكَ بمَحَل للسُّرُور وَلاَ هَذَا بمُوجب للغَمِّ وَالانْفِعَال بَل يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُنْتَظِرًا للمَقْصُود المُنَزَّه عَنِ الكَيْف وَالمِثَال وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالثَّلاَثُونَ وَالمائَةُ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ الكابلي
فِي بَيَان عُلوِّ شَأْن طَرِيقَة حَضَرَات خواجكان قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ وَالشِّكَايَة مِنْ جَمَاعَة أَحْدَثُوا فِيهَا إِحْداثاتٍ وَاعْتَقَدُوهَا تَكْمِلةً لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ السَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهرِينَ وَلْيَعْلمَ أَخي الأَرْشَدُ الخواجهْ مُحَمَّدٌ أَشْرَفَ شَرَّفَه اللهُ سُبْحَانَهُ بتَشْرِيفَات أَوْلِيَائه الكرَام إِنَّ طَرِيقَةَ حَضَرَات خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ أَقْرَبُ الطُّرُق المُوَصِّلَة وَنهَايَةً سَائر المَشَايخ مُنْدَرِجَةٌ فِي بدَايَة هَؤُلاَء الأَكَابر وَنسْبَتُهمْ فَوْقَ جَميع النِّسَب كُل ذَلكَ المَزَايَا لوُجُود التزَام السُّنَّة السَّنِّيَّة فِي هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة وَالاجْتنَاب عَن البدْعَة الشَّنيعَة مَهْمَا أَمْكَنَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ العَمَلَ بالرُّخْصَة وَإِنْ وَجَدُوهَا نَافعَةً لأَمْر البَاطن فِي الظَّاهر وَلاَ يُفَارقُونَ العَمَل بالعَزيمَة وَإِنْ يَرَوْنَهَا مَضرَّةً فِي السِّيرَة بحَسَب الصُّورَة يَجْعَلُونَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدَ تَابعَةً للأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَيَعْتَقدُونَ أَنَّ الأَذْوَاقَ وَالمَعَارفَ خَادمَةً للعُلوم الشَّرْعيَّة وَلاَ يُبَدِّلونَ جَوَاهرَ الشَّريعَة النَّفيسَةَ مثْل الأَطْفَال يُجَوِّزُ الوَجْدَ وَمَوْزَ الحَال وَلاَ يَغْتَرُّونَ بتُرَّهَات جَهَلَة الصُّوفيَّة وَلاَ يَفْتَتنُونَ بأَبَاطيلهمْ وَلاَ يَتْرُكُونَ النُّصُوصَ بالفُصُوص وَلاَ يَلْتَفتُونَ إِلى الفُتُوحَات المَكِّيَّة تَاركينَ للفُتُوحَات المَدَنيَّة حَالهمْ عَلى الدَّوَام وَوَقْتُهمْ مُسْتَمرٌّ وَمُسْتَدَامٌ وَالتَّجَلي الذَّاتيُّ البَرْقيُّ الذي هُوَ كَالبَرْق لغَيْرهمْ دَائمٌ لهَؤُلاَء الأَكَابر وَالحُضُورُ الذي تَعْقُبُهُ الغَيْبَةُ سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار عنْدَ هَؤُلاَء الأَكَابر (رجَال لاَ تُلهيهمْ تجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذكْر الله) وَلكنْ لاَ يَصل فَهْمُ كُل أَحَد إِلى مَذَاق هَؤُلاَء الأَكَابر بَل يَكَادُ يُنْكرُ قَاصرُوا هَذه الطَّرِيقَة عَلى بَعْض كمالاتهم. شعْرٌ.

لَوْ عَابَهُمْ قَاصرٌ طَعْنًا بهمْ سَفَهًا بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَشِ الكَلمِ

نَعَمْ قَدْ أَحْدَثَ بَعْضُ مُتَأَخِّري هَذه الطَّرِيقَة إحداثات فِيهَا وَضيعُ أَصْل سيرَة الأَكَابر وَزَعَمَ جَمْعٌ منْ مُريديه أَنَّهُمْ كَمَّلوا الطَّرِيقَةَ بتلكَ المُحْدَثَات حَاشَا وَكَلاَّ كَبُرَتْ كَلمَةً تَخْرُجُ منْ أَفْوَاههمْ بَل هُمْ سَعَوْا فِي تَخْرِيبهَا وَتَضْيِيعهَا يَا أَسَفَا كُل الأَسَف عَلى مَا أَحْدَثُوا فِي هَذه الطَّرِيقَة بَعْضَ بدَعٍ لاَ وُجُودَ لهُ فِي سَلاَسِل

أُخرَ أَصْلاً حَيْثُ يُصَلونَ صَلاَةَ التَّهَجُّد بجَمَاعَة وَيَجْتَمعُ النَّاسُ منَ الأَطْرَاف وَالجَوَانب في ذَلكَ الوَقْت لصَلاَة التَّهَجُّد وَيُؤَدُّونَهَا بجَمْعيَّة تَامَّة وَهَذَا العَمَل مَكْرُوهٌ كَرَاهَةً تحريميَّةً وَالذينَ اشْتَرَطُوا التداعيَ لتَحَقُّق الكَرَاهَةَ منَ الفُقَهَاء قَيَّدُوا جَوَازَ التَّنَقُّل بجَمَاعَة بأَدَائهَا في نَاحيَة المَسْجد وَاتَّفَقُوا عَلى تَحقُّق الكَرَاهَة إنْ زَادُوا عَلى ثَلاَثَة وَأَيْضًا إنَّ هَؤُلاَء المُحْدَثينَ يَعْتَقدُونَ التَّهَجُّدَ بهَذَا الوَضْع ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً فَيُصَلُّونَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً قَائمينَ وَرَكْعَتَيْن قَاعدينَ زَاعمينَ أَنَّ لهُمَا حُكْمَ رَكْعَة وَاحدَة فَتَكُونُ بهَا ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَليْسَ الأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا فَإنَّ نَبيَّنَا صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آله وَسَلمَ كَانَ يُصَلي أَحْيَانًا ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَأَحْيَانًا إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً وَأَحْيَانًا تسْعَ رَكَعَات وَأَحْيَانًا سَبْعًا وَالفَرْديَّةُ إنَّمَا عَرَضَتْ للتَّهَجُّد بصَلاَة الوَتْر لاَ إنَّهُ أَعْطَى لركعَتي القُعُود حُكْمَ رَكْعَة القيَام وَمَنْشَأُ أَمْثَال هَذَا العلم وَالعَمَل عَدَمُ تَتَبُّع السُّنَّة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَالعَجَبُ منْ رَوَاج أَمْثَال هَذه المُحْدَثَات في بلاَد العُلمَاء وَمَأْوَى المُجْتَهدينَ عَلَيْهمُ الرِّضْوَانُ مَعَ أَنَّ أَمْثَالنَا الفُقَرَاءَ يَسْتَفيضُونَ العُلومَ الإسْلاَميَّةَ منْ بَرَكَاتهمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهمُ للصَّوَاب. شعْرٌ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمومي وَخفْتُ أَنْ تَملوا وَإلاَّ فَالكَلاَمُ كَثيْر

وَالسَّلاَم.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد صدِّيق البدخشي
فِي التَّحْذِيرِ عَنْ صُحْبَةِ أَرْبَابِ الغِنَى
وَالتَّرْغِيبِ فِي صُحْبَةِ الفُقَرَاءِ

رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْد إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّك أَنْتَ الوَهَّابُ.

أَيُّهَا الأَخُ الظَّاهرُ إِنَّك مَللتَ مِنْ صُحْبَة الفُقَرَاءِ وَاخْتَرْتَ صُحْبَةَ الأَغْنِيَاءِ وَلبِئْسَ مَا صَنَعْتَ فَإِنْ كَانَ عَيْنُك مُغْمَضَةً اليَوْمَ سَتَنْكَشفُ غَدًا فَلاَ تَرَى فَائدَةً غَيْرَ النَّدَامَة، وَالشَّرْطُ الخَبَرُ أَيُّهَا المَهُوسُ أَنَّ حَالك لاَ يَخْلو مِنْ أَحَد أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ تَنَال الجَمْعِيَّةَ فِي مَجْلسِ الأَغْنِيَاء أَوْ لاَ فَإِنْ تَنَل فَشَرٌّ وَإِلاَّ فَأَشَدُّ شَرًّا فَإِنَّك إِنْ تَنَلهَا فهيَ اسْتدْرَاجٌ عياذا بالله سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلكَ وَإِنْ لَمْ تَنَل فَصَدَاقُ الحَال خَسرَ الدُّنْيَا وَالآخرَةَ كُنَاسَةُ الفُقَرَاء أَفْضَل مِنْ قُعُود الأَغْنِيَاء فِي الصَّدْر وَهَذَا الكَلاَمُ يَكُونُ مَعْقُولاً عِنْدَك اليَوْمَ أَوَّلاً وَأَمَّا فِي الآخرَة فَسَيَصيرُ لك مَعْلومًا وَلكنَّهُ لاَ يُفيدُ وَإِنَّمَا وَقْعُك فِي هَذَا البَلاَء اشْتهَاءُ الأَطْعمَة اللذيذَة وَالأَلبسَة الفَاخرَة وَلَمْ يَفُت الأَمْرُ الآنَ فَيَنْبَغِي التَّفَكُّرُ فِي أَصْل الأَمْر وَالقَرَار مِنْ كُل مَا يَكُونُ مَانعًا عَنِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالحَذَر منْهُ مُعْتَقدًا بِأَنَّهُ عَدُوٌّ قَوْلهُ تَعَالَى (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجكُمْ وَأَوْلاَدكُمْ عَدُوًّا لكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) نَصٌّ قَاطعٌ وَقَدْ اقْتَضَتْ رعَايَةُ حُقُوق الصُّحْبَة أَنْ أَنْصَحَكَ مَرَّةً وَاحدَةً تَعْمَل بهَا أَوْ لاَ وَقَدْ كُنْتُ عَرَفْتُ مِنْ أَوَّل الأَمْر حِينَ شَاهَدْتُ فُضُولِيَّاتك أَنَّ الاسْتقَامَةَ عَلى الفَقْر عَسيرَةٌ بهَذَا الوَضْع. شعْرٌ.

قَدْ كَانَ مَا خفْتَ أَنْ يَكُونَا * إِنَّا إِلى الله رَاجعُونَا**

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى}[1] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلوَات أَتَمُّهَا وَمِنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَقَدْ كُنْتُ مُتَوَقِّعًا مِنْ فطْرَتكَ وَاسْتعْدَادك شَيْئًا آخرَ فَأَنْتَ رَمَيتَ الجَوْهَرَ النَّفيسَ فِي السِّرْقِينِ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْه رَاجعُونَ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد صدِّيق أَيْضًا
فِي بَيَان اغْتِنَامِ الفُرْصَة
وَعَدَمِ تَضْيِيعِ الوَقْتِ

قَدْ وَصَلَ المَكْتُوبُ الذي أَرْسَلتَهُ يَنْبَغي اغْتِنَامُ الفُرْصَة وَعَدَمُ تَضْيِيعِ الوَقْت وَلاَ يَحْصُل شَيْءٌ مِنَ الرُّسُومِ وَالعَادَات وَلاَ يَزِيدُ شَيْءٌ مِنَ التَّمَحُّل وَالتَّعَلل غَيْرَ الخَسَارَة وَقَدْ قَال المُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّها وَمِنَ التسليمات أَكْمَلهَا " هَلكَ المُسَوِّفُونَ "

وَصَرْفُ نَقْد العُمْرِ المُحَقَّق المَوْجُود إلى الأَمْرِ المَوْهُومِ وَحفْظُ المَوْهُومِ للمَوْجُود مُسْتَكْرَهٌ جدًّا فَإِنَّ نَقْدَ الوَقْت يَنْبَغِي أَنْ يُصْرَفَ فِي الأَمْرِ الأَهَمِّ وَالنَّسِيْئَةُ تَسْتَدْعِي أَنْ تَدَّخرَ لَمَا لاَ يَعْنِي مِنَ المُزخرَفات رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ ذَرَّةً مِنْ لذَّة الطَّلب وَعَدَمَ القَرَارِ وَالسُّكُونَة حَتَّى تَتَيَسَّرَ النَّجَاةُ مِنَ السُّكُون إلى مَا سِوَاهُ تَعَالِيَ وَلاَ حَاصِل فِي القِيل وَالقَال وَإِنَّمَا المَطْلوبُ سَلاَمَةُ القَلبِ يَنْبَغِي الفِكْرُ فِي الأَصْل وَالإِعْرَاضُ عَمَّا لاَ يَعْنِي بالتَّمَام. شعْرٌ.

كُل مَا دُونَ هَوَى الحَقِّ وَلَوْ أَكْل قَنْدٍ فَهُوَ سُمٌّ قَاتِل

{وَمَا عَلى الرَّسُول إِلاَّ البَلاَغُ}[1].

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد صدِّيق أَيْضًا
فِي المَنْعِ عَنِ التَّسْوِيفِ

رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عروجات غَيْرَ مُتَنَاهِيَة فِي مَدَارِجِ قُرْبِه بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلِينَ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْلِيماتُ - أَيُّهَا المُحِبُّ إِنَّ الوَقْتَ سَيْفٌ قَاطِعٌ وَلاَ يُدْرَى أَنَّهُ هَل تُعْطَى الفُرْصَةُ غَدًا أَوْ لاَ فَيَنْبَغِي تَقْدِيمُ الأَهَمِّ فِي هَذَا اليَوْمِ وَتَأْخِيرُ غَيْرِ الأَهَمِّ إلى غَد وَهَذَا حُكْمُ العَقْل وَمُقْتَضَاهُ وَلاَ أُرِيدُ بِالعَقْل عَقْل المَعَاشِ بَل عَقْل المَعَاد وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إِلى المُخْلِصِ الصَّدِيقِ مُحَمَّد صدِّيقٍ
فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ الوِلاَيَةِ عَامَّةً كَانَتْ أَوْ خَاصَّةً
مَعَ بَعْضِ خَوَاصِّ الخَاصَّةِ

اعْلَمْ أَنَّ الوِلاَيَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَهِيَ إِمَّا عَامَّةٌ وَإِمَّا خَاصَّةٌ وَتُعْنَى بِالعَامَّةِ مُطْلَقَ الوِلاَيَةِ وَبِالخَاصَّةِ الوِلاَيَةَ المُحَمَّدِيَّةَ عَلى صَاحِبِهَا أَفْضَلِ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ،

الفَنَاءُ فِيهَا أَتَمُّ وَالبَقَاءُ أَكْمَل وَمَنْ شَرُفَ بِهَذِه النِّعْمَةِ العُظْمَى فَقَدْ لاَنَ جِلْدُهُ لِلطَّاعَةِ وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ لِلإِسْلاَمِ وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُه فَرَضِيَتْ عَنْ مَوْلاَهَا وَرَضِيَ مَوْلاَهَا عَنْهَا وَسَلِمَ قَلْبُهُ لِمُقَلِّبِه وَتَخَلَصَتْ رُوحُهُ كُلِّيَّةً إِلى مُكَاشَفَاتِ حَضْرَةِ صِفَاتِ اللاَّهُوتِ وَشَاهَدَ سِرَّهُ مَعَ مُلاَحَظَةِ الشئونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَفِي هَذَا المَقَامِ شَرَفٌ بِالتَّجَلِيَاتِ الذَّاتِيَّةِ البَرْقِيَّةِ وَتَحَيُّرٌ خَفِيَّةٌ لِكَامِلِ التَّنَزُّهِ وَالتَّقَدُّسِ وَالكِبْرِيَاءِ، وَاتَّصَلَ أَخْفَاهُ اتِّصَالاً بِلاَ تَكَيُّفٍ وَضَرْبٍ مِنَ المِثَالِ هَذَا (ع):

هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الوِلاَيَةَ الخَاصَّةَ المُحَمَّدِيَّةَ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ سَائِرِ مَرَاتِبِ الوِلاَيَةِ فِي طَرَفِ العُرُوجِ وَالنُّزُولِ أَمَّا فِي طَرَفِ العُرُوجِ فَلأَنَّ فَنَاءَ الأَخْفَى وَبَقَاءَهُ مُخْتَصَّانِ بِتِلْكَ الوِلاَيَةِ الخَاصَّةِ وَعُرُوجَ سَائِرِ الوِلاَيَاتِ إِلى الخَفَى فَقَطْ مَعَ تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا يَعْنِي أَنَّ عُرُوجَ بَعْضِ أَرْبَابِ الوِلاَيَاتِ إِلى مَقَامِ الرُّوحِ وَعُرُوجَ البَعْضِ إِلى السِّرِّ وَعُرُوجَ البَعْضِ الآخَرِ إِلى الخَفَى وَهُوَ أَقْصَى دَرَجَاتِ الوِلاَيَةِ العَامَّةِ وَأَمَّا فِي طَرَفِ النُّزُولِ فَلأَنَّ لأَجْسَادِ الأَوْلِيَاءِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ نَصِيبًا مِنْ كَمَالاَتِ دَرَجَاتِ تِلْكَ الوِلاَيَةِ لِمَا أَنَّهُ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ أُسْرِيَ بِه لَيْلَةَ المِعْرَاجِ بِالجَسَدِ إِلى مَا شَاءَ اللهُ وَعُرِضَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَالنَّارَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى وَشَرُفَ ثَمَّةَ بِالرُّؤْيَةِ البَصَرِيَّةِ وَهَذَا القِسْمُ مِنَ المِعْرَاجِ مَخْصُوصٌ بِه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالأَوْلِيَاءُ المُتَابِعُونَ لَهُ كَمَالَ المُتَابَعَةِ السَّالِكُونَ تَحْتَ قَدَمِه لَهُمْ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ هَذِهِ المَرْتَبَةِ المَخْصُوصَةِ، (ع):

وَللأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الكِرَام نَصِيبٌ

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ وُقُوعَ الرُّؤْيَة فِي الدُّنْيَا مَخْصُوصٌ بِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالحَالَةُ التي حَصَلتْ للأَوْلِيَاء الذينَ تَحْتَ قَدَمِه لَيْسَتْ بِرُؤْيَة وَالفَرْقُ بَيْنَ الرُّؤْيَة وَتِلكَ الحَالة كَالفَرْق بَيْنَ الأَصْل وَالفَرْعِ وَالشَّخْصِ وَالظِّل وَلَيْسَ أَحَدُهمَا عَيْنَ الآخَرِ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إِلى الملا مُحَمَّد صدِّيق أَيْضًا
فِي المَنْعِ عَنِ التَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ
فِي تَحْصِيلِ المَطْلُوبِ الحَقِيقِيِّ

وَصَل المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ وَحَيْثُ إنَّ القَاصِدَ وَصَل فِي أَوَاخِرِ العَشْرِ المُتَبَرَّكِ كُنْتُ بَعْدَ مُضيِّه مَشْغُولاً بِكتَابَة جَوَابَات المَكَاتيب وَقَدْ كَتَبَ جَوَابَ مَكْتُوب خَان خَانَان وَمَكْتُوبَ الخواجهْ عَبْد الله أَيْضًا وَأَرْسَلاَ إِلَيْهِمَا يَنْبَغِي مُطَالعَتُهمَا بالمُلاَحَظَة وَذَهَابُك إِلى العَسْكَر فِي هَذه النَّوْبَة لَيْسَ بمَعْقُول للفَقير وَمَا الحكْمَةُ فيه وَالأَمْرُ عنْدَ الله سُبْحَانَهُ يَنْبَغِي المُلاَحَظَةُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَعْطَاكَ قُوتَ اليَوْم منْ كَمَال كَرَمه فَاللاَّئقُ بك التَّفَكُّرُ فِي أَمْرك مُغْتَنمًا ذَلكَ دُونَ أَنْ تَجْعَلَهُ وَسيلةً إِلى تَحْصيل قُوت يَوْم آخَرَ فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْجَرُّ حينَئذ إِلى التَّسَلسُل وَطُول الأَمَل كُفْرٌ فِي طَرِيق الفَقْر وَالتَّخَلص منْ مُعَامَلة القَرْض لاَ يُدْرَى أَنَّهُ يَحْصُل منْ طَرَف خواجكى أَوْ لاَ فَإِنْ كَانَ فيه اشْتبَاهٌ فَاكْتُبْ إِلى خواجكى كتَابًا مُنَقَّحًا صَرِيحًا فَإِنْ كَتَبَ فِي جَوَابه مُنَقَّحًا وَفُهمَ منْهُ الوَعْدُ المُؤَكَّدُ فَاذْهَبْ بهَذه النِّيَّة وَلكنْ مَاذَا يَكُونُ علاَجُ التَّسويف وَالتَّأْخيرِ وكُل شَيْءٍ تَخْتَارُهُ وَتَفْعَلهُ يَنْبَغِي لَك أَنْ تَسْتَعْجل فيه فَإِنَّ الفُرْصَةَ غَنيمَةٌ جدًّا.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إلى الحَاجِّ خَضِر الأفْغَانِيِّ
فِي بَيَانِ عُلوِّ شَأْنِ الصَّلاَةِ المَنُوطِ كَمَالُهَا بالوُصُولِ إلى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

وَصَلَ المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ وَاتَّضَحَ مَا فيه اعْلَمْ أَنَّ الالتِذَاذَ بالعِبَادَة وَارْتِفَاعِ الكُلفَة فِي أَدَائِهَا مِنْ أَجْلِ نعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خُصُوصًا فِي أَدَاءِ الصَّلاَة فَإِنَّهُ لاَ يَتَيَسَّرُ فيهَا لغَيْرِ المُنْتَهِي خُصُوصًا فِي أَدَاءِ الصَّلَوَات الفَرْضِيَّة فَإِنَّ الابْتِدَاءَ لاَ التِذَاذَ فيه إلاَّ بالنَّوَافِلِ وَأَمَّا فِي النِّهَايَة فَتَكُونُ تلكَ النِّسْبَةُ مَنُوطَةً بالفَرَائِضِ وَيُرَى فيهَا الاشْتِغَال بالنَّوَافِلِ تَعْطِيلاً وَالأَمْرُ العَظِيمِ للمُنْتَهَى هُوَ أَدَاءُ الفَرَائِضِ فَقَطْ، (ع):

وَهَذَى سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبُ مَنْ

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الالتِذَاذَ الذي يَحْصُل حينَ أَدَاءِ الصَّلاَة لاَ حَظَّ للنَّفْسِ فيه أَصْلاً بَل هِيَ عَيْنُ ذَلكَ الالتِذَاذِ فِي البُكَاءِ وَالحُزْنِ سُبْحَانَ اللهِ أَيُّ رُتْبَةٍ هَذَا، (ع):

هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا

وَالتَّكَلمُ بِمِثْلِ هَذَا الكَلاَمِ وَسَمَاعُنَا إِيَّاهُ أَيْضًا غَنِيمَةٌ لأَمْثَالنَا المَهْوُسِينَ، (ع):

دَعَوْنَا نُسَلي بالأَمَانِيِّ قُلوبُنَا

وَاعْلَمْ أَيْضًا: أَنَّ رُتْبَةَ الصَّلاَة مِثْل رُتْبَة الرُّؤْيَة فِي الآخرَة فَنِهَايَةُ القُرْب فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا هِيَ فِي الصَّلاَة وَنِهَايَةُ القُرْب فِي الآخرَة فِي عَيْنِ الرُّؤْيَة وَأَيْضًا إِنَّ سَائِرَ العِبَادَاتِ وَسَائِل للصَّلاَة وَالصَّلاَةُ مِنَ المَقَاصِدِ وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ السرهندي
فِي مَذَمَّةِ الدُّنْيَا وَالتَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ أَرْبَابِهَا

لاَ يُكَوِّنَنَّ وَلَدُ الأَرْشَدِ مَغْرُورًا وَمَسْرُورًا بِهَذِهِ الدَّنِيَّةِ المَبْغُوضِ عَلَيْهَا وَلاَ يُضَيِّعَنَّ بِضَاعَةَ الإِقْبَالِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الحَقِّ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - يَنْبَغِي التَّفَكُّرُ أَيُّ شَيْءٍ يُبَاعُ وَأَيُّ شَيْءٍ يُشْتَرَى تَبْدِيلِ الآخِرَةِ بِالدُّنْيَا وَالامْتِنَاعُ مِنْ طَلَبِ الحَقِّ بِالخَلْقِ مِنَ السَّفَاهَةِ وَالجَهَالَةِ وَالجَمْعُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ قَبِيلِ الجَمْعِ بَيْنَ الأَضْدَادِ، (ع):

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَوْ اجْتَمَعَا

فَاخْتَرْ أَيًّا شِئْتَ مِنْ هَذَيْنِ الضِّدَّيْنِ وَبِعْ نَفْسَكَ مِنْ أَيِّهِمَا شِئْتَ، عَذَابُ الآخِرَةِ أَبَدِيٌّ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالدُّنْيَا مَبْغُوضٌ عَلَيْهَا عِنْدَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالآخِرَةُ مَرْضِيَّةٌ لَهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. شعْرٌ.

عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّت وَالزَمْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقٌ

وَلاَ بُدَّ مِنْ تَرْكِ العِيَالِ وَالأَوْلاَدِ أَخِيرًا وَتَفْوِيضِهِمْ إِلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْسِبَ نَفْسَكَ اليَوْمَ مَيِّتًا وَأَنْ تُفَوِّضَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ نَصٌّ قَاطِعٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مُكَرَّرًا أَنَّ نَوْمَ الأَرْنَبِ يَعْنِي الغَفْلَةَ وَالغُرُورَ إِلَى مَتَى يَمْتَدُّ فَلاَ بُدَّ مِنَ التَّنَبُّهِ وَالتَّيَقُّظِ وَاعْلَمْ أَنَّ صُحْبَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالاخْتِلاَطَ بِهِمْ سُمٌّ قَاتِلٌ وَقَتِيلُ هَذَا السُّمِّ مَيِّتٌ بِالمَوْتِ الأَبَدِيِّ العَاقِلُ تَكْفِيهِ الإِشَارَةُ فَكَيْفَ التَّصْرِيحُ مَعَ هَذِهِ المُبَالَغَةِ وَالتَّأْكِيدِ وَطَعَامُ المُلُوكِ وَإِنْ كَانَ لَذِيذًا لَكِنَّهُ يَزِيدُ مَرَضَ القَلْبِ فَكَيْفَ يُرْجَى الفَلاَحُ وَالنَّجَاةُ الحَذَرَ الحَذَرَ الحَذَرَ. شعْرٌ.

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ البَلاَغِ أَقُولُهُ فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا خَالِصًا أَوْ مَلاَلَةً

فَرَّ مَنْ صُحْبَتِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ فَإِنَّ الفِرَارَ مِنْهُمْ وَإِنْ أَوْجَبَ المَوْتَ الدنيويَّ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُفِيدُ فِي الآخِرَةِ وَاخْتِلاَطُ المُلُوكِ يُوجِبُ الهَلاَكَ الأَبَدِيَّ وَالخَسَارَ السرمديَّ فَإِيَّاكَ وَصُحْبَتَهُمْ وَإِيَّاكَ وَلُقْمَتَهُمْ وَإِيَّاكَ وَمَحَبَّتَهُمْ وَإِيَّاكَ وَرُؤْيَتَهُمْ وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ الصَّحِيحِ " مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِه "

يَنْبَغِي لَكَ المُلاَحَظَةُ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ التَّوَاضُعِ وَالمُلاَيَنَةِ هَلْ هُوَ مِنْ جِهَةِ غِنَاهُمْ أَوْ مِنْ جِهَةِ شَيْءٍ آخَرَ وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ غِنَاهُمْ وَنَتِيجَتُه ذَهَابُ ثُلُثَيْ الدِّينِ

فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الإِسْلاَمِ وَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ النَّجَاةِ وَكُل هَذه المُبَالغَة وَالإِبْرَامِ لِيَعْلمَ وَلدي أَنَّ لقْمَةَ غَيْرِ الجِنْسِ وَصُحْبَتَهمْ مُحَجِّبٌ قَلبَهُ عَنْ تَذَكُّرِ المَوَاعظ وَتَعَقُّل النَّصَائحِ فَلاَ يَكَادُ يَتَأَثَّرُ مِنَ الكَلمَة وَالكَلاَم فَالحَذَرَ الحَذرَ مِنْ صُحْبَتهمْ وَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ نَجَّانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ عَمَّا لاَ يَرْضَى عَنْهُ رَبُّنَا المُتَعَالي بِحُرْمَة سَيِّد البَشَرِ المَمْدُوحِ بِمَا زَاغَ البَصَرُ - عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ مِنَ الصَّلوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلهَا - وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَةُ
إلى جَعْفَرٍ بك التهاني
في بَيَان جَوَازِ هَجْوِ جَمَاعَةِ السُّفَهَاءِ
الذِينَ يَطْعَنُونَ فِي أَهْلِ اللهِ وَفِي اِسْتِحْسَانِ ذَمِّهِمْ

قَدْ شَرَّفَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ بِوُرُودِه سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى حَيْثُ تَتَفَقَّدُونَ أَحْوَالَ الفُقَرَاءِ وَتَعْتَقِدُونَ أَنَّ الحُضُورَ وَالغَيْبَةَ سِيَّانِ أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَمَّا بَالَغُوا فِي هَجْوِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَسَبِّهِمْ مِنْ غَايَةِ خِذْلاَنِهِمْ وَكَمَالِ حِرْمَانِهِمْ عَنِ السَّعَادَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعْضَ الشُّعَرَاءِ الإِسْلاَمِيَّةِ بِهَجْوِ الكُفَّارِ الأَشْرَارِ فَكَانَ الشَّاعِرُ المَأْمُورُ يَصْعَدُ المِنْبَرَ فِي حُضُورِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِه مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا - وَيَهْجُو الكُفَّارَ فِي مَلاَءٍ بِإِنْشَادِ الأَشْعَارِ وَكَانَ النَّبِيُّ ـــ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ـــ يَقُول " إِنَّ رُوحَ القُدُسِ مَعَهُ مَا دَامَ يَهْجُو الكُفَّارَ "

وَاعْلَمْ أَنَّ المَلاَمَةَ وَإِيذَاءَ الخَلقِ مِنْ مُغْتَنَمَاتِ أَرْبَابِ العِشْقِ اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِه الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ.

المَكْتُوبُ الأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد مَعْصُوم الكابلي
فِي بَيَانِ أَنَّ الأَلَمَ وَالمِحْنَةَ مِنْ لوَازِمِ المَحَبَّةِ

أَيُّهَا المُحِبُّ إنَّ الأَلَمَ وَالمِحْنَةَ مِنْ لوَازِمِ المَحَبَّةِ وَلاَ بُدَّ مِنَ الأَلَمِ وَالغَمِّ لَمَنِ اخْتَارَ الفَقْرَ شِعْرٌ.

أَلاَ إنَّ قَصْدي منْ هَوَاكَ التَّأَلُّمُ وَإلاَّ فَأَسْبَابُ التَّنَعُّمِ وَافِرَةٌ

وَالمَحْبُوبُ يُرِيدُ وَلَهُ المُحِبُّ بِهِ وَعَدَمُ سُكُونِهِ إلى مَنْ سِوَاهُ لِيَحْصُلَ الانْقِطَاعُ عَنْ غَيْرِهِ بِالكُلِّيَّةِ وَالاطْمِئْنَانُ هُنَا فِي عَدَمِ الاطْمِئْنَانِ وَاللذَّةُ فِي الحُرْقَةِ وَالقَرَارُ فِي عَدَمِ القَرَارِ وَالرَّاحَةُ فِي الجِرَاحَةِ وَطَلَبُ الفَرَاغَةِ فِي هَذَا المَقَامِ إلقَاءُ نَفْسِكَ إلى الفِتْنَةِ يَنْبَغِي تَفْوِيضُ نَفْسِكَ إلى المَحْبُوبِ بِالتَّمَامِ وَأَنْ يَرْضَى بِكُلِّ ما يَجِيءُ مِنْهُ وَأَنْ يَقْبَلَهُ مِنْ غَيْرِ إعْرَاضٍ وَاعْتِرَاضٍ وَهَذَا الوَضْعُ هُوَ طَرِيقُ المَعِيشَةِ وَعَلَيْكَ بِالاجْتِهَادِ فِي تَحْصِيلِ الاسْتِقَامَةِ بِقَدْرِ الوُسْعِ وَالطَّاقَةِ وَإلاَّ فَالفُتُورُ فِي القَفَا وَقَدْ كَانَ اشْتِغَالُكَ جَيِّدًا وَلَكِنَّهَا ضَعُفَتْ قَبْلَ حُصُولِ القُوَّةِ وَلَكِنْ لاَ بَأْسَ فِيهِ وَلاَ هُوَ مِمَّا يَغْتَمُّ بِهِ فَإِنَّكَ لَوْ تَشَبَّثْتَ بِأَسْبَابِ الجَمْعِيَّةِ مِنْ هَذِهِ التَّرَدُّدَاتِ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنَ الأَوَّلِ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ أَسْبَابَ هَذِهِ التَّفْرِقَةِ هِيَ عَيْنُ أَسْبَابِ الجَمْعِيَّةِ حَتَّى تَقْدِرَ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادِي وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد قلي
فِي بَيَانِ أَنَّ العُمْدَةَ فِي هَذَا الأَمْرِ المَحَبَّةُ وَالإِخْلاَصُ

أَنْعَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بالتَّرْقِيَّات بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ - أَيُّهَا المُحبُّ إِنَّكَ لاَ تَكْتُبُ مِنْ أَحْوَال القَلب شَيْئًا فِي بَعْضِ الأَحْيَان حَتَّى نَطَّلعَ عَلى كَيْفِيَّته وَلاَ بُدَّ لك مِنْ كِتَابَة شَيْءٍ مِنْ هَذَا البَاب أَيْضًا البَتَّةَ فَإِنَّهُ مُوجبٌ للتَّوَجُّه الغائِبِيِّ وَعُمْدَةُ هَذَا الأَمْرِ هِيَ المَحَبَّةُ وَالإِخْلاَصُ وَلاَ غَمَّ إِنْ لَمْ يُفْهَمِ التَّرَقِّي فَإِنَّهُ إِذَا بَقِيَتْ الاِسْتِقَامَةُ عَلى الإِخْلاَصِ تَيَسَّرَ أُمُورُ سِنِينَ فِي سَاعَاتٍ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالأَرْبَعُونَ وَالمائَةُ
إلى الملا عَبْد الغَفُور السمرقَنْديِّ
فِي بَيَانِ اسْتِكْثَارِ قَليل مِنْ نِسْبَةِ الأَكَابِرِ

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّريفُ الذي أَرْسَلتَهُ عَلى وَجْه الالتفَات يَنْبَغي أَنْ يَعُدَّ مَحَبَّةَ الفُقَرَاءِ مِنْ أَجَل نِعَمِ اللهِ تَعَالى والمسئول منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالمَرْجُوُّ مِنْهُ تَعَالى الاسْتقَامَةُ عَلَيْه وَوَصَلتْ الهَدَيَّةُ المُرْسَلةُ إلى الفُقَرَاء أَيْضًا وَقَرَأَ فَاتحَةَ السَّلاَمَة وَالطَّريقَة التي أَخَذْتَهَا وَوَصَلتْ منْهَا نسْبَةٌ كَثيرَةٌ لَمْ يُذْكَرْ شَيْءٌ مِنْ هَذِه المَقُولة مَعَاذَ اللهِ مِنْ تَطَرُّق الفُتُور إلَيْهَا. شعْرٌ.

خَيَالُهُ طَرْفَةُ العَيْنِ لدَى نَظَري قَدْ فَاقَ وَصْل الغَواني مُدَّةَ العُمْرِ

فَإِنْ حَصَل شَيْءٌ مِنْ نسْبَة هَؤُلاَء الأَكَابِر يَنْبَغي أَنْ تَسْتَكْثرَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِقَليل لأَنَّ نهَايَةَ الآخَرينَ مُنْدَرجَةٌ في بدَايَتهمْ، (ع):

وَقسْ منْ حَال بُستاني رَبيعي

وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ لاَ تَغْتَمَّ مِنْ هَذَا الفُتُور إذَا كَانَتْ مَحَبَّةُ حَمَلة هَذه النِّسْبَة قَوِيَّةً وَقَدْ أَرْسَل الثَّوْبَ الذي كَانَ مَلبُوسًا مُكَرَّرًا فالبَسْهُ أَحْيَانًا وَاحْفَظْهُ بكَمَال الأَدَب فَإِنَّهُ يُتَوَقَّعُ منْهُ فَوَائدُ كَثيرَةٌ وَكُلمَا تَلبَسُهُ عَلى الوُضُوء وَتَشْتَغل بتَكْرَار الذِّكْر فَعَسَى أَنْ تَحْصُل الجَمْعيَّةُ التَّامَّةُ وَكُلمَا كَتَبْتَ شَيْئًا يَنْبَغي لك أَنْ تَكْتُبَ أَوَّلاً مِنْ أَحْوَال بَاطنكَ فَإِنَّ أَحْوَال الظَّاهر بدُون أَحْوَال البَاطن سَاقطَةٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُملى حَديثُ الأَحبَّة

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد البَشَر المُطَهَّر عَنْ زَيْغ البَصَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ظَاهرًا وَبَاطنًا، (ع):

هَذَا هُوَ الأمرُ والبَاقي منَ العَبَثِ

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إِلى المُلاَ شَمْسِ الدِّينِ
فِي بَيَانِ اغْتِنَامِ مَوْسِمِ الشَّبَابِ
وَعَدَمِ صَرْفِهِ إِلَى مَا لاَ يَعْنِي مِنَ اللهْوِ وَاللعِبِ

كَانَ مُحِبُّ الفُقَرَاءِ مَوْلاَنَا شَمْسُ الدِّينِ مُوَفَّقًا وَمُغْتَنِمًا لِمَوْسِمِ الشَّبَابِ مُمْتَنِعًا مَنْ صَرْفِهِ فِي اللهْوِ وَاللعِبِ وَتَعْوِيضِهِ بِالجَوْزِ وَالمَوْزِ وَإِلاَّ لاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ أَخِيرًا غَيْرَ النَّدَامَةِ وَالتَّأَسُّفِ وَلاَ يُجْدِي شَيْئًا وَالشَّرْطُ الإِخْبَارُ وَيَنْبَغِي أَدَاءُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ بِالجَمَاعَةِ وَتَمْيِيزُ الحَلاَلِ مِنَ الحَرَامِ وَطَرِيقُ النَّجَاةِ الأُخْرَوِيَّةِ هُوَ مُتَابَعَةُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ - وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ تَكُونَ التَلَذُّذَاتُ الفَانِيَةُ والتنعماتُ الهَالِكَةُ مَنْظُورًا إِلَيْهَا وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ لِلخَيْرَاتِ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الحَافظ مَحْمُود اللاهوري
فِي بَيَانِ مَعْنَى السَّيْرِ وَالسُّلوك
وَبَيَانِ السَّيْرِ إِلَى اللهِ وَالسَّيْرِ فِي اللهِ وَالسَّيْرَيْنِ الآخَرَيْنِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ تَرْقِيَّات غَيْرَ مُتَنَاهِيَة فِي مَدَارِجِ الكَمَالات بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ المُطَهَّرِ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ - عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ والتَّسْليماتُ -، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمَلَى حَديثُ الأَحِبَّة

اعْلَمْ أَنَّ: السَّيْرَ وَالسُّلوكَ عِبَارَةٌ عَنِ الحَرَكَة العلميَّة التي هيَ مِنْ مَقُولة الكَيْف وَلاَ مَجَال هُنَا للحَرَكَة الأينيَّة فَالسَّيْرُ إِلى الله عِبَارَةٌ عَنِ الحَرَكَة العلميَّة ذَاهِبًا مِنَ العلمِ الأَدْنَى إِلى العلمِ الأَعْلى وَمِنْ هَذَا إِلى أَعْلى آخَرَ وَهَكَذَا إِلى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلى علمِ الوَاجب تَعَالى بَعْدَ طَيِّ عُلومِ المُمْكِنَات كُلهَا وَزَوَالهَا بِأَسْرِهَا وَهَذِهِ الحَالَةُ هِيَ المُعَبَّرُ عَنْهَا بالفَنَاء.

وَالسَّيْرُ فِي اللهِ عِبَارَةٌ عَنِ الحَرَكَة العلميَّة فِي مَرَاتِبِ الوُجُوب مِنَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشئون وَالاعْتِبَارَات والتقديسات والتنزيهات إِلى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلى مَرْتَبَة لاَ يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا بعِبَارَة وَلاَ يُشَارُ إِلَيْهَا بِإِشَارَة وَلاَ تُسَمَّى بَاسِمٍ وَلاَ يُكَنَّى عَنْهَا بكِنَايَة وَلاَ يَعْلَمُهَا عَالِمٌ وَلاَ يُدْرِكُهَا مُدْرِكٌ وَهَذَا السَّيْرُ يُسَمَّى بالبَقَاء وَالسَّيْرُ عَنِ اللهِ بِاللهِ الَّذي هُوَ السَّيْرُ الثَّالثُ أَيْضًا عِبَارَةٌ عَنِ الحَرَكَة العلميَّة نَازِلاً مِنَ العلمِ الأَعْلى إِلى العلمِ الأَدْنَى وَمِنَ الأَدْنَى إِلى الأَدْنَى وَهَكَذَا إِلى أَنْ يَرْجِعَ إِلى المُمَكِّنَات رُجُوعَ القَهْقَرَى وَيَنْزِل مِنْ عُلومِ مَرَاتِبِ الوُجُوب كُلهَا وَهُوَ العَارِفُ الذي نَسِيَ اللهَ بِاللهِ وَرَجَعَ عَنِ اللهِ مَعَ اللهِ وَهُوَ الوَاجِدُ الفَاقِدُ وَالوَاصِل المَهْجُورُ وَهُوَ القَرِيبُ البَعِيدُ وَالسَّيْرُ الرَّابِعُ الذي هُوَ السَّيْرُ فِي الأَشْيَاء عِبَارَةٌ عَنْ حُصُول عُلومِ الأَشْيَاء شَيْئًا فَشَيْئًا بَعْدَ زَوَال تلكَ العُلوم كُلهَا فِي السَّيْرِ الأَوَّل فَالسَّيْرُ الرَّابِعُ مُقَابِل للسَّيْرِ الأَوَّل وَالسَّيْرُ الثَّالثُ للثَّاني كَمَا تَرَى وَالسَّيْرُ إِلى اللهِ وَالسَّيْرُ فِي اللهِ لِتَحْصِيل نَفْسِ الوِلاَيَة التي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الفَنَاء وَالبَقَاء وَالسَّيْرُ الثَّالثُ وَالرَّابِعُ لِحُصُول مَقَامِ الدَّعْوَة الذي هُوَ مَخْصُوصٌ بالأَنْبِيَاء وَالمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللهِ وتسليماتُه عَلى جَمِيعِهِمْ عُمومًا، وَعَلى أَفْضَلِهِمْ خصوصًا، وَللمُتَابِعِينَ الكَامِلِينَ أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ مَقَامِ هَؤُلاَء الأَكَابِرِ

عَلَيْهِ السَّلاَمُ {قُل هَذه سَبيلي أَدْعُو إلى الله عَلى بَصيرَة أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَني} الآيَةَ هَذَا هُوَ حَديثُ البدَايَة وَالنِّهَايَة وَالمَقْصُودُ مَنْ ذكْره تَنْويهُ شَأْنه وَتَشْويقُ الطُّلاَّب إلَيْه.

وَتَهَافَتُوا في سُكْرِيَّا أَهْل الصَّفْرَاء لأَجْل تَغَافُل السَّوْدَاويِّ.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى المُفْتي عَبْد الرَّحْمَن
فِي بَيَانِ أَنَّ مَشَائِخَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ اخْتَارُوا ابْتِدَاءَ السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَبَيَانِ سِرِّ عَدَمِ تَأَثُّرِ بَعْضِ مُبْتَدِئِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِسُرْعَةٍ

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمينا.

اعْلَمْ أَنْ مَشَائِخَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ اخْتَارُوا ابْتِدَاءَ السَّيْرِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَصَارُوا يَقْطَعُونَ مَسَافَةَ عَالَمِ الخَلْقِ فِي ضِمْنِه بِخِلَافِ مَشَائِخِ سَائِرِ الطُّرُقَاتِ فَإِنَّ ابْتِدَاءَ سَيْرِهِمْ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ وَبَعْدَ طَيِّ مَسَافَةِ عَالَمِ الخَلْقِ يَضَعُونَ القَدَمَ فِي عَالَمِ الأَمْرِ وَيَصِلُونَ إلى مَقَامِ الجَذْبَةِ وَلِهَذَا كَانَ طَرِيقُ النَّقْشَبَنْدِيَّة أَقْرَبَ الطُّرُقِ فَلَا جَرَمَ صَارَتْ نِهَايَةُ الآخَرِينَ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ، (ع):

وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

وَمَعَ كَوْنِ ابْتِدَاءِ سَيْرِهِمْ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ لَا يَتَأَثَّرُ بَعْضُ الطَّالِبِينَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَجِدُونَ

الحَلَاوَةَ وَلَا التَّلَذُّذَ الذي هُوَ مِنْ مُقَدِّمَةِ الجَذْبَةِ بِالسُّهُولَةِ وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ لطَائِفَ عَالَمِ الأَمْرِ ضَعِيفَةٌ فِيهِمْ بِالنِّسْبَةِ إلى عَالَمِ الخَلْقِ وَهَذَا الضَّعْفُ هُوَ الذي صَارَ سُدَّةً فِي طَرِيقِ التَّأْثِيرِ وَالتَّأَثُّرِ وَامْتِدَادِ زَمَانِ بُطْءِ التَّأَثُّرِ إلى أَنْ يُقَوِّيَ لطَائِفَ عَالَمِ الأَمْرِ فِيهِمْ وَتَغْلِبَ عَلى عَالَمِ الخَلْقِ وَأَنْ يَنْعَكِسَ الأَمْرُ وَعِلَاجُ هَذَا الضَّعْفِ بِحَيْثُ يَكُونُ مُنَاسِبًا لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ هُوَ التَّصَرُّفُ التَّامُّ مِنْ صَاحِبِ التَّصَرُّفِ وَالعِلَاجُ المُنَاسِبُ لسَائِرِ الطُّرُقِ تَقْدِيمُ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَالرِّيَاضَاتِ الشَّدِيدَةِ وَالمُجَاهَدَاتِ الشَّاقَّةِ الوَاقِعَةِ عَلى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بُطْءَ التَّأَثُّرِ لَيْسَ مِنْ عَلَامَةِ نُقْصَانِ الاِسْتِعْدَادِ وَكَمْ مِنْ طَائِفَةٍ تَامِّي الاِسْتِعْدَادِ يُبْتَلَوْنَ بِهَذَا البَلَاءِ وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إِلى شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ
فِي النَّصِيحَةِ بِتَكْرَارِ الذِّكْرِ

وَصَل مَكْتُوبُ وَلدي شَرَف الدِّين حُسَيْنٍ لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى أَنَّهُ مُسْتَسْعِدٌ بِسَعَادَة تَذَكُّرِ الفُقَرَاءِ وَلِيُعَمِّرَ الأَوْقَاتَ بِتَكْرَارِ الذِّكْرِ الذي أَخَذَهُ وَلاَ يُفَوِّتَنَّ الفُرْصَةَ مُنْخَدِعًا بِالشَّأْنِ وَالشَّوْكَةِ الفَانِيَةِ مُغْتَنِمًا للحَيَاةِ القَلِيلةِ.

شِعْرٌ.

همه اندر زمن بتوا ينست كه توطفلى وخانه رنكينست

وَنِعْمَ النِّعْمَة إِكْرَامُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَبْدَه بِتَوْفِيقِ التَّوْبَة فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ وَالإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِالاسْتِقَامَة عَلَيْهَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَال إِنَّ جَمِيعَ التَّنَعُّمات الدُّنْيَوِيَّة فِي جَنْبِ تِلكَ النِّعْمَة لَهَا حُكْمُ النَّدَى فِي جَنْبِ البَحْرِ العَمِيقِ فَإِنَّ هَذه النِّعْمَةَ مُوجِبَةٌ لِرِضَا المَوْلى سُبْحَانَهُ الذي هُوَ فَوْقَ جَمِيعِ النِّعَمِ دُنْيَوِيَّةً كَانَتْ أَوْ أُخْرَوِيَّةً وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيماتُ - أَتَمُّهَا وَأَكْمَلُهَا.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ أَشْرَفَ الكابلي
فِي بَيَانِ أَنَّ الانْقِطَاعَ مُقَدَّمٌ عَلى الاتِّصَالِ وَبِالعَكْسِ

رَزَقَنَا اللهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَيَاكُمْ التَّرْقِيَّاتِ عَلى مَدَارِجِ الكَمَالِ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيماتُ - قَالتْ طَائِفَةٌ مِنْ مَشَائِخِ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بِتَقَدُّمِ الانْفِصَالِ وَالانْقِطَاعِ عَلى الاتِّصَالِ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ قَدَّمُوا الاتِّصَالَ عَلى الانْقِطَاعِ وَالانْفِصَالِ وَتَوَقَّفَتْ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ فِيهِ قَالَ أَبُو سَعِيدِ الخَرَّازُ - قُدِّسَ سِرُّهُ - مَا لَمْ تَنْقَطِعْ لاَ تَجِدُوا مَا لَمْ تَجِدْ تنقطعْ وَلاَ أَدْرِي أَيُّهِمَا أَقْدَمُ يَقُول رَاقِمُ هَذِهِ السُّطُور: إنَّ الانْقِطَاعَ وَالاتِّصَالَ يَتَحَقَّقَانِ فِي آنٍ وَاحِدٍ وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَنْفَكَّ الانْقِطَاعُ عَنِ الاتِّصَالِ وَأَنْ يَحْصُلَ الاتِّصَالُ بِدُونِ الانْقِطَاعِ وَالانْفِصَالِ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ الخَفَاءَ إِنْ تَحَقَّقَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي التَّقَدُّمِ الذَّاتِيِّ وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا للآخَرِ وَاخْتَارَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ الهَرَوِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - المَذْهَبَ الثَّانِيَ قَائِلاً بِأَنَّ السِّبْقَةَ مِنْ ذَلِكَ الطَّرَفِ أَحْسَنُ وَالذِينَ يَقُولونَ بِتَقَدُّمِ الانْفِصَالِ عَلى الاتِّصَالِ لاَ يُنْكِرُونَ هَذِهِ السِّبْقَةَ أَيْضًا وَمُرَادُهُمْ مِنَ الاتِّصَالِ الظُّهُورُ التَّامُّ وَهُوَ لاَ يُنَافِي الظُّهُورَ المُطْلَقَ فَيَكُونُ الظُّهُورُ المُطْلَقُ مُقَدَّمًا عَلى الانْفِصَالِ وَالظُّهُورُ التَّامُّ مُؤَخَّرًا عَنْهُ فَعَلى هَذَا التَّحْقِيقِ يَكُونُ نِزَاعُهُمْ رَاجِعًا إِلى اللفْظِ وَلكِنَّ نَظَرَ الطَّائِفَةِ الأُولى عَالٍ حَيْثُ لاَ يَعْتَبِرُونَ القَلِيلَ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ عَلى هَذَا التَّوْجِيهِ قَدْ حَصَلَ التَّقَدُّمُ الزمَانِيُّ أَيْضًا فَافْهَمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ للصَّوَابِ وَعَلى كُلِ حَالٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَظْهَرًا للانْفِصَالِ وَالاتِّصَالِ فَإِنَّ مَرْتَبَةَ الوِلاَيَةِ مَنُوطٌ بِهَاتَيْنِ المُرَتَّبَتَيْنِ وَبِدُونِهِمَا خَرْطُ القَتَادِ.

وَالمَرْتَبَةُ الأَوْلى مَرْبُوطَةٌ بِالسَّيْرِ إِلى اللهِ وَالثَّانِيَةُ بِالسَّيْرِ فِي اللهِ وَبِمَجْمُوعِ هَذَيْنِ السَّيْرَيْنِ يُوصِّلُ إِلى المَرْتَبَةِ الوِلاَيَةِ وَالكَمَالِش عَلى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا وَالسَّيْرَانِ البَاقِيَانِ لتَحْصِيلِ مَرْتَبَةِ التَّكْمِيلِ وَالوُصُولِ إِلى دَرَجَةِ الدَّعْوَةِ. شعْرٌ.

نَادَيْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ لَوْ كَانَ فِي الأَحْيَاءِ حَيٌّ

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
المُلاَّ صَادِقٌ الكابلى
فِي بَيَان ذَمِّ صَاحِب الري
وَعَدَمِ الاغْتِرَارِ بِتَوَسُّطِ رُوحَانِيَّةِ المَشَايِخِ وَإِمْدَادَاتِهِمْ

وَصَل المَكْتُوبَان مُتَّصلاً بَعْضُهمَا بِبَعْضٍ كَانَ الأَوَّل مُنْبِئًا عَنِ الحُصُول والرِّيِّ وَالثَّانِي عَنِ العَطَشِ وَعَدَمِ الحُصُول الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ العِبْرَةُ بالخَاتِمَة إِنْ صَاحِبَ الرى لَيْسَ لَهُ حَاصل وَالذي يَرَى نَفْسَه لاَ حَاصل لهُ فَهُوَ الوَاصل وَقَدْ قِيل لك مُكَرَّرًا أَنْ لاَ تَغْتَرَّ بتَوَسُّط رُوحَانِيَّة المَشَايِخ وَإِمْدَادَاتهمْ فَإِنَّ صُوَرَ هَؤُلاَء المَشَايِخ التِي تَرَاهَا وَتُشَاهِدُهَا هِيَ لَطَائِفُ الشَّيْخ المُقْتَدَى به فِي الحَقِيقَة ظَهَرَتْ بِهَذه الصُّورَة وَتَوْحِيدُ قِبْلَة التَّوَجُّه مِنَ الشُّرُوط وَتَفْرِيقُ التَّوَجُّه مُوجِبٌ للخُسْرَان عِيَاذًا بالله سُبْحَانَهُ وَأَيْضًا إِنِّى كُنْتُ قُلتُ لك مُكَرَّرًا وَمُؤَكِّدًا أَنْ قَلل الأَشْغَال لِيَحْصُل المَقْصُودُ بِسُرْعَة فَإِنَّ تَرْكَ الأَمْر الضَرُورِيَّ وَالاشْتِغَال بِمَا لاَ طَائِل فيه بَعِيدٌ عَنْ طَوْر العَقْل وَلَكِنَّك مُعْتَقِدٌ لرَأْي نَفْسِك قَلمَا يُؤَثِّرُ فِيك كَلاَمُ غَيْرِك وَأَنْتَ تَعْلمُ {وَمَا عَلى الرَّسُول إِلاَّ البَلاَغُ}[1].

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا صَادق الكابلي أَيْضًا
فِي بَيَانِ عَدَمِ قِصَرِ النَّظَرِ عَلى سَبَبٍ مُعَيَّنٍ

وَالعَجَبُ مِنْ أَخِي مَوْلاَنَا مُحَمَّد صَادق حَيْثُ سَلمَ نَفْسَهُ بالكُلِّيَّة إلى عَالمِ الأَسْبَاب وَأَنْ جَعَلَ مُسَبِّبَ الأسباب تَعَالى وَتَقَدَّسَ الأَشْيَاءَ مُرَتَّبَةً عَلى الأَسْبَابِ وَلكِنْ مَا الحَاجَةُ إلى نُصْب العَيْنِ عَلى سَبَب مُعَيَّنٍ. شعْرٌ.

وَلاَ تَحْزَنْ إِذَا مَا سُدَّ بَابٌ ... فَإِنَّ اللهَ يَفْتَحُ أَلفَ بَاب

وَهَذَا القسْمُ مِنْ قُصُور النَّظَرِ يُنْبِئُ عَنْ غَايَة عَدَمِ المُنَاسَبَة وَمُسْتَهْجَنٌ مِنْ أَمْثَالك جدًّا يَنْبَغِي لك أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي حَالك سَاعَةً تَفْهَمُ هَذه الشَّنَاعَةَ وَكُل هَذَا الاضْطرَاب فِي كُسْوَة الفَقْر تَحْصيل مَا هُوَ مَبْغُوضٌ عَلَيْه لدَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَا أَشَدَّهُ قَبَاحَةً وَبئْسَ البَلاَءُ المُسْتَنْكَرُ وَالعَجَبُ أَنَّهُ كَيْفَ زُيِّنَ هَذَا الشَيْءُ المُسْتَنْكَرُ فِي نَظَرِك يَنْبَغِي لك أَنْ تَسْعَى وَتَجْتَهدَ فِي تَحْصيل الأُمُور الضَّرُورِيَّة بقَدْر الضَّرُورَة وَصَرْفُ جَميع الهمَّة إلَيْهمَا وَتَضْييعُ تَمَام العُمْر فِي تَحْصيلهَا سَفَاهَةٌ مَحْضَةٌ الفُرْصَةُ غَنيمَةٌ جدًّا وَالأَسَفُ كُل الأَسَف عَلى حَال مَنْ يَصْرِفُهَا إلى تَحْصيل عُلوم لاَ طَائل فيهَا وَالشَّرْطُ هُوَ الإخْبَارُ {وَمَا عَلى الرَّسُول إلاَّ البَلاَغُ}[1] وَلاَ تَحْزَنْ مِنْ مَقَالاَت النَّاس فيك فَإِنْ نَسَبُوا إلَيْك شَيْئًا لَيْسَ فيك منْهَا شَيْءٌ فَلاَ غَمَّ نَعمَتْ الدَّوْلَةُ أَنْ يَرَى النَّاسُ شَخْصًا شَرًّا وَهُوَ فِي الحَقِيقَة مِنَ الأَخْيَار فَإِنْ تَحَقَّقَ عَكْسِ هَذِه القَضيَّة فَقَدْ عَظُمَ الخَطَرُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ الخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد قَاسِم
فِي بَيَانِ أَنْ لاَ مُسْتَحِقَّ للمطلوبِيَّةِ غَيْرَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ

وَصَل مَكْتُوبُ أَخينَا الخواجهْ مُحَمَّد القَاسِم وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ وَلاَ تَضيقُ صَدْرُك منْ تَشَتُّت الأَوْضَاعِ الدُّنْيَوِيَّة وَتُفَرُّق الأَحْوَال الصُّورِيَّة فَإِنَّهَا لاَ تَسْتَحقُّ لذَلكَ لأَنَّ هَذه النَّشْأَةَ فِي مَعْرِضِ الفَنَاء بَل يَنْبَغي السَّعْيُ فِي تَحْصيل مَرْضَاة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَوَاءً كَانَ فيهَا عُسْرٌ أَوْ يُسْرٌ وَلاَ مُسْتَحقَّ للمطلوبيَّة غَيْرَ ذَات الوَاجب الوُجُود جَل شَأْنُهُ خُصُوصًا لأَمْثَالكُمْ الأَعزَّة وَمَعَ ذَلكَ لوْ وَقَعَتْ الإِشَارَةُ بِخدْمَةٍ وَأَمْرٍ نَجْتَهدُ فِي تَحْصيلهَا بالمنونيَّة وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى المَيْر مُؤْمن البلخيِّ
فِي بَيَانِ عُلوِّ شَأْنِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلِيهَا العَلِيَّةَ وَبَيَانِ مَعْنَى يادداشت المَخْصُوصِ بِهِمْ

(ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمْلى حَدِيثُ الأَحِبَّةِ

اعْلَمْ أَنْ: "يادداشت" عِبَارَةٌ فِي طَرِيقِ حَضَرَاتِ خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ عَنْ حُضُورٍ بلا غَيْبة أَعْنِي دَوَامَ حُضُورِ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مِنْ غَيْرِ تَخَلل الحُجُبِ الشئونيَّة وَالاعْتِبَارِيَّة فَإِنْ وُجِدَ حُضُورٌ فِي وَقْت وَغَيْبَةٌ فِي وَقْت بِأَنْ تَرْتَفِعَ الحُجُبُ فِي وَقْت بِالتَّمَامِ وَانْسَدَلتْ فِي وَقْت آخَرَ كَمَا يَكُونُ فِي التَّجَلِّي البَرقِيِّ الذَّاتِيِّ حَيْثُ إِنَّ الحُجُبَ تَرْتَفِعُ فيه عَنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ كَالبَرْق ثُمَّ تَحْتَجِبُ بِحُجُبِ الشُّئون وَالاعْتِبَارَاتِ بِسُرْعَة فَهُوَ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ حَاصِلَ الحُضُورِ بِلاَ غَيْبَة هُوَ دَوَامُ التَّجَلِّي البرقِيِّ الذَّاتِيِّ الذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ حَضْرَةِ الذَّاتِ بِدُونِ تَوَسُّطِ الشُّئون وَالاعْتِبَارَاتِ وَيَتَيَسَّرُ ذَلِكَ فِي نِهَايَةِ هَذَا الطَّرِيقِ وَيَثْبُتُ فِي هَذَا المَقَامِ الفَنَاءُ الأَكْمَلُ وَلاَ رُجُوعَ فِيه للحُجُبِ أَصْلاً فَإِنَّهَا لوْ رَجَعَتْ لَتَبَدَّلَ الحُضُورُ بالغيبَة وَلاَ يُقَال لهُ يَا دداشت فَتَحَقَّقَ أَنَّ شُهُودَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ عَلى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَلِ وأَكْمَلِيَّةُ الفَنَاءِ وأَتَمِّيَّةُ البَقَاءِ عَلى قَدْرِ أَتَمِّيَةِ الشُّهُودِ وأَكملِيَّة، (ع):

وَنَسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

المَكْتُوب الثَّاني وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى السَّيِّد فَريد
فِي بَيَانِ أَنَّ إِطَاعَةَ الرَّسُول عَيْنُ إِطَاعَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُول فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ}[1] فَجَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ إِطَاعَةَ الرَّسُول عَيْنَ إِطَاعَته فإطَاعةُ الحَقِّ عَزَّ وَجَل بدُون إِطَاعَة الرَّسُول لَيْسَ بِإِطَاعَة لهُ سُبْحَانَهُ وَلذَلكَ أَوْرَدَ كَلمَةً قَدْ تَأْكيدًا لهَذَا المَعْنَى وَتَحْقيقًا لهُ لئلاَّ يُفَرِّقَ مَهُوسٌ بَيْنَ هَاتَيْنِ الطَّاعَتين وَيَخْتَارُ أَحَدَيْهِمَا دُونَ الآخَرِ وَقَدْ وَبَّخَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي مَحَل آخَرَ جَمَاعَةً فَرَّقُوا بَيْنَ هَاتَيْنِ الإِطَاعَتَيْنِ حَيْثُ قَال سُبْحَانَهُ {يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُوله} الآيَةَ، نَعَمْ قَدْ صَدَرَتْ مِنْ بَعْضِ المَشَايخِ وَقْتَ غَلَبَة الحَال وَالسُّكْرِ كَلمَاتٌ مُؤْذنَةٌ بالتَّفْرقَة بَيْنَ هَاتَيْنِ الإطاعتَين وَمُشْعرَةٌ باخْتيَار مَحَبَّة أَحَدَيْهِمَا عَلى الآخَرِ كَمَا نُقل أَنَّ السُّلطَانَ مَحْمُودًا الغَزْنَويَّ لَمَّا نَزَل مَرَّةً فِي أَيَّام سَلطَنَته فِي قُرْب قَرْيَة خَرْقَانَ أَرْسَل وَاحدًا مِنْ وُكَلائه إِلى الشَّيخ أَبي الحَسَن الخرقاني وَالتَمَسَ منْهُ الحُضُورَ عنْدَهُ وَقَال لرَسُوله إِذَا فَهمتَ تَوَقُّفًا منَ الشَّيْخ فَاقْرَأْ هَذه الآيَةَ:{ أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُول وَأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ } فَلمَّا فَهمَ الرَّسُول تَوَقُّفًا منَ الشَّيْخ قَرَأَ الآيَةَ المَذْكُورَةَ فَقَال لهُ الشَّيْخُ فِي جَوَابه: إِنِّي مَشْغُول بإِطَاعَة اللهِ تَعَالى بحَيْثُ لَمْ أَفْرُغْ منْهَا بَعْدُ لإِطَاعَة رَسُول اللهِ فَكَيْفَ لاَ طَاعَةَ أُولي الأَمْرِ فَجَعَل حَضْرَةُ الشَّيْخ إِطَاعَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ غَيْرَ إِطَاعَة الرَّسُول وَهَذَا الكَلاَمُ بَعيدٌ عَنِ الاسْتقَامَة و المَشَايخ المستقيمو الأَحْوَال يَتَحَاشَوْنَ مِنْ أَمْثَال هَذَا الكَلاَم وَيَعْلمُونَ أَنَّ إِطَاعَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي جَميع مَرَاتب الشَّريعَة وَالطَّريقَة وَالحَقيقَة، وَيَعْتَقدُونَ أَنَّ إِطَاعَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي غَيْر إِطَاعَة رَسُوله عَيْنَ الضَّلالة وَنُقل أَيْضًا أَنَّ شَيْخَ بَلدَة مهْنَة الشَّيْخَ أَبَا سَعيد أَبَا الخَيْر عَقَدَ مَجْلسًا وَكَانَ فِي ذَلكَ المَجْلس وَاحدٌ مِنْ أَجلة سَادَات خُرَاسَانَ فَدَخَل فِي ذَلكَ الأَثْنَاء اتِّفَاقًا مَجْذُوبٌ مَغْلوبُ الحَال فَقَدَّمَهُ الشَّيْخُ عَلى السَّيِّد الأَجَل فَلمْ يَحْسُنْ ذَلكَ للسَّيِّد فَقَال الشَّيْخُ للسَّيِّد: إِنَّ تَعْظيمَك بوَاسطَة مَحَبَّة رَسُول اللهِ ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ ــ وَتَعْظيمَ هَذَا المَجْذُوب بوَاسطَة مَحَبَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالأَكَابرُ المُستقيمو الأَحْوَال لاَ يُجَوِّزُونَ أَيْضًا هَذَا القسْمَ مِنَ التَّفْرقَة

---

(١) ــ الآية ٨٠ من سورة النساء.

وَيَرَوْنَ غَلَبَةَ مَحَبَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَلى مَحَبَّة رَسُوله - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مِنْ سُكْر الحَال وَلاَ يَعْتَقدُونَهَا شَيْئًا غَيْرَ الفُضُول وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ هَذَا القَدْرُ أَنَّ مَحَبَّةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ غَالبَةٌ في مَقَام الكَمَال الذي هُوَ مَرْتَبَةُ الولاَيَة وَمَحَبَّةُ الرَّسُول غَالبَةٌ في مَقَام التَّكْميل الذي فيه نَصيبٌ منْ مَقَام النُّبُوَّة ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلى إطَاعَة الرَّسُول التي هيَ عَيْنُ إطَاعَة اللهِ سُبْحَانَهُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ مَيَّانَ مُزَمِّل
فِي بَيَانِ الخَلاَصِ التَّامِّ مِنْ رِقِّيَّةِ مَا سِوَاهُ تَعَالى
المَرْبُوطِ بِالفَنَاءِ المُطْلَقِ

وَصَلَ المَكْتُوبُ المُرْسَل الحَمْدُ للهِ ذى الإنْعَامِ وَالمِنَّة قَدْ جَعَل طَالبيه فِي قَلَقٍ وَاضْطِرَاب وَنَجَّاهُمْ بِذَلِكَ الاضْطِرَاب مِنَ السُّكُون إلى غَيْرِه وَلكنَّ الخَلاَصَ التَّامَّ مِنْ رِقِّيَّةِ الأَغْيَارِ إنَّمَا يَتَيَسَّرُ إذَا حَصَل التَّشَرُّفُ بالفَنَاءِ المُطْلَقِ وَزَالتْ النُّقُوشُ الكُنْيَة مِنْ مِرْآتِ القَلبِ بالكُلِّيَّة وَ لَمْ يَبْقَ التَّعَلقُ العلميُّ وَالحُبيُّ بشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ وَ لَمْ يَكُنْ مَقْصُودٌ وَمُرَادٌ غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَدُونَهُ خَرْطُ القَتَاد.

وَرُبَّمَا يُظَنُّ انْتِفَاءُ التَّعَلقِ وَلكنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْني مِنَ الحَقِّ شَيْئًا، (ع):

وَهَذَى سعَادَاتٌ تَكُونُ نَصيبُ مَنْ

وَالتَّعَلق بِالأَحْوَال وَالمَقَامَاتِ تَعَلقٌ بِالغَيْرِ فَمَا تَقُول فِي التَّعَلقِ بِأَشْيَاءَ أُخَرَ. شِعْرٌ.

دَعْ مَا يَصُدُّكَ عَنْ وَصْلِ الحَبيبِ وَمَايُلهيك عَنْهُ قَبيحًا كَانَ أَوْ حَسَنًا

وَقَدْ انْجَرَّتْ مُدَّةُ غُرْبَتك إلى التَّطْوِيل وَالفُرْصَةُ غَنيمَةٌ فَإنْ كَانَ الأَصْحَابُ وَالأَحْبَابُ مِنْ أَهْل الرُّخْصَة فَمَا وَجْهُ التَّوَقُّف وَإلاَّ فَمَا الحَاجَةُ إلى الرُّخْصَة.

يَنْبَغِي أَنْ يُلاَحَظَ مَرْضِيُّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، رَضِيَ اللهُ أَهْل العَالمِ أَمْ لاَ ؟ وَمَاذَا يَكُونُ عَدَمُ رِضَاهُمْ، (ع):

وَكُل القَصْد مَنْ تَبِعِ الحَبيب

يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ: أَنَّ المَقْصُودَ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ فَإنْ اجْتَمَعَ مَعَ مَحَبَّتِه شَيْءٌ فَنَافِعٌ وإلاَّ فضارٌّ، (ع):

أَتَرْنُو إلى وِرْدٍ وَذَا وَجْهِي زَاهِرُ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى مَيَّانَ مُزَمِّل أَيْضًا
فِي بَيَانِ ضَرُورِيَّةِ تَرْكِ النَّفْسِ وَالسَّيْرِ إِلَيْهَا

جَعَلَنَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ مَعَهُ وَلاَ يَتْرُكُ مَعَ غَيْرِه لَحْظَةً اللهُمَّ لاَ تَكلنَا إلى نَفْسنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ فَنَهْلكَ وَلاَ أَقَل منْهَا فَنَضيعَ وَكُل بَلاَءٍ وَقَعَ عَلى الإِنْسَان إِنَّمَا هُوَ مِنَ التَّعَلق بالنَّفْس فَإِذَا حَصَل الخَلاَصُ مِنْ يَد النَّفْس فَقَدْ حَصَل الخَلاَصُ مِمَّا دُونَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ حَتَّى إِنَّ مَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ إِنَّمَا يَعْبُدُ نَفْسَه (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، (ع):

إِذَا مَا تَرَكْتَ النَّفْسَ أَلْفَيْتَ رَاحَةً

دَعْ نَفْسَك وَتَعَال وَكَمَا أَنَّ تَرْكَ النَّفْس وَالتَّجَاوُزَ منْهَا فَرْضٌ كَذَلكَ السَّيْرُ والمشْيُ إِلى النَّفْس لاَزِمٌ فَإِنَّ الوجْدَانَ إِنَّمَا هُوَ فيهَا وَلاَ وجْدَانَ في خَارِجهَا. شعْرٌ.

وَلَسَوْفَ تَعْلمُ أَنَّ سَيْرَك لَمْ يَكُنْ إِلاَّ إِلَيْكَ إِذَا بَلغْتَ المَنْزِلاَ

السَّيْرُ الآفَاقيُّ بُعْدٌ في بُعْد وَالسَّيْرُ الأَنْفُسيُّ قُرْبٌ في قُرْب فَإِنْ كَانَ شُهُودٌ فَهُوَ في النَّفْس وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةٌ فَهي أَيْضًا في النَّفْس وَإِنْ كَانَتْ حَيْرَةٌ فهي أَيْضًا فيهَا لاَ مَجَال للقَدَم في خَارِج النَّفْس إِلى أَيْنَ وَصَل الكَلاَمُ وَلاَ يَفْهَمَنَّ الأَبْلهُ منْ هَذَا الكَلاَم حُلولاً وَاتِّحَادًا فَيَقَعُ في وَرْطَة الضَّلالة فَإِنَّ القَوْل بالحُلول كُفْرٌ وَكَذَلكَ الاتِّحَادُ وَالتَّفَكُّرُ فيه قَبْل التَّحَقُّق بهَذَا المَقَام مَمْنُوعٌ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتقَامَةَ عَلى الطَّرِيقَة المُرْضيَة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ وَيَنْبَغي لك أَنْ تَكْتُبَ منْ أَحْوَالك فَإِنَّ لَهُ دَخْلاً تَامًّا وَعَلَيْك أَنْ تَكُونَ حُرًّا مَعَ وُجُود العَلاَئق الصُّورِيَّة وَأَنْ تَعْتَقدَ وُجُودَهَا وَعَدَمَهَا سِيَّان وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ مُزَمِّل أَيْضًا
فِي التَّحْرِيضِ عَلى الرُّجُوعِ إلى أَصْلِهِ

وَمَا عَبَدُوا غَيْرَ الإِلهِ فَبَاطِلٍ فَبِئْسَ الذي يَخْتَارُ مَا كَانَ بَاطِلاً

قَدْ تَشَرَّفْتُ بزِيَارَةِ مَشَاهِدِ دهلى فِي غُرَّةِ جُمَادَى الأُولى يَوْمَ الجُمُعَةِ وَمُحَمَّدٌ صَادِقٌ مَعِيَ وَبَعْدَ إِقَامَةِ أَيَّامٍ هُنَا نَتَوَجَّهُ إلى طَرَفِ الوَطَنِ الأَصْلِيِّ إِنْ وَافَقَتْ إِرَادَتُنَا إِرَادَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ حُبُّ الوَطَنِ مِنَ الإِيمَانِ خَبَرٌ مَشْهُورٌ أَيْنَ يَذْهَبُ العَاجِزُ المِسْكِينُ وَنَاصِيَتُه فِي يَدِه تَعَالى مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّيَ عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَأَيْنَ المَفَرُّ إِلاَّ أَنْ يَفِرَّ مِنْهُ إِلَيْهِ قَائِلاً فَفِرُّوا إِلى اللهِ وَعَلى كُلِّ حَالٍ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَ الأَصْلَ أَصْلاً وَالفَرْعَ تَبَعًا لَهُ وَأَنْ يَتَوَجَّهَ إلى الأَصْلِ. شعْرٌ.

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثَالُ خَرْدَلَةٍ سِوَى هَوَى الحَقِّ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَرَضٌ

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إِلَى المَذْكُورِ أَيْضًا
فِي التَّحْرِيضِ عَلَى صُحْبَةِ أَهْلِ اللهِ

وَصَلَ الكِتَابُ الذي أَرْسَلتَه مَعَ قَاضِي زَاده الجالندرى في دهلى للهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلَى مَا كَانَتْ مَحَبَّةُ الفُقَرَاءِ نَقْدَ الوَقْتِ وَإِنَّهُ مَعَهُمْ بِحُكْمِ المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَشَهْرُ رَجَبٍ وَإِنْ كَانَ بِحَسَبِ الأَوْقَاتِ وَالأَزْمَانِ قَرِيبًا وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ جِدًّا.

شعْرٌ.

أَقُول لأصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْءُها قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدٌ

وَحَيْثُ إِنَّك اخْتَرْتَ هَذَا المَعْنَى الذي اخْتَرْتَ بِوَاسِطَةِ رِعَايَةِ حُقُوقِ أَرْبَابِ الحُقُوقِ فَاسْتَقِمْ عَلَيْهِ وَعَسَى الفَقِيرُ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا هُنَا إِلَى رَجَبٍ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَإِلَيْهِ المَرْجِعُ وَالمَآبُ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَعَ الفُقَرَاءِ فِي أَيَّامٍ عُمْرٍ قَصِيرٍ(وَاصْبِرْ نَفْسَك مَعَ الذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) نَصٌّ قَاطِعٌ فِي ذَلِكَ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ حَبِيبَه ـــ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ـــ وَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ: إِلهِي مَا هَذَا الذي جَعَلتَ أَوْلِيَاءَك عَلَى وَجْهِ مَنْ عَرَفَهُمْ وَجَدَك وَمَنْ لَمْ يَجِدْك لَمْ يَعْرِفْهُمْ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ مَحَبَّةَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى الحَكِيمِ عَبْد الوَهَّاب
فِي بَيَانِ لزُومِ إِظْهَارِ التَّوَاضُعِ وَالاحْتِيَاجِ عِنْد حُضُورِ الأَكَابِرِ
وَبَيَانِ لزُومِ تَصْحِيحِ العَقَائِد

اعْلَمْ أَنَّك قَدْ جئْتَ هُنَا وَآلَمْتَ قَدَمَك وَانْصَرَفْتَ مُسْرِعًا حَتَّى لَمْ تَجِدْ فُرْصَةً لأَدَاءِ بَعْضِ حُقُوقِ الصُّحْبَةِ وَالمَقْصُودُ مِنَ المُلاَقَاةِ وَالاجْتِمَاعِ إِمَّا الإِفَادَةُ وَإِمَّا الاسْتِفَادَةُ فَإِذَا خَلاَ المَجْلِسُ مِنْ كِلاَ هَذَيْنِ الخِصَالِين فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الاعْتِدَادِ بِه وَيَنْبَغِي لِمَنْ يَحْضُرُ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنْ هَذِه الطَّائِفَةِ أَنْ يَحْضُرَ خَالِيًا لِيَرْجِعَ مَلآنَ وَأَنْ يُظْهِرَ عِنْدَهُمُ العَجْزَ وَالإِفْلاَسَ لِيَكُونَ مَحَلاً لِشَفَقَتِهِمْ وَمُسْتَحَقًّا لإِفَاضَتِهِمْ وَلاَ مَعْنَى فِي المَجِيءِ وَالانْصِرَافِ رِيَّانَا وَلاَ شَيْءَ فِي الامْتِلاَءِ غَيْرَ العِلَّةِ وَلاَ فِي الاسْتِغْنَاءِ دُونَ الطُّغْيَانِ قَالَ الخَوَاجَهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قَدَّسَ سِرُّهُ -: لاَ بُدَّ أَوَّلاً مِنْ تَضَرُّعِ المَرِيضِ وَانْكِسَارِه ثُمَّ بَعْدَهُ يَتَوَجَّهُ الخَاطِرُ المُنْكَسِرُ فَكَانَ التَّضَرُّعُ وَالانْكِسَارُ شَرْكِي التَّوَجُّه وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّه جَاءَ فِي هَذِه الأَوَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَالتَمَسَ مِنِّي التَّفْوِيضَ وَالتَّوْصِيَةَ إِلَى ذَلِكَ الجَانِبِ فَوَقَعَ فِي الخَاطِرِ أَنَّ مُجَرَّدَ مَجِيئِه أَيْضًا حَقٌّ مِنَ الحُقُوقِ فَيَنْبَغِي أَدَاءُ الحَقِّ مِنْ قِبَلِي مَهْمَا أَمْكَنَ فَلاَ جَرَمَ أَمْلَيْتُ بِلِسَانِ القَلَمِ كَلِمَاتٍ عَلَى مُقْتَضَى الوَقْتِ وَالحَالِ تَدَارُكًا لِمَا مَضَى وَتَلاَفِيًا لِمَا سَبَقَ وَأَرْسَلْتُ إِلَى ذَلِكَ الجَانِبِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلْهِمُ لِلصَّوَابِ وَالمُوَفِّقُ لِلسَّدَادِ أَيُّهَا المُوَفَّقُ لِلسَّعَادَةِ إِنَّ مَا هُوَ اللاَّزِمُ لَنَا وَلَكُمْ تَصْحِيحُ العَقَائِدِ عَلَى مُقْتَضَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى نَهْجٍ أَخَذَهَا عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بَعْدَ مَا فَهِمُوهَا كَمَا يَنْبَغِي فَإِنَّ فَهْمَنَا وَفَهْمَكُمْ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ فَهْمَ هَؤُلاَءِ الكِبَارِ أَلاَ تَرَى أَنَّ كُلَّ مُبْتَدِعٍ وَضَالٍّ يَدَّعِي أَخْذَ أَحْكَامِه البَاطِلَةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمَهَا مِنْهُمَا وَالحَالُ أَنَّهُ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا ثُمَّ عِلْمُ الأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ثَانِيًا مِنَ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ وَالفَرْضِ وَالوَاجِبِ ثُمَّ العَمَلُ ثَالِثًا بِمُقْتَضَى هَذَا العِلْمِ ثُمَّ السُّلُوكُ رَابِعًا طَرِيقُ التَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ الذِي خُصَّ بِالصُّوفِيَّةِ الكِرَامِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَمَا لَمْ تُصَحَّحْ العَقَائِدُ لاَ يَنْفَعُ العِلْمُ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ كُلاً هَذَيْنِ لاَ يُجْدِي العَمَلُ شَيْئًا وَمَا لَمْ تَحْصُلِ الثَّلاَثَةُ كُلُّهَا فَحُصُولُ التَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ مُحَالٌ وَمَا سِوَى هَذِه الأَرْكَانِ الأَرْبَعَةِ وَمُتَمِّمَاتِهَا وَمُكَمِّلاَتِهَا كَالسُّنَّةِ المُكَمِّلَةِ لِلفَرْضِ كُلُّه مِنَ الفُضُولِ دَاخِلٍ فِي دَائِرَةِ مَا لاَ يَعْنِي وَمِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيه وَاشْتِغَالُه بِمَا يَعْنِيه.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ بِمُتَابَعَةِ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ حُمَيْد البنكالي
فِي بَيَانِ تَفَاوتِ مَرَاتِبِ الكَمَال بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الاِسْتِعْدَادَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ مَرَاتِبَ الكَمَال مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الاسْتِعْدَادَات وَالتَّفَاوُتُ فِي الكَمَال قَدْ يَكُونُ بِحَسَبِ الكَمِّيَّة وَقَدْ يَكُونُ بِحَسَبِ الكَيْفِيَّة وَقَدْ يَكُونُ بِهِمَا مَعًا فَكَمَال البَعْضِ مَثَلاً بِالتَّجَلي الصِّفَاتِيِّ وَكَمَال بَعْضٍ آخَرَ بِالتَّجَلي الذَّاتِيِّ مَعَ تَفَاوُتٍ فَاحِشٍ بَيْنَ أَفْرَادِ ذَينك التجليين وَبَيْنَ أَرْبَابِهِمَا أَيْضًا فَكَمَال البَعْضِ سَلامَةُ القَلبِ وَتَخَلصُ الرُّوحِ وَكَمَال الآخَرِ بِهِمَا وَبِالشُّهُودِ السِّرِّيِّ وَكَمَال الثَّالث بِتلكَ الثَّلاث وَبِالجِيرَةِ المَنْسُوبَة إِلى الخَفَى وَكَمَال الرَّابِعِ بِتلكَ الأَرْبَعِ وَبِالاتِّصَال المَنْسُوبِ إِلى الأَخْفَى ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ وَبَعْدَ حُصُولِ الكَمَال فِي أَيِّ مَرْتَبَة كَانَتْ مِنَ المَرَاتِبِ المَذْكُورَة أَمَّا رُجُوعُ القَهْقَرَى وَأَمَّا ثَبَاتٌ وَاسْتِقْرَارٌ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ وَالأَوَّل هُوَ مَقَامُ التَّكْمِيل والإرشاد وَرُجُوعٌ مِنْ طَرَف الحَقِّ إِلى الخَلقِ للدَّعْوَةِ وَالثَّانِي هُوَ مَوْطِنُ الاِسْتِهْلاَكِ وَالعُزْلَةِ مِنَ الخَلقِ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَةُ
إلى شَرَفِ الدِّينِ حَسَنٍ البدخشي
فِي التَّعْزِيَةِ

اعْلَمْ أَنَّ الآلاَمَ وَالمَصَائِبَ وَإِنْ كَانَتْ مُرًّا فِي الظَّاهِرِ وَمُؤْلِمَةً للجسْمِ وَلكِنَّهَا حُلْوٌ فِي البَاطِنِ وَمُوَرِّثَةٌ للذَّةِ الرُّوحِ وَذَلِكَ لأَنَّ الرُّوحَ وَالجِسْمَ كَأَنَّهُمَا وَقَعَا عَلى طرفَي النَّقِيضِ فَأَلَمُ أَحَدِهِمَا يَسْتَلزِمُ لذَّةَ الآخَرِ فَالذي لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّقِيضَيْنِ وَلَوَازِمِهِمَا خَارِجٌ عَنِ البَحْثِ وَلاَ قَابِلِيَّةَ فِيهِ أُولئِكَ كَالأَنْعَامِ بَل هُمْ أَضَل. شِعْرٌ.

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا خِبْرَةٍ عَنْ نَفْسِه هَل يَقْدِرُ الْخَبَارَ عَنْ هَذَا وَذَا

وَمَنْ تَنَزَّلَتْ رُوحُهُ وَاسْتَقَرَّتْ فِي مَرْتَبَةِ الجسْمِ وَكَانَتْ لطَائِفَةِ الأَمْرِيَّةِ تَابِعَةً للطَّائِفَةِ الخلقيَّةِ مِنْ أَنْ يَعْرِفَ سِرَّ هَذَا المُعَمَّى وَمَا لَمْ تَرْجِعْ الرُّوحُ إِلى مَقَرِّهَا الأَصْلِيَّةِ قَهْقَرَى وَلَمْ يُمَيِّزْ الأَمْرَ مِنَ الخَلقِ لاَ يَنْجَلِي الحِجَابُ عَنْ جَمَالِ هَذِهِ المَعْرِفَةِ وَحُصُولِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَرْبُوطٌ بالمَوْتِ قَبْلَ حُلولِ الأَجَلِ المُسَمَّى وَوُقُوعِهِ الَذي عَبَّرَ عَنْهُ مَشَائِخُ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بالفَنَاءِ. شِعْرٌ.

وَكَانَ أَرْضًا لِيَنْبُتَ فِيكَ وَرْدٌ فَإِنَّ الوَرْدَ مَنْبَتُه التُّرَابُ

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ قَبْلَ مَوْتِه يَنْبَغِي تَعْزِيَتُه لمُصِيبَتِه وَقَدْ صَارَ خَبَرُ وَفَاتِ وَالدِكَ المَرْحُومِ الذي كَانَ مُشْتَهِرًا بالخَيْرِ وَالصَّلاَحِ وَمُرَاعِيًا لشِيمَةِ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ جِدًّا مُوجِبًا لحُزْنِ المُسْلِمِينَ وَمُسْتَلزِمًا لغَمِّهِمْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَيَنْبَغِي للوَلَدِ الأَرْشَدِ أَنْ يَلزَمَ شِيمَةَ الصَّبْرِ وَأَنْ يَمُدَّ الأَمْوَاتَ وَيُعَاوِنَهُمْ بالصَّدَقَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالدَّعَوَاتِ فَإِنَّ المَوْتَى أَشَدُّ احْتِيَاجًا إِلى مَدَادِ الأَحْيَاءِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – مَا المَيِّتُ إِلاَّ كَالغَرِيقِ المُتَغَوِّثِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلحَقُهُ مِنْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخٍ أَوْ صَدِيقٍ فَإِذَا لحِقَتْهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَإِنَّ اللهَ لَيُدْخِلُ عَلى أَهْلِ القُبُورِ مِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الأَرْضِ أَمْثَالَ الجِبَالِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَإِنَّ هَدِيَّةَ الأَحْيَاءِ إِلى الأَمْوَاتِ الاسْتِغْفَارُ وَبَقِيَّةُ النُّصْحِ مُلاَزَمَةُ الذِّكْرِ وَالمُدَاوَمَةُ عَلى الفِكْرِ فَإِنَّ الفُرْصَةَ قَلِيلَةٌ جِدًّا يَنْبَغِي أَنْ تَصْرِفَهَا إِلى أَهَمِّ المَهَامِّ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السِّتُّونَ وَالمِائَةُ

إلى أَقَل عَبيده أَعني يار مُحَمَّد الجَديد البدخشي الطَّالقَانيِّ

فِي بَيَانِ أَنَّ مَشَائِخَ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ثَلاَثَةُ طَوَائِفَ مَعَ شَرْحِ أَحْوَالِ كُلٍ مِنْهَا كَمَالاً وَنُقْصَانًا

اعْلَمْ أَنْ مَشَائِخَ الطَّرِيقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ثَلاَثَةَ طَوَائِفَ فَالطَّائِفَةُ الأُولى قَائِلونَ بِأَنَّ العَالَمَ مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ بِإِيجَادِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكُلمَا فيه مِنْ أَوْصَاف الكَمَال وَالنُّقْصَان فَهُوَ بِإِيجَاد الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَلاَ يَعْتَقِدُونَ أَنْفُسَهُمْ شَيْئًا سوَى شَبَحٍ بَل يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الشَّبَحيَّةَ أَيْضًا منْهُ سُبْحَانَهُ قَدْ غَرِقُوا فِي بحَار العَدَم بحَيْثُ لاَ خَبَرَ لَهُمْ عَنِ العَالَمِ وَلاَ عَنْ أَنْفُسهمْ مَثَلهمْ مَثَل شَخْصٍ لاَ ثَوْبَ لهُ فَلَيْسَ ثَوْبُ شَخْصٍ عَلى طَرِيقِ العَارِيَة عَالمًا بِأَنَّهُ عَارِيَةٌ وَغَلبَ عَلَيْه علْمُ كَوْنه عَارِيَةً عَلى وَجْه يَرَى ذَلكَ الثَّوْبَ فِي يَد صَاحبه وَيَجدُ نَفْسَهُ عَارِيًا عَنْهُ فَإِذَا خَرَجَ مثْل هَذَا الشَّخْص منْ عَدَم الشُّعُور وَالسُّكْرِ إِلى الصَّحْو وَالشُّعُور وَتَشَرَّفَ بالبَقَاء بَعْدَ الفَنَاء فَإِنَّهُ وَإِنْ وُجدَ الثَّوْبُ حينَئذ فِي نَفْسه وَلكنَّهُ يَعْرِفُ بيَقين أَنَّهُ منَ الغَيْر فَإِنَّ ذَلكَ الفَنَاءَ مُنْدَرِجٌ الآنَ فِي العَلمِ وَمَا بَقِيَ شَيْءٌ منَ التَّعَلق الَّذي كَانَ بالثَّوْب أَصْلاً وَكَذَلكَ حَال مَنْ يَرَى أَوْصَافَه وَكَمَالاته كَالثَّوْب المُسْتَعَار وَلكنَّهُ يَرَى أَنَّ هَذَا الثَّوْبَ إِنَّمَا هُوَ فِي الوَهْمِ فَقَطْ لاَ ثَوْبَ فِي الخَارِجِ أَصْلاً بَل هُوَ عَارٍ فيه وَيَغْلبُ عَلَيْه هَذه الرُّؤْيَةُ عَلى وَجْه لاَ يَرَى الثَّوْبَ أَصْلاً بَل يَجدُ نَفْسَهُ عُرْيَانًا وَبَعْدَ الإِفَاقَة وَالصِّحَّة يَجدُ ذَاكَ الثَّوْبَ مَعَهُ أَيْضًا وَلكنَّ فَنَاءَ الشَّخْص الأَوَّل أَتَمُّ وَالبَقَاءَ المُتَرَتِّبَ عَلَيْه أَكْمَل كَمَا سَيجيءُ عَنْ قَريب إِنْ شَاءَ اللهُ وَهَؤُلاَء الأَكَابرُ مُتَّفقُونَ مَعَ عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة فِي جَميع المُعْتَقَدَات الكَلاَميَّة الثَّابتَة عَلى وَفْق الكتَاب وَالسُّنَّة وَإِجْمَاع عُلمَاء الأُمَّة وَلاَ فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُتَكلمينَ إِلاَّ أَنَّ المُتَكلمينَ يُدْرِكُونَ هَذَا المَعْنَى علمًا واستدلالاً وَهَؤُلاَء الأَكَابرُ كَشْفًا وَذَوْقًا وَحَالاً وَأَيْضًا أَنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ لاَ يُثْبتُونَ شَيْئًا منْ نَسَب العَالَم إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ منْ غَايَة التَّنْزيه بَل يَسْلبُونَ منْهُ سُبْحَانَهُ جَميعَ النِّسَب فَكَيْفَ العَيْنيَّةُ وَالجُزْئيَّةُ تَعَالى شَأْنُه عَنْ ذَلكَ إِلاَّ نسْبَةَ الرُّبُوبيَّة وَالعُبُوديَّة والصانعيَّة والمصنوعيَّة بَل يُضَيِّعُونَ هَذه النِّسْبَةَ أَيْضًا وَقْتَ غَلَبَة الحَال فَحينَئذ يَتَشَرَّفُونَ بالفَنَاء الحَقيقيِّ وَتَحْصُل لَهُمُ القَابليَّةُ للتَّجَليَات الذَّاتيَّة وَالمَظْهَريَّة لتَجَليَّات غَيْر مُتَنَاهيَة وَالطَّائفَةُ الثَّانيَةُ يَقُولونَ بِأَنَّ العَالَمَ ظل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلكنَّهُمْ قَائلونَ بِوُجُودِه فِي الخَارِجِ بِطَرِيقِ الظِّلِّيَّة لاَ بِطَرِيقِ الأَصَالَة وَأَنَّ وُجُودَ العَالَمِ قَائمٌ

بوُجُود الحَقِّ سُبْحَانَهُ قِيَامَ الظِّل بالأَصْل مَثَلاً إذَا امْتَدَّ الظِّل منْ شَخْص وَجَعَل ذَلكَ الشَّخْصُ منْ كَمَال قُدْرَته صفَات نَفْسه مُنْعَكسَةً فيه كَالعلم وَالقُدْرَة وَالإرَادَة وَغَيْرهَا حَتَّى اللذَّةُ وَالأَلَمُ فَإنْ وَقَعَ ذَلكَ الظِّل في النَّار مَثَلاً وَتَأَلَّمَ بهَا لاَ يُقَال عُرْفًا وَعَقْلاً إنَّ ذَلكَ الشَّخْصَ الذي هُوَ صَاحبُ الظِّل مُتَأَلِّمٌ كَمَا قَالتْ به الطَّائفَةُ الثَّالثَةُ وَعَلى هَذَا القيَاس جَميعُ ذمائم الأَفْعَال التي تَصْدُرُ منَ المَخْلوقَات لاَ يُقَال أَنَّهَا فعْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنَّ الظِّل إذَا تَحَرَّكَ بإرَادَته لاَ يُقَال إنَّ الشَّخْصَ مُتَحَرِّكٌ عَمَّ يُقَال أَنَّ ذَلكَ أَثَرُ قُدْرَته وَإرَادَته يَعْني مَخْلوقَهُ وَمنَ المُقَرَّر أَنَّ خَلقَ القَبيح ليْسَ بقَبيح بَل القَبيحُ فعْل القَبيح وَكَسْبُه وَالطَّائفَة الثَّالثَةُ قَائلونَ بوَحْدَة الوُجُود يَعْني أَنَّ في الخَارج مَوْجُودًا وَاحدًا فَقَطْ وَهُوَ ذَاتُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلاَ تَحقُّقَ للعَالم في الخَارج أَصْلاً وَإنَّمَا لهُ الثُّبُوتُ العلميُّ وَيَقُولونَ إنَّ الأَعْيَانَ مَا شَمَّتْ رَائحَةَ الوُجُود وَهَذه الطَّائفَةُ وَإنْ قَالوا إنَّ العَالَمَ ظل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلكنَّهُمْ يَقُولونَ إنَّ وُجُودَهُ الظِّليَّ إنَّمَا هُوَ في مَرْتَبَة الحسِّ فَقَطْ وَأَمَّا في نَفْس الأَمْر وَالخَارج فَمَعْدُومٌ مَحْضٌ وَيَقُولونَ إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ مُتَّصفٌ بصفَات وُجوبيَّة وَإمْكَانيَّة وَيُثْبتُونَ مَرَاتبَ التنزلات، وَيَقُولونَ باتِّصَاف الذَّات الوَاحدَة في كُل مَرْتَبَة بأَحْكَام لاَئقَة بتلكَ المَرْتَبَة وَيُثْبتُونَ للذَّات التَّلذُّذَ وَالتَّأَلُّمَ وَلكنْ لاَ بالذَّات بَل في حُجُب هَذه الظِّلال المَحْسُوسَة المَوْهُومَة وَيَلزَمُ عَلى هَذَا مَحْظُورَاتٌ كَثيرَةٌ شَرْعًا وَعَقْلاً وَهُمْ قَدْ ارْتَكَبُوا في جَوَابهَا تَمحُّلات كَثيرَة وتكلفات بَعيدَة وَهَؤُلاَء الطَّائفَةُ وَإنْ كَانُوا وَاصلينَ كَاملينَ عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتَ الوُصُول وَالكَمَال وَلكنَّ كَلاَمَهُمْ دَل الخَلقَ عَلى طَريق الضَّلالة وَالإلحَاد وأفضاهم إلى الزَّنْدَقَة بالقَوْل بالاتِّحَاد وَالطَّائفَةُ الأَوْلى أَكْمَل وَأَتَمُّ وَأَقْوَالهمْ أَوْفَقُ بالكتَاب وَالسُّنَّة وَأَسْلمُ أَمَّا الأسلميَّةُ والأوفقيَّةُ فَظَاهرٌ وَأَمَّا الأتَميَّةُ والأكمليَّةُ فَمَبْنيَّةٌ عَلى أَنَّ بَعْضَ مَرَاتب الوُجُود الإنسانيِّ لهُ مُشَابَهَةٌ بالمَبْدَأ وَمُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ لهُ في غَايَة اللطَافَة وَالتَّجَرُّدُ كالخَفَى وَالأَخْفَى فَالذينَ لاَ يَقْدرُونَ عَلى تَمْييز هَذه المَرَاتب منَ المَبْدَأ مَعَ وُجُود الفَنَاء السِّرِّي فَيَنْفُوهَا بكَمَاله لاَ بَل يَبْقَى المَبْدَأُ عنْدَهُمْ مُمْتَزجًا وَمُتَشَابهًا وَيَجدُونَ أَنْفُسَهمْ حَقًّا يَعْني عَيْنَهُ قَالوا ليْسَ في الخَارج إلاَّ الحَقُّ سُبْحَانَهُ فَقَطْ وَليْسَ لنَا وُجُودٌ أَصْلاً وَلكنْ لَّما كَانَ تَعَدُّدُ الآثَار الخَارجيَّة مُتَحَقِّقًا قَالوا بالثُّبُوت العلميِّ بالضَّرُورَة وَمنْ هَهُنَا قَالوا إنَّ الأَعْيَانَ برَازخُ بَيْنَ الوُجُود وَالعَدَم فَإنَّهُمْ لَّما لَمْ يُمَيِّزُوا بَعْضَ مَرَاتبِ وُجُودَات المَخْلوقَات منَ المَبْدَأ وَلَمْ يَقُولوا بوُجُوب

وَجُودِهِ صَرَّحُوا بِبَرْزَخِيَّتِه وَأَثْبَتُوا للمُمْكِنِ مَا للوَاجِبِ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ الذي أَثْبَتُوهُ هُوَ مِنْ لوَازِمِ المُمْكِنِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لكِنَّهُ مُشَابِهٌ بالوَاجِبِ وَلَوْ فِي الصُّورَةِ وَالاسْمِ فَإِنْ فَرَّقُوا ذَلِكَ وَمَيَّزُوا المُمْكِنَ مِنَ الوَاجِبِ بالتَّمَامِ لَمَا يَقُولونَ باتِّحَادِ العَالَمِ بالحَقِّ سُبْحَانَهُ وَعَيْنِيَّتِهِمَا بَل يَرَوْنَ العَالَمَ مُتَمَيِّزًا مِنَ الحَقِّ وَلَمَّا يَقُولونَ بوَحْدَةِ الوُجُودِ وَمَا دَامَ لَمْ يَزَل مَنْ شَخَصٍ أَثَرٌ لاَ يَرَى نَفْسَه حَقًّا وَأَنَّ زَعْمَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ أَثَرٌ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ قُصُورِ نَظَرِه وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ وَإِنْ فَرَّقُوا هَذِه المَرَاتِبَ مِنَ المَبْدَأِ وَأَدْخَلوهَا تَحْتَ كَلِمَةِ لاَ وَنَفَوْهَا بِهَا وَلَكِنْ بَقِيَ جُزْءٌ مِنْ بَقَايَا وُجُودِهَا ثَانِيًا بوَاسِطَةِ الظِّلِّيَّةِ وَالأَصَالَةِ فَإِنَّ تَعَلُّقَ رُتْبَةِ الظِّلِّ وَارْتِبَاطَهَا بالأَصْلِ قَوِيٌّ جِدًّا وَهَذِه النِّسْبَةُ لَمْ تَكُنْ مَمْحُوَّةً مِنْ نَزْرِهِمْ وَأَمَّا الطَّائِفَةُ الأُولَى فَقَدْ فَرَّقُوا جَمِيعَ مَرَاتِبِ المُمْكِنِ مِنَ الوَاجِبِ كَمَالَ المُنَاسَبَةِ وَالمُتَابَعَةِ لحَضْرَةِ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّحِيَّاتِ أَكْمَلُهَا وَنَفَوْا لكُلِّ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ بكَلِمَةِ لاَ وَلَمْ يَرَوْا فِي المُمْكِنِ مُنَاسَبَةً للوَاجِبِ أَصْلاً وَلَمْ يُثْبِتُوا للوَاجِبِ نِسْبَةً مَا قَطْعًا وَلَمْ يَعْتَقِدُوا أَنْفُسَهُمْ غَيْرَ المَخْلوقِ العَاجِزِ شَيْئًا وَاعْتَقَدُوا الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَالِقَهُمْ وَمَوْلاَهُمْ وَاعْتِقَادُ شَخَصٍ نَفْسَه عَيْنَ مَوْلاَهُ أَوْ ظِلَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ جِدًّا مَا للتُّرَابِ وَرَبِّ الأَرْبَابِ وَهَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ يُحِبُّونَ الأَشْيَاءَ لكَوْنِهَا مَخْلوقَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَكُونُ الأَشْيَاءُ مَحْبُوبَةً فِي نَظَرِهِمْ بِهَذَا السَّبَبِ وَبِهَذِه الحَيْثِيَّةِ أَعْنِي مِنْحَيْثِيَّةِ كَوْنِ العَالَمِ وَأَفْعَالِهِمْ مَصْنُوعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَثَرَ أَفْعَالِه وَإِرَادَتِه وَقُدْرَتِه يَنْقَادُونَ وَيَسْتَسْلِمُونَ للأَشْيَاءِ بالتَّمَامِ وَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَى إِنْكَارِ أَفْعَالِهِمْ إِلاَّ بِمُوجِبِ الشَّرِيعَةِ فَكَمَا أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الانْقِيَادِ وَالاسْتِسْلاَمِ وَالمَحَبَّةِ يَحْصُلُ لأَرْبَابِ التَّوْحِيدِ بِسَبَبِ اعْتِقَادِهِمُ الأَشْيَاءَ مَظْهَرَ الصِّفَاتِ الحَقِّ بَل عَيْنَه تَعَالَى كَذَلِكَ يَحْصُلُ هَذَا النَّوْعُ لهَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ بِمُجَرَّدِ مُلاَحَظَةِ كَوْنِ الأَشْيَاءِ مَخْلوقَةَ الحَقِّ وَمَصْنُوعَتَه تَعَالَى، (ع):

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ فَانْظُرُوا

فَإِنَّ نَفْسَ المَحْبُوبِ وَعَيْنَه يُمْكِنُ أَنْ يُحِبَّ بِأَدْنَى شَيْءٍ مِنْ مُوجِبَاتِ المَحَبَّةِ.

وَأَمَّا مَصْنُوعَاتُهُ وَمَخْلوقَاتُهُ وَعَبِيدُهُ فَلاَ يُمْكِنُ تَعَلُّقُ المَحَبَّةِ بِهِمْ، وَكَوْنُهُمْ مَحْبُوبِينَ بِدُونِ حُصُولِ كَمَالِ مَحَبَّةِ المَحْبُوبِ وَلِهَذِه الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ مَقَامِ العَبْدِيَّةِ التِي هِيَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ الوِلاَيَةِ وَأَيُّ دَلِيلٍ أَتَمَّ عَلَى صِحَّةِ حَالِ هَؤُلاَءِ

الأَصْفِيَاءِ مِنْ كَوْنِ كَشْفِهِمْ مُوَافِقًا لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ بِالتَّمَامِ بِحَيْثُ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنْ مُخَالَفَةِ ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مُحِبِّيهِمْ وَتَابِعِيهِمْ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى ﷺ وَكَانَ هَذَا الدَّرْوِيشُ رَاقِمُ السُّطُورِ أَوَّلاً مُعْتَقِدَ التَّوْحِيدِ الوُجُودِ وَحَصَلَ لَهُ عِلْمُ هَذَا التَّوْحِيدِ مِنْ زَمَنِ الصِّبَا وَبَلَغَ مَرْتَبَةَ اليَقِينِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَالٌ وَلَمَّا دَخَلَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ انْكَشَفَ لَهُ أَوَّلاً طَرِيقُ التَّوْحِيدِ يَعْنِي عَلَى وَجْهِ الحَالِ وَسَارَ مُدَّةً فِي مَرَاتِبِ هَذَا المَقَامِ وَفَاضَتْ عَلَيْهِ عُلُومٌ وَافِرَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِهَذَا المَقَامِ وَصَارَتْ المُشْكِلاَتُ وَالوَارِدَاتُ التِي تَرِدُ لأَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ كُلُّهَا مُنْكَشِفَةً وَأُفِيضَتْ عُلُومُ حَلِّهَا أَيْضًا وَبَعْدَ مُدَّةٍ غَلَبَتْ عَلَى هَذَا الدَّرْوِيشِ نِسْبَةٌ أُخْرَى وَتَوَقَّفَ فِي التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ يَعْنِي فِي مُطَابَقَتِهِ لِلوَاقِعِ وَعَدَمِهِ عِنْدَ غَلَبَتِهَا عَلَيْهِ وَلَكِنَّ هَذَا التَّوَقُّفَ كَانَ بِحُسْنِ الظَّنِّ لاَ بِالإِنْكَارِ وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ التَّوَقُّفُ مُدَّةً ثُمَّ انْجَرَّ الأَمْرُ أَخِيرًا إِلَى الإِنْكَارِ وَأُلْهِمَ إِلَيْهِ أَنَّ هَذَا المَقَامَ مَقَامٌ سُفْلِيٌّ يَنْبَغِي التَّرَقِّي عَلَى مَقَامِ الظِّلِّيَّةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الإِنْكَارِ صَاحِبَ اخْتِيَارٍ وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يُفَارِقَ هَذَا المَقَامَ بِسَبَبِ إِقَامَةِ المَشَايِخِ العِظَامِ فِيهِ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَقَامِ الظِّلِّيَّةِ وَوَجَدَ نَفْسَهُ وَسَائِرَ العَالَمِ ظِلاًّ كَمَا قَالَ بِهِ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ تَمَنَّى عَدَمَ مُفَارَقَتِهِ ذَلِكَ لِظَنِّهِ أَنَّ الكَمَالَ فِي وَحْدَةِ الوُجُودِ وَلِهَذَا المَقَامِ يَعْنِي مَقَامَ الظِّلِّيَّةِ مُنَاسَبَةٌ بِذَاكَ المَقَامِ فِي الجُمْلَةِ ثُمَّ رَقَّوْهُ مِنْ هَذَا المَقَامِ أَيْضًا اتِّفَاقًا مِنْ كَمَالِ العِنَايَةِ وَغَايَةِ اللُّطْفِ بِهِ عَلَى أَعْلَى مِنْهُ وَبَلَغُوهُ مَقَامَ العَبْدِيَّةِ فَظَهَرَ حِينَئِذٍ كَمَالُ هَذَا المَقَامِ وَاتَّضَحَ عُلُوُّهُ فَصَارَ تَائِبًا مِنَ المَقَامَاتِ التَّحْتَانِيَّةِ وَمُسْتَغْفِرًا مِنْهَا فَإِنْ لَمْ يَسْلُكُوا بِهَذَا الدَّرْوِيشِ بِهَذَا الطَّرِيقِ وَلَمْ يُظْهِرُوا لَهُ فَوقِيَّةَ بَعْضِ بَعْضًا كَانَ قَدْ ظَنَّ تَرَقِّيَهُ عَلَى هَذَا المَقَامِ تَنَزُّلاً مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَقَامٌ أَعْلَى مِنْ مَقَامِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهِيَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَنْشَأَ تَفَاوُتِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ فِي المَكَاتِيبِ وَالرَّسَائِلِ الصَّادِرَةِ مِنْ هَذَا الدَّرْوِيشِ بَلْ مِنْ كُلِّ سَالِكٍ هُوَ حُصُولُ هَذِهِ المَقَامَاتِ المُتَفَاوِتَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ عُلُومًا وَمَعَارِفَ خَاصَّةً بِهِ وَلِكُلِّ حَالٍ قِيلاً وَقَالاً فَعَلَى هَذَا لاَ تَدَافُعَ فِي العُلُومِ وَلاَ تَنَاقُضَ بَيْنَهَا بَلْ ذَلِكَ مِثْلُ نَسْخِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ وَصَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

المَكْتُوبُ الحادِيَ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ

إلى الملا صَالِحٍ البدخشي

فِي بَيَانِ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلوك حُصُول الإِيمَانِ الحَقِيقِيِّ المَوْقُوف عَلى اطْمئنَان النَّفْسِ

اعْلَمْ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ طَيِّ مَنَازِلِ السُّلوك حُصُول الإِيمَانِ الحَقِيقِيِّ الذي هُوَ مَرْبُوطٌ باطْمئنَان النَّفْسِ وَمَا لَمْ تَطْمَئِنَّ النَّفْسُ لاَ تَتَصَوَّرُ النَّجَاةَ وَلاَ تَصِل النَّفْسُ إلى مَرْتَبَة الاطْمئنَانَ مَا لَمْ تُسَلطْ عَلَيْهَا سِيَاسَةَ القَلب وَسِيَاسَةُ القَلب إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا كَانَ القَلبُ فَارِغًا مِنْ جَمِيعِ مَا هُوَ مِنْ قِبَل النَّفْسِ وَحَصَلتْ لهُ السَّلاَمَةُ مِنَ التَّعَلق بِمَا سِوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَعَلاَمَةُ سَلاَمَته مِنْ ذَلكَ التَّعَلق نسْيَانُه مَا سِوَى الله تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَمَا بَقِيَ مِقْدَارُ شَعْرَة مِنَ الشُّعُور بالغَيْر فَالسَّلاَمَةُ بَعِيدَةٌ فَطُوبَى لِمَنْ سَلمَ قَلبُهُ لرَبِّه وَالسَّعْيُ إِلى أَنْ تُشَرِّفَ القَلبَ بِالسَّلاَمَة وَيَنْجَرُّ الأَمْرُ إِلى اطْمئنَان النَّفْسِ لاَزِمٌ.

{ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظِيم} وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد صدِّيق
في بَيَان فَضيلة شَهْرِ رَمَضَانَ
وَبَيَان مُنَاسَبَته للقُرْآن المَجيد وَمَا يُنَاسِبُهُ
باسْمِه سُبْحَانَهُ

اعْلَمْ أَنَّ شَأْنَ الكَلَامِ الذي هُوَ منْ جُمْلة الشُّئونات الذَّاتيَّة جَامعٌ لجَميع الكَمَالات الذَّاتيَّة والشئونات الصِّفاتيَّة كَمَا ذُكرَ في العُلوم السَّابقَة وَشَهْرُ رَمَضَانَ المُبَارَكُ جَامعٌ لجَميع الخَيْرَات وَالبَرَكَات وَكُل خَيْر وَبرْكَة فَهُوَ مُفَاضٌ منْ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَنَتيجَةُ شُئوناته سُبْحَانَهُ وَكُل شَرٍّ وَنَقْص ظَهَرَ في عَرْصَة الوُجُود فَنَشْأَةُ الذَّات الحَادثَة وَالصِّفَات المُسْتَحْدَثَة (مَا أَصَابَك منْ حَسَنَة فَمنَ اللهِ وَمَا أَصَابَك منْ سَيِّئَة فَمنْ نَفْسك) نَصٌّ قَاطعٌ في ذَلكَ فَجَميعُ خَيْرَات هَذَا الشَّهْر وَبَرَكَاته نَتيجَةُ تلكَ الكَمَالات الذَّاتيَّة التي اسْتَجْمَعَتْ في شَأْن الكَلَام وَالقُرْآنُ المَجيدُ حَاصل تَمَام حَقيقَة ذَلكَ الشَّأْن الجَامع فَلهَذَا الشَّهْر المُبَارَك مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ للقُرْآن المَجيد منْ جهَة كَوْن القُرْآن جَامعًا لجَميع الكَمَالات وَهَذَا الشَّهْرُ لجَميع الخَيْرَات التي هيَ نَتَائجُ تلكَ الكَمَالات وَثَمَرَاتُهَا وَهَذه المُنَاسَبَةُ كَانَتْ بَاعثَةً عَلى نُزُول القُرْآن في هَذَا الشَّهْر قَال اللهُ تَعَالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزل فيه القُرْآنُ) وَلَيْلَةُ القَدْر في هَذَا الشَّهْر خُلاَصَةُ هَذَا الشَّهْر وَزُبْدَتُهُ فَهُوَ بمَنْزلة اللبِّ وَهَذَا الشَّهْرُ بمَنْزلة قشْره فَمَنْ مَرَّ عَلَيْه هَذَا الشَّهْرُ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بالجَمْعيَّة وَصَارَ مَحْظُوظًا منْ خَيْرَاته وَبَرَكَاته يَكُنْ مُوَفًّا لجَمْعيَّة تَمَام السُّنَّة وَيَفُوزُ بالخَيْرَات وَالبَرَكَات فيهَا وَفَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ للخَيْرَات وَالبَرَكَات في مثْل هَذَا الشَّهْر المُبَارَك وَرَزَقَنَا النَّصيبَ الأَعْظَمَ قَال حَضْرَةُ خَاتَم الرِّسَالة – عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحيَّةُ – "إذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطرْ عَلى تَمْرَة فَإنَّهُ بَرَكَةٌ" وَأَفْطَرَ النَّبيُّ ﷺ بالتَّمْر وَكَوْنُ التَّمْر بَرَكَةً لأَنَّ شَجَرَتَهَا النَّخْلَةُ وَمَخْلوقَةٌ عَلى عُنْوَان الجَامعيَّة وَصفَات أَعْدَليَّة كَالإنْسَان وَلهَذَا سَمَّى النَّبيُّ ﷺ النَّخْلَةَ عَمَّةَ بَني آدَمَ لكَوْنهَا مَخْلوقَةً منْ بَقيَّة طينَة آدَمَ عَلَيْه السَّلَامُ كَمَا قَال – عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – "أَكْرمُوا عَمَّتكُمْ النَّخْلَةَ فَإنَّهَا خُلقَتْ منْ بَقيَّة طينَة آدَمَ عَلَيْه السَّلَامُ" وَتَسْميَتُهُ بَرَكَةً يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ باعْتبَار هَذه الجَامعيَّة فَالإفْطَارُ بثَمَرَتهَا التي

هِيَ التَّمْرَةُ تَكُونُ جُزْءًا مِنَ المُفْطِرِ بِهَا وَحَقِيقَتُهَا الجَامِعِيَّةُ تَكُونُ جُزْءًا مِنْ حَقِيقَتِه باعْتِبَارِ تِلْكَ الجُزْئِيَّةِ وَيَكُونُ آكِلُهَا جَامِعًا لِكَمَالاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ مُنْدَرِجَةٍ فِي حَقِيقَةِ التَّمْرِ الجَامِعَةِ بِذَلِكَ الاعْتِبَارِ وَهَذَا المَعْنَى وَإِنْ كَانَ حَاصِلاً فِي أَكْلِهِ مُطْلَقًا وَلَكِنَّهُ وَقْتَ الإِفْطَارِ الذي هُوَ أَوَانُ خُلُوِّ الصَّائِمِ عَنِ الشَّهَوَاتِ المَانِعَةِ وَاللَّذَّاتِ الفَانِيَةِ يَكُونُ تَأْثِيرُهُ أَزْيَدَ وَظُهُورُ هَذَا المَعْنَى فِيهِ يَكُونُ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ وَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ نِعْمَ سُحُورُ المَرْءِ التَّمْرُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ فِي غِذَائِهِ الذي يَصِيرُ جُزْءًا مِنَ الآكِلِ تَكْمِيلَ حَقِيقَتِهِ لاَ تَكْمِيلَ حَقِيقَةِ الغِذَاءِ وَلَمَّا كَانَ هَذَا المَعْنَى مَفْقُودًا وَقْتَ الصَّوْمِ رَغَّبَ فِي التَّسَحُّرِ بِالتَّمْرِ تَلاَفِيًا لِهَذَا المَعْنَى وَكَانَ فِي أَكْلِهِ فَائِدَةُ أَكْلِ جَمِيعِ المَأْكُولاَتِ وَتَبْقَى بَرَكَتُهُ بِاعْتِبَارِ جَامِعِيَّتِهِ إِلَى وَقْتِ الإِفْطَارِ وَهَذِهِ الفَائِدَةُ الغِذَائِيَّةُ المَذْكُورَةُ إِنَّمَا تَتَرَتَّبُ إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ الغِذَاءُ عَلَى وَجْهٍ شَرْعِيٍّ وَلَمْ يُجَاوِزْ حُدُودَ الشَّرْعِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَأَيْضًا إِنَّ حَقِيقَةَ هَذِهِ الفَائِدَةِ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِذَا كَانَ آكِلُهُ قَدْ جَاوَزَ الصُّورَةَ وَبَلَغَ المَعْنَى وَالحَقِيقَةَ وَاطْمَئَنَّ عَنِ الظَّاهِرِ بِالبَاطِنِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ ظَاهِرُ الغِذَاءِ مُمِدًّا لِظَاهِرِهِ وَبَاطِنُهُ مُكَمِّلاً لِبَاطِنِهِ وَإِلاَّ فَفَائِدَتُهُ مَقْصُورَةٌ عَلَى الإِمْدَادِ الظَّاهِرِيِّ وَآكِلُهُ فِي عَيْنِ القُصُورِ. شِعْرٌ.

اجْتَهِدْ فِي جَعْلِ أَكْلِ جَوْهَرًا ثُمَّ كُلْ مِنْ بَعْدِ ذَا مَا تَشْتَهِي

وَهَذَا أَعْنِي تَكْمِيلَ الغِذَاءِ لآكِلِهِ هُوَ سِرُّ تَعْجِيلِ الإِفْطَارِ وَتَأْخِيرِ السَّحُورِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى السَّيِّد النَّقيب الشَّيْخ فَريد
في بَيَان أَنَّ كُلاً مِنَ الإِسْلاَمِ وَالكُفْرِ ضِدُّ الآخَرِ
وَاجْتِمَاعُهُمَا مُحَال وَإِعْزَازَ أَحَدِهِمَا مُسْتَلزِمٌ لإِذْلال الآخَرِ إلخ

الحَمْدُ للهِ الذي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا إِلى الإِسْلاَمِ وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

اعْلَمْ أَنَّ نَقْدَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ مَرْبُوطٌ باتِّبَاعِ سَيِّدِ الكونَيْنِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَحَسْبُ وَالاتِّبَاعُ إِنَّمَا هُوَ بِإِتْيَان أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ وَإِجْرَائِهَا بَيْنَ الأَنَامِ وَرَفْعِ رُسُومِ الكُفْرِ وَإِبْطَالِهَا وَدَفْعِهَا عَنِ الخَاصِّ وَالعَامِّ فَإِنَّ الكُفْرَ وَالإِسْلاَمَ ضِدَّان لاَ يَجْتَمِعَان إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ وَسَاعَةِ القِيَامِ فَإِثْبَاتُ أَحَدِهِمَا مُوجِبٌ لِرَفْعِ الآخَرِ وَإِعْزَازُ أَحَدِهِمَا مُسْتَلزِمٌ لإِذْلال الآخَرِ وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ ﷺ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}[1] فَإِذَا أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَه الذي هُوَ مَوْصُوفٌ بِالخُلُقِ العَظِيمِ يُجَاهِدُ الكُفَّارَ وَالغِلْظَةُ عَلَيْهِ علمٌ أَنَّ الغِلْظَةَ عَلَيْهِمْ دَاخِلٌ فِي الخُلُقِ العَظِيمِ فَعِزَّةُ الإِسْلاَمِ فِي مَذَلَّةِ الكُفْرِ وَأَهْلِه فَمَنْ أَعَزَّ أَهْلَ الكُفْرِ فَقَدْ أَذَلَّ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَالإِعْزَازُ لَيْسَ هُوَ عِبَارَةً عَنْ تَعْظِيمِهِم وإجلالهم فِي الصَّدْرِ البَتَّةَ بَلْ إِدْخَالُهُمْ فِي المَجَالِسِ وَمُصَاحَبَتُهُمْ وَالتَّكَلُّمُ مَعَهُمْ بِلُغَاتِهِمْ كُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الإِعْزَازِ فَإِنَّ اللاَّئِقَ بِهِمْ إِبْعَادُهُمْ مِثْلَ الكِلاَبِ فَإِنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ غَرَضٌ مِنَ الأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِحَيْثُ لاَ يَكَادُ يَتَيَسَّرُ بِدُونِهِمْ فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَلِطَ بِهِمْ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ مُرَاعِيًا شِيمَةَ عَدَمِ الالتِفَاتِ إِلَيْهِمْ والاعتداد بِهِمْ وَكَمَالِ الإِسْلاَمِ فِي تَرْكِ هَذَا الغَرَضِ بِالكُلِّيَّةِ وَعَدَمُ الالتِفَاتِ إِلَيْهِمْ وَالاخْتِلاَطِ بِهِمْ وَقَدْ سَمَّى اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الكُفْرِ فِي كَلاَمِه المَجِيدِ عَدُوَّهُ وَعَدُوَّ رَسُولِه فَالاخْتِلاَطُ بِأَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِه مِنْ أَعْظَمِ الجِنَايَاتِ وَأَقَلُّ ضَرَرِ المُخَالَطَةِ بِهَؤُلاَءِ الأَعْدَاءِ وَالمُصَاحَبَةِ مَعَهُمْ حُصُولُ الوَهَنِ وَالضَّعْفِ فِي قُدْرَةِ إِجْرَاءِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَرَفْعِ رُسُومِ الكُفْرِ الشَّنِيعَةِ لِمَانِعِ حَيَاءِ المُؤَانَسَةِ بِهِمْ وَهَذَا الضَّرَرُ عَظِيمٌ جِدًّا فَإِنَّ المَوَدَّةَ وَالأُلْفَةَ مَعَ أَعْدَاءِ اللهِ يَنْجَرُّ إِلى عَدَاوَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَاوَةِ رَسُولِه ﷺ وَرُبَّمَا يَزْعُمُ الإِنْسَانُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ

---

(١) ـــ الآية: ٧٣ من سورة التوبة.

وَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِه وَلَكِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَنَّ أَمْثَال هَذه الأَعْمَال الشَّنِيعَة يُذْهِبُ دَوْلَةَ الإِسْلاَمِ عَنْهُ بِالتَّمَامِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا شَعْرٌ.

تُحِبُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي ... أُحِبُّكَ إِنَّ العَقْلَ مِنْكَ لَعَازِبُ

وَشُغْل هَؤُلاَءِ المَلاَعِين أَعْدَاءِ الدِّينِ الاسْتِهْزَاءِ بِالإِسْلاَمِ وَالسُّخْرِيَة بِأَهْلِه مُنْتَظِرِينَ بِأَنَّهُمْ إِنْ وَجَدُوا فُرْصَةً يُخْرِجُونَنَا مِنَ الإِسْلاَمِ أَوْ يَقْتُلُونَنَا جَمِيعًا فَيَنْبَغِي لأَهْلِ الإِسْلاَمِ أَيْضًا الاسْتِحْيَاءُ وَالحَمِيَّةُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ وَالحَمِيَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ ضَرُورِيَّةٌ فَاللاَّئِقُ بِأُولِي الأَمْرِ أَنْ يَكُونُوا فِي إِذْلاَلِ هَؤُلاَءِ المُخَوَّلِينَ دَائِمًا وَقَدْ ارْتَفَعَتْ الجِزْيَةُ مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ فِي بِلاَدِ الهِنْدِ رَأْسًا وَبِالذَّاتِ وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ شآمَةِ مُصَاحَبَةِ أَهْلِ الكُفْرِ مَعَ سَلاَطِينَ هَذِهِ الدِّيَارِ وَالمَقْصُودُ الأَصْلِيُّ مِنْ أَخْذِ الجِزْيَةِ مِنْهُمْ هُوَ إِذْلاَلُهُمْ وَهَذَا الإِذْلاَلُ يَكُونُ عَلَى حَدٍّ لاَ يَقْدِرُونَ لُبْسَ الثِّيَابِ النَّفِيسَةِ خَوْفًا مِنْ أَخْذِ الجِزْيَةِ وَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَى التَّجَمُّلِ بَلْ يَكُونُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَهُمْ عَلَى الدَّوَامِ وَكَيْفَ يَتَجَاسَرُ السَّلاَطِينُ عَلَى المَنْعِ مَنْ أَخْذِ الجِزْيَةِ وَالحَالُ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الجِزْيَةَ ذُلاً لَهُم وَالمَقْصُودُ مِنْ أَخْذِهَا فَضِيحَتُهُمْ وَمَذَلَّتُهُمْ وَغَلَبَةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَعِزَّتُهُمْ، (ع):

وَفِي إِذْلاَلِ كُفْرٍ عِزُّ الإِسْلاَمِ

وَعَلاَمَةُ حُصُولِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ بُغْضُ أَهْلِ الكُفْرِ وَكَرَاهَتُهُمْ وَقَدْ سَمَّاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كَلاَمِه المَجِيدِ نَجِسًا وَفِي مَحَلِّ رِجْسًا فَيَنْبَغِي إِذًا أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الكُفْرِ فِي نَظَرِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ نَجِسًا وَرِجْسًا فَإِذَا رَأَوْهُمْ كَذَلِكَ فَلاَ جَرَمَ يَجْتَنِبُونَ عَنْ صُحْبَتِهِمْ وَيَسْتَكْرِهُونَ مُجَانَسَتَهُمْ وَالرُّجُوعُ إِلَى هَؤُلاَءِ الأَعْدَاءِ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ وَالعَمَلِ بِمُقْتَضَى رَأْيِهِمْ وَحُكْمِهِمْ مِنْ كَمَالِ إِعْزَازِهِمْ فَمَا يَكُونُ حَالُ مَنْ يَطْلُبُ مِنْهُمُ الهِمَّةَ وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كَلاَمِه المَجِيدِ (وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ) فَدُعَاءُ هَؤُلاَءِ الأَعْدَاءِ بَاطِلٌ عَارٍ عَنِ الحَاصِلِ فَأَنَّى يَكُونُ احْتِمَالُ الإِجَابَةِ فِيهِ بَلْ يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ فَسَادًا كَبِيرًا مِنْ إِعْزَازِ هَؤُلاَءِ الكِلاَبِ وَلَئِنْ بَاشَرَ هَؤُلاَءِ المُخَوَّلُونَ الدُّعَاءَ يَتَوَسَّلُونَ بِأَصْنَامِهِمْ فَيَنْبَغِي التَّفَكُّرُ إِلَى أَيْنَ يَنْجَرُّ الأَمْرُ بَلْ لاَ تَبْقَى رَائِحَةٌ مِنَ الإِسْلاَمِ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ: مَا لَمْ يَصِلْ أَحَدُكُمْ إِلَى حَدِّ الجُنُونِ لاَ يَصِلُ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالجُنُونُ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ الالتِفَاتِ إِلَى نَفْعِ نَفْسِه وَضَرَرِه وَعَدَمُ المُبَالاَةِ بِحُصُولِ شَيْءٍ وَفَوْتِهِ فِي إِعْلاَءِ كَلِمَةِ الإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِينَ فَإِذَا حَصَلَ

الإِسْلاَمُ فَقَدْ حَصَلَ رِضَا الحَقِّ وَرِضَا رَسُوله - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلاَ دَوْلَةَ أَعْظَمَ مِنْ رِضَا المَوْلَى سُبْحَانَهُ رَضِينَا بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - نَبِيًّا وَرَسُولاً وَأَحْيَنَا يَا رَبُّ عَلَى ذَلكَ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْه وَعَلَى آله مِنَ الصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمات أَكْمَلهَا - وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا فَقَدْ كَتَبْتُ مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ وَمَا لاَ بُدَّ منْهُ عُجَالَةَ الوَقْت بطَرِيق الإِجْمَال وأَرْسلتُه فَإِنْ كُنَّ التَّوْفِيقُ رَفِيقًا بَعْدَ ذَلكَ أَكْتُبُ مُفَصَّلاً وَأَرْسلهُ وَكَمَا أَنَّ الإِسْلاَمَ ضِدُّ الكُفْرِ كَذَلكَ الآخرَةُ ضِدُّ الدُّنْيَا لاَ تَجْتَمعُ إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى وَتَرْكُ الدُّنْيَا عَلَى نَوْعَيْنِ تَرْكُهَا مَعَ جَمِيعِ مباحاتها إِلاَّ قَدَّرَ الضَّرُورَة وَهَذَا القِسْمُ أَعْلَى نَوْعَيْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَالآخرُ الاجْتِنَابُ عَنْ مُحَرَّمَاتهَا ومشتبهاتها مَعَ التَّنَعُّمِ بمباحاتها وَهَذَا القِسْم أَيْضًا عَزِيزُ الوُجُودِ جدًّا خُصُوصًا فِي هَذه الأَزْمَان. شعْرٌ.

إِذَا قِسْنَا السُّمَا بِالعَرْشِ يَنْحَطُّ وَمَا أَعْلاَهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضِ

فَلاَ بُدَّ منَ الضَّرُورَة منَ الاجْتنَاب عَنِ اسْتعْمَال الذَّهَب وَالفضَّة وَلبْس الحَرِير وَأَمْثَالهَا ممَّا هُوَ مُحَرَّمٌ فِي الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلَى مَصْدَرهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإِنْ حَفظْتَ أَوَانِيَ الذَّهَب وَالفضَّة للتَّجَمُّل وَزِينَة البَيْت فَلاَ بَأْسَ به بَل لهُ مُسَاغٌ فِي الجُمْلَة وَلكنَّ اسْتعْمَالهَا بَأَيِّ وَجْه كَانَ منْ شُرْب مَاء وَأَكْل طَعَام فِيهَا وَوَضْع العطْر وَاتِّخَاذ المُكْحُلة منْهَا وَغَيْر ذَلكَ حَرَامٌ وَالحَاصل أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَسَّعَ دَائرَةَ المُبَاح جدًّا حَتَّى إِنَّ التِّنعمات والتَّمتُّعات بهَا أَزْيَدَ منْهَا بالأُمُور المُحَرَّمَة مَعَ أَنَّ فِي اسْتعْمَال المُبَاحَات رِضَا الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَفِي اسْتعْمَال المُحَرَّمَات سَخَطُه تَعَالى وَالعَقْل السَّليمُ لاَ يُجَوِّزُ أَصْلاً اخْتيَارَ لذَّة فَانيَة فِيهَا عَدَمُ رِضَا مَوْلاَهُ مَعَ أَنَّ مَوْلاَهُ جَوَّزَ لهُ بَدَل تلكَ اللذَّة المُحَرَّمَة اللذَّةَ المُبَاحَةَ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ الاسْتقَامَةَ عَلَى مُتَابَعَة صَاحب الشَّرِيعَة عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ.

وَيَنْبَغِي الرُّجُوعُ فِي المُعَامَلة إِلَى العُلَمَاء المُتَوَرِّعينَ دَائمًا وَالاسْتفْسَارُ منْهُمْ وَالعَمَل بمُقْتَضَى فَتْوَاهُمْ فَإِنَّ طَرِيقَ النَّجَاة هُوَ الشَّرِيعَةُ وَمَا عَدَا الشَّرِيعَةَ كُلهُ بَاطِل لاَ اعْتبَارَ لهُ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَل وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ والسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى الحَافظ بَهَاء الدِّين السرهندي
فِي بَيَانِ أَنَّ فَيْضَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَارِدٌ عَلى الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ عَلى الدَّوَامِ
وَالتَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ بِقَبُولِهِ وَعَدَمِ قَبُولِهِ مِنْ طَرَفِ العَبْدِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِه.

اعْلَمْ أَنَّ فَيْضَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مِنْ قَسْمِ الأَوْلَادِ وَالأَمْوَالِ وَالهِدَايَةِ وَالرُّشْدِ وَإِنْ كَانَ وَارِدًا عَلى الدَّوَامِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِقَةٍ بَيْنَ الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ وَالكِرَامِ وَاللِّئَامِ وَلكِنَّ التَّفَاوُتَ نَاشِئٌ مِنْ هَذَا الطَّرَفِ فَبَعْضٌ يَقْبَلُ الفُيُوضَ وَآخَرُ لاَ يَقْبَلُهَا: {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[1] أَلاَ تَرَى أَنَّ الشَّمْسَ تُشْرِقُ عَلى القَصَّارِ وَالثَّوْبِ بِالسَّوِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ تُسَوِّدُ وَجْهَ القَصَّارِ وَتُبَيِّضُ الثَّوْبَ وَعَدَمُ قَبُولِ فَيْضِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ الإِعْرَاضِ عَنْ جَنَابِ قُدْسِه – جَلَّ سُلْطَانُهُ – فَإِنَّ الإِدْبَارَ لاَزِمٌ لِلمُعْرِضِ وَالحِرْمَانُ مِنَ النِّعْمَةِ وَاجِبٌ عَلَيْهِ لاَ يُقَالُ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ المُعْرِضِينَ مُتَنَعِّمُونَ بِتَنَعُّمَاتٍ عَاجِلَةٍ وَلَمْ يَكُنْ إِعْرَاضُهُمْ سَبَبًا لِحِرْمَانِهِمْ لأَنَّا نَقُولُ إِنَّ تِلْكَ نِقْمَةٌ ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ نِعْمَةٍ عَلى سَبِيلِ الاسْتِدْرَاجِ لِطُغْيَانِهِمْ لِيَنْهَمِكُوا فِي الإِعْرَاضِ وَالضَّلاَلَةِ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ) فَالدُّنْيَا وَتَنَعُّمَاتُهَا مَعَ وُجُودِ الإِعْرَاضِ عَيْنُ الاسْتِدْرَاجِ الحَذَرَ الحَذَرَ.

---

(١) ــ الآية: ٣٣ من سورة النحل.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى السَّيِّدِ النَّقيبِ السِّيخِ فَرِيد
فِي التَّرْغِيبِ فِي مُتَابَعَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ
وَبُغْضِ مُخالِفِي الشَّرِيعَةِ وَعَدَاوَتِهِمْ وَالغِلظَةِ عَلَيْهِمْ

شَرَّفَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ بِتَشْرِيفِ الميرَاثِ المَعنويِّ مِنَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ القُرشِيِّ الهَاشمِيِّ - عَلَيْهِ وَعَلى آلِه مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلَهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلَهَا - كَمَا شَرَّفَكُمْ بِتَشْرِيفِ الميرَاثِ الصُّورِيِّ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا وَمِيرَاثُهُ الصورِيُّ يَتَعَلقُ بِعَالمِ الخَلقِ وَمِيرَاثُه المَعْنَويُّ بِعَالمِ الأَمْرِ الذي هُوَ مَقَرُّ الإِيمَانِ وَالمَعْرِفَةِ وَمَحَلِ الرُّشْدِ وَالهِدَايَةِ وَشُكْرُ نِعْمَةِ الميرَاثِ الصوريِّ هُوَ التحلي بالميرَاثِ المعنَويِّ وَلاَ يَتَيَسَّرُ ذَلكَ إِلاَّ بِكَمَالِ الاتِّبَاعِ المُصْطَفَوِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِه فِي أَوَامِرِه وَنَوَاهِيه وَالمُتَابَعَةُ فَرْعُ كَمَالِ مَحَبَّتِه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، (ع):

إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

وَعَلاَمَةُ كَمَالِ المَحَبَّةِ كَمَالُ بُغْضِ أَعْدَائِه ﷺ وَإِظْهَارُ العَدَاوَةِ لِمُخالفي شَرِيعَتِه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلاَ سَبِيلَ للمُدَاهَنَةِ فِي المَحَبَّةِ فَإِنَّ المُحِبَّ وَالهٌ بِالمَحْبُوبِ هَائِمٌ بِه لاَ يُطِيقُ مُخَالفَتَه وَلاَ أَنْ يَميلَ إِلى مُخَالفِيه وَلاَ أَنْ يَلِينَ لَهُمْ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ وَلاَ يَجْتَمِعُ مَحَبَّةُ المُتَبَايِنِينَ فَإِنَّ الجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ مُحَالٌ بَلْ مَحَبَّةُ أَحَدِهِمَا تَسْتَلزِمُ عَدَاوَةَ الآخَرِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَمَّلَ تَأَمُّلاً جَيِّدًا وَأَنْ يُتَدَارَكَ ما مَضَى قَبْلَ فَوْتِ الفُرْصَةِ فَإِنَّهُ إِذَا فَاتَتْ الفُرْصَةُ لاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ غَيْرَ النَّدَامَةِ. شعْرٌ.

وَحِينَ الصُّبْحُ تَبْدُو كَالنَّهَارِ ... حَقِيقَةٌ مَنْ هَوَيْتَه فِي الظَّلاَمِ

غَيْرُهُ:

سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الغُبَارُ ... أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارٌ

وَمَتَاعُ الدُّنْيَا مَتَاعُ الغُرُورِ وَتَرَتَّبَتْ عَلَيْهِ المُعَامَلَةُ الأُخْرَوِيَّةُ وَالأَبَدِيَّةُ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ مُتَابَعَةُ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي هَذِه الأَيَّامِ المَعْدُودَةِ فَالنَّجَاةُ الأَبَدِيَّةُ مَرْجُوَّةٌ وَإِلاَّ فَخَسَارَةٌ فِي خَسَارَةٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَأَيُّ عَمَلٍ عَمِلَهُ مِنَ الخَيْرِ. شعْرٌ.

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ مِنْ عَرَبٍ ... خَابَ الذِي لَمْ يَكُنْ فِي بَابِهِ التُّرْبَا

وَحُصُول دَوْلَة تلكَ المُتَابَعَة العُظْمَى ليْسَ بمَوْقُوف عَلى تَرْك الدُّنْيَا بالكُلِّيَّة حَتَّى يَكُونَ عَسيرًا بَل إذَا أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ مَثَلاً فَلَهُ حُكْمُ التَّرْك في عَدَم وُصُول المَضرَّة فَإنَّهُ لاَ ضَرَرَ في المَال المُزَكَّى فَمُعَالجَةُ دَفْع الضَّرَر عَن المَال الدُّنيويِّ إخْرَاجُ الزَّكَاة وَإنْ كَانَ التَّرْكُ الكُليُّ أَوْلى وَأَفْضَل منْهُ وَلكنَّ أَدَاءَ الزَّكَاة يَقُومُ مَقَامَه. شعْرٌ.

إذَا قسْنَا السُّمَا بالعَرْش يَنْحَطُّ وَمَا أَعْلاَهُ إنْ قسْنَا بأَرْض

فَيَنْبَغي صَرْفُ جَميع الهمَّة في إتْيَان أَحْكَام الشَّريعَة وَتَعْظيم أَهْلهَا منَ العُلمَاء وَالصُّلحَاء وَالاجْتهَاد في تَرْويجهَا وَإذْلاَل أَهْل الأَهْوَاء وَالبدَع فَإنَّ مَنْ وَقَّرَ صَاحبَ بدْعَة فَقَدْ أَعَانَ عَلى هَدْم الإسْلاَم وَمُعَادَاة الكُفَّار الذينَ هُمْ أَعْدَاءُ الله وَأَعْدَاء رَسُوله ﷺ وَالسَّعْي في إهَانَتهمْ وَتَحْقيرهمْ وَعَدَم إعْزَازهمْ بوَجْه منَ الوُجُوه وَعَدَم إدْخَالهمْ في المَجَالس أَصْلاً وَعَدَم الأُنْس بهمْ وَسُلُوك طَريق الغلْظَة وَالشِّدَّة عَليْهمْ وَعَدَم الرُّجُوع إليْهمْ في أَمْر منَ الأُمُور مَهْمَا أَمْكَنَ فَإنْ اضْطَرَّتْ الضَّرُورَةُ فَرْضًا إلى الرُّجُوع إليْهمْ يَنْبَغي قَضَاءُ تلكَ الحَاجَة منْهُمْ بكُرَةً وَاضْطرَارُ مثْل قَضَاء الحَاجَة الإنْسَانيَّة الطَّريقُ الذي يُوصِّل إلى جَنَاب قُدْس جَدِّكُمْ المُعَظَّم هُوَ هَذَا وَمَنْ لَمْ يَمْشِ منْ هَذَا الطَّريق فَالوُصُول إلى ذَلكَ الجَنَاب المُقَدَّس مُشْكل هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلل الجبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

مَاذَا نَكْتُبُ أَزْيَدَ منْ هَذَا. شعْرٌ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمومي وَخفْتُ أَنْ تَملوا وَإلاَّ فالكلاَمُ كثيرٌ

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى المَلا مُحَمَّد أَمين
في عَدَمِ الاغْتِرَارِ بِالحَيَاةِ اليَسيرَة
وَالجُهْدِ في إِزَالَةِ المَرَضِ القلبيِّ بِالذِّكْرِ الكَثِير

أَيُّهَا المَخْدُومُ إِلاَمَ تَحنُّ إِلى نَفْسك كَالأُمِّ الشَّفيقَة وَختَام تَتَجَرَّعُ الغُصَصَ مِنْ أَجْلهَا وَتَغْتَمُّ عَلَيْهَا كَالأُخْت الشَّقيقَة يَنْبَغي أَنْ تَفْرِضَ الكُلَ مَيِّتًا وَجَمَادًا خَاليًا عَلى الحسِّ وَالحَرَكَة إِنَّك مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ نَصٌّ قَاطِعٌ في هَذَا المَعْنَى وَفكْرُ إِزَالة المَرَض القَلبيِّ بالذِّكْر الكَثير في هَذه الفُرْصَة اليَسيرَة مَنْ أَهَمِّ المُهمَّات وَمُعَالجَةُ العلة المَعْنَويَّة بذكْر الرَّبِّ الجَليل في هَذَا الوَقْت القَليل مِنْ أَعْظَم المَقَاصد وَأَجَل القُرُبَات القَلبُ الذي هُوَ مُتَعَلقٌ بالغَيْر كَيْفَ يُتَوَقَّعُ منْهُ الخَيْرُ وَالرُّوحُ التي هِيَ مَائلةٌ إِلى الشَّرِّ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ أَفْضَل منْهَا وَأَخيرُ المَطْلوبُ منَّا هُنَاكَ كُله سَلاَمَةُ القَلب وَتَخَلصُ الرُّوح وُصَفَاؤُهَا وَنَحْنُ القَاصرُونَ في فكْر تَحْصيل أَسْبَاب تَعَلق الرُّوح وَالقَلب دَائمًا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ وَمَاذَا نَصْنَعُ {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهمْ يَظْلمُونَ}[1] وَلاَ يَنْبَغي أَنْ تَغْتَمَّ منْ جهَة الضَّعْف الظاهريِّ عَسَى أَنْ يَتَبَدَّل صحَّةً وَعَافيَةً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَلاَ تَشْويشَ في خَاطر هَذَا الجَانب منْ تلكَ الجهَة وَقَدْ طَلَبْتُمْ الثَّوْبَ الذي لبسَهُ الفَقيرُ فَأَرْسَلتُ قَميصًا فَيَنْبَغي أَنْ تَلبَسَهُ مُتَرَصِّدًا لنَتَائجه وَثَمَرَاته فَإِنَّهُ كَثيرُ البَرَكَة، شعْرٌ:

خَابَ الذي قَدْ غَدَا في قَلبه مَرَضٌ ... وَفَازَ مَنْ كَانَ في حدَّة البَصَرِ

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ.

---

(١) ــ الآية: ٣٣ من سورة النحل.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إِلى هَرْدَى رَامٍ الهِنْدِ وَالذي أَظْهَرَ الإِخْلاَصَ لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ
فِي التَّحْرِيضِ عَلى عِبَادِهِ اللهِ تَعَالَى
وَالتَّحْذِيرِ عَنْ عِبَادَةِ الآلِهَةِ البَاطِلَةِ

قَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْكُمْ مَكْتُوبَانِ وَفُهِمَ مِنْ كُلٍ مِنْهُمَا مَحَبَّةُ الفُقَرَاءِ وَالالتِجَاءُ إِلى هَذِهِ الطَّائِفَةِ العَلِيَّةِ نِعْمَ النِّعْمَةُ إِنْ مُنَّ عَلى شَخْصٍ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ. شِعْرٌ.

وَمَا هُوَ مِنْ شَرْطِ البَلاَغِ أَقُولُهُ فَخُذْ مِنْهُ نُصْحًا خَالِصًا أَوْ مَلاَلَةً

اعْلَمْ وَتَنَبَّهَ أَنَّ رَبَّنَا وَرَبَّكُمْ بَلِ رَبَّ العَالَمِينَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَالعَلوِّيِينَ وَالسُّفْلِيِّينَ وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّبَهِ وَالمِثَالِ مُبَرَّأٌ عَنِ الشَّكْلِ وَكُلِ مَا يَمُرُّ عَلى الخَيَالِ وَكُلِ مِنَ الأُبُوَّةِ وَالبُنُوَّةِ فِي حَقِّهِ مُحَالٌ وَلَيْسَ لِلكَفَاءَةِ وَالتِّمْثَالِ فِي حَضْرَتِهِ مَجَالٌ وَزَعْمُ شَائِبَةِ الاتِّحَادِ وَالحُلُولِ مُسْتَهْجَنٌ فِي حَضْرَةِ أُنْسِهِ وَمَظِنَّةُ الكُمُونِ وَالبُرُوزِ مُسْتَقْبَحٌ فِي جَنَابِ قُدْسِهِ لَيْسَ بِزَمَانِيٍّ فَإِنَّ الزَّمَانَ مَخْلُوقَهُ تَعَالى وَلَيْسَ بِمَكَانِيٍّ فَإِنَّ المَكَانَ مَصْنُوعُهُ سُبْحَانَهُ لاَ بِدَايَةَ لِوُجُودِهِ وَلاَ نِهَايَةَ لِبَقَائِهِ وَكُلِ خَيْرٍ وَكَمَالٍ ثَابِتٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَكُلِ نَقْصٍ وَزَوَالٍ مَسْلُوبٌ عَنْ جَنَابِهِ المُتَعَالِ فَيَكُونُ مُسْتَحِقَّ العِبَادَةِ هُوَ تَعَالى وَرام وكرشن وَأَمْثَالِهِمَا مِنْ آلِهَةِ الهُنُودِ كُلُّهَا مِنْ أَحْقَرِ مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالى مُتَولِداتٌ مِنَ المَخْلُوقِينَ فَإِنْ رَامَ وَلَدٌ جَسَرَتْ وَأَخُو لِكُهُمْنَ وَزَوْجِ سِيتَا فَإِذَا كَانَ رَامٍ غَيْرُ قَادِرٍ عَلى حِفْظِ زَوْجَتِهِ فَكَيْفَ يَمُدُّ الغَيْرَ يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُ العَقْلِ لاَ اتِّبَاعُ هَؤُلاَءِ وَتَقْلِيدُهُمْ فَعَارٌ عَلى شَخْصٍ أَلفَ عَارٍ اعْتِقَادُ أَنَّ رَبَّ العَالَمِينَ هُوَ رَام وَكرشن وَذِكْرُهُ تَعَالى بِهِمَا وَمِثْلُهُ مِثْلُ شَخْصٍ يَذْكُرُ السُّلْطَانَ المُعَظَّمَ بِاسْمِ أَرْذَلِ الكَنَّاسِينَ وَزَعْمُ اتِّحَادِ رَام وَرَحْمَنَ مِنْ نِهَايَةِ عَدَمِ العَقْلِ فَإِنَّ الخَالِقَ لاَ يَتَّحِدُ بِالمَخْلُوقِ وَقَبْلَ خَلْقِ را وَكَرِشْنَ مَا كَانَ أَحَدٌ يَذْكُرُ رَبَّ العَالَمِينَ بِاسْمِ رَامٍ وَكَرِشْنَ فَلأَيِّ شَيْءٍ يُطْلَقُ اسْمُهُمَا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بَعْدَ ظُهُورِهِمَا وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذِكْرَهُمَا ذِكْرُ رَبِّ العَالَمِينَ حَاشَا وَكَلاَّ ثُمَّ حَاشَا وَكَلاَّ وَلَقَدْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَائِنَا عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ مِائَةُ أَلفٍ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ أَلفَ تَقْرِيبًا كُلُّهُمْ دَعَوْا الخَلْقَ إِلى عِبَادَةِ الخَالِقِ وَرَغَّبُوهُمْ فِيهَا وَمَنَعُوهُمْ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ عَبِيدًا عَاجِزِينَ وَكَانُوا خَائِفِينَ وَوَجِلِينَ مِنْ هَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ تَعَالى

وَآلِهَةُ الهُنُود رَغَّبُوا الخَلقَ فِي عِبَادَتِهِمْ وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهمْ آلِهَةً فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا قَائلِينَ بِوُجُودِ رَبِّ العَالمِينَ وَلكِنَّهُمْ أَثْبَتُوا لهُ سُبْحَانَهُ الحُلول فِيهِمْ وَاتِّحَادَه بِهِمْ فَدَعَوْا الخَلقَ إِلى عِبَادَتِهِمْ مِنْ هَذِه الجِهَة وَأَمَرُوهُمْ بِأَنْ يَقُولوا لَهُمْ آلِهَةً وَوَقَعُوا فِي المُحَرَّمَاتِ مِنْ غَيْرِ تَحَاشٍ زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّ الإِلهَ لاَ يَكُونُ مَمْنُوعًا مِنْ شَيْءٍ أَصْلاً بَل يَتَصَرَّفُ فِي خَلقِه كَيْفَ يَشَاءُ وَأَقْسَامُ هَذِه التَّخَيُّلاَت الفَاسِدَة كَثِيرَةٌ فَهُمْ ضَلوا فَأَضَلوا بِخِلاَفِ أَنْبِيَائِنَا عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتَسليماتُ فَإِنَّهُمُ امْتَنَعُوا عَنْ كُل مَا مَنَعُوا الخَلقَ مِنْهُ عَلى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَل وَاعْتَقَدُوا أَنْفُسَهمْ بَشَرًا مِثْل سَائِرِ البَشَرِ، (ع):

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ فَانْظُرُوا

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ مُحَمَّد القَاسِم بْن الخواجكى الأمكنكي
في مَدْحِ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة
وَذَمِّ مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَبَعْدَ تَبْليغ دَعَوَات مَوْفُورَة وَتَحيَّات غَيْر مَحْصُورَة إلى الجَنَاب العَالي سُلالَة المَشَايخ الكرَام نَتيجَة الأَوْليَاء العظَام حَضْرَة المَخْدُوم زَاده المُسْتَقيم عَلى الجَادَّة سَلمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاهُ وَإظْهَار اشْتيَاق رُؤْيَته وَتَمَنِّي لقَائه. شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ ودُونَهَا قُلل الجبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

ليَكُنْ مَعْلومًا لجَنَابه العَالي أَنَّ عُلوَّ هَذه الطَّريقَة العَليَّة وَرَفْعَةَ الطَّبَقَة النَّقْشَبَنْديَّة إنَّمَا هيَ بوَاسطَة التزَام السُّنَّة السَّنيَّة وَالاجْتنَاب عَن البدْعَة الشَّنيعَة وَلهَذَا اجْتَنَبَ أَكَابرُ هَذه الطَّريقَة العَليَّة عَنْ ذكْر الجَهْر وَأَمَرُوا بالذِّكْر القَلبيِّ وَمَنَعُوا منَ السَّمَاع وَالرَّقْص وَالوَجْد وَالتَّوَاجُد وَغَيْر ذَلكَ ممَّا لَمْ يَكُنْ في عَصْره - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَعَصْر الخُلفَاء الرَّاشدينَ عَلَيْهمُ الرِّضْوَانُ وَاخْتَارُوا الخَلوَةَ في الجَلوه بَدَل خَلوَة الأَرْبَعينَ لعَدَم كَوْنهَا في الصَّدْر الأَوَّل فَلاَ جَرَمَ تَرَتَّبَتْ عَلى ذَلكَ الالتزَام نَتَائجُ عُظْمَى وَتَفَرَّعَتْ عَلى ذَاكَ الاجْتنَاب ثَمَرَاتٌ كَثيرَةٌ وَمنْ هَاهُنَا كَانَتْ نهَايَةُ غَيْرهمْ مُنْدَرجَةً في بدَايَتهمْ وَكَانَتْ نسْبَتُهمْ فَوْقَ جَميع النِّسَب كَلاَمُهمْ دَوَاءُ الأَمْرَاض القَلبيَّة وَنَظَرُهمْ شفَاءُ العلل المَعْنَويَّة تَوَجُّهُمُ الوَجيهُ يُنَجِّي الطَّالبينَ منْ تَعَلق الكونَيْن وَهمَّتُهمْ الرَّفيعَةُ الشَّأْن تَرْفَعُ المُريدينَ إلى ذُرْوَة الوُجُوب منْ حَضيض الأَمَاكن. شعْرٌ.

مَا أَحْسَنَ النَّقْشبنديِّينَ سيرتَهم يَمْشُونَ بالرَّكْب مُخفيين للحرَم
تُزيل وَسْوَسَةَ الخَلوَات صُحبَتُهمْ عَنْ قَلب أَصْحَابهمْ بأَحْسَن ذَا الكَرَم

وَلكنْ قَدْ صَارَتْ هَذه النِّسْبَةُ الشَّريفَةُ في هَذه الآوان كَعَنْقَاء المَغْرب وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ الاسْتتَار تَحْتَ الحُجُب حَتَّى سَلكَ جَمَاعَةٌ منْ هَذه الطَّبَقَة منْ عَدَم وجْدَان هَذه الدَّوْلَة العُظْمَى وَفقْدَان تلكَ النِّعْمَة القُصْوَى كُلَّ مَسْلَك وَفَرحُوا بنَيْل قطْعَات خَزَف بَدَلاً منَ الجَوَاهر النَّفيسَة وَاطْمَأَنَّتْ قُلوبُهُمْ بالجَوْز وَالمَوْز مثْل الأَطْفَال حَتَّى أَنَّهُمْ منْ غَايَة الاضْطرَار وَالتَّحَيُّر تَرَكُوا طَريقَةَ أَكَابرهمْ وَصَارُوا يَطْلُبُونَ التَّسليَ أَحْيَانًا بذكْر الجَهْر وَآونَةً يَرُومُونَ الاطْمئْنَانَ بالرَّقْص وَالسَّمَاع

وَالدَّوْرَ وَلَمَّا لَمْ تَيَسَّرَ لَهُمُ الخَلوَةُ فِي الجَلوَةِ اخْتَارُوا الأربَعينات وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلكَ زَعْمُهمْ هَذه البِدْعَات الشَّنِيعَة مُتَمِّمَةً وَمُكَمِّلةً لهَذه النِّسْبَة الشَّرِيفَة وَعَدَّهُمْ هَذَا التَّخْرِيبَ عَيْنَ التَّعْمِير أَعْطَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الإِنْصَافَ وَأَوْصَل شِمَّةً مِنْ كَمَالات أَكَابِر هَذه الطَّرِيقَة إلى مشامِّ أَرْوَاحهمْ حَتَّى يَتْرُكُوا الاعْتسَافَ بالنُّون وَالصَّاد وَبحُرْمَة النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ وَلَمَّا شَاعَتْ هَذه المُحْدَثَاتُ فِي تلكَ الدِّيَار وَبَلغَ شُيُوعُهَا إلى حَدٍّ أَخْتَفَى أَصْل طَرِيق الأَكَابِر وَاخْتَارَ الوَضِيعُ وَالشَّرِيفُ هَذَا الوَضْعَ المُحْدَثَ الجَديدَ هُنَاكَ وَأَعْرَضُوا عَنْ طَرِيق الأَصْل وَالقَدِيم خَطَرَ فِي الخَاطِر أَنْ أُظْهِرَ نُبْذَةً مِنْ هَذه البَلِيَّة لخدْمَة عَتَبَته العَلِيَّة وَأَن أُفْرِغَ القَلبَ مِنَ الأَلم بهَذه الوَسِيلة وَلاَ أَدْرِي مِنْ أَيِّ طَائفَة أَنِيسُ المُدَوَّم زَادَهُ فِي مَجْلسه الشَّرِيف وَمِنْ أَيِّ فِرْقَة مُؤْنِسَة فِي مَحْفله المَنِيف. شعْرٌ.

مِنْ مُقْلتي طَارَ المَنَامُ تَفكُّرَا ... مَنْ كَانَ نُدَمَاؤُهُ وَضَجيعُهُ

وَالمَسْئُول مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْصمَ جَنَابَ قُدْسكُمْ عَنْ عُمُوم هَذه البَلوَى وَأَنْ يَحْفَظَ عَتَبَةَ شَرَفكُمْ عَنْ شُمُول هَذَا الابْتلاَء أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ قَدْ رَوَّجُوا المُحْدثَات وَالمُبْتَدَعَات فِي هَذه الطَّرِيقَة بحَيْثُ لَوْ قَال المُخَالفُونَ إنَّ فِي هَذه الطَّرِيقَة التزَامَ البِدْعَة وَالاجْتنَابَ عَنِ السُّنَّة لَسَاغَ لَهُمْ ذَلكَ فَإِنَّهُمْ يُصَلونَ صَلاَةَ التَّهَجُّد بجَمْعيَّة تَامَّة وَيُرَوِّجُونَ هَذه البِدْعَةَ وَيُزَيِّنُونَهَا فِي عُيُون العَامَّة بأَدَائهَا فِي المَسْجد مثْل سُنَّة التَّرَاوِيح وَيَزْعُمُونَ عَمَلهمْ ذَلكَ حَسَنًا وَيُرَغِّبُونَ النَّاسَ فيه وَالحَال أَنَّ الفُقَهَاءَ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهمْ قَالوا إنَّ أَدَاءَ النَّوَافل بالجَمَاعَة مَكْرُوهٌ أَشَدَّ الكَرَاهَة وَالذينَ اشْتَرَطُوا التداعيَ لكَرَاهَة الجَمَاعَة فِي النَّفْل منَ الفُقَهَاء قَيَّدُوا جَوَازَ الجَمَاعَة فيه بأَدَائه فِي نَاحيَة المَسْجد وَاتَّفقُوا عَلى كَرَاهته إذَا زَادَتْ الجَمَاعَةُ عَلى ثَلاَثَة أَنْفَار وَأَيْضًا إنَّ هَؤُلاَء يَزْعُمُونَ صَلاَةَ التَّهَجُّد بهَذَا الوَضْع ثَلاَثَةَ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَيُصَلونَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً قَائمينَ وَرَكْعَتَيْن قَاعدينَ زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّهُمَا فِي حُكْم رَكْعَة وَاحدَة آخذينَ ذَلكَ مِنْ قَوْلهمْ إنَّ ثَوَابَ القَاعد نصْفُ ثَوَاب القَائم وَهَذَا العلمُ وَالعَمَلُ أَيْضًا مُخَالفٌ للسُّنَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإِنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّمَا صَلى التَّهَجُّدَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مَعَ الوَتر وَالفَرْديَّةُ فِي التَّهَجُّد إنَّمَا جَاءَتْ مِنْ فَرْديَّة رَكَعَات الوَتْر لاَ كَمَا زَعَمَ هَؤُلاَء. شعْرٌ.

بَثَثْتُ لَدَيْكُمْ مِنْ هُمومِي وَخِفْتُ أَنْ ... تَمَلوا وَإِلاَّ فَالكَلاَمُ كَثِيرُ

وَالعَجَبُ مِنْ رَوَاجِ أَمْثَال هَذه البِدْعَات فِي بِلَاد مَنْ وَرَاءَ النَّهْر التِي هِيَ مَأْوَى عُلمَاءِ أَهْل الحَقِّ وَكَيْفَ شَاعَتْ فِيهَا أَمْثَال هَذه المُخْتَرَعَات وَالحَال إِنَّمَا نَسْتَفِيدُ العُلومَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ بَرَكَاتهِمْ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ للصَّوَاب ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَال آمِينَا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ عَبْد الصَّمَد السُّلطَان يُورَى
فِي جَوَاب سُؤَاله عَنْ قَوْل مَنْ قَال لشَيْخه: "لوْ دَخَلتَ بَيْني وَبَيْنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي وَقْت خَاصٍّ بي مَعَهُ تَعَالَى أَقْطَعُ رَأْسَكَ" وَاسْتَحْسَنَهُ الشَّيْخُ مِنْهُ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ السَّلامُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهرينَ أَجْمَعينَ وَصَل المَكْتُوبُ الشَّريفُ المُرْسَل عَلى وَجْه الكَرَم وَصَارَ مُوجبًا للفَرَح وَأَمَّا جَوَابُ الاسْتفْسَار فَاعْلمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ أَنَّ المَقْصدَ الأَقْصَى وَالمَطْلبَ الأَسْنَى هُوَ الوُصُول إلى جَنَاب قُدْس الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَلكنْ لَّما كَانَ الطَّالبُ في الابْتدَاء في غَايَة التَّدَنُّس وَالتَّنَزُّل بسَبَب تَعلقات شَتَّى وَجَنَاب قُدْسه تَعَالى في غَايَة الرِّفْعَة وَالتَّنَزُّه كَانَتْ المُنَاسَبَةُ التي هيَ سَببُ الإفَاضَة وَالاسْتفَاضَة مَسْلوبَةً بَيْنَ الطَّالب بالكُلِّيَّة فَلاَ جَرَمَ لمْ يَكُنْ بُدٌّ منْ شَيْخٍ عَالم بالطَّريق وَبَصير به وَقَابل للبرزخيَّة نَائل للحَظِّ الوَافر منَ الطَّرَفَيْن ليَكُونَ وَاسطَةً في وُصُول الطَّالب إلى المَطْلوب وَكُلَمَا يَحْصُل شَيْءٌ منَ المُنَاسَبَة بَيْنَ الطَّالب وَالمَطْلوب يَجُرُّ الشَّيْخُ نَفْسَه بهَذَا القَدْر منَ البَيْن بالتَّمَام فَإنَّهُ قَدْ أَوْصَل الطَّالبَ إلى المَطْلوب فَلمْ يَبْقَ الاحْتيَاجُ إلى التَّوَسُّط فَشَاهدَةُ المَطْلوب في الابْتدَاء وَالتَّوَسُّط منْ غَيْر وَسَاطَة الشَّيْخ غَيْرُ مُمْكنَة وَفي الانْتهَاء يَتَجلى جَمَال المَطْلوب بدُون وَسَاطَته وَيَحْصُل فيه الوَصْل العُرْيَانُ وَالذي يَقُول إنَّ الشَّيْخَ لوْ حَضَرَ في ذَلكَ الوَقْت أَحَزَّ رَأْسَهُ إنَّمَا يَقُول ذَلكَ منْ جُنُونه فَإنَّ مثْل هَذَا الكَلاَم لاَ يُظْهرُ منْ أَرْبَاب الاسْتقَامَة فَإنَّهُمْ لاَ يَسْلكُونَ طَريقَ إسَائة الأَدَب بَل يَطْلبُونَ المُرَادَاتِ منْ بَرَكَاتِ الشَّيْخ.

المَكْتُوبُ السَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ نُور
في بَيَانِ لزُومِ مُرَاعَاةِ حُقُوقِ الخَلقِ
وَمُوَاسَاتِهِمْ كَمُرَاعَاةِ حُقُوقِهِ تَعَالى

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى أَيُّهَا الأَخُ الأَرْشَدُ كَمَا أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ بُدَّ لهُ مِنَ امْتِثَالِ أَوَامِرِ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَناهيه كَذَلِكَ لاَ بُدَّ لهُ مِنْ مُرَاعَاةِ أَدَاءِ حُقُوقِ الخَلقِ وَمُوَاسَاتِهِمْ التَّعْظِيمَ لأَمْرِ اللهِ وَالشَّفَقَةَ عَلى خَلقِ اللهِ بَيَانٌ لأَدَاءِ هَذَيْنِ الحَقَّيْنِ وَدَالٌ عَلى لزُومِ مُرَاعَاةِ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَالاقْتِصَارُ عَلى أَحَدِهِمَا وَالاكْتِفَاءُ عَنِ الكُلِ بالجُزْءِ قُصُورٌ وَبَعِيدٌ عَنِ الاتِّصَافِ بالكَمَالِ فَكَانَ تَحَمُّلِ إِيذَاءِ الخَلقِ ضَرُورِيًّا وَحُسْنُ مُعَاشَرَتِهِمْ وَاجِبًا وَلاَ يُحْسِنُ عَدَمُ التَّفَكُّرِ وَلاَ يَلِيقُ عَدَمُ الالتِفَاتِ وَقِلةُ المُبَالاَةِ.

شِعْرٌ.

وَلاَ يَسْتَقِيمُ الغَنْجُ مِنْ كُلِ عَاشِقٍ وَلوْ أَنَّهُ مَحْبُوبُ كُلِ الخَلاَئِقِ

وَحَيْثُ تَشَرَّفْتُ بِصُحْبَةِ الفُقَرَاءِ مُدَّةً كَثِيرَةً وَسَمِعْتُ مِنَ المَوَاعِظِ وَالنَّصَائِحِ نُبْذَةً يَسِيرَةً أَعْرَضْنَا عَنْ إِطَالةِ الكَلاَمِ وَاقْتَصَرْنَا عَلى فِقْرَاتٍ يَسِيرَةٍ فِي إِفَادَةِ المَرَامِ ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ السَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ طَاهِرِ البدخشي
فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ اخْتِيَارِ الذُّلِّ وَالانْكِسَارِ وَأَدَاءِ وَظَائِفِ العُبُودِيَّةِ وَالمُحَافَظَةِ عَلى حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ السَّنِّيَّةِ وَخَشْيَةِ اللهِ تَعَالى وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ اعْلَمْ أَنَّ اللاَّزِمَ لأَمْثَالِنَا الفُقَرَاءِ اخْتِيَارُ الذُّلِّ وَالافْتِقَارِ وَالتَّضَرُّعِ وَالالتِجَاءِ إلى الحَقِّ وَالانْكِسَارِ دَائِمًا وَأَدَاءِ وَظَائِفِ العُبُودِيَّةِ وَالمُحَافَظَةِ عَلى حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِّيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَتَصْحِيحِ النِّيَّاتِ فِي تَحْصِيلِ الخَيِّرَاتِ وَتَخْلِيصِ البَوَاطِنِ وَتَسْلِيمِ الظَّوَاهِرِ وَرُؤْيَةِ العُيُوبِ وَمُشَاهَدَةِ اسْتِيلاَءِ الذُّنُوبِ وَالخَوْفِ مِنَ انْتِقَامِ عَلاَّمِ الغُيُوبِ وَاسْتِغْلاَلِ الحَسَنَاتِ وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً وَاسْتِكْثَارِ السَّيِّئَاتِ وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةً وَكَرَاهَةِ الشُّهْرَةِ وَقَبُولِ الخَلْقِ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ".

وَاتِّهَامِ النِّيَّاتِ وَالأَفْعَالِ وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً مِثْلِ فَلَقِ الصُّبْحِ وَعَدَمِ الاعْتِنَاءِ بِالأَحْوَالِ وَالمَوَاجِيدِ وَإِنْ كَانَتْ مُطَابِقَةً لِلوَاقِعِ وَعَدَمِ الاعْتِمَادِ عَلَيْهِ وَلاَ يَنْبَغِي أَيْضًا اسْتِحْسَانُ مُجَرَّدِ تَأْيِيدِ الدِّينِ وَتَقْوِيَةِ المِلَّةِ وَتَرْوِيجِ الشَّرِيعَةِ وَدَعْوَةِ الخَلْقِ إلى الحَقِّ - جَلَّ وَعَلاَ - فَإِنَّ هَذَا القِسْمَ مِنَ التَّأْيِيدِ قَدْ يَكُونُ أَحْيَانًا مِنَ الكُفَّارِ وَالفُجَّارِ وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ وَكُلَّمَا يَجِيءُ مُرِيدٌ لِطَلَبِ الطَّرِيقَةِ وَإِرَادَةِ الإِنَابَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُرَى فِي النَّظَرِ مِثْلِ النَّمِرِ وَالأَسَدِ وَأَنْ يَخَافَ مِنْ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَكِيدَةٌ وَاسْتِدْرَاجٌ فَإِنْ وُجِدَ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ قُدُومِ المُرِيدِ يَنْبَغِي أَنَّ يَعْتَقِدَهُ شِرْكًا وَكُفْرًا وَإِنْ يَتَدَارَكَهُ بِالنَّدَامَةِ وَالاسْتِغْفَارِ إلى أَنْ لاَ يَبْقَى أَثَرٌ مِنْ هَذَا السُّرُورِ بَلْ إلى أَنْ يَجِيءَ مَحَلَ السُّرُورِ وَالفَرَحِ الخَوْفُ وَالحُزْنُ وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنِبَ غَايَةَ الاجْتِنَابِ عَنْ ظُهُورِ الطَّمَعِ وَالتَّوَقُّعِ فِي مَالِ المُرِيدِ وَمَنَافِعِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَإِنَّهُ مَانِعٌ لِرُشْدِ المُرِيدِ وَبَاعِثٌ عَلى كَوْنِ الشَّيْخِ خَرَابًا فَإِنَّ المَطْلُوبَ هُنَاكَ

كُله الدِّينُ الخَالصُ أَلاَ للهِ الدِّينُ الخَالصُ لاَ مَجَال للشَّركَة في جَنَاب الحَضْرَة الإلهيَّة بوَجْه منَ الوُجُوه وَاعْلَمْ أَنَّ كُل ظُلمَة وَكُدُورَة تَطرأُ عَلى القَلب فَإزَالتُهَا تَتَيَسَّرُ بالتَّوْبَة وَالاسْتغْفَار وَالنَّدَامَة وَالالتجَاء إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بأَسْهَل الوُجُوه إلاَّ ظُلمَةً طَرَأَتْ عَلى القَلب منْ طَريق مَحَبَّة الدُّنْيَا الدَّنيَّة فَإنَّهَا تَجْعَل القَلبَ خَرَابًا وَإزَالتُهَا في غَايَة التَّعَسُّر بَل في نهَايَة التَّعَذُّر صَدَقَ رَسُول الله ﷺ حَيْثُ قَال "حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُل خَطيئَة" نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ منْ مَحَبَّة الدُّنْيَا وَمَحَبَّة أَبْنَائهَا وَأَرْبَابهَا وَالاخْتلاَط بهمْ وَالمُصَاحَبَة مَعَهَا فَإنَّهَا سُمٌّ قَاتل وَمَرَضٌ مُهْلكٌ وَبَلاَءٌ عَظيمٌ وَدَاءٌ عَميمٌ وأَخُونا الأَرْشَدُ الشَّيْخُ حُمَيْدٌ مُتَرَدِّدٌ في تلكَ الحُدُود بأَحْسَنِ الوُجُوه فَيَنْبَغي اغْتنَامُ اسْتمَاع الكَلمَات الجَديدَة الطَّريَّة منْهُ والبَاقي عنْدَ التلاقي.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخ بَدِيعِ الدِّينِ
فِي بَيَانِ بَعْضِ الأَسْرَارِ الخَاصَّةِ بِهِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلاَةِ لِيَكُنْ مَعْلومًا للأَخِ الأَعَزِّ أَنَّ للشَّرِيعَةِ صُورَةً وَحَقِيقَةً فَصُورَتُهَا مَا تَكَفَّلَ بَيَانَهَا عُلَمَاءُ الظَّاهِرِ وَحَقِيقَتُهَا مَا امْتَازَ بِهَا الصُّوفِيَّةُ العَلِيَّةُ وَنِهَايَةُ عُرُوجِ صُورَةِ الشَّرِيعَةِ إلى نِهَايَةِ سلسلة المُمْكِنَاتِ فَإِنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَرَاتِبِ الوُجُوبِ تَكُونُ الصُّورَةُ مُمْتَزِجَةً بالحَقِيقَةِ وَمُعَامَلَةُ هَذَا الامْتِزَاجِ إلى العُرُوجِ عَلَى شَأْنِ العلمِ الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ سَيِّدِ البَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَإِنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلِكَ يُودَعُ فيه الصُّورَةُ وَالحَقِيقَةُ كِلتَاهُمَا وَتَقَعُ مُعَامَلَةُ العَارِفِ فِي شَأْنِ الحَيَاةِ وَلاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ هَذَا الشَّأْنِ العَظِيمِ الشَّأْنِ وَبَيْنَ العلمِ أَصْلاً بَلْ هُوَ مِنَ الشُّئُونَاتِ الحَقِيقِيَّةِ التي لَمْ تَمَسَّهُ يَدُ الإِضَافَةِ أَصْلاً حَتَّى يَحْصُلَ لهُ تَعَلُّقٌ بالعَالَمِ وَهَذَا الشَّأْنُ هُوَ دِهْلِيزُ المَقْصُودِ، وَمُقَدِّمَةُ المَطْلُوبِ، وَيَجِدُ العَارِفُ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ خَارِجًا مِنْ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحْفُوظًا بِعِنَايَةِ اللهِ لاَ يَفُوتُ دَقِيقَةً مِنْ دَقَائِقِ الرَّيْعَةِ وَالذِينَ تَشَرَّفُوا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ العُظْمَى أَقَلَّ قَلِيلٍ فَإِنْ بُيِّنَ عَدَدُهُمْ فَلَعَلَّهُ لاَ يَقْبَلُهُ إِلاَّ أَقَلُّ قَلِيلٍ وَلَمَّا وَصَلَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ إلى ظِلِّ هَذَا المَقَامِ فَإِنَّ لكُلِّ مَقَامٍ عَالٍ ظِلاً تَحْتَهُ زَعَمُوا أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ وَتَرَقَّوْا مِنَ القِشْرِ وَوَصَلُوا إلى اللبِّ وَهَذَا المَقَامُ بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ مِنْ مَزَالِّ الأَقْدَامِ حَتَّى إِنَّ طَائِفَةً مِنْ نَاقِصِي سالكي هَذَا الطَّرِيقِ صَارُوا زَنَادِقَةً وَمَلاَحِدَةً وَأَخْرَجُوا رُءوسَهم مِنْ رِبْقَةِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ ضَلُّوا فَأَضَلُّوا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الكَمَلَةِ الذينَ تَشَرَّفُوا بِدَرَجَةِ مِنَ الوِلاَيَةِ وَحَصَّلُوا هَذِهِ المَعْرِفَةَ فِي ظِلِّ مِنْ ظِلاَلِ هَذَا المَقَامِ العَالِي وَإِنْ لَمْ يَصِلُوا إلى أَصْلِ هَذَا المَقَامِ وَلَكِنَّهُمْ محفوظُونَ لاَ يُجَوِّزُونَ تَرْكَ أَدَبٍ مِنْ آدَابِ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا سِرَّ هَذِهِ المَعْرِفَةِ وَلَمْ يَفْهَمُوا حَقِيقَةَ المُعَامَلَةِ وَلَمَّا انْكَشَفَ سِرُّ هَذَا المَعْنَى لِهَذَا الفَقِيرِ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِرُكَةِ حَبِيبِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَاتَّضَحَتْ حَقِيقَةُ الحَالِ كَمَا يَنْبَغِي أَرَدْتُ أَنْ أُورِدَ نُبْذَةً مِنْهَا فِي مَعْرِضِ البَيَانِ لَعَلَّهَا تُرْشِدُ الناقصينَ إلى سَوَاءِ الطَّرِيقِ وَتَكْشِفُ للكَامِلِينَ عَنْ وَجْهِ حَقِيقَةِ المُعَامَلَةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ

التَّكْلِيفَاتِ الشَّرْعِيَّةَ مَخْصُوصَةٌ بِالقَالَبِ وَالقَلبِ فَإِنَّ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ مُتَفَرِّعَةٌ عَلَيْهِ وَالذِي يَضَعُ القَدَمَ مِنَ اللطَائِفِ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ هُوَ مَا هُوَ مَا سِوَى هَذِهِ اللطَائِفِ المَذْكُورَةِ يَعْنِي القَالَبَ وَالقَلبَ فَالذِي هُوَ مُكَلَّفٌ بِالشَّرِيعَةِ مُكَلَّفٌ بِهَا دَائِمًا وَمَا هُوَ غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِهَا مُكَلَّفٌ بِهَا أَصلاً غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ اللطَائِفَ كَانَتْ قَبْلَ السُّلوكِ بَعْضُهَا مُمْتَزِجًا بِبَعْضٍ وَلَمْ تَكُنْ مُمْتَازَةً عَنِ القَلبِ وَلَمَّا مَيَّزَ السِّرَّ وَالسُّلوكَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ وَأَوْصَلَ كُلاًّ مِنْهَا إِلى مَقَرِّهِ الأَصلِيِّ تَبَيَّنَ أَنَّ أَيًّا مِنْهَا كَانَ مُكَلَّفًا وَأَيًّا مِنْهَا لَمْ يَكُنْ مُكَلَّفًا.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ العَارِفَ قَدْ يَجِدُ فِي ذَلكَ المَقَامِ قَالبَهُ وَقَلبَهُ أَيْضًا فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ فَمَا وَجْهُ ذَلكَ ؟

أُجِيبُ أَنَّ هَذَا الوِجْدَانَ لَيْسَ بِتحقِيقِيٍّ بَل تَخَيُّلِيٌّ وَمَنْشَأُ التَّخَيُّلِ هُوَ انْصِبَاغ القَلبِ وَالقَالبِ بِلوْنِ أَلطَفِ اللطَائِفِ التِي وَضَعَتْ الأَقْدَامَ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الشَّرِيعَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ صُورَةَ التَّكْلِيفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَإِنْ كَانَتْ مَخْصُوصَةً بِالقَلبِ وَالقَالبِ وَلَكِنْ لِحَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ مَجَالٌ فِيمَا وَرَاءَ القَلبِ أَيْضًا فَمَا مَعْنَى وَضْعِ القَدَمِ فِي خَارِجِ مُطْلَقِ الشَّرِيعَةِ ؟

أُجِيبُ أَنَّ حَقِيقَةَ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ كَانَ لَهَا مَجَالٌ فِيمَا وَرَاءَ القَلبِ وَلَكِنَّهَا لاَ تَتَجَاوَزُ وَلاَ تَتَعَدَّى الرُّوحَ وَالسِّرَّ وَلاَ تَصِلُ إِلى الخَفَى وَالأَخْفَى وَالذِي يَضَعُ الأَقْدَامَ فِي الخَارِجِ هُوَ الخَفَى وَالأَخْفَى فِي الحَقِيقَةِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَجَمِيعَ المُسْلِمِينَ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ – عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ – أَتَمُّهَا وَأَكْمَلُهَا.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى المير مُحَمَّد نُعْمَانَ
في جَوَاب سُؤَال سَألهُ
مَعَ بَيَانِ أَسْرَارٍ غَرِيبَةٍ مُتَعلقَةٍ بِالنَّفْي وَالإِثْبَاتِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلاَة ليَكُنْ مَعْلومُ جَنَاب السَّيِّد أَنَّك قَدْ سُئلتَ أَنَّهُ لَّما كَانَ نَفْيُ كُل مَا يَكُونُ مَحْسُوسًا بالبَصَر أَنَّ مُدْرِكًا بالخَيَال بكَلمَة لاَ ضَرُورِيَّةَ لكَوْن المَطْلوب المُثْبَت وَرَاءَ الحسِّ وَالخَيَال يَلزَمُ عَلى هَذَا أَنْ يَكُونَ مَشْهُودَ مُحَمَّدٌ رَسُول الله ﷺ مُسْتَحقًّا للنَّفْي وَيَكُونُ المَطْلوبُ المُثْبَتُ وَرَاءَ ذَلكَ المَشْهُود أَيُّهَا الأَخُ إنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ مَعَ كَمَال عُلوِّ شَأْنه كَانَ بَشَرًا وَمُتَّسمًا بسمَة الحُدُوث وَالإِمْكَان فَمَاذَا يُدْرِكُ البَشَرُ منْ خَالق البَشَر وَمَاذَا يَنَال المُمْكنُ الأَحْقَرُ منَ الوَاجب الأَكْبَر أَمْ كَيْفَ يُحيطُ الحَادثُ بالقَديم الوَارث جَلت عَظَمَتُه لاَ يُحيطُونَ به علمًا نَصٌّ قَاطعٌ في ذَلكَ قَال الشَّيْخُ فَريدُ الدِّين العَطَّارُ.

أَلاَ تَرَى سَيِّدَ الكونَيْن مَا بَلغَا لكنَّهُ فَقْرٌ فَدَعْ عَنْ نَفْسك التَّعَبا

أَيُّهَا الأَخُ الأَعَزُّ إنَّ هَذَا المَقَامَ يَسْتَدْعي تَفْصيلاً يَنْبَغي اسْتمَاعُهُ بأُذُن القَلب اعْلمْ أَنَّ للكَلمَة الطَّيِّبَة لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ مَقَامَيْن أَعَني بهمَا النَّفْيَ وَالإِثْبَاتَ وَلكُل منَ النَّفْي وَالإِثْبَات اعْتبَارٌ.

إنَّ الاعْتبَارَ الأَوَّل نَفْيُ اسْتحْقَاق عبَادَة الإلهة البَاطلة وَإِثْبَاتُ اسْتحْقَاق العبَادَة للمَعْبُود بالحَقِّ وَالاعْتبَارُ الثَّاني أَنْ يَكُونَ النَّفْيُ مُتَعَلقًا بمَقْصُودَات غَيْر مَقْصُودَة وَمُتَعلقَات غَيْر مَطْلوبَة وَأَنْ لاَ يَكُونَ مُتَعلقُ الإِثْبَات غَيْرُ المَطْلوب الحَقيقيِّ وَوَرَاءَ المَقْصُود الأَصليِّ وَالكَمَال في الاعْتبَار الأَوَّل في الابْتدَاء هُوَ أَنْ يَكُونَ كُلمَا هُوَ مَعْلومٌ وَمَشْهُودٌ دَاخلاً تَحْتَ كَلمَة لاَ وَمَنْفيًّا بهَا وَأَنْ لاَ يَكُونَ شَيْءٌ مَا مَلحُوظًا في جَانب الإِثْبَات غَيْرَ التَّكَلم بالمُسْتَثْنَى يَعْني لفْظَةَ الجَلالة وَبَعْدَ مُرُور أَزْمَان تَحْصُل الحدَّةُ لبَصَر البَصيرَة وَيَكْتَحل بكُحْل غُبَار طَريق المَطْلوب فَحينَئذ يَكُونُ المُسْتَثْنَى أَيْضًا مَشْهُودًا مثْلَ المُسْتَثْنَى منْهُ وَمَعَ ذَلكَ يَجدُ السَّالكُ نَفْسَهُ مُتَعَلقًا بمَا وَرَاءَ ذَلكَ المَشْهُود وَيَطْلبُ المَطْلوبَ منْ خَارجه وَوَجْهُ ذَلكَ أَنَّ كُلمَا كَانَ

دَاخِلاً تَحْتَ كَلِمَة لاَ فِي ابْتِدَاءِ هَذَا الكَمَال كَانَ بِتَمَامه مِنْ دَائِرَة المُمْكِنَات لَمْ يَكُنْ لهُ اسْتِحْقَاقُ العِبَادَة أَصْلاً وَصَارَ مُتَمَيِّزًا مِنَ المَعْبُود المُسْتَحِقِّ للعِبَادَة المُثْبَت بِكَلِمَة إِلاَّ ببركة هذه الكَلِمَة الطَّيِّبَة وَلكنَّ السَّالكَ بِسَبَب ضَعْف بَصِيرَته لَمْ يَرَ مَرْتَبَةَ الوُجُوب المُسْتَحِقِّ العِبَادَة المُثْبَتَة بِكَلِمَة إِلاَّ وَلَمْ يَكُن لهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلكَ المَقَام غَيْرَ التَّكَلم بِكَلِمَة المُسْتَثْنَاة وَلَمَّا حَصَلَتْ القُوَّةُ للبَصِيرَة صَارَ المُسْتَثْنَى أَيْضًا مَشْهُودًا مِثْل المُسْتَثْنَى مِنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ مَرْتَبَةُ الوُجُوب جَامِعَةً للأَسْمَاء وَالصِّفَات الإِلهِيَّة - جَل سُلطَانُهُ - وَمُتَعَلقُ همَّة السَّالك هُوَ الأُحَدِيَّةُ المُجَرَّدَةُ بَقِيَ اسْتِحْقَاقُ العِبَادَة أَيْضًا فِي ذَلكَ المَوْطِن مِثْل عَدَم الاسْتِحْقَاق فِي الطَّرِيق فَلاَ جَرَمَ يَطْلُبُ السَّالكُ مَقْصُودَهُ فِيمَا وَرَاءَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَيَتَحَاشَى عَنِ التَّعَلق بِمَا سِوَاهُ.

إِذَا سَكَنَ الفُؤَادُ إِلى حَبِيب ... فَهَل يُبْغَى مِنَ الغَيْرِ الوِصَالاَ
وَضَعَ عِنْدَ البَلاَبِل أَلْفَ نَبْت ... سِوَى أَزْهَارِ وَرْد قُلنَ لاَ لاَ
وَذَا نِيلُوا فَرَّ عُشَّاقُ شَمْس ... فَهَل يُرْضِيه رؤيتُه الهِلاَلاَ
وَهَل يُجْدِي شَرَابُ سُكْرِي ... لظمآنَ بَغَى مَاءً زُلاَلاً

وَالكَمَال فِي الاعْتِبَار الثَّانِي الذي فيه المَقْصُودُ نَفْيُ المَقْصُودَات الغَيْر المَقْصُودَة هُوَ أَنْ يَكُونَ شُهُودُ مَرْتَبَة الوُجُوب أَيْضًا دَاخِلاً تَحْتَ كَلِمَة لاَ مِثْل شُهُود مَرَاتِب الإِمْكَان وَأَنْ لاَ يَكُونَ شَيْءٌ مَا مَلحُوظًا فِي جَانِب الإِثْبَات غَيْرَ التَّفَوُّه بِالكَلِمَة المُسْتَثْنَاة.

وَمَا أُبدِيكَ مِنْ طَيْرِي عَلاَمَهْ ... وَقَدْ أَضْحَى كعنقاءَ وَهَامَهْ
وللعنقاءِ بَيْنَ النَّاسِ اسْم ... وَلَمْ يَكْ لاسْمِ طَيْرِي اسْتِدَامَهْ

وَالحَقُّ أَنَّ الفِطْرَةَ العُلْيَا وَالهِمَّةَ القُصْوَى تَطْلُبُ مَطْلَبًا لاَ يَحْصُل مِنْهُ شَيْءٌ بَل يَصِل غُبَارُ الإِدْرَاكِ إِلى ذَيْله أَصْلاً وَالرُّؤْيَةُ الأُخْرَوِيَّةُ حَقٌّ وَلكنَّ تَصَوُّرَهَا وَتَمَنِّيَهَا يُزْعِجُنَا عَنْ مَحَل القَرَار وَمَرْكَز الاصْطِبَار وَالنَّاسُ مَسرورُونَ وَمَحْظُوظُونَ بِوَعْد الرُّؤْيَة الأُخْرَوِيَّة وَلَيْسَ تَعلقي وَتَعشُّقي إِلاَّ بِغَيْب الغَيْب وَأُرِيدُ بِجَمِيع الهِمَّة أَنْ لاَ يَخْرُجَ شَيْءٌ مِنَ المَطْلوب مِنَ الغَيْب إِلى الشَّهَادَة وَأَنْ لاَ تُبَدَّل المُرَاسَلَةُ بِالوَاصِلة وَأَنْ لاَ يَحْمِل حُمُول الأَمْر مِنَ العِلم إِلى العَيْن مَاذَا نَصْنَعُ قَدْ جُبِلتْ عَلى ذَلكَ، (ع):

لِكُل مِنَ الإِنْسَان شَأْنٌ يَخُصُّهُ

وَإِنْ كَانَ لِي فِي هَذَا المَقَام أَنْوَاعٌ مِنَ الجُنُون وَلكِنْ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُحَرِّكَ

شَفَتَيَّ مِنَ الأَدَبِ (ع):

جُنوني مِنْ حَبيبٍ ذي فُنونٍ

عُمْري مَشَى وَحَديثُ وَجْدي مَا انْقَضَى وَاللَّيْل قَدْ بَلغَ المَدَى فَاقْنَعْ بِذَا

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَل التسليمات.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ أَشْرَفَ الكابلي
فِي بَيَان أَنَّ وَالِهي هَذَا الطَّرِيق لاَ يَتَسَلوْنَ بِهَذه المَعيَّة
وَلاَ يَطْمَئِنُّونَ بِهَذَا البُعْد المُشَابه بالقُرْب
بَل يَطْلُبُونَ قُرْبًا يُشْبِهُ البُعْدَ
وَوَصْلاً يُشْبِهُ الهَجْرَ
وَبَيَان وَاقِعَتِه التِي رَآهَا إلخ.

قَدْ وَصَل مَكْتُوبُ أَخينَا الأَعَزِّ وَحَيْثُ كَانَ مُنْبِئًا عَنْ مَحَبَّة الفُقَرَاء وَالالتجَاء إلى هَذه الطَّائفَة صَارَ مُوجبًا للفَرَح المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ نَقْدُ الوَقْت وَمِصْدَاقُ الحَال وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ وَالهي هَذَا الطَّرِيق لاَ يَتَسَلوْنَ بِهَذه المَعيَّة وَلاَ يَطْمَئِنُّونَ بِهَذَا البُعْد المُشَابه بالقُرْب بَل يَطْلُبُونَ قُرْبًا يُشْبِهُ البُعْدَ وَوَصْلاً يُشْبِهُ الهَجْرَ لاَ يُجَوِّزُونَ التَّسْوِيفَ وَالتَّأْخِيرَ وَيَجْتَنِبُونَ التَّعْطِيل وَالتَّأْجِيل وَلاَ يَصْرِفُونَ نَقْدَ وَقْتهمْ إلى مُزخرفات بَاطلة وَلاَ يُتْلِفُونَ رَأْسَ مَال عُمْرِهمْ فِي مُمَوِّهَات عَاطلة وَلاَ يَكْتَفُونَ مِنَ الشَّرِيفِ بالخَسِيس وَلاَ يَلتَفِتُونَ إلى المَغْضُوب عَلَيْه تَارِكِينَ للمَرَض النَّفِيس وَلاَ يَبِيعُونَ أَنْفُسَهمْ بلقَيْمَات سَمِينَة لذيذَة وَلاَ يُبَدِّلُونَ حَظَّ العُبُودِيَّة بأَلبِسَة رَقِيقَة مُزَيَّنَة وَيَرَوْنَ تَلوِيثَ تَخْت السَّلطَنَة بقَاذُورَات التَّعَلقات عَارًا وَيَتَحَاشَوْنَ مِنْ إشْرَاك اللاَّت وَالعُزَّى فِي مُلك الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَيَعُدُّونَهُ شَنَارًا أَيُّهَا الأَخُ إنَّ المَطْلوبَ كُله هُنَا هُوَ الدِّينُ الخَالصُ أَلاَ للهِ الدِّينُ الخَالصُ لاَ يُجَوِّزُونَ فيه ذَرَّةً مِنَ الشَّرِكَة لئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلك فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَأَمَّل سَاعَةً فِي أَحْوَالك فَإِنْ تَيَسَّرَ هَذَا الدِّينُ الخَالصُ فَبشيءٍ لك وَإِلاَّ فَيَنْبَغِي تَفَكُّرُ علاَجِ الوَاقِعَة وَتَدْبِيرِهَا قَبْل وُقُوعِهَا وَالوَاقِعَةُ التِي كَتَبْتَهَا هِيَ مِنْ ظُهُور الشَّيْطَان وَتَصَرُّفه بالبَاطل وَهَذَا القِسْمُ مِنْ ظُهُوره وَتَصَرُّفه كَثِيرُ الوُقُوع بَيْنَ الطَّالبِينَ وَلاَ بَأْسَ فيه إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَان كَانَ ضَعِيفًا فَإِنْ ظَهَرَ ثَانِيًا يَنْبَغِي دَفْعُ ذَلكَ المُفْسِد بتَكْرَار كَلمَة التَّمْدِيد لاَ حَوْل وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التسليمات.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الحَافِظ مَحْمُود
في بَيَان تلوينات الأَحْوَال
وَحُصُول التَّمْكِين وَمَعْنَى لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ مِنَ الأَخِ العَزِيزِ وَقَدْ انْدَرَجَ فِيهِ نُبْذَةٌ مِنْ تلويناتِ أَحْوَالِه.

اعْلَمْ أَنَّ السَّالِكَ لاَ بُدَّ لهُ مِنْ تلوينات الأَحْوَال لاَ فِي البِدَايَة وَلاَ فِي النِّهَايَة غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ التَّلوينَ إِذَا كَانَ فِي القَلب فَالسَّالِكُ مِنْ أَرْبَاب القُلوب وَمُسَمًّى بِابْنِ الوَقْت وَذَا تَخلصُ القَلب مِنَ التَّلوين وَخَرَجَ مِنْ رِقِّيِّ أَحْوَاله إِلى الحُرِّيَّة وَوَصَل إِلى مَقَام التَّمْكين فَحينَئذ يَكُونُ وُرُودُ الأَحْوَال المُتَلوِّنَة عَلى النَّفْسِ التي جَلسَتْ مَقَامَ القَلب خلاَل عَنْهُ وَهَذَا التَّلوينُ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ حُصُول التَّمْكين.

فَإِنْ قيل لصَاحب هَذَا التَلوين: أَبَا الوَقْت، لجَازَ فَإِنْ تَخلصَتْ النَّفْسُ أَيْضًا مِنْ هَذه التلوينات بمَحْض فَضْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَوَصَلتْ إِلى مَقَام التَّمْكين وَالاطْمئْنَان فَحينَئذ يَكُونُ وُرُودُ التلوينات عَلى القَالب الذي تَرَكَّبَ مِنْ أَجْزَاء مُخْتَلفَة وَهَذَا التَّلوينُ يَعْني تَلوينَ القَالب دَائمِيٌّ فَإِنَّ التَّمْكينَ لاَ يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّ القَالب وَإِنْ كَانَ مُنْصَبغًا بلوْن أَلطَف اللطَائف فَإِنَّ التَّمْكينَ الوَارِدَ مِنْ طَرِيق هَذَا الانْصبَاغ بطَرِيق التَّبعيَّة وَوُرُود الأَحْوَال المُتَلوِّنَة بطَرِيق الأَصَالة وَالعبْرَةُ بالأَصْل لاَ بالتَّبع وَصَاحبُ هَذَا المَقَام مِنْ أَخَصِّ الخَوَاصِّ وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَبَا الوَقْت فِي الحَقيقَة وَمَعْنَى حَديث لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ الذي رُوِيَ عَنِ النَّبيِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَأَرَادَ جَمَاعَةٌ مِنَ الوَقْت المُسْتَمرِّ وَطَائفَةُ الوَقْت النَّادر يَكُونُ رَاجعًا إِلى هَذَا البَيَان فَإِنَّهُ بالنِّسْبَة إِلى بَعْض اللطَائف مُسْتَمرٌّ وَبالنِّسْبَة إِلى بَعْض آخَرَ نَادرٌ فَلاَ خلاَفَ وَبالجُمْلَة يَنْبَغِي تَحْلِيَةُ الظَّاهِر بالشَّرِيعَة الغَرَّاء وَالمُدَاوَمَة عَلى تَكْرَار ذِكْر القَلب فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء.

فَى ذَلكَ البَحْرِ العَميقِ كَضُفْدَعٍ كُنْ طَالبًا مَا تَبْتَغِي مِنْ ذَا وَذَا

وَأَخُونَا مَوْلاَنَا مُحَمَّد صِدِّيقٍ فِي آكَرَه فَلتَغْتَنِمْ مُلاَقَاته.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مُحَمَّد صدِّيق
فِي بَيَانِ أَنَّ حِفْظَ الأَوْقَاتِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ هَذَا الطَّرِيقِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ منْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ اشْتِغَاله بِمَا يَعْنِيه وَإِعْرَاضَه عَمَّا لاَ يَعْنِيه فَلاَ بُدَّ إِذًا منْ حِفْظِ الأَوْقَاتِ لئلاَّ تَتْلفَ فِي أُمُورٍ لاَ طَائِلَ فِيهَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ إِنْشَادَ الشِّعْرِ وَحِكَايَةَ القِصَصِ نَصِيبُ الأَعْدَاءِ وَأَنَّ تَشْتَغِلَ بِالسُّكُوتِ وَحِفْظِ نِسْبَةِ البَاطِنِ وَاجْتِمَاعُ الأَصْحَابِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ إِنَّمَا هُوَ لِجَمْعِيَّةِ البَاطِنِ لاَ لِتَشْتِيتِ الخَاطِرِ وَلِهَذَا اخْتَارُوا الخَلْطَةَ عَلَى الخَلْوَةِ وَطَلَبُوا الجَمْعِيَّةَ مِنَ الاجْتِمَاعِ وَمَتَى كَانَ الاجْتِمَاعُ سَبَبًا لِلتَّفْرِقَةِ يَلْزَمُ التحاشي مِنْهُ وَالتَّبَاعُدُ عَنْهُ وَكُلِّ شَيْءٍ يَجْتَمِعُ مَعَ الاجْتِمَاعِ فَهُوَ مُبَارَكٌ وَإِلاَّ فمشؤمٌ وَغَيْرُ مُبَارَكٍ وَيَنْبَغِي للسَّالِكِ أَنْ يَعِيشَ عَلَى وَجْهٍ تَحْصُلُ الجَمْعِيَّةُ للطَّالِبِينَ فِي صُحْبَتِه لاَ أَنَّهُ يُلقِيهِمْ وَيَرْمِيهِمْ إِلَى التَّفْرِقَةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْلِبَ أَيْضًا أَوْرَاقَ نَفْسِه وَأَنْ يُبَدِّلَ الكَلاَمَ بِالسُّكُوتِ الوَقْتُ لَيْسَ وَقْتَ المَشَاعِرِ وَلاَ حِينَ المُحَاوَرَةِ، (ع):

وَمَا الوَقْتُ وَقْتَ الدَّرْسِ أَوْ كَشْفِ كَشَّافِ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى جَمَال الدِّين حُسَيْن البدخشي
فِي التَّحْرِيضِ عَلى تَصْحِيحِ العَقَائد بمُقْتَضَى آرَاءِ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الصَّائِبَةِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ

لِيَغْتَنِمْ الخواجهْ جَمَال الدِّين حُسَيْنٌ عُنْفُوَانَ الشَّبَاب وَلِيَصْرِفَهُ فِي مَرْضِيَّات الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَهْمَا أَمْكَنَ يَعْنِي يُلزِمُ نَفْسَه أَوَّلاً تَصْحِيحَ العَقَائد بمُقْتَضَى آرَاءِ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة الصَّائِبَة شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَثَانيًا العَمَل بمُوجب الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة الفقْهِيَّة وَثَالثًا سُلوكُ الطَّرِيقَة العَلِيَّة وَالمَنْسُوبَة إِلَى الصُّوفِيَّة الصَّافِيَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَمَنْ وُفِّقَ لهَذَا فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَمَنْ تَخَلفَ عَنْ هَذَا فَقَدَ خَسرَ خُسْرَانًا مُبِينًا وَلْيُعدَّ خدْمَةَ أَوْلاَد الخواجهْ مُحَمَّد صَالِح منَ السَّعَادَة العُظْمَى فَإِنَّ هَذه الخدْمَةَ إِمْدَادٌ وَإِعَانَةٌ للخواجهْ المُشَار إِلَيْه فِي الحَقِيقَة الذي هُوَ منَ المَقْبُولينَ، (ع):

أَبْرَزْتُ مِنْ كَنْزِ المَرَامِ عَلاَمَةً

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوب الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَةُ
إِلَى المَرْزَا مُظَفَّرٍ
فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ إِلَيْه
وَتَرْغِيبِهِ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ

عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ وَيَسَّرَ أَمْرَكُمْ وَشَرَحَ صَدْرَكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا الحَاجَةُ إِلَى دَلَالَة المُتَخَلِّقِينَ بِالأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّة - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَلَى الإِحْسَانِ وَحُسْنِ المُعَاشَرَة بَلْ يَكَادُ تَكُونُ تِلْكَ الدَّلَالَةُ دَاخِلَةً فِي سُوءِ الأَدَبِ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَتَشَبَّثُ وَقْتَ الاحْتِيَاجِ بِكُلِّ حَقِيرٍ وَنَقِيرٍ وَيَطْلُبُ تَسْلِيَةً مِنْ كُلِّ ضَعِيف وَنَحِيف فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ تُرْتَكَبُ التَّصْدِيعَ لِتَسْلِيَة أَرْبَاب المَسْأَلَة أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ إِنَّ الإِحْسَانَ مَحْمُودٌ فِي كُلِّ مَحَلٍّ خُصُوصًا إِلَى جَمَاعَة لَهُمْ قُرْبُ الجِوَارِ فَقَدْ بَالَغَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَدَاءِ حُقُوق الجِوَارِ عَلَى وَجْهٍ ظَنَّ الأَصْحَابُ الكِرَامُ مِنْ تِلْكَ المُبَالَغَة أَنَّهُ سَيُورِّثُ الجِيرَانَ المثنوى.

ون نين بايكد يكر همسايه ايم تو و خورشيدى وما ون سايه ايم
ه بدى أي مايهء بى ماي كان كرنكه دارى حق همسايه كَانَ

وَالسَّلَام.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَةُ
إِلى المَيْرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ المَيْرِ نُعْمَانَ
فِي النَّصِيحَةِ

لِيَغْتَنِمْ الوَلَدُ الأَعَزُّ لاَ زَال مُوَفَّقًا كَاسْمه مَوْسِمَ الشَّبَابِ وَلْيَشْتَغِل بِتَحْصِيل العُلومِ الشَّرْعِيَّة وَالعَمَل بِمُقْتَضَاهَا وَلْيَهْتَمَّ فِي أَنْ لاَ يَصْرِفَ هَذَا العُمْرَ العَزِيزَ فِيمَا لاَ يَعْنِي وَأَنْ لاَ يُتْلِفَهُ بِاللهْوِ وَاللعب وَوَالِدُكُمْ المُكَرَّمُ يَلحَقُكُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَكُنْ مُسْتَخْبِرًا عَنْ أَحْوَال المُتَعلقَات إِلى أَنْ يَصل إِلَيْكُمْ، (ع):

وَمَنْ يُشَابِهُ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ

المَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ وَالمائَةُ
إلى الخواجهْ أَبي القَاسم بْنِ الخواجكى الأمكنكى
فِي الاِسْتِفْسَارِ عَنْ أَسَامِي بَعْضِ مشائخه
الذِي وَقَعَ فِيهِ التَّرَدُّدُ

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ إنَّ الذي بَلغَنَا منْ حَضْرَة شَيْخنَا أَعنَي الخواجهْ مُحَمَّد البَاقِي عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فِي تَحْقِيقِ أَسَامِي المَشَايخِ هُوَ أَنَّ مَا بَيْنَ مَوْلاَنَا الخواجكى الأمكنكى وَبَيْنَ حَضْرَة الخواجهْ أَحْرَار اثْنَان أَحَدُهمَا حَضْرَةُ مَوْلاَنَا أَعنَي مَوْلاَنَا دَرْوِيشَ مُحَمَّد وَالثَّاني مَوْلاَنَا مُحَمَّدَ زَاهد خَال مَوْلاَنَا دَرْوِيشَ مُحَمَّد وَقَدْ قَدَّمَ هَذه الحُدُودَ فِي هَذه الأَوَان مَوْلاَنَا الخواجهْ خاوند مَحْمُود وَجَرَى الكَلاَمُ فِي أَوَّل المُلاَقَاة فِي مَوْلاَنَا المَذْكُور وَقَال إنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَجَازًا منْ أَحَد وَلهَذَا مَا كَانَ يَأْخُذُ المُرِيدَ فِي الأَوَائل ثُمَّ شَرَعَ فِي التَّكَلم فِي أَوَاخر عُمْرِه فَقُلنَا لهُ إنَّهُ كَانَ منْ كُبَرَاء زَمَانه وَسَلمْ جَميعَ سُكَّان مَا وَرَاءَ النَّهْر لفَضْلة وَكَمَاله وَعُلوِّ شَأْنه وَحَاله وَلاَ يَجُوزُ العَقْلَ أَنَّهُ يَأْخُذُ المُرِيدَ منْ غَيْر إجَازَة سَوَاءً كَانَ فِي أَوَائل عُمْرِه أو آخره فَإنَّ مثْل هَذَا دَاخل فِي الخيَانَة بَعيدٌ عَنِ الدِّيَانَة لاَ يُظَنُّ صُدُورَ ذَلكَ منْ أَدْنَى مُسْلم فَكَيْفَ منْ أَكَابِر الدِّين فَقَال الخواجهْ خاوند مَحْمُود بَعْدَ ذَلكَ: جَاءَ مَوْلاَنَا مَرَّةً عنْد الخواجهْ كلان الدهبيدى وَكَانَ هُوَ يَأْكُل الخربزَةَ فَأَظْهَرَ مَوْلاَنَا طَلبَ الطَّرِيقَة فَقَال لهُ الخواجهْ كلان إنْ خريزتَك قَدْ تَمَّ أَمْرُهَا وَكَمُل نُضْجُهَا فَقَال مَوْلاَنَا أَنْتَ تَشْهَدُ أَنَّ خربزتي قَدْ كَمُلتْ فَقَال: أَشْهَدُ أَنَّ خربزتك تَامَّةٌ كَاملةٌ فَشَرَع مَوْلاَنَا فِي أَخْذ المُرِيد منْ هَذَا الوَقْت وَهَذَا النَّقْل أَيْضًا يُرَى مُسْتَبْعَدًا جدًّا فَإنَّ مَوْلاَنَا كَيْفَ يَعْتَقدُ نَفْسَه شَيْخًا بمُجَرَّد هَذَا القَوْل وَيَشْرَعُ فِي أَخْذ المُرِيد ثُمَّ قَال حَضْرَةُ الخواجهْ خاوند مَحْمُود إنَّ تَسْمِيَةَ هَذَيْن الشَّيْخَيْن المَذْكُورَيْن بَيْنَ حَضْرَة مَوْلاَنَا وَبَيْنَ حَضْرَة الخواجهْ أَحْرَار بهَذَيْن الاسْمَيْن وَاعْتقَادَ أَنَّهُمَا مُسَمَّيَا هَذَيْن الاسْمَيْن خَطَأٌ ذَكَرُوهُمَا بغَيْر اسْمهمَا وَقَال أَيْضًا أَنَّ دَرْوِيش مُحَمَّد لاَ نسْبَةَ لهُ مَنْ خَاله يَعْني لاَ انْتسَابَ لهُ إلَيْه بَل انْتسَابُه إلى غَيْره فَحَصَل تَعَجُّبٌ كَثيرٌ منْ كَلمَاته هَذه فَارْتَكَبْنَا التَّصْديعَ بالضَّرُورَة لتَكْتُبُوا لنَا اسمَي الشَّيْخَيْن المَذْكُورَيْن عَلى وَجْه التَّحْقيق لئَلاَّ يَبْقَى لأَحَدٍ مَجَال الكَلاَم فِي سلسلتنَا وَمَا الحَاجَةُ إلى كتَابَة حَديث الإجَازَة فَإنَّ

عَظَمَتَهُ وَعُلوَّ شَأْنه شَاهدُ عَدْل وَمَعَ ذَلكَ إنْ كَتَبَ كَانَ قَطْعًا للسَان الطَّاعَتَيْن وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا كَانَ مَقْصُودُ الخواجهْ خاوند منْ هَذه الكَلمَات المُشَتِّتَة فَإنْ كَانَ مَقْصُودُه نَفْيَ هَؤُلاَء الفُقَرَاء الذينَ لاَ بضَاعَةَ لَهُمْ بأَبْلغ الوُجُوه فَإنَّ نَفْيَ الشَّيْخ مُسْتَلزمٌ لنَفْي المُريد بآكَد الوُجُوه فَطُرُق نَفْي هَؤُلاَء عَديمي البضَاعَة كَثيرَةٌ فَمَا الحَاجَةُ إلى نَفْي الأَكَابر لهَذَا الغَرَض وَإنْ كَانَ مَقْصُودُه نَفْيَ الأَكَابر بالأَصَالة وَلَمْ يَكُنْ لهُ غَرَضٌ سَوَاءً فَهَذَا أَيْضًا غَيْرُ مُسْتَحْسَن كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى مَنْ لهُ أَدْنَى درَايَة رَبَّنَا لاَ تُزغْ قُلوبَنَا بَعْد ذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَةً إنَّك أَنْتَ الوَهَّابُ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَليْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إلى حَضْرَةِ المَخْدُومِ زَادَهُ مَيَّانَ مُحَمَّد صَادق
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِه عَنْ سَبَبِ مُشَاهَدَةِ بَعْضِ المَشَايِخِ
فِي مَقَامٍ أَعْلى مِنْ مَقَامَاتِهِمْ
وَبَعْضِهِمْ فِي أَدْنَى مِنْ مَقَامَاتِهِمْ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

قَدْ سَأَل وَلَدي الأَرْشَدُ مُحَمَّدُ صَادق عَنْ سَبَب انفهام كَوْن طَائفَة منَ المَشَايخ فِي دَرَجَات عُلْيَا منْ مَقَام الزُّهْد وَالتَّوَكُّل وَالتَّرْك وَالصَّبْر وَالرِّضَا مَعَ أَنِّي أَرَى وَأُشَاهِدُ أَنَّ لَهُمْ دَرَجَةً أَدْنَى فِي مَرَاتب القُرْب الإلهيِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَرُؤْيَة طَائفَة أُخْرَى منَ المَشَايخ فِي دَرَجَة سُفْلَى منْ مَقَامَات الزُّهْد وَالتَّوَكُّل وَغَيْرِهمَا مَعَ أَنَّهُمْ يُرَى لَهُمْ دَرَجَاتٌ عُلْيَا فِي مَقَام القُرْب وَمنَ المُقَرَّر أَنَّ أكمليَّةَ هَذه المَقَامَات باعْتبَار أَتَمِّيَّة اليَقين وأتمِّيَّةُ اليَقين بسَبَب الأقربيَّة إلى جَناب قُدْس الحَقِّ جَل شَأْنُهُ فَالمَقَامُ لاَ يَخْلو هُنَا عَنْ أَحَد أُمُور مَا تَطَرَّقَ الخَطَأُ إلى النَّظَر فَرَأَى القَريبَ بَعيدًا وَالبَعيدَ قَريبًا أَوْ أَنَّ سَبَبَ أكمليَّة هَذه المَقَامَات أَمْرٌ وَرَاءَ اليَقين أَوْ أَنَّ تَرَتُّبَ اليَقين ليْسَ عَلى القُرْب فَأَقُول فِي الجَوَاب إنَّ تَرَتُّبَ اليَقين عَلى القُرْب فَإذَا كَانَ القُرْبُ أَكْثَرَ فَاليَقينُ أَزْيَدُ وَأَوْفَرُ وَسَبَبُ أكمليَّة هَذه المَقَامَات أَيْضًا أتمِّيَّةٌ لاَ أَمْرٌ آخَرُ وَالنَّظَرُ الكَشْفيُّ أَيْضًا صَحيحٌ غَايَةَ مَا فِي البَاب أَنَّ حُصُول القُرْب إنْ هُوَ لالطَف اللطَائف فَيَكُونُ اليَقينُ أَيْضًا نُصيبَهُ وَحَيْثُ كَانَتْ أكمليَّةُ المَقَامَات مُتَرَتِّبَةً عَلى أتمِّيَّة اليَقين تَكُونُ تلكَ الأكمليَّةُ أَيْضًا حَاصلةً فَيُمْكنُ أَنْ يَحْصُل رَجُل منَ الأَكَابر إقَامَةً فِي مَقَام منْ مَقَامَات أَلطَف اللطَائف مَعَ وُجُود قلة قُرْبه وَلَمْ يَرْجعْ بَعْدُ إلى أَكْثَف اللطَائف وَيَكُونُ فِي المَقَامَات المَذْكُورَة أَكْمَل ممَّنْ لَهُ زيَادَةُ قُرْب وَقَدْر رَجَعَ إلى أَكْثَف اللطَائف أَعْني لطيفَةَ القَالب وَحَيْثُ إنَّ لطيفَةَ القَالب مَحْرُومَةٌ منْ ذَلكَ القُرْب لاَ يَكُونُ اليَقينُ أَيْضًا نَصيبًا لَهَا فَمنْ أَيْنَ تَحْصُل لَهَا أكمليَّةُ تلكَ المَقَامَات وَالذي رَجَعَ إلى هَذه اللطيفَة أَخَذَ حُكْمَهَا وَكَانَتْ يَقينَاتُ لطَائف البَاقيَة التي قَدْ حَصَلَتْ لَهَا سَابقًا وَمَسْتُورَةً بخلاَف مَنْ ليْسَ لَهُ رُجُوعٌ إلى القَالب فَإنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ أَلطَف اللطَائف وَالقُرْبُ وَاليَقينُ عَلى كَمَالهمَا فِي حَقِّه وَلَمْ يَسْتَترَا بَعْدُ فَلاَ

جَرَمَ يَكُونُ فِي المَقَامَاتِ المَذْكُورَةِ أَتَمَّ وَأَكْمَل وَلكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ صَاحبَ الرُّجُوعِ كَمَا أَنَّهُ أَكْمَلَ فِي القُرْبِ وَاليَقِينِ كَذَلكَ هُوَ أَكْمَل فِي المَقَامَاتِ أَيْضًا

وَلكِنْ قَدْ سُترَتْ كَمَالاتُه تلكَ وَجَعَل ظَاهرُهُ مثْل ظَاهرِ عَوَامِّ النَّاسِ لحُصُول المُنَاسَبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَالقِ التي هيَ سَبَبُ الإِفَادَةِ وَالاسْتِفَادَةِ فَيَكُونُ مُسْتَحقًّا لدَعْوَةِ الخَلقِ إِلى الحَقِّ وَهَذَا المَقَامُ مَقَامُ الأَنْبِيَاءِ المُرْسَلينَ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتسليماتُ بالأَصَالةِ وَلهَذَا طَلبَ إِبْرَاهيمُ الخَليل عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اطْمئْنَانَ القَلبِ وَاحْتَاجَ فِي حُصُول اليَقين إِلى الرَّوِيَّة البَصَرِيَّة مثْل عَوَامِّ النَّاسِ وَقَال عُزَيْرٌ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَنَّى يُحْيِي هَذه اللهُ بَعْدَ مَوْتهَا وَالذي لَمْ يَرْجِعْ أَخْبَرَ عَنْ يَقينه بقَوْله لوْ كُشفَ الغطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقينًا فَإِنْ ثَبتَ صُدُورُ هَذَا الكَلاَمِ عَنْ سَيِّدنَا عَليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَ يَنْبَغِي حَمْلهُ عَلى أَنَّهُ قَال ذَلكَ قَبْل حُصُول الرُّجُوعِ فَإِنَّ صَاحبَ الرُّجُوعِ مُحْتَاجٌ إِلى الدَّلاَئل وَالبَرَاهين فِي حُصُول اليَقين بَعْدَ الرُّجُوعِ مثْل عَوَامِّ النَّاسِ وَقَدْ كَانَتْ المَسَائل الكَلاَميَّةُ كُلهَا بَديهيَّةً لهَذَا الدَّرْوِيشِ قَبْل الرُّجُوعِ وَكُنْت أَجدُهَا أَشَدَّ يَقينًا منَ المَحْسُوسَاتِ وَأَمَّا بَعْدَ الرُّجُوعِ فَقَدْ اسْتَتَرَ ذَلكَ اليَقينُ وَصِرْتُ مُحْتَاجًا إِلى الدَّلاَئل وَالبَرَاهين مثْل عَوَامِّ النَّاسِ، (ع):

عَلى مِقْدَارِ مَا رَبَّونِي أَنْمُو

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا صَالِح الكولابي
فِي بَيَانِ كَوْنِ الخَوَاطِرِ وَالوَسَاوِسِ مِنْ كَمَالِ الإِيمَانِ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ

كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ الدَّرَاوِيشِ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ قَاعِدِينَ مُجْتَمِعِينَ فَجَرَى الكَلَامُ فِي خَطَرَاتِ الطَّالِبِينَ وَوَسَاوِسِهِمْ فَذُكِرَ فِي ذَلِكَ الأَثْنَاءِ حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الأَصْحَابِ شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ وَقَالَ إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا لَوْ أَنَّ أَحَدَنَا خَرَّ عَلَى رَأْسِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - "أَوَجَدْتُمْ ذَلِكَ ذَاكَ مِنْ كَمَالِ الإِيمَانِ أَوْ مِنْ صَرِيحِ الإِيمَانِ" فَوَقَعَ فِي خَاطِرِ هَذَا الفَقِيرِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الحَدِيثِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ أَنَّ كَمَالَ الإِيمَانِ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالِ اليَقِينِ وَكَمَالُ اليَقِينِ مُرَتَّبٌ عَلَى كَمَالِ القُرْبِ فَإِذَا حَصَلَ لِلقَلْبِ وَمَا فَوْقَهُ مِنَ اللَّطَائِفِ زِيَادَةُ القُرْبِ الإِلَهِيِّ جَلَّ شَأْنُهُ يَكُونُ الإِيمَانُ وَاليَقِينُ أَزْيَدَ وَيَكُونُ عَدَمُ تَعَلُّقِ القَلْبِ وَسَائِرُ اللَّطَائِفِ بِالبَدَنِ أَكْثَرُ فَيَكُونُ ظُهُورُ الخَطَرَاتِ فِي القَالَبِ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ وَالوَسَاوِسُ غَيْرُ اللَّائِقَةِ فِيهِ أَظْهَرُ فَلَا جَرَمَ يَكُونُ سَبَبُ الخَطَرَاتِ الرَّدِيئَةِ كَمَالَ الإِيمَانِ بِالضَّرُورَةِ فَعَلَى هَذَا كُلَّمَا كَانَتْ الخَطَرَاتُ أَزْيَدَ فِي المُنْتَهَى إِلَى نِهَايَةِ النِّهَايَةِ تَكُونُ أَكْمَلِيَّةُ الإِيمَانِ فِيهِ أَشَدَّ فَإِنَّ كَمَالَ الإِيمَانِ يَقْتَضِي عَدَمَ المُنَاسَبَةِ بَيْنَ أَلْطَفِ اللَّطَائِفِ وَبَيْنَ لَطِيفَةِ القَالَبِ وَكُلَّمَا كَانَ عَدَمُ المُنَاسَبَةِ المَذْكُورَةِ أَكْثَرَ كَانَ القَالَبُ أَشَدَّ خُلُوًّا وَأَقْرَبَ إِلَى الظُّلْمَةِ وَالكُدُورَةِ وَيَكُونُ وُرُودُ الخَوَاطِرِ إِلَيْهِ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ بِخِلَافِ المُبْتَدِئِ وَالمُتَوَسِّطِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الخَوَاطِرِ سُمٌّ قَاتِلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا وَسَبَبٌ لِازْدِيَادِ مَرَضِهِمُ البَاطِنِ فَلَا تَكُنْ مِنَ القَاصِرِينَ وَهَذِهِ المَعْرِفَةُ مِنَ المَعَارِفِ الغَامِضَةِ المُخْتَصَّةِ بِهَذَا الفَقِيرِ.

{وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إلى الملا مَعْصُوم الكابلي
فِي النَّصِيحَةِ

رَزَقَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مُتَوَجِّهِينَ إلى جَنَاب قُدْسه بالكُلِّيَّة وَشَغَلَنَا به عَنْ غَيْره حَتَّى لاَ نَتَوَجَّهَ إلى الاثْنَيْنِيَّة وَالمَأْمُول أَنْ لاَ تَكُونَ التَّعَلقاتُ الشَّتَّى وَالتَّوَجُّهَاتُ المُتَفَرِّقَةُ التي اسْتَوْلَتْ عَلى الظَّاهر مَانعَةً عَنِ النِّسْبَة البَاطنيَّة وَمَعَ ذَلكَ يَنْبَغي السَّعْيُ وَالاجْتهَادُ فِي تَحْقيق التَّفْرقَة الظَّاهريَّة وَالتَّفَحُّص عَنْهَا لئَلاَّ تَسْريَ في البَاطن فَتَمْنَعَ عَنِ الوُصُول إلى المَطْلب الحَقيقيِّ عياذا بالله سُبْحَانَهُ منْ ذَلكَ وَلاَ تَسْتَحقُّ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا لأَنْ تَصْرفَ بضَاعَةَ العُمْر العَزيز فِي تَحْصيلهَا الشَّرْطُ هُوَ الإخْبَارُ وَإلى مَتى يَمْتَدُّ مَنَامُ الأَرْنَب.

وَمَا القَصْرُ وَالبُسْتَانُ إلاَّ مَحَابسَ وَمَا المَال وَالأَمْلاَكُ إلاَّ مَصَائبَ

فَإنْ حَصَل العَمَل قَبْل المَوْت فَبهَا وَإلاَّ فَخُسْرَانٌ فِي خُسْرَانٍ يَنْبَغي أَنْ يَعُدَّ ذكْرَ القَلب ومشغوليَّةَ البَاطن عَزيزًا وَأَنْ يَتَّخذَ كُلمَا يُنَافيه عَدُوًّا.

كُلمَا دُونَ هَوَى الحَقِّ وَلوْ أَكْلَ قَنْد فَهُوَ سُمٌّ قَاتل

وَمَا عَلى الرَّسُول إلى البَلاَغ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
فِي التَّحْرِيضِ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ﷺ أَرْسَلَهُ إِلى فَتْحِ اللهِ

وَصَلَ مَكْتُوبُ الوَلَدِ الأَعَزِّ المَكْتُوبُ عَلى وَجْهِ المَحَبَّةِ وَالخُلوصِ أَوْصَلَهُ الخواجهْ فَصَارَ مُوجِبًا لفَرَحٍ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى التَّوْفِيقَ لِمَرْضِيَّاته رَفِيقَنَا بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيُّهَا الوَلَدُ: إِنَّ الَذي يَنْفَعُ الإِنْسَانَ غَدًا هُوَ مُتَابَعَةُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ - فَإِنْ اجْتَمَعَتْ الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدُ وَالعُلومُ وَالمَعَارِفُ وَالإِشَارَاتُ وَالرُّمُوزُ مَعَ تلكَ المُتَابَعَة فبهَا وَنَعِمَتْ وَإِلاَّ فَلاَ شَيْءَ سوَى الخذْلاَن وَالاسْتدْرَاجِ رَأَى شَخْصٌ سَيِّدَ الطَّائفَة الجُنَيْدَ بَعْدَ وَفَاته فَسَأَلَهُ عَنْ حَاله فَقَالَ لهُ الجُنَيْدُ فِي جَوَابه: طَاحَتْ العبَارَاتُ وَفَنِيَتْ الإِشَارَاتُ وَمَا نَفَعَنَا إِلاَّ رُكَيْعاتٌ رَكَعْنَاهَا فِي جَوْف اللَّيْل فَعَلَيْكُمْ بِمُتَابَعَته وَمُتَابَعَة خُلَفَائه الرَّاشدينَ عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِيَّاكُمْ وَمُخَالفَةَ شَرِيعَته قَوْلاً وَعَمَلاً وَاعْتِقَادًا فَإِنَّ الأُولى يُمْنٌ وَبَرَكَةٌ وَالثَّانيَةَ شُؤْمٌ وَهَلَكَةٌ هَذَا وَالرِّسَالَةُ التي أَرْسَلتهَا قَدْ وَصَلتْ وَطَالعْتُ بَعْضَ المَوَاضعِ منْهَا فَرَأَيْتُه حَسَنًا وَلكنَّ الأَهَمَّ أَمْرٌ آخَرُ دُونَ التَّصْنِيفِ وَالاشْتِغَال بِالأَمْرِ الأَهَمِّ أَنْسَبُ وَأَوْلى وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إِلى مَنْصُورٍ عَرَب
فِي تَفْوِيضِ شَخْصٍ إِلَيْهِ

رَزَقَكُمْ اللهُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَجَعَلَ جَمِيعَ هِمَّتِكُمْ التَّوَجُّهَ إِلى جَنَابِ قُدْسِه وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ لَنَا وَلَكُمْ هُوَ سَلاَمَةُ القَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِمَا سِوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذِه السَّلاَمَةُ إِنَّمَا تَتَيَسَّرُ إِلاَّ لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ خُطُورٌ فِي القَلْبِ بِحَيْثُ لَوْ تَيَسَّرَتْ حَيَاةُ أَلْفِ سَنَةٍ فَرْضًا لاَ يَقَعُ الغَيْرُ فِي القَلْبِ بِوَاسِطَةِ نِسْيَانِ القَلْبِ مَا سِوَاهُ تَعَالى (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي خَيَالاَتٌ

بَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ مَوْلاَنَا الفَاضِلَ السرهندي الذي هُوَ قَائِمٌ بِخِدْمَتِكُمْ العَلِيَّةِ أَبُوه فِي سرهند وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَسْرُورًا وَمُبْتَهِجًا بِمُلاَقَاةِ وَلَدِه وَقَّتَ ضَعْفِه وَشَيْخُوخَتِه فَبِنَاءً عَلى ذَلِكَ جَعَلَ الفَقِيرُ وَسِيلَةً إِلى التَّصْدِيعِ وَالأَمْرُ عِنْدَكُمْ بَلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَةُ
إِلى الخواجهْ عَبْد الرَّحْمَنِ المُفْتي الكَابلي
فِي الحَثِّ عَلى مُتَابَعَة السُّنَّة
وَالاجْتِنَاب عَنِ البِدْعَة
وَأَنَّ كُل بِدْعَة ضَلالةٌ

أَسْأَل اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بالتَّضَرُّعِ وَالاعْتِذَارِ وَالالتجَاء وَالافْتقَارِ وَالتَّذَلل وَالانْكسَارِ فِي السِّرِّ وَالجهَارِ أَنْ لاَ يَبْتَليَ هَذَا الضَّعيفَ مَعَ مَنْ هُمْ مُجْتَمعُونَ لدَيْه أَوْ مُسْتَندُونَ إِلَيْه بفعْل كُل عَمَل مُحْدَث وَمُبْتَدَع فِي الدِّينِ ممَّا لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِ خَيْرِ البَشَرِ وَزَمَنِ خُلفَائه الرَّاشدينَ عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَإِنْ كَانَ ذَلكَ العَمَل مثْل فَلق الصُّبْح فِي الوُضُوح وَأَنْ لاَ يَفْتنَنَا بحُسْنِ ذَلكَ المُبْتَدَعِ بحُرْمَة السَّيِّد المُخْتَارِ وَآله الأَبْرَارِ عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قَال بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ البِدْعَةَ عَلى نَوْعَيْنِ حَسَنَة وَسَيِّئَة فَالحَسَنَةُ هِيَ كُل عَمَل صَالح حَدَثَ بَعْدَ زَمَنِ نَبيِّنَا وَزَمَنِ خُلفَائه الرَّاشدينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ السَّلاَمُ وَ لَمْ يَكُنْ رَافعًا للسُّنَّة وَالسَّيِّئَةُ مَا تَكُونُ رَافعَةً للسُّنَّة وَهَذَا الفَقيرُ لاَ يُشَاهدُ فِي شَيْءٍ منَ البِدْعَة شَيْئًا منَ الحُسْنِ وَالنُّورَانيَّة وَلاَ يُحسُّ فيهَا شَيْئًا سوَى الظُّلمَة وَالكُدُورَة وَمَنْ رَأَى اليَوْمَ فَرْضًا طَرَاوَةً وَنَضَارَةً فِي الأَمْرِ المُبْتَدَعِ بسَبَب ضَعْف البَصيرَة وَلَكنْ سَيَعْلمُ غَدًا بَعْدَ حُصُول الحدَّة فِي بَصَرِه أَنْ لَيْسَ لهُ شَيْءٌ منْ نَتيجَة غَيْرَ النَّدَامَة وَالخَسَارَة.

وَوَقْتُ الصُّبْحِ يَبْدُو كَالنَّهَارِ حَقِيقَةُ مَنْ هَوِيتَه فِي الظَّلاَمِ

قَال سَيِّدُ البَشَرِ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ منْهُ فَهُوَ رَدٌّ.

فَإِذَا كَانَ الشَيْءُ مَرْدُودًا فَمنْ أَيْنَ يَجيءُ لهُ الحُسْنُ وَقَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الحَديث كتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد وَشَرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُهَا وَكُل مُحْدَثَة بدْعَةٌ وَكُل بدْعَة ضَلالةٌ وَقَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أُوصيكُمْ بتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَة وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعشْ منْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتلاَفًا كَثيرًا فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتي وَسُنَّة الخُلفَاء الرَّاشدينَ المَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجذ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُل مُحْدَثٍ بدْعَةٌ وَكُل بدْعَةٍ ضَلالةٌ.

فَإِذَا كَانَ كُل مُحَدَّث بدْعَةٌ وَكُل بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى الحُسْنِ في البدْعَةِ وَأَيْضًا المَفْهُومُ مِنَ الأَحَادِيثِ أَنَّ كُل بِدْعَةٍ رَافِعَةٌ للسُّنَّةِ وَالرَّفْعُ غَيْرُ مُخْتَصٌّ بَالبَعْضِ فَيَكُونُ كُل بِدْعَةٍ سَيِّئَةً قَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إلاَّ رُفِعَ مِثْلها مِنَ السُّنَّةِ.

فَالتَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ خَيْرٌ مِنْ إِحْدَاثِ البِدْعَةِ وَعَنْ حَسَّانَ أَنَّهُ قَال: مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينٍ إلاَّ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَنِهِم مِثْلَهَا ثُمَّ لاَ يُعِيدُها إِلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ البِدَعِ الذي عَدَّهُ العُلَماء وَالمَشَايخ مِنَ البِدْعَةِ الحَسَنَة إِذَا لوحظَ فِيهِ كَمَال المُلاَحَظَةِ يُعْلَمُ أَنَّهُ رَافِعٌ للسُّنَّةِ وَمِنْ ذَلكَ أَنَّ تَعْمِيمَ المَيِّت مَثَلاً عَدُّوهُ مِنَ البِدْعَةِ الحَسَنَةِ مَعَ أَنَّهُ رَافِعٌ للسُّنَّةِ لأَنَّهُ زِيَادَةٌ عَلى العَدَدِ المَسْنُونِ فِي الكَفَنِ وَهُوَ كَوْنُهُ ثَلاَثَةَ أَثْوَابٍ وَالزِّيَادَةُ نَسْخٌ وَالنَّسْخُ هُوَ عَيْنُ الرَّفْعِ وَكَذَلِكَ اسْتَحْسَنَ المَشَايخ يَعْنِي بَعْضَهمْ إِرْسَال ذَنَب العَمَامَة مِنْ طَرَف اليَسَار مَعَ أَنَّ السُّنَّةَ إِرْسَاله مِمَّا بَيْنَ الكَتِفَيْنِ وَكَوْنُ ذَلكَ رَافِعاً لهَذِهِ السُّنَّةِ ظَاهِرٌ لاَ سُتْرَةَ فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَحْسَنَ العُلَماءُ يَعْنِي بَعْضَهمْ فِي نِيَّةِ الصَّلاَةِ النُّطْقَ بِاللسَانِ مَعَ إِرَادَةٍ قَلْبِيَّةٍ وَالحَال أَنَّهُ لمْ يَثْبُتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلاَ عَنْ أصحابِه الكِرَام وَلاَ عَنِ التَّابِعِينَ العظَام فِي النِّيَّةِ النُّطْقُ بِاللسَانِ لاَ فِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ وَلاَ فِي رِوَايَةٍ ضَعِيفَةٍ بَل كَانُوا يُكَبِّرُونَ للتحريمة عَقِبَ القيَام فَيَكُونُ النُّطْقُ بِدْعَةً وَقَالوا إِنَّ ذَلكَ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ وَيَقُول هَذَا الفَقِيرُ إِنَّ هَذِهِ البِدْعَة رَافِعَةٌ للفَرْضِ فَضْلاً عَنِ السُّنَّة فإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَكْتَفُونَ عَلى هَذَا التَّقْدِيرِ بِالنُّطْقِ بِاللسَان يَعْنِي مِنْ غَيْرِ اسْتِحْضَارِ النِّيَّةِ بالجِنَانِ وَمِنْ غَيْرِ مُبَالاَة بِالغَفْلَةِ القَلْبِيَّةُ وَعَنْ هَذَا الشَّأْنِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ فَرْضٌ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ وَهُوَ النِّيَّةُ القَلْبِيَّةِ وَمَتْرُوكًا بَالكُلِيَّةِ وَيُفْضِي إِلى فَسَادِ الصَّلاَةِ وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سَائرُ المُبْتَدَعَاتِ وَالمُحْدَثَاتِ فَإِنَّها زِيَادَاتٌ عَلى السُّنَّةِ وَلَوْ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ وَالزِّيَادَةُ نَسْخٌ وَالنَّسْخُ رَفْعٌ فَعَلَيْكُمْ بِالاقْتِصَارِ عَلى مُتَابَعَة سُنَّةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالاكتِفَاءِ بَالاقْتِدَاءِ بأَصْحَابِهِ الكِرَام فَإِنَّهُمْ كَالنُّجوم بأَيِّهِمْ اهْتَدَيْتُم اقْتَدَيْتُمْ وَأَمَّا القِيَاسُ بِالاجْتِهَادِ فَلَيْسَ مِنَ البَدْعَةِ بَشَيْءٍ فَإِنَّهُ مُظْهِرٌ لمَعْنَى النُّصُوصِ لاَ أَنَّهُ مُثْبِتٌ لأَمْرٍ زَائِدٍ فَاعْتَبَرُوا يَا أُولي الأَبْصَارِ.

﴿وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[1] وَالْتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه أَفضَل الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَل التسليماتِ.

---

(١) ـ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إلى الخواجهْ أَشْرَفَ الكابلي
فِي أَفْضَلِيَّةِ طَرِيقِ الرَّابِطَةِ عَلى الذِّكْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلى المُرِيدِ

قَدْ وَقَعَ النَّظَرُ عَلى الكتَاب الذي كَتَبْتُهُ إِلى الأَصْحَاب وَاطَّلَعْتُ عَلى الأَحْوَال المَسْطُورَة فيه اعْلَمْ أَنَّ حُصُول رَابِطَة الشَّيْخ للمُرِيد بلاَ تَكَلف وَتَعَمُّل عَلاَمَة المُنَاسَبَة التَّامَّة بَيْنَ المُرْشد وَالمُرِيد التي هِيَ سَبَبُ الإِفَادَة وَالاسْتفَادَة وَلاَ طَرِيقَ أَقْرَبَ مِنْ طَرِيقِ الرَّابِطَة أَصْلاً فَيَا سَعَادَةَ مَنِ اسْتَسْعَدَ بِهَذِهِ الدَّوْلَة أَوْ رَدَّ حَضْرَةَ الخواجهْ أَحْرَار - قُدِّسَ سِرُّهُ - فِي الفقْرَات أَنَّ ظِل الدَّلِيل أَوْلى مِنْ ذكْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ باعْتِبَارِ النَّفْعِ يَعْنِي أَنَّ ظِل الدَّلِيل أَوْلى للمُرِيد مِنَ اشْتِغَاله بِالذِّكْرِ فَإِنَّهُ لَمْ تَحْصُل بَعْدُ للمُرِيد مُنَاسَبَةٌ كَاملَةٌ بِالمَذْكُورِ - جَل وَعَلاَ - حَتَّى يَنْتَفِعَ مِنْ طَرِيقِ الذِّكْرِ انْتِفَاعًا تَامًّا وَالسَّلاَمُ أولاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إِلى الخواجهْ مُحَمَّد صدِّيق البدخشي
فِي حَل إِشْكَال المَسَائِلَ التِي سَأَل عَنْهَا

وَصَل مَكْتُوبُ الأَخِ الأَعَزِّ وَقَدْ سُئِل عَنْ أُمُورٍ ثَلاَثَة أَيُّهَا المُحبُّ أَنَّ اخْتِفَاءَ بَعْضِ اللطَائف فِي مَرْتَبَة القَلب مَقْصُورٌ عَلى لطَائفَ تَضَمَّنَهَا القَلبُ لاَ أَنَّهُ جَارٍّ فِي لطَائفَ مُتَحَقِّقَة فيمَا وَرَاءَ القَلب فَإِنَّهُ لاَ مَعْنَى لاخْتِفَائهَا فِي مَقَامِ القَلب الثَّانِي أَنَّ مَنْ كَانَ اسْتِعْدَادُه إِلى مَرْتَبَة القَلب أَوْ الرُّوحِ يَقْدرُ الشَّيْخُ صَاحبُ التَّصَرُّف عَلى إِيصَاله إِلى مَرْتَبَة فَوْقَانِيَّة لكنَّ هُنَا دَقِيقَةٌ بَيَانُهَا مَوْقُوفٌ عَلى الحُضُور لعُسْرِ تَحْرِيره الثَّالثُ أَنَّ الظَّاهرَ إِذَا انْصَبَغَ بلوْن البَاطِن وَانْصَبَغَ البَاطنُ بلوْن الظَّاهرِ لاَ عُسْرَةَ حِينَئِذٍ فِي ظُهُورِ أَحْكَامِ الظَّاهرِ فِي البَاطِنِ وَبَدْوِ أَحْوَال البَاطِنِ فِي الظَّاهرِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَةُ
إلى شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ
فِي بَيَانِ فَضْلِ تَذَكُّرِ الفُقَرَاءِ مَعَ كَثْرَةِ الاشْتِغَالِ
وَالتَّحْذِيرِ عَنِ الانْخِدَاعِ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا
وَتَعْظِيمِ ذِكْرِ القَلْبِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآلِه الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ وَصَلِ مَكْتُوبُ الوَلَدِ الأَنْجَبِ الأَعَزِّ الأَرْشَدِ شَرَفِ الدِّينِ حُسَيْنٍ وَصَارَ مُوجِبًا لِلفَرْحَةِ وَبَاعِثًا عَلى البَهْجَةِ نِعْمَتَ النِّعْمَةُ عَدَمُ نِسْيَانِ الفُقَرَاءِ الذِينَ لاَ بِضَاعَةَ لَهُمْ مَعَ وُجُودِ تعلقات شَتَّى وَهَذَا التَّذَكُّرُ يُنْبِئُ عَنْ أَشَدِّ المُنَاسَبَةِ التِي هِيَ سَبَبُ الإِفَادَةِ وَالاسْتِفَادَةِ وَبَعْضُ الوَقَائِعِ التِي انْدَرَجَ بَيَانُه فِيه حَسَنٌ وَأَصِيل وَأَدَل دَلِيل عَلى الارْتِبَاطِ المعنويِّ أَيُّهَا الوَالِدُ إِيَّاكَ وَالانْخِدَاعَ بِطَرَاوَةِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالافْتِتَانَ بِمُزخْرفاتِها الشَّنِيعَةِ التِي لاَ مَعْنَى فِيهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَ لَهَا مَدَارٌ وَلاَ اعْتِبَارٌ وَلاَ هِيَ مَحَل قَرَارٍ وَهَذَا المَعْنَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ اليَوْمَ مَعْلومًا لكُمْ وَلكِنَّهُ سَيَكُونُ غَدًا مَعْقُولاً البَتَّةَ وَلكِنْ لاَ يَنْفَعُ.

فَفِي أُذُنِه مَنْ أَنْتَ صَمَمٌ فَلاَ يَرْضى سَمَاعُ نصيحَتِي وَبُكَائِيَا

وَيَنْبَغِي لكَ أَنْ تَكُونَ مُولعًا وَحَرِيصًا بِتَكْرَارِ ذِكْرِ القَلبِ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ نِعَمِ اللهِ جَل شَأْنُهُ وَأَنْ تُصَلِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ مَعَ الجَمَاعَةِ مِنْ غَيْرِ تَكَاسُلٍ وَفُتُورٍ وَأَنْ تُؤَدِّيَ زَكَاةَ الأَمْوَالِ إِلى الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ بِنَشَاطِ القَلبِ وَأَنْ تَجْتَنِبَ المُحَرَّمَاتِ وَالمُشْتَبِهَاتِ وَأَنْ تَكُونَ مُشْفِقًا عَلى الخَلقِ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ وَالخَلاَصِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى وَاحد منْ أَوْلاَد المَيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ البدخشي
فِي التَّحْرِيضِ عَلى المُدَاوَمَة عَلى الذِّكْرِ
وَاخْتِيَارِ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة
مَعَ بَيَانِ كَيْفِيَّةِ الذِّكْرِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى آله الطَّاهرينَ أَجْمَعينَ اعْلَمْ وَتَنَبَّهْ أَنَّ سَعادتَك بَل سَعَادَةَ جَميعِ بَني آدَمَ وَفَلاَحَهمْ وَخَلاَصَهمْ كُلُ ذَلكَ في ذكْرِ مَوْلاَهُمْ - جَل سُلطَانُهُ - فَيَنْبَغي اسْتغْرَاقُ جَميعِ الأَوْقَات بالذِّكْرِ الإلهيِّ جَل شَأْنُهُ بقَدْرِ الإمْكَان وَأَنْ لاَ يَجُوزَ الغَفْلَةُ لَحْظَةً وَاحدَةً وَللهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ أَنَّ دَوَامَ الذِّكْرِ يَتَيَسَّرُ في طَريقَة خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ في الابْتدَاء وَيَحْصُل ذَلكَ فيهَا عَلى طَريق انْدرَاج النِّهَايَة في البدَايَة فَاخْتيَارُ هَذه الطَّريقَة كَانَ للطَّالب أَوْلى وَأَنْسَبَ بَل يَكُونُ وَاجبًا عَلَيْهمْ وَلاَزمًا فَعَلَيْك إذَا صُرفَ التَّوَجُّهُ عَنْ جَميعِ الجهَات وَالإقْبَال بالكُلِّيَّة عَلى جَانب أَكَابر هَذه الطَّريقَة العَليَّة وَطَلب الهمَّة منْ بَوَاطنهمُ الشَّريفَة وَلاَ بُدَّ منَ الذِّكْرِ في الابْتدَاء فَيَنْبَغي أَنْ تَتَوَجَّهَ إلى القَلب الصُنوبريِّ الشَّكْل فَإنَّ تلكَ المُضْغَةَ كَالحُجْرَة للقَلب الحَقيقيِّ وَأَنْ تُجْريَ الاسْمَ المُبَارَكَ اللهَ عَلى هَذَا القَلب وَلاَ تُحَرِّكْ عُضْوًا منْ أَعْضَائك في هَذَا الوَقْت بالقَصْد وَاقْعُدْ مُتَوَجِّهًا إلى القَلب بالكُلِّيَّة وَلاَ تَخَيَّل صُورَةَ القَلب بالقُوَّة المُتَخَيَّلة أَصْلاً وَلاَ تَلتَفتْ إلَيْهَا قَاطعًا إنَّ المَقْصُودَ التَّوَجُّهُ إلى القَلب لاَ تَصَوُّرُ صُورَته وَيَنْبَغي أَنْ تُلاَحظَ مَعْنَى اللفْظ المُبَارَك اللهَ بلَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ وَأَنْ لاَ تَضُمَّ إلَيْهَا شَيْئًا منْ مُلاَحَظَة الصِّفَات حَتَّى الحاضريَّة وَالناظريَّة لئَلاَّ تَنْزل منْ ذُرْوَة حَضْرَة الذَّات إلى حَضيض الصِّفَات فَتَقَعَ منْهَا إلى شُهُود الوَحْدَة في الكَثْرَة وَتَطْمئنَّ بشُهُود المثاليِّ منَ التَّعَلق بمَنْ تَنَزَّهَ عَنِ المثَال وَالتَّوَجُّه إلَيْه فَإنَّ كُلمَا يَظْهَرُ في مرْآة المثَالي لاَ يَكُونُ مصْدَاقًا لليَس كَمثْله شَيْءٌ وَكُلمَا يُشَاهدُ في الكَثْرَة لاَ يَكُونُ وَاحدًا حَقيقيًّا البَتَّةَ يَنْبَغي للعَاقل أَنْ يَطْلُبَ المُنَزَّهَ عَنِ المثَال فيمَا وَرَاءَ المثَاليِّ وَأَنْ يَلتَمسَ البَسيطَ الحَقيقيَّ في خَارج حيطَة الكَثْرَة فَإنْ ظَهَرَتْ صُورَةُ المُرْشد وَقْتَ الذِّكْرِ منْ غَيْرِ تَكَلُّف يَنْبَغي أَنْ تَذْهَبَ بهَا إلى القَلب وَأَنْ تَشْتَغل بالذِّكْرِ

حَافظًا - جَل سُلطَانُهُ - وَتَجدَ منْهُ مَدَدًا وَإِعَانَةً فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَمُجَرَّدُ لبْسِ الكَلَّاهُ وَالخرْقَة وَأَخْذ الشَّجَرَة وَغَيْرِهَا ممَّا صَارَ عُرْفًا وَرَسْمًا بَيْنَ النَّاسِ كُلهَا خَارِجَةٌ عَنْ حَقِيقَة المُرشديَّة والمريديَّة وَدَاخلةٌ فِي الرُّسُومِ وَالعَادَات إلاَّ أَنَّ الخرْقَةَ إنْ حَصَلتْ منَ الشَّيْخِ الكَامِلِ المُكَمَّل وَعَامَلتُ بالاعْتقَاد وَالإِخْلَاص فَاحْتمَال حُصُول الثَّمَرَات وَالنَّتَائج قَويٌّ فِي هَذه الصُّورَة وَاعْلَمْ أَنَّ المَنَامَات وَالوَاقعَات لاَ اعْتمَادَ عَلَيْهَا وَلَا اعْتبَارَ لَهَا فَإِنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَكُونُ سُلطَانًا أَوْ قُطْبَ الوَقْت فِي الحَقيقَة كُلمَا ظَهَرَ منَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيد فِي الصَّحْو وَالإِفَاقَة فَفيه مَجَال للاعْتمَاد عَلَيْه وَإِلاَّ فَلاَ وَاعْلَمْ أَنَّ نَفْعَ الذِّكْر وَتَرَتُّبَ الأَثَر عَلَيْه مَرْبُوطٌ بإِتْيَان أَحْكَام الشَّرِيعَة فَيَنْبَغِي حُسْنُ الاحْتيَاط فِي أَدَاء الفَرَائض وَالسُّنَن وَاجْتنَابُ المُحَرَّم وَالمُشْتَبَه وَالرُّجُوعُ إِلَى العُلمَاء فِي القَليل وَالكَثِير وَالعَمَل بمُقْتَضَى فَتْوَاهُمْ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى خَان خَانَان
فِي الحَثِّ عَلى اتِّبَاعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ
وَأَنَّهُ لاَ عُسْرَ فِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ

الحَمْدُ للهِ الذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنهتدِيَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ.

اعْلَمْ أَنَّ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ وَالنَّجَاةَ السَّرْمَدِيَّةَ مَرْبُوطَةٌ بِمُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - عُمُومًا وَعَلى أَفْضَلِهِمْ خُصُوصًا فَإِنْ تَيَسَّرَتْ عِبَادَةُ أَلف سَنَة فَرْضًا مَعَ الرِّيَاضَاتِ الشَّاقَّة وَالمُجَاهَدَاتِ الشَّدِيدَة لاَ تَعْدِل تلكَ العِبَادَات بِنِصْفِ شَعِيرَة وَلاَ تُسَاوِي تلكَ الرِّيَاضَات بالنَّوْمِ وَقْتَ الظَّهِيرَة اقْتِدَاءً بِصَاحِبِ الشَّرِيعَة مَعَ كَوْنِه غَفْلَةً مِنَ الأَوَّل إلى الآخِرِ مَا لَمْ تَكُنْ مُنَوَّرَةً بِنُورِ اتِّبَاعِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ فِي الأُمُورِ الخَطِيرَة وَالحَقِيرَة بَل هِيَ كَسَرَاب بِقِيعَة وَمِنْ كَمَال عِنَايَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى رِعَايَةُ نِهَايَة اليُسْر وَغَايَةُ السُّهُولَة فِي جَمِيعِ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّة وَالأَحْكَامِ الدِّينِيَّة حَيْثُ أَمَرَ مَثَلاً بِسَبْعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلاَة فِي اللَّيْل وَالنَّهَار لاَ يَبْلُغُ مَجْمُوعُ أَوْقَات أَدَائِهَا سَاعَةً وَاحِدَةً وَمَعَ ذَلكَ اكْتَفَى فِي قِرَاءَتِهَا بِمَا تَيَسَّرَ وَجَوَّزَ القُعُودَ عِنْدَ تَعَذُّرِ القِيَام وَالاضْطِجَاعَ عِنْدَ تَعَذُّرِ القُعُود وَأَمَرَ بِالإِيمَاءِ عِنْدَ تَعَذُّرِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُود وَجَعَل التَّيَمُّمَ خَلَفَ الوُضُوءِ وَقْتَ العَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَال المَاءِ وَعَيَّنَ لِلفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِين حِصَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَرْبَعِينَ حِصَّةً فِي زَكَاةِ الأَمْوَال وَقَدْ افْتَرَضَهَا أَيْضًا يَكُونُ الأَمْوَال نَامِيَةً وَالأَنْعَامَ سَائِمَةً وَفَرَضَ فِي جَمِيعِ العُمْرِ حَجًّا وَاحِدًا وَمَعَ ذَلكَ جَعَلَهُ مَشْرُوطًا بِالقُدْرَة عَلى الزَّاد وَالرَّاحِلة وَأَمْنِ الطَّرِيق وَوَسَّعَ دَائِرَةَ المُبَاحِ حَيْثُ أَبَاحَ نِكَاحَ أَرْبَعَة مِنَ النِّسَاءِ وَمِقْدَارَ مَا يَمْلِكُهُ وَيَقْدِرُ عَلَيْه مِنَ السراريِّ وَجَعَل الطَّلاَقَ وَسِيلَةً لِتَبْدِيل النِّسَاءِ جَعَل أَكْثَرَ الأَطْعِمَة وَالأَشْرِبَة وَالأَقْمِشَة مُبَاحًا وَجَعَل المُحَرَّمَ مِنْهَا قَلِيلاً وَتَحْرِيمُ أَيْضًا بِوَاسِطَة مَصَالِحِ العِبَاد وَإِنْ حَرَّمَ شَرَابًا وَاحِدًا مُرًّا كَثِيرَ الضَّرَر وَلكِنَّهُ أَبَاحَ عِوَضًا عَنْهُ كَثِيرًا مِنَ الأَشْرِبَة اللَّذِيذَة السَّائِغَة الكَثِيرَة النَّفْعِ أَلاَ تَرَى أَنَّ عِرْقَ القَرَنْفُل وَعِرْقَ الدَّارِ صِينِيٌّ مَعَ سُهُولَة شُرْبِهِمَا وَطِيبِ رَائِحَتِهِمَا مُشْتَمِلاَنِ عَلى مَنَافِعَ كَثِيرَةٍ وَفَوَائِدَ جزيلة لاَ يُمْكِنُ

تَحْرِيرُهَا فَأَيُّ فَائِدَة فِي تَرْكِهِمَا وَاخْتِيَار شَيْءٍ مُرٍّ كَرِيه الطَّعْمِ وَكَرِيه الرَّائِحَة سَاتِرَ العَقْلِ عَظِيمَ الخَطَرِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَمَعَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ آخَرُ طَارَ مِنْ جِهَة الحِلِيَة وَالحُرْمَة فَإِنَّهُ أَمْرٌ آخَرُ وَالتَّمَيُّزُ العَارِضُ مِنْ حَيْثِيَّة رِضَائِه تَعَالى وَعَدَمِ رِضَائِه شَيْءٌ عَلى حِدَة فَإِنْ حَرَّمَ بَعْضَ أَلبِسَة الإبرسيم فَمَا الضَّرَرُ فِيه حَيْثُ أَحَلَ عِوَضَه كَثِيرًا مِنَ الأَلبِسَة المُلَوَّنَة المُنَقَّشَة وَالأَقْمِشَة المُزَيَّنَة وَلِبَاسُ الصُّوفِ الذي أُبِيحَ مُطْلَقًا أَفْضَل مِنْ أَلبِسَة الإبرسيم بِمَرَاتِبَ وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أُبِيحُ لِبَاسُ الإبرسيم لِلنِّسَاءِ وَمَنَافِعُهُ عَائِدَةٌ إِلى الرِّجَال وَهَكَذَا حَال الذَّهَب وَالفِضَّة فَإِنَّ حُلِيَّ النِّسَاءِ لأَجْل تَمَتُّعِ الرِّجَال فَمَن اعْتَقَدَ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ مَعَ هَذه السُّهُولَة وَاليُسْرِ مِنْ عَدَمِ الإِنْصَاف مُتَعَسِّرَةً وَمُتَعَذِّرَةً فَهُوَ مُبْتَلى بِمَرَضٍ قلبيٍّ وَعِلة بَاطِنِيَّة وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ يَسِيرَة لِلأَصِحَّاءِ مُتَعَسِّرَةٌ لِلضُّعَفَاءِ عُسْرَةً تَامَّةً وَمَرَضُ القَلبِ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ يَقِينِ القَلبِ بِالأَحْكَامِ المُنَزَّلَة مِنَ السَّمَاءِ وَتَصْدِيقُهمْ بِهَذه الأَحْكَامِ إِنَّمَا هُوَ صُورَةُ التَّصْدِيقِ لأَحَقِّيَّتِه وَعَلامَةُ حُصُول حَقِيقَة التَّصْدِيقِ ثُبُوتُ اليُسْرِ وَالخِفَّة وَالنَّشَاط فِي إِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة وَبِدُونِهَا خَرْطُ القَتَاد وَقَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {كَبُرَ عَلى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْه اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْه مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْه مَنْ يُنِيبُ}[1].

{وَالسَّلَامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَل التسليمات.

---

(١) ــ الآية: ١٣ من سورة الشورى.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ السهارنفوري
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِه

اسْتَفْسَرَ الأَخُ الأَعَزُّ الأَرْشَدُ الشَّيْخُ بَدِيعُ الدِّينِ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي العَرِيضَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ المَكْتُوبَةِ إلى حَضْرَةِ الخواجهْ يَعْنِي الشَّيْخَ مُحَمَّدَ البَاقِيِّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - وَتَيَسَّرَ الوُصُول إلى مَقَامٍ مُزَيَّنٍ أَعْلى مِنْ مَقَامِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ﷺ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى هَذَا الكَلاَمِ؟

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لاَ نُسَلِمُ أَنَّ هَذه العِبَارَةَ مُوهِمَةٌ للتَّفْضِيل مَعَ أَنَّ لفْظَ أَيْضًا وَاقِعٌ فِيهَا أَيْضًا وَلَوْ سَلِمَ فَأَقُول إنَّ هَذَا الكَلاَمَ وَغَيْرَه فِي هَذه العَرِيضَةِ مِنْ جُمْلة الوَاقِعَاتِ المَكْتُوبَةِ إلى شَيْخِي وَالمَعْرُوضَة عَلَيْه وَمِنَ المُقَرَّرِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الطَّائِفَة أَنَّ كُلمَا يَحْصُل للسَّالك مِنَ الوَاقِعَة يُظْهِرُهُ لشَيْخه بلاَ تَحَاشٍ صَحِيحًا كَانَ أَوْ سَقِيمًا فَإِنَّ فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ أَيْضًا احْتِمَال التَّأْوِيل وَالتَّعْبِير فَلاَ يَكُونُ إِذًا بُدٌّ مِنْ إِظْهَارِه فَفِيمَا نَحْنُ فِيه لاَ يَلزَمُ مَحْظُورٌ عِنْدَ مُلاَحَظَة هَذَا المَعْنَى وَالحَل الثَّانِي أَنَّهُ قَدْ جُوِّزَ تَحَقُّقُ فَضْل فِي جُزْئِيٍّ مِنَ الجُزْئِيَّات لغَيْرِ نَبِيٍّ عَلى نَبِيٍّ وَلَمْ يَرَوْا فِيه بَأْسًا كَمَا وَقَعَتْ الزِّيَادَةُ فِي شَأْنِ الشُّهَدَاءِ لَيْسَتْ هِيَ فِي الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ مَعَ أَنَّ الفَضْل الكُلِيَّ للأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَعَلى هَذَا التَّقْدِير لوْ وَقَعَ سَيْرُ غَيْرِ النَّبِيِّ فِي كَمَالاَتِ ذَلكَ الجُزئِيِّ وَوَجَدَ السَّالكُ نَفْسَهُ فِي ذَلكَ المَقَامِ أَعْلى لكَانَ مُجَوِّزًا وَإِنْ كَانَ حُصُول الوُصُول لهُ إلى ذَلكَ المَقَامِ بوَاسطَة مُتَابَعَة النَّبِيِّ وللنَّبِيِّ أَيْضًا نَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ ذَلكَ المَقَامِ بحُكْمِ حَدِيث "**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً**" الحَدِيث، فَإِنْ كَانَ تَحَقُّقُ الفَضْل الجُزئِيِّ لغَيْرِ النَّبِيِّ عَلى النَّبِيِّ مُجَوَّزًا فَعَلى غَيْرِ النَّبِيِّ يَكُونُ مُجَوَّزًا بِالطَّرِيقِ الأَوْلى فَلاَ إِشْكَال أَصْلاً وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى السَّيِّد فَريد
فِي الحَثِّ عَلى تَصْحِيحِ العَقَائد عَلى وَفْقِ آرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ
وَتَعَلمِ الأَحْكَامِ الفقْهيَّة
وَالشِّكَايَةِ منْ غُرْبَةِ الإِسْلاَمِ
وَالإِغْرَاءِ عَلى تَرْوِيجِه وَتَأْيِيدِه

كَانَ اللهُ نَاصِرَكُمْ وَمُعِينَكُمْ عَلى كُلِ مَا يَعِيبُكُمْ وَيَشِينُكُمْ أَعْلى، إنَّ أَوَّل الضَّرُورِيَّات الوَاجِبَة عَلى أَرْبَاب التَّكْليف تَصْحِيحُ العَقَائد عَلى وَفْق آرَاء عُلمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهمْ فَإنَّ النَّجَاةَ الأُخْرَوِيَّةَ مَرْبُوطَةٌ باتِّبَاعِ آرَاءِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ فَإنَّهُمْ عَلى طَرِيقِ النَّبِيِّ وَطَرِيقِ أَصْحَابِه صَلَوَاتُ اللهِ وتسليماتُه عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَالمُعْتَبَرُ منَ العُلوم المُسْتَفَادَة منَ الكِتَاب وَالسُّنَّة هُوَ مَا أَخَذَهُ وَاسْتَنْبَطَهُ منْهُمَا هَؤُلاَءِ الأَكَابِرُ فَإنَّ كُل مُبْتَدِعٍ وَضَال يَأْخُذُ عَقِيدَتَهُ الفَاسِدَةَ منَ الكِتَاب وَالسُّنَّة بزَعْمه الفَاسد فَلاَ يَكُونُ كُل مَعْنًى مَفْهُومٍ منْ مَعَانِي الكِتَاب وَالسُّنَّة مُعْتَبَرًا وَرِسَالَةُ الإِمَامِ الأَجَل التَّوْرشتِي مُنَاسِبَةٌ جِدًّا لأَجْل تَصْحِيحِ العَقَائد وَأَقْرَبُ إلى الفَهْمِ وَلكنْ حَيْثُ إنَّ الرِّسَالَةَ المَذْكُورَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلى الاستدلالات مَعَ التَّطْوِيل وَالبَسْط يَعْسُرُ الأَخْذُ عَنْهَا فَلوْ كَانَتْ رِسَالَةُ غَيْرِهَا مُتَضَمِّنَةً للمَسَائل الصِّرْفَة لكَانَ أَوْلى وَأَنْسَبَ وَقَدْ وَقَعَ في خاطري أَيْضًا في هَذه الأَثْنَاء أَنْ أَكْتُبَ في هَذه الرِّسَالة مُتَضَمِّنَةً لعَقَائد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَتَكُونُ سَهْلَةَ المَأْخَذ فَإنْ تَيَسَّرَ ذَلكَ نُرْسلهَا إلى الخدْمَة بَعْدَ كَتَابَتهَا وَبَعْدَ تَصْحِيحِ هَذه العَقَائد لاَ بُدَّ منْ تَعَلمٍ عَلى الحَلال وَالحَرَام وَالفَرْض وَالوَاجب وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوب وَالمَكْرُوه وَغَيْرِهَا ممَّا تَكَفَّل به علمُ الفقْه.

وَالعَمَل بمُقْتَضَى هَذَا العلم أَيْضًا ضَرُوريٌّ فَيَنْبَغي أَمْرُ بَعْض الطَّلَبَة بقرَاءَة بَعْض كُتُب الفقْه بعبَارَة فَارسيَّة مثْل مَجْمُوعَة الخانى وَعُمْدَة الإِسْلاَم فَإنْ وَقَعَ عياذًا باللهِ سُبْحَانَهُ خَلَل عَلى مَسْأَلَة منَ المَسَائل الاعْتقَاديَّة الضَّرُورِيَّة فَقَدْ تَحَقَّقَ الحرْمَانُ منَ النَّجَاة الأُخْرَوِيَّة بخلاَف العَمَليَّات فَإنَّهَا إذَا وَقَعَتْ المُسَاهَلَةُ فيهَا يُرْجَى العَفْوُ وَالتَّجَاوُزُ عَنَّا وَلوْ بلاَ تَوْبَة وَلَئنْ أُخذَ بهَا وَإنَّ النَّجَاةَ مُتَحَقِّقَةٌ في آخر الأَمْر فَعُمْدَةُ

الأَمْرِ تَصْحِيحُ العَقَائِد وَنُقِل عَنْ حَضْرَة الخواجهْ أَحْرَار – قُدِّسَ سِرُّهُ – أَنَّهُ قَال: لوْ أُعْطِينَا الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدَ كُلهَا وَ لَمْ تَكُنْ حَقِيقَتُنَا مُحَلاَّةً وَمُتَزَيِّنَةً بِعَقَائِد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة لاَ نَعْتَقِدُ تلكَ الأَحْوَال شَيْئًا غَيْرَ الخذْلاَن وَلئِنْ اجْتَمَعَ فِينَا القُصُورُ وَالنُّقْصَانُ وَحَقِيقَتُنَا مُسْتَقِيمَةٌ عَلى عَقَائِد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة لاَ نَرَى بَأْسًا فِي ذَلكَ ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى طَرِيقَتِهِمُ المُرْضِيَة بِحُرْمَة سَيِّد البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَقَدْ قَدِمَ وَاحِدٌ مِنَ الدَّرَاوِيش مِنْ طَرَف هور وَقَال: إِنَّ الشَّيْخَ جيو كَانَ قَدْ حَضَرَ فِي مَسْجِد النَّخَّاس القَدِيم لِصَلاَة الجُمْعَة فَقَال مَيَّانُ رَفِيعُ الدِّين بَعْدَ التفَات الشَّيْخ إِلَيْه: إِنَّ نُوَّابَ الشَّيْخ جيو قَدْ بَنَى مَسْجِدًا جَامِعًا فِي قُرْب بَيْته الحَمْدُ للهِ عَلى ذَلكَ رَزَقَه اللهُ سُبْحَانَهُ مَزِيدَ التَّوْفِيق وَسَمَاعُ أَمْثَال هَذه الأَخْبَار السَّارَّة يَكُونُ بَاعِثًا عَلى حُصُول غَايَة السُّرُور وَنِهَايَة الابْتِهَاج أَيُّهَا السَّيِّدُ إِنَّ الإِسْلاَمَ غَرِيبٌ فِي هَذَا الزَّمَان جِدًّا فَصَرْفُ فَلس وَاحِد فِي تَقْوِيَة الإِسْلاَم فِي هَذَا الزَّمَان يُسَاوِي صَرْفَ أَلـــوف مـــ

الدِّرْهَم وَالدِّينَار فَيَا سَعَادَةَ مَنْ تَشَرَّفَ بِهَذه الدَّوْلَة العُظْمَى وَتَرْوِيجُ الدِّين وَتَقْوِيَةُ الملة وَإِنْ كَانَ حَسَنًا وَمَرْغُوبًا فيه فِي جَمِيع الأَوْقَات مِنْ جَمِيع الأَشْخَاص وَلكِنَّ صُدُورَهُ فِي هَذَا الوَقْت الذي هُوَ أَوَانُ غُرْبَة الإِسْلاَم مِنْ أَمْثَالكُمْ أَصْحَابَ المُرُوءَة وَالهمَّة وَالفُتُوَّة وَأَهْل بَيْت النُّبُوَّة أَحْسَنُ وَأَجْمَل فَإِنَّ هَذه الدَّوْلَةَ مُنْتَشِرَةٌ مِنْ طَائِفَتكُمْ العَلِيَّة فهى ذَاتِيَّةٌ فِيكُمْ وَعَرَضِيَّةٌ فِي غَيْرِكُمْ وَحَقِيقَةُ الوِرَاثَة النَّبَوِيَّة عَلَيْه وعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِنَّمَا هِيَ فِي تَحْصِيل هَذَا الأَمْر العَظِيم القَدْر قَال النَّبِيُّ ﷺ للأَصْحَاب:"إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِه هَلكَ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِل بِعُشْرِ مَا أُمِرَ به نَجَا"

وَهَذَا هُوَ ذَلكَ الوَقْتُ وَهَذَا القَوْمُ هُوَ ذَلكَ القَوْمُ شعْرٌ.

هَلمُّوا أَيُّهَا الأَبْطَال نَحْوَ الـــ ـــغَنَائِم مَا لَهَا أَصْلاً مُدَافِعُ

وَقَدْ حَسُنَ قَتْل الكَافِر اللعين كوبنددال فِي هَذَا الوَقْت وَكَانَ هَذَا الفعْل بَاعِثًا عَلى كَسْر عَظِيم فِي الهِنْد المَرْدُودَة بَأَيِّ نِيَّة كَانَ قَتْله وَبَأَيِّ غَرَض كَانَ إِهْلاَكُه فَإِنَّ مَذَلَّةَ الكُفَّار نَقْدُ وَقْت أَهْل الإِسْلاَم وَقَدْ رَأَى هَذَا الفَقِيرُ فِي المَنَام قَبْل قَتْل ذَلكَ الكَافِر أَنَّ سُلطَانَ الوَقْت قَدْ كَسَرَ رَأْسَ رَئِيس أَهْل الشِّرْك وَالحَقُّ أَنَّ ذَلكَ الكَافِرَ كَانَ رَئِيسَ أَهْل الشِّرْك وَإِمَامَ أَهْل الكُفْر خَذَلهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ

- عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - عَلى أَهْلِ الشِّرْكِ في بَعْضِ أَدْعِيَتِه بِهَذِه العِبَارَةِ اللهُمَّ شَتِّتْ شَمْلَهُمْ وَفَرِّقْ جَمْعَهُمْ وَخَرِّبْ بُنْيَانَهُمْ وَخُذْهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

وَعِزَّةُ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِه إِنَّمَا هِيَ فِي مَذَلَّةِ الكُفْرِ وَأَهْلِه وَالمَقْصُودُ مِنْ أَخْذِ الجِزْيَةِ هُوَ إِذْلاَلُ الكُفَّارِ وَإِهَانَتُهُمْ وَتَحْصُلُ المَذَلَّةُ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ بِقَدْرِ مَا تَحْصُلُ العِزَّةُ لأَهْلِ الكُفْرِ فَيَنْبَغِي حُسْنُ التَّنَبُّهِ عَلى هَذَا الأَمْرِ وَقَدْ ضَيَّعَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ وخَرَّبَ دِينَهُ بِشُؤْمِه وَجَعَلَهُ هَبَاءً مَنْثُورًا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}(١)

فَجِهَادُ الكُفَّارِ وَالغِلْظَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ وَبَقَايَا رُسُومِ الكُفْرِ التِي ظَهَرَتْ فِي القَرْنِ السَّابِقِ تَثْقُلُ عَلى قُلُوبِ المُسْلِمِينَ جِدًّا وَلَمْ يَبْقَ لِسُلْطَانِ الوَقْتِ تَوَجُّهٌ إِلى أَهْلِ الكُفْرِ فِي هَذَا الوَقْتِ فَاللاَّزِمُ لِمَنْ يَقْدِرُ مِنَ المُسْلِمِينَ إِعْلاَمَ السُّلْطَانِ بِقُبْحِ رُسُومِ هَؤُلاَءِ الأَشْرَارِ وَالاجْتِهَادَ فِي دَفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا فَإِنَّ بَقَاءَهَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلى عَدَمِ عِلْمِ السُّلْطَانِ بِقُبْحِهَا وَبِالجُمْلَةِ إِذَا وَجَدْتَ مُسَاعَدَةَ الوَقْتِ يَنْبَغِي إِخْبَارُ بَعْضِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ بِأَنْ يَجِيئُوا وَيَعْلَمُوا بِشَنَاعَةِ رُسُومِ أَهْلِ الكُفْرِ فَإِنَّهُ لاَ حَاجَةَ لِتَبْلِيغِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ إِلى إِظْهَارِ الخَوَارِقِ وَالعَادَاتِ وَالكَرَامَاتِ.

وَالاعْتِذَارُ بِعَدَمِ التَّصَرُّفِ لاَ يُسْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي القُعُودِ عَنْ تَبْلِيغِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَقَدْ بَلَغَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ الذِينَ هُمْ أَفْضَلُ المَوْجُودَاتِ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ فَإِذَا طَلَبُوا مِنْهُمُ المُعْجِزَاتِ وَالآيَاتِ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّمَا الآيَاتُ وَالمُعْجِزَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ البَلاَغُ المُبِينُ وَلَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ يُحْدِثُ فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ أَمْرًا يَكُونُ بَاعِثًا عَلى ظُهُورِ حَقِيقَةِ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ وَعَلى كُلِ حَالٍ الاطِّلاَعُ عَلى حَقِيقَةِ المَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ ضَرُورِيٌّ فَإِنْ وَقَعَ الإِهْمَالُ فِي ذَلِكَ فَالعُهْدَةُ عَلى ذِمَّةِ العُلَمَاءِ وَمُقَرَّبِي السُّلْطَانِ فَإِنْ حَصَلَتْ الأَذِيَّةُ فِي هَذَا القِيلِ وَالقَالِ لِبَعْضِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَعُدَّهَا سَعَادَةً عَظِيمَةً أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَاذَا رَأَوْا مِنَ الأَذِيَّةِ وَكَمْ تَحَمَّلُوا مِنَ المِحْنَةِ حَتَّى قَالَ أَفْضَلُهُمْ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ قَطُّ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ. شِعْرٌ.

عُمْرِي مَضَى وَحَدِيثُ وَجْدِي مَا انْقَضَى وَاللَّيْلُ قَدْ بَلَغَ المَدَى فَاقْنَعْ بِذَا

وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

---

(١) ــ الآية: ٧٣ من سورة التوبة.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى صَدْرِ جِهَان
فِي التَّحْرِيضِ عَلى تَرْوِيجِ الملة وَتَأْيِيدِ الدِّينِ
وَمَا يَتَعَلقُ بِذَلِكَ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَعَافَاكُمْ إنَّ سَمَاعَ أَخْبَارِ تَرْوِيجِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَإِذْلالِ أَعْدَاءِ الملة المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ يُورِثُ الفَرَحَ لِلمُسْلِمِينَ المَغْمُومِينَ وَيُزْفِي نَشَاطَ أَرْوَاحِهِمُ الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ وَالمِنَّةُ عَلى ذَلِكَ والمسئول مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ المَلِكِ القَدِيرِ ازْدِيَادُ هَذَا الأَمْرِ الخَطِيرِ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ البَشِيرِ النَّذِيرِ عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَنَحْنُ عَلى يَقِينٍ بِكَوْنِ كُبَرَاءِ أَهْلِ الإِسْلَامِ مِنَ السَّادَاتِ العظَامِ وَالعُلَمَاءِ الكِرَامِ مُتَصَدِّينَ فِي الخَلَاءِ وَالمَلَاءِ لازْدِيَادِ تَقْوِيَةِ الدِّينِ المُبِينِ وَتَكْمِيلِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَمَاذَا يُظْهِرُ عَدِيمُ الطَّاقَةِ وَفَاقِدُ الاسْتِطَاعَةِ فِي هَذَا البَابِ وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ سُلطَانَ الإِسْلَامِ مِنْ حُسْنِ اسْتِعْدَادِهِ الإِسلامِيِّ طَالِبٌ لِلعُلَمَاءِ وَرَاغِبٌ فِيهِمُ الحَمْدُ لله عَلى ذَلِكَ وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ فَسَادٍ ظَهَرَ فِي القَرْنِ السَّابِقِ كَانَ ذَلِكَ مِنْ شآمةِ عُلَمَاءِ السُّوءِ فَيَنْبَغِي رِعَايَةُ التَّنَبُّعِ التَّامِّ فِي هَذَا البَابِ وَانْتِخَابُ العُلَمَاءِ المُتَدَيِّنِينَ فَإِنَّ عُلَمَاءَ السُّوءِ لِصُوصُ الدِّينِ مَطْلَبُهُمُ الجَاهُ وَالرِّيَاسَةُ وَالمَنْزِلَةُ عِنْدَ الخَلقِ وَالعِيَاذُ بِالله سُبْحَانَهُ مَنْ فِتْنَتِهِمْ نَعَمْ إنَّ أَفْضَلَهُمْ أَفْضَلُ الخَلَائِقِ حَتَّى يُوزَنَ مِدادُهم يَوْمَ القِيَامَةِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَتَرَجَّحُ مِدادُهم شَرُّ النَّاسِ شِرَارُ العُلَمَاءِ وَخَيْرُ النَّاسِ خِيَارُ العُلَمَاءِ وَالمُلْتَمَسُ ثَانِيًا أَنَّ بَعْضَ النِّيَّاتِ قَدْ اضْطَرَّ أَنْ أُوَصِّلَ نَفْسِي إلى العَسْكَرِ وَوَقَعَ التَّوَقُّفُ فِي دهلى بِسَبَبِ دُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ وَبَعْدَ مُضِيِّ هَذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ نَصِلُ إلى خِدْمَةِ الأَعِزَّةِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى المَذْكُورِ أَيْضًا
في الحَثِّ عَلى تَرْوِيجِ الشَّرِيعَة
وَإِظْهَارِ الأَسَفِ عَلى ضَعْفِ الإِسْلَامِ

سَلمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاكُمْ وَحَيْثُ إنَّ إحْسَانَ السَّلَاطِين حَاصلةٌ لكَافَّة الخَلقِ فَبِحُكْمِ جُبلتْ القُلوبُ عَلى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليْهِمْ قُلوبُ الخَلَائق مَائلةٌ إلى جَانب المُحْسنينَ بالضَّرُورَة فَلا جَرَمَ كَانَتْ أَخْلَاقُ السَّلَاطِين وَأَوْضَاعُهمْ سَارِيَةً إلى جَمِيعِ الخَلَائق بوَاسطَة هَذَا الارْتبَاط الحُبِّيِّ عَلى تَفَاوُت دَرَجَات الإحْسَان وَكَأَنَّهُ لذَلكَ قيل النَّاسُ عَلى دين مُلوكهمْ وَأَحْوَال القَرْن السَّابق مصْدَاقُ هَذَا الكَلَام وَلَمَّا وَقَعَ الآنَ الانْقلَابُ في الدُّوَل وَانْكَسَرَتْ سُورَةُ عنَاد أَهْل الملل لزمَ لائمَةَ أَهْل الإسْلَام منَ الصُّدُور العظَام وَالعُلمَاء الكرَام صَرْفُ جَميع الهمَّة في تَرْوِيج الشَّريعَة الغَرَّاء وَتَقْويم أَرْكَان الإسْلَام المُنْهَدمَة وَأَحْكَامهَا في بدَايَة الأَمْر فَإنَّ التَّأْخيرَ ليْسَ فيه خَيْرٌ وَقُلوبُ الغُرَبَاء في غَايَة الاضْطرَاب منْ هَذَا التَّأْخير في هَذَا البَاب وَشَدَائدُ القَرْن السَّابق مُتَمَكِّنَةٌ في قُلوب المُسْلمينَ فَهُمْ خَائفُونَ منْ فَوْت تَلافي ذَلكَ فَتَنْجَرُّ غُرْبَةُ الإسْلَام إلى الطُّول فَإذَا لَمْ يَكُنْ في السَّلَاطين شَوْقُ تَرْويج السُّنَّة السَّنيَّة يَتَسَاهَل مُقَرَّبُوهُمْ في هَذَا البَاب أَيْضًا وَيَعُدُّونَ حَيَاةَ أَيَّام مَعْدُودَة غَنيمَةً يَكُونُ الأَمْرُ ضَيِّقًا عَلى فُقَرَاء أَهْل الإسْلَام وَمُظْلمًا جدًّا إنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ أَنْشَدَ وَاحدٌ منَ الأَعزَّة. شعْرٌ.

ان ه ازمن كم شدة كراز سليمان كم شدى هُمْ سليمان هم رى هم اهر من بكر يستى

آخَرُ.

صُبَّتْ عَليَّ مَصَائبُ لوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلى الأَيَّام صرْنَ لياليا

وَمنْ جُمْلة شَعَائر الإسْلَام تَعْيينُ القُضَاة في بلَاد الإسْلَام وَقَدْ انْمَحَى أَثَرُهُ في القَرْن السَّابق وَبَلدُ سرهند الذي هُوَ أَعْظَمُ بلَاد الإسْلَام وَليْسَ فيه قَاض مُنْذُ سنينَ وَكَانَ آبَاءُ حَامل رَقَميَّة الدُّعَاء القَاضي يُوسُفَ قُضَاةٌ فيه مُنْذُ بنَائه كَمَا هُوَ مَعْلومٌ مَنَّ إسْنَاد السَّلَاطين في يُدَوٍّ وَالمُشَارُ إليْه مُحَلى بالصَّلَاح وَالتَّقْوَى فَفَوَّضُوا هَذَا الأَمْرَ العَظيمَ القَدْر إليْه إنْ عَلمْتُمْ فيه الصَّلَاحَ ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى جَادَّة الشَّريعَة الحَقَّة عَلى مَصْدَرهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحيَّةُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى مَنْصُور عَرَب
فِي بَيَانِ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ الذي نَحْنُ فِي صَدَدِ قَطْعِهِ سَبْعَةُ أَقْدَامٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ

وَرَدَتْ صَحِيفَةُ المَرْحَمَة ورُقَيْمة المَكْرَمَة فِي أَعَزِّ الأَمْكِنَة لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى أَنَّ الخَوَاصَّ لَيْسُوا بفَارِغِينَ مِنْ تَذَكُّرِ العَوَامِّ وَلَمْ يَخْلُ الأَكَابِرُ مِنْ تَفَقُّدِ أَحْوَالِ الأَصَاغِرِ جَزَاكُمْ اللهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاءِ أَيُّهَا المَخْدُومُ (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمَلى حَدِيثُ الأَحِبَّة

إنَّ هَذَا الطَّرِيقَ الذي نَحْنُ فِي صَدَدِ قَطْعِه كُله سَبْعَةُ أَقْدَامٍ قَدَمَان مِنْهَا يَتَعَلقَان بعَالمِ الخَلقِ وَخَمْسَةٌ مِنْهَا تَتَعَلقُ بعَالمِ الأَمْرِ فَإِذَا وَضَعَ السَّالكُ قَدَمَهُ فِي عَالمِ الأَمْرِ يَظْهَرُ فِي أَوَّلِ القَدَمِ التَّجَلي الأَفْعالِيُّ وَفِي القدَمِ الثَّانِي التَّجَلي الصفاتِيُّ وَفِي الثَّالث يَقَعُ الشُّرُوعُ فِي التَّجَلِيَات الذَّاتِيَّة ثُمَّ وَثُمَّ عَلى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَابِهَا كُل ذَلكَ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَة سَيِّد الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَمَا قِيل مِنْ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ خُطْوَتَان فَالمُرَادُ بِهِمَا عَالمُ الأَمْرِ وَعَالمُ الخَلقِ عَلى سَبِيل الإِجْمَال تيسيرًا للأَمْرِ فِي نَظَرِ الطَّالبِينَ وَفِي كُل قَدَمٍ مِنْ هَذِه الأَقْدَامِ يَقَعُ السَّالكُ بَعيدًا عَنْ نَفْسِه وَقَرِيبًا مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَبَعْد طَيِّ هَذِه الأَقْدَامِ يَحْصُلُ الفَنَاءُ الأَتَمُّ الذي يَتَرَتَّبُ عَلَيْه البَقَاءُ الأَكْمَل وَيَحْصُل هَذَا الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ حُصُول الوِلاَيَة المُحَمَّدِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ (ع):

وَهَذِى سَعَادَاتٌ تَكُونُ نَصِيبَ مَنْ

وَأَيُّ مُنَاسَبَة لأَمْثَالنَا الفُقَرَاءِ بِهَذِه الكَلمَات غَيْرَ أَنَّا نَبُل أَفْوَاهَنَا بِزُلال حَال أَهْل الكَمَال وَنُطَيِّبُهَا بِه.

شِعْرٌ.

كرنداريم ازشكر جزنام بَهَرَ اين بسى خوشتركه اندركام زَهْر

غَيْرُه

إِذَا قِسْنَا السَّمَا بِالعَرْشِ يَنْحَطُّ وَمَا أَعْلاَهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضِ

وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخِرًا.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إلى بَهْلوَانَ مُحَمَّد
في مَدْحِ مَنْ تَبَرَّدَ قَلبُهُ مِنَ الدُّنْيَا
وَتَأَثَّرَ مِنْ مَحَبَّةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ إلخ

ثَبَّتَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلى جَادَّةِ الشَّرِيعَةِ اعْلَمْ أَنَّ السَّعِيدَ مَنْ تَبَرَّدَ قَلبُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَتَأَثَّرَ مِنْ حَرَارَةِ مَحَبَّةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَمَحَبَّةُ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِ خَطِيئَةٍ وَتَرْكُهَا رَأْسُ جَمِيعِ العِبَادَاتِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا وَاتَّسَمَتْ هِيَ وَأَهْلَهَا بِسِمَةِ الطَّرْدِ وَاللعْنِ كَمَا وَرَدَ فِي الخَبَرِ الدُّنْيَا مَلعُونَةٌ وَمَلعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ مَا فِيه ذِكْرُ اللهِ تَعَالى وَحَيْثُ كَانَ الذَّاكِرُونَ بَلْ كُلِ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِم مَمْلوئِينَ بِذِكْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كَانُوا خَارِجِينَ مِنْ هَذَا الوَعِيدِ وَهُمْ لَيْسُوا فِي عِدَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الدُّنْيَا هِيَ التِي تَمْنَعُ القَلبَ عَنِ الاشْتِغَالِ بِذِكْرِ الحَقِّ وَتَشْغَلُهُ بِغَيْرِهِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ أَمْوَالاً وَأَسْبَابًا أَوْ جَاهًا وَرِيَاسَةً أَوْ عَارًا وَحَمِيَّةً فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلى عَنْ ذِكْرِنَا نَصٌّ قَاعِدٌ فِي ذَلِكَ وَكَمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ بَلاَءُ الرُّوحِ وَأَهْلِ الدُّنْيَا فِي تَفْرِقَةٍ وَظُلمَةٍ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ دَائِمًا وَفِي الآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ النَّدَامَةِ وَالحَسْرَةِ وَحَقِيقَةُ تَرْكِهَا عِبَارَةٌ عَنْ تَرْكِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَتَرْكُ الرَّغْبَةِ فِيهَا إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ إِذَا كَانَ وُجُودُهَا وَعَدَمُهَا مُتَسَاوِيَيْنِ وَحُصُولُ هَذَا المَعْنَى بِدُونِ صُحْبَةِ أَرْبَابِ الجَمْعِيَّةِ مُتَعَسِّرٌ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ صُحْبَةُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ يَنْبَغِي أَنْ تَعُدَّهَا غَنِيمَةً وَأَنْ تَصْرِفَ الهِمَّةَ وَالعِنَايَةَ إِلَيْهَا وَصُحْبَةُ الشَّيْخِ مَيَّانَ مُزَمِّلٍ وَإِنْ كَانَتْ غَنِيمَةً لَكُمْ فَإِنَّهُ وَأَمْثَالَه مِنَ الأَعِزَّةِ العَزِيزِي الوُجُودِ أَعَزُّ مِنَ الكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ وَلَكِنْ شِيمَةُ أَهْلِ الكَرَمِ الإِيثَارُ يَعْنِي تَقْدِيمَ حَاجَةِ الغَيْرِ عَلى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ فَإِنْ أَذِنْتُمْ للشَّيْخِ مَيَّانَ مُزَمِّلٍ أَيَّامًا لَكَانَ فِي مَحَلِهِ وَبَعْدَ الفَرَاغِ مِنْ شُغْلِه يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ ثَانِيًا إِنْ شَاءَ اللهُ العَزِيزُ وَالإِخْلاَصُ الغَائِبِيُّ يَنُوبُ مَنَابَ الحُضُورِ فِي حُصُولِ المَأْمُولِ لَكُمْ وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلِكَ تَصْدِيعٌ رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الاسْتِقَامَةَ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَسلِيمَاتِ وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

المَكْتُوب الثَّامنُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَةُ
إلى خَان خَانَان
فِي بَيَانِ أَنَّ المَوَدَّةَ بَيْنَ الفُقَرَاءِ وَالأَغْنِيَاءِ مُتَعَسِّرَة
في هَذَا الزَّمَانِ جِدًّا

كَانَتْ الفُتُوحاتُ المَكِّيَّةُ مفْتَاحًا للفُتُوحَات المَدَنيَّة بحُرْمَة النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ وَصَل المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ المُرْسَل باسْمِ الفُقَرَاءِ فَصَارَ بَاعثًا عَلى زِيَادَة المَحَبَّة بُشْرَى لكُمْ ثُمَّ بُشْرَى لكُمْ أَيُّهَا المَخْدُومُ إنَّ حُصُول المَوَدَّة بَيْنَ الفُقَرَاءِ وَالأَغْنِيَاءِ مُتَعَسِّرٌ جدًّا في هَذَا الزَّمَان فَإنَّ الفُقَرَاءَ لوْ اخْتَارُوا في المُحَاوَرَات سُلوكَ طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَحُسْنِ الخُلقِ اللذَيْنِ هُمَا منْ لوَازِمِ الفَقْرِ لزَعَمَ القَاصرُونَ منْ سُوءِ ظَنِّهمْ بهِمْ أَنَّهُمْ طَامعُونَ مُحْتَاجُونَ فَلاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ يَصيرُونَ بزَعْمهِمْ ذَلكَ مصْدَاقًا خَسرَ الدُّنْيَا وَالآخرَةَ وَيُحْرَمُونَ بَرَكَات هَؤُلاَء الأَكَابرِ وَإنْ اخْتَارُوا سُلوكَ طَرِيقِ الاسْتغْنَاء الذي هُوَ أَيْضًا مَنْ لوزَامِ الفَقْرِ لظَنَّ الناقصونَ منْ سُوءِ خُلقهمْ أَنَّهُمْ مُتَكَبِّرُونَ وَسَيئُوا الأَخْلاَق وَمَا أَدْرَاهُمْ أَنَّ الاسْتغْنَاءَ أَيْضًا منْ لوَازِمِ الفَقْرِ فَإنَّ الجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ قَدْ خَرَجَ منْ حَدِّ الاسْتحَالَة فِي هَذَا المحَال قَال أَبُو سَعيد الخرازُ:

عَرَفْتُ اللهَ تَعَالى بجَمْعِ الأَضْدَاد وَلاَ ضَرَر فِي عَدَمِ تَصْديقِ أَهْلِ النَّظَرِ هَذه المُقَدِّمَة وَعَدِّهُمْ إيَّاهَا مُحَالاً فَإنَّ طَوْرَ الوِلاَيَة وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ العَقْل وباقي الأَحْوَال يَعْرِضُهَا مَوْلاَنَا المير بالتَّفْصيل.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1].

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَةُ
إِلى الملا مُحَمَّد أَمِينَ الكابلي
فِي بَيَانِ قَبُول مَا التَمَسَهُ مِنَ الوَرْدِ

وَرَدَتْ الصَّحِيفَةُ المُنْبِئَةُ عَنْ فَرْط المَحَبَّة وَالإِخْلاَص المُشْعِرَةُ بكَمَال المَوَدَّة وَالاخْتِصَاص فَصَارَتْ مُوجِبَةً للفَرَح عَافَاك اللهُ سُبْحَانَهُ وَقَدْ أَظْهَرْتَ فيهَا طَلَبَ وَرْد مِنَ الأَوْرَاد فَبِنَاءً عَلى ذَلكَ أَرْسَلتُ الأَخَ الأَرْشَدَ مَوْلاَنَا مُحَمَّد صدِّيق ليَعْلَمَ ذكْرَ أَمْنِ أَذْكَارِ هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة فَيَنْبَغِي السَّعْيُ البَليغُ فِي امْتِثَال أَمْرِ به فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مُثْمِرًا للنَّتَائج وَلَمَّا لَمْ يَكْف فِي ذَلكَ مُجَرَّدُ الكتَابَة وَتُوقَّفَ الأَمْرُ عَلى الحُضُورِ فِي الصُّحْبَة كُنْت بَاعِثًا عَلى تَصْدِيعِ الأَخِ المُشَارِ إِلَيْهِ وَالسَّلاَمُ.

اَلْمَكْتُوبُ المُوَفَّى المائَتَيْن
إِلَى المَلاَ شكيبي الأصفهَانيِّ
فِي حَلِّ بَعْضِ عِبَارَاتِ اَلنَّفَحَاتِ
اَلَّتِي طَلَبَ شَرْحَهَا مِنْهُ قَدْ سَرَّهُ

اَلْحَمْدُ للَّه رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِه اَلطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّكُمْ سَأَلْتُمْ أَنْ أَشْرَحَ لَكُمْ بَعْضَ عِبَارَاتِ اَلنَّفَحَاتِ اَلَّذِي فِيه إِغْلاَقٌ فَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ اجْتَرَأْتُ عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ عَيْنَ اَلْقُضَاةِ الهَمْدَانِيَّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - قَالَ فِي بَيَانِ حَالِ جَمَاعَةٍ سَلَكُوا طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ فَبَعْضُهُمْ حَفِظَتْه مغلوبَتُه فِي كَنَفِ حِمَايَتِهَا وَكَانَ اَلسُّكْرُ ظِلاً عَلَى رَأْسِه وَاَلَّذِي كَانَ مِنْهُمْ صَاحِبَ تَمْيِيزٍ قَطَعُوا رَأْسَهُ يَعْنِي أَهْلَكُوهُ المُرَادُ بِالطَّرِيقِ المَسْلُوكِ وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ طَرِيقٌ مَسْلُوكٌ بِطَيِّ المَقَامَاتِ العَشَرَةِ المَشْهُورَةِ بِالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ وَتَزْكِيَةُ اَلنَّفْسِ مُقَدَّمَةٌ فِي هَذَا اَلطَّرِيقِ عَلَى تَصْفِيَةِ القَلْبِ وَالْإِنَابَةُ فِيه شَرْطُ الوِلاَيَةِ وَالْهِدَايَةِ وَالطَّرِيقُ الغَيْرُ المَسْلُوكِ عِبَارَةٌ عَنْ طَرِيقِ الجَذْبَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَطَرِيقُ الاجْتِبَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مَشْرُوطٍ بِالْإِنَابَةِ وَتُقَدَّمَ فِيه اَلتَّصْفِيَةُ عَلَى اَلتَّزْكِيَةِ وَهَذَا اَلطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ المَحْبُوبِينَ وَالْمُرَادِينَ بِخِلاَفِ اَلطَّرِيقِ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ طَرِيقُ المُحِبِّينَ وَالْمُرِيدِينَ وَالْبَعْضُ اَلَّذِي كَانَ لَهُ قُوَّةُ الجَذْبَةِ مِنْهُ وَاسْتِيلاَءُ المَحَبَّةِ اَلَّذِي المغلوبيَّة وَالسُّكْرُ عِبَارَةٌ عَنْهُ بَقِيَ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِّ اَلشَّيَاطِينِ الآفَاقِيَّةِ والأنفسيَّة وَمَصُونًا مِنْ إِغْوَائِهِمْ وإضلالهم فَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَتَّخِذُوا دَلِيلاً لأَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُ اَللَّه - جَلَّ سُلْطَانُهُ - هَادِيًا لَهُمْ إِلَى اَلطَّرِيقِ وَأَوْصَلَهُمْ إِلَى المَطْلُوبِ الْحَقِيقِيِّ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَاحِبَ تَمَيُّزٍ يَعْنِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةُ الجَذْبَةِ وَكَانَ اسْتِيلاَءُ المَحَبَّةِ مَفْقُودًا فِي حَقِّه وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ أَضَلَّتْهُ أَعْدَاءُ الدِّينِ عَنِ اَلطَّرِيقِ وَأَهْلَكُوهُ وَأَذَاقُوهُ شَرْبَةَ المَوْتِ الأَبَدِيِّ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ المَغْلُوبِينَ هَذَانِ اَلشَّخْصَانِ مِنَ التراكمة اَللَّذَيْنِ حَكَى عَنْهُمَا الحُسَيْنُ القَصَّابُ بِرَمْزٍ وَإِشَارَةٍ حَيْثُ قَالَ: كُنْتُ فِي سَفَرٍ مَعَ قَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ فَخَرَجَ اثْنَانِ مِنَ التراكمة مِنْ بَيْنِ القَافِلَةِ وَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ إِلَى آخِرِ القِصَّةِ المُرَادُ بِالطَّرِيقِ اَلَّذِي سَلَكَهُ القَافِلَةُ اَلطَّرِيقُ المَسْلُوكُ اَلَّذِي يَحْصُلُ بِقَطْعِ المَقَامَاتِ العَشَرَةِ المَشْهُورَةِ بِالتَّرْتِيبِ وَالتَّفْصِيلِ فَإِنَّ أَكْثَرَ المَشَايِخِ خُصُوصًا المُتَقَدِّمِينَ

مِنْهُمْ وَصَلُوا إِلَى مَقَاصِدِهِمْ مِنْ هَذَا اَلطَّرِيقِ وَالْمُرَادُ بالطَّرِيقِ الغَيْرِ المَسْلُوكِ اَلَّذِي اخْتَارَهُ هَذَانِ اَلشَّخْصَانِ مِنَ التراكمة وَتَبِعَهُمَا الحُسَيْنُ القَصَّابُ فِي اخْتِيَارِ هَذَا اَلطَّرِيقِ هُوَ طَرِيقُ الجَذْبَةِ وَالْمَحَبَّةِ اَلَّذِي هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الوُصُولِ مِنْ ذَاكَ اَلطَّرِيقِ المَسْلُوكِ المَعْهُودِ وَمُقَدِّمَةُ هَذَا اَلطَّرِيقِ اَلالْتِذَاذُ وَالسُّكُونُ اَلَّذِي هُوَ سَبَبُ الغَيْبَةِ عَنِ الحسِّ وَبَاعِثٌ عَلَى اَلذُّهُولِ عَنِ اَلشُّعُورِ وَكَنَّى عَنْ هَذِهِ الحَالَةِ باللَّيْلِ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الغَيْبَةُ عَنِ الخَلْقِ مُتَضَمِّنَةً لِلْحُضُورِ وَالشُّعُورِ بِالْخَالِقِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَشَارَ إِلَى هَذَا الحُضُورِ وَالشُّعُورُ بِالْبَدْرِ وَهَذَا المَقَامِ يَقْتَضِي بَيَانًا يَنْبَغِي أَنْ يَسْمَعَهُ بِسَمْعِ العُقَلِ اعْلَمْ أَنَّ مُدِيرَ الجَسَدِ هُوَ اَلرُّوحُ وَمُرَبِّي القَالِبِ القَلْبُ وَالْقُوَى الجُسْمَانِيَّةُ مُكْتَسَبَةٌ مِنَ القُوَّةِ اَلرُّوحَانِيَّةِ وَالْحَوَاسُّ القَالَبِيَّةُ مُسْتَفَادَةٌ مِنَ اَلنُّورَانِيَّةِ القَلْبِيَّةِ فَبالضَّرُورَةِ يَتَطَرَّقُ الفُتُورُ فِي مُبَادِي الحَالِ اَلَّتِي هِيَ أَوَانُ اَلنَّقْصِ وَالضَّعْفِ إِلَى تَدْبِيرِ الجَسَدِ وَتَرْبِيَةِ القَالَبِ حِينَ تَوَجَّهَ القَلْبُ وَالرُّوحُ إِلَى جَنَابِ قُدْسِ الحَقِّ جَلَّ شَأْنُهُ اَلَّذِي هُوَ لَازِمُ طَرِيقِ الجَذْبَةِ فَيَكُونُ ذَلِكَ الفُتُورُ سَبَبًا لِتَعَطُّلِ الحسِّ وَالذُّهُولِ عَنِ الإِحْسَاسِ وَيُفْضِي إِلَى ضَعْفِ القُوَى وَالْجَوَارِحِ وَالسُّقُوطِ عَلَى الأَرْضِ بلاَ اخْتِيَارٍ وَعَبَّرَ اَلشَّيْخُ الأَجَلُّ مُحْيِي اَلدِّينِ بْنُ عَرَبِيٌّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - فِي الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ عَنْ هَذِهِ الحَالَةِ بالسَّمَاعِ الروحيِّ وَقَالَ للسَّمَاعِ اَلَّذِي يَكُونُ بالرَّقْصِ وَالْحَرَكَةِ اَلدَّوْرِيَّةِ سَمَاعًا جَسَدِيًّا وَبَالَغَ فِي المَنْعِ مِنْهُ فَتَحَقَّقَ مِنْ هَذَا البَيَانِ أَنَّ هَذِهِ الغَيْبَةَ اَلصُّورِيَّةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْحُضُورِ المعنويِّ وَذَاكَ اَلذُّهُولَ الروحيُّ مُشْتَمِلٌ عَلَى اَلشُّعُورِ الروحيِّ اَلَّذِي يُنَاسِبُهُ اَلتَّعْبِيرُ عَنْهُ بالْبَدْرِ وَلْنَرْجِعْ إِلَى أَصْلِ الكَلاَمِ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ اسْتِتَارَ وَجْهِ البَدْرِ بالْغَيْمِ الأَسْوَدِ كِنَايَةٌ عَنْ ظُهُورِ اَلصِّفَاتِ البَشَرِيَّةِ اَلَّتِي يَحْصُلُ الحُضُورُ وَالشُّعُورُ لِلْمُبْتَدِئِينَ باسْتِتَارِهَا وَهَذَا اَلاسْتِتَارُ يَمْتَدُّ إِلَى أَوَاسِطِ الأَحْوَالِ فَإِنَّ المُتَوَسِّطِينَ لَيْسَ لَهُمْ هَذَا اَلاسْتِتَارُ وَإِنْ لَمْ يَخْلُ عَنْ نَحْوٍ مِنَ اَلاسْتِتَارِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَنَّهُ لِهَذَا المَعْنَى قَالَ وَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اَللَّيْلِ ظَهَرَ البَدْرُ مِنَ الغَيْمِ ثانيًا فَوَجَدْتُ أَثَرَ قَدَمِ هَذَيْنِ اَلشَّخْصَيْنِ فَإِنَّ اَلطَّرِيقَ يَتَّضِحُ حَالَةَ البَسْطِ اَلَّتِي هِيَ أَوَانُ الحُضُورِ وَالشُّعُورِ وَيَكُونُ قَطْعُ المَسَافَةِ أَزْيَدَ وَلَمَّا طَلَعَ الفَجْرُ يَعْنِي زَالَتْ تِلْكَ الغَيْبَةُ وَالذُّهُولُ وَقُوَى ذَلِكَ الحُضُورِ وَالشُّعُورِ وَاجْتَمَعَ مَعَ اَلتَّوَجُّهِ إِلَى الخَلْقِ وَكَنَّى عَنْ هَذَا الحُضُورِ بطُلُوعِ اَلشَّمْسِ. وَالْجَبَلُ عِبَارَةٌ عَنْ وُجُودِ البَشَرِيَّةِ اَلَّذِي ظَهَرَ لَهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ فَإِنَّ تَزْكِيَةَ اَلنَّفْسِ إِنَّمَا هِيَ بَعْدَ تَصْفِيَةِ القَلْبِ فِي هَذَا اَلطَّرِيقِ وَلَمَّا كَانَتْ بِهَذَيْنِ اَلشَّخْصَيْنِ مِنَ

التراكمة قُوَّةُ الجَذْب وَاسْتِيلاَء المَحَبَّة فَلاَ جَرَمَ وَضَعَا أَقْدَامَهُمَا عَلَى ذُرْوَة الجَبَل بالسُّرْعَة وَالسُّهُولَة وَطَلَعَا فَوْقَهُ في سَاعَة وَاحدَة وَتَشَرَّفا بنَحْو مِنَ الفَنَا وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ لحُسَيْن القَصَّاب هذه القُوَّةُ طَلَعَ فَوْقَ ذَلكَ الجَبَل بمحْنَة كَثيرَة وَهَذَا أَيْضًا إِنْ تَيَسَّرَ لَهُ ببَرَكَة مُتَابَعَته لهَذَيْن الشَّخْصَيْن وَإِلاَّ لقطعَ رَأْسَهُ وَالْمُعَسْكَرُ عبَارَةٌ عَن الأَعْيَان الثَّابتَة الَّتي هيَ جَامعَةٌ لتعيُّنات الحَقَائق الإِمْكَانيَّة وَالتَّعَيُّنُ الوجُوبيُّ وَالْخَيَّامُ الغَيْرُ المُتَنَاهيَة كنَايَةٌ عَنْ تلْكَ التعينات وَالْخَيْمَةُ الكَبيرَةُ فيمَا بَيْنَهُمَا إِشَارَةٌ إِلَى التَّعَيُّن العلميِّ الوجوبيِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَلذَا قيلَ لَهُ إِنَّهَا خَيْمَةٌ سُلْطَانيَّةٌ وَلَمَّا سَمعَ الحُسَيْنُ القَصَّابُ أَنَّهَا خَيْمَةٌ سُلْطَانيَّةٌ تَخَيَّلَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ المَطْلَبَ فَأَرَادَ أَنْ يَنْزلَ منْ مَرْكَب السُّكْر الَّذي لاَ يَتَيَسَّرُ قَطْعُ مَسَافَة هَذَا الطَّريق بدُون مَدَده وَرَامَ أَنْ يَسْتَريحَ بالْوُصُول إِلَى المَطْلُوب وَلَمَّا أَخْرَجَ رجْلَه اليُمْنَى الَّتي هيَ عبَارَةٌ عَن الرُّوح فَإِنَّ السَّيْرَ إِنَّمَا يَكُونُ في هَذَا الطَّريق الغَيْر المَسْلُوك بقدَم الرُّوح وَالْقَلْب لاَ بقَدَم العلْم وَالْعَمَل فَإِنَّهُ مُنَاسبٌ للطَّرْق المَسْلُوك وَأَوَّلُ شَيْء يَنْزلُ منْ مَرْكَب السُّكْر هُوَ الرُّوحُ ثُمَّ بَعْدَهُ القَلْبُ الَّذي عَبَّرَ عَنْهُ بالرِّجْل اليُسْرَى منَ الرِّكَاب وَصَلَ خطَابٌ الهامي إِلَى سَمْع قَلْبه أَنَّ السُّلْطَانَ لَيْسَ في الخَيْمَة وَالْحَقُّ أَنَّهُ كَذَلكَ وَلَكنْ لَمَّا لَمْ تَكُنْ في الحُسَيْن القَصَّاب قُوَّةُ الجَذْب نَزَلَ منَ السُّكْر ببشَارَة قَليلَة وَأَمَّا هَذَانَ الشَّخْصَان فَإِنَّهُمَا لَمَّا كَانَ بهمَا جَذْبٌ قَويٌّ لَمْ يَغْتَرَّا بأَمْثَال هَذه المُبَشِّرَات بَلْ طَلَعَا الفَوْقَ مثْلَ الشُّجْعَان فَإِنْ انْتَظَرَ الحُسَيْنُ القَصَّابُ هُنَالكَ أَلْفَ سَنَة مَثَلاً لَمَا وَجَدَ السُّلْطَانَ فيَ الخَيْمَة أَصْلاً فَإِنَّهُ تَعَالَى وَرَاءَ الوَرَاء قَوْله بَلْ هُوَ قَعَدَ يَصْطَادُ يَعْني قَعَدَ عَلَى المُجَالَى وَالْمَظَاهر الجَميلَة وَشَرَعَ في صَيْد قُلُوب العُشَّاق وَهَذَا النِّدَاءُ المُتَضَمِّنُ لهَذَا المَعْنَى إِنَّمَا كَانَ عَلَى مقْدَار اسْتعْدَاد الحُسَيْن القَصَّاب وَحَوْصَلَة فَهْمه وَدرَايَته تَكَلَّمُوا مَعَهُ بطَريق التَّنَزُّل وَإِلاَّ فَلاَ مَعْنَى للْقُعُود فيمَا فيه هُوَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. شعْرٌ.

وَكَمْ منْ سَائر سَارُوا وَطَارُوا فَعَادُوا صفْرَ جَيْب وَالْيَدَيْن

وَيَخْطُرُ عَلَى الخَاطر الفَاتر منْ هَذه العبَارَة مَعْنًى آخَرُ مُنَاسبٌ لمَقَام التَّفَرُّد وَالْكبْرِيَاء وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا المَعْنَى أَيْضًا لاَئقًا لجَنَاب قُدْسه - جَلَّ سُلْطَانُهُ - وَلَكنَّهُ أَوْلَى وَأَنْسَبُ منَ المَعَاني الأُخَر وَهُوَ أَنَّهُ قَعَدَ عَلَى الوَحْدَة الَّتي هيَ التَّعَيُّنُ الأَوَّلُ وَفَوْقَ مَرْتَبَة الواحديَّة وَلَمَّا كَانَ في مَرْتَبَة الوَحْدَة اضْمحْلاَلُ التعينات العلْميَّة وَالْعَيْنيَّة وَاسْتهْلاَكُهَا وَالاصْطيَادُ سَبَبٌ لهَلاَك الوُحُوش وَالطُّيُور قيلَ شَرَعَ في

اَلاصْطِيَاد لمُنَاسَبَته لهَذَا المَقَام وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ مَعْشُوق الطُّوسِيُّ وَالْأَمِيرُ عُبُورٌ وَصَلا إِلَى مَحَلِّ اصْطِيَاد اَلسُّلْطَان وَصَارَا مِنْ صَيْده وَأَمَّا المَعْشُوقُ الطوسِيُّ فَهُوَ أَقْدَمُ وَأَقْرَبُ وَبَقِيَ الحُسَيْنُ اَلقصَّابُ فِي خَيْمَة الواحديَّة رَجَاءَ أَنْ يَرْجِعَ اَلسُّلْطَانُ إِلَيْهَا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة المُرَاد وَمَا فيه مِنَ اَلصَّوَاب وَالسَّدَاد أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ أَكَابِرَ اَلطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اَللَّهُ أَسْرَارَهُمُ اخْتَارُوا هَذَا اَلطَّرِيقَ الغَيْرَ المَسْلُوك وَصَارَ هَذَا اَلطَّرِيقُ عِنْدَهُمْ طَرِيقًا مَسْلُوكًا مَعْهُودًا وَهُمْ يُوصِلُونَ خَلْقَ العَالَمِ مِنْ هَذَا اَلطَّرِيقِ إِلَى المَطْلُوب بالتَّوَجُّه.

وَالتَّصَرُّفُ وَالْوُصُولُ لاَزِمٌ لهَذَا اَلطَّرِيق إِذَا رَعَى فيه آدَابَ اَلشَّيْخِ المُقْتَدَى به وَالشَّيْخُ وَالشَّابُّ مُتَسَاوِيَان فِي هَذَا اَلطَّرِيق فِي الوُصُول وَالنِّسْوَانُ وَالصِّبْيَانُ مُتَسَاهِمَان فيه بَلْ المَوْتَى رَاجُونَ مِنْ هَذه اَلدَّوْلَة قَالَ حَضْرَةُ الْخواجهْ بَهَاءُ اَلدِّين النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: طَلَبْتُ مِنَ اَلحَقِّ سُبْحَانَهُ طَرِيقًا يَكُونُ مُوَصِّلاً أَبْتَةَ وَأَنْشُدُ اَلشَّيْخُ عَلاَءُ اَلدِّين العَطَّارُ - قُدِّسَ سِرُّهُ - اَلَّذِي هُوَ أَوَّلُ خُلَفَائه فِي هَذَا المَعْنَى. شعْرٌ

لَوْمَا خَشيتُ مَلاَلَ قَلْب الخَازن لَفَتَحْتُ أَقْفَالَ العَوَالِمِ كُلِّهَا

ثَبَّتَنَا اَللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى طَرِيقَة هَؤُلاَء الأكابِر وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالمائتَان
إلى كوك بيكْ الحصاري
في جَوَابِ اسْتِفْسَارِه

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَل جَنَابُ كوجك بيكْ الحصاري أَنَّ شَخْصًا يَقُول: إنَّ جَميعَ العُلوم مُنْدَرِجَةٌ في حَرْفَيْن أَوْ ثَلاَثَة أَحْرُف فَهَل يَكُونُ هَذَا الكَلاَمُ صَادقًا أَمْ لاَ فَنَقُول في الجَوَاب الظَّاهر إنَّ هَذَا الشَّخْصَ إنَّمَا قَال هَذَا الكَلاَمَ عَلى وَجْه العلم وَالسَّمَاع وَمُطَالعَة الكُتُب وَقَدْ صَدَرَ أَمْثَال هَذا الكَلاَم منَ السَّلف قَال أَميرُ المُؤْمنينَ عَليٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ إنَّ جَميعَ العُلوم مُنْدَرِجَةٌ في بَاء بِسْم الله بَل في نُقْطَة بَائه فَإنْ ادَّعَى هَذَا الشَّخْصُ الكَشْفَ في هَذَا الكَلاَم لاَ يَخْلو حَاله منْ أَحَد الأمرين فَإنْ قَال إنَّهُ قَدْ انْكَشَفَ لي أَنَّ جَميعَ العُلوم مُنْدَرِجَةٌ في حَرْفَيْن أَوْ ثَلاَثَة أَحْرُف أَعَمَّ منْ أَنْ تَكُونَ تلكَ العُلومُ المُنْدَرِجَةُ فيهمَا أَوْ فيهَا عُلومُ نَفْسه أَوْ غَيْره يَحْتَمل الصِّدْقَ وَإنْ قَال قَدْ انْكَشَفَ لي جَميعُ العُلوم وَأَنَا أُطَالعُهَا في صَفْحَة حَرْفَيْن أَوْ ثَلاَثَة أَحْرُف فَهُوَ مُدَّعٍ كَذَّابٌ لاَ يَنْبَغي تَصْديقُ كَلاَمه.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التسليمات.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالمائتَان

إلى المَرْزَا فَتْح الله الحَكيم

في ذَمِّ جَمَاعَة دَخَلوا في الطَّرِيقَة ثُمَّ خَرَجُوا منْهَا بلاَ مُوجب

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى الطَّرِيقَة المُسْتَقيمَة المُرْضيَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ جَرَى يَوْمًا كَلاَمٌ في غَيْرَة المَشَايخ النَّقْشَبَنْديَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمُ السَّنيَّةَ وَذُكرَ في أَثْنَاء ذَلكَ الكَلاَم أَنَّهُ كَيْفَ يَكُونُ حَال جَمَاعَة انْسَلكُوا في سلك إرَادَة هَؤُلاَء الأَكَابر وَجَعَلوا أَنْفُسَهمْ تَابعينَ لَهُمْ وَقَبْلهُمْ هَؤُلاَء الأَكَابرُ ثُمَّ انْقَطَعُوا عَنْ هَؤُلاَء الأَكَابر بَعْدَ ذَلكَ وَتَرَكُوا صُحْبَتَهُمْ منْ غَيْر سَبَب مُوجب لذَلكَ فيمَا هُنَالكَ وَتَشَبَّثُوا بأَذْيَال الآخَرينَ بالظَّنِّ وَالتَّخْمين وَذُكرَ في ضمْن ذَلكَ اسْمُكُمْ وَاسْمُ قَاضي سَنَام وَلاَ أَدْري امْتَدَّتْ هَذه المُذَاكَرَةُ إلى لَمْحَة أَوَّلاً وَمَعَ ذَلكَ كَانَتْ تلكَ المُذَاكَرَةُ مَبْنيَّةً عَلى سَبَب وَسيَاق كَلاَم وَبَعْدَ ذَلكَ لاَ يُقَدِّرُ اللهُ سُبْحَانَهُ إرَادَةَ الفَقير أَذيَّةَ مُسْلم أَوْ أَنْ يَحْقدَ عَلَيْه في قَلبه فَلْيَطبْ خَاطرُكُمْ الشَّريفُ منْ هَذه الجهَة وَقَدْ صَارَ مَعْلومًا لكُمْ أَنَّ طَريقَنَا لَيْسَ طَريقَ دَعْوَة الأَسْمَاء بَل اخْتَارَ أَكَابرُ هَذه الطَّريقَةَ الاسْتهْلاَكَ في مُسَميّ هَذه الأَسْمَاء ابْتدَاءَ تَوَجُّههمْ إلى الأُحَديَّة الصِّرْفَة لاَ يَطْلُبُونَ شَيْئًا منَ الاسْم وَالصِّفَات غَيْرَ الذَّات فَلاَ جَرَمَ انْدَرَجَ نهَايَةُ غَيْرهمْ في بدَايَتهمْ، (ع):

وَقسْ مَنْ حَال بُستاني ربيعي

وَلَمَّا عَرَضْتُ الآنَ لتلكَ المُذَاكَرَة بسَبَب تَعَدُّد النُّقُول وَتَدَاوُل الأيدي هَيْئَةً أُخْرَى وَصَارَتْ بحَيْثُ يَنْشَأُ منْ ذَلكَ الجَانب توهماتٌ أُخَرُ أَقْدَمْتُ عَلى تَحْرير كَلمَات لدَفْع ذَلكَ التَّوَهُّم.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ يَزيدُ لنَا منْ مَوَدَّتكُمْ وَلاَ يَنْقُصُ عَنَّا شَيْءٌ منْ عَدَم مَوَدَّتكُمْ وَإِنَّمَا المَلحُوظُ وَالمَنْظُورُ إرَادَةُ الخَيْر لكُمْ وَلكنَّ الراضيَ بالضَّرَر لاَ يَسْتَحقُّ النَّظَرَ مَثَل مَشْهُورٌ وَتَيَقَّنَ أَنَّ الفَقيرَ لَمْ يُرِدْ ضَرَرَكُمْ وَلاَ يُريدُهُ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَكَانَ ذَلكَ كَلاَمٌ عَلى طَريق الغَيْرَة التي تَكُونُ للدَّرَاويش وَقيل مَا قيل بمُنَاسَبَة سيَاق كَلاَم فَلاَ يَثْقُل عَلى خَاطرِكُمْ وَاعْلَمْ ثَانيًا أَنَّ حَال شَخْص يَرَى نَفْسَه أَفْضَل منْ أَبي بَكْر الصِّدِّيق لاَ يَخْلو عَنْ أَحَد الأَمْرَيْن أَمَّا زنْديقٌ مَحْضٌ أَوْ جَاهل صرْفٌ وَقَدْ كَتَبَ لكُمْ هَذَا الفَقيرُ قَبْل هَذَا بسنينَ مَكْتُوبًا في بَيَان الفرْقَة النَّاجيَة الذينَ هُمْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَالعَجَبُ منْ تجويزكم أَمْثَال هَذه الكَلمَات بَعْدَ مُطَالَعَة ذَلكَ

المَكْتُوب فَإِذَا كَانَ مَنْ يَقُولُ بِأَفْضَلِيَّةِ عَلِيّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَلَى أَبِي بَكْر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَارِجًا مِنْ دَائِرَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ رَأَى نَفْسه أَفْضَلَ مِن الصِّديق وَمِنَ المُقَرَّرِ عِنْدَ هَؤلاَءِ القَوْم أَنَّ السَّالِكَ لَوْ رَأَى نَفْسَه أَفْضَلَ مِنَ الكِلاَبِ وَالذُّبَابِ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ كَمَالاَتِ هَؤلاَءِ الأَكَابِرِ وَقَد انْعَقَدَ إِجْمَاعُ السَّلَف عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الصِّديق عَلى جَمِيعِ البَشَرِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِم أَفْضَلُ الصَّلاَة وَالسَّلاَم فَمَا أَشَدّ حَمَاقَة مَنْ يَتَوَهَّم خَرْق هَذَا الإِجْمَاع وَكَتب هَذَا الفَقِير فِي كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ أَنَّ الوَحْشِي قَاتَلَ حَمْزَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ الذِي نَالَ صُحْبَةَ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم مَرَّة وَاحِدَة أَفْضَل مِنْ أُوَيْس القَرَنِي الذِي هوَ خَيْر التَّابِعِين فَتَخَيَّل أَمْثَالَ هذِهِ الخَيَالاَت فِي حَقّ مِثْل هذَا الشَّخْص بَعِيد عَنِ العَقْلِ السَّلِيم يَنْبَغِي أَن تَرْجع إِلى العِبَارَةِ التِي اخْتَرَع النَّاس هَذَا التَّوَهُّم مِنْهَا تطلِع عَلَى حَقِيقَةِ المُعَامَلَةِ وَأَيّ مُنَاسَبة فِي التَّقْلِيدِ المُجَرَّدِ لأَرْبَابِ الحَسَدِ مَعَ أَنَّ المَشَائِخَ صَدَرَ عَنْهُمْ وَقْتَ غَلَبَةِ السُّكْرِ كَلِمَات غَيْرِ مُنَاسِبَة مِثْلَ قَوْلِ أَبِي يَزِيد البسْطَامِي لِوائي أَرْفَع مِنْ لِوَاء مُحَمَّد وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَذْهَب الوَهْمُ مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ إِلى دَعْوَى الأَفْضَلِيَّةِ فَإِنَّها زَنْدَقَة حَاشَا وَكَلاَّ أَنْ يذْكر أَمْثَال هَذا فِي عِبَارَة الفَقِيرِ والسَّلاَم.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالمائتان
إلى الملا حُسَيْن
فِي التَّحْرِيضِ عَلى مَحَبَّةِ هَذه الطَّائفَة
وَبَيَانِ نُبْذَةٍ مِنْ مَدْحِهِمْ

أَحْسَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَحْوَالكُمْ وَأَصْلحَ سُبْحَانَهُ أَعْمَالكُمْ وَلَّما كَانَ المَكْتُوبُ الشَّريفُ مُشْعرًا بمَحَبَّة الفُقَرَاءِ حَصَل بوُصُوله فَرَحٌ وَافرٌ زَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَحَبَّةَ هَذه الطَّائفَة العَليَّة يَوْمًا فَيَوْمًا وَجَعَل التَّوَاضُعَ لَهُمْ وَالالتجَاءَ إلَيْهِمْ رَأْسَ مَال العُمْرِ وَبحُكْمِ المَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ مُحبُّهُمْ مَعَهُمْ وَهُمُ الذينَ جَليسُهمْ مَحْفُوظٌ منَ الشَّقَاوَة وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث النَّبَويِّ عَليْه منَ الصَّلوَات أَتَمُّهَا وَمنَ التَّحيَّات أَكْمَلهَا إنَّ للهِ مَلائكَةً سوَى الكرَامِ الكَاتبينَ يَطُوفُونَ في الطُّرُق وَالسِّكَك وَيَطْلُبُونَ أَهْل الذِّكْرِ فَإذَا وَجَدُوا الذَّاكرينَ يُنَادي بَعْضُهمْ بَعْضًا أَنْ هَلمُّوا إلى حَاجَتكُمْ فيحفُّوهم بأَجْنحَتهمْ حَتَّى يَملئُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاء فَإذَا تَفرَّقُوا عَرَجُوا إلى السَّمَاء فَيَسْأَلُهمُ اللهُ عَزَّ وَجَل وَهُوَ أَعْلمُ بحَال عبَاده كَيْفَ وَجَدْتُمْ عبادي ؟ فَيَقُولونَ: إلهَنا جئْنَاهُمْ يَحْمَدُونَك وَيُثْنُونَ عَليْك وَيُكبِّرُونَكَ وَيُمَجِّدُونَك ويسبِّحونك فَيَقُول اللهُ عَزَّ وَجَل وَهَل رَأَوْني ؟ فَيَقُولون لاَ أَيْ رَبِّ فَيَقُول كَيْفَ لوْ رَأوني فَيَقُولون ليَحْمَدُونَك وَيُمَجِّدُونَك وَيُكبِّرُونَك أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ فَيَقُول اللهُ مَا يَطْلُبُونَ منّي فَيَقُولوا يَطْلُبُونَ منْك الجَنَّةَ فَيَقُول وَهَل رَأَوْا جَنَّتي فَيَقُولوا لاَ فَيَقُول كَيْفَ لوْ رَأَوْهَا فَيَقُولون يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ وَيَزيدُ حرْصُهمْ ثُمَّ يَقُول المَلاَئكَةُ يَا رَبِّ إنَّ هَذه الطَّائفَةَ يَخَافُونَ منَ النَّار وَيَسْتَجيرُونَك منْهَا فَيَقُول هَل رَأَوْا ناري فَيَقُولون: لاَ فَيَقُول كَيْفَ لوْ رَأَوْهَا فَيَقُولون لاَسْتَجَارُوكَ منْهَا كَثيرًا وَيَخْتَارُونَ طَريقَ الفرَار منْهَا أَزْيَدَ فَيَقُول اللهُ سُبْحَانَهُ للمَلاَئكَة اشْهَدُوا أَنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ جَميعًا فَيَقُول المَلاَئكَة يَا رَبِّ إنْ فيهمْ فُلاَنًا لَمْ يَحْضُرْ مَعَهُمْ للذِّكْر بَل جَاءَ لحَاجَة دُنيوية فَيَقُول اللهُ سُبْحَانَهُ هُمُ الجُلَسَاءُ يَعْني هُمْ جُلسائي بحُكْمي أَنَا جَليسُ مَنْ ذَكَرني وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَليسُهُمْ.

فَتَبَيَّنَ منْ هَذَا الحَديث وَالحَديث السَّابق أَنَّ مُحبِّي هَذه الطَّائفَة يَكُونُون مَعَهُمْ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ لاَ يَكُونُ شَقيًّا ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى مَحَبَّة هَؤُلاَء الكرَام بحُرْمَة النَّبيِّ الأميِّ الهاشميِّ - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - كُلمَا ذَكَرَهُ الذَّاكرُونَ وَغَفَل عَنْ ذكْره الغَافلونَ وَمَا ذَكَرْتُمْ منْ أَحْوَالكُمْ في مَكْتُوب الشَّيْخ

مَيَّانَ الهَدَاد فَاعْلَمْ أَنَّ أَمْثَال هَذه العدْمَات وَالشَّدَائد كَثيرَةُ الوُقُوعِ عَلى الطَّالبينَ يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ عَاليَ الهمَّةَ دُونَ أَنْ تَقْنَعَ بكُل مَا يَتَيَسَّرُ شعْرٌ.

بس بى رنك ست يارد لخواه أي دل قانع نشوى برنك ناكاهُ أيْ دَل

تَرْجَمَةٌ

بخيا لكُمْ إنْ كَانَ غَيْري يَكْتَفي فَأَنَا الذي لاَ يُكْتَفى بوصَاله

وَصُحْبَةُ هَذه الطَّائفَة منْ جُمْلة ضَرُوريَّات الدِّين جَعَلَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ في صُحْبَتهمْ. شعْرٌ.

إنْ طُفْتَ حَوْل السَّكَارَى نلتَ عُرْفَهُمْ إنْ لَمْ تَنُلهُ فَقَدْ يَكْفيك رُؤْيَتُهمْ

وَعَليْك بالمُدَاوَمَة عَلى الطَّريق الذي تَلقَّنْتَهُ منْ حَضْرَة قَبلتنَا يَعْني الشَّيْخَ مُحَمَّدَ البَاقيَّ بأَنْ تُجْريَ الاسْمَ المُبَارَكَ اللهَ عَلى القَلب ملاحظًا مَعْنَاهُ بلاَ مثْليَّة وَلاَ كَيْفيَّة بَعْدَ التَّوَجُّه إلى القَلب بالكُليَّة منْ غَيْر أَنْ تَتَصَوَّرَهُ بمَعْنَى الحاضرية والناظرية وَأَنَّ تُلاَحظَ مَعَهُ صفَةً منَ الصِّفَات أَصْلاً بَل اللاَّزمُ اسْتحْضَارُ هَذَا الاسْم المُبَارَك في القَلب دَائمًا بَعْدَ التَّوَجُّه المَذْكُور وَإفَادَةُ بَعْض الأُمُور الضَّرُوريَّة مَنُوطَةٌ بالحُضُور وَالصُّحْبَة فَإنْ تَيَسَّرَتْ المُلاَقَاةُ يَذْكُرُ إنْ شَاءَ اللهُ وَيَنْبَغي أَنْ تَكْتُبَ الأَحْوَال المُتَجَدِّدَةَ إلى زَمَن المُلاَقَاة فَإنَّ مُطَالعَتَهَا تَكُونُ بَاعثَةً عَلى التَّوَجُّه الغائبيِّ وَالسلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِع وَالمائَتَان
إلى المَيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ البدخشي
فِي النَّهْي عَنِ التَّأَثُّرِ مِنْ تعرضات المُعَاندينَ وَالحَاسِدين
وَالتَّحْرِيضِ عَلى الاشْتِغَال بِمَا هُوَ مَشْغُول بِهِ

لاَ يَكُنْ حَضْرَةُ المَيْرِ نُعْمَانَ مُتَأَلِّمًا وَمُتَأَذِّيًا مِنْ كَلمَات أَهْل الخُسْرَان قُل كُل يَعْمَل عَلى شَاكلته وَاللاَّئقُ بحَالك أَنْ لاَ تَتَعَرَّضَ لَهُمْ بِالْمُكَافَأَة **وَالْمُجَازَاة فَإِنَّهُ** لاَ نُورَ للبُهْتَان وَالزُّور وَسَتَكُونُ كَلمَاتُهمْ المُتَنَاقضَةُ **بَاعِثَةً عَلى كَسَاد** سُوقِهِمْ وَمَنْ لَمْ يَجْعَل اللهُ لهُ نُورًا فَمَا لهُ منْ نُور يَنْبَغي لك أَنْ تَسْعَى **وَتَجْتَهِدَ** فِي إِجْرَاء الشَّغْل الذي أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهِ قُل اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلعَبُونَ وَقَدْ وَصَل أَخُونَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ صَادق فِي أَوَانه وَقَعَدَ عُشْرَ الاعْتكَاف بالاتِّفَاق وَتَشَرَّفَ بالفُتُوحَات وَالوَارِدَات المُتَجَدِّدَة وَالحَمْدُ للهِ سُبْحَانَهُ وَأَوْقَاتُ سَائر الأَحبَّة مَقْرُونَةٌ بالجَمْعيَّة وَالتَّرْقيَات المُتَوَاليَة ذَلكَ فَضْل اللهِ يؤتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيم.

المَكْتُوبُ الخَامسُ وَالمائَتَان
إلى الخواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ الكابلي
فِي بَيَانِ أَنَّ مِلاَكَ الأَمْرِ مُتَابَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ

شَرَّفَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ بِكَمَال المُتَابَعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلَى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإِنَّهَا مِلاَكُ الأمرِ وَمَنِيَّةُ الصِّدِّيقينَ وَمَا سِوَى ذَلكَ فَأَوْهَامٌ بَاطِلَةٌ وَخَيَالاَتٌ فَاسِدَةٌ نَجَّانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنْهَا.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى، عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلوَاتُ والتَّسْلِيماتُ دَائِمًا.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادسُ وَالمائتَان
إلى المُلاَ عَبْد الغَفُور السمرقنديِّ
في مَذَمَّة الدُّنْيَا
وَتَرْك الالتفَات إلى تنعُماتها

اللهُمَّ نَبِّهْنَا قَبْل أَنْ يُنَبِّهَنَا المَوْتُ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلَوَات وَأَفْضَل التسليمات وَصَل المَكْتُوبُ الشَّريفُ المَخْصُوصُ باسْم هَذَا الحَقير المُقْعَد في بَاديَة البُعْد وَالهجْرَان وَصَارَ وُصُوله سَبَبًا للابْتهَاج وَالسُّرُور جَزَاكُمْ اللهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاء أَيُّهَا الأَخُ إنَّ الإنْسَانَ مَا قَدمَ عَلى الدُّنْيَا لأَجْل اللقْمَة السَّمينَة اللذيذَة وَالأَلبسَة المُزَيَّنَة النَّفيسَة وَلَمْ يُخْلقْ للتَّمَتُّع وَالتَّنَعُّم وَاللهْو وَاللعب وَإنَّمَا المَقْصُودُ منْ خَلقه تَذَلُّله وَانْكسَاره وَعَجْزُه وَافْتقَارُه التي هيَ حَقيقَةُ العُبُوديَّة وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ ذَلكَ الانْكسَارُ وَالافْتقَار ممَّا أَذنَتْ به الشَّريعَةُ المُصْطَفَويَّةُ عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإنَّ رياضَات أَهْل البَاطن وَمُجَاهَدَاتهمْ التي لا تُوَافقُ الشَّريعَةَ الغَرَّاءَ لاَ يَحْصُل منْهَا شَيْءٌ غَيْرَ الخَسَارَة وَالخذْلاَن وَالنَّدَامَة وَالحرْمَان وَبَعْد التحلي وَالتَّزَيُّن بالأَحْكَام الشَّرْعيَّة عَمَلاً وَاعْتقَادًا عَلى وَفْق رَأْي عُلَمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهمْ يَنْبَغي تَعْميرُ البَاطن بذكْر الله - جَل سُلطَانُهُ - خُصُوصًا بتَكْرَار الذِّكْر الذي تَلقَّنْتَهُ في الطَّريقَة النَّقْشَبَنْديَّة العَليَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمُ السَّنيَّةَ فَإنَّ في طَريق هَؤُلاَء الأَكَابر انْدرَاجَ النِّهَايَة في البدَايَة وَنسْبَتُهمْ فَوْقَ جَميع النِّسَب يُصَدِّقُ القَاصرُونَ هَذَا الكَلاَم أو لاَ وَالمَقْصُودُ أَنَمَا هُوَ تَرْغيبُ الأَحْبَاب وَتَشْويقُ الأَصْحَاب وَالمُخَالفُونَ خَارجُونَ منَ المَبْحَث، شعْرٌ:

قَدْ خَابَ منْ خَال ذَا هُزُوًا وَهَذْرَمَةً ... وَفَازَ مَنْ كَانَ فيه حدَّةُ البَصر

وَبالجُمْلة قَدْ جُعل الفَلاَّحُ الأخرويُّ مَرْبُوطًا بالذِّكْر الكَثير وَاذْكُرُوا اللهَ كَثيرًا لعَلكُمْ تُفْلحُونَ شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى فَيَنْبَغي الاشْتغَال بالذِّكْر الكَثير وَبُغْض كُل مَا يُنَافيه وَعلاَجُ الخَلاَص هُوَ هَذَا {مَا عَلى الرَّسُول إلاَّ البَلاَغُ}[1]، شعْرٌ.

أَلاَ فَأَكْثرُوا ذكْرَ الإله فَإنَّهُ ... جَلاَءُ صَدَا القَلب غذَاءٌ لأَرْوَاح

أَلاَ بذكْر اللهِ تَطْمَئنُّ القُلوبُ نَصٌّ قَاطعٌ المسئول منَ اللهِ سُبْحَانَهُ التَّوْفيــقُ لذَلكَ وَالثَّبَاتُ وَالاسْتقَامَةُ عَلى مَا هُنَالكَ فَإنَّهُ مِلاَكُ الأَمْر.

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَفْضَل التسليمات وَأَرْسَلتُ الثَّوْبَ الذي تَكَرَّرَ لبْسُه في الأَوْقَات الطَّيِّبَة يَنْبَغِي أَنْ تَلبَسَهُ جَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ عَوَاقِبَ جَمِيعِ الأُمُورِ خَيْرًا بِالنَّبِيِّ وَآله الأَمْجَادِ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالمائَتَان
إلى المَرْزَا حُسَام الدِّينش أَحْمَدَ
فِي بَيَان تَأْثِير القُرْب الجسمانيِّ فِي القُرْب الروحانيْ
وَذَمِّ الأَحْوَال الغَيْر المُوَافِقَة للشَّرْع

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مَديدَةٌ وَلَمْ يَصل إلَيْنَا أَخْبَارُ السَّلاَمَة منْ جَنَابكُمْ وَحَضَرَات المخاديم وولدي المَيَّان جَمَال الدِّين حُسَيْن وَسَائِر الأَعزَّة وَخدْمَة العبَّة العَليَّة خُصُوصًا الشَّيْخ الهَدَادَ وَالشَّيخَ هدَايَةَ وَلاَ أحال المَانعَ منْ ذَلكَ سوَى نسْيَان النَّائينَ المَهْجُورينَ نَعَمْ إنَّ لقُرْب الأَبْدَان تَأْثيرًا عَظيمًا فِي قُرْب القُلوب وَلهَذَا لنْ يَبْلغَ وَليٌّ منَ الأَوْليَاء مَرْتَبَةَ الصحابيِّ حَتَّى إنَّ أُوَيْسًا القرنيَّ مَعَ رفْعَة شَأْنه مَا بَلغَ مَرْتَبَةَ أَدْنَى الصَّحَابَة لعَدَم وُصُوله إلى صُحْبَة خَيْر البَشَر – عَليْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْليماتُ – سُئل عَبْدُ الله بْنُ المُبَارَك ﷺ أَيُّهمَا أَفْضَل مُعَاوِيَةُ أَمْ عُمَرُ بْنُ عَبْد العَزيز فَقَال الغُبَارُ الذي دَخَل أَنْفَ فَرَس مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُول الله ﷺ خَيْرٌ منْ عُمَرَ بْن عَبْد العَزيز كَذَا مَرَّةً وَأَحْوَال فُقَرَاء هَذه الحُدُود مَعَ اللوَاحق وَالتَّوَابع مَقْرُونَةٌ بالعَافيَة لله سُبْحَانَهُ المنَّةُ عَلى ذَلكَ بَل عَلَى جَميع النَّعْمَاء وَالآلاَء خُصُوصًا عَلى نعْمَة الإسْلاَم وَمُتَابَعَة سَيِّد الأَنَام عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإنَّهُ مَلاَكُ الأَمْر وَمَدَارُ النَّجَاة وَمَنَاطُ الفَوْز بالسَّعَادَات الدُّنْيَويَّة وَالأُخْرَويَّة ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ عَلى ذَلكَ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقي منَ العَبَث

وَمَاذَا يُفْتَحُ منْ تُرَّهَات الصُّوفيَّة وَمَاذَا يَزيدُ منْ أَحْوَالهمْ لاَ يُشْتَرَى الوَجْدُ وَالحَال هُنَاكَ بنصْف شَعيرَة مَا لَمْ يُوزَنْ بميزَان الشَّرْع وَلاَ تُسَاوي الإلهاماتُ نصْفَ شَعْرَة مَا لَمْ تُعَرْ لمحَكِّ الكتَاب وَالسُّنَّة وَالمَقْصُودُ منْ سُلوك طَريق الصُّوفيَّة ازْديَادُ اليَقين بالمُعْتَقَدَات الشَّرْعيَّة التي هُوَ حَقيقَةُ الإيمَان وَحُصُول اليُسْر أَيْضًا فِي أَدَاء الأَحْكَام الفقْهيَّة لاَ إنَّهُ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ ذَلكَ فَإنَّ الرُّؤْيَةَ الأُخْرَويَّةَ إنَّمَا هيَ فِي الآخرَة وَليْستْ بوَاقعَة فِي الدُّنْيَا البَتَّةَ وَالمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجَليَاتُ التي الصُّوفيَّةُ مَسْرُورُونَ بهَا سُكُونٌ إلَى الظَّلاَم وَاطْمئْنَانٌ بهَا وَتَسَل بالشَّبَه وَالمثَال وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء وَيَا عَجَبًا منْ هَذه المُعَامَلة لوْ قيل لهُمْ حَقيقَةُ المُشَاهَدَات وَالتَّجَليَات كَمَا هيَ ليَخَافَ منْ وُقُوع الفُتُور فِي طَلَب مُبْتَدئ هَذَا الطَّريق وَحُصُول القُصُور فِي شَوْقهمْ وَإنْ

سَكْتَ عَنْهَا مَعَ وُجُود العلمِ بِهَا يَخَافُ أَيْضًا مِنَ التبَاسِ الحَقِّ بالبَاطِلِ يَا دَلِيل المُتَحَيِّرِينَ دُلني بحُرْمَة مَنْ جَعَلَتهُ رَحْمَةً للعَالمِينَ - عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَّسْلِيماتُ - فَإِنْ أَخْبَرْتُمْ بكَيْفِيَّات الأَحْوَال أَحْيَانًا لكَانَ مُوجبًا لازْدِيَاد المَحَبَّة.

{وَالسَّلَامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله أَفْضَل الصَّلوَاتِ وَأَكْمَل التسليمات وَأَجْزَل التَّحيَّات.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالمائَتَان

إلى الشَّيْخِ مُحَمَّد صَادِق وَوَلَده الأَرْشَد

فِي جَوَاب سُؤَاله عَنْ رُؤْيَة السَّالك نَفْسَه أَحْيَانًا فِي مَقَامَات الأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلاَمُ وَأَحْيَانًا فَوْقَ ذَلكَ

قَدْ سَأَل وَلَدي أَنَّ بَعْض سالكي هَذَا الطَّرِيق يَجدُ نَفْسَه أَحْيَانًا فِي مَقَامَات العُرُوجِ فِي مَقَامَات الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتسليماتُ بَل يُحسُّ فِي بَعْض الأَوْقَات أَنَّهُ عَرَجَ إِلَى مَا فَوْقَ هَذَا المَقَام فَمَا سرُّ هَذَا المَعْنَى وَالحَال أَنَّ مِنَ المُقَرَّر وَالمُجْمَع عَلَيْه أَنَّ الفَضْل للأَنْبِيَاء - عَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالأَوْلِيَاءُ إِنَّمَا يَجدُونَ مَا يَجدُونَ وَإِلَى كَمَالات الوِلاَيَة يَصلونَ بسَبَب مُتَابَعَتهمْ وَالجَوَابُ أَنَّ تلكَ المَقَامَات التي هيَ للأَنْبِيَاء عليهم السَّلاَمُ ليْسَتْ هيَ نهَايَةُ مَقَامَات عروجاتهم بَل كَانَ عُرُوجُ هَؤُلاَء العِظَام إِلَى مَا فَوْقَ تلكَ المَقَامَات بمَرَاتبَ فَإِنَّ تلكَ المَقَامَات عبَارَاتٌ عَنِ الأَسْمَاء الإِلهيَّة - جَل سُلطَانُهُ - التي هيَ مَبَادئُ تعيناتهم وَوَسَائل فَيضَان الفُيُوض مِنْ حضرات الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإِنَّهُ لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ حَضْرَة الذَّات وَالعَالم بدُون تَوَسُّط الأَسْمَاء أَصْلاً وَلاَ نسْبَةَ بَيْنَهُمَا سوَى الاسْتغْنَاء وَالاحْتيَاج قَطْعًا إِنَّ اللهَ لَغَنيٌّ عَنِ العَالمينَ وَاللهُ الغَنيُّ وَأَنْتُمْ الفُقَرَاءُ شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى فَإِذَا نَزَل هَؤُلاَء الأَكَابرُ مِنْ مَرَاتب العُرُوج مُقْتَبسينَ الأَنْوَارَ الفَوْقَانيَّةَ إِلى هَذه الأَسْمَاء التي لَهَا شَبَهٌ بإحيازهم الطَّبيعَةَ فِي مَرَاتب العُرُوج عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ ويتوطَّنون فيهَا وَلهَذَا لوْ طَلَبَهُمْ شَخْصٌ بَعْدَ اسْتقْرَارهمْ يَجدُهُمْ فِي تلكَ الأَسْمَاء فَعَلى الاسْتعْدَاد المُتَوَجِّه نَحْوَ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ لاَ بُدَّ لهُ مِنْ أَنْ يَصل إِلى تلكَ الأَسْمَاء وَقْتَ العُرُوج وَأَنْ يُجَاوزَهَا إِلى مَا فَوْقَهَا ثُمَّ وَثُمَّ إِلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى وَلكنْ إِذَا نَزَل هَذَا السَّالكُ مِنْ فَوْق وَوُصُول إِلى الاسْم الذي هُوَ مبدأُ تَعَيُّن وَجُوده يَكُونُ ذَلكَ الاسْمُ أَسْفَل مِنَ الأَسامي التي هيَ مَقَامَات الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَلبَتَّةَ وَههُنَا يَظْهَرُ تَفَاوُتُ المَقَامَات التي هيَ مَنَاطُ الأَفْضَليَّة فَكُل مَنْ كَانَ مَقَامُه أَعْلى فَهُوَ أَفْضَل وَمَا لَمْ يَرْجعْ السَّالكُ إِلى اسْمه وَلَمْ يَجدْ اسْمَه أَسْفَل مِنْ أسامِيهم لاَ يَعْرِفُ أَفْضَليَّتَهمْ بطَرِيق الذَّوْق وَالحَال بَل يَقُول بأَفْضَليَّتهمْ بالتَّقْليد وَيَحْكُمُ بأَوْلويَّتهمْ باليَقين السَّابق وَلكنَّ وجْدَانَهُ مُكَذِّبٌ لحُكْمه وَفِي هَذَا الوَقْت يَلزَمُ الالتجَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِظْهَارُ العَجْز وَالانْكسَار لَهُ تَعَالى ليَظْهَرَ لهُ مَا هُوَ حَقيقَةُ الحَال وَهَذَا المَقَامُ مِنْ مَزَال أَقْدَام السَّالكينَ وَلنُوَضِّحَ هَذَا

الجَوَابَ بمثَال قَال أَرْبَابُ المَعْقُول إنَّ الدُّخَانَ مُرَكَّبٌ منَ الأَجْزَاء الأَرْضيَّة وَالأَجْزَاء النَّاريَّة فَإذَا صَعدَ الدُّخَان تَصْعَدُ الأَجْزَاءُ الأَرْضيَّةُ بمُصَاحَبَة الأَجْزَاء النَّاريَّة إلى الجهَة الفَوْقَانيَّة وَتَعْرُجُ منْ مَحَلهَا بحُصُول قَسْر قَاسر قَالوا: إذَا كَانَ الدُّخَانُ قَويًّا يَكُونُ عُرُوجُه إلى كُرَة النَّار وَتَصل الأَجْزَاءُ الأَرْضيَّةُ في هَذَا الصُّعُود إلى مَقَامَات الأَجْزَاء المَائيَّة وَالهَوَائيَّة التي لَهَا التَّفَوُّقُ عَلَيْهَا بالطَّبْع ثُمَّ تَعْرُجُ منْهَا صَاعدَةً إلى مَا فَوْقَهَا ففى هَذه الصُّورَة لاَ يُمْكنُ أَنْ نَقُول إنَّ رُتْبَةَ الأَجْزَاء الأَرْضيَّة أَعْلى منْ رُتْبَة الأَجْزَاء الهَوَائيَّة فَإنَّ ذَلكَ التَّفَوُّقَ وَالاسْتعْلاَءَ إنَّمَا كَانَ باعْتبَار قَسْر القَاسر لاَ باعْتبَار الذَّات فَإذَا هَبَطَتْ تلكَ الأَجْزَاءُ الأَرْضيَّةُ بَعْدَ وُصُولهَا إلى كُرَة النَّار وَاسْتَقَرَّتْ في مَرْكَزهَا الطبيعيِّ يَكُونُ مَقَامُهَا أَسْفَل منْ مَقَام المَاء وَالهَوَاء أَلْبَتَّةَ فَفيمَا نَحْنُ فيه إنَّ عُرُوجَ هَذَا السَّالك منْ تلكَ المَقَامَات كَانَ باعْتبَار قَسْر القَاسر وَذَلكَ القَاسرُ هُوَ إفْرَاطُ حَرَارَة المَحَبَّة وَقُوَّةُ جَذْب العشْق وَأَمَّا باعْتبَار الذَّات فَمَقَامُه تَحْتَ تلكَ المَقَامَات وَهَذَا الجَوَابُ الذي ذَكَرْنَاهُ مُنَاسبٌ لحَال المُنْتَهى وَأَمَّا إذَا وَقَعَ هَذَا التَّوَهُّمُ في الابْتدَاء وَوَجَدَ السَّالكُ نَفْسَه في مَقَامَات الأَكَابر فَوَجْهُهُ أَنَّ لكُل مَقَام ظلاً وَمثَالاً في الابْتدَاء وَالتَّوَسُّط فَإذَا وَصَلَ المُبْتَدئُ أَوْ المُتَوَسِّطُ إلى ظلالهَا يَتَخَيَّل أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ إلى حَقيقَة تلكَ المَقَامَات وَلاَ يَقْدرُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الظِّلال وَالحَقَائق وَكَذَا الشُّبَهُ وَالمثَال فَإذَا وَجَدَ الأَكَابرُ في ظلال مَقَامَاتهمْ يَتَخَيَّل لهُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الشَّرَكَةُ مَعَ الأَكَابر في المَقَامَات وَليْسَ كَذَلكَ بَل فيه اشْتبَاهُ ظل شَيْء بنَفْس الشَيْء اللهُمَّ أَرنَا الحَقَائقَ كَمَا هيَ وَجَنِّبْنَا عَن الاشْتغَال بالمَلاَهي بحُرْمَة سَيِّد الأَوَّلينَ وَالآخرينَ عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التسليمات.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالمائتَان
إلى المير مُحَمَّد نُعْمَانَ البدخشي
في حَل بَعْضِ عِبَارَات رِسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد المُغْلقَة
وَبَعْضِ عِبَارَاتٍ أُخرَ جَوَابًا لمَكْتُوبِه وَبَيَانًا بضَرُورِيَّات الطَّرِيقَة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهِرينَ أَجْمَعِينَ:

المَطْلوبُ كَوْنُ الأَخِ الأَعَزِّ السَّيِّد مُحَمَّد نُعْمَانَ عَلى الجَمْعيَّة وَأَحْوَال هَذه الحُدُود مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد، وَقَدْ كُنْتُ سَأَلتَ أَنْتَ وَأَخي الخواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ وَقْتَ الوَدَاعِ فِي سَرَايَة فَرْخ عَنْ مَعْنَى هَذه العِبَارَة الوَاقعَة في رِسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ في الوَقْت سعَةٌ وَمُسَاعَدَةٌ بَقيَ الجَوَابُ مَوْقُوفًا، وَالآنَ قَدْ وَقَعَ في الخَاطر أَنْ أَكْتُبَ في حَل تلكَ العِبَارَة شَيْئًا يَكُونُ مُوجبًا لتَشَفِّي صُدُور الأَحْبَاب وَالعِبَارَةُ هيَ هَذه، وَبَعْدَ أَلف سَنَة وَبضْع سنينَ منْ رحْلة النَّبيِّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَجيءُ زَمَانٌ تَعْرُجُ فيه الحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ عَنْ مَقَامهَا وَتَتَّحدُ بحَقيقَة الكَعْبَة فَحينَئذ يَحْصُل للحَقيقَة المُحَمَّديَّة اسْمُ الحَقيقَة الأَحْمَديَّة وَتَصيرُ مَظْهَرًا للذَّات الأَحَد - جُل سُلطَانهَا - وَكُل منَ الاسْمَيْن المُبَارَكَيْن يَتَحَقَّقُ بالمُسَمى، وَيَبْقَى المَقَامُ السَّابقُ خَاليًا عَن الحَقيقَة المُحَمَّديَّة إلى زَمَن نُزُول عيسَى عَلى نَبيِّنَا و عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَيَعْمَل بالشَّريعَة المُحَمَّديَّة ففي ذَلكَ الوَقْت تَعْرُجُ الحَقيقَةُ العيسويَّةُ عَنْ مَقَامهَا وَتَسْتَقرُّ في مَقَام الحَقيقَة المُحَمَّديَّة الذي بَقيَ خَاليًا اهـ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ حَقيقَةَ شَخْص، عبَارَةٌ عَن التَّعَيُّن الوجوبي الذي تَعَيَّنَ ذَلكَ الشَّخْصُ الإمكانيُّ ظل ذَلكَ التَّعَيُّن، وَذَلكَ التَّعَيُّنُ الوجوبيُّ اسْمٌ منَ الأَسْمَاء الإلهيَّة - جَل شَأْنُهُ - كَالعَليم وَالقَدير وَالمُريد وَالمُتَكلم وَأَمْثَالهَا، وَذَلكَ الاسْم الإلهيُّ رَبُّ ذَلكَ الشَّخْص وَمَبْدَأُ فَيَضَان وُجُوده وَتَوَابع وَجُوده، وَلهَذَا الاسْم بالنِّسْبَة إلى حَضْرَة الذَّات مَرَاتبُ شَتَّى، حَيْثُ يُطْلقُ هَذَا الاسْمُ في مَرْتَبَة الصِّفَة التي وُجُودُهَا زَائد عَنْ وُجُود الذَّات، وَيُصَدِّقُ أَيْضًا في مَرْتَبَة الشَّأْن الذي زيَادَتُه عَن الذَّات بمُجَرَّد الاعْتبَار وَالفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَة وَالشَّأْن قَدْ ذُكرَ بالتَّفْصيل في المَكْتُوب الذي حُرِّرَ في بَيَان السُّلوك وَالجَذْبَة فَإنْ كَانَ فيه خَفَاءٌ وَاشْتبَاهٌ فَليُرَاجَعْ هُنَاكَ.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ حُصُول الشَّأْن وَلَوْ كَانَ مُجَرَّدَ اعْتبَار وَلكنْ يَقْتَضي أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ مَعْنًى آخَرُ زَائدٌ مُنَاسبٌ لهَذَا الشَّأْن، يَكُونُ مَبْدَأً لوُجُوده الاعتباريِّ فَيَحْصُل

أَيْضًا، وَلكِنْ القُوَّةُ البَشَرِيَّةُ عَاجِزَةٌ عَنْ ضَبْطه، وَهَذَا الفَقيرُ قَليل البِضَاعَة قَدْ تَجَاوَزَ إلى مَرْتَبَة أُخْرَى وَلكِنْ لاَ نَصيبَ لهُ مِمَّا فَوْقَهَا غَيْرَ الاسْتِهْلاَك وَالاِضْمِحْلال وَفَوْقَ كُل ذى علمٍ عَليمٌ. شعْرٌ.

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا وَللعَاشق المسْكين مَا يَتَجَرَّعُ

وَتَفَاضُل أَقْدَام أَهْل اللهِ بَعْضهَا عَلى بَعْض، وَتَفَاوُتهَا إِنَّمَا هُوَ باعْتبَار طَيِّ هَذه المَرَاتب الشَّتَّى عَلى تَفَاوُت الاسْتعْدَادَات وَالقَابليَّات، وَالوَاصلون إلى نَفْس الاسْم قَليلونَ منَ الأَوْليَاء فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ وَاصلونَ إلى ظل منْ ظلال ذَلكَ الاسْم بَعْدَ أَنْ عَرَجُوا منَ المَرَاتب الإِمْكَانيَّة بأَسْرهَا بطَريق السَّيْر وَالسُّلوك التفصيليِّ، وَقَدْ يُتَوَهَّمُ الوُصُول إلى ذَلكَ الاسْم في طَريق الجَذْبَة الصِّرْفَة أَيْضًا لكنَّهُ لاَ يُعْتَبَرُ وَلاَ يُعْتَدُّ به، وَالذينَ عَرَجُوا منْ ذَلكَ الاسْم وَقَطَعُوا المَرَاتبَ المُتَفاوتَة قَلتْ أَوْ كَثُرَتْ فَهؤُلاَء أَقَل قَليل منْهُمْ.. وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلاَم وَنَقُول كَمَا أَنَّ حَقيقَةَ الشَّخْص تُطْلقُ عَلى التَّعَيُّن الوجوبيِّ كَذَلكَ يُطْلقُ عَلى تَعيُّنه الإمكانيِّ. فَإِذَا عَلمْتَ هَذه المُقَدِّمَات أَقُول إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ مُرَكَّبٌ منْ عَالم الخَلْق وَعَالم الأَمْر كَتَرَكُّب كَافَّة الأَنَام منْهُمَا، وَالاسْمُ الإلهيُّ الذي هُوَ رَبُّ عَالم خَلقه شَأْنُ العَليم، وَالذي يُرَبِّي عَالَمَ أَمْره المَعْنَى الذي هُوَ مَبْدَأُ وُجُود ذَلكَ الشَّأْن الاعتباريِّ كَمَا مَرَّ.. وَالحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ عبَارَةٌ عَنْ شَأْن العَليم، وَالحَقيقَةُ الأَحْمَديَّةُ كنَايَةٌ عَنْ ذَلكَ المَعْنَى - الذي هُوَ مَبْدَأُ ذَلكَ الشَّأْن - وَحَقيقَةُ الكَعْبَة السبحَانية هيَ أَيْضًا عبَارَةٌ عَنْ ذَلكَ المَعْنَى، وَالنُّبُوَّةُ التي كَانَتْ حَاصلةً لنَبيِّنَا قَبْل خَلق آدَمَ - عَلَيْهمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَمَا أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبيُّ ﷺ حَيْثُ قَال: كُنْتُ نبيًا وَآدَمُ بَيْنَ المَاء وَالطِّين. كَانَتْ باعْتبَار الحَقيقَة الاحمدية التي لَهَا تَعَلقٌ بعَالم الأَمْر وَبهَذَا الاعْتبَار بَشَّر عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَيْثُ كَانَ كَلمَةً للهِ تَعَالى وَكَانَتْ مُنَاسَبَتُه بعَالم الأَمْر أَزْيَدَ بقُدُوم نَبيِّنَا - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بَاسم أَحْمَدَ حَيْثُ قَال: {وَمُبَشِّرًا برَسُول يَأْتي منْ بَعْدي اسْمُهُ أَحْمَدُ}.

وَالنُّبُوَّةُ التي لَهَا تُعَلقُ بالنَّشْأَة العُنْصُريَّة إِنَّمَا هيَ باعْتبَار الحقيقَة المُحَمَّديَّة بَل باعْتبَار الحَقيقَتَيْن وَرَبُّهُ في هَذه المَرْتَبَة ذَاكَ الشَّأْنُ وَمَبْدَؤُهُ. وَلهَذَا كَانَتْ دَعْوَةُ هَذه المَرْتَبَة أَتَمَّ منَ المَرْتَبَة السَّابقَة فَإِنَّ دَعْوَتَهُ في تلكَ المَرْتَبَة كَانَتْ مَخْصُوصَةً بعَالم أَمْره، وَتَرْبيَتُهُ كَانَتْ مَقْصُورَةً عَلى الرُّوحَانيِّينَ وَفي هَذه المَرْتَبَة دَعْوَتُه شَاملةٌ للخَلق

وَالأَمْرِ، وَتَرْبِيَتُه مُشْتَمِلةٌ عَلى الأَرْوَاحِ وَالأَجْسَامِ غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ نَشْأَتَهُ العُنْصُرِيَّةَ كَانَتْ فِي هَذه النَّشْأَة غَالِبَةً عَلى نَشْأَته المَلَكِيَّة - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَذَلكَ لتَحْصُل زِيَادَةُ المُنَاسَبَة بالخَلاَئق - التي هِيَ سَبَبُ الإِفَادَة وَالاسْتفَادَة - فَإِنَّ جَانبَ البَشَرِيَّة غَالبٌ فيهمْ، وَلهَذَا أَمرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ حَبيبَه الأَكْرَمَ ﷺ بإِظْهَار بَشَرِيَّته بآكَد الوُجُوه حَيْثُ قَال: {قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مثْلُكُمْ} - الآيَة - وَإِتْيَانُ لفْظ مَثلُكُمْ لتَأْكيد البَشَرِيَّة وَبَعْدَ ارْتحَاله ﷺ منَ النَّشْأَة العُنْصُرِيَّة غَلبَ جَانبُهُ الروحانيُّ، وَأَخَذَتْ مُنَاسَبَتُه البَشَرِيَّةُ فِي النُّقْصَان وَظَهَرَ التَّفَاوُتُ فِي نُورَانِيَّة الدَّعْوَة، قَال بَعْضُ الأَصْحَاب الكرَام: "وَجَدْنَا التَّفَاوُتَ فِي قُلوبنَا وَلَمْ نَفْرَغْ بَعْدُ منْ دَفْنه ﷺ" نَعَمْ قَدْ تَبَدَّل الإِيمَانُ الشهوديُّ بالإِيمَان الغيبيِّ، وَانْجَرَّتْ المُعَاملَةُ منَ العيَان إِلى السَّمَاع وَلَمَّا مَضَتْ منْ رحْلته ﷺ أَلفُ سَنَة وَهِيَ مُدَّةٌ مَديدَةٌ وَأَزْمنَةٌ مُتَطَاولَةٌ يَعْني وَلهَا تَأْثيرٌ فِي تَغَيُّر الأُمُور العظَام وَتَبَدُّلهَا. غَلبَ جَانب رُوحَانيَّته عَلى نَهْج جَعَل جَانبَ بَشَرِيَّته مُتَلوِّنًا بلوْنه بالتَّمَام، وَصُيِّرَ عَالمُ الخَلق مُنْصَبغًا بصَبْغ عَالم الأَمْر، فَمَا كَانَ منْ عَالم خَلقه ﷺ رَاجعًا إِلى حَقيقَته، يَعْني الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ عَرَّجَ إِلى الحَقيقَة الأَحْمَديَّة وَالتَحَقَ بهَا بالضَّرُورَة وَاتَّحَدَتْ الحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ بالحَقيقَة الأَحْمَديَّة. وَالمُرَادُ بالحَقيقَة الأَحْمَديَّة وَالحَقيقَة المُحَمَّديَّة هُنَا تَعَيُّنُهُ الخُلقيُّ والأَمْريُّ الإِمْكَانيَّان لاَ الوجُوبيُّ الذي تَعَيُّنُهُ الإِمكَانيُّ ظلهُ فَإِنَّهُ لاَ مَعْنَى لعُرُوج التَّعَيُّن الوجوبيِّ وَلاَ يَتَعَلَّقُ الاتِّحَادُ بذَلكَ التَّعَيُّن فَإِذَا نَزَل - عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَاتَّبَعَ شَريعَةَ خَاتَم الرُّسُل - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَعْرُجُ عَنْ مَقَام نَفْسه وَيَصل إِلى مَقَام الحَقيقَة المُحَمَّديَّة بالتَّبعيَّة وَيُقَوي دينَهُ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَمنْ هَهُنَا يُنْقَل عَنْ شَرَائع مَنْ قَبْلنَا أَنَّهُ كُلمَا تَقَادَمَ العَهْدُ برُسُول منَ الرُّسُل أُولي العَزْم بأَنْ قَضَى أَلفَ سَنَة منَ ارْتحَاله، كَانَ يَبْعَثُ منَ الأَنْبيَاء الكرَام وَالرُّسُل العظَام مَنْ يُقَوي شَريعَةَ ذَلكَ النَّبيِّ وَيُعْلي كَلمَتَه. فَإِذَا تَمَّتْ دَوْرَةُ دَعْوَته كَانَ يَبْعَثُ غَيْرَهُ منْ أُولي العَزْم وَيُجَدِّدُ شَريعَةَ نَفْسه، وَلَمَّا كَانَتْ شَريعَة خَاتَم الرُّسُل عَلَيْه وَ عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَحْفُوظَةً منَ النَّسْخ وَالتَّبْديل أُعْطيَ عُلَمَاءُ أُمَّته حُكْمَ الأَنْبيَاء وَفُوِّضَ إِلَيْهمْ أَمْرُ تَقْويَة الشَّريعَة وَتَأْييد الملة، وَمَعَ ذَلكَ تُرَوَّجُ شَريعَتُه بجَعْل وَاحد منَ الرُّسُل أُولي العَزْم مُتَّبعًا لهُ قَال اللهُ تَعَالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لهُ لَحَافظُونَ".

اعْلَمْ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ الذينَ يُظْهِرُونَ مِنْ أُمَّته ﷺ بَعْد مُضي أَلف سَنَة مِنَ ارْتحَاله ﷺ يَكُونُونَ أَكْمَل. وإِنْ كَانُوا أَقَل لِيَحْصُل تَقْوِيَةُ الشَّرِيعَة عَلَى الوَجْه الأَتَمِّ، وَلِهَذَا يَكُونُ مجيءُ المَهْدي الذي بَشَّرَ خَاتَمُ الرُّسُل عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بقُدُومه المُبَارَك بَعْد مُضي أَلف سَنَة وَكَذَلكَ عيسَى - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَنْزل بَعْدَ أَلف سَنَة. وَبالجُمْلة إِنَّ كَمَالات أَوْلِيَاء هَذه الطَّبَقَة شَبيهَةٌ بكَمَالات الأَصْحَاب الكرَام عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَإِنْ كَانَ الفَضْل بَعْدَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - للأَصْحَاب الكرَام وَلكنْ يَكَادُ لاَ يُفَضَّل أَحَدُهمَا عَلَى الآخَر مِنْ كَمَال التَّشَابُه. وَلعَل النَّبيَّ ﷺ قَال لأَجْل هَذَا: "أُمَّتي مِثْل المَطَر لاَ يُدْرَى أَوَّله خَيْرٌ أَمْ آخرُه".

وَلَمْ يَقُل: لاَ أَدْري أَوَّلهمْ خَيْرٌ أَمْ آخرُهمْ، لعلمه بحَال كُل مِنَ الفَريقَيْنِ وَلهَذَا قَال: "خَيْرُ القُرُون قَرْني" وَلكنْ لَمَّا كَانَ مِنْ كَمَال التَّشَابُه مَحَل تَرَدُّدٍ يَعْني فِي تَفْضيل أَحَدهمَا عَلى الآخَر بالنِّسْبَة إلى غَيْره ﷺ قَال: "لاَ يُدْرَى".

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ حَكَمَ النَّبيُّ ﷺ بخَيْريَّة قَرْن التَّابعينَ بَعْدَ قَرْن الصَّحَابَة، وَخَيْريَّة قَرْن تَبَع التَّابعينَ بَعْدَ قَرْن التَّابعينَ، فَتَكُونُ خَيْريَّةُ هَذَيْن القَرْنَيْن مِنْ هَذه الطَّبَقَة أَيْضًا مُتَيَقنَةً فَمَا يَكُونُ تَشَابُهُ هَذه الطَّبَقَة بالأَصْحَاب الكرَام في الكَمَالات أُجيبُ يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ خَيْريَّةُ هَذَيْن القَرْنَيْن مِنْ هَذه الطَّبَقَة باعْتبَار كَثْرَة ظُهُور أَوْلِيَاء الله تَعَالى وَقلة وُجُود أَهْل البدْعَة وَنُدْرَة أَرْبَاب الفسْق وَالمَعْصيَة فيهمَا وَهَذَا لاَ يُنَافي كَوْنَ الأَفْرَاد مِنْ أَوْلِيَاء هَذه الطَّبَقَة خَيْرًا مِنْ أَفْرَاد أَوْلِيَاء ذينك القَرْنَيْنِ كَحَضْرَة المَهْديِّ مَثَلاً. شعْرٌ.

لوْ نَال مِنْ فَيْض رُوح القُدْس من مدد ... غَيْر المَسيح لَيَصْنَعَ مِثْل مَا صَنَعَا

وَلكنْ قَرْنُ الأَصْحَاب خَيْرٌ مِنْ جميع الوُجُوه وَالتَّكَلمُ فيه مِنَ الفُضُول فَإِنَّ السَّابقينَ سَابقُونَ في جَنَّات النَّعيم وَهُمُ المُقَرَّبُونَ، لاَ يَبْلغُ أَنْفَاقَ غَيْرهمْ مِثْل جَبَل ذَهَبًا إِنْفَاقُهمْ مُدَّ شَعير وَالله يَخْتَصُّ برَحْمَته مَنْ يَشَاءُ.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ اتَّضَحَ مِنَ البَيَان السَّابق مَعْنَى عبَارَة رسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد، التي سَطَّرْتُ فيهَا فَوْقَ العبَارَة المَذْكُورَة مِنْ أَنَّ حَقيقَةَ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة صَارَتْ مسجودًا إِلَيْهَا للحَقيقَة المُحَمَّديَّة، فَإِنَّ حَقيقَةَ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة هيَ بعَيْنهَا

الحَقِيقَةُ الأَحْمَدِيَّةُ التي الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ ظِلهَا فِي الحَقِيقَةِ، فَتَكُونُ مَسْجُودًا إِلَيْهَا للحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ بالضَّرُورَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الكَعْبَةَ قَدْ تَذْهَبُ لطَوَافِ أَوْلِيَاءِ الأُمَّةِ وَتَتَبَرَّكُ بهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ لحَقِيقَتِهَا تَقَدُّمٌ عَلى الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا المَعْنَى. أُجِيبُ أَنَّ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ نُزُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَوْجِ التَّنْزِيهِ وَذُرْوَةِ التَّقْدِيسِ، وَحَقِيقَةُ الكَعْبَةِ نِهَايَةُ مَقَامَاتِ عُرُوجِ الكَعْبَةِ، وَأَوَّلُ مَرْتَبَةٍ تَعْرُجُ إِلَيْهَا الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ مِنْ مَرَاتِبِ التَّنْزِيهِ هِيَ حَقِيقَةُ الكَعْبَةِ وَلاَ اطِّلاَعَ عَلَى نِهَايَةِ مَرَاتِبِ عُرُوجِهَا لأَحَدٍ غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَحَيْثُ كَانَ لكَمَلِ أَوْلِيَاءِ أُمَّتِهِ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - نَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ عروجاته ﷺ فَمَا العَجَبُ أَنْ تَمَنَّتْ الكَعْبَةُ مِنْ بَرَكَاتِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ. شعْرٌ.

عَلاَ فَوْقَ السَّمَاءِ وَلِيدُ أَرْضٍ وَخَلْفَ خَلْفِهِ زَمَنًا وَأَرْضًا

وَانْحَلتْ أَيْضًا عِبَارَةٌ أُخْرَى مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الوَاقِعَةِ فِي هَذَا المَقَامِ وَهِيَ هَذِهِ كَمَا أَنَّ صُورَةَ الكَعْبَةِ مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لصُوَرِ الأَشْيَاءِ.. كَذَلِكَ حَقِيقَةُ الكَعْبَةِ مَسْجُودٌ إِلَيْهَا لحَقَائِقِ الأَشْيَاءِ فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنَ المُقَدِّمَاتِ السَّابِقَةِ أَنَّ حَقَائِقَ الأَشْيَاءِ عِبَارَاتٌ مِنَ الأَسْمَاءِ الإِلهِيَّةِ - جَلَ سُلطَانُهُ - التي هِيَ مَبَادِي فَيَضَانِ وُجُودِهِمْ، وَتَوَابِعِ وُجُودِهِمْ، وَحَقِيقَةُ الكَعْبَةِ فَوْقَ تلكَ الأَسْمَاءِ. فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ حَقِيقَةُ الكَعْبَةِ مَتْبُوعَةً لحَقَائِقِ الأَشْيَاءِ أَلْبَتَّةَ. نَعَمْ إِذَا وَقَعَ سَيْرُ كَمَلِ الأَوْلِيَاءِ فَوْقَ حَقِيقَةِ الكَعْبَةِ ثُمَّ نَزَلوا إِلى مَرَاتِبِ حَقَائِقِهِمُ الشَّبِيهَةِ بإِحيَازِهِمِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي مَرَاتِبِ العُرُوجِ مُقْتَبِسِينَ للأَنْوَارِ الفَوْقَانِيَّةِ تَتَوَقَّعُ الكَعْبَةُ مِنْهُمُ البَرَكَاتُ كَمَا مَرَّ آنِفًا.

وَأَيْضًا قَدْ حَرَّرْتُ فِي رِسَالَةِ المَبْدَأِ وَالمَعَادِ فِقْرَاتٍ فِي بَيَانِ أَفْضَلِيَّةِ الأَنْبِيَاءِ أُولِي العَزْمِ صَلَوَاتُ اللهِ وتسليماته تَعَالى عَلَيْهِمْ وَمَعْنَى أَفْضَلِيَّةِ بَعْضِهِم عَلى بَعْضٍ، وَلَمَّا كَانَ مَبْنَاهَا عَلى الكَشْفِ وَالإِلهَامِ اللذَيْنِ يُفِيدَانِ الظَّنَّ كُنْتُ نَادِمًا عَلى كِتَابَتِي إِيَّاهَا، وَالتَّفْرِقَةِ وَالتَّحَكُّمِ فِي التَّفَاضُلِ، وَمُسْتَغْفِرًا مِنْهَا، فَإِنَّ التَّكَلمَ فِي هَذَا البَابِ بلاَ دَلِيلٍ قطعيٍّ لاَ يَجُوزُ. أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلى اللهِ مِنْ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللهُ قَوْلاً وَفِعْلاً وَكَتَبْتُ فِي مَكْتُوبِكَ بأَنِّي كُنْتُ سُئِلتُ فِي سراى فَرْخ أَنَّ تَعْلِيمَ الطَّرِيقَةِ للطَّالِبِينَ هَل هُوَ مَرْضِيٌّ بالنِّسْبَةِ إِلَيَّ أَوْ لاَ. فَقُلتُ فِي الجَوَابِ لاَ آهِ مَا بَقِيَ فِي خَاطِرِ الفَقِيرِ صُدُورُ النَّفْيِ بَل قُلتُ مَشْرُوطٌ بالشَّرَائِطِ لَيْسَ بمَرْضِيٍّ مُطْلَقًا. وَالآنَ

يَنْبَغِي أن تَعْلمَهَا عَلى ذَلكَ الوَجْه المَذْكُور، وَيَنْبَغِي أَنْ تَحْتَاطَ فِي رِعَايَةِ الشُّـرُوط وَرِعَايَةِ الاحْتِيَاط دُونَ المُسَاهَلة، وَمَا لَمْ يَحْصُل اليَقينُ فِي التَّعْليمِ بِالاسْـتِخَارَاتِ لاَ يَنْبَغِي الإِقْدَامُ عَلى التَّعْليمِ وَدَل أَخَانَا وَمَوْلاَنَا يار مُحَمَّد القَديمِ عَلـى هَـذَا وَأَكَّدَ عَلَيْه فِي تَرْك الاسْتِعْجَال فِي تَعْليمِ الطَّريقَة ليْسَ المَقْصُودُ تَوْسيعَ الدُّكَّان، بَل يَنْبَغِي مُلاَحَظَةُ مَرْضيِّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَمَا عَلَيْنَا إلاَّ الاخْتِبَارُ. وَأَيْضًا أَنَّـك كُنْـت مُتَأَذِّيًا مِنْ مُسْتَرْشَديك وَمُنْحَرفًا عَنْهُمْ يَنْبَغِي لك التأذِّي وَالانْحرَافُ مِنْ وَضْـعك وَصُنْعك، فَإِنَّك تُعَاشرُهُمْ عَلى نَهْجٍ تَكُونُ عَاقبَتُهَا أَذيَّةً ألبتة وَقَدْ قَـالوا: "يَنْبَغـي للشَّيْخِ أَنْ يَتَحَمَّل للمُريد لاَ أَنَّهُ يَفْتَحُ بَابَ الاخْتلاَط وَيَسْلكُ طَريقَ المُصَاحَبَة بإيراد الحكَايَات وَالقصَص" وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ العَاشِرُ وَالمِائَتَان
إِلى المَلاَ شكيبي الأصفهاني
فِي حَل بَعْضِ عِبَارَاتِ النَّفَحَات
وَبَعْضِ النَّصَائِحِ الضَّرُورِيَّةِ التي أَلتَمِسُهَا

قَدْ تَشَرَّفْتُ بِمُطَالَعَةِ المَكْتُوبِ الشَّرِيف الذي أَرْسَلْتُهُ إِلى هَذَا الحَقِيرِ القَلِيل البِضَاعَةِ عَلى وَجْهِ الشَّفَقَةِ وَالمَرْحَمَةِ وَصِرْتُ مُبْتَهِجًا وَمَسْرُورًا بِالسَّلاَمَةِ وَمُتُّ بِالسَّلاَمَةِ وَمَا عِشْتُ تَعِشْ عَلى مَحَبَّةِ الفُقَرَاءِ وَإِذَا مُتُّ تَكُنْ مَحَبَّتُهُمْ رَأْسَ مَالِكَ وَأَصْلَ بِضَاعَتِكَ وَإِذَا حُشِرْتَ تُحْشَرْ عَلى مَحَبَّتِهِمْ بِحُرْمَةِ مَنِ افْتَخَرَ بِالفَقْرِ وَآثَرَهُ عَلى الغِنا عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَرَقَّمْتُ عَلى وَجْهِ الكَرَمِ أَنَّهُ مَا حَقِيقَةُ مُعَامَلَةِ الحِكَايَةِ المَذْكُورَةِ فِي النَّفَحَاتِ مِنْ أَنَّ مُرِيدَ الشَّيْخِ ابْنِ سُكَيْنَةَ – قُدِّسَ سِرُّهُ – دَخَلَ يَوْمًا الدِّجْلَةَ لأَجْلِ الاغْتِسَالِ وَخَاضَ فِي المَاءِ وَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ رَأَى نَفْسَهُ فِي النِّيْلِ فَخَرَجَ مِنَ المَاءِ وَدَخَلَ مِصْرَ وَتَزَوَّجَ فِيهِ وَوَلَدَ لَهُ أَوْلاَدٌ وَأَقَامَ بِمِصْرَ سَبْعَ سِنِينَ فَدَخَلَ يَوْمًا النِّيلَ اتِّفَاقًا لِلاغْتِسَالِ وَخَاضَ فِي المَاءِ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ رَأَى نَفْسَهُ فِي الدِّجْلَةِ وَرَأَى جَمِيعَ أَثْوَابِهِ التِي كَانَ وَضَعَهَا فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ بِسَاحِلِ الدِّجْلَةِ عَلى حَالِهَا فَلَبِسَ ثِيَابَهُ وَجَاءَ مَنْزِلَهُ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُه: الطَّعَامُ الذِي أَمَرَ بِطَبْخِهِ لِلضُّيُوفِ حَاضِرٌ إِلى آخِرِ القِصَّةِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ إِنَّ أَشْكَالَ هَذِهِ الحِكَايَةِ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حُصُولِ أُمُورِ سِنِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ المُعَامَلَةِ كَثِيرَةُ الوُقُوعِ وَمِنْ جُمْلَتِهَا مِعْرَاجُ خَاتَمِ الرُّسُلِ ﷺ فَإِنَّهُ حِينَ رَجَعَ إِلى مَكَانِهِ بَعْدَ طَيِّ مَعَارِجِ العُرُوجِ وَقَطْعِ مَسَافَةِ مَنَازِلِ الوُصُولِ الذي يَتَيَسَّرُ فِي أُلُوفٍ مِنَ السِّنِينَ، يَعْنِي عَادَةً رَأَى أَنَّ حَرَارَةَ فِرَاشِهِ بَاقِيَةٌ عَلى حَالِهَا وَلَمْ يَسْكُنْ المَاءُ الذي مَلاَهُ فِي الأَبْرِيقِ لِلوُضُوءِ عَنْ حَرَكَتِهِ وَوَجْهُهُ مَا ذَكَرَهُ فِي النَّفَحَاتِ مِنْ أَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ بَسْطِ الزَّمَانِ وَإِنَّمَا أَشْكَالُ هَذِهِ الحِكَايَةِ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ هَذِهِ المُدَّةِ آنًا وَاحِدًا فِي بَغْدَادَ وَيَحْصُلُ لِهَذَا الآنِ امْتِدَادٌ بِمِصْرَ إِلى سَبْعِ سِنِينَ. فَإِذًا كَانَ التَّارِيخُ الهِجْرِي بِالنِّسْبَةِ إِلى أَهْلِ بَغْدَادَ مَثَلاً ثَلثمائة وَسِتِّينَ سَنَةً فِي ذَلِكَ الوَقْتِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلى أَهْلِ مِصْرَ فِي عَيْنِ ذَلِكَ الوَقْتِ ثَلثمائة وَسَبْع وَسِتِّينَ سَنَةً وَهَذَا المَعْنَى مِمَّا لاَ يُجَوِّزُهُ العَقْلُ وَلاَ يَسَعُهُ النَّقْلُ وَهَذِهِ المُعَامَلَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُجَوَّزَةً بِالنِّسْبَةِ إِلى شَخْصٍ أَوْ شَخْصَيْنِ وَلَكِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلى بِلاَدٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَمْكِنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُحَالٌ.

وَمَا يَخْطُرُ فِي خَاطِرِ هَذَا الحَقِيرِ الكَلِيلِ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الحِكَايَةَ مَا وَقَعَتْ فِي عَالِمِ اليَقَظَةِ بَل هِيَ مِنْ قَبِيلِ الرُّؤْيَا وَالوَاقِعَاتِ وَاشْتَبَهَ الرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَةِ لِلمُسْتَمِعِ وَالتَبَسَ لهُ النَّوْمُ بِاليَقَظَةِ، وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الاشْتِبَاهِ كَثِيرُ الوُقُوعِ بَل مِنْ مَظَانِّ الاشْتِبَاهِ كَوْنُ رُؤْيَتِهِ وَقَصَّتِهِ عَلى شَيْخِهِ وَمَجِيئِهِ بِأَوْلَادِهِ إِلَيْهِ فِي المَنَامِ وَالحِكَايَةِ التِي نَقَلَهَا عَنِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - بَعْدَ هَذِهِ الحِكَايَةِ هِيَ أَيْضًا مِنْ هَذَا القَبِيلِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الأُمُورِ كُلِهَا. وَالتَمَسْتُ أَيْضًا شَرْحَ هَذِهِ العِبَارَةِ أَنَّ مُرَبِّيَ الجَسَدِ هُوَ الرُّوحُ، وَمُرَبِّيَ القَالِبِ هُوَ القَلبُ. أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ مُؤَدَّى هَاتَيْنِ العِبَارَتَيْنِ وَاحِدٌ وَهُوَ بَيَانُ حُصُولِ التَّرْبِيَةِ لِعَالِمِ الخَلقِ الإِنسَانِي مِنْ عَالِمِهِ الأَمرِي، وَلَمَّا كَانَ وُقُوعُ لَفْظِ الجَسَدِ مَقْرُونًا

بِلَفْظِ الرُّوحِ فِي الإِطلاقَاتِ وَالمُحَاوَرَاتِ وَوَقَعَتْ المُنَاسَبَةُ اللفْظِيَّةُ بَيْنَ القَالِبِ وَالقَلبِ وَقَعَ اخْتِيَارُ تَعْيِينِ العِبَارَةِ لِجَمْعِ كَلِ بِمَا يُنَاسِبُهُ. وَصَدَرَ أَيْضًا طَلَبُ النَّصَائِحِ أَيُّهَا المَخْدُومُ يَمنعني الحَيَاءُ مِنْ أَنَّ أَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ هَذَا البَابِ مَعَ وُجُودِ جَمِيعِ الخَرَابَاتِ والتَّعَلقَاتِ والتلوثاتِ وَقلة البِضَاعَةِ وَعَدَمِ الحَاصِلِ وَأَنْ أُرَقِّمَ مِنْ هَذِهِ المَقُولةِ حَرْفًا بِالتَّصْرِيحِ أَوْ بِالإِشَارَةِ، وَلَكِنْ أَخَافُ مِنْ أَنْ أَنْسُبَ إِلى الخَسَّةِ والدَناءةِ وَالضَّنِّ وَالبُخْلِ لَوْ أَمْسَكْتُ عَنِ القَوْلِ المَعْرُوفِ وَصُنْتُ نَفْسِي عَنْ ذَلِكَ فَبِنَاءً عَلى ذَلِكَ أَجْتَرِئُ عَلى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ بَقَاءَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ جِدًّا وَقَدْ تَلِفَ الأَكْثَرُ مِنْ هَذَا القَلِيلِ أَيْضًا وَزَالَ وَبَقِيَ الأَقَلِ. وَمُدَّةُ الآخِرَةِ بَاقِيَةٌ وَدَائِمَةٌ وَجَعَلتُ مُعَامَلَةَ الأَبَدِ وَالخُلُودِ وَمَرْبُوطَةً بِبَقَاءِ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَبَعْدَهَا إِمَّا تَنَعُّمٌ أَبَدِيٌّ أَوْ عَذَابٌ سرمديٌّ. أَخْبَرَ بِذَلِكَ المُخْبِرُ الصَّادِقُ لَيْسَ فِيهِ احْتِمَالُ التَّخَلفِ فَيَنْبَغِي اسْتِعْمَالُ العَقْلِ المُتَفَكِّرِ أَيُّهَا المَخْدُومُ قَدْ مَضَى أَشْرَفُ العُمْرِ فِي الهَوَى وَالهَوَسِ وَضَاعَ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِي أَعْدَاءِ اللهِ جَل شَأْنُهُ وَبَقِيَ أَرْذَلُ العُمْرِ فَإِنْ لَمْ نَصْرِفْهُ اليَوْمَ فِي مَرْضِيَّاتِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَلَمْ نَتَلافَ الأَشْرَفَ وَلَمْ نَتَدَارَكْهُ وَلَوْ بِالأَرْذَلِ وَلَمْ نَجْعَلِ المِحْنَةَ القَلِيلَةَ وَسِيلَةً إِلى الرَّاحَةِ الأَبَدِيَّةِ وَلَمْ نُكَفِّرْ السَّيِّئَاتِ الكَثِيرَةَ بِحَسَنَاتٍ يَسِيرَةٍ فَبِأَيِّ وَجْهٍ نَذْهَبُ غَدًا عِنْدَ اللهِ تَعَالى ؟.. وَبِأَيِّ حِيلةٍ نَتَمَسَّكُ ؟.. وَإِلى مَتَى يَمْتَدُّ نَوْمُ الأَرْنَبِ ؟ وَحَتَّى مَتَى يَكُونُ قُطْنُ الغَفْلةِ هَذِهِ كُلِهَا فِي الآذَانِ، وَسَتُرْفَعُ الغِشَاوَةُ عَنْ أَبْصَارِ

البَصيرَة البَتَّةَ، وَيُزَال قُطْنُ الغَفْلة عَنِ السَّامعَة لاَ مَحَالةَ، وَلكنْ لاَ يَنْفَعُ ذَلكَ هُنَالكَ وَلاَ يَكُونُ نَقْدُ الوَقْت غَيْرَ الحَسْرَة وَالنَّدَامَة عَلى ذَلكَ فَيَنْبَغي العَمَل لنَفْسك قَبْل وُرُود المَوْت وَالتَّوَسُّد برَمْسك ثُمَّ المَوْتُ قَائلاً وَا شَوْقَاهُ. وَلاَ بُدَّ أَوَّلاً منْ تَصْحيح الاعْتقَاد وَتَصْديق مَا عُلمَ منَ الدِّين بالضَّرُورَة، ثُمَّ العلمُ وَالعَمَل بمَا تَكَفَّل ببَيَانه علمُ الفقْه أَيْضًا ضَرُوريٌّ ثُمَّ سُلوكُ طَريق الصُّوفيَّة أَيْضًا مَطْلوبٌ، لاَ لأَجْل مُشَاهَدَة الصُّوَر وَالأَشْكَال الغَيْبيَّة وَمُعَايَنَة الأَنْوَار وَالأَلْوَان الريبية، فَإنَّ هَذَا دَاخل في اللهْو وَاللعب وَأيُّ نُقْصَان في الصُّوَر وَالأَنْوَار الحسيَّة، حَتَّى يَتْرُكَهَا الإنْسَانُ وَيَشْتَاقَ إلى الصُّوَر وَالأَنْوَار الغَيْبيَّة، وَيَقْصدَهَا بارْتكَاب الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات، وَهَذه الصُّوَرُ وَالأَنْوَارُ، وَتلكَ الصُّوَرُ وَالأَنْوَارُ كُلهَا مَخْلوقَةٌ للحَقِّ سُبْحَانَهُ وَآيَاتٌ دَالَّةٌ عَلى صانعيته تَعَالى وَلنُور الشَّمْس وَالقَمَر اللذَيْن في عَالم الشَّهَادَة مَزيَّةٌ عَلى الأَنْوَار التي تُشَاهَدُ في عَالم المثَال... وَلكنْ لَمَّا كَانَتْ رُؤْيَتهمَا دَائمَةً وَاشْتَرَكَ فيهَا الخَوَاصُّ وَالعَوَامُّ أَسْقَطُوهَا عَنْ نَظَر الاعْتبَار وَاشْتَاقُوا إلى مَا نَى في عَالم الغَيْب منَ الأَنْوَار، شعْرٌ:

وَلاَ قَدْرَ للمَاء الذي دَامَ جَارِيًا عَلى بَاب إنْسَانٍ وَإنْ كَانَ كَوْثَرَا

بَل المَقْصُودُ منْ سُلوك طَريق الصُّوفيَّة تَحْصيل ازْديَاد اليَقين بالمُعْتَقَدَات الشَّرْعيَّة حَتَّى تَخْرُجَ منْ مَضيق الاسْتدْلال إلى فَضَاء الكَشْف وَمنَ الإجْمَال إلى التَّفْصيل.. مَثَلاً إنَّ وُجُودَ الوَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَوَحْدَتُهُ سُبْحَانَهُ إذَا كَانَ أَوَّلاً مَعْلومًا بطَريق الاسْتدْلال أَوْ التَّقْليد وَحَصَل اليَقينُ به عَلى مقْدَارهمَا، فَإذَا تَيَسَّرَ سُلوكُ طَريق الصُّوفيَّة يَتَبَدَّل ذَلكَ الاسْتدْلال وَالتَّقْليدُ كَشْفًا وَشُهُودًا وَيَحْصُل اليَقينُ الأَكْمَل. وَعَلى هَذَا القيَاس سَائرُ الاعتقاديات وَالمَقْصُودُ منْهُ أَيْضًا تَحْصيل اليُسْر في أَدَاء الأَحْكَام الفقْهيَّة، وَإزَالةُ العُسْر الذي يَحْصُل منْ جهَة النَّفْس الأَمَّارَة بالسُّوء، يَقينُ هَذَا الفَقير أَنَّ طَريقَ الصُّوفيَّة خَادمٌ للعُلوم الشَّرْعيَّة، لأَنَّهُ أَمْرٌ مُبَاينٌ لَهَا وَقَدْ حقَّقْتُ هَذَا في كتبي ورسائلي وَاخْتيَارُ طَريق النَّقْشَبَنْديَّة منْ بَيْن سَائر الطُّرُق لأَجْل حُصُول هَذَا الغَرَض أَولى وَأَنْسَبُ، فَإنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ التَزَمُوا مُتَابَعَةَ السُّنَّة وَاجْتنَاب البدْعَة وَلهَذَا تَرَاهُمْ يَفْرَحُونَ وَيَسْتَبْشرُونَ بحُصُول دَوْلَة المُتَابَعَة لهُمْ وَإنْ لَمْ يَحْصُلْ لهُمْ شَيْءٌ منَ الأَحْوَال وَإذَا أَحَسُّوا فُتُورًا في المُتَابَعه معَ وُجُود الأَحْوَال لاَ

يَقْبَلونَ تلكَ الأَحْوَال. قَال حَضْرَةُ الخواجهْ أَحْرَارٌ - قُدِّسَ سِرُّهُ -:"لوْ أُعْطيتُ جَميعَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيد وَلَمْ تُوَافِقْ حقيقتي باعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة مَثَلاً لاَ أَرَى تلكَ الأَحْوَال غَيْرَ الشَّقَاوَة وَالخذْلاَن وَإِنْ أُعْطيت اعْتِقَادَ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَحُرِمْتُ الأَحْوَال بأَسْرِهَا فَلاَ تَغْتَمَّ عَلى ذَلكَ".

وَأَيْضًا إِنَّ في هَذَا الطَّرِيق انْدرَاجَ النِّهَايَة في البدَايَة فَيَجدُ أَهْل هَذه الطَّرِيقَة في أَوَّل قَدَم مَا يَجدُهُ غَيْرُهُمْ في النِّهَايَة، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ فَإِنَّمَا هُوَ بالإِجْمَال وَالتَّفْصيل وَالشُّمُول وَعَدَم الشُّمُول، وَهَذه النِّسْبَةُ هيَ نسْبَةُ الأَصْحَاب الكرَام بعَيْنهَا فَإِنَّهُمْ - عَلَيْهِمُ الرِّضْوَان - كَانُوا يَجدُونَ في أَوَّل صُحْبَة خَيْر البَشَر مَا لاَ يُدْرَى أَنَّهُ يَتَيَسَّرُ لأَوْلَيَاء الأُمَّة سوَاهُمْ في النِّهَايَة أَوْ لاَ، وَلهَذَا لمْ يَصل أُوَيْسٌ القرنيُّ الذي هُوَ أَفْضَل التَّابعينَ إِلى مَرْتَبَة وَحْشيٍّ قَاتل حَمْزَةَ ﷺ لنيله مَرَّةً وَاحدَةً صُحْبَةَ خَيْر البَشَر - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَإِنَّ فَضيلةَ الصُّحْبَة فَوْقَ جَميع الفَضَائل وَالكَمَالات فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ شهوديٌّ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ هَذه الدَّوْلةُ لغَيْرهمْ أَصْلاً، (ع):

هَل المَسْمُوعُ يُشْبهُ قَطُّ بمرئيِّ

وَلهَذَا كَانَ إِنْفَاقُ مُدِّ شَعير منْهُمْ أَفْضَل منْ إِنْفَاق جَبَل ذَهَب منْ غَيْرهمْ وَجَميعُ الأَصْحَاب مُتَسَاوُونَ في هَذه الفَضيلة فَيَنْبَغي تَعْظيمُ جَميعهمْ وَذكْرُ كُلهمْ بالخَيْر فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كُلهمْ عُدُول وَكُلهمْ مُتَسَاوُونَ في قَبُول رِوَايَتهمْ وَتَبْليغ الأَحْكَام مَزيَّةٌ لرِوَايَة أَحَدهمْ عَلى رِوَايَة الآخَر منْهُمْ وَهُمْ حَمَلةُ القُرْآن المَجيد وَمنْهُمْ جُمعَتْ الآيَاتُ المُتَفَرِّقَاتُ منْ هَذَا آيَتَان وَمنْ هَذَا ثَلاَثُ آيَات وَأَزْيَدُ وَأَنْقَصُ اعْتمَادًا عَلى عَدَالتهمْ، فَمَنْ جَرَحَ وَاحدًا منَ الأَصْحَاب فَذَلكَ الجَرْحُ رَاجعٌ إِلى القُرْآن المَجيد فَإِنَّهُ يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ حَامل بَعْض الآيَات ذَلكَ المَجْرُوحُ وَالمَطْعُونُ فيه، وَيَنْبَغي أَنْ يَصْرفَ المُخَالفَات وَالمُنَازَعَات الوَاقعَة بَيْنَ هَؤُلاَء الأَكَابر إِلى مَحَامل صَحيحَة وَأَنْ يُبْعدَهُمْ وَيُنَزِّهَهُمْ عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّب. قَال الإِمَامُ الشافعيُّ رَحمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَهُوَ أَعْلَمُ بأَحْوَال الصَّحَابَة عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ - "تلكَ دمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ عَنْهَا أَيْدِيَنَا فَلنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلسنَتَنَا". وَنُقل مثْل هَذه المَقُولة أَيْضًا عَنِ الإِمَام جَعْفَر الصَّادق ﷺ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ الحَادي عَشَرَ وَالمائتَان
إلى الملا يار مُحَمَّد قَديم البدخشي
في جَوَاب سُؤَاله
وَبَيَان بَعْض لَوَازِم مَقَام التَّكْميل وَالإرْشَاد

وَصَل المَكْتُوبُ المَرْغُوبُ منَ الأَخ الأَعَزِّ مَوْلاَنَا يار مُحَمَّد القَديم وَصَارَ مُوجَبًا للفَرَح بَلغَ اللهُ سُبْحَانَهُ ذُرْوَة الكَمَال وَالتَّكْميل بحُرْمَة النَّبيِّ المُخْتَار وَآله الأَمْجَاد وَالأَبْرَار عَلَيْه وَ عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَقَدْ سُئلتُ عَنْ مَقَالة المولوي عَلَيْه الرَّحْمَةُ حَيْثُ قَال:"إنَّ المَليحَ الذي كَانَ يَجْتَبي كَانَ حَقًّا فَهَل يَجُوزُ هَذَا الكَلاَمُ أَمْ لاَ". اعْلَمْ أَنَّ أَمْثَال هَذَا الأَمْر تَقَعُ كَثيرًا في هَذَا الطَّريق وَتَجْري عَلى اللسَان، وَهَذَا النَّوْعُ منَ المُعَامَلة يُقَال لهُ التَّجَلي الصوريُّ وَيَظُنُّ صَاحبُ المُعَامَلة تلكَ الصُّورَةَ المُتَجَلى بهَا حَقًّا - تَعَالى شَأْنه - وَالكَلاَمُ إنَّمَا هُوَ مَا قَال الشَّيْخُ الأَجَل الإمَامُ الرَّبَّانيُّ حَضْرَةُ الخواجهْ يُوسُفُ الهمداني - قُدِّسَ سرُّهُ - حَيْثُ قَال:"**تلكَ خَيَالاَتُ تُرَبَّى بهَا أَطْفَال الطَّريقَة**". ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا صَدَرَ لَكُمْ نَوْعُ إجَازَة تَعْليم الطَّريقَة، أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ بَعْضَ الفَوَائد في هَذَا البَاب يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا بأُذُن العَقْل وَالعَمَل بهَا. اعْلَمْ أَنَّهُ إذَا جَاءَ عنْدَكَ طَالبٌ بإرَادَة الطَّريقَة يَنْبَغي لك أَنْ تَتَأَمَّل وَتَتَأَنَّى كَثيرًا في تَعْليم الطَّريقَة إيَّاهُ خَوْفًا منْ أَنْ يُرَادَ عَلَيْك الاسْتدْرَاجُ في هَذَا الأَمْر وَمنْ أَنْ يَكُونَ المَنْظُورُ فيه خرابيتك، خُصُوصًا إذَا ظَهَرَ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ منْ مَجيء المُريد فَيَنْبَغي سُلُوكُ طَريق الالتجَاء وَالتَّضَرُّع في هَذَا اللبَاب، وَالاسْتخَارَات المُتَعَدِّدَة إلى أَنْ يَصل اليَقينُ بكَوْن تَعْليم الطَّريقَة إيَّاهُ مَرْضيًّا وَأَنَّهُ لاَ يُرَادُ به الاستدارجُ وَالإضْلال، لأَنَّ التَّصَرُّفَ في عبَاد الله تَعَالى وَتَضْييع الوَقْت في تَرْبيَتهمْ غَيْرُ مُجَوَّز بلاَ إذْن الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَفي قَوْله تَعَالى "لتُخْرجَ النَّاسَ منَ الظُّلمَات إلى النُّور بإذْن رَبِّهمْ" دَلالةٌ عَلى هَذَا المَعْنَى. حُكيَ أَنَّهُ لَمَّا تَوَفِّي وَاحدٌ منَ الأَعزَّة جَاءَ الخطَابَ بأَنَّهُ أَنْتَ الذي لبسَ الدِّرْعَ في ديني عَلى عبادي. قَال: بَلى قَال: هَلاَّ، وَكَّلتَ خَلقي إليَّ وَأَقْبَلتَ بقَلبك عَليَّ، وَالإجَازَةُ التي صَدَّرَتْ لك وَلغَيْرك مَشْرُوطَةٌ بالشُّرُوط وَمَنُوطَةٌ بحُصُول العلم بمَرْضَاة تَعَالى، فَإنَّهُ مَا جَاءَ بَعْدَ وَقْت الإجازة المُطْلقَة. فَيَنْبَغي رعَايَةُ تلكَ الشُّرُوط إلى وُرُود ذَلكَ الوَقْت وَالشَّرْطُ هُوَ الإخْبَارُ وَحَرَّرَ هَذَا المَعْنَى أَيْضًا إلى المَيْر نُعْمَانَ، فَيَنْبَغي الاسْتعْلاَمُ أَيْضًا منْ هُنَاكَ وَبالجُمْلة يَنْبَغي السَّعْيُ حَتَّى يَجيءَ ذَلكَ الوَقْتُ وَيَتَيَسَّرَ التَّخَلصُ منْ مضائق الشَّرَائط وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ وَالمائَتَان
إلى مَوْلاَنا مُحَمَّد صدِّيق البدخشي
فِي جَوَابِ بَعْضِ أَسْئِلتِهِ وَحَل وَاقِعَةٍ رَآهَا

وَصَل المَكْتُوبَان المَرْغُوبَان مُتَتَابِعَيْن فَازْدَادَ فَرَحًا عَلى فَرَحٍ أَكْرَمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ بِتَرْقِيَّات غَيْر مُتَنَاهِيَة بِحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلِينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَسَأَلتُ أَنَّهُ هَل يَقْدِرُ الشَّيْخُ صَاحِبُ التَّصَرُّف أَنْ يُوصِّل المُرِيدَ المُسْتَعِدَّ بِتَصَرُّفِه إلى مَرَاتِبَ فَوْقَ اسْتِعْدَادِه أَوْ لاَ ؟ بَلى يَقْدِرُ أَنْ يُوصِّلَهُ، وَلكِنْ إلى مَرَاتِبَ تُنَاسِبُ اسْتِعْدَادَه، لاَ إلى مَرَاتِبَ تُبَايِنُ اسْتِعْدَادَهُ مَثَلاً إذَا كَانَ فِي مُرِيد اسْتِعْدَادُ الوِلاَيَة المُوسوية وَنِهَايَةُ قُوَّة اسْتِعْدَادِه مَا يَقْدِرُ الوُصُول بِهَا إلى نِصْف طَرِيق هَذِه الوِلاَيَة، فَالشَّيْخُ صَاحِبُ التَّصَرُّف يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوصِّلَهُ بِتَصَرُّفِه إلى أَقْصَى دَرَجَات هَذِه الوِلاَيَة، وَأَمَّا أَنَّهُ يُخْرِجُهُ مِنَ الوِلاَيَة المُوسوية إلى الوِلاَيَة المُحَمَّدِيَّة وَيَمْنَحُهُ هُنَاكَ التَّرْقِيَات فَهُوَ لَيْسَ بِمَعْلُومِ الوُقُوعِ. وَسَأَلت أَيْضًا أَنَّهُ أَيُّ مَرْتَبَة يَحْصُل فِيَا للأَخْفَى الذي هُوَ أَلطَفُ اللطَائف الإنْسَانِيَّة حُكْمُ النَّفْسِ الأَمَّارَة وَتَحْصُل لهُ المُشَابَهَةُ فِي الخَسَّة وَالدَّنَاءَة ؟ لِيَعْلَمَ الأَخُ أَنَّ الأَخْفَى وَإِنْ كَانَ أَلطَفَ اللطَائف وَلكِنَّهُ دَاخِل فِي دَائِرَة الإمْكَان وَمُتَّسِمَةٌ بِسِمَة الحُدُوث فَإِذَا وَضَعَ السَّالِكُ قَدَمَهُ فِي خَارِج دَائِرَة الإمْكَان وَوَقَعَ سَيْرُهُ عَلى مَرَاتِب الوَاجِب وَتَرَقَّى مِنْ ظِلال الوُجُوب إلى أُصُولِهَا وَتَخَلصَ مِنَ التَّقَيُّد بِالصِّفَة وَالشَّأْن، فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ المُمْكِنُ حِينَئِذ فِي نَظَرِه ذَلِيلاً حَقِيرًا عَدِيمَ الاعْتِبَار، وَيَرَى أَخَسَّه وَأَلطَفَه مُسَاوِيَيْنِ فِيهَا وَيَتَخَيَّل النَّفْسَ وَالأَخْفَى فِي هَذَا المَقَام كَأَنَّهُمَا تَوْأَمَان.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ سُمِعْت مِنْك بِوَاسِطَة أَوْ بِلاَ وَاسِطَة أَنَّ عِبَادَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ تَعَالى حَاضِرٌ وَقْتَ العِبَادَة مُوجِبٌ لِتَنَزُّله تَعَالى، يَنْبَغِي العِبَادَةُ مِثْل العَبِيد، فَإِنَّ العِبَادَةَ لهُ تَعَالى مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ حَاضِرٌ سُوءُ أَدَب. أَيُّهَا المُحِبُّ إنَّ صُدُورَ أَمْثَال هَذِه المَقَالة مِنْ هَذَا الفَقِير لَيْسَ بِمَعْلُوم وَلَعَلك رَأَيْتَه فِي مَحَل آخَرَ. وَالوَاقِعَةُ التي رَأَيْتَهَا وَرَأَيْتَ فِيهَا حَضْرَةَ آدَمَ - عَلى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَحَسَنَةٌ جِدًّا وَأَصِيلةٌ وَالمَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ العِلمِ، وإدْخَال اليَد فِيه حُصُول القُدْرَة فِي

العلمِ، وَمُشَارَكَةُ آدَمَ - عَلى نَبيِّنَا وَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مُؤَكِّدَةٌ لِهَذَا الحُصُول، فَإِنَّ آدَمَ عَلَيْه السَّلاَمُ تلميذُ الرَّحْمَنِ، {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ المُرَادَ بالعلمِ فِي هَذه الوَاقعَة علمُ البَاطن، بَل نَوْعٌ مِنْ عِلمِ البَاطنِ لَهُ مُنَاسَبَةٌ لِنسْبَةِ أَهْلِ البَيْتِ - عَلَيْهِمُ الرِّضْوَان - والبَاقِي عِنْدَ التلاقي وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالمِائَتَانِ
إلى السَّيِّد فَرِيد
في المَوَاعظ وَالنَّصَائح
بالتَّرْغيب في اتِّبَاع عُلَمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة
وَالتَّحْذِيرِ عَنْ مُصَاحَبَة عُلَمَاءِ السُّوء إلخ

عَصَمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَنَابِكُمْ بِحُرْمَة جَدِّكُمْ الأَمْجَد عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:{هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ}. وَلاَ أَدْرِي بَأَيِّ إِحْسَانٍ أُكَافِئُ إِحْسَانَكُمْ، سِوَى أَنْ أَكُونَ رَطْبَ اللسَان بِدُعَاء سَلاَمَتِكُمْ فِي الدَّارَيْنِ فِي الأَوْقَات الشَّرِيفَة. الحَمْدُ لله سُبْحَانَهُ وَالمِنَّةُ إِنَّ هَذَا المَعْنَى مُيَسَّرٌ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَار. وَالإِحْسَانُ الآخَرُ الذي تَلِيقُ المُكَافَأَةُ به التَّذْكِرَةُ وَالمَوْعِظَةُ فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَة إِنْ وَقَعَتْ فِي مَعْرِضِ القَبُول. أَيُّهَا النَّقِيبُ النَّجِيبُ إِنَّ خُلاَصَةَ المَوَاعظ وَزُبْدَةَ النَّصَائح وَالاخْتلاَط وَالانْبِسَاط مَعَ أَصْحَاب الدِّيَانَة وَأَرْبَاب التشرع، وَكُل مِنَ التَّدَيُّن والتشرُّع مَرْبُوطٌ بِسُلُوك طَرِيقَة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة الحَقَّة، الذينَ هُمُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ بَيْنِ سَائِر الفِرَق الإِسْلاَمِيَّة، وَالنَّجَاةُ بِدُون مُتَابَعَة هَؤُلاَء الأَكَابِر مُحَال، وَالفَلاَحُ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ آرَائِهِمْ مُمْتَنِعٌ، وَالدَّلاَئِل النَّقْلِيَّةُ وَالعَقْلِيَّةُ وَالكَشْفِيَّةُ شَاهِدَةٌ لِهَذَا المَعْنَى، لاَ تَحْتَمِل التَّخَلُّفَ أَصْلاً فَإِذَا عُلِمَ خُرُوجُ شَخْص مِقْدَارَ خَرْدَلَة مِنْ طَرِيق هَؤُلاَء الأَكَابِر الذي هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ صُحْبَتَهُ سُمٌّ قَاتِل، وَأَنْ تَرَى مُجَالَسَته كَمُجَالَسَة الأَفْعَى، وَطَلَبَةُ العلم الذينَ لاَ مُبَالاَةَ فيهِمْ فَهُمْ لصُوصُ الدِّينِ مِنْ أَيِّ فُرْقَة كَانُوا، وَالاجْتِنَابُ عَنْ صُحْبَتِهِمْ أَيْضًا مِنَ الضَّرُورِيَّات. وَجَمِيعُ هَذه الفِتْنَة وَالمَفْسَدَة الوَاقِعَة فِي الدِّينِ مِنْ شآمة هَؤُلاَء الجَمَاعَة الذينَ جَعَلوا آخِرَتَهُمْ هَبَاءً فِي جَمِيعِ حُطَام الدُّنْيَا. {أُولئِكَ الذينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}. رَأَى شَخْصٌ إِبْلِيسَ اللعينَ قَاعِدًا مُسْتَرِيحًا فَارِغَ البَال مِنَ الاشْتِغَال بِالإِغْوَاء وَالإِضْلال فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ فَقَال اللعينُ:"إِنَّ عُلَمَاءَ السُّوءِ فِي هَذَا الوَقْتِ قَدْ كَفَوْا أَمْرِي وَتَكَفَّلوا لِي بِالإِغْوَاءِ وَالإِضْلال".

وَمَوْلاَنَا عُمْرُ مَوْصُوفٌ بِحُسْنِ السِّيرَةِ وَالطَّوِيَّةِ مِنْ بَيْنِ الطَّلَبَةِ المَوْجُودِينَ الآنَ هُنَاكَ بِشَرْطِ أَنْ تُقَوُّوا قَلبَه وَتُعَاوِنُوهُ عَلى إِظْهَارِ الحَقِّ.

وَالحَافِظُ الإِمَامُ فيه أَيْضًا جُنُونُ الإِسْلاَمِ وَلاَ بُدَّ مِنْ ذَاكَ الجُنُونِ فِي الإِسْلاَمِ، "**لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُقَالَ إِنَّهُ مَجْنُونٌ**". مَعْلومٌ لِجَنَابِكُمْ، وَهَذَا الفَقِيرُ لَمْ يُقَصِّرْ فِي القَوْلِ وَالكِتَابَةِ فِي التَّحْرِيضِ عَلى الصُّحْبَةِ الحَسَنَةِ وَلَمْ أُرَخِّصْ لِنَفْسِي أَنْ تَتْرُكَ المُبَالَغَةَ فِي التَّحْذِيرِ عَنِ المُصَاحَبَةِ السُّوءِ وَأَرَى ذَلِكَ أَصْلاً عَظِيمًا وَالقَبُولُ مِنْ عِنْدِكُمْ فَطُوبَى لِمَنْ جُعِلَ مَظْهَرًا للخَيْرِ، وَتَذَكُّرُ حَسَنَاتِكُمْ يُورِدُنِي عَلى هَذَا القِيلِ وَالقَالِ وَيُنْسِينِي مُلاَحَظَةَ التَّصْدِيعِ وَالإِمْلاَلِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ وَالمِائَتَان
إلى خَان خَانَان فِي بَيَان أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَة وَفِي سِرِّ تَأْبِيد عَذَاب الكُفَّارِ وَتَفْوِيضِ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَاب الاِفْتِقَارِ

طُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مَظْهَرًا للخَيْر، وَقَدْ جَعَل الحَقُّ سُبْحَانَهُ الدُّنْيَا مَزْرَعَةَ الآخِرَة؛ فَيَا شَقَاوَةَ مَنْ أَكَل البَذْرَ بالتَّمَام وَلَمْ يَزْرَعْهُ فِي أَرْضِ الاسْتِعْدَاد، وَلَمْ يَجْعَل الحَبَّةَ الوَاحِدَةَ سَبْعمائَةَ حَبَّة، وَلَمْ يُهَيِّئْهُ ذَخِيرَةً لِيَوْمٍ يَفِرُّ فِيه الأَخُ مِنْ أَخٍ وَالأُمُّ مِنْ وَلَد خَسَارَةُ الدُّنْيَا وَالآخِرَة نَقْدُ وَقْته وَحَسْرَةُ الدَّارِينَ وندامتُهما فِي كَفِّ يَده لَمَّا كَانَ مُعَرَّضًا لغَضَب رَبِّه وَمَقْته وَأَصْحَابُ الدَّوْلة هُمُ الذينَ يَغْتَنِمُونَ الفُرْصَةَ فِي الدُّنْيَا، لاَ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا وَيَتَلَذَّذُونَ بِهَا فَإِنَّهُ لاَ مَدَارَ عَلَى ذَلكَ وَلاَ ثَبَاتَ لَهَا هُنَالكَ. وَمَعَ ذَلكَ إِنَّهَا مُعَدَّاتُ المِحَنِ وَالعَقَبَاتُ بَل بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَعْمَلونَ فِيهَا وَيَزْرَعُونَ لآخِرَتِهِمْ، وَيَحْصُلونَ مِنْ حَبَّة وَاحِدَة مِنَ العَمَل بِحُكْمِ: {اللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ}[1] مَرَاتٌ غَيْرُ مُتَنَاهِيَة. وَمِنْ هَهُنَا كَانَ جَزَاءُ الأَعْمَال الصَّالِحَة فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَة تنعماتٌ مُخَلَّدَةٌ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ تَضَاعُفَ الأَجْرِ إِنَّمَا هُوَ فِي الحَسَنَات دُونَ السَّيِّئَات فَإِنَّ الجَزَاءَ فِيهَا بالمِثْل فَكَيْفَ يَجُوزُ تَأْبِيدُ عَذَاب الكُفَّار بِوَاسِطَة سَيِّئَات مَعْدُودَة ؟ أُجِيبُ إِنَّ مُمَاثَلَةَ الجَزَاء للعَمَل مُفَوَّضَةٌ إِلى علم الوَاجب تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَعِلمُ المُمْكِن قَاصِرٌ عَنْ إِدْرَاكِهَا. أَلاَ تَرَى أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَمَرَ فِي قَذْف المُحْصَنَات بِجلد ثَمَانِينَ جَزَاءً مُمَاثِلاً وَفِي حَدِّ السَّرِقَة بِقَطْعِ اليَمِين وَفِي حَدِّ الزِّنَا فِي البِكْر مَعَ البِكْر بِمائَة جَلدَة وَتَغْرِيب عَام وَفِي الشَّيِّخ وَالشَّيْخَة حَكَمَ بالرَّجْم..! وَعِلمُ السِّرِّ هَذه الحُدُود وَالتَّقْدِيرَات خَارِجٌ مِنْ طَوْق البَشَر ذَلكَ تَقْدِيرُ العَزِيز العَلِيم، وَحَيْثُ حَكَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بالعَذَاب المُخَلد عَلَى الكُفْر المُوَقَّت جَزَاءً وِفَاقًا، عُلِمَ أَنَّ الجَزَاءَ المُمَاثِل عَلَى الكُفْرِ المُوَقَّت هُوَ ذَلكَ العَذَابُ المُخَلدُ. وَمَنْ أَرَادَ تَطْبِيقَ جَمِيعِ الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة عَلَى عَقْله وَجَعَلهَا مَعْقُول نَفْسه وَتَسْوِيَتَهَا بِأَدِلة عَقْلِيَّة، فَهُوَ مُنْكِرٌ لطَوْرِ النُّبُوَّة عَلَيْه مَا يَسْتَحِقُّ وَالتَّكَلمُ مَعَهُ مِنْ عَدَمِ العَقْل، شعْرٌ:

مَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِالكِتَابِ وَسُنَّةٍ فَجَوَابُه أَنْ لاَ تُجِيبَ وَتَسْكُتَا

---

(١) ــ الآية ٢٦١ من سورة البقرة.

وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ رَافِعَ رُقَيمة الفُقَرَاءِ الشَّيْخِ مَيَّانَ أَحْمَدَ وَلَدَ المَغْفُورِ لهُ الشَّيْخِ سُلطَانِ التهانيسري تَوَجَّهَ إلى الخِدْمَةِ العَلِيَّةِ مُتَوَسِّلاً بِهَذَا الفَقِيرِ مُلاَحَظًا لألطافكم وإحساناتكم إلى وَالده المَاجد، وَمِنْ جُمْلة أَلطَافكُمْ إِلَيْه أَنَّهُ كَانَ مَوْضَعًا فِي قَضَاءِ اندرى وَكُنْتُمْ أَكْرَمْتُمُوهُ بإِعْطَائه إِيَّاهُ وَالأَمْرُ عِنْدَكُمْ بَلْ كُل مِنْ عِنْد الله. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ وَالمِائَتَان
إلى المَرْزَا داراب
في مَذَمَّةِ الدُّنْيَا

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ الذي أَرْسَلتَه بالتَّوَاضُعِ التَّامِّ مِنْ حُسْنِ نَشْأَةِ الاسْتِعْدَاد الفطريِّ إلى الفُقَرَاءِ معدومي البضَاعَة. جَزَاكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاءِ بحُرْمَةِ حَبِيبِه عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. أَيُّهَا الوِلدَانُ أَرْبَابَ الدُّنْيَا وَأَصْحَابَ الغنا مُبْتَلَوْنَ بِبَلاَءٍ عَظِيم، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَبْغُوضَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَقَدْ زَيَّنَ فِي نَظَرِهِمْ أَقْبَحَ جَمِيعِ النَّجَاسَاتِ كَنَجَاسَةِ مُمَوَّهَةٍ بالذَّهَب، وَسَمٍّ مُغَلف بالسُّكَّر. وَمَعَ ذَلِكَ لَقَدْ اهْتَدَى العَقْلِ السَّلِيمُ إلى شَنَاعَةِ هَذِه الدَّنِيَّة، وَدَل عَلى قَبَاحَةِ هَذِه الغَيْرِ المُرْضِيَة. وَلِهَذَا قَال العُلمَاءُ:"لَوْ أَوْصَى شَخْصٌ بمَالِه لأَعْقَل أَهْل زَمَانِه يُعْطى للزُّهَّاد". فَإِنَّهُمْ رَاغِبُونَ عَنِ الدُّنْيَا وَرَغْبَتُهمْ عَنْهَا مِنْ كَمَال عَقْلِهِمْ. وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكْتَفِ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ كَمَال رَحْمَتِه بشَهَادَةِ العَقْل وَحْدَهُ، بَل ضَمَّ إِلَيْه شَاهِدًا آخَرَ مِنَ النَّقْل وَاطَّلَعَ عَلى حَقِيقَةِ ذَاكَ المَتَاعِ الكَاسِد عَلى أَلسِنَةِ الرُّسُل - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - الذينَ هُمْ رَحْمَةٌ للعَالمِينَ - وَمَنَعَ عَنْ مَحَبَّةِ تلكَ القَحْبَةِ وَالتَّعَلقِ بهَا مَنْعًا بَلِيغًا. وَمَعَ وُجُودِ هَذَيْنِ الشَّاهِدَيْنِ العَدْلَيْنِ إِذَا أَكَل شَخْصٌ السُّمَّ بطَعمِ السُّكَّرِ المَوْهُومِ، وَاخْتَارَ النَّجَاسَةَ برَجَاءِ الذَّهَبِ المُتَخَيَّل، فَهُوَ سَفِيهٌ مَحْضٌ وَبَلِيدٌ بالطَّبْعِ بَل هُوَ مُنْكِرٌ لأَخْبَارِ الرُّسُل عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فِي الحَقِيقَة، وَحُكْمُه حُكْمُ المُنَافِقِ الذي فيه صُورَةُ الإِيمَان، وَهِيَ لاَ تَنْفَعُ فِي الآخِرَةِ وَلاَ نَتِيجَةَ لَهَا غَيْرَ عِصْمَةِ الدِّمَاءِ وَالأَمْوَال الدُّنْيَوِيَّة. فَيَنْبَغِي رَفْعُ قُطْنِ الغَفْلَة اليَوْمَ مِنَ الأُذُن، وَإِلاَّ لاَ يَحْصُل شَيْءٌ غَدًا سِوَى الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَالشَّرْطُ الإِخْبَارُ، شعْرٌ

إنمـــا هـــذه الدنيـــا متاع ... الغُرُورِ الغُرُورِ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالمُؤَمَّل غَيْبٌ ... وَلَك الســـاعةُ التِي أَنْتَ فِيهَا

المَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ وَالمائَتَان
إلى المَرْزَا حُسَامِ الدِّين
فِي بَيَانِ سِرِّ كَثْرَةِ ظُهُورِ الخَوَارِقِ للعَادَاتِ مِنْ بَعْضِ الأَوْلِيَاءِ وَقِلةِ ظُهُورِهَا مِنْ بَعْضٍ آخَرَ وَبَيَانِ أَتَمِّيةِ مَقَامِ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآله الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ قَدْ يَقَعُ فِي الخَاطِرِ الفَاتِرِ أَنَّهُ لَمَّا حَالَ البُعْدُ الصوريُّ بيني وَبَيْنَ الأَحِبَّةِ وَصَارَتْ المُلاَقَاةُ الظَّاهِرِيَّةُ كَعَنْقَاءِ المَغْرِبِ، كَانَ المُنَاسِبُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْهِمْ بَعْضَ العُلومِ وَالمَعَارِفِ أَحْيَانًا فَبِنَاءً عَلى ذَلِكَ أَكْتُبُ مِنْ هَذَا القِسْمِ شَيْئًا فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ، وَالمَرْجُوُّ أَنْ لاَ يَكُونَ ذَلِكَ مُنْجَرٌّ إِلى المَلاَلِ. أَيُّهَا المَخْدُومُ لَمَّا كَانَ مَبْحَثُ الوِلاَيَةِ فِيمَا بَيْنَنَا وَنَظَرُ عَوَامِّ الخَلاَئِقِ، إِلى ظُهُورِ الخَوَارِقِ، أَذْكُرُ مِنْ هَذِهِ المَقُولةِ كَلِمَاتٍ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا. اعْلَمْ أَنَّ الوِلاَيَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَالخَوَارِقُ وَالكُشُوفُ مِنْ لَوَازِمِهَا قَلَتْ أَوْ كَثُرَتْ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَكُونُ خَوَارِقُهُ أَكْثَرَ تَكُونُ وِلاَيَتُهُ أَتَمَّ وَحَظُّهُ أَوْفَرَ، بَلْ كَثِيرًا مَا يَكُونُ ظُهُورُ الخَوَارِقِ قَلِيلاً وَتَكُونُ الوِلاَيَةُ أَكْمَلَ مَدَارُ كَثْرَةِ ظُهُورِ الخَوَارِقِ عَلى أَمْرَيْنِ. كَوْنِ العُرُوجِ إِلى الفَوْقِ أَكْثَرَ فِي وَقْتِ العُرُوجِ وَكَوْنِ النُّزُولِ إِلى السُّفْلِ أَقَلَّ فِي وَقْتِ النُّزُولِ، بَلِ الأَصْلُ العَظِيمُ فِي كَثْرَةِ ظُهُورِ الخَوَارِقِ هُوَ قِلةُ النُّزُولِ عَلى أَيِّ كَيْفِيَّةٍ كَانَ جَانِبُ العُرُوجِ، فَإِنَّ صَاحِبَ النُّزُولِ يُنْزِلُ إِلى عَالَمِ الأَسْبَابِ وَيَجِدُ وُجُودَ الأَشْيَاءِ مَرْبُوطًا بِالأَسْبَابِ وَيَرَى فِعْلَ مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ مِنْ وَرَاءِ أَسْتَارِ الأَسْبَابِ وَالذي لَمْ يَنْزِلْ أَوْ نَزَلَ، وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ إِلى الأَسْبَابِ فَنَظَرُهُ مَقْصُورٌ عَلى فِعْلِ مُسَبَّبِ الأَسْبَابِ فَقَطْ، لأَنَّ الأَسْبَابَ قَدْ ارْتَفَعَتْ عَنْ نَظَرِهِ بِالتَّمَامِ وَقَصُرَ نَظَرُهُ عَلى فِعْلِ مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ فَلاَ جَرَمَ يُعَامِلُ الحَقّ سُبْحَانَهُ كُلاًّ مِنْهُمَا مُعَامَلةً عَلى حِدَةٍ بِمُقْتَضَى ظَنِّ كُلٍ مِنْهُمَا فَيَكِلُ أَمْرَ مَنْ يَرَى الأَسْبَابَ إِلى الأَسْبَابِ، وَالذي لاَ يَرَى الأَسْبَابَ يُهَيِّئُ أَمْرَهُ بِدُونِ تَوَسُّطِ الأَسْبَابِ، وَحَدِيثُ "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي" شَاهِدٌ لِهَذَا المَعْنَى، وَقَدْ اخْتَلَجَ فِي الخَاطِرِ مُدَّةً كَثِيرَةً أَنَّهُ مَا الوَجْهُ فِي عَدَمِ ظُهُورِ الخَوَارِقِ مِنْ أَحَدٍ مِنْ كَمَ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ فِيمَا مَضَى مِثْلَ مَا ظَهَرَ مِنْ حَضْرَةِ السَّيِّدِ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلاَنِيِّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – فَأَظْهَرَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ آخِرَ الأَمْرِ سِرَّ هَذَا المَعْمِيِّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ عُرُوجَ السَّيِّد محيي الدِّين الجيلانيِّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – كَانَ أَعْلى مِنْ عُرُوجِ أَكْثَرِ الأَوْلِيَاء، وَنَزَل وَفِي جَانِب النُّزُول إِلى مَقَامِ الرُّوحِ فَقَطْ الذي هُوَ فَوْقَ عَالَمِ الأَسْبَاب، وَحِكَايَةُ الحَسَنِ البصريِّ وَحَبِيب العجميِّ مُنَاسِبَةٌ لهَذَا، يَعْني مُؤَيِّدَةً وَمُقَوِّيَةً لَمَا سَبَقَ نُقِل عَنِ الحَسَنِ البصريِّ "أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا وَاقِفًا بِسَاحِل النَّهْرِ مُنْتَظِر السَّفِينَة لِيَعْبُرَ النَّهْرَ فَجَاءَ حَبِيبٌ العجميُّ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَب وُقُوفه، فَقَالَ: أَتَنْتَظِرُ السَّفِينَةَ. فَقَال الحَبِيبُ: مَا الحَاجَةُ إِلى سَفِينَة أَلَيْسَ فِيك يَقِينٌ ؟ فَقَال الحَسَنُ: أَلَيْسَ لك علمٌ ؟ فَعَبَرَ الحَبِيبُ النَّهْرَ يَعْني مَاشِيًا عَلى المَاء بلاَ اسْتِعَانَة سَفِينَة وَبَقِيَ الحَسَنُ وَاقِفًا مُنْتَظِرًا للسَّفِينَة". وَكَانَ الحَسَنُ البصريُّ قَدْ نَزَل إِلى عَالَمِ الأَسْبَاب. فَعُومِل بِتَوَسُّط الأَسْبَاب وَكَانَ الحَبِيبُ العجميُّ قَدْ طَرَحَ الأَسْبَابَ وَأَزَاحَهَا عَنْ نَظَرِه بِالتَّمَام، فَعُومِل مِنْ غَيْرِ تَوَسُّط الأَسْبَاب. وَلكِنَّ الفَضْل للحَسَن لأَنَّهُ صَاحِبُ العلمِ وَجَمَع بَيْنَ عَيْنِ اليَقِين وَعِلمِ اليَقِين وَعِلمِ الأَشْيَاء كَمَا هِيَ فَإِنَّ القُدْرَةَ جُعِلتْ فِي نَفْسِ الأَمْرِ مَسْتُورَةً فِيمَا وَرَاءَ الحِكْمَة وَحَبِيبٌ العجميُّ صَاحِبُ سُكْرٍ، لهُ يَقِينٌ بالفَاعِل الحَقِيقيِّ مِنْ غَيْرِ مدخليَّة الأَسْبَاب وَهَذِه الرُّؤْيَةُ لَيْسَتْ بِمُطَابَقَة لنَفْسِ الأَمْرِ لأَنَّ تَوَسُّطَ الأَسْبَاب كَائِنٌ بِحَسَب الوَاقِع.

وَأَمَّا مُعَامَلَةُ التَّكْمِيل وَالإِرْشَاد فهي عَلى عَكْسِ مُعَامَلَة ظُهُور الخَوَارِق، فَإِنَّ فِي مَقَامِ الإِرْشَاد كُلمَا كَانَ النُّزُول أَكْثَرَ يَكُونُ الإِرْشَادُ أَكْمَل وَأَوْفَرُ، فَإِنَّ حُصُول المُنَاسَبَة بَيْنَ المُرْشِد وَالمُسْتَرْشِد لاَزِمٌ فِي الإِرْشَاد وَهُوَ مَنُوطٌ بالنُّزُول وَاعْلَمْ أَنَّ التَّفَوُّقَ كُلمَا كَانَ أَكْثَرَ يَكُونُ النُّزُول أَكْثَرَ فِي الأَغْلَب، وَلهَذَا كَانَ عُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ فَوْقَ الكُل وَنَزَل وَقْتَ النُّزُول أَسْفَل مِنَ الكُل، وَلذَا كَانَتْ دَعْوَتُه أَتَمَّ وَكَانَ مُرْسَلاً إِلى كَافَّة الأَنَام. لأَنَّهُ قَدْ حَصَلتْ لهُ ﷺ مُنَاسَبَةٌ بالكُل بوَاسطَة نهَايَة النُّزُول وَكَانَ طَرِيقُ إِفَادَته أَتَمَّ، وَكَثِيرًا مَا تَقَعُ إِفَادَةُ الطَّالبِينَ مِنْ متوسطي هَذَا الطَّرِيق مَا لاَ يَتَيَسَّرُ مِنَ المُنْتَهِينَ غَيْرِ المَرْجُوعِينَ، فَإِنَّ فِي المُتَوَسِّطِينَ زِيَادَةَ مُنَاسَبَة للمُبْتَدِئِينَ بالنِّسْبَة إِلى المُنْتَهِينَ غَيْرِ المَرْجُوعِينَ. وَمِنْ هَهُنَا قَال شَيْخُ الإِسْلاَم الهرويُّ – قُدِّسَ سِرُّهُ ـــ: "لوْ كَانَ الخرقانيُّ وَمُحَمَّدٌ القَصَّابُ فِي مَحَل وَاحد لاَرْسَلْتُكُمْ إِلى مُحَمَّد القَصَّاب لاَ إِلى الخرقانيِّ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ لكُمْ مِنَ الخرقانيِّ". يَعْني كَانَ الخرقانيُّ مُنْتَهِيًا، فَيَكُونُ احتظاظُ المُرِيد مِنْهُ قَلِيلاً. يَعْني مُنْتَهِيًا غَيْرَ مَرْجُوعٍ لاَ مُنْتَهِيًا مُطْلَقًا، فَإِنَّ عَدَمَ الإِفَادَة التَّامَّة غَيْرُ وَاقِعٍ فِي حَقِّه فَإِنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ أَزِيدَ انْتِهَاءً مِنَ الكُل وَالحَال أَنَّ

إِفَادَتَهُ كَانَتْ أَزْيَدَ مِنَ الكُل فَكَانَ مَدَارُ زِيَادَة الإِفَادَة وَنُقْصَانِهَا عَلى الرُّجُوعِ وَالهُبُوطِ لأَعْلى الانْتِهَاء وَعَدَمه. وَهَهُنَا دَقِيقَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ كَمَا أَنَّ فِي حُصُول نَفْسِ الوِلاَيَة لاَ يُشْتَرَطُ لصَاحِبِهَا العلمُ بِوِلاَيَة نَفْسه كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ، كَذَلِكَ لاَ يُشْتَرَطُ العلمُ بِوُجُود خَوَارِق العَادَات. بَل كَثِيرًا مَا يَنْقُل النَّاسُ عَنْهُ خَوَارِقَ وَلاَ يَكُونُ لهُ عَلى تلكَ الخَوَارِق اطِّلاَعٌ أَصْلاً وَالأَوْلِيَاءُ الذينَ هُمْ أَصْحَابُ العلم وَالكَشْف يَجُوزُ أَنْ لاَ يَكُونَ لَهُمُ اطِّلاَعٌ عَلى خوارقهم. بَل تَظْهَرُ صُوَرُهُمُ المِثَالِيَّةُ فِي أَمْكِنَة مُتَعَدِّدَة، وَتَظْهَرُ مِنْ تلكَ الصُّوَرِ أُمُورٌ عَجِيبَةٌ وَحَالاَتٌ غَرِيبَةٌ فِي مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ وَلاَ اطِّلاَعَ لصَاحِبِ تلكَ الصُّوَرِ عَلى ذَلِكَ أَصْلاً، (ع):

وَمَا الفِعْلُ إِلاَّ مِنْهُ، وَالغَيْرُ مُظْهَرٌ

قَال حَضْرَةً مخدومي وَقِبْلتي - قُدِّسَ سِرُّهُ - يَعْني شَيْخَه قَال وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّة: "يَا للعَجَب يَجِيءُ النَّاسُ مِنَ الأَطْرَاف وَالجَوَانب. فَيَقُول بَعْضُهمْ: رَأَيْنَاك فِي مَكَّةَ المُعَظَّمَة وَكُنْتَ حَاضرًا فِي مَوْسِمِ الحَجِّ وَحَجَجْنَا مَعًا. وَيَقُول بَعْضُهمْ: رَأَيْتُك فِي بَغْدَادَ وَيُظْهِرُونَ المَحَبَّةَ وَالمَوَدَّةَ. وَأَنَا لَمْ أَخْرُجْ مِنْ بيتي أَصْلاً، وَلَمْ أَرَ أَمْثَال هَؤُلاَء النَّاسِ فَأَيِّ تُهْمَة يتهمونني بهَا". وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِق الأُمُور كُلهَا وَالزِّيَادَةُ عَلى ذَلكَ إِطْنَابٌ. فَإِنْ كَانَ تَعَطُّشكُمْ مَعْلومًا أَكْتُبُ سَرِيعًا أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

المَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ وَالمِائَتَانِ
إِلى الملا طَاهِر البدخشيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّ نِسْبَةَ البَاطِنِ كُلمَا تَنْجَرُّ إِلى الجَهَالَةِ وَالخَيْرَةِ تَكُونُ أَحْسَنَ
وَبَيَانِ سَبَبِ وُقُوعِ الغَلَطِ فِي بَعْضِ الكُشُوفِ
وَالفَرْقِ بَيْنَ القَضَاءِ المُعَلقِ وَالمُبْرَمِ
وَأَنَّ المُعَوَّلَ عَلَيْهِ هُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ
وَأَنَّ إِجَازَةَ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ لاَ يَدُلُ عَلَى الكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ مُطْلَقًا

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ السَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَعَلى آلِهِ الطَّاهِرَيْنِ أَجْمَعِينَ لَمْ تطلعوني عَلى أَحْوَالِكُمْ وَأَوْضَاعِكُمْ مِنْ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ، وَالاسْتِقَامَةُ مَطْلُوبَةٌ عَلى كُلِ حَالٍ فَعَلَيْكُمْ بالسَّعْيِ وَالاجْتِهَادِ لئَلاَّ يَقَعَ خِلاَفُ الشَّرِيعَةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ اعْتِقَادًا وَعَمَلاً. وَالمُحَافَظَةُ عَلى النِّسْبَةِ البَاطِنِيَّةِ مِنْ أَهَمِّ المُهِمَّاتِ، وَكُلمَا تَنْجَرُّ النِّسْبَةُ إِلى جَانِبِ الجَهَالَةِ تَكُونُ أَحْسَنَ وَكُلمَا تَذْهَبُ إِلى طَرَفِ الخَيْرَةِ تَكُونُ أَفْضَلَ. وَالكُشُوفَاتُ الإِلهِيَّةُ والظهوراتُ الأسمائيةُ إِنَّمَا هِيَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَأَمَّا بَعْدَ الوُصُولِ فَكُلِ ذَلِكَ يَقْصُرُ هُنَالِكَ لاَ يَبْقَى فِيهِ غَيْرُ الجَهَالَةِ وَعَدَمُ وِجْدَانِ المَطْلُوبِ. وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنَ الكُشُوفِ الكَوْنِيَّةِ فَإِنَّ مَجَالَ الخَطَأِ فِيهَا كَثِيرٌ، وَمَظِنَّةُ الغَلَطِ غَالِبَةٌ، فَيَنْبَغِي اعْتِقَادُ أَن وُجُودَهَا وَعَدَمَهَا سِيَّانِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا السَّبَبُ فِي وُقُوعِ الغَلَطِ فِي بَعْضِ الكُشُوفِ الكَوْنِيَّةِ - التِي يَصْدُرُ عَنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالى - وَظُهُورِ خِلاَفِهَا ؟ أُخْبِرُ مَثَلاً أَنَّ فُلاَنًا يَمُوتُ بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ يَرْجِعُ مِنْ سَفَرِهِ إِلى وَطَنِهِ وَلَمَّا مَضَى ذَلِكَ الشَّهْرُ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ مِمَّا أُخْبِرُ بِهِ أُجِيبُ أَنَّ حُصُولَ هَذَا الأَمْرِ المَكْشُوفِ المُخْبَرِ عَنْ وُقُوعِهِ كَانَ مَشْرُوطًا بِشَرَائِطَ وَصَاحِبُ الكَشْفِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلى تَفَاصِيلِهَا وَقْتَ الإِخْبَارِ بِهِ فَحَكَمَ بِحُصُولِهِ مُطْلَقًا، أَوْ نَقُولُ إِنَّ حُكْمًا مِنَ الأَحْكَامِ المَسْطُورَةِ فِي اللوْحِ المَحْفُوظِ ظَهَرَ لِعَارِفٍ وَكَانَ ذَلِكَ الحُكْمُ قَابِلاً فِي نَفْسِهِ المَحْوَ الرَّفْعَ وَكَانَ مِنْ قَبِيلِ القَضَاءِ المُعَلقِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِلعَارِفِ خَبَرٌ مِنْ كَوْنِهِ مُعَلقًا وَقَابِلِيَّتِهِ لِلمَحْوِ وَالرَّفْعِ. فَإِذَا أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ بِمُقْتَضَى عِلْمِهِ وَحَكَمَ بِوُقُوعِهِ يَكُونُ فِيهِ احْتِمَالُ التَّخَلفِ أَلْبَتَّةَ نُقِلَ "أَنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ شَابٍّ عَلى الصَّبَاحِ فَتَرَحَّمَ

النَّبِيُّ ﷺ لحَاله فَسَأَلَهُ عَمَّا يَتَمَنَّاهُ منَ الدُّنْيَا فَقَال: نكَاحُ بِكْرٍ، وَأَكْل حَلوَى فَأَمَرَ بِإحْضَارِهِمَا حَالاً فَبَيْنَمَا الشَّابُّ قَاعِدٌ فِي اللَّيْل مَعَ أَهْله فِي خَلوَته وَطَبَقُ الحَلوَى بَيْن أَيْدِيهِمَا إِذْ جَاءَ سَائل اتِّفَاقًا عِنْدَ البَاب وَسأل شَيْئًا لله فَنَاوَلَهُ الشَّابُّ الحَلوَى كَمَا هُوَ بِطَبَقِه فَلمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ قَعَدَ مُنْتَظِرًا لمَجيء خَبَر مَوْت الغُلاَم فَلمَّا تَأَخَّرَ الخَبَرُ قَال: أخبروني عَنْ حَال ذَاكَ الغُلاَم. فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُ فِي سُرُورٍ وَفَرَحٍ فَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا فَجَاءَهُ جبْرِيل - عَلَيْه السَّلاَمُ - فَقَال: إِنَّهُ تَصَدَّقَ بالحَلوَى فَدَفَعَ ذَلكَ عَنْهُ البَلوَى. فَوَجَدْتُ تَحْتَ وِسَادَته حَيَّةً عَظِيمَةً مَيِّتَةً وَبَطْنُهَا مَحْشُوٌّ بالحَلوَى وَمُمْتَلئٌ به بحَيْثُ مَاتَتْ مِنْ كَثْرَته"، وَأَنَا لاَ أَقْبَل هَذَا النَّقْل، وَلاَ أُجَوِّزُ الخَطَأَ عَلى جبْرِيل فَإِنَّهُ حَامل الوَحيِ القَطْعِيِّ وَأَرَى احْتِمَال الخَطَأ مِنْ حَامل الوَحْي مُسْتَقْبَحًا اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ نَقُول إِنَّ عِصْمَتَهُ وَعَدَمَ احْتِمَال الخَطَأ مِنْهُ مَخْصُوصَةٌ بالوَحْي الذي هُوَ تَبْلِيغٌ مِنْ قِبَل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذَا الخَبَرُ لَيْسَ مِنْ قِسْمِ الوَحْي بَل هُوَ إِخْبَارٌ مَنْ عِلمٍ مُسْتَفَادٍ مِنَ اللوْحِ المَحْفُوظ الذي هُوَ مَحَل المَحْو وَالإِثْبَات فَيَكُونُ للخَطَأ مَجَال فِي هَذَا الخَبَر بخلاَف الوَحْي الذي هُوَ مُجَرَّدُ تَبْلِيغٍ فَافْتَرَقَا كَالفَرْق بَيْنَ الشَّهَادَة الإِخْبَار فَإِنَّ الأُولى مُعْتَبَرَةٌ فِي الشَّرْعِ لاَ الثَّاني اعْلَمْ أَيَّدَك اللهُ تَعَالى أَنَّ القَضَاءَ عَلى قِسْمَيْنِ قَضَاءٍ مُعَلق وَقَضَاءٍ مُبْرَمٍ وَاحْتِمَال التَّبْدِيل وَالتَّغْيِير إِنَّمَا هُوَ فِي القَضَاء المُعَلق وَأَمَّا القَضَاءُ المُبْرَمُ فَلاَ مَجَال فيه للتَّبْدِيل وَالتَّغْيِير قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: {مَا يُبَدَّل القَوْل لدَيَّ} هَذَا فِي القَضَاء المُبْرَم وَقَال فِي القَضَاء المُعَلق {يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَاب} قَال حَضْرَةُ قِبْلَتِي - قُدِّسَ سِرُّهُ - يَعْني شَيْخه كَتَبَ حَضْرَةُ السَّيِّد محيي الدِّين عَبْد القَادر الجيلاني - قُدِّسَ سِرُّهُ - فِي بَعْض رَسَائله لاَ مَجَال لأَحَد فِي تَبْدِيل القَضَاء المُبْرَم إِلاَّ لِي فَإِنِّي أَتَصَرَّفُ فيه أَيْضًا إِنْ أَرَدْتُ ذَلكَ وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَتَعَجَّبُ مِنْ هَذَا الكَلاَم وَيَسْتَبْعِدُهُ وَكَانَ هَذَا النَّقْل مُدَّةً مَدِيدَةً فِي خزَانَة ذِهْن هَذَا الفَقِير إِلى أَنْ شَرَّفني اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَذه الدَّوْلة العُظْمى حَيْثُ كُنْتُ يَوْمًا فِي صَدَد دَفْع بَلِيَّة مُتَوَجِّهَة إِلى بَعْض الأَحبَّة وَكَانَ لِي فِي ذَلكَ الوَقْت التجَاءٌ وَتَضَرُّعٌ وَابْتِهَال وَخُشُوعٌ تَامٌّ إِلى اللهِ تَعَالى فَظَهَرَ أَنَّ قَضَاءَ هَذَا الأَمْر لَيْسَ بمُعَلق بأَمْرٍ آخَرَ فِي اللوْحِ المَحْفُوظ وَلاَ بمَشْرُوط بشَرْط فَحَصَل بَعْدَ هَذَا نَوْعُ يَأْسٍ وَحِرْمَان فَخَطَرَ فِي ذَلكَ الوَقْت قَوْل السَّيِّد عَبْد القَادر الجيلاني - قُدِّسَ سِرُّهُ - فَالتَجَأْتُ إِلَيْه تَعَالى وَتَضَرَّعْتُ مَرَّةً ثَانِيَةً وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْه سَالكًا طَرِيقَ إِظْهَارِ العَجْزِ

وَالانْكِسَار فَأَظْهَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّ القَضَاءَ المُعَلقَ عَلى نَوْعَيْنِ قَضَاءٌ ظَهَرَ تَعْلِيقُهُ فِي اللوْحِ المَحْفُوظِ وَأَطْلعَ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةَ وَقَضَاءٌ تَعْلِيقُهُ عِنْدَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَقَطْ وَهُوَ عَلى صُورَةِ القَضَاءِ المُبْرَمِ فِي اللوْحِ المَحْفُوظِ وَفِي القِسْمِ الأَخِيرِ مِنَ القَضَاءِ المُعَلقِ احْتِمَالُ التَّبْدِيلِ مِثْلَ الأَوَّلِ فَصَارَ مَعْلومًا مِنْ هُنَاكَ أَنَّ كَلاَمَ السَّيِّدِ الجِيلاَنِيِّ مَصْرُوفٌ إِلى القِسْمِ الأَخِيرِ الذِي لَهُ صُورَةُ القَضَاءِ المُبْرَمِ لاَ إِلى قَضَاءٍ هُوَ مُبْرَمٌ حَقِيقَةً فَإِنَّ التَّصَرُّفَ وَالتَّبْدِيلَ فِيهِ مُحَالاَنِ شَرْعًا وَعَقْلاً كَمَا لاَ يَخْفَى وَالحَقُّ أَنَّ لأَفْرَادِ قَلِيلَةٍ اطِّلاَعًا عَلى حَقِيقَةِ ذَلِكَ القَضَاءِ فَكَيْفَ التَّصَرُّفُ هُنَاكَ وَوَجَدْتُ البَلِيَّةَ المُتَوَجِّهَةَ إِلَى الأَخِ المَذْكُورِ مِنَ القِسْمِ الأَخِيرِ وَصَارَ مَعْلومًا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ دَفَعَهَا عَنْهُ وَالحَمْدُ للهِ سُبْحَانَهُ عَلى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ مُبَارَكًا عَلَيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضى وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ عَلى سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ وَخَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ الذِي أَرْسَلَهُ رَحْمَةً للعَالَمِينَ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالمَلاَئِكَةِ المُقَرَّبِينَ أَجْمَعِينَ اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مُحِبِّيهِمْ ومتابعي آثَارِهِمْ بِبَرَكَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ آمينا وَلْنَرْجِعْ إِلى أَصْلِ الكَلاَمِ وَنَقُولُ: إِنَّ سَبَبَ وُقُوعِ الخَطَأِ فِي بَعْضِ العُلومِ الإِلهَامِيَّةِ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ هُوَ أَنَّ بَعْضَ المُقَدِّمَاتِ المُسَلَّمَةِ الثَّابِتَةِ عِنْدَ صَاحِبِ الإِلهَامِ الكَاذِبَةِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ تَلْتَبِسُ وَتَخْتَلِطُ مَعَ العُلومِ الإِلهَامِيَّةِ بِحَيْثُ لاَ يَقْدِرُ صَاحِبُ الإِلهَامِ عَلى التَّمْيِيزِ بَلْ يَظُنُّ جَمِيعَ تِلْكَ العُلومِ إِلهَامِيَّةً فَلاَ جَرَمَ يَقَعُ الخَطَأُ فِي المَجْمُوعِ بِسَبَبِ الخَطَأِ فِي بَعْضِ أَجْزَائِهَا وَأَيْضًا قَدْ يَرَى فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ أُمُورًا غَيْبِيَّةً فِي الكُشُوفِ وَالوَاقِعَاتِ وَيُخَيِّلُ الرأيُّ أَنَّهَا مَحْمُولَةٌ عَلى ظَاهِرِهَا وَمَقْصُورَةٌ عَلى صُورَتِهَا فَيَحْكُمُ عَلى مِقْدَارِ خَيَالِهِ فَيَقَعُ الخَطأُ وَلاَ يَرَى أَنَّ تِلْكَ الأُمُورَ مَصْرُوفَةٌ عَنْ ظَاهِرِهَا وَمَحْمُولَةٌ عَلى التَّأْوِيلِ وَالتَّعْبِيرِ وَهَذَا المَقَامُ أَيْضًا مِنْ جُمْلَةِ مَقَامَاتِ الأَغْلاَطِ الكَشْفِيَّةِ وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ مَا هُوَ القَطْعِيُّ الحَقِيقُ بِالاعْتِمَادِ هُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّهُمَا ثَبَتَا بِالوَحْيِ القَطْعِيِّ وَتَقَرَّرَا بِنُزُولِ المَلَكِ وَإِجْمَاعِ العُلَمَاءِ وَاجْتِهَادِ المُجْتَهِدِينَ يَعْنِي القِيَاسَ رَاجِعَانِ إِلى هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ وَمَا وَرَاءَ هَذِهِ الأُصُولِ الأَرْبَعَةِ كَائِنًا مَا كَانَ إِنْ كَانَ مُوَافِقًا لوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الأُصُولِ فَهُوَ مَقْبُولٌ وَإِلاَّ فَلاَ وَإِنْ كَانَ مِنْ عُلومِ الصُّوفِيَّةِ وَمَعَارِفِهِمُ البَهِيَّةِ وَمِنَ الإِلهَامِ وَالكُشُوفَاتِ السَّنِيَّةِ فَإِنَّ الوَجْدَ وَالحَالَ لاَ يُشْتَرَى هُنَاكَ بِنِصْفِ شَعِيرَةٍ مَا لَمْ يُوزَنْ بِمِيزَانِ الشَّرِيعَةِ وَالإِلهَامُ وَالكُشُوفُ لاَ يُقْبَلُ

عَلى نصْف دَانَقٍ مَا لَمْ يُجَرَّبْ بمحَكِّ الكِتَاب وَالسُّنَّة وَالمَقْصُودُ منْ سُلوك طَرِيق الصُّوفيَّة حُصُول ازْدِيَاد اليَقين بحَقيَة المُعْتَقدَات الشَّرْعيَّة الذي هُوَ حَقيقَةُ الإيمَان وَحُصُول اليُسْر في أَدَاء الأَحْكَام الشَّرْعيَّة لاَ أَمْرَ آخرَ وَرَاءَ ذَلكَ فَإنَّ الرُّؤْيَةَ مَوْعُودَةٌ في الآخرَة لَيْستْ بوَاقعَة في الدُّنْيَا وَالمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجَليَاتُ التي الصُّوفيَّةُ مَسْرُورُونَ بهَا اطْمئْنَانٌ بالظِّلال أَوْ تَسَل بالشَّبه وَالمثَال وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء فَإنْ كَشَفْتَ عَنْ حَقيقَة هَذه المُشَاهَدَات وَالتَّجَليَات كَمَا هيَ أَخَافُ منْ وُقُوع الفُتُور في طَلَب مبتدئي هَذَا الطَّريق وَتَطَرُّقُ القُصُور إلى شَوْقهمْ وَإنْ سَكَت عَنْ ذَلكَ مَعَ وُجُود العلم به أَخَافُ منْ أَنْ أَكُونَ مُجَوِّزًا لالتبَاس الحَقِّ بالبَاطل فَبالضَّرُورَة أَرَدْت أَنْ أُظْهرَ هَذَا القَدْرَ وَهُوَ أَنَّ تَجَليَات هَذَا الطَّريق وَمُشَاهَدَاته يَنْبَغي أَنْ تَعْرضَ عَلى محَكٍّ تَجَلي كَليم الله مُوسَى – عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – وَشُهُوده فَإنْ لَمْ تَصحَّ يَعْني لَمْ تُطَابقْهُ بَل خَالفَتْهُ يَنْبَغي أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهَا بكَوْنهَا منْ جُمْلة التَّجَليَات الظِّلاليَّة وَالمثَاليَّة بالضَّرُورَة وَلاَ يَجُوزُ أَنْ تَصحَّ يَعْني تُطَابقُ أَلْبَتَّةَ فَإنَّ الدَّكَّ وَالفَكَّ مَفْقُودٌ وَلاَ بُدَّ منْهُ في الدُّنْيَا سَوَاءً تَجَلى للبَاطن أَوْ للظَّاهر فَإنَّهُ يَلزَمُهُ الدَّكُّ وَالفَكُّ أَلْبَتَّةَ وَخَاتَمُ الأَنْبيَاء عَلَيْه وَ لَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لكَوْنه مُبَرَّأً منْ هَذه الوَصْمَة تَيَسَّرَتْ لهُ الرُّؤْيَةُ في الدُّنْيَا وَ لَمْ يَذْهَبْ عَنْ مَكَانه مقْدَارَ شَعْرَة وَلاَ تَكُونَ هيَ بلاَ حجَاب ظل منَ الظِّلال لكَمَل تَابعيه ﷺ منَ الذينَ لَهُمْ نَصيبٌ منْ هَذَا المَقَام فَهمَهُ صَاحبُ التَّجَلي أَوَّلاً فَإذَا وَقَعَ الصَّعْقُ لكَليم الله مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ منْ مُشَاهَدَة هَذَا الحَال فَقَطْ منْ غَيْر وُقُوع التَّجَلي لهُ مَاذَا يَقَعُ لغَيْره ثُمَّ اعْلمْ أَنَّ المَقْصُودَ منْ إجَازَة بَعْض المُخْلصينَ هُوَ أَنْ يَكُونَ ذَلكَ المَجَازُ دَليلاً وَهَاديًا إلى طَريق الحَقِّ – جَل وَعَلاَ – بجَمَاعَة في مثْل هَذَا الزَّمَان الذي فَشَتْ فيه الضَّلالةُ وَعَمَّتْ وَيَشْتَغل هُوَ أَيْضًا بإنْفَاق هَؤُلاَء الطَّلَبَة وَيَتَرَقَّى وَيَسْعَى مُحَافظًا عَلى هَذه النِّسْبَة وَيَجْتَهدُ لأَنْ يَكُونَ المُسْتَرْشدُونَ أَيْضًا مُتَشَرِّفينَ بهَذه الدَّوْلة لاَ أَنَّ الإجَازَةَ تُوقعُهُ في تَوَهُّم الكَمَال وَالتَّكْميل وَتَمْنَعُهُ منَ المَقْصُود مَا عَلى الرَّسُول إلى البَلاَغ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنَ عَشَرَ وَالمِائَتَانِ
إلى الملا دَاوُدَ
فِي بَيَانِ لزُومِ رِعَايَةِ آدَابِ شَيْخِ الطَّرِيقَةِ

وَصَلَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ مِنَ الأَخِ الأَعَزِّ الملا دَاوُدَ وَصَارَ مُوجِبًا للابْتِهَاجِ جَعَلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ ظَاهِرَه وَبَاطِنَه مُتَحلِّيًا وَمُتَزَيِّنًا بِمَرْضِيَّاتِه بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ وَآلِه الأَمْجَادِ عَلَيْه وَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَطْلوبُ عَدَمُ وُقُوعِ الفُتُورِ فِي تَكْرَارِ ذِكْرِ القَلبِ وَالاسْتِقَامَةَ عَلى طَرِيقَةِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بِسَبَبِ تَوَجُّهَاتٍ شَتَّى فَمَتَى طَرَأَتْ الظُّلْمَةُ وَالكُدُورَةُ فَرْضًا فَعِلاَجُهَا الالتِجَاءُ وَالتَّضَرُّعُ وَالابْتِهَالُ وَالانْكِسَارُ إِلى جَنَابِ قُدْسِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَالتَّوَجُّهُ التَّامُّ إِلى مُرَبِّيه فَإِنَّهُ هُوَ الوَسِيلَةُ إِلى حُصُولِ هَذِه الدَّوْلَةِ فَيَنْبَغِي رِعَايَةُ آدَابِ وَسَائِلِ هَذِه الدَّوْلَةِ العُظْمى كَمَا هُوَ حَقُّهَا فِي الحُضُورِ وَالغَيْبَةِ وَأَنْ يَجْعَلَ رِضَاءَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَسِيلَةً إِلى تَحْصِيلِ رِضَاءِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ وَالفَلاَحِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالمِائَتَان
إلى المَرْزَا ايرج
فِي بَيَان أَنَّ اشْتِغَال الإِنْسَان بِمَا لاَ يَعْنِيه وَتَرْكَهُ مَا يَعْنِيه وَيُهِمُّهُ مِنْ جَهْله وَغَفْلَته

عَصَمَكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَصِمُكُمْ وَصَانَكُمْ عَمَّا شَانَكُمْ بِحُرْمَة سَيِّد الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ السَّلاَمُ أَيُّهَا السَّعِيدُ النَّجِيبُ إِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا طَرَأَ عَلَيْه مَرَضٌ مِنَ الأَمْرَاض الظَّاهِرَة أَوْ عَرَضَتْ لعُضْو مِنْ أَعْضَائه آفَةٌ يَسْعَى سَعْيًا بَلِيغًا حَتَّى يَنْدَفِعَ عَنْهُ ذَلكَ المَرَضُ وَتَزُول عَنْهُ تلكَ الآفَةُ وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْه المَرَضُ القَلبِيُّ الذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَعَلق القَلب بِمَا دُونَ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - عَلَى نَهْجٍ كَادَ يُوقِعُهُ فِي المَوْت الأبديِّ وَيُلقيه فِي العَذَاب السرمديِّ وَهُوَ لاَ يَتَفَكَّرُ بَعْدُ فِي إِزَالته أَصْلاً وَلاَ يَسْعَى فِي دَفْعه قَطْعًا فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّعَلقَ مَرَضٌ فَهُوَ سَفِيهٌ مَحْضٌ وَإِنْ عَلمَ وَمَعَ ذَلكَ لاَ يُبَالِي به فَهُوَ بَليدٌ صِرْفٌ وَلأَجْل إِدْرَاك هَذَا المَرَض لاَ بُدَّ مِنْ عَقْل المَعَاد فَإِنَّ عَقْل المَعَاش لقُصُور فكْره مَقْصُورٌ عَلَى إِدْرَاك الظَّاهِر لاَ يَتَعَدَّاهُ إِلى بَوَاطِن الأُمُور فَكَمَا أَنَّ عَقْل المَعَاش لاَ يُدْرِكُ المَرَضَ المعنويَّ أَوْ لاَ يَرَاهُ مَرضًا بوَاسطَة ابْتلاَئه بالتلذذات الفَانيَة وَانْغمَاسه فيهَا كَذَلكَ عَقْل المَعَاد لاَ يُحِسُّ الأَمْرَاضَ الصُّورِيَّةَ وَلاَ يَعُدُّهَا أَمْرَاضًا بسَبَب رَجَائه المُثوَّبَات الأُخْرَوِيَّة عَقْل المَعَاش قَصيرُ النَّظَر وَعَقْل المَعَاد حَديدُ البَصَر عَقْل المَعَاد نَصيبُ الأَنْبيَاء وَالأَوْليَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَعَقْل المَعَاش مَرْغُوبُ الأَغْنيَاء وَأَرْبَاب الدُّنْيَا شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَالأَسْبَابُ المُحَصِّلةُ لعَقْل المَعَاد ذِكْرُ المَوْت وَتَذَكُّرُ أَحْوَال الآخرَة وَمُجَالسَةُ قَوْمٍ تَشَرَّفُوا بدَوْلة فكْر الآخرَة. شعْرٌ.

دَلَلْتُك يَا هَذَا عَلَى كَنْزٍ مُقْصَد فَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْلغْ لعَلك تَبْلغُ

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: كَمَا أَنَّ مَرَضَ الظَّاهِر مُوجِبٌ للعُسْرَة وَالتَّعَب فِي أَدَاء الأَحْكَام الشَّرْعيَّة كَذَلكَ مَرَضُ البَاطن أَيْضًا مُسْتَلزِمٌ لذَلكَ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْه } وَقَال سُبْحَانَهُ وَتَعَالى {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ} وَالمُسْتَلزِمُ لذَلكَ العُسْر فِي الظَّاهِر ضَعْفُ القُوَى وَالجَوَارِح وَفِي البَاطن ضَعْفُ اليَقين وَنَقْصُ الإِيمَان وَإِلاَّ فَلَيْسَ فِي التَّكَاليف الشَّرْعيَّة عُسْرٌ أَصْلاً بَل فيهَا كُلهَا تَخْفِيفٌ وَتَمَامُ اليُسْر وَالسُّهُولة وَقَوْله تَعَالى {يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ

العُسْرَ } وَقَوْله تَعَالى: {يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا } شَاهِدَان عَدْلاَن لِهَذَا المَعْنَى شِعْرٌ.

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفْقِ طَالِعَةً أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

فَكَانَ فكْرُ إِزَالة هَذَا المَرَضِ لاَزِمًا وَالالتِجَاءُ إِلى الأَطِبَّاءِ الحُذَّاقِ فَرْضًا {مَا عَلى الرَّسُول إِلاَّ البَلاَغُ}[1] وَالسَّلاَمُ وَالإِكْرَامُ.

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ العشْرُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخِ حُمَيْد البَنْكَالِيِّ
فِي بَيَان بَعْض أَغْلاَط الصُّوفيَّة
وَبَيَان مَنْشَأ غَلطَاتهمْ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى آله وَأَصْحَابه أَجْمَعينَ.

اعْلَمْ أَنَّ أَحْوَال فُقَرَاء هَذَا الجَانب وأَوْضَاعَهُمْ مُوجبَةٌ لازْدِيَاد الشُّكْر يَوْمًا فَيَوْمًا وَنَتَوَقَّعُ ذَلكَ في حَقِّ الأَحْبَاب النَّائينَ أَيُّهَا العَزيزُ إنَّ مَزَلَةَ أَقْدَام السَّالكينَ في هَذَا الطَّريق الذي هُوَ طَريقُ غَيْب الغَيْب كَثيرَةٌ يَنْبَغي للسَّالك أَنْ يَعيشَ مُحَافظًا عَلى حَبْل الشَّريعَة في الاعتقاديات وَالعَمَليَّات وَهَذَا نصيحتي في الحُضُور وَالغَيْبَة عَلى فَرْض وُقُوع الغَفْلة وَهَا أَنَا أَكْتُبُ بَعْضَ أَغْلاَط هَذَا الطَّريق وَأُعَيِّنُ مَنْشَأَ الغَلط يَنْبَغي مُلاَحَظَتُه بنَظَر الاعْتبَار وَيَعْمَل فيمَا وَرَاءَ الجُزْئيَّات المَذْكُورَة بمقْيَاسهَا.

اعْلَمْ أَنَّ بَعْضًا منْ أَغْلاَط الصُّوفيَّة هُوَ أَنَّ السَّالكَ يَجدُ نَفْسَه أَحْيَانًا في مَقَامَات العُرُوج فَوْقَ قَوْم ثَبَتَتْ أَفْضَليَّتُهُمْ عَلَيْه بإجْمَاع العُلَمَاء وَمَقَامُهُ دُونَ مَقَامَات هَؤُلاَء الأَكَابر في الحَقيقَة يَقينًا بَل رُبَّمَا يَكُونُ هَذَا الاشْتبَاه بالنِّسْبَة إلى الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ الذينَ هُمْ أَفْضَل الخَلاَئق قَطْعًا عياذًا بالله سُبْحَانَهُ منْ هَذَا الاشْتبَاه وَمَنْشَأُ غَلط هَؤُلاَء الجَمَاعَة هُوَ أَنَّ نهَايَةَ عُرُوج الأَنْبيَاء وَالأَوْليَاء أَوَّلاً إلى أَسْمَاء آلهيَّة هيَ مَبَادي تعينَات وُجُودهمْ وَبهَذَا العُرُوج يَتَحَقَّقُ اسْمُ الوَلاَيَة وَيَسْتَحقُّهُ السَّالكُ وَالعُرُوجُ ثَانيًا في تلكَ الأَسْمَاء ثُمَّ منْ تلكَ الأَسْمَاء إلى مَا شَاءَ الله تَعَالى وَلكنْ مَأْوَى كُل وَاحد منْهُمْ وَمَرْجعُهمْ وَمَنْزلهمْ مَعَ وُجُود هَذَا العُرُوج هُوَ ذَلكَ الاسْمُ الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّن وُجُوده وَلهَذَا إذَا طَلَبَهُمْ سَالكٌ في مَقَامَات العُرُوج يَجدُهُمْ في تلكَ الأَسْمَاء فَإنَّ مَكَانَ هَؤُلاَء الأَكَابر الطبيعيِّ في مَرَاتب العُرُوج هُوَ هَذه الأَسْمَاءُ وَالعُرُوجُ وَالهُبُوطُ منْهَا بوَاسطَة العَوَارض فَالسَّالكُ العَالي الفطْرَة إذَا وَقَعَ سَيْرُه فَوْقَ الأَسْمَاء لاَ جَرَمَ يَتَرَقَّى عَلى أَعْلى منَ الأَسْمَاء التي هيَ مَبَادي تعينَات الأَنْبيَاء وَسَائر الأَوْليَاء الكبَار فَحينَئذ يَظْهَرُ ذَلكَ التَّوَهُّمُ عياذا بالله سُبْحَانَهُ منْ أَنْ يُزيلَ ذَلكَ التَّوَهُّمُ اليَقينَ السَّابقَ وَيُورثَ الاشْتبَاه في أَفْضَليَّة الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ وَأَوْلويَّةَ الأَوْليَاء ـــ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ ـــ وَقَدْ ثَبَتَ أَفْضَليَّتُهمْ وَأَوْلويَّتُهمْ

بِالإِجْمَاعِ وَهَذَا المَقَامُ مِنْ مَزَال أَقْدَامِ السَّالكِينَ وَلاَ يَدْرِي السَّالكُ فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ هَؤُلاَء الأَكابرَ قَدْ عَرَجُوا منْ تلكَ الأَسْمَاء عروجات غَيْرَ مُتَنَاهيَة وَبَلغُوا مَحَلاً لاَ يُمْكنُ العُرُوجُ فَوْقَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّ تلكَ الأَسْمَاءَ أَمْكنَتُهُمْ الطَّبيعيَّةُ وَلَهُ أَيْضًا مَكَانٌ طبيعيٌّ هُنَاكَ أَدْوَنُ منْ تلكَ الأَسْمَاء وَأَنْزَل فَإِنَّ أَفْضَليَّةَ كُل شَخْص باعْتبَار أَقْدَميَّة الاسْم الذي كَانَ مَبْدَأً لتَعَيُّنه وَمنْ هَذَا القَبيل مَا قَال بَعْضُ المَشَايخ إنَّ العَارفَ لاَ يَجدُ البرزخيَّةَ الكُبْرَى حائلةً فِي مَقَامَات العُرُوج أَحْيَانًا وَيَتَرَقَّى منْ غَيْر وَسَاطَتهَا قَال حَضْرَةُ شَيْخنَا إنَّ رَابعَةَ كَانَت منْ هَذه الجَمَاعَة أَيْضًا وَهَؤُلاَء الجَمَاعَةُ لَّما تَجَاوَزُوا وَقْتَ العُرُوج الاسْمَ الذي هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّن البرزخيَّة الكُبْرَى إلى مَا فَوْقَهُ تَوَهَّمُوا أَنْ البرزخيةَ الكُبْرَى لَمْ تَبْقَ حائلةً فِي البَيْن وَأَرَادُوا بالبرزخية الكُبْرَى حَقيقَةَ خَاتَم الرِّسَالة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَحَقيقَةُ المُعَامَلة هيَ أَنَّهُمْ قَدْ جَاوَزُوهَا إلى مَا فَوْقَهَا وَمَنْشَأُ غَلط طَائفَة أُخْرَى هُوَ أَنْ سَيْرَ السَّالك إذَا وَقَعَ على اسْم هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنه وَذَلكَ الاسْمُ جَامعٌ لجَميع الأَسْمَاء عَلى سَبيل الإِجْمَال فَإِنَّ جَامعيَّةَ الإِنْسَان إِنَّمَا هيَ بسَبَب جَامعيَّة ذَلكَ الاسْم فَبالضَّرُورَة يَقْطَعُ فِي ضمْن ذَلكَ الاسْم الأَسْمَاءَ التي كَانَتْ مَبَادِي تعينات مَشَائخَ أُخَرَ بالسَّيْر الإجماليِّ وَيَتَجَاوَزُ كُل وَاحد منْهَا حَتَّى يَنْتَهيَ سَيْرُه إلى مُنْتَهَى ذَلكَ الاسْم فَيَتَوَهَّمُ حينَئذ تَفَوُّقَهُ إيَّاهم وَلاَ يَدْرِي أَنَّ مَا يَرَاهُ منْ مَقَامَات المَشَايخ التي تَعَدَّاهَا إِنَّمَا هيَ أُنْمُوذَجُ مَقَامَاتهمْ لاَ حَقيقَتُهَا وَحَيْثُ إنَّهُ وَجَدَ نَفْسَه جَامعًا وَظَنَّ الآخَرينَ أَجْزَاءَهُ فَلاَ جَرَمَ يُورثُ ذَلكَ تَوَهُّمَ أَوْليَّته.

وَقَال شَيْخُ بسطَام فِي هَذَا المَقَام منْ غَلَبَة السُّكْر: لوائي أَرْفَعُ منْ لوَاء مُحَمَّد وَلَمْ يَدْر أَنْ أرفعيةَ لوَائه ليْستْ هيَ بالنِّسْبَة إلى لوَاء مُحَمَّد ﷺ بَل بالنِّسْبَة إلى أُنْمُوذَجه الذي صَارَ مَشْهُودًا لهُ فِي ضمْن حَقيقَة اسْمه وَمنْ هَذَا القَبيل مَا قَالهُ هُوَ أَيْضًا مُخْبرًا عَنْ وَسَعَة قَلبه إذَا أُلقيَ العَرْشُ وَمَا فيه فِي زَاويَة قَلب العَارف لاَ يَكُونُ مَحْسُوسًا أَصْلاً وَهُنَا أَيْضًا اشْتبَاهُ الأُنْمُوذَج بالحَقيقَة وَإِلاَّ فَالعَرْشُ الذي قَال الحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّه إنَّهُ عَظيمٌ أَيُّ اعْتبَار وَأَيُّ مقْدَار لقَلب العَارف فِي جَنْبه وَالظُّهُورُ الذي فِي العَرْش ليْسَ فِي القَلب عُشْرُ عَشيرَة وَلَوْ كَانَ ذَلكَ القَلبُ قَلبَ عَارف وَالرُّؤْيَةُ الأُخْرَوِيَّةُ تَتَحَقَّقُ بالظُّهُور العرشيِّ يَعْني تَكُونُ مثْلهُ وَهَذَا الكَلاَمُ وَإِنْ كَانَ اليَوْمَ ثَقيلاً عَلى بَعْض الصُّوفيَّة وَلكنَّهُ يَكُونُ مَعْلومًا لَهُمْ فِي الآخرَ

وَلِنُوَضِّحَ هَذَا المَبْحَثَ بِمِثَال وَهُوَ أَنَّ الإِنْسَانَ جَامِعٌ لَمَا فِي عَالَمِ العَنَاصِرِ وَالأَفْلاَكِ فَإِذَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى جَامِعِيَّةِ نَفْسِه وَرَأَى العَنَاصِرَ وَالأَفْلاَكَ أَجْزَاءَ نَفْسِه وَغَلَبَ عَلَيْهِ هَذِه الرُّؤْيَةُ فَلاَ يَبْعُدُ أَنْ يَقُول إِنِّي أَكْبَرُ مِنْ كُرَةِ الأَرْضِ وَأَعْظَمُ مِنَ السَّمَوَاتِ لِفِي هَذَا الوَقْتِ يَفْهَمُ العُقَلاَءُ أَكْبَرِيَّتَه وأعظميتَه بِالنِّسْبَةِ إِلى أَجْزَاءِ نَفْسِه فَإِنَّ الكُل أَعْظَمُ مِنَ الجُزْءِ وَأكر الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ لَيْسَتْ مِنْ أَجْزَائِه فِي الحَقِيقَةِ بَل جُعِلَتْ أنموذجاتُه أَجْزَاءَهُ وَأَكْبَرِيَّتُهُ إِنَّمَا هِيَ بِالنَّظَرِ إِلى تِلْكَ الأنموذجاتش التي هِيَ أَجْزَاؤُهُ بِالنَّظَرِ إِلى أَكر الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبِسَبَبِ هَذَا الاشْتِبَاه يَعْنِي اشْتِبَاهَ أُنْمُوذَجِ شَيْءٍ بِحَقِيقَتِه قَال صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّة إِنَّ الجَمْعَ المُحَمَّدِيَّ أَجْمَعُ مِنَ الجَمْعِ الإِلهِيِّ فَإِنَّ الجَمْعَ المُحَمَّدِيَّ مُشْتَمِل عَلَى الحَقَائِقِ الكَوْنِيَّة وَالإِلهِيَّة فَيَكُونُ أَجْمَعَ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ ذَلِكَ اشْتِمَال ظِل مِنْ ظِلاَلِ مَرْتَبَةِ الأُلوهِيَّة وَأُنْمُوذَجٍ مِنْ أنموذجاتها لاَ أَنَّهُ مُشْتَمِل عَلَى حَقِيقَةِ تِلْكَ المَرْتَبَةِ المُقَدَّسَة فَإِنَّهُ لاَ مِقْدَارَ لِلجَمْعِ المُحَمَّدِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلى تِلْكَ المَرْتَبَةِ المُقَدَّسَةِ التي العَظَمَةُ وَالكِبْرِيَاءُ مِنْ لَوَازِمِهَا مَا لِلتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب وَأَيْضًا إِنَّ فِي هَذَا المَقَامِ الذي يَقَعُ فِيه سَيْرُ السَّالِكِ عَلَى اسْمٍ هُوَ رَبُّهُ يَظُنُّ أَحْيَانًا أَنَّ بَعْضَ الأَكَابِرِ الذينَ هُمْ أَفْضَل مِنْهُ يَقِينًا قَدْ وَصَلُوا بِتَوَسُّطِه إِلى بَعْضِ الدَّرَجَاتِ الفَوْقَانِيَّة وَتَرَقَّوْا بِتَوَسُّلِه وَهَذَا أَيْضًا مِنْ مَزَال أَقْدَامِ السَّالِكِينَ عياذا بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ حَيْثُ يَرَى نَفْسَه أَفْضَل بِهَذَا الكَمَال وَيَقَعُ فِي الخَسَارَةِ وَأَيُّ عَجَبٍ وَأَيَّةُ فَضِيلَةٍ إِذَا سَارَ السُّلْطَانُ عَظِيمَ الشَّانِ تَامَّ البُرْهَانِ تَحْتَ نُصْرَةِ وَاحِدٍ مِنْ وُزَرَائِه الذي هُوَ تَحْتَ حُكُومَتِه وَطَاعَتِه وَوَصَل بِتَوَسُّطِ ذَلِكَ الوَزِيرِ إِلى بَعْضِ المَحَلاَّتِ وَفَتَحَ بِتَوَسُّلِه بَعْضَ البِلاَدِ وَالمَوَاضِعِ.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ هُنَا احْتِمَال فَضْل جُزئِيٍّ وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ المَبْحَثِ فَإِنَّ كُل حَجَّامٍ وَحَائِكٍ لَهُ فَضْل مِنْ بَعْضِ وُجُوهٍ مَخْصُوصٍ بِه عَلَى عَالِمٍ ذي فُنُونٍ وَحَكِيمٍ حَاذِقٍ وَلَكِنَّ ذَاكَ الفَضْل خَارِجٌ مِنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ وَالمُعْتَبَرُ إِنَّمَا هُوَ الفَضْل الكُلِيُّ الذي هُوَ ثَابِتٌ لِلعَالِمِ وَالحَكِيمِ وَقَدْ وَقَعَ لِهَذَا الدَّرْوِيشِ مِنْ هَذِه الاشتبهات كَثِيرٌ وَنَشَأَ مِنْهَا تَخَيُّلاَتٌ كَثِيرَةٌ وَكَانَتْ تِلْكَ الحَالَةُ فِيه مُدَّةً كَثِيرَةً وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ حِفْظُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ شَامِل حَاله فَلَمْ يَطْرَأْ عَلَى يَقِينِه السَّابِقِ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ مِنَ التَّذَبْذُبِ وَلَمْ يَتَطَرَّقْ الفُتُورُ إِلى الاعْتِقَادِ المَجْمَعِ عَلَيْهِ لله سُبْحَانَهُ المِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى جَمِيعِ نَعْمَائِه وَمَا ظَهَرَ عَلَى خِلاَفِ المُجْمَعِ عَلَيْهِ اسْقِطْه عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ وَصَرِّفْهُ إِلى مَحَامِلَ حَسَنَةٍ وَعِلْمٍ بِالعِلْمِ الإِجْمَالِيِّ هَذَا القَدْرُ أَنَّ هَذِه الزِّيَادَةَ المَشْهُودَةَ

فِي الكَشْف تَكُونُ رَاجِعَةً عَلى تَقْدِير صحَّته إلى الفَضْل الجزئيِّ وَإِنْ تُعَارِضُ ذَلكَ وَسْوَسَةُ أَنَّ مَدَارَ الفَضْل عَلى القُرْب الإلهيِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَهَذه الزِّيَادَةُ مِنْ ذَلكَ القُرْب فَكَيْفَ تَكُونُ فَضْلاً جُزْئيًّا وَلَكِنْ صَارَتْ هَذه الوَسْوَسَةُ فِي جَنْب اليَقِين السَّابِق هَبَاءً مَنْثُورًا وَ لَمْ يَبْقَ لَهَا اعْتِبَارٌ أَصْلاً بَل التَجَأَ إِلَيْه تَعَالى بالتَّوْبَة وَالاسْتِغْفَار وَالإِنَابَة وَالانْكسَار وَدَعَا لَهُ سُبْحَانَهُ بالتَّضَرُّع وَالابْتهَال لئلاَّ يَظْهَرَ لَهُ مثْل هَذه الكُشُوف وَكَيْلاَ يَنْكَشفَ لهُ مَا يُخَالفُ مُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة مقْدَارَ شَعْرَة وَقَدْ غَلبَ يَوْمًا خَوْفُ المُوآخذة بهَذه الكُشُوف وَالمَسْئُولِيَّة عَنْ هَذه التوهُّمات وَأَزَالتْ غَلبَةُ هَذَا الخَوْف عَنِّي القَرَارُ وَأورثَتني القَلقَ وَالاضْطرَابَ فَصَارَ الالتجَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إلى جَنَاب قُدْس الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَامْتَدَّتْ تلكَ الحَالةُ إلى مُدَّة مَديدَة فَأَنْفَقَ فِي ذَلكَ الوَقْت مُروري عَلى قَبْر وَاحد منَ الأَعزَّة فَاسْتَمْدَدْتُ به وَاسْتَعَنْتُ فِي هَذه المُعَامَلة فأدركتْني فِي تلكَ الأَثْنَاء عنَايَةُ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ وَانْكَشَفَتْ حَقيقَةُ المُعَامَلة كَمَا يَنْبَغي وَحَضَرَتْ فِي ذَلكَ الوَقْت رُوحَانيَّةُ خَاتَم الرِّسَالة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الذي هُوَ رَحْمَةٌ للعَالمينَ فَسَلى الخَاطرَ الحَزينَ وَصَارَ مَعْلومًا لي تَشْريفُ النِّعَم أَنَّ القُرْبَ الإلهيَّ مُوجبٌ للفَضْل الكُلِّيِّ وَلكنَّ هَذَا القُرْبَ الذي حَصَل لك قُرْبُ ظل منْ ظلال مَرَاتب الأُلوهيَّة مَخْصُوصٌ باسْم هُوَ رَبُّك فَلاَ يَكُونُ ذَلكَ القُرْبُ مُوجبًا للفَضْل الكُليِّ وَانْكَشَفَتْ صُورَةُ هَذَا المَقَام المثاليَّة عَلى نَهْج لَمْ يَبْقَ مَحَل للرَّيْب فَزَال التَّوَهُّمُ بالكُليَّة وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الدَّرْويشُ فِي كُتُبه وَرَسَائله بَعْضَ العُلوم التي فيهَا مَحَل اشْتبَاه وَفيهَا مَجَال للتَّأْويل وَالتَّوْجيه فَلَمَّا صِرْتُ مُبشِّرًا بذَلكَ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ مَنْشَأَ أَغْلاَط تلكَ العُلوم عَلى وَفْق مَا لاَحَ لي بمَحْض فَضْل الحَقِّ جَل شَأْنُهُ وَأَنْشُرُهُ فَإِنَّ الذَّنْبَ المُشْتَهرَ لاَ بُدَّ لَهُ منَ اشْتهَار التَّوْبَة لئلاَّ يَفْهَمُ النَّاسُ منْ تلكَ العُلوم خلاَفَ الشَّريعَة فَيَقَعُوا بالتَّقْليد عَلى الضَّلاَلة وَكَيْلاَ يَسْلكُوا مَسْلكَ التَّضْليل وَالتَّجْهيل بالتَّعَصُّب وَالتَّكَلُّف فَإِنَّ أَمْثَال هَذه الأَزْهَار تَتَفَتَّقُ كَثيرًا فِي هَذَا الطَّريق الذي هُوَ طَريقُ غَيْب الغَيْب فَجَمَاعَةٌ تُؤَدِّيهم إلى الهدَايَة وَطَائفَةٌ تؤديهم إلى الضَّلاَلة وَقَدْ سَمعْتُ وَالدي المَاجدُ - قُدِّسَ سرُّهُ - يَقُول: إنَّ مَنْشَأَ ضَلاَلة أَكْثَر المُبْتَدعينَ منَ اثْنَيْن وَسَبْعينَ فرْقَةً وَخُرُوجَهُمْ عَنِ الصِّرَاط المُسْتَقيم هُوَ أَنَّهُمْ دَخَلوا فِي طَريق الصُّوفيَّة وَلَمْ يَقفُوا عَلى حَقيقَة الأَمْر وَلَمْ يُتمُّوا السُّلوكَ فَغَلطُوا وَضَلوا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالعِشْرُونَ وَالمائَتان
إلى السَّيِّد حُسَيْن المانبوري
فِي خَصَائِصِ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة وَأَفْضَلِيَّتِهَا عَلى سَائِرِ الطُّرُقِ
وَمَدْحِ أَهْلِهَا وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآله الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ لعَل الأَخَ الأَعَزَّ مَعْدنَ السِّيَادَة المِيْرَ حُسَيْنٍ لَمْ يَنْسَ النَّائِينَ المَهْجُورِينَ وَعَسَاهُ لَمْ يُضَيِّعْ رِعَايَةَ آدَاب هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة التي هيَ مُمْتَازَةٌ منْ بَيْن سَائر طُرُق المَشَايخ الكرَام منْ وُجُوه وَقَدْ كَانَ مُدَّةُ مُلاَقَاتكُمْ وَفُرْصَةُ صُحْبَتكُمْ قَليلةً جدًّا فَبنَاءً عَلى ذَلكَ أَرَدْتُ أَنَّ أُحَرِّرَ بَعْضَ خَصَائص هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة وَكَمَالاتهَا في ضمْن عُلوم عَاليَة وَمَعَارفَ سَامية وَإنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ إدْرَاكَ هَذَا القسْمَ منَ العُلوم وَالمَعَارف بالفعْل بَعيدٌ عَنْ أذهان المُسْتَمعينَ وَلكنَّ إظْهَارَ أَمْثَال هَذه المَعَارف مَبْنيٌّ عَلى مُلاَحَظَة أَمْرَيْن أَحَدهمَا أَنَّ في المُسْتَمعينَ اسْتعْدَادًا لهَذه العُلوم وَأَنْ تُرَى بَعيدَةً عَنْ شَأْنهمْ بالفعْل وَثَانيَتُهمَا أَنَّ المُخَاطَبَ وَإنْ كَانَ وَاحدًا مُعَيَّنًا في الظَّاهر وَلكنَّ المُخَاطَبَ في الحَقيقَة شَخْصٌ هُوَ مُحَرِّمٌ لهَذه المُعَاملَة السَّيْفُ للضَّارب مَثَل مَشْهُورٌ.

أَيُّهَا الأَخُ إنَّ رَأْسَ سلسلة هَذه الطَّرِيقَة السَّنِيَّة وَرَئيسَ أَهْلهَا هُوَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ﷺ الذي هُوَ أَفْضَل جَميع بَني آدَمَ بَعْدَ الأَنْبيَاء عَليْهمُ السَّلاَمُ عَلى التَّحْقيق وَبهَذَا الاعْتبَار وَقَعَ في عبَارَة أَكَابر هَذه الطَّرِيقَة أَنَّ نسْبَتَنَا فَوْقَ جَميع النِّسَب فَإنَّ نسْبَتَهُمُ التي هيَ عبَارَةٌ عَن الحُضُور وَالشُّعُور الخَاصِّ هيَ بعَيْنهَا نسْبَةُ الصِّدِّيق وَحُضُورُه الذي فَوْقَ جَميع الحُضُور وَفي هَذَا الطَّرِيق انْدرَاجُ النِّهَايَة في البدَايَة قَال الخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشَبَنْديُّ قُدِّسَ سِرُّهُ -: نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ في البدَايَة، (ع):

وَقِسْ مَنْ حَال بُستاني ربيعي

فَإنْ قيل: إذَا كَانَتْ نهَايَةُ غَيْرهمْ مُنْدَرجَةً في نهَايَتهمْ فَمَا تَكُونُ نهَايَتُهُمْ وَأَيْضًا إذَا كَانَتْ نهَايَةُ غَيْرهمُ الوُصُول إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَإلى أَيْنَ يَكُونُ سَيْرُهمْ منَ الحَقِّ ليْسَ وَرَاءَ عَبَّادَانَ قَرْيَةٌ مثْل مَشْهُورٌ أُجيبُ أَنَّ نهَايَةَ هَذه الطَّرِيقَة إنْ تَيَسَّرَتْ هيَ الوَصْل العُرْيَانُ الذي عَلاَمَةُ حُصُوله حُصُول اليَأْس منْ حُصُول المَطْلُوب فَافْهَمْ فَإنَّ كَلاَمَنَا إشَارَةٌ لاَ يُدْركُهَا إلاَّ الأَقَل منَ الخَوَاصِّ بَل منْ أَخَصِّ الخَوَاصِّ وَإنَّمَا ذَكَرْنَا عَلاَمَةَ حُصُول تلكَ الدَّوْلة العُظْمى فَإنَّ جَمْعًا منْ هَذه الطَّائفَة بَاحُوا

بالوَصْل العُرْيَان وَطَائفَةٌ أُخْرَى قَالوا باليَأْس مِنْ حُصُول المَطْلوب وَأَذْعَنُوا بالحرْمَان وَلكنْ إذَا عُرِضَ عَلَيْه الجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْن الدَّوْلَتَيْن يَكَادُونَ يَظُنُّونَهُ جَمْعًا بَيْنَ الضِّدَّيْن وَيَعُدُّونَهُ منَ المُحَالاَت وَالذينَ يَدَّعُونَ الوَصْل يَرَوْنَ اليَأْسَ حرْمَانًا وَالذينَ يَدَّعُونَ اليَأْسَ يَظُنُّونَ الوَصْل عَيْنَ الفَصْل وَهَذَا كُله عَلاَمَةُ عَدَمِ الوُصُول إلى تلكَ المَنْزلة العُلْيَا.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّهُ قَدْ أَشْرَقَ عَلى بَوَاطنهمْ شُعَاعٌ مِنْ ذَاكَ المَقَامِ العَالي فَظَنَّه جَمْعٌ وَصْلاً وَجَمْعٌ آخَرُ يَأْسًا وَهَذَا التَّفَاوُتُ نَشَأَ منْ جهَة اسْتعْدَاد كُل منْهُمْ فَإنَّ المُنَاسَبَ لاسْتعْدَاد طَائفَة وَصْل وَالمُوَافقَ لاسْتعْدَاد طَائفَةٌ أُخْرَى يَأْسٌ وَاسْتعْدَادُ اليَأْس أَحْسَنُ عنْدَ الفَقير منَ اسْتعْدَاد الوَصْل وَإنْ كَانَ كُل منَ الوَصْل وَاليَأْس هُنَاكَ مُلاَزمًا للآخَر وَجَوَابُ الاعْتراَض الثَّاني أَيْضًا صَارَ لاَئحًا منْ هَذَا الجَوَاب فَإنَّ الوَصْل المُطْلقَ غَيْرُ الوَصْل العُرْيَان شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا ونعني بالوَصْل العُرْيَان رَفْعَ الحُجُب كُلهَا وَزَوَال المَوَانع بأَسْرهَا وَلَمَّا كَانَ أَعْظَمُ الحُجُب وَأَقْوَاهَا هيَ التَّجَلَيَاتُ المُتَنَوِّعَةُ والظهوراتُ المُخْتَلفَةُ لاَ بُدَّ منْ أَنْ تنقضيَ وَتُتَمِّمَ تلكَ التَّجَلَيَاتُ والظهوراتُ بتَمَامهَا سَوَاءً كَانَ التَّجَلي وَالظُّهُورُ في المَرَايَا الإمْكَانيَّة أَوْ المُجَالى الوجوبية فَإنَّهُمَا في حُصُول الحُجُب بهمَا سيَّان وَإنْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ بالشَّرَف وَالرُّتْبَة فَإنَّهُ خَارجٌ منْ نَظَر الطَّالب.

فَإنْ قيل: يَلزَمُ منْ هَذَا البَيَان أَنْ يَكُونَ للتَّجَلَيَات نهَايَةً وَقَدْ صَرَّحَ المَشَايخ بأَنَّهُ لاَ نهَايَةَ للتَّجَلَيَات أُجيبُ أَنَّ عَدَمَ نهَايَة التَّجَلَيَات إنَّمَا هُوَ عَلى تَقْدير وُقُوع السَّيْر في الأَسْمَاء وَالصِّفَات بالتَّفْصيل وَعَلى هَذَا التَّقْدير لاَ يَتَيَسَّرُ الوُصُول إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلاَ يَحْصُل الوَصْل العُرْيَانُ فَإنَّ الوُصُول إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مَنُوطٌ بطيِّ الأَسْمَاء وَالصِّفَات عَلى سَبيل الإجْمَال فَتَكُونُ إذًا للتَّجَلَيَات نهَايَةٌ.

فَإنْ قيل: قَدْ قيل بعَدَم نهَايَة التَّجَلَيَات الذَّاتيَّة أَيْضًا كَمَا صَرَّحَ به مَوْلاَنَا العَارفُ الجَاميُّ في شَرْح اللمُعَات فَكَيْفَ يَسْتَقيمُ القَوْل بنهَايَة التَّجَلَيَات أُجيبُ أَنَّ تلكَ التَّجَلَيَات الذَّاتيَّةَ ليْسَتْ بلاَ مُلاَحَظَة الشئون وَالاعْتبَارَات أَيْضًا فَإنَّ التَّجَلي لاَ يُمْكنُ بدُون مُلاَحَظَتهَا وَمَا نَحْنُ في صَدَد بَيَانه أَمْرٌ يَكُونُ فيمَا وَرَاءَ التَّجَلَيَات صفاتيةً كَانَتْ تلكَ التَّجَلَيَاتُ أَوْ ذَاتيَّةً فَإنَّ إطْلاَقَ التَّجَلي غَيْرُ جَائز في ذَلكَ المَوْطن

أَيُّ تَجَل كَانَ لأَنَّ التَّجَلِيَ عِبارَةٌ عَنْ ظُهُورِ شَيْءٍ فِي مَرْتَبَةٍ ثَانِيَة أَوْ ثَالِثَة أَوْ رَابِعَة إِلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى وَقَدْ سَقَطْت المَرَاتِبُ هُنَا بِأَسْرِهَا وَطُوِيت المَسَافَةُ بِتَمَامِهَا.

فَإِنْ قِيل: فَبِأَيِّ اعْتِبَارٍ قِيل لِتلكَ التَّجَلِيَات ذَاتِيَّةً أُجِيبُ أَنَّ التَّجَلِيَات إِنْ كَانَتْ بِمُلاَحَظَة مَعَان زَائِدَة يَعْنِي عَلى الذَّات فهيَ التَّجَلِيَاتُ الصفاتيةُ وَإِنْ كَانَتْ بِمُلاَحَظَة مَعَان غَيْرِ زَائِدَة فهي التَّجَلِيَاتُ الذَّاتِيَّةُ وَلِهَذَا قِيل لِمَرْتَبَة الوَحْدَة التي هِيَ التَّعَيُّنُ الأَول وَلَيْسَتْ بِزَائِدَة عَلى الذَّات تَجَلِيًا ذَاتِيًّا وَمَطْلَبُنَا حَضْرَةُ الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلاَ مَجَال لِمُلاَحَظَة المَعَانِي فِي ذَلِكَ المَوْطِن أَصْلاً سَوَاءٌ كَانَتْ المَعَانِي زَائِدَةً أَوْ لاَ فَإِنَّ المَعَانِيَ قَدْ طُوِيَتْ بِالكُلِّيَّة بِطَرِيق الإِجْمَال وَتَيَسَّرَ الوُصُول إِلى حَضْرَة الذَّات المُقَدَّسَة المُتَعَال يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الوُصُول فِي ذَلِكَ المَوْطِن مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالمِثَال كَالمَطْلَب وَالاتِّصَال الذي يُدْرِكُهُ العَقْل وَيَفْهَمُهُ خَارِجًا عَنِ المَبْحَث وَغَيْرُ لاَئِق بِذَلِكَ الجَنَاب المُقَدَّس فَإِنَّهُ لاَ سَبِيل لِلمِثَالِي إِلى المُنَزَّه عَنِ المِثَال لاَ يَحْمِل عَطَايَا المَلِكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ قَال فِي المثنوى. شعْرٌ.

إِنَّ لِلرَّحْمَنِ مَعَ أَرْوَاحِ نَاسِ ... اتِّصَالاً دُونَ كَيْف أَوْ قِيَاس

وَلَمْ يُخْبِرْ أَحَدٌ مِنْ مَشَائِخِ هَذِه الطَّرِيقَة العَلِيَّة عَنْ نِهَايَة طَرِيقَة وَقَدْ أَخْبَرُوا عَنِ ابْتِدَاء طَرِيقِهِمْ حَيْثُ قَالوا إِنَّ فِيه انْدِرَاجَ النِّهَايَة فِي البِدَايَة فَإِذَا كَانَتْ بِدَايَتُهمْ مُمْتَزِجَةً بِالنِّهَايَة فَنِهَايَتُهمْ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُنَاسِبَةً لِبِدَايَتِهِمْ وَتِلكَ النِّهَايَةُ هِيَ مَا امْتَازَ الفَقِيرُ بِإِظْهَارِهَا. شعْرٌ.

فَإِذَا أَتَى بَابَ العَجُوزِ خَلِيفَةٌ ... إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سِبَالِكَا

للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى ذَلِكَ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الوَاصِلِينَ إِلى هَذِه النِّهَايَة مِنْ أَرْبَاب هَذَا الطَّرِيق الذينَ هُمْ أَقَل مِنَ القَلِيل بِالنِّسْبَة إِلى أَصْحَاب طُرُق أُخَرَ لَوْ عَدَدْتَ أَفْرَادَهُمْ يَكَادُ المُقَرَّبُونَ يَطْلُبُونَ التَّبَاعُدَ وَيَسْتَبْعِدُهُ المُبْعَدُونَ بِالإِنْكَارِ وَالتَّعَانُد وَأَيُّ اسْتِبْعَاد هُنَاكَ فَإِنَّ كُل ذَلِكَ لِكَمَال الوُصُول إِلى نِهَايَة النِّهَايَة يَتَفَضَّل حَبِيبُهُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَمِنْ جُمْلَة خَصَائِص هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة السَّفَرُ فِي الوَطَنِ الذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَالسَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا فِي طَرِيق جَمِيعِ المَشَايِخِ وَلَكِنَّهُ يَتَيَسَّرُ فِي طَرِيقِهِمْ فِي النِّهَايَة بَعْدَ قَطْعِ السَّيْرِ الآفَاقِيِّ بِخِلاَف هَذَا الطَّرِيق فَإِنَّ الابْتِدَاءَ فِيه مِنْ هَذَا السَّيْرِ وَالسَّيْرُ الآفَاقِيُّ إِنَّمَا يُقْطَعُ فِي ضِمْنِه وَمَنْشَأُ حُصُول هَذَا السَّيْرِ فِي الابْتِدَاء هُوَ انْدِرَاجُ النِّهَايَة فِي البِدَايَة وَخَاصَّةً أُخْرَى لِهَذَا الطَّرِيقِ الخَلْوَةُ فِي الجَلْوَة التي هِيَ مُتَفَرِّعَةٌ عَلى تَيَسُّرِ السَّفَرِ فِي الوَطَنِ فَيُسَافِرُ

فِي بَيْتِ الخَلْوَة الوطنيِّ فِي عَيْنِ تَفْرِقَة الخَلْوَة وَلاَ يَتَطَرَّقُ تَفْرِقَةُ الآفاق إلى حُجْرَة الأَنْفُس وَهَذه الخَلْوَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُتَيَسِّرَةً لُمُنْتَهَى طُرُق أُخَرَ وَلكِنْ لَمَّا تَيَسَّرَتْ فِي هَذَا الطَّرِيق فِي الابْتِدَاء صَارَتْ مِنْ خَوَاصِّ هَذَا الطَّرِيق وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الخَلْوَةَ فِي الجَلْوَة إِنَّمَا هِيَ عَلى تَقْدِير غَلق أَبْوَاب بَيْت الخَلْوَة الوطنيِّ وَسَدِّ طَاقَاته يَعْنِي لاَ يُلتَفتُ فِي تَفْرِقَة الجَلْوَة إلى أَحَد وَلاَ يَكُونُ مُخَاطبًا فيهَا وَلاَ مُتَكلمًا لاَ أَنَّهُ يُغْمضُ عَيْنَيْه وَيُعَطِّل بالتَّكَلف حَوَاسَّه فَإِنَّ ذَلكَ مُنَاف لهَذَا الطَّرِيق أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ كُلَ هَذَا التَّمَحُّل وَالتَّكَلف إِنَّمَا هُوَ فِي الابْتِدَاء وَالوَسَط وَأَمَّا فِي الانْتِهَاء فَلاَ شَيْءَ يَلزَمُ فيه منْ هَذه التمحلات بَل فيه جُمَيْعَةٌ فِي عَيْنِ التَّفْرِقَة وَحُضُورٌ فِي نَفْسِ الغَفْلة وَلاَ يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ منْ هَذَا أَنَّ التَّفْرِقَةَ وَعَدَمَ التَّفْرِقَة مُتَسَاوِيَتَان فِي حَقِّ المُنْتَهِي مُطْلقًا فَإِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلكَ بَل المُرَادُ أَنَّ التَّفْرِقَةَ وَعَدَمَ التَّفْرِقَة مُتَسَاوِيَتَان فِي حُصُول نَفْسِ جَمْعِيَّة البَاطِن وَمَعَ ذَلكَ لوْ جَمَعَ الظَّاهرَ مَعَ البَاطِن وَدُفِعَتْ التَّفْرِقَةُ أَيْضًا عَنِ الظَّاهِر لكَانَ أَوْلى وَأَنْسَبَ قَال اللهُ سُبْحَانَهُ إِرْشَادًا لنَبِيِّه ﷺ: {وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّك وَتَبَتَّل إِلَيْه تَبْتِيلاً}[1].

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يَكُونُ فِي بَعْضِ الأَوْقَات بُدٌّ منْ تَفْرِقَة الظَّاهِر لتُؤَدَّى حُقُوقُ الخَلق فَصَارَتْ تَفْرِقَةُ الظَّاهِر مُسْتَحْسَنَةً أَيْضًا فِي بَعْضِ الأَوْقَات وَأَمَّا تَفْرِقَةُ البَاطِن فَلَيْسَتْ بجَائزَة فِي وَقْت منَ الأَوْقَات أَصْلاً فَإِنَّهُ خَالصٌ للحَقِّ سُبْحَانَهُ فَكَانَتْ ثَلاَثَةَ حصَص منَ العبَاد المُسْلمينَ للحَقِّ سُبْحَانَهُ تَمَامُ البَاطِن وَنصْفُ الظَّاهِر وَالنِّصْفُ الثَّاني منْهُ بَقِيَ لأَدَاء حُقُوق الخَلق وَلكِنْ لَمَّا كَانَ فِي أَدَاء تلكَ الحُقُوق امْتِثَال أَوَامِر الحَقِّ سُبْحَانَهُ كَانَ ذَلكَ النِّصْفُ الآخَرُ أَيْضًا رَاجعًا إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ إِلَيْه يَرْجعُ الأَمْرُ كُله فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّل عَلَيْه وَمَا رَبُّك بغَافل عَمَّا تَعْلَمُونَ وَفِي هَذَا الطَّرِيق تَقَدُّمُ الجَذْبَة عَلى السُّلوك وَابْتِدَاءُ السَّيْر منْ عَالَم الأَمْر لاَ منْ عَالَم الخَلق بخلاَف أَكْثَر طُرُق أُخَرَ وَقَطْعُ مَنَازل السُّلوك مُنْدَرِجٌ فيه فِي ضمْنِ طيِّ مَعَارِج الجَذْبَة. وَسَيْرُ عَالَم الخَلق مُيَسَّرٌ فِي ضمْنِ سَيْر عَالَم الأَمْر فَبهَذَا الاعْتِبَار لوْ قيل إِنَّ فِي هَذَا الطَّرِيق انْدرَاجَ النِّهَايَة فِي البدَايَة لسَاغَ فَعُلمَ منَ البَيَان السَّابق آنفًا أَنَّ سَيْرَ الابْتِدَاء مُنْدَرِجٌ فِي هَذَا الطَّرِيق فِي سَيْر الانْتِهَاء لأَنَّهُمْ يَنْزِلونَ منْ سَيْر الابْتِدَاء إلى سَيْر الانْتِهَاء وَيَسيرُونَ فِي البدَايَة بَعْد تَمَام سَيْر النِّهَايَة فَبَطَل زَعْمُ مَنْ قَال إِنَّ نهَايَةَ هَذَا الطَّرِيق بدَايَةُ طُرُق سَائر المَشَايخ.

---

(١) ــ الآية: ٨ من سورة المزمل.

فَإِنْ قِيل: قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَة بَعْض مَشَائِخ هَذه الطَّرِيقَة أَنَّ سَيْرَهُمْ فِي الأَسْمَاء وَالصِّفَات يَقَعُ بَعْد تَمَام نِسْبَتهمْ فَصَحَّ أَنَّ نِهَايَتَهُمْ بِدَايَة غَيْرهمْ فَإِنَّ السَّيْرَ فِي الأَسْمَاء وَالصِّفَات فِي الابْتِدَاء بِالنِّسْبَةِ إِلى السَّيْر فِي التَّجَلِيَات الذَّاتِيَّة أُجِيبُ أَنَّ السَّيْرَ فِي الأَسْمَاء وَالصِّفَات لَيْسَ هُوَ بَعْدَ السَّيْر فِي التَّجَلِيَات الذَّاتِيَّة بَل يَقَعُ ذَاكَ السَّيْرُ يَعْنِي السَّيْرَ فِي الأَسْمَاء وَالصِّفَات فِي ضِمْن هَذَا السَّيْر يَعْنِي السَّيْرَ فِي التَّجَلِيَات الذَّاتِيَّة غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ السَّيْرَ الأسمائيَّ والصفاتيَّ كُلمَا ظَهَرَ بِسَبَب عُرُوض بَعْض العَوَارِض يَسْتَتِرُ سيرُ التَّجلِيَات الذَّاتِيَّة وَيُتَخَيَّل أَنَّهُ قَدْ تَمَّ وَشَرَعَ فِي التَّجلِيَات الأسمائية والصفاتية وَلَيْسَ كَذَلِكَ نَعَمْ قَدْ يَقَعُ الرُّجُوعُ إِلى العَالم بَعْد تَمَام السَّيْر فِي مَدَارِج الوِلاَيَة لدَعْوَة الخَلق إِلى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَإِنَّ زَعْمَ ذَلِكَ الرُّجُوع نِهَايَتُهمْ وَتَخَيُّلهُ بِدَايَتُه فَلَيْسَ ذَلِكَ بِبَعِيد وَلكنَّهُ مَا يَقُول فِي مشائخه فَإِنَّ لَهُمْ أَيْضًا هَذَا الرُّجُوعَ فِي النِّهَايَة وَأَيْضًا إِنَّ المُرَادَ بِالبِدَايَة وَالنِّهَايَة بِدَايَةُ الوِلاَيَة وَنِهَايَتُهَا وَسَيرُ هَذَا الرُّجُوع لاَ تَعَلقَ لهُ بِالوِلاَيَة بَل هُوَ نَصِيبٌ مِنْ مَرْتَبَة الدَّعْوَة وَالتَّبْلِيغ وَهَذَا الطَّرِيقُ أَقْرَبُ الطُّرُق وَمُوصِّل أَلبَتَّةَ قَال الخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: إِنَّ طَرِيقَنَا أَقْرَبُ الطُّرُق وَقَال سَأَلتُ الحَقَّ سُبْحَانَهُ طَرِيقًا يَكُونُ مُوَصِّلاً البَتَّةَ وَصَارَ سُؤَاله هَذَا مَقْرُونًا بِالإِجَابَة كَمَا نَقَلهُ فِي الرشحات عَنِ الخواجهْ أَحْرَار - قُدِّسَ سِرُّهُ - وَكَيْفَ لاَ يَكُونُ أَقْرَبَ وَمُوصِّلاً وَقَدْ انْدَرَجَ الانْتِهَاءُ فِي ابْتِدَائِه فَيَا شَقَاوَةَ مَنْ يَدْخُل فِي هَذَا الطَّرِيق ثُمَّ لاَ يَقْدِرُ عَلى الاسْتِقَامَة عَلَيْه وَيَبْقَى بِلاَ نَصِيب مِنْهُ. شعْرٌ.

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفُقِ طَالعَةً أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءُهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

نَعَمْ إِذَا وَقَعَ الطَّالبُ فِي يَد النَّاقِص فَمَا ذَنْبُ الطَّرِيق وَمَا تَقْصِيرُ الطَّالب فَإِنَّ المُوصِّل فِي الحَقِيقَة دَلِيل هَذَا الطَّرِيق لاَ نَفْسُ هَذَا الطَّرِيق وَفِي ابْتِدَاء هَذَا الطَّرِيق حَلاَوَةٌ وَوِجْدَانٌ وَفِي انْتِهَائه مَرَارَةٌ وَفقْدَانٌ وَهُوَ مِنْ لوَازِم اليَأْس بِخلاَف طُرُق أَخَرَ فَإِنَّ فِي ابْتِدَائِهَا مَرَارَةٌ وَفقْدَانًا وَفِي انْتِهَائِهَا حَلاَوَةٌ وَوِجْدَانًا وَأَيْضًا فِي ابْتِدَاء هَذَا الطَّرِيق قُرْبٌ وَشُهُودٌ وَفِي انْتِهَائه بُعْدٌ وَحِرْمَانٌ بِخلاَف طَرْق سَائِر المَشَايِخ الكِرَام يَنْبَغِي أَنْ يَقِيسَ تَفَاوُتَ الطُّرُق مِنْ هُنَا وَأَنْ يَعْرِفَ عُلُوَّ هَذَا الطَّرِيق العَالي لأَنَّ القُرْبَ وَالشُّهُودَ وَالحَلاَوَةَ وَالوِجْدَانَ كُل ذَلِكَ بِخَبَر عَنِ البُعْد وَالحِرْمَان بِخلاَف المَرَارَة وَالفقْدَان فَإِنَّهُمَا يُنَبِّئَان عَنْ نِهَايَة القُرْب فَهِمَ مَنْ فَهِمَ وَلِنَكْشِفَ فِي شَرْحِ هَذَا السِّرِّ هَذَا القَدْرَ وَهُوَ أَنَّهُ لاَ أَقْرَبَ إِلى أَحَد مِنْ نَفْسه وَنِسْبَةُ القُرْب

وَالشُّهُود وَالخلاَوَة وَالوِجْدَان مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّ نَفْسِه وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي حَقِّ غَيْرِه مَعَ أَنَّ بَيْنَهُمَا مُبَايَنَةً وَالعَاقل تَكْفيه الإِشَارَةُ وَأَكَابرُ هَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة جَعَلوا الأَحْوَال وَالمَوَاجيدَ تَابعَةً للأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الأَذْوَاقَ وَالمَعَارفَ خَادمَةً للعُلوم لاَ يُعَوِّضُونَ الجَوَاهرَ النَّفيسَةَ الشَّرْعيَّةَ بجَوْز الوَجْد وَمَوْز الحَال مثْل الأَطْفَال وَلاَ يَغْتَرُّونَ بتُرَّهَات الصُّوفيَّة وَلاَ يَقْبَلونَ الأَحْوَال التي تَحْصُل بارْتكَاب المَحْظُورَات الشَّرْعيَّة وَخلاَف السُّنَّة السَّنِّيَّة وَلاَ يُريدُونَ وَلهَذَا لاَ يُجَوِّزُونَ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَلاَ يَقْبَلونَ عَلى ذكْر لجَهْر حَالهمْ عَلى الدَّوَام وَوَقْتهمْ مُسْتَمرٌّ وَمُسْتَدَامٌ التَّجَلي الذَّاتيُّ الذي هُوَ كَالبَرْق لغَيْرهمْ دائميٌّ في حَقِّهمْ وَالحُضُورُ الذي في قَفَاهُ غَيْبَةٌ سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار عنْدَ هَؤُلاَء الأَكَابر بَل مُعَامَلَتُهمْ فَوْقَ الحُضُور وَالتَّجَلي كَمَا مَرَّتْ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا قَالَ حَضْرَةُ الخَواجهْ أَحْرَارٌ - قُدِّسَ سرُّهُ - إنَّ أَكَابرَ هَذه السِّلسلة العَلِيَّة لاَ يُقَاسُونَ عَلى كُل زُرَاق وَرَقَّاص فَإِنَّ مُعَامَلَتَهُمْ وَنسْبَتَهُمْ عَاليَةٌ جدًّا وَالمَشْيَخَةُ والمريديةُ في هَذَا الطَّريق بتَعْليم الطَّريقَة وَتَعَلمهَا لاَ بالكَلاَه وَالشَّجَرَة كَمَا أَنَّ ذَلكَ صَارَ رَسْمًا في طُرُق أَكْثَر المَشَايخ حَتَّى أَنَّ مُتَأَخِّريهمْ جَعَلوا المَشْيَخَةَ والمريديةَ مُنْحَصرَةً في الكَلاَه وَالشَّجَرَة وَمنْ هَهُنَا لاَ يُجَوِّزُونَ تَعَدُّدَ الشَّيْخ وَيُسَمُّونَ مُعَلمَ الطَّريقَة مُرْشدًا لاَ شَيْخًا وَلاَ يُرَاعُونَ آدَابَ المَشَايخ مَعَهُ حَقَّ رعَايَتهَا وَهَذَا منْ كَمَال جَهَالَتهمْ وَنُقْصَان عُقُولهمْ أَوَلاَ يَعْلمُونَ أَنْ مشائخَهم قَالوا لشَيْخ التَّعْليم وَشَيْخ الصُّحْبَة أَيْضًا شَيْخًا وَجَوَّزُوا تَعَدُّدَ الشَّيْخ بَل قَالوا إِذَا رَأَى الطَّالبُ رَشْوَةً في مَحَل آخَرَ جَازَ لهُ أَنْ يَخْتَارَ شَيْخًا آخَرَ وَلَوْ في حَيَاة شَيْخه الأَوَّل بلاَ إِنْكَار عَلَيْه وَقَدْ أَخَذَ الخواجهْ النَّقْشَبَنْديُّ فَتْوَى صَحيحًا منْ عُلَمَاء بُخَارَى في تَجْويز هَذَا المَعْنَى نَعَمْ إِذَا لبسَ منْ شَيْخ خرْقَةَ الإِرَادَة لاَ يَلْبَسُهَا منْ غَيْره وَأَمَّا خرْقَةُ التَّبَرُّك فَلاَ مَانعَ مَنْ لبْسهَا وَلاَ يَلْزَمُ منْ ذَلكَ أَنْ لاَ يَتَّخذَ شَيْخًا آخَرَ أَصْلاً بَل يَجُوزُ أَنْ يَلْبَسَ خرْقَةَ الإِرَادَة منْ شَيْخ وَأَنْ يَتَعَلمَ الطَّريقَةَ منْ آخَرَ وَأَنْ يَصْحَبَ ثَالثًا وَلكنْ إِنْ تَيَسَّرَتْ هَذه الدُّوَل الثَّلاَثُ منْ وَاحد فهي نعْمَةٌ عَظيمَةٌ وَيَجُوزُ أَنْ يَسْتَفيدَ التَّعْليمَ منْ مَشَايخَ مُتَعَدِّدَة وَكَذَلكَ لهُ أَنْ يَصْحَبَ مَشَائخَ مُتَعَدِّدَةً وَيَنْبَغي أَنْ يَعْلمَ أَنَّ الشَّيْخَ هُوَ مَنْ يُري المُريدَ طَريقَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَهَذَا المَعْنَى مَلحُوظٌ وَمَوْجُودٌ في تَعْليم الطَّريقَة بَل أَزْيَدَ وَأَوْضَحَ وَشَيْخُ التَّعْليم هُوَ أُسْتَاذُ الشَّريعَة وَدَليل الطَّريقَة أَيْضًا بخلاَف شَيْخ الخرْقَة فَيَنْبَغي إِذَا رعَايَةُ آدَاب شَيْخ التَّعْليم حَقَّ رعَايَتهَا وَأَنْ يَكُونَ هُوَ أَحَقَّ بَاسم الشَّيْخُوخَة وَالرِّيَاضَاتُ وَالمُجَاهَدَاتُ في هَذَا الطَّريق إِنَّمَا

هيَ بإتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَالتزَام مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنِيَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإنَّ المَقْصُودَ منْ إرْسَال الرُّسُل وَإنْزَال الكُتُب رَفْعُ أَهْوَاء النَّفْس الأَمَّارَة التي انْتَصَبَتْ لمُعَادَاة مَوْلاَهَا - جَل سُلطَانُهُ - فَصَارَ رَفْعُ أَهْوَاء النَّفْس مَرْبُوطًا بإتيَان الأَحْكَام الشَّريعَة وَكُل مَنْ كَانَ أَرْسَخَ في إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة يَكُونُ أَبْعَدَ عَنْ هَوَاء النَّفْس الشَّقيَّة فَإذَا لاَ يَكُونُ شَيْءٌ أَشُقَّ عَلى النَّفْس الأَمَّارَة منَ امْتثَال الأَوَامر الشَّرْعيَّة وَاجْتنَاب مناهيها وَلاَ يُتَصَوَّرُ انْكسَارٌ بدُون تَقْليد صَاحب الشَّريعَة وَمَا يَخْتَارُونَ منَ الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات وَرَاءَ تَقْليد السُّنَّة فَليْسَتْ هيَ بمُعْتَبرَة فَإنَّ جوكية الهُنُود وبراهمهم وَفَلاَسفَة اليُونَان شُرَكَاءٌ في ذَلكَ الأَمْر وَلاَ يَزيدُ الرِّيَاضَاتُ في حَقِّهمْ شَيْئًا غَيْرَ الضَّلاَلة وَالخَسَارَة وَتَسْليكُ الطَّالب في هَذَا الطَّريق مَرْبُوطٌ بتَصَرُّف الشَّيْخ المُقْتَدَى به لاَ يَفْتَحُ الأَمْرَ بدُون تَصَرُّفه فَإنَّ انْدرَاجَ النِّهَايَة في البدَايَة أَثَرٌ منْ آثَار تَوَجُّهه الشَّريف وَحُصُول المَعْنَى المُنَزَّه عَن الكَيْف وَالمَثَل نَتيجَةُ كَمَال تَصَرُّفه المَنيف وَكَيْفيَّةُ الغَيْبَة وَالذُّهُول التي اعْتَبَرُوهَا طَريقًا مَخْفيًّا ليْسَ حُصُولهَا في اخْتيَار المُبْتَدئ وَالتَّوَجُّهُ العاري عَن الجهَات السِّتِّ ليْسَ وُجُودُه في حَوْصَلة الطَّالب. شعْرٌ:

مَا أَحْسَنَ النقشبندبين سيرتُهمْ يَمْشُونَ بالرَّكْب مُخْفيَين للحرَم

وَكَمَا أَنَّ في هَؤُلاَء الأَكَابر قُدْرَةً كَاملةً عَلى إعْطَاء النِّسْبَة حَيْثُ إنَّهُمْ يَمْنَحُونَ الطَّالبَ الصَّادقَ بالحُضُور وَالشُّعُور في مُدَّة قَليلة كَذَلكَ فيهمْ قُدْرَةٌ تَامَّةٌ عَلى سَلب تلكَ النِّسْبَة فَهُمْ يَجْعَلونَ صَاحبَ النِّسْبَة مُفْلسًا بتَرْك أَدَب وَاحد نَعَمْ إنَّ الذينَ يُعْطُونَ يَأْخُذُونَ أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ منْ غَضَبه وَمَنْ غَضب أَوْليَائه وَأَكْثَرُ الإفَادَة وَالاسْتفَادَة في هَذَا الطَّريق بالسُّكُوت وَقَالوا مَنْ لمْ يَنْتَفعْ بسُكُوتنَا كَيْفَ يَنْتَفعُ بكَلاَمنَا وَهَذَا السُّكُوتُ لمْ يَخْتَارُوهُ بالتَّكَلف بَل هُوَ منْ لوَازم

طَريقهمْ فَإنَّ ابْتدَاءَ تَوَجُّه هَؤُلاَء الأَكَابر إلى الأُحَديَّة المُجَرَّدَة لاَ يُريدُونَ بالاسْم وَالصِّفَة غَيْرَ الذَّات وَمَعْلومٌ أَنَّ المُنَاسَبَةَ وَالمُلاَئمَ لهَذَا المَقَام هُوَ السُّكُوتُ وَالخَرَسُ مَنْ عَرَفَ اللهَ كُل لسَانه وَمصْدَاقٌ لهَذَا الكَلاَم وَلنَخْتمْ هَذه المَقَالة بحَمْد اللهَ سُبْحَانَهُ وَبصَلاَة حَبيبه الحَمْدُ للهَ رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَآله الطَّاهرينَ أَجْمَعينَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِيَ وَالعشْرُونَ وَالمائَتَان
إلى الخواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ الكابلي
في بَيَان سُوءِ الأَحْوَال
وَرُؤْيَة القُصُور في الأَعْمَال
وَاتِّهَامِ النِّيَّات في الحَسَنَات
وَمَا يُنَاسِبُهُ

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لمَرْضَاتك وَثَبِّتْنَا عَلى طَاعَتك بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَقَال وَاحدٌ منَ الكُبَرَاء إنَّ المُرِيدَ الصَّادقَ مَنْ لاَ يَكْتُبُ عَلَيْه كَاتبُ شَمَاله شَيْئًا مُدَّة عشْرِينَ سَنَةً وَهَذَا الفَقيرُ المَمْلوءُ بالتَّقْصير يَجدُ نَفْسَه بالذَّوْق وَالوجْدَان بحَيْثُ لاَ يُدْري أَنَّ كَاتبَ يَمينه وَجَدَ لهُ حَسَنَةً يُدْرِجُهَا في صَحيفَة أَعْمَاله مُنْذُ عشْرِينَ سَنَةً عَلمَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لاَ يَقُول هَذَا الكَلاَمَ بالتَّصَنُّع وَيَجدُ بالذَّوْق أَيْضًا أَنَّ كُفَّارَ الإفْرِنْج أَفْضَل منْهُ بمَرَاتبَ فَإنْ سُئل عَنْ لَمِّيته لاَ يَعْجَزُ عَن الجَوَاب وَيَرَى نَفْسَه أَيْضًا بطَرِيق الذَّوْق مُحَاطًا بالخَطيئَات وَمَشْمُولاً بالسَّيِّئَات وَمَا وَجَدَ فيه منَ الحَسَنَات يَرَى أَنَّ كَاتبَ شَمَاله أَحَقُّ بكتَابَته وَيَرَى أَنَّ كَاتبَ شَمَاله مَشْغُول أَبَدًا وَكَاتبَ يَمينه مُعَطَّل وَفَارغٌ سَرْمَدًا وَيَعْلَمُ أَنَّ صَحيفَة يَمينه خَاليَةٌ وَصَحيفَةَ شَمَاله مَمْلوءَةٌ لاَ رَجَاءَ لهُ سوَى الرَّحْمَة وَلاَ مُمدَّ لهُ سوَى المَغْفرَة دُعَاءُ اللهُمَّ مَغْفرَتُك أَوْسَعُ منْ ذنوبي وَرَحْمَتُك أَرْجَى عندي منْ عملي مُوَافقٌ حَاله وَالعَجَب أَنَّ الفَيُوضَات الإلهيَّةَ وَالوَارِدَات الرحمانيةَ فَائضَةٌ عَلى الدَّوَام في مَدَارج الكَمَال وَالتَّكْميل وَتلكَ الوَارِدَاتُ تُؤَيِّدُ رُؤْيَةَ القُصُور المَذْكُورَة وَتُقَوِّي مُشَاهَدَةَ العُيُوب المَسْطُورَة وَتَزِيدُ مَكَانَ العَجَب مَنْقَصَةً وَمَحَل التَّرَفُّع تَوَاضُعًا وَتَنَزُّلاً ففي آن وَاحد مُشْرف بكَمَالات الولاَيَة وَفي ذَلكَ الآن مُتَّصفٌ أَيْضًا برُؤْيَة القُصُور وَالنُّقْصَان وَكُلَّمَا يَعْرُجُ وَتَفُوقُ يَرَى نَفْسَه أَسْفَل بَل يَكُونُ عُرُوجُه وَتَفَوُّقُه سَبَبًا لرُؤْيَة مَنْزلَة وَتَسَفُّله يُصَدِّقُ الظُّرَفَاءُ ذَلكَ أَمْ لاَ فَإنْ اطَّلعُوا عَلى سرِّه فَلعَلهُمْ يُصَدِّقُونَ.

فَإنْ قيل: مَا سرُّ اجْتمَاع هَذَيْن المُتَنَافيَيْن وَكَيْفَ يَكُونُ وُجُودُ أَحَد المُتَنَافيَيْن سَبَبًا لوُجُود الآخَر الجَوَابُ أَنَّ اسْتحَالَةَ اجْتمَاع المُتَنَافيَيْن مَشْرُوطَةٌ باتِّحَاد

المَحَل وَفِيمَا نَحْنُ فِيه المَحَل مُتَعَدِّدٌ فَإِنَّ الذَّاهِبَ إِلى فَوْق لطَائف عَالم الأَمْر منَ الإِنْسَان الكَامل وَالنَّازل إِلى تَحْت لطَائف عَالم الخَلق منْهُ فَإِنَّهُ كُلَمَا يَذْهَبُ عَالَمُ الأَمْر إِلى فَوْق يَكُونُ مُنَاسَبَتَهُ لعَالم الخَلق أَقَل وَأَنْقَصَ وَتَقَلل تلكَ المُنَاسَبَةُ وَتَنَقُّصُهَا يَكُونُ سَبَبًا لتَرَقُّل عَالم الخَلق وَكُلمَا يَتَنَزَّل عَالَمُ الخَلق وَيَتَسَفَّل يَجْعَل السَّالكَ فَاقدَ الحَلاَوَة وَيَزِيدُهُ رُؤْيَةَ العُيُوب وَالنَّقَائص وَلهَذَا يَتَمَنَّى المُنْتَهُونَ الالتذَاذَ الذي كَانَ مُيَسَّرًا لَهُمْ فِي الابْتدَاء ثُمَّ زَال عَنْهُمْ فِي الانْتهَاء وَعَرَضَ مَكَانَهُ فقْدَانُ الالتذَاذ وَعَدَمُ الحَلاَوَة وَلهَذَا أَيْضًا يَرَى العَارِفُ أَنَّ كُفَّارَ الإِفْرَنْج أَفْضَل منْهُ لأَنَّ فِي الكَافرِ نُورَانيَّةً بسَبَب امْتزَاج عَالم الأَمْر فيه بعَالم الخَلق وَهَذَا الامْتزَاجُ مَفْقُودٌ فِي العَارف بَل بَقِيَ فيه عَالَمُ الخَلق الذي يَقَعُ لفْظُ أَنَا منَ العَارف عَلَيْه وَحْدَهُ وَهُوَ مَمْلوءٌ منْ ظُلْمَة وَكُدُورَة منَ الرَّأْس إِلى القَدَم وَلطَائفُ عَالم الأَمْر منْهُ وَإِنْ نَزَلتْ إِلى تَحْت بطَرِيق الرُّجُوع لكنْ لاَ يَكُونُ لَهَا اخْتلاَطٌ وَامْتزَاجٌ بعَالم الخَلق كَمَا كَانَ ذَلكَ بَيْنَهُمَا فِي الابْتدَاء وَوَصَل المَكْتُوبُ المُرْسَل صُحْبَةَ أَخي الخواجهْ مُحَمَّد طَاهر وَحُصُول الرَّبْطَة التي هيَ مَبْنيَّةٌ عَلى المُنَاسَبَة التَّامَّة فِي زَمَان الغَيْبَة يَنْبَغي أَنْ تَعُدَّهَا منْ نعَم عَظيمَة وَلْيَكْتَف بقُرْب القُلوب إِلى أَنْ تَرْتَفعَ المَوَانعُ وَمَعَ وُجُود هَذَا القُرْب يَنْبَغي أَنْ لاَ يَخْرُجَ تَمَنِّي قُرْب الأَبْدَان منَ القَلب فَإِنَّ تَمَامَ النِّعْمَة مَرْبُوطٌ بهَذَا القُرْب أَلاَ تَرَى أَنَّ أُوَيْسًا القرنيَّ مَعَ وُجُود قُرْب القُلوب فيه لَمْ يَبْلغْ مَرْتَبَةَ أَدْنَى الجَمَاعَة التي حَصَلتْ لَهُمْ قُرْبُ الأَبْدَان لعَدَم حُصُول ذَلكَ لَهُ وَلهَذَا لاَ يُسَاوي إِنْفَاقُ جَبَل ذَهَب منْهُ إِنْفَاقَ مُدِّ شَعير منْهُمْ فَلاَ تَعْدل بالصُّحْبَة شَيْئًا كَائنًا مَا كَانَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ وَالمائَتَان
إِلى الخواجهْ جَمَال الدِّين حُسَيْن الكَولابي
فِي التَّحْرِيضِ عَلى إِظْهَارِ الأَحْوَال لشَيْخِه

لَمْ يُخْبِرْ الأَخُ الخواجهْ جَمَال الدِّين حُسَيْنٌ مُنْذُ مُدَّة عَنْ كَيْفِيَّات أَحْوَاله أَلَمْ يَسْمَعْ أَنْ مَشَائخَ الكبروية إِذَا لَمْ يَعْرِضْ المُريدُ عَلى شَيْخه أَحْوَالهُ إِلى ثَلاَثَة أَيَّام يُؤَدِّبُونَهُ مَضَى مَا مَضَى فَلاَ يَفْعَل ثَانيًا كَذَلكَ بَل ليَكْتُبْ كُلَمَا يَظْهَرُ وَليَغْتَنمْ قُدُومَ الأَخِ الأَعَزِّ وَليَجْتَهِدْ فِي الخِدْمَة وَاسْتِمَالة خَاطِره وَليَعْتَقِدْ أَنَّ صُحْبَتَهُ شَيْءٌ عَزِيزٌ(ع):

للتُك يَا هَذَا عَلى كَنْزٍ مُقْصَد

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ وَالمائَتَان
إلى المَيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ البدخشيِّ
في بَيَان رِعَايَة الآدَاب وَدَفْع التَّوَهُّم
وَالأَمْر بالاحْتِيَاط في تَعْلِيم الطَّرِيقَة وَالتَّحَمُّل عَلى شَدَائد الفَقْر
وَبَعْض النَّصَائح وَالتَّنْبيهَات المَكْتُوبَة إلى يار مُحَمَّد القَدِيم
في ظَهْر هَذَا المَكْتُوب

وَصَل مَكْتُوبُ الأَخِ الأَرْشَد المَيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ وَاتَّضَحَ مَضْمُونُ المُقَدِّمَات التي رَتَّبَهَا وَفَحْوَى التشكيكات التي أَظْهَرَهَا يَقُول بَعْضُ النَّاس في حَقِّكُمْ إنَّهُ أَعْقَل أَهْل زَمَانه وَمَا مَعْنَى إيرَاد أَمْثَال هَذه الكَلمَات بَيْنَك وَبَيْنَ مَنْ لاَ بُدَّ منْهُ وَلاَ مَهْرَبَ عَنْهُ وَلاَ تَقْدرُ عَلى مُقَاطَعَته وَلاَ يُمْكِنُك طَلبُ مُفَارَقَته وَأَيُّ مُنَاسَبَة في ذَلكَ وَمَع ذَلكَ لاَ يُخَيَّل لك وُصُولَ غُبَار منْ أَمْثَال هَذه الكَلمَات إلى خَاطر هَذَا الجَانب حَتَّى يُؤَدِّي إلى الإيذَاء والتأذي فَضْلاً عَنْ أَنْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ إلى التبرِّي فَإنَّ مَحَاسنَكُمْ مَنْصُوبَةٌ لدَى الأَنْظَار وَزَلاَّتكُمْ سَاقطَةٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار فَلاَ تُشَوِّشْ خَاطرَك أَصْلاً وَلاَ تَتَصَوَّرْ حُصُول الأَذيَّة إلى هَذَا الجَانب قَطْعًا فَإنَّ الأَذيَّةَ غَيْرُ وَاقعَة بوَجْه من الوُجُوه وَكَيْفَ تَتَصَوَّرُ الأَذيَّةَ مَعَ انْتفَاء مُوجَب الأَذيَّة وَالأُمُورُ التي تَظْهَرُ بالسَّهْو وَالنِّسْيَان بمُقْتَضَى البَشَريَّة لَيْسَتْ بلاَئقَة للمُؤَاخَذَة بهَا فَأَزِحْ تَوَهُّمَ التأذي عَنْ لوْح الخَاطر وَكُنْ مَشْغُولاً بتَعْليم الطَّريقَة وَإفَادَة الطَّلَبَة منَ الأَكَابر وَالأَصَاغر.

وَالأَمْرُ بالاسْتخَارَة أَنمَا هُوَ لتَأْكيد هَذَا الأَمْر لاَ لَنَفيه فَإنَّ العَدُوَّ اللعين وَالنَّفْسَ التي الشَّرُّ لَهَا قَرِينٌ لَمَّا كَانَ في كَمين هَذَا المسْكين دَائمًا لاَ بُدَّ منَ الاحْتيَاط وَالتَّأْكيد لئَلاَّ تَنْقَلبَ عَلَيْنَا الأَحْوَال وَكَيْلاَ تَظْهَرَ السيئاتُ لعُيُوننَا في صُوَر الحَسَنَات بالتَّمْويهَات وَالتَّسْويلات لأَجْل الإضْلال قيل إنَّ الشَّيْطَانَ اللعينَ إذَا جَاءَ منْ طَريق الطَّاعَة وَصُورَة النَّصيحَة فَدَفْعُهُ مُتَعَسِّرٌ فَيَنْبَغي لنَا إذًا أَنْ نَلتَجئَ وَنَتَضَرَّعَ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ دَائمًا وَأَنْ نَطْلبَ منْهُ تَعَالى بالانْكسَار وَالبُكَاء أَنْ لاَ يُرَادَ منْ هَذه الجهَة خذْلاَنُنَا وَاسْتدْرَاجُنَا وَطَريقُ الاسْتقَامَة هُوَ الدَّلالَةُ عَلى السَّعَادَة الأَبَديَّة ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الفَقْرَ وَالفَاقَةَ جَمَال هَذه الطَّائفَة العَليَّة وَفي اخْتيَاره اقْتدَاءٌ بسَيِّد الكَونين - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَقَدْ تَكَفَّلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ منْ كَمَال كَرَمه برزْق عبَاده وَجَعَلَنَا وَإيَّاكُمْ فَارغينَ منْ هَذَا التَّرَدُّد كُلمَا تَكُونُ النُّفُوسُ أَكْثَرَ يَكُونُ وُصُولَ الأَرْزَاق أَوْفَرَ فَيَنْبَغي التَّوَجُّهُ إلى مُرْضيَّات الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَإحَالَةُ غَمِّ المُتَعَلقَات عَلى

كَرَمه سُبْحَانَهُ والبَاقي عنْد التلافي وَقَدْ أَخْبَرَ بَعْضُ الأَصْحَاب الوَارِدينَ مِنْ هُنَاكَ أَنَّ تَوَهُّمَ حُصُول التأذي مُتَمَكِّنٌ في خَاطر المَيْر إلى الآنَ فَبِنَاءً عَلَى ذَلكَ كَتَبْنَا بالمُبَالغَة وَالتَّأْكيد في رَفْع تَوَهُّم الأَذيَّة وَأَيْضًا كُنَّا حَرَّرْنَا إلى المَلاَ يار مُحَمَّد القَديم كتَابًا مُشْتَملاً عَلَى النَّصَائح وَالمَوَاعظ وَالظَّاهرُ أنَّ مَضْمُونَه لَمْ يُلاَئمْ طَبيعَتَهُ حَيْثُ لَمْ يُرْسل جَوَابَهُ بَل لَمْ يَسْمَحْ بإرْسَال الدُّعَاء وَمَاذَا أَصْنَعُ إنْ لَمْ يُلاَئمْ طَبيعَتَهُ فَإنْ لَمْ أُبيِّنْ مَظَانَّ غَلط جَمَاعَة مَنْسُوبَة إلى هَذَا الحَقير وَمَوَادَّ خَطئهمْ وَلَمْ أُمَيِّزْ الحَقَّ منَ البَاطل فَكَيْفَ أَخْرُجُ منَ العُهْدَة وَبَأَيِّ وَجْه أَذْهَبُ إلى الآخَر. شعْرٌ.

وَمَا هُوَ منْ شَرْط البَلاَغ أَقُولهُ فَخُذْ منْهُ نُصْحًا خَالصًا أَوْ مَلالةً

اعْلَمْ أَنَّ مَقَامَ المَشْيَخَة وَالإرْشَاد وَدَعْوَة الخَلق إلى الحَقِّ وَطَريق الرَّشَاد مَقَامٌ عَال جدًّا وَلَعَلكُمْ سَمعْتُمْ الشَّيْخَ في قَوْمه كَالنَّبيِّ في أُمَّته فَأَيُّ مُنَاسَبَة بهَذه المَنْزلة العَليَّة لكُل قَاصر وَعَاجز، شعْرٌ:

هَل كُل مَنْ خلتُ رَجُلاً رَجُل مَيْدَان أَوْ كُل مَنْ صَارَ ذَا مُلك سُلَيْمَانَ

فَإنَّ العلمَ بتَفَاصيل الأَحْوَال وَالمَقَامَات وَمَعْرفَة حَقَائق المُشَاهَدَات وَالتَّجَليَات وَحُصُول الكُشُوف والإلهامات وَظُهُور تَعْبير الوَاقعَات كُل ذَلكَ منْ لوَازم هَذَا المَقَام العَالي وَبدُونهَا خَرْطُ القَتَاد غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ أَكَابرَ الطَّريقَة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ يُجيزُونَ بَعْضَ مُريديهمْ بنَوْع إجَازَة قَبْلَ وُصُوله إلى مَقَام المَشْيَخَة بمُلاَحَظَة بَعْض المَصَالح وَيُجَوِّزُونَ في حَقِّه تَعْليمَ الطَّريقَة للطَّالبينَ في الجُمْلَة لَيَطَّلعَ عَلَى الأَحْوَال وَالوَاقعَات وَيُلزمُ الشَّيْخُ المُقْتَدَى به في هَذَا النَّوْع منَ التَّجْويز أَنْ يَأْمُرَ ذَلكَ المُريدَ المَجَازَ بالاحْتيَاط وَكَشْف مَوَادِّ الغَلط بالتَّأْكيد وَإطْلاَعه عَلَى نَقْصه دَائمًا وَإظْهَارَ عَدَم تماميته وَكَمَاله بالمُبَالغَة فَإنْ تَسَاهَلَ الشَّيْخُ في إظْهَار الحَقِّ في هَذه الصُّورَة يَكُونُ خَائنًا وَإنْ سَاءَ ذَلكَ المُريدُ يَكُونُ مَخْذُولاً أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ رضَا الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - مَنُوطٌ برضَا الشَّيْخ وَسَخَطَهُ تَعَالى مَرْبُوطٌ بسَخَطه مَا هَذه المُصيبَةُ وَأَيُّ بَلاَء وَقَعَ أَمَا فَهمُوا أَنَّ الانْقطَاعَ عَنَّا إلى أَيْنَ يَنْجَرُّ فَإنْ يَنْقَطعُوا عَنَّا إلى مَنْ يَتَّصلونَ فَإنْ تَطَرَّقَ إلى خَاطره عياذا بالله سُبْحَانَهُ شَيْءٌ منْ هَذَا القَسْم فَقُل لَهُ منْ غَيْر تَوَقُّف لِيَتُبْ وَلْيَسْتَغْفر اللهَ وَلْيَلْتَجئْ وَلْيَتَضَرَّعْ إلَيْه سُبْحَانَهُ أَنْ لاَ يَبْتَليَه بهَذَا الابْتلاَء العَظيم وَأَنْ لاَ يُوقعَهُ في هَذَا البَلاَء الخَطير لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ لَمْ يَقَعْ غُبَارٌ في خَاطر هَذَا الجَانب مَعَ عَدَم مَبَالاَت الإخْوَان ذَلكَ

وَاضْطِرَابَاتُهمْ هَذِه كُلهَا وَالمَرْجُوُّ منْ ذَلكَ أَنْ يَمُرَّ عَوَاقبُ الأُمُور بالخَيْر وباقي الأَحْوَال وَالأَوْضَاع يَذْكُرُهُ الأَخُ الأَرْشَدُ مَوْلاَنَا مُحَمَّدُ صَالحٍ بِالتَّفْصِيل وَبَعْضُ مَحَال الاشْتبَاه يُتَعْلمُ منْهُ.

{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آله أَتَمُّ الصَّلاَةِ وَأَفْضَل التسليمات.

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ وَالمائَتَانِ
إلى الملا طَاهِرِ اللاهوري
فِي بَيَانِ أَنَّ فِي بِدَايَةِ هَذَا الطَّرِيقِ يَحْصُلُ مَا يَحْصُلُ فِي نِهَايَةِ سَائِرِ الطُّرُقِ بِطَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ إِلخْ

الحَمْدُ للهِ وَنُصلي عَلى نَبيِّهِ وَنُسَلمُ عَلَيْهِ وَعَلى آله الكِرَامِ وَصَلت المكتوباتُ الشَّرِيفَةُ مُتَوَالِيَةً وَقَدْ انْدَرَجَ فِيهَا بَيَانُ سَعْيِ الطَّالبينَ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي الاشْتِغَالِ والتذاذهم به وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِ فَزَادَتْ فَرَحًا عَلى فَرَحٍ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ لَمَّا كَانَ فِيهِ انْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ صَارَ يَقَعُ وَيَحْصُلُ لمبتدئي هَذَا الطَّرِيقِ العَالِي فِي الابْتِدَاءِ أَحْوَالٌ شَبِيهَةٌ بِأَحْوَالِ المُنْتَهِينَ بحَيْثُ لاَ يُمْكِنُ التَّمْيِيزُ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الأَحْوَالِ إِلاَّ لعَارِفٍ لهُ حِدَّةُ النَّظَرِ فَعَلى هَذَا التَّقْدِيرِ لاَ يَنْبَغِي إِجَازَةُ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ لأَصْحَابِ تلكَ الأَحْوَالِ اعْتِمَادًا عَلى حُصُولِهَا فَإِنَّ ضَرَرَ أَصْحَابِ الأَحْوَالِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ فَوْقَ ضَرَرِ مسترشديهم لاحْتِمَالِ الامْتِنَاعِ عَنِ التَّرَقِّي بِتَخَيُّلِ البُلوغِ مَرْتَبَةَ الكَمَالِ بَلِ يُمْكِنُ أَنْ يُوقِعَهُ حُصُولُ الجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ الذي هُوَ مِنْ لوَازِمِ مَقَامِ الإِرْشَادِ فِي بَلاَءٍ عَظِيمٍ فَإِنَّ نَفْسَهُ الأَمَّارَةَ بَاقِيَةٌ عَلى كُفْرِهَا لَمْ تَحْصُلْ لَهَا التَّزْكِيَةُ بَعْدُ مُضِيِّ مَا مَضَى وَالذِينَ أَجَزْتُهُمْ يَنْبَغِي لك أَنَّ تُفْهِمَهُمْ بالملاَيَمةِ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الإِجَازَةِ لَيْسَ مَبْنِيًّا عَلى الكَمَالِ بَلِ أَمَامَهُمْ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ وَأَنَّ هَذِهِ الأَحْوَالَ الحَاصِلَةَ فِي الابْتِدَاءِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ قَبِيلِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ **وَأَنْ** تَنْصَحَهُمْ بِالنَّصَائِحِ المُنَاسِبَةِ وَأَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلى مَنْقَصَتِهِمْ وَحَيْثُ أَجَزْتَهم لاَ تَمْنَعُهُمْ مِنْ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَعَسَاهُمْ يَبْلغُونَ حَقِيقَةَ مَقَامِ الإِرْشَادِ بِبَرَكَةِ أنفاسكم ثُمَّ **إِنَّكُمْ** حَيْثُ شَرَعْتُمْ فِي هَذَا الأَمْرِ يَكُونُ مُبَارَكًا فَيَنْبَغِي السَّعْيُ وَالاهْتِمَامُ وَالاجْتِهَادُ **وَالاغْتِنَامُ** لِيَكُونَ ذَلكَ بَاعِثًا عَلى سَعْيِ الطَّالبينَ وَاجْتِهَادِهِمْ وَشَوْقِهِمْ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ وَالمائَتَان
إِلى أَخِيهِ الحَقِيقِيِّ الشَّيْخِ مَيَّانَ مُحَمَّدٍ
فِي بَيَانِ اغْتِنَامِ الفُرْصَةِ

وَصَلَ مَكْتُوبٌ أُخْرَى الأَعَزِّ فَصَارَ مُوجِبًا للفَرَحِ أَيُّهَا الأَخُ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِنَّ فُرْصَةَ الحَيَاةِ قَلِيلَةٌ جِدًّا وَالعَذَابُ الابَدِيُّ مُتَفَرِّعٌ عَلَيْهَا يَا أَسَفَا عَلى مَنْ يَصْرِفُ هَذِه الفُرْصَةَ اليَسِيرَةَ فِي تَحْصِيلِ أُمُورٍ لاَ طَائِلَ فِيهَا وَيَلْتَزِمُ الآلاَمَ المُخَلِّدَةَ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ النَّاسَ مِنَ الأَجَانِبِ يَجْتَمِعُونَ مِنَ الأَطْرَافِ وَالجَوَانِبِ أَمْثَالَ النَّمْلِ وَالجَرَادِ تَارِكِينَ الأَسْبَابَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَتُعَدُّونَ بِالذَّوْقِ وَالحِرْصِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَتَتَمَنَّوْنَ بِالشَّوْقِ حُصُولَهَا جَاهِلِينَ لِقَدْرِ دَوْلَةٍ كَائِنَةٍ فِي الدَّارِ الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ اجْتِمَاعِ أَهْلِ اللهِ وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الجَمْعِيَّةِ للهِ فِي اللهِ الذِي هُوَ اليَوْمَ فِي سرهند لاَ يَدْرِي أَيُحَصِّلُ عُشْرَ عَشِيرِ هَذِه الدَّوْلَةِ عِنْدَ طَوْفِ أَطْرَافِ العَالَمِ أَمْ لاَ وَأَنْتُمْ ضَيَّعْتُمْ مِثْلَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ مَجَّانًا وَاسْتَبْدَلْتُمْ الجَوَاهِرَ النَّفِيسَةَ بِالجَوْزِ وَاللَّوْزِ مِثْلَ الأَطْفَالِ، (ع):

فَذَا عَارٌ عَلَيْكُمْ أَلفَ عَارٍ

أَيُّهَا الأَخُ: لَعَلَّكَ لاَ تُعْطَى الفُرْصَةَ فِي وَقْتٍ آخَرَ وَلَئِنْ أُعْطِيتَ فَلَعَلَّهُ لاَ يَبْقَى هَذَا الاجْتِمَاعُ قَائِمًا فَمَا العِلاَجُ إِذًا وَكَيْفَ يُمْكِنُ التَّدَارُكُ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَحْصُلُ التَّلافِي غَلِطْتَ وَأَخْطَأْتَ فِي الفَهْمِ إِيَّاكَ وَأَنْ تُفْتَنَ بِلُقْمَةٍ سَمِينَةٍ لَذِيذَةٍ وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَغْتَرَّ بِأَلْبِسَةٍ مُزَيَّنَةٍ نَفِيسَةٍ فَإِنَّهَا لاَ نَتَائِجَ لَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ غَيْرَ الخَسَارَةِ وَالنَّدَامَةِ وَإِلْقَاءِ نَفْسِكَ إِلَى البَلاَءِ وَاخْتِيَارِ العَذَابِ الأُخْرَوِيِّ بِوَاسِطَةِ طَلَبِ رِضَا الأَهْلِ وَالعِيَالِ بَعِيدًا عَنِ العَقْلِ السَّلِيمِ المُدْرِكِ المُتَفَكِّرِ لِعَوَاقِبِ الأُمُورِ رَزَقَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ العَقْلَ وَالتَّنَبُّهَ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الدُّنْيَا يُمَثِّلُ بِهَا فِي عَدَمِ الوَفَاءِ وَأَهْلُهَا مَشْهُورُونَ بِالخِسَّةِ وَالدَّنَاءَةِ وَالجَفَاءِ أَلَيْسَ مِنَ الخَسَارَةِ أَنْ تَصْرِفَ عُمْرَكَ العَزِيزَ النَّفِيسَ فِي طَلَبِ عَدِيمِ الوَفَاءِ وَالخَسِيسِ {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ}[1] وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

المَكْتُوبُ السَّابِعَ وَالعِشْرُونَ وَالمائَتَان
إلى الملا طَاهِرِ اللاهوري
فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ وَالمَوَاعِظِ التِي تَتَعَلقُ بِمَقَامِ المَشْيَخَةِ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ وَقَدْ كَتَبْتُمْ مِنَ التذَاذ الأَصْحَاب وَحُصُول الحَلاَوَة لَهُمْ فَزَادَ ذَلكَ فَرَحًا عَلى فَرَحٍ أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ حَيْثُ أَكْرَمَك بِهَذَا المَنْصب يَنْبَغِي لك أَدَاءُ شُكْرِ هَذه النِّعْمَة عَلى الوَجْه الأَتَمِّ وَالاحْتِرَاز عَنْ صُدُورِ أَمْرٍ يَكُونُ بَاعِثًا عَلى نَفْرَة الخَلق فَإِنَّهُ وَبَال عَظِيمٌ وَتَنْفِيرُ الخَلقِ مُنَاسبٌ لحَال الملامتِيِّ لاَ تَعَلقَ لهُ بالمَشْيَخَة وَمَقَامُ الدَّعْوَة بَل مَقَامُ الملامتِيِّ نَقِيضُ مَقَامِ المَشْيَخَة فَإِيَّاكَ وَالغَلطَ فِي هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ أَفَتَتَمَنَّى الملامتِيَّةَ فِي مَقَامِ المَشْيَخَة وَهُوَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ وَيَنْبَغِي لك أَنْ تُجَمِّل نَفْسَك فِي نَظَرِ المُرِيدينَ وَأَنْ لاَ تُفَرِّطَ فِي الاخْتِلاَط والموآنسة بالمُسْتَرْشدينَ فَإِنَّ ذَلكَ بَاعِثٌ عَلى الاسْتِخْفَاف المُنَافي للإِفَادَة وَالاسْتِفَادَة وَعَلَيْك برعَايَة حفْظ الحُدُود الشَّرْعِيَّة حَقَّ رِعَايَتِهَا أَوْ إِيَّاكَ وَتَجْوِيزَ العَمَلَ بالرُّخْصَة مَهْمَا أَمْكَنَ فَإِنَّهُ مُنَاف لهَذه الطَّرِيقَة العَلِيَّة وَمُنَاقضٌ لدَعْوَى مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنِيَّة قَال وَاحدٌ مِنَ الأَعِزَّة رِيَاءُ العَارِفونَ خَيْرٌ مِنْ إِخْلاَص المُرِيدينَ فَإِنَّ رِيَاءَهُمْ إِنَّمَا هُوَ لانْجذَاب قُلوب الطَّالبينَ إِلى جَنَاب قُدْس الحَقِّ – جَل سُلطَانُهُ – فَيَكُونُ أَفْضَل مِنْ إِخْلاَص المُرِيدينَ بالضَّرُورَة وَأَيْضًا إِنَّ أَعْمَال العَارِفينَ أَسْبَابٌ وَوَسَائطُ لتَقْليد الطَّالبينَ لَهُمْ فِي إِتْيَان الأَعْمَال فَإِنْ لَمْ يَعْمَل العَارِفُونَ يَبْقَى الطَّالبُونَ مَحْرُومينَ مِنَ العَمَل فَصُدُورُ الرِّيَاء مِنَ العَارِفينَ إِنَّمَا هُوَ لِيَقْتَدي بِهِمُ الطَّالبُونَ وَهَذَا الرِّيَاءُ عَيْنُ الإِخْلاَص بَل أَفْضَل مِنْهُ لأَنَّ نَفْعَهُ مَقْصُورٌ عَلى صَاحبه وَذَاكَ مُتَعَدٍّ وَلاَ يَتَوَهَّمُ المُتَوَهِّمُ مِنْ ذَلكَ أَنَّ أَعْمَال العَارِفينَ إِنَّمَا هِيَ لَمحْضِ تَقْليد الطَّالبينَ وَأَنَّهُ لاَ احْتِيَاجَ لَهُمْ إِلى الأَعْمَال عياذا بالله سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلكَ فَإِنَّهُ عَيْنُ الإِلحَاد وَالزَّنْدَقَة بَل العَارِفُ وَالطَّالبُ سيَّان فِي لزُوم إِتْيَان الأَعْمَال لاَ غنَا لأَحَد عَنْهُ غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ فِي أَعْمَال العَارِفينَ يَكُونُ نَفْعُ الطَّالبينَ الذي مَرْبُوطٌ بالتَّقْليد مَلحُوظٌ أَيْضًا أَحْيَانًا وَبِهَذَا الاعْتِبَارِ يُسَمُّونَهَا رِيَاءً وَبِالجُمْلَة يَنْبَغِي التَّحَفُّظُ الكَامِل وَالتَّيَقُّظُ

الشَّامل فِي القَوْل وَالفعْل فَإِنَّ أَكْثَرَ الخَلق فِي هَذه الأَوَان فِي شَوْق الطَّلب فَلاَ يَقَعُ أَمْرٌ يَكُونُ مُنَافيًا لهَذَا المَقَام وَبَاعثًا عَلى طَعْن الجُهَّال فِي الأَكَابِر الكِرَام وَعَلَيْك بطَلب الاسْتقَامَة منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَقَدْ كَتَبْت أَيْضًا حُصُول نَسَب المَشَايخ وَقَدْ ذُكرَ وَجْهُ ذَلكَ لك مُكَرَّرًا بالمُشَافَهَة فَلاَ تَفْهَمْ وَرَاءَ ذَلكَ شَيْئًا فَإِنَّهُ مِمَّا لاَ خَيْرَ فِيه وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنَ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَتَان
إلى المِيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ المُتَعلقَة بمَقَامِ التَّكْمِيل
وَتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

وصَلَ مَكْتُوبُ الأَخِ مَعْدِنِ السِّيَادَةِ وَصَارَ مُوجِبًا للفَرَحِ أَيُّهَا الأَخُ قَدْ قِيلَ لك مُكَرَّرًا إنَّ مَدَارَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى أَصْلَيْنِ الاسْتِقَامَةَ عَلَى الشَّرِيعَةِ عَلَى حَدٍّ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَرْضَى بِتَرْكِ أَدْنَى آدَابِهَا وَرُسُوخِ مَحَبَّةِ شَيْخِ الطَّرِيقَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا وَالإِخْلاَصِ عَلَى نَهْجٍ لاَ يَبْقَى مَجَالُ الاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ أَصْلاً بَل يَكُونُ جَمِيعُ حَرَكَاتِه وَسَكَنَاتِه مُسْتَحْسَنَةً وَمَحْبُوبَةً فِي نَظَرِ المُرِيدِ وَنَعُوذُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ مِنْ وُقُوعِ خَلَلٍ فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ المُتَعلقَة بِهَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ فَإِنَّ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ إِذَا كَانَا عَلَى الاسْتِقَامَةِ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ نَقْدُ الوَقْتِ وَقَدْ قَرَعَ سَمْعَكُمْ نَصَائِحُ وَوَصَايَا أُخَرُ فَيَنْبَغِي الاحْتِيَاطُ فِي مُرَاعَاتِهَا وَتَلاَفِي التقصيرات بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ وَأَنْ تَعْتَكِفَ فِي عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ هَذه بِنِيَّةِ قَضَاءِ الاعْتِكَافِ العُشْرِ الأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى تَقْدِيرِ تَرْكِه مِنَ الشَّهْرِ المَذْكُورِ فَبِهَذِهِ النِّيَّةِ تَصِيرُ عَامِلاً السُّنَّةَ وَيَنْبَغِي فِي هَذَا الاعْتِكَافِ الاعْتِذَارُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ التقصيرات بِالتَّضَرُّعِ وَالانْكِسَارِ وَالفَقِيرُ أَيْضًا يَكُونُ مُمِدًّا لَكُمْ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَمَا المَقْصُودُ مِنْ هَذِه المُبَالَغَةِ وَالإِلحَاحِ كُلِّهَا فِي تَحْرِيرِ الإِجَازَةِ وَقَدْ صَدَرَتْ لك إِجَازَةُ تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ فَإِنْ لَمْ تَكْفِ هِيَ فَمَا نَفْعُ تَحْرِيرِ الإِجَازَةِ وَلاَ يَلْزَمُ السَّعْيُ وَالاجْتِهَادُ فِي تَحْصِيلِ كُلِّمَا يَقَعُ فِي الخَاطِرِ وَقَدْ يَقَعُ أَشْيَاءُ تَرْكُهَا أَوْلَى وَأَنْسَبُ وَالنَّفْسُ اللجُوجَةُ إِذَا وَلَعَتْ بِأَشْيَاءَ تُرِيدُ أَنْ تُحَصِّلَهَا وَتُتَمِّمَهَا وَلاَ تُلاَحِظُ فِي حقِّيتها وَبُطْلاَنِهَا وَلَقَدْ حَرَّرْتُ فِي حَقِّكُمْ كَلِمَاتٍ كَثِيرَةً نَفَعَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَا يَنْبَغِي لك أَنْ تَكُونَ فِي فِكْرِ نَفْسِك وَتَدْبِيرِ أَمْرِك حَتَّى تَذْهَبَ بِسَلاَمَةِ الإِيمَانِ وَمَاذَا تَنْفَعُ الإِجَازَةُ وَالمُرِيدُونَ فَإِذَا جَاءَ طَالِبٌ صَادِقٌ حِينَ اشْتِغَالِك بِشَأْنِك فَحِينَئِذٍ تُعَلِّمُهُ الطَّرِيقَةَ لاَ إِنَّك تَجْعَلُ تَعْلِيمَ الطَّرِيقَةِ أَصْلَ الأَمْرِ وَمَقْصُودًا بِالذَّاتِ وَتَجْعَلُ مُعَامَلَتك تَابِعَةً لَهُ وَمَقْصُودًا بِالعَرَضِ فَإِنَّ ذَلِكَ ضَرَرٌ مَحْضٌ وَخُسْرَانٌ صِرْفٌ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ وَالعِشْرُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى المَرْزَا حُسَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ
فِي دَفْعِ تَوَهُّمِ تَغْيِيرِ الطَّرِيقَةِ بِضَرْبِ المَثَلِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى وَصَلتْ المكتوباتُ الشَّرِيفَةُ المُرْسَلَةُ مُتَوَالِيَةً فَصَارَتْ مُوجِبَةً للفَرَحِ وَبَاعِثَةً عَلَى إِفْرَاطِ المَحَبَّةِ جَزَاكُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاءِ وَقَدْ انْدَرَجَ فِيهَا بَعْضُ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ اعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَنَا هَذَا هُوَ طَرِيقُ حَضْرَةِ شَيْخِنَا قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَقْدَسَ وَالنِّسْبَةُ هِيَ تِلْكَ النِّسْبَةُ الشَّرِيفَةُ المُخْتَصَّةُ بِحَضْرَتِهِ أَيُّ طَرِيقٍ وَأَيَّةُ نِسْبَةٍ أَولى وَأَنْسَبُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ العَالِي وَالنِّسْبَةِ العَلِيَّةِ حَتَّى يَخْتَارَهُمَا الإِنْسَانُ غَايَةً مَا فِي البَابِ أَنَّ تَكْمِيلَ الصِّنَاعَةِ وَتَتْمِيمَ كُلِ نِسْبَةٍ إِنَّمَا هُوَ بِتَلَاحُقِ الأَفْكَارِ وَتَعَاقُبِ الأَنْظَارِ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّحْوَ الذِي كَانَ فِي زَمَنِ سِيبَوَيْهِ قَدْ زَادَ بِتَلَاحُقِ أَفْكَارِ المُتَأَخِّرِينَ بِهِ أَضْعَافَ أَمْثَالِهِ وَصَارَ مُحَرَّرًا وَمُنَقَّحًا وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ ذَلِكَ النَّحْوُ الذِي كَانَ فِي زَمَنِ سِيبَوَيْهِ لَمْ يَزِدْ فِيهِ تَلَاحُقُ أَفْكَارِ المُتَأَخِّرِينَ غَيْرَ تَهْذِيبِهِ وَتَنْقِيحِهِ أَلَمْ تَسْمَعْ مَقُولَةَ الشَّيْخِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ - قُدِّسَ سِرُّهُ - حَيْثُ قَالَ كُلمَا كَانَتْ الوَسَائِطُ أَزْيَدَ وَأَكْثَرَ يَكُونُ الطَّرِيقُ أَقْرَبَ وَأَنْوَرَ وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الزِّيَادَةِ التِي حَصَلَتْ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ العَلِيَّةِ بِطَرِيقِ التَّهْذِيبِ وَالتَّنْقِيحِ وَأُورِدَتْ فِي مَعْرَضِ القَالِ وَالتَّصْرِيحِ أَوْقَعَتْ جَمَاعَةً فِي التَّخَيُّلَاتِ وَحَقِيقَةُ المُعَامَلَةِ هِيَ هَذَا مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَتَصَنُّعٍ انْظُرُوا إِلى مكتوبات الفقير وَرَسَائِلِهِ حَيْثُ أَثْبَتَ فِيهَا أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ هُوَ طَرِيقُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَبَرْهَنْتُ كَوْنَ هَذِهِ النِّسْبَةِ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ وَمَدَحْتُ هَذَا الطَّرِيقَ العَالِيَ وأكابرَه عَلَى نَهْجٍ لَمْ يُوَفَّقْ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَاءِ هَذِهِ الجَمَاعَةِ العَظِيمَةِ لإِيرَادِ عُشْرِ عَشِيرَةٍ وَأَيْضًا إِنَّ الفَقِيرَ أُرَاعِي آدَابَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَأَيَّامِ الشَّدَائِدِ وَوَقْتِ القُعُودِ وَالقِيَامِ وَلَا أُجَوِّزُ مُخَالَفَتَهَا وَالأَحْدَاثُ فِيهِ مِقْدَارُ شَعْرَةٍ وَالعَجَبُ أَنَّ هَذِهِ الصَّنَائِعَ كُلَّهَا بَقِيَتْ مَسْتُورَةً عَنِ النَّظَرِ فَإِنْ وَقَعَ فَرْضًا كَلَامٌ غَيْرُ مُلَائِمٍ فِي أَيَّامِ الأَذِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلى بَعْضِ الأَصْحَابِ أَثْنَاءَ المُكَالَمَةِ وَالمُعَاتَبَةِ كَانَ ذَلِكَ منظورًا إِلَيْهِ لَدَيْكُمْ فَالعَجَبُ بَلْ أَعْجَبُ تَصْدِيقِكُمْ أَمْثَالَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ وَانْزِعَاجِكُمْ بِمُجَرَّدِ سَمَاعِهَا فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَبْنِيًّا عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ فَلِمَ تُخَصِّصُونَ بِهِ تِلْكَ الجَمَاعَةَ أَلَسْتُ أَنَا قَابِلاً لِحُسْنِ الظَّنِّ وَبِالجُمْلَةِ لَوْ كَانَ المَدَارُ عَلَى القِيلِ وَالقَالِ لَا يُتَصَوَّرُ الخَلَاصُ مِنْ يَدِ النَّمَّامِينَ وَالمُفْتَرِينَ وَلَا يُتَوَقَّعُ الخَلَاصُ فَيَنْبَغِي تَرْكُ القِيلِ

وَالقَال وَمُجَاوَزَتُهُ وَعَدَمُ تَذَكُّرِ الأُمُورِ المَاضِيَة حَتَّى يُتَصَوَّرَ الإِخْلاَصُ وَتَرْتَفِعَ الكُلْفَةُ الأُولِي وَكَتَبْتُمْ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ وَقْتُ تَرْبِيَة أَوْلاَد حَضْرَة شَيْخنَا بَل كَادَ أَنْ يَفُوتَ وَذَكَرْتُمْ وَصِيَّةَ حَضْرَة شَيْخنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ مَا أَعْظَمَ سَعَادَةَ مَنْ يَقُومُ بِخِدْمَة مخادِيمهم وَلكِنِّي عَذَرْتُ نَفْسِي فِي هَذِه المُدَّة عَنِ الخِدْمَة الظَّاهِرِيَّة بوَاسطَة المَوَانِع المَعْلومَة وَأَنَا مُنْتَظِرٌ لظُهُور زَمَان يُمْكِنُ فِيه إِجْرَاءُ الوَصِيَّة العَلِيَّة فَإِنْ عَلِمْتُمْ الآنَ عَدَمَ المَانِعِ وَأَنَّ طَرِيقَ القِيل وَالقَال صَارَ مَسْدُودًا فَأَشِيرُوا به إِلَيَّ حَتَّى أَذْهَبَ وَأَشْتَغِل بِهَذِه الخِدْمَة أَيَّامًا وَلَكِنْ إِذَا لوحظَ فِي ذَلكَ الأَمْرِ حَقَّ المُلاَحَظَة يُعْلمُ أَنْ مباشرتي لذَلكَ الأَمْرِ إِنَّمَا تَلزَمُ بِمُجَرَّد امْتِثَال الأَمْرِ وَإِلاَّ فَتَرْبِيَتُكُمْ إِيَّاهُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا كَافِيَةٌ احْتِيَاجٍ إِلى آخَرَ وَقَدْ أخبرني أَخُونَا مَوْلاَنَا عَبْدُ اللطيف أَنَّ المَيَّانَ مُحَمَّدَ قليجٍ أَخَذَ المَخْدُومَ الأَكْبَرَ للتَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَة الظَّاهِرِيَّة وَإِنَّكُمْ جَوَّزْتُمْ ذَلكَ أَيْضًا فأورثني سَمَاعُ هَذَا الخَبَرِ تَعَجُّبًا فَإِنَّ المَذْكُورَ وَإِنْ تَخَيَّل شَيْئًا مِنْ قُصُورِ إِدْرَاكِه وَلكِنْ كَيْفَ تُجَوِّزُونَهُ ذَلكَ وَأَنَا أَخَافُ مِنْ سَرَايَة أَذِيَّة مُحَمَّدِ قليجٍ إِلى مَحَل آخَرَ.

المَكْتُوبُ الثَّلاثُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى الشَّيْخِ يُوسُفَ البركي
فِي عُلوِّ الهِمَّة
وَعَدَمِ الاكْتِفَاءِ بِكُلِّ مَا يَحْصُلُ وَالاجْتِهَادِ فِي التَّرَقِّي
وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى أَظْهَرَ المَيَّانُ بابو نُبْذَةً مِنْ أَحْوَالِكُمْ الكَرِيمَة بِأَمْرِكُمْ وَاسْتَفْسَرَ عَنْ حَقِيقَتِهَا فَبِنَاءً عَلى ذَلِكَ تُحَرِّرُ كَلِمَات أَيُّهَا المَخْدُومُ إِنَّ أَمْثَالَ هَذِه الأَحْوَال يَظْهَرُ لِمُبْتَدِئ هَذَا الطَّرِيق كَثِيرًا فِي أَوَائِل الأَقْدَامِ وَهُمْ لاَ يَعْتَبِرُونَهَا أَصْلاً بَل يَنْفُونَهَا وَأَيْنَ الوَصْل وَأَيْنَ النِّهَايَة. شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إِلى سُعَادَ دُونَهَا قُلل الجِبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالمِثَال وَكُلمَا هُوَ دَاخِل تَحْت الرُّؤْيَة وَالإِدْرَاك وَالشُّهُود وَالمُكَاشَفَة فَهُوَ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء فَلاَ تَغْتَرُّوا أَصْلاً بِجَوْز هَذَا الطَّرِيق وَمَوْزَه مِثْل الأَطْفَال وَلاَ تَتَخَيَّلوا الوُصُول إِلى النِّهَايَة وَلاَ تُظْهِرُوا الوَقَائِعَ لشُيُوخٍ نَاقصين فَإِنَّهُمْ يَسْتَكْثِرُونَ القَلِيل بِمِقْيَاس وجْدَانِهِمْ وَيَزْعُمُونَ البِدَايَة نِهَايَة فَلاَ جَرَمَ يَقَعُ الطَّالِبُ المُسْتَعِدُّ فِي زَعْم الكَمَال وَيَتَطَرَّقُ الفُتُورُ إِلى طَلَبِه يَنْبَغِي للعَاقِل طَلَبُ شَيْخٍ كَامِل وَالتِمَاسُ عِلاَجِ الأَمْرَاض البَاطِنِيَّة مِنْهُ وَمَا لَمْ يَلقَ شَيْخًا كَامِلاً يَنْبَغِي نَفْيُ تِلكَ الأَحْوَال بِحَرْف لاَ وَإِثْبَاتُ المَعْبُود بِالحَقِّ المُنَزَّه عَنِ الكَيْف وَالمِثَال قَالَ الخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - كُل مَا يَكُونُ مَرْئِيًّا أَوْ مَسْمُوعًا أَوْ مُدْرَكًا فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالى يَنْبَغِي نَفْيُهُ بِحَقِيقَة كَلِمَة لاَ فَعَلَيْك نَفْيُ مَا يَظْهَرُ فِي الأَكْثَر وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء وَلاَ يَتَخَيَّل فِي جَانِب الإِثْبَات غَيْرُ التَّكَلمِ بِكَلِمَة المُسْتَثْنَى أَصْلاً وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ أَكَابِر هَذه الطَّرِيقَة.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلاَة وَأَكْمَل التسليمات.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الحادي وَالثَّلاَثُونَ وَالمائَتَان
إلى المَيْرِ مُحَمَّد النُّعْمَان
في بَيَان الفرق بَيْنَ الوُصُول وَالحُصُول
وَأَنَّ مَبَادِيَ تعينات الأَنْبِيَاء هَل تَكُونُ مَبَادي تعينات الأَوْلِيَاء أَمْ لاَ
وَالفَرْقُ بَيْنَ ذِكْرِ الجَهْرِ وَغَيْرِه مِنَ المُحْدَثَات
حَيْثُ يَمْنَعُ مِنَ الأَوَّل دُونَ الثَّاني

نَحْمَدُهُ وَنُصَلي وَنُسَلمُ عَلى نَبيِّه وَعَلى آله الكرَام وَصَل المَكْتُوبَان الشَّرِيفَان مُتَعَاقِبَان المَكْتُوبُ الأَوَّل وَإِنْ كَانَ مُنْبِئًا عَنِ الحُزْن وَاضْطِرَاب وَلكنَّ المَكْتُوبَ الثَّانيَ كَانَ في غَايَة الملايمة وَمُشْعِرًا بالشَّوْق وَالحَرَارَة أَيُّهَا المُحبُّ إِنَّ المَيْرَ سَعْدَ الدِّين لَّما أَرَادَ السَّفَرَ طَلَب الكُتَّابَ وَكُنْت حينَئذ مَريضًا وَمُنْقَبِضًا عَلى حَدٍّ مَا كُنْتُ أَقْدرُ عَلى الكتَابَة بخَطِّي فأَمَرْتُ يار مُحَمَّد القَديم بتَحْرِير الكتَاب قَائلاً إِنَّهُ إِذَا انْدَرَجَ فيه كَلمَة غَيْر ملايمة وَقْتَ المَرَض أَكُونُ مَعْذُورًا مَعَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغي الانْحرَافُ وَتَخْرِيبُ المُعَامَلة بشَيْء يَسير لاَ قَدَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وُقُوعُ الأَذيَّة بَيْنَنَا وَأَنْ أَكْتُبَ شَيْئًا بقَصْد الأَذيَّة وَالإِعْرَاض فَإِنَّ حُرِّرَ شَيْءٌ بإِرَادَة النَّصيحَة يَنْبَغي أَنْ تَفْرَحَ به وَقَدْ جعلني مَكْتُوبُكَ الثَّاني مَسْرُورًا مَحْظُوظًا الحَرَارَةُ لاَزمَةٌ في كُل أَمْر يَعْني الحَزْمَ وَلْيَكُنْ الكَسَل وَالعَجْزَ نَصيبَ الأَعْدَاء وَكَتَبْتُمْ أَنَّهُ لاَ يُمْكنُ فَهْمُ الفَرْق بَيْنَ الحُصُول وَالوُصُول أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الحُصُول مُتَصَوَّرٌ مَعَ وُجُود البُعْد وَالوُصُول مُتَعَذِّرٌ يَعْني مَعَهُ أَلاَ تَرَى أَنَّ العَنْقَاءَ بتَصَوُّره بصُورَته المَخْصُوصَة به فَيُمْكنُ أَنْ نَقُول إِنَّ العَنْقَاءَ حَاصل في مُدْركَتنَا يَعْني بوُجُوده الذهنيِّ وَأَمَّا الوُصُول إِلى العَنْقَاء فَلَيْسَ ذَلكَ بمُتَحَقِّق أَصْلاً لأَنَّ الظِّلِّيَّةَ التي هيَ عبَارَةُ ظُهُور شَيْء في مَرْتَبَة ثَانيَة لَيْسَتْ بمُنَافيَة لحُصُول ذَلكَ الشَيْء وَأَمَّا الوُصُول إِلى ذَلكَ الشَيْء فَهُوَ لاَ يَجْتَمعُ مَعَ الظِّلِّيَّة فَافْتَرَقَا وَسُئلتُ أَيْضًا أَنَّ الأَسْمَاءَ التي هيَ مَبَادي تعينات الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ هَل تَكُونُ تلكَ الأَسْمَاءُ بعَيْنهَا مبادئَ تعينات الأَوْلِيَاء أَمْ لاَ فَإِنْ كَانَتْ فَمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟

أَيُّهَا الأَخُ المُعَزَّزُ إِنَّ مَبَادي تعينات الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - هيَ كُلِّيَّاتُ **الأَسْمَاء وَمَبَادي تعينات** الأَوْلِيَاء جُزْئِيَّاتُهَا المُنْدَرِجَةُ تَحْتَ تلكَ الكُلِّيَّات

وَالمُرَادُ بِجُزْئِيَّات الأَسْمَاء نَفْسُ تلكَ الأَسْمَاء المَأْخُوذَة بقَيْد منَ القُيُود كَالإِرَادَة المُطْلقَة وَالإِرَادَة المُقَيَّدَة بالشَيْء وَإِذَا وَقَعَ التَّرَقِّي للأَوْلَيَاء بوَاسطَة مُتَابَعَة الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ يَرْتَفعُ القَيْدُ المَذْكُورُ وَيَلتَحقُ المُقَيَّدُ بالمُطْلق وَقَدْ ذَكَّرْتُ هَذَا الفَرْقَ في بَعْض المَكَاتيب بالتَّفْصيل فَليُرَاجَعْ إليْه وَليُلاَحظْ فيه وَسُئلتُ أَيْضًا أَنَّهُ مَا سَبَبُ المَنْع عَنْ ذكْر الجَهْر بعلة البدْعَة مَعَ أَنَّهُ مُوَرِّثٌ للذَّوْق وَالشَّوْق وَلمَ لاَ يُمْنَعُ منْ أُمُورٍ أُخْرَى لَمْ تَكُنْ في زَمَن النَّبيِّ ﷺ مثْل لبْس الفرجيِّ وَالشَّال وَالسَّرَاويل ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ إنَّ فعْلهُ ﷺ عَلى نَوْعَيْن فعْل عَلى سَبيل العبَادَة وَفعْل عَلى طَريق العُرْف وَالعَادَة فَالفعْل الذي صَدَرَ عَنْهُ عَلى سَبيل العبَادَة نَعْتَقدُ خلاَفَهُ بدْعَةً مُنْكَرَةً وَنُبَالغُ في.المَنْع عَنْهُ لكَوْنه إحْدَاثًا في الدِّين وَهُوَ مَرْدُودٌ وَالفعْل الذي صَدَرَ عَنْهُ ﷺ عَلى طَريق العُرْف وَالعَادَة لاَ نَعْتَقدُ خلاَفَه بدْعَةً مُنْكَرَةً وَلاَ نُبَالغُ في المَنْع عَنْهُ لعَدَم تَعَلقه بالدِّين بَل وَجُودُهُ وَعَدَمُه مَبْنيَّان عَلى العُرْف وَالعَادَة لاَ عَلى الدِّين وَالملة فَإِنَّ عُرْفَ بَعْض البلاَد عَلى خلاَف عُرْف بَعْض بلاَد أُخْرَى وَكَذَلكَ يَقَعُ التَّفَاوُتُ في العُرْف في بَلدَة وَاحدَة بحَسَب تَفَاوُت الأَزْمنَة وَمَعَ ذَلكَ إذَا رُوعيَتْ السُّنَّةُ العَاديَّةُ تَكُونُ مُثْمرَةً للنَّتَائج وَمُنْتجَةً للسِّعَادَات تَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ وَعَلى تابعي كُل منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالثَّلاثُونَ وَالمائَتَان
إلى خَان خَانَان
في بَيَان حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَقُبْحِ زَخْرَفَاتِهَا الرَّدِيَّة
وَعِلاَجِ إِزَالَةِ مَحَبَّةِ تلكَ الدَّنِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

جَعَلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى حَقِيقَةَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّة وَقُبْحَ مزخرفاتها وَمُمَوِّهَاتِهَا الرَّدِيَّةَ مُنْكَشِفَةً فِي نَظَرِ البَصِيرَة وَأَجْلَى حُسْنَ الآخِرَةِ وَجَمَالَهَا مَعَ طَرَاوَةِ الجَنَّات وَأَنْهَارِهَا وَمَعَ زِيَادَةِ لقَاءِ رَبِّ العَالمِينَ - جَل سُلطَانُهُ - فيهَا بحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلَهَا وَمِنَ التسليمات أَكْمَلَهَا حَتَّى تَحْصُلَ النَّفْرَةُ عَنْ هَذه القَبِيحَة سَرِيعَة الزَّوَال وَعَدَمُ الرَّغْبَة فيهَا وَيَتَيَسَّرُ التَّوَجُّهُ بالكُلِّيَّة إلى عَالم البَقَاء الَّذي هُوَ مَحَل رِضَاء المَوْلى المُتَعَال وَمَا لَمْ يَظْهَرْ قُبْحُ هَذه الدَّنِيَّة فَالخَلاَصُ منْ أَسْرِهَا مُحَال وَمَا لَمْ يَحْصُلِ الخَلاَصُ فَالفَلاَحُ وَالنَّجَاةُ الأُخْرَوِيَّةُ مُتَعَسِّرٌ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُل خَطِيئَة قَضِيَّةٌ مُكَرَّرَةٌ وَحَيْثُ إنَّ المُعَالجَةَ تَكُونُ بالأَضْدَاد كَانَ علاَجُ إزَالة مَحَبَّة هَذه الدَّنِيَّةِ مَنُوطًا بالرَّغْبَة في أُمُور الآخرَة وَإتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة عَلى وَفْق أَحْكَام الشَّرِيعَة الغَرَّاء وَقَدْ جَعَلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا مُنْحَصِرَةً في خَمْسَة أَشْيَاءَ بَل في أَرْبَعَة أَشْيَاءَ حَيْثُ قَال تَعَالى (إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ في الأَمْوَال وَالأَوْلاَد) فَإِذَا اشْتَغَل الإنْسَانُ بالأَعْمَال الصَّالحَة يَشْرَعُ اللعبُ وَاللهْوُ اللذَان هَمَّا جُزْآهَا الأعظمان في النُّقْصَان بالضَّرُورَة وَإِذَا حَصَل الاجْتنَابُ وَالاحْتِرَازُ عَنْ لبْس الحَرِير وَاسْتعْمَال الذَّهَب وَالفضَّة التي هيَ عُمْدَةٌ في تَحْصيل الزِّينَة يَشْرَعُ جُزْؤُهَا الثَّاني الذي هُوَ الزِّينَةُ في الزَّوَال وَمَتَى حَصَل اليَقينُ بأَنَّ الفَضيلةَ وَالكَرَامَةَ عنْدَ الله عَزَّ وَجَل بالوَرَع وَالتَّقْوَى لاَ بالحَسَب وَالنَّسَب يَمْتَنعُ منَ التَّفَاخُر أَلْبَتَّةَ وَإِذَا عُلمَ أَنَّ الأَمْوَال وَالأَوْلاَدَ مَانعٌ عَنْ ذكْر الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَائقَة عَنِ التَّوَجُّه إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى يَخْتَارُ التَّقَاعُدَ عَنِ التَّكَاثُر فيهَا بالضَّرُورَة وَبَعْدَ تَزَايُدهَا منَ المعائب وَبالجُمْلَة وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا لئَلاَّ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ. شعْرٌ.

دَلَلتُك يَا هَذَا عَلى كَنْزٍ مُقْصَدِ فَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْلغ لعَلك تَبْلغُ

وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنَّ الشَّيْخَ مَيَّانَ عَبْدَ المُؤْمِنِ مِنْ أَوْلاَدِ الكِبَارِ مَشْغُول بسُلوك الطَّرِيقَة الصُّوفِيَّة بَعْدَ فَرَاغه مِنْ تَحْصيل العُلوم وَيُشَاهِدُ فِي ضِمْنِ سُلوكه أَحْوَالاً غَرِيبَةً وَالضَّرُورَةُ البَشَرِيَّةُ مِنْ قِبَل الأَهْل وَالعِيَال تَضْطَرُّهُ بلاَ اخْتِيَار وَهَذَا الفَقِيرُ دَلَلتُه عَلى جَنَابِكُمْ لدَفْعِ هَذَا الاِضْطِرَار مِنْ دَقِّ بَابِ الكَرِيمِ يَفْتَحُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَتَان
إِلى العَالِي الجَنَاب الشَّيْخ فَرِيد
فِي بَعْضِ النَّصَائِحِ بِحُسْنِ الأَدَاء

ثَبَّتَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَلى مَا جَاءَ به جَدُّكُمْ الأَمْجَدُ عَلَيْه وَعَلى آله وَأَصْحَابه مِنَ الصَّلَوَات أَفْضَلهَا وَمِنَ التسليمات أَكْمَلهَا وَلَمَّا جئْتُ دهلى فِي أَيَّام عُرْسِ حَضْرَة الخواجهْ - قُدِّسَ سِرُّهُ - وَقَعَ فِي الخَاطِر أَنْ أَتَشَرَّفَ بحُضُور المَجْلِس العَالِي أَيْضًا فَشَاعَ فِي أَثْنَاء ذَلكَ خَبَرُ الرِّحْلة فَبالضَّرُورَة كُنْت بَاعثًا عَلى التَّصْدِيع بتَحْرِير كَلمَات غَيْر مُرْتبطَة بالتَّوَقُّف هُنَا وَالمَسْئُول بجَمِيع الهمَّة سَوَاءً كَانَ فِي الحُضُور أَوْ فِي الغَيْبَة سَلاَمَتُكُمْ عَمَّا لاَ يَليقُ بكُمْ وَلاَ يَنْبَغِي وتوردني غَلَبَةُ إِرَادَة الخَيْر فِي بَعْض الأَوْقَات اخْتيَارًا مَنِّى جَسَارَتَكُمْ أَنْ أَمنَعَ وَأَحْمي عتْبَتَكُمْ العَليَّة عَمَّا لاَ يَليقُ بهَا بالتَّأْكيد وَالمُبَالغَة وَأَنْ لاَ أَتْرُكَ فِي المَجْلِس الشَّريف مَنْ ليْسَ بأَهْل لهُ وَلكنْ اعْلَمْ أَنَّ جَميع التمنِّي لاَ يَتَيَسَّرُ فَبالضَّرُورَة أَكُونُ رَطْبَ اللسَان بالدُّعَاء مِنْ ظَهْر الغَيْب وَعَسَى أَنْ يَقَعَ فِي مَعْرض القَبُول قَالَ الخواجهْ أَحْرَارٌ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: وَإِنْ كَانَ جَعْل شَخْص نَفْسَه عَظيمًا بحَيْثُ يَلزَمُ مِنْ خَرَابه خَرَابُ جَميع العَالم شِرْكًا وَكُفْرًا وَلكنْ جعلوني عظيمًا بلاَ صُنْع منِّي وَمثْل هَذه العَظَمَة كَادَ أَنْ يُصَدَّقَ اليَوْمَ فِي حَقِّكُمْ فَإِنَّ فِي رَفَاهيَتكُمْ رَفَاهيَةَ الخَلاَئق وَبالعَكْس وَلهَذَا كَانَ دُعَاءُ النَّاس لكُمْ بالخَيْر كَطَلَب المَطَر فِي شُمُول نَفْعه لعَامَّة الخَلق فَيَكُونُ مِنْ تلكَ العَظَمَة وَالجَلالة بَقَاءُ مقْدَار بَذْرَة الخَشْخَاش وَمَحَلَ الأُنْمُلَة مَحْرُومًا وَبَالاً وَثقْلاً عَظيمًا عَلى قُلوب الأَحْبَاب وَالنَّاصحينَ فَيَنْبَغِي التَّخْفيفُ عَنْهُمْ عَلى وَجْه الكَرَم وَهَذَا النَّاصحُ لمْ يَكْتُبْ مِنْ هَذه المَقُولَة شَيْئًا مِنْ مُدَّة مَديدَة خَوْفًا مِنْ كَوْن المُبَالغَة ثَقيلةً. شِعْرٌ.

وَكُل لطيف الجسْم يُؤْذيه كُلمَا ... يَمُرُّ به كَالوَرْد يَطْرَحُهُ الصَّبَا

وَلكنْ أَرَى اخْتيَارَ التَّقَاعُد وَالسُّكُوتَ بمُلاَحَظَة حُصُول الثِّقَل عَلى الخَاطِر بَعيدًا عَنِ المَوَدَّة. شِعْرٌ.

وَظيفَتُك الدُّعَاءُ فَحَسْبَ صَاحِ ... وَليْسَ لك التَّفكُّرُ فِي قَبُوله

وَقَدْ وَقَعَتْ فِي الخَاطِرِ دَاعِيَةُ زِيَارَةِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ حَرَسَهُمَا اللهُ عَنِ الآفَاتِ مُنْذُ أَوْقَاتٍ وَالبَاعِثُ عَلَى هَذَا السَّفَرِ هُوَ هَذِهِ الدَّاعِيَةُ وَلَمَّا كَانَ هَذَا المَعْنَى مَنُوطًا بِمُشَاوَرَتِكُمْ وَاسْتِرْضَائِكُمْ أَوْقَعَ خَبَرُ الرِّحْلَةِ هَذِهِ الدَّاعِيَةَ إِلَى التَّسْوِيفِ الخَيْرُ فِيمَا صَنَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَتَان
إِلى المَخْدُومِ الأَعْظَمِ الشَّيْخِ مُحَمَّد صَادِق قُدِّسَ سِرُّهُ
فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الوَاجِبِ الوُجُود وَحَقَائِقِ المُمكِنَات
وَمَعْنَى: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَه"
وَمَعْنَى: "التَّجَلي الذَّاتيِّ"
وَمَعْنَى: "اللهُ نُورُ السَّمَوَات"
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ مِنَ الأَسْئِلةِ وَالأَجْوِبَةِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ حَمْدًا للهِ المُنَزَّهِ عَنِ المِثَالِ وَصَلاَةً نَبِيِّه الهادي فَلْيَعْلَمْ الوَلَدُ الأَرْشَدُ أَنَّ حَقِيقَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وُجُودُ صِرْف لَمْ يَنْضَمْ إِلَيْه شَيْءٌ غَيْرُه أَصْلاً وَذَلكَ الوُجُودُ الصِّرْفُ الذي هُوَ حَقِيقَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَنْشَأٌ لِجَمِيعِ الخَيْرِ وَالكَمَال وَمَبْدَأٌ لِكُل حَسَنٍ وَجَمَال وجُزئيٍّ حقيقيٍّ بَسِيط لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْه تَرْكِيبٌ أَصْلاً لاَ ذِهْنًا وَلاَ خَارِجًا وَمُمْتَنِعُ التَّصَوُّرِ بِحَسَبِ الحَقِيقَةِ وَمَحْمُول عَلى الذَّات تَعَالتْ مُوَاطَأَةً لاَ اشْتِقَاقًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِنِسْبَةِ الحَمْلِ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ مَجَال لأَنَّ جَمِيعَ النِّسَبِ سَاقِطَةٌ هُنَاكَ وَالوُجُودُ العَامُّ المُشْتَرَكُ مِنْ ظِلال ذَلكَ الوُجُودِ الخَاصِّ وَهَذَا الوُجُودُ الظِلِّيُّ مَحْمُول عَلى ذَاته تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَعَلى سَائِرِ الأَشْيَاءِ عَلى سَبِيلِ التَّشْكِيكِ اشْتِقَاقًا لاَ مُوَاطَأَةً وَالمُرَادُ بِكَوْنِ هَذَا الوُجُودِ ظِلاً لِذَاكَ ظُهُورُ حَضْرَةِ الوُجُودِ يَعْنِي الخَاصَّ فِي مَرَاتِبِ التنزلات وَالفَرْدُ الأُولي وَالأَقْدَمُ وَالأَشْرَفُ مِنْ أَفْرَادِ ذَلكَ الظِّل مَحْمُول عَلى ذَاته تَعَالى اشْتِقَاقًا ففي مَرْتَبَةِ الأَصَالةِ يُمْكِنُ أَنْ نَقُول اللهُ وُجُودٌ لاَ أَنْ نَقُول اللهُ مَوْجُودٌ وَفِي مَرْتَبَةِ الظِّل يَصْدُقُ اللهُ مَوْجُودٌ لاَ اللهُ وجوديٌّ وَلَمَّا قَال الحُكَمَاءُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِعَيْنِيَّةِ الوُجُودِ وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلى حَقِيقَةِ هَذَا الفَرْقِ وَلَمْ يُمَيِّزُوا الأَصْل مِنَ الظِّل أَثْبَتُوا كُلاًّ مِنَ الحَمْلِ المَوَاطِئِ وَالحَمْلِ الاشتقاقيِّ فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَاحْتَاجُوا فِي تَصْحِيحِ الحَمْلِ الاشتقاقيِّ إِلى تَمَحُّل وَتَكَلف وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بِإِلهَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَهَذِه الأَصَالةُ وَالظِّلِّيَّةُ كَأَصَالةِ سَائِرِ الصِّفَاتِ الحَقِيقِيَّةِ وَظِلِّيَّتِهَا فَإِنَّ حَمْلَ تلكَ الصِّفَاتِ فِي مَرْتَبَةِ الأَصَالةِ التي هِيَ مَوْطِنُ الإِجْمَال وَغَيْبُ الغَيْبِ بِطَرِيقِ المُوَاطَأَةِ لاَ بِطَرِيقِ الاشْتِقَاقِ فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَال اللهُ عِلْمٌ وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال اللهُ عَالِمٌ لأَنَّ الحَمْلَ الاشتقاقيَّ لاَ بُدَّ فِيهِ مِنْ حُصُول

المُغَايَرَة وَلَوْ بالاعْتِبَار وَهِيَ مَفْقُودَةٌ في ذَلكَ المَوْطن رَأْسًا إذْ التَّغَايُرُ لاَ يَكُونُ إلاَّ في مَرَاتب الظِّلِّيَّة وَلاَ ظلِّيَّة ثَمَّةَ لأَنَّهُ فَوْقَ التَّعَيُّن الأَوَّل بمَرَاحل لأَنَّ النِّسَبَ مَلحُوظَةٌ بطَرِيق الإجْمَال في ذَلكَ التَّعَيُّن وَلاَ مُلاَحَظَةَ لشَيْءٍ منَ الأَشْيَاء بوَجْه منَ الوُجُوه في ذَلكَ المَوْطن وَالحَمْل الاشتقاقيُّ صَادقٌ في مَرْتَبَة الظِّل التي هيَ تَفْصيل ذَلكَ الإجْمَال دُونَ الحَمْل بالمُوَاطَأَة وَلكنْ عَيْنِيَّةُ تلكَ الصِّفَة في تلكَ المَرْتَبَة فَرْعُ عَيْنِيَّة وُجُوده تَعَالى الذي هُوَ مَبْدَأُ جَميع الخَيْر وَالكَمَال وَمَنْشَأُ كُل حَسَن وَجَمَال وَكُل مَحَل منْ كُتُب هَذَا الفَقير وَرَسَائله فيه نَفْيُ عَيْنِيَّة الوُجُود يَنْبَغي أَنْ يُرَادَ به الوُجُودُ الظلِّيُّ الذي هُوَ مُصَحِّحُ الحَمْل الاشتقاقيِّ وَهَذَا الوُجُودُ الظلِّيُّ أَيْضًا مَبْدَأٌ للآثَار الخَارجيَّة فَالمَاهيَّاتُ التي تَتَّصفُ بذَلكَ الوُجُود يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ في كُل مَرْتَبَة منَ المَرَاتب مَوْجُودَاتٌ خَارجيَّةٌ فَافْهَمْ فَإنَّهُ يَنْفَعُك في كَثير منَ المَوَاضع فَتَكُونُ الصِّفَاتُ الحَقيقيَّةُ أَيْضًا مَوْجُودَات خَارجيَّةً وَتَكُونُ المُمْكنَاتُ أَيْضًا مَوْجُودَات في الخَارج أَيُّهَا الوَلَدُ اسْمَعْ سرًّا غَامضًا إنَّ الكَمَالات الذَّاتيَّةَ في مَرْتَبَة حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ عَيْنُ حَضْرَة الذَّات فَصفَةُ العلم مَثَلاً في ذَلكَ المَوْطن عَيْنُ حَضْرَة الذَّات وَكَذَلكَ القُدْرَةُ وَالإرَادَةُ وَسَائرُ الصِّفَات وَأَيْضًا إنَّ حَضْرَةَ الذَّات في ذَلكَ المَوْطن بتَمَامهَا علمٌ وَكَذَلكَ بتَمَامهَا قُدْرَةٌ لاَ أَنَّ بَعْضَ حَضْرَة الذَّات علمٌ وَبَعْضًا آخَرَ منْهَا قُدْرَةٌ فَإنَّ التَّبَعُّضَ والتجزيَ مُحَال هُنَاكَ وَهَذه الكَمَالاتُ كَأَنَّهَا مُنْتَزعَاتٌ منْ حَضْرَة الذَّات وَعَرَضَ لَهَا التَّفْصيل في حَضْرَة العلم وَحَصَل بَيْنَهَا التَّمْييزُ مَعَ بَقَاء حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ عَلى تلكَ الصِّرَافَة الإجْمَاليَّة الوَحْدَانيَّة وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ في ذَلكَ المَوْطن غَيْرَ دَاخل في ذَلكَ التَّفْصيل وَغَيْر مُمَيَّز بَل جَميعُ الكَمَالات التي كَانَ كُل وَاحد منْهَا عَيْنَ الذَّات وَرَدَ إلى مَرْتَبَة العلم وَاكْتَسَبَتْ هَذه الكَمَالاتُ التي كَانَ كُل وَاحد منْهَا عَيْنُ الذَّات وَرَدَ إلى مَرْتَبَة العلم وَاكْتَسَبَتْ هَذه الكَمَالاتُ المُفَصَّلةُ في مَرْتَبَة ثَانيَة وُجُودًا ظلِّيًّا وَسُمِّيَتْ باسْم الصِّفَات وَحَصَل لَهَا القيَامُ بحَضْرَة الذَّات التي هيَ أَصْلُهَا وَالأَعْيَانُ الثَّابتَةُ عنْد صَاحب الفُصُوص عبَارَةٌ عَنْ تلكَ الكَمَالات المُفَصَّلة التي اكْتَسَبَتْ وَجُودًا علميًّا في مَوْطن العلم وَحَقَائقُ المُمْكنَات عنْدَ الفَقير العَدَمَاتُ التي هيَ مَبَادئُ جَميع الشَّرِّ وَالنَّقْص مَعَ تلكَ الكَمَالات التي انْعَكَسَتْ عَلَيْهَا وَهَذَا الكَلاَمُ يَسْتَدْعي تَفْصيلاً يَنْبَغي الاسْتمَاعُ لَهُ بأَذُن العَقْل أَرْشَدَكَ اللهُ إنَّ العَدَمَ مُقَابل للوُجُود وَنَقيضٌ لهُ فَيَكُونُ مَنْشَأً جَميع الشَّرِّ وَالنَّقْص بالذات بَل عَيْنُ جَميع الشَّرِّ وَالفَسَاد كَمَا أَنَّ الوُجُودَ في مَرْتَبَة

الإِجْمَال عَيْنُ كُل خَيْرٍ وَكَمَال وَكَمَا أَنَّ الوُجُودَ فِي مَوْطِنٍ أَصْل الأَصْل غَيْرُ مَحْمُول عَلى الذَّات بطَرِيق الاشْتِقَاق كَذَلكَ العَدَمُ المُقَابل لذَلكَ الوُجُود غَيْرُ مَحْمُول عَلى مَاهيَّة العَدَم بطَرِيق الاشْتِقَاق وَلاَ يُمْكنُ أَنْ يُقَال لتلكَ المَاهيَّة فِي تلكَ المَرْتَبَة إِنَّهَا مَعْدُومَةٌ بَل هيَ عَدَمٌ مَحْضٌ وَفِي مَرَاتب التَّفْصيل العلميِّ المُتَعَلق بتلكَ المَاهيَّة العَدَميَّة تَتَّصفُ جُزْئيَّاتُ تلكَ المَاهيَّة بالعَدَم وَيَصْدُقُ عَلَيْهَا العَدَمُ بالحَمْل الاشتقاقيِّ وَمَفْهُومُ العَدَم الذي هُوَ كَالمُنْتَزَع منَ المَاهيَّة العَدَميَّة الإِجْمَاليَّة وَكَالظِّل لَهَا يُحْمَل عَلى جَميع أَفْرَادهَا المُفَصَّلة بطَرِيق الاشْتِقَاق كَمَا سيجيءُ وَلَمَّا كَانَ ذَلكَ العَدَمُ فِي مَرْتَبَة الإِجْمَال عَيْنَ كُل شَرٍّ وَفَسَاد وَامْتَازَ كُل فَرْد منْ أَفْرَاد الشَّرِّ وَالفَسَاد فِي علم اللهِ سُبْحَانَهُ عَنْ فَرْد آخرَ كَمَا أَنَّ فِي جَانب الوُجُود كَانَ حَضْرَةُ الوُجُود فِي مَرْتَبَة الإِجْمَال عَيْنَ كُل خَيْر وَكَمَال وَفِي مَرْتَبَة التَّفْصيل العلميِّ امْتَازَ كُل فَرْد منْ أَفْرَاد الكَمَال وَالخَيْر منْ فَرْد آخرَ انْعَكَسَ كُل فَرْد منْ أَفْرَاد تلكَ الكَمَالات الوُجُوديَّة عَلى كُل فَرْد منْ أَفْرَاد الكَمَال وَالخَيْر منْ فَرْد آخرَ انْعَكَسَ كُل فَرْد منْ أَفْرَاد تلكَ الكَمَالات الوُجُوديَّة عَلى كُل فَرْد منْ أَفْرَاد تلكَ النَّقَائص العَدَميَّة التي هيَ فِي مُقَابلتهَا فِي مَرْتَبَة العلم وَامْتَزَجَتْ صُوَرُ كُل منْهُمَا العلميَّة بالأُخْرَى وَتلكَ العدْمَاتُ التي هيَ عبَارَةٌ عَن الشُّرُور وَالنَّقَائص مَعَ تلكَ الكَمَالات المُنْعَكسَة عَلَيْهَا اللتَان حَصَلاَ لَهُمَا فِي مَرْتَبَة حَضْرَة العلم التَّفْصيل العلميُّ مَاهيَّاتُ المُمَكَّنَات

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ تلكَ العدْمَات كَأُصُول تلكَ المَاهيَّات وَمَوَادِّهَا وَتلكَ الكَمَالاتُ كَالصُّوَر الحَالة فيهَا فَالأَعْيَانُ الثَّابتَةُ عنْدَ هَذَا الحَقير عبَارَةٌ عَنْ تلكَ العدْمَات وَتلكَ الكَمَالات اللتَيْن امْتَزَجَتْ كُل منْهُمَا بالأُخْرَى وَالقَادرُ المُخْتَارُ - جَل سُلطَانُهُ - صَبَغَ تلكَ المَاهيَّةَ العَدَميَّةَ مَعَ لَوَازمهَا وَمَعَ الكَمَالات الظِّلاليَّة الوُجُوديَّة المُنْعَكسَة عَلَيْهَا فِي حَضْرَة العلم المُسَمَّاة بمَاهيَّة المُمَكَّنَات بصَبْغ الوُجُود الظليِّ فِي وَقْت إِرَادَة وَجَعَلَهَا مَوْجُودَات خَارجيَّةً وَمَبْدَأً للآثَار الخَارجيَّة يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنْ جَعْل الصُّوَر العلميَّة التي هيَ عبَارَةٌ عَن الأَعْيَان الثَّابتَة المُمْكنَة وَمَاهيَّاتهَا مُنْصَبغَةً يَعْني بالوُجُود لاَ بمَعْنَى خُرُوج الصُّوَر العلميَّة منْ مَوْطن العلم وَحُصُول الوُجُود الخَارجيِّ لَهَا فَإِنَّ ذَلكَ مُحَال لاسْتلزَامه الجَهْل لَهُ سُبْحَانَهُ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا بَل بمَعْنَى أَنَّ المُمَكَّنَات عَرَضَ لَهَا الوُجُودُ فِي الخَارج عَلى طبْق تلكَ الصُّوَر العلميَّة وَرَاءَ الوُجُود العلميِّ كَمَا أَنَّ النَّجَّارَ يَتَصَوَّرُ فِي ذهْنه صُورَةَ السَّرير

ثُمَّ يَخْتَرِعُهَا فِي الخَارِجِ ففى هَذه الصُّورَة لاَ تَخْرُجُ تلكَ الصُّورَةُ الذِّهْنِيَّةُ السريريةُ التي هيَ بِمَثَابَة المَاهيَّة للسَّرير مِنْ علمِ النَّجَّار بَل عَرَضَ للسَّرير وُجُودٌ فِي الخَارِجِ عَلى طبْقِ تلكَ الصُّورَة الذِّهْنِيَّة فَافْهَمْ، اعْلمْ أَنَّ كُل عَدَم لَّما انْصَبَغ بظل مِنْ ظلال الكَمَالات الوُجُودِيَّة المُقَابلة لَهَا وَالمُنْعَكسَة عَلَيْهَا عَرَضَ لَهُ وُجُودٌ وَزِينَةٌ فِي الخَارِجِ بخلاَف العَدَم الصِّرْف فَإِنَّهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بهَذه الظِّلال وَلَمْ يَقْبَل لوْنًا وَصَبْغًا وَكَيْفَ يَقْبَل اللوْنَ وَالصَّبْغَ فَإِنَّهُ ليْسَ مُقَابلاً لهَذه الظِّلال فَإِنْ كَانَتْ لهُ مُقَابَلةٌ فهي بحَضْرَة الوُجُود الصِّرْف تَعَالى وَتَقَدَّسَ فَالعَارِفُ التَّامُّ المَعْرِفَة إِذَا نَزَل إِلى مَقَام العَدَم الصِّرْف بَعْدَ تَرَقِّيه عَلى حَضْرَة الوُجُود الصِّرْف يَحْصُل لَهَذَا العَدَم أَيْضًا بتَوَسُّله انْصبَاغٌ بحَضْرَة الوُجُود وَتَزَيُّنٌ به وَحُسْنٌ فَحينَئذ يَحْصُل لجَميع مَرَاتب إِعْدَام هَذَا العَارف التي هيَ فِي الحَقيقَة مَرَاتبُهُ الذَّاتيَّةُ الحُسْنُ وَالخَيْرِيَّةُ إِجْمَالاً وَتَفْصيلاً وَيَحْصُل لَهَا الجَمَال وَالكَمَال وَهَذه الخَيْرِيَّةُ السَّارِيَةُ فِي جَميع المَرَاتب الذَّاتيَّة مَخْصُوصَةٌ بمثْل هَذَا العَارف فَإِنْ سَرَتْ الخَيْرِيَّةُ فِي غَيْره فهى إِمَّا مَقْصُورَةٌ عَلى بَعْض المَرَاتب التَّفْصيليَّة مِنْ إِعْدَامه الذَّاتيَّة أَوْ سَارِيَةٌ فِي جَميع مَرَاتبهَا التَّفْصيليَّة عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات وَهَذَا القسْمُ الأَخيرُ أَيْضًا نَادرُ الوُجُود وَأَمَّا مَرْتَبَةُ إِجْمَال العَدَم الذي هُوَ عَيْنُ كُل شَرٍّ وَنَقْصٍ فَلَمْ تَحْصُل فيهَا رَائحَةٌ مِنَ الخَيْرِيَّة لأَحَد سوَى العَارف المَذْكُور وَلاَ نَوْعٌ مِنَ الحُسْن فَيَحْصُل لشَيْطَان هَذَا العَارف المُتَّصف بالخَيْرِيَّة التَّامَّة أَيْضًا حُسْنُ الإِسْلاَم وَتَصيرُ نَفْسُه الأَمَّارَةُ مُطَمْئنَةً وَرَاضيَةً عَنْ مَوْلاَهَا وَمِنْ هَهُنَا قَالَ سَيِّدُ المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتسليماتُ إِلاَّ أَنَّ شيطاني قَدْ أَسْلَمَ فَإِذَا كَانَ كَذَلكَ فَلاَ يَسْبقُهُ غَازٍ فِي عزْوَة أَصْلاً وَلاَ يَدُل مثْل الشَّيْطَان عَلى الخَيْر أَبَدًا سُبْحَانَ الله إِنَّ المَعَارفَ التي تَظْهَرُ مِنْ هَذَا الحَقير مِنْ غَيْر اخْتيَار لوْ اجْتَمَعَ الجَمُّ الغَفيرُ وَاجْتَهَدُوا فِي تَصَوُّرهَا لاَ يُدْرَى يَتَيَسَّرُ أَوْ لاَ وَيُشْبهُ أَنَّ يَكُونَ الحَظُّ الوَافرُ مِنْ هَذه المَعَارف نَصيبَ حَضْرَة المَهْديِّ المَوْعُود عَلَيْه الرِّضْوَان. شعْرٌ.

وَمَتَى أَتَى بَابَ العَجُوز خَليفَةٌ * إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سبالكا**

فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالقينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ فَتَكُونُ ذَوَاتُ المُمَكَّنَات عَدَمَات انْعَكَسَتْ عَلَيْهَا ظلال الكَمَالات الوُجُودِيَّة وَزِينَتُهَا فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ المُمَكَّنَاتُ مَأْوَى كُل شَرٍّ وَفَسَاد وَمَلاَذَ كُل سُوء وَنَقْص وَعنَاد وَمَا فيهَا مِنَ الخَيْر وَالكَمَال فَهُوَ عَارِيَةٌ مِنْ حَضْرَة الوُجُود الذي هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ وَمُفَاضٌ عَلَيْهَا منْهُ مَا أَصَابَك مِنْ حَسَنَة فَمِنَ الله وَمَا أَصَابَك مِنْ سَيِّئَة فَمِنْ نَفْسك شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى فَإِذَا

اسْتَوْلتْ رُؤْيَةُ كَوْنه عَارِيَةً عَلى السَّالك بفَضْل الله - جَل سُلطَانُهُ - وَرَأى كَمَالاته مِنْ ذَلكَ الطَّرَف يَجدُ نَفْسَه شرًّا مَحْضًا وَنَقْصًا خَالصًا وَلاَ يُشَاهدُ في نَفْسه كَمَالاً أَصْلاً وَلَوْ بطَرِيق الانْعكَاس وَيَكُونُ كَعُرْيَان لبسَ ثَوْبَ العَارِيَة وَاسْتَوْلتْ عَلَيْه رُؤْيَةُ كَوْنه عَارِيَةً غَايَةَ الاسْتيلاَء عَلى نَهْج يُعْطي الثَّوْبَ لصَاحبه بالكُلِّيَّة في التَّخَيُّل فَحينَئذ يَجدُ نَفْسَه بالذَّوْق عَارِيًا ألبتةَ وَإِنْ كَانَ مُتَلبِّسًا بثَوْب العَارِيَة وَصَاحبُ هَذه الرُّؤْيَة مُشَرَّفٌ بمَقَام العَبْديَّة الذي هُوَ فَوْقَ جَميع كَمَالات الولاَيَة وَاجْتمَاع الخَيْر وَالشَّرِّ وَالكَمَال وَالنَّقْص الذي هُوَ اجْتمَاعُ الوُجُود وَالعَدَم في الحَقيقَة لَيْسَ مِنْ قَبيل اجْتمَاع النَّقيضَيْن الذي يُعَدُّ مُحَالاً فَإِنَّ نَقيضَ الوُجُود الصِّرْف هُوَ العَدَمُ الصِّرْفُ وَهَذه المَرَاتبُ الظِّلِّيَّةُ كَمَا أَنَّهَا تَنَزَّلتْ في جَانب الوُجُود مِنْ ذُرْوَة الأَصْل إلى حَضيض التنزلات كَذَلكَ تَرَقَّتْ في جَانب العَدَم مِنْ حَضيض صرَافَة العَدَم بَل اجْتمَاعهَا مِنْ قَبيل اجْتمَاع العَنَاصر المُتَضَادَّة المُجْتَمعَة بَعْدَ كَسْر السُّورَة المُضَادَّة مِنْ كُل منْهَا فَسُبْحَانَ مِنْ جَمد دُونَ مصْدَاقه فَأَيُّ فَسَاد في اتِّصَاف فَرْد مِنْ أَفْرَاد العَدَم بالوُجُود كَمَا قَال أَرْبَابُ المَعْقُول في الوُجُود بطَرِيق الاسْتشْكَال إنَّ الوُجُودَ لاَ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ عَيْنَ ذَات وَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ لأَنَّ الوُجُودَ منَ المَعْقُولات الثَّانيَة التي لاَ وُجُودَ لَهَا في الخَارج وَذَاتُ وَاجب الوُجُود تَعَالى مَوْجُودَةٌ في الخَارج فَلاَ يَكُونُ عَيَّنَهَا وَقَالوا في جَوَابه إنَّ مَا هُوَ منَ المَعْقُولات الثَّانيَة هُوَ مَفْهُومُ الوُجُود لاَ جُزْئيَّاتُهُ فَلاَ يَكُونُ جُزْءٌ منْ جُزْئيَّاته مُنَافيًا للوُجُود الخارجيِّ بَل يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا في الخَارج فَإِنْ قُلتَ قَدْ عُلمَ منَ التَّحْقيق السَّابق أَنَّ وُجُودَ الصِّفَات الحَقيقيَّة إنَّمَا هُوَ في مَرْتَبَة الظِّلال وَأَمَّا في مَرْتَبَة الأَصْل فَلاَ وُجُودَ لَهَا فيهَا وَهَذَا الكَلاَمُ مُخَالفٌ لرَأْي أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ فَإِنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ انْفكَاكَ الصِّفَات عَنِ الذَّات أَصْلاً وَيَقُولونَ بامْتنَاع انْفكَاكهَا عَنْهَا ؟

أجيب لاَ يَلزَمُ منْ هَذَا البَيَان جَوَازُ الانْفكَاك فَإِنَّ ذَلكَ الظِّل لاَزمُ الأَصْل فَلاَ انْفكَاكَ غَايَةُ ما في البَاب أَنَّ العَارفَ الذي قبْلةُ تُوَجُّهه أُحَديَّةُ الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ لاَ يَكُونُ لهُ شَيْءٌ منَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات مَلحُوظًا أَصْلاً فَيَجدُ الذَّاتَ في ذَلكَ المَوْطن ألبتة وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ منَ الصِّفَات مَلحُوظًا لهُ أَصْلاً لاَ أَنَّ الصِّفَات لَيْسَتْ بحَاصلة في ذَلكَ الوَقْت فَانْفكَاكُ الصِّفَات منْ حَضْرَة الذَّات إنْ ثَبتَ ثَبتَ باعْتبَار مُلاَحَظَة العَارف لاَ باعْتبَار نَفْس الأَمْر حَتَّى يَكُونَ مُخَالفًا لَمَا عَلَيْه أَهْل

السُّنَّة وَقَدْ لاَحَ مِنْ هَذَا البَيَان مَعْنَى مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه فَإِنَّ الشَّخْصَ إِذَا عَرَفَ نَفْسَه بالشَّرِّ وَالنَّقْص وَعَرَفَ أَنَّ مَا فيه منَ الخَيْر وَالكَمَال وَالحُسْن وَالجَمَال مُسْتَعَارٌ مِنْ وَاجب الوُجُود المُقَدَّس المُتَعَال فَقَدْ عَرَفَ الحَقّ سُبْحَانَهُ بالخَيْر وَالكَمَال وَالحُسْن وَالجَمَال بالضَّرُورَة وَاتَّضَحَ مِنْ هَذه التَّحْقيقَات المَعْنَى التأويليُّ لقَوْله تَعَالى اللهُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْض لأَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ المُمَكَّنَات بأَسْرِهَا عَدَمَاتٌ وبإجمعها شَرٌّ وَظُلَمَاتٌ وَمَا فيهَا منَ الخَيْر وَالكَمَال وَالحُسْن وَالجَمَال مُفَاضٌ مِنْ حَضْرَة الوُجُود الذي هُوَ عَيْنُ حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَعَيْنُ كُل خَيْر وَكَمَال فَيَكُونُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْضينَ هُوَ حَضْرَةُ الوُجُود الذي هُوَ حَقيقَةُ الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلَمَّا كَانَ ذَلكَ النُّورُ في السَّمَوَات وَالأَرْض بتَوَسُّط الظِّلال أَوْرَدَ تَمْثيلاً لذَلكَ النُّور لرَفْع تَوَهُّم مَنْ عَسَى يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ بلاَ تَوَسُّط حَيْثُ قَال تَعَالى {مَثَل نُوره كَمشْكَاة فيهَا مصْبَاحٌ } الآيَةَ أيذانا بثُبُوت الوَسَائط وَتَفْصيل تَأْويل هَذه الآيَة الكَريمَة يُثْبتُ إِنْشَاءَ اللهِ تَعَالى في مَحَل آخَرَ فَإِنَّ المَجَال للكَلاَم كَثيرٌ هُنَاكَ وَهَذَا المَكْتُوبُ لاَ يَسَعَ تَفْصيله وَإِنَّمَا قُلنَا المَعْنَى التأويليُّ لقَوْله تَعَالى لأَنَّ المَعْنَى التفسيريَّ مَشْرُوطٌ بالنَّقْل وَالسَّمَاع وَلعَلك سَمعْتَ مَنْ فَسَّرَ القُرْآن برَأْيه فَقَدْ كَفَرَ وَفي التَّأْويل يَكْفي مُجَرَّدُ الاحْتمَال بشَرْط عَدَم مُخَالفَته الكتَابَ وَالسُّنَّةَ فَتَقَرَّرَ أَنَّ ذَوَاتَ المُمَكَّنَات وَأُصُولَهَا عَدَمَاتٌ وَصفَاتهَمْ النَّقَائصُ وَالرَّذَائل التي هيَ مُقْتَضَيَاتُ تلكَ العَدَمَات وُجدَتْ بإيجَاد القَادر المُخْتَار - جَل سُلطَانُهُ - وَالصِّفَاتُ الكَاملَةُ فيهمْ مُسْتَعَارَةٌ منْ ظلال كَمَالات حَضْرَة الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ ظَهَرَتْ فيهمْ بطَريق الانْعكَاس وَوُجدَتْ بإيجَاد القَادر المُخْتَار أَيْضًا وَمصْدَاقُ حُسْن الأَشْيَاء وَقُبْحهَا هُوَ أَنَّ كُلمَا هُوَ نَاظرٌ إِلى الآخرَة وَمُعَدٌّ لَهَا فَهُوَ حَسَنٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحْسَنًا في الظَّاهر وَكُلمَا هُوَ نَاظرٌ إِلى الدُّنْيَا وَمُعَدٌّ لأَجْلهَا فَهُوَ قَبيحٌ وَإِنْ كَانَ حَسَنًا في الظَّاهر وَظَاهرًا بالحَلاَوَة وَالطَّرَاوَة كالمزخرفات الدُّنْيَويَّة وَلهَذَا مُنع في الشَّريعَة المُصْطَفَويَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ منَ النَّظَر وَالمَيْل إِلى حُسْن المُرْد وَالنِّسَاء الأَجْنَبيَّات وَتَمَنِّي المزخرفات الدَّنيَّة فَإِنَّ ذَلكَ الحُسْنَ وَالطَّرَاوَةَ منْ مُقْتَضَيَات العَدَم الذي هُوَ مَأْوَى كُل شَرٍّ وَفَسَادٌ فَلوْ كَانَ مَنْشَأ هَذَا الحُسْن وَالجَمَال الكَمَالات الوُجُوديَّة لَمَّا يَمْنَعُ عَنْهُ إِلاَّ منْ جهَة كَوْن التَّوَجُّه إِلى الظِّل مَعَ وُجُود الأَصْل مُسْتَهْجَنًا وَمُسْتَقْبَحًا وَهَذَا المَنْعُ مَنْعٌ استحسانيٌّ لاَ وجوبيٌّ بخلاَف المَنْع السَّابق فَالحُسْنُ الظَّاهرُ في الظَّاهر الجَميلة الدُّنْيَويَّة ليْسَ هُوَ منْ ظلال حُسْنه

تَعَالى بَل هُوَ مِنْ لوَازِمِ العَدَمِ اكْتَسَبَهُ فِي الظَّاهِرِ بوَاسِطَةِ مُجَاوَرَتِه الحُسنَ وَإلاَّ فَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ قَبِيحٌ نَاقِصٌ كَسُمٍّ مَدْسُوسٍ فِي السُّكَّرِ وَنَجَاسَةٍ مَطْلِيَّةٍ بالذَّهَبِ وَإنَّمَا جُوِّزَ التَّمَتُّعُ بالنِّسَاءِ الجَمِيلةِ المَنْكُوحَةِ وَالإمَاءِ الجَمِيلةِ المَمْلوكَةِ بوَاسِطَةِ تَحْصِيلِ الأَوْلاَدِ وَإبْقَاءِ النَّسْلِ المَطْلُوبِ لبَقَاءِ نظَامِ العَالَمِ فَمَا ابْتُلِيَ به بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ مِنَ المَظَاهِرِ الجَمِيلةِ وَالنَّغَمَاتِ المُسْتَحْسَنَةِ بتَخَيُّلِ أَنَّ هَذَا الحُسْنَ وَالجَمَالَ مُسْتَعَارٌ مِنْ كَمَالاتِ حَضْرَةِ وَاجِبِ الوُجُودِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ظَهَرَ فِي هَذِهِ المَظَاهِرِ وَزَعْمُهُمْ هَذَا الابْتِلاَءَ حَسَنًا وَمُتَحَسِّنًا بَل تَصَوُّرهمْ إيَّاهُ طَرِيقَ الوُصُولِ ثَبَتَ عِنْدَ هَذَا الحَقِيرِ خِلاَفُهُ كَمَا مَرَّتْ نُبْذَةٌ فِيمَا سَبَقَ وَالعَجَبُ أَنَّ بَعْضَهمْ يُورِدُ هَذَا القَوْلَ إيَّاكُمْ وَالمُرَدَ فَإنَّ فِيهِمْ لوْنًا كَلوْنِ اللهِ سَنَدُ المَطْلبِه وَكَلمَةَ كَلوْنِ اللهِ تُوقِعُهُمْ فِي الاشْتِبَاهِ وَلاَ يَدْرُونَ أَنَّ هَذَا القَوْلَ مُنَافٍ لمَطْلبِهِمْ وَمُؤَيِّدٌ لمَعْرِفَةِ هَذَا الدَّرْوِيشِ لأَنَّهُ وَرَدَ فِيه كَلمَةُ التَّحْذِيرِ مَنْعًا عَنِ التَّوَجُّهِ إلَيْهِمْ وَبَيَّنَ مَنْشَأَ الغَلَطِ بأَنَّ حُسْنَهُمْ مُشَابِهٌ لحُسْنِ الحَقِّ وَجَمَالِه سُبْحَانَهُ لأَحْسَنِه تَعَالى لئَلاَّ يَقَعُوا فِي الغَلَطِ قَال – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – – مَا الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ إلاَّ ضَرَّتَانِ إنْ رَضِيَتْ إحْدَاهُمَا سَخِطَتْ الأُخْرَى وَفِي الحَدِيثِ أَيْضًا تَصْرِيحٌ بوُجُودِ المُبَايَنَةِ وَالمُنَاقَضَةِ بَيْنَ حُسْنِ الآخِرَةِ وَحُسْنِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ جَمَاليهِمَا وَمِنَ المُقَرَّرِ أَنَّ الحُسْنَ الدنيويَّ غَيْرُ مَرْضِيٍّ وَالحُسْنَ الأخرويَّ مَرْضِيٌّ فَيَكُونُ الشَّرّ لاَزِمَ الحُسْنِ الدنيوي وَالخَيْرَ لاَزِمَ الحُسْنِ الأخرويِّ فَبالضَّرُورَةِ يَكُونُ مَنْشَأُ الأَوَّلِ عَدَمًا وَمَنْشَأُ الثَّانِي وُجُودًا نَعَمْ إنَّ بَعْضَ الأَشْيَاءِ لهُ وَجْهٌ إلى الدُّنْيَا وَوَجْهٌ إلى الآخِرَةِ فَهَذَا قَبِيحٌ مِنَ الوَجْهِ الأَوَّلِ وَحَسَنٌ مِنَ الوَجْهِ الثَّانِي وَتَمْيِيزُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ وَفَرْقُ مَا بَيْنَ حُسْنِه وَقُبْحِه مُفَوَّضٌ إلى عِلمِ الشَّرِيعَةِ قَال اللهُ تَعَالى {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَنْظُرْ إلى الدُّنْيَا مُنْذُ خَلقَهَا لكَوْنِهَا مَبْغُوضًا عَلَيْهَا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَكُل ذَلكَ بوَاسِطَةِ قُبْحِهَا وَشَرِّهَا وَفَسَادِهَا التِي هِيَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ العَدَمِ الذي هُوَ مَأْوَى جَمِيعِ الفَسَادِ وَحُسْنُ الدُّنْيَا وَجَمَالُهَا وَحَلاَوَتُهَا وَطَرَاوَتُهَا كُل مِنْهَا كَالمَطْرُوحِ فِي الطَّرِيقِ لاَ يَسْتَحِقُّ النَّظَرَ إلَيْهِ وَالمُسْتَحِقُّ للنَّظَرِ إنَّمَا هُوَ جَمَالُ الآخِرَةِ فَإنَّهُ مَرْضِيُّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ قَال اللهُ سُبْحَانَهُ شِكَايَةً مِنْ حَالِهِمْ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ اللهُمَّ صَغِّرْ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِنَا وَكَبِّرِ الآخِرَةَ فِي قُلوبِنَا بحُرْمَةِ مَنِ افْتَخَرَ بالفَقْرِ وَتَجَنَّبَ عَنِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَعَلى آلِه أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التسليمات وَالشَّيْخُ الأَجَل مُحيي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – لَمَّا لَمْ يَقَعْ نَظَرُهُ عَلى حَقِيقَةِ شَرِّ المُمْكِنَاتِ

وَنَقْصِهَا وَقُبْحِهَا جَعَلَ حَقَائِقَ المُمْكِنَاتِ الصُّورَةَ العلميَّةَ الإلهيَّةَ - جَل وَعَلاَ - وَقَال إنَّ تلكَ الصُّوَرَ انْعَكَسَتْ عَلى مِرْآة حَضْرَة الذَّات التي لاَ يَقُول بوُجُود شَيْء غَيْرِهَا في الخَارِج فَحَصَلَتْ لَهَا بسَبَب ذَلكَ الانْعكَاس نُمُوُّهُ يَعْني ظُهُورٌ خارجٌ وَلاَ يَرَى هَذه الصُّوَرَ العلميَّةَ غَيْرَ صُوَرِ شئون الوَاجب وَصفاته - جَل سُلطَانُهُ - فَلاَ جَرَمَ حَكَمَ بوَحْدَة الوُجُود وَقَال بعَيْنيَّة وُجُود المُمْكِنَات بوُجُود الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَقَال بنسْبيَّة الشَّرِّ وَالنَّقْص وَنَفْي الشَّرِّ المُطْلق وَالنَّقْص المَحْض وَمنْ هَهُنَا لاَ يَقُول بوُجُود قَبيح بالذَّات حَتَّى إنَّهُ يَقُول إنَّ قُبْحَ الكُفْر وَالضَّلالة إنَّمَا هُوَ بالنِّسْبَة إلى الإيمَان وَالهدَايَة لاَ بالنِّسْبَة إلى ذَاتهمَا بَل يَرَاهُمَا عَيْنَ الخَيْر وَالصَّلاَح وَيَحْكُمُ باسْتقَامَتهمَا بالنِّسْبَة إلى أَرْبَابهمَا وَيَجْعَل قَوْله تَعَالى مَا منْ دَابَّة إلى هُوَ آخذٌ بنَاصيَتهَا إنَّ رَبِّي عَلى صرَاط مُسْتَقيم شَاهدًا لهَذَا المَعْنى نَعَمْ إنَّ مَنْ يَحْكُمُ بوَحْدَة الوُجُود لاَ يتحاشى منْ أَمْثَال هَذه الكَلمَات وَمَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقير أَنَّ مَاهيَّات المُمْكِنَات عَدَمَاتٌ مَعَ الكَمَالات الوُجُوديَّة المُنْعَكسَة عَلَيْهَا وَالمُمْتَزجَة بهَا كَمَا مَرَّ مُفَصَّلاً وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي السَّبيل أَيُّهَا الوَلَدُ إنَّ هَذه العُلومَ وَالمَعَارفَ التي لَمْ يَتَكَلمْ بهَا أَحَدٌ منْ أَهْل الله لاَ صَريحًا وَلاَ إشَارَةً منْ أَشْرَف المَعَارف وَأَكْمَل العُلوم برَزَتْ في منَصَّة الظُّهُور بَعْدَ أَلف سَنَة وَكَشَفَتْ عَنْ وَجْه حَقيقَة الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَحَقَائق المُمْكِنَات النِّقَاب كَمَا يَنْبَغي وَيُحْرَى بحَيْثُ لاَ مُخَالفَةَ فيهَا للكتَاب وَالسُّنَّة وَلاَ مُبَايَنَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَقْوَال أَهْل الحَقِّ وَكَانَ المُرَادُ وَالمَقْصُودُ منْ دُعَاء النَّبيِّ ﷺ لذي يُشْبهُ أَنْ يَكُونَ صُدُورُه عَنْهُ لتَعْليم الأُمَّة حَيْثُ قَال اللهُمَّ أَرنَا حَقَائقَ الأَشْيَاء كَمَا هيَ هُوَ هَذه الحَقَائقُ المُبَيِّنَةُ في ضمْن هَذه العُلوم المُنَاسبَة لمَقَام العُبُوديَّة الدَّالة عَلى الذُّل والانكسَار المُلاَئم لحَال العَبيد وَأَيُّ كَمَال وَخَيْر في رُؤْيَة العَبْد نَفْسَه عَيْنَ مَوْلاَهُ القَادر بَل هيَ تُنْبئُ عَنْ كَمَال فَقْد الأَدَب أَيُّهَا الوَلَدُ إنَّ هَذَا الوَقْتَ لوَقْت كَانَ في الأُمَم السَّابقَة يُبْعَثُ في مثْل هَذَا الوَقْت المَمْلوء بالظُّلمَة نَبيٌّ منَ الأَنْبيَاء أُولي العَزْم لإحْيَاء الشَّريعَة وَتَجْديدهَا وَفي هَذه الأُمَّة التي هيَ خَيْرُ الأُمَم وَنَبيّهمْ خَاتَمُ الرُّسُل - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليماتُ - أَعْطي العُلمَاءُ مَرْتَبَةَ أَنْبيَاء بَني إسْرَائيل وَاكْتُفَى بوُجُود العُلمَاء منْ وُجُود الأَنْبيَاء وَلهَذَا يَتَعَيَّنُ عَلى رَأْس كُل مائَة] مُجَدِّدٌ منْ عُلمَاء هَذه الأُمَّة لإحْيَاء الشَّريعَة وَعَلى الخُصُوص بَعْد مُضيِّ أَلف سَنَة فَإنَّهُ وَقْتُ بعْثَة نَبيٍّ منَ الأَنْبيَاء أُولي العَزْم في الأُمَم السَّابقَة وَمَا كَانَ يُكْتَفى فيه بأَيِّ نَبيٍّ كَانَ ففي مثْل هَذَا الوَقْت يَلزَمُ

أَنْ يَكُونَ عَالِمٌ عَارِفٌ تَامُّ المَعْرِفَةِ لِيَكونَ قَائِمًا مَقَامَ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أُولِي العَزْمِ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ. شِعْرٌ.

لَوْ جَاءَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ القُدْسِ مِنْ مَدَدٍ خَلاَ المَسِيحِ لِيَصْنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعَا

أَيُّهَا الوَلَدُ إِنَّ المُقَابِلَ لِلوُجُودِ الصِّرْفِ هُوَ العَدَمُ الصِّرْفُ وَقَدْ سَبَقَ أَنْ الوُجُودَ الصِّرْفَ حَقِيقَةٌ وَاجِبُ الوُجُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَإِنَّهُ عَيْنُ كُلِّ خَيْرٍ وَكَمَالٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِمُلاَحَظَةِ هَذِهِ العَيْنِيَّةِ هُنَاكَ مَجَالٌ وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ لِوُجُودِ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ فِيهَا وَالعَدَمُ الصِّرْفُ الذِي هُوَ مُقَابِلُ الوُجُودِ الصِّرْفِ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ النِّسْبَةِ وَالإِضَافَةِ وَعَيْنُ كُلِّ شَرٍّ وَنَقْصٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ العَيْنِيَّةِ فِيهِ أَيْضًا مَجَالٌ لِوُجُودِ رَائِحَةِ الإِضَافَةِ فِيهَا وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ ظُهُورَ الشَّيْءِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ فِي مُقَابِلِهِ الحَقِيقِيِّ وَالأَشْيَاءُ إِنَّمَا تَتَبَيَّنُ بِضِدِّهَا فَبِالضَّرُورَةِ يَحْصُلُ ظُهُورُ الوُجُودِ عَلَى الأَتَمِّ فِي مِرْآةِ العَدَمِ الصِّرْفِ وَمِنَ المُقَرَّرِ أَنَّ النُّزُولَ عَلَى قَدْرِ العُرُوجِ فَمَنْ تَحَقَّقَ عُرُوجُهُ بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى حَضْرَةِ الوُجُودِ يَكُونُ نُزُولُهُ بِالضَّرُورَةِ إِلَى العَدَمِ المُقَابِلِ لَهُ لَكِنَّ وَقْتَ العُرُوجِ الذِي فِيهِ اسْتِهْلاَكُ العَارِفِ الجَهْلِ لاَزِمٌ لَهُ وَوَقْتَ النُّزُولِ الذِي هُوَ مُتَحَقِّقٌ بِالصَّحْوِ يَكُونُ مُتَّصِفًا بِالعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ لِكَوْنِهِ مَقَامَهُ وَفِي مَقَامِ الصَّحْوِ يَتَشَرَّفُ بِالتَّجَلِّي الذَّاتِيِّ الذِي هُوَ مُبَرَّأٌ عَنْ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ وَمُنَزَّهٌ عَنْ مُلاَحَظَةِ الشئون وَالاعْتِبَارَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَيَكُونُ مَعْلُومًا لَهُ أَنَّ جَمِيعَ التَّجَلِّيَاتِ التِي قَبْلَهُ كَانَتْ فِي حُجُبِ ظِلٍّ مِنْ ظِلاَلِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ والشئون وَالاعْتِبَارَاتِ وَإِنْ اعْتَقَدَ العَارِفُ أَنَّهَا بِلاَ مُلاَحَظَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ والشئون وَالاعْتِبَارَاتِ وَعَدَّهَا تَجَلِّيَاتِ وُجُودِيَّةٍ صِرْفَةٍ سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ هَذَا العَدَمَ الذِي هُوَ مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ وَنَقْصٍ قَدْ اكْتَسَبَ الحُسْنَ بِوَاسِطَةِ ظُهُورِ حَضْرَةِ الوُجُودِ فِيهِ ظُهُورًا تَامًّا وَنَالَ مَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ وَصَارَ القَبِيحُ لِذَاتِهِ بِوَاسِطَةِ الحُسْنِ العَارِضِ مُسْتَحْسَنًا وَالنَّفْسُ الأَمَّارَةُ الإِنْسَانِيَّةُ التِي هِيَ مَائِلَةٌ بِالذَّاتِ إِلَى الشَّرِّ فِيهَا مُنَاسَبَةٌ مِنْ بَيْنِ الكُلِّ لِهَذَا العَدَمِ وَلِهَذَا صَارَتْ فَائِقَةً عَلَى الكُلِّ فِي التَّجَلِّي الخَاصِّ وَسَابِقَةً لِلكُلِّ فِي التَّرَقِّي وَالاخْتِصَاصِ، (ع):

أَحَقُّ الخَلْقِ بِالكَرَمِ العُصَاةُ

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ العَارِفَ التَّامَّ المَعْرِفَةِ إِذَا نَزَلَ بَعْدَ طَيِّ مَقَامَاتِ العُرُوجِ وَمَرَاتِبِ النُّزُولِ تَفْصِيلاً إِلَى مَقَامِ العَدَمِ الصِّرْفِ وَحَصَلَتْ لَهُ مرآتيةُ حَضْرَةِ الوُجُودِ يَظْهَرُ فِيهِ جَمِيعُ الكَمَالاتِ الأسمائية والصفاتية وَيَظْهَرُ جَمِيعُهَا تَفْصِيلاً مَعَ لَطَائِفَ

يَظْهَرُ فيه جَميعُ الكَمَالات الأسمائية والصفاتية وَيَظْهَرُ جَميعهَا تَفْصيلاً مَعَ لطَائفَ كَانَ مَقَامُ الإجْمَال مُتَضَمِّنًا لهَا * وَهَذه الدَّوْلَةُ لاَ تَتَيَسَّرُ لغَيْره وَتلكَ المرآتيةُ لبَاسٌ فَاخرٌ مَخيطٌ عَلى مقْدَار قَدِّه وَصُوَرُ هَذَا التَّفْصيل وَإنْ كَانَتْ ثَابتَةً في خزَانَة الحَضْرَة العلميَّة وَلكنَّهَا مرآتيةٌ في حَضْرَة العلم ومرآتيةُ هَذَا العَارف في مَرْتَبَة الخَارج حَيْثُ أَظْهَرَ جَميعَ الكَمَالات في الخَارج.

فَإنْ قيل: مَا مَعْنَى كَوْن العَدَم مرآةً فَإنَّهُ لاَ شَيْءَ مَحْضٌ فَبَأَيِّ اعْتبَار قيل لهُ إنَّهُ مرآةٌ للوُجُود أُجيبُ أَنَّ العَدَمَ باعْتبَار الخَارج لاَ شَيْءَ مَحْضٌ وَأَمَّا في العلم فَقَدْ عَرَضَ لهُ فيه امْتيَازٌ بَل حَصَل لهُ وُجُودٌ علميٌّ أَيْضًا عنْدَ مثبتي الوُجُود الذهنيِّ وَقيل لهُ مرآةُ الوُجُود باعْتبَار أَنَّ كُلمَا يَثْبُتُ منَ الشَّرِّ وَالنَّقْص في مَرْتَبَة العَدَم يَكُونُ مَسْلوبًا عَن الوُجُود الذي هُوَ نَقيضُهُ ألبتة وَكُل كَمَال يَكُونُ مَسْلوبًا عَنْ مَرْتَبَة العَدَم يَكُونُ مُثْبتًا في حَضْرَة الوُجُود فَلاَ جَرَمَ كَانَ العَدَمُ سَبَبًا لظُهُور الكَمَالات الوُجُوديَّة وَلاَ مَعْنَى للمرآتية إلاَّ هَذَا فَافْهَمْ فَإنَّهُ يَنْفَعُكَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهمُ أَيُّهَا الوَلَدُ إنَّ هَذه المَعَارفَ المُحَرَّرَةَ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ منَ الإلهامات الرحمانية التي لاَ يَكُونُ للوَسَاوس الشَّيْطَانيَّة فيهَا مَجَال وَالدَّليل عَلى صدْق هَذَا المَعْنَى أَنِّي لَمَّا كُنْتُ مُتَصَدِّيًا لتَحْرير هَذه العُلوم مُلتَجئًا إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى رَأَيْتُ كَأَنَّ المَلاَئكَةَ الكرَامَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَطْرُدُونَ الشَّيَاطينَ وَيَدْفَعُونَهُمْ عَنْ نواحي هَذَا المَقَام وَلاَ يَتْرُكُونَهُمْ يَحُومُونَ حَوْل هَذَا المَكَان وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال وَلَمَّا كَانَ إظْهَارُ النِّعَم الجزيلة منْ أَعْظَم المَحَامد الجَميلة تَجَاسَرَتْ عَلى إظْهَار هَذه النِّعْمَة العُظْمى وَالمَرْجُوُّ أَنْ يَكُونَ مُبَرَّأً منْ مَظَنَّة العَجَب وَكَيْفَ يَكُونُ فيه للعَجَب مَجَال وَالحَال أَنْ نقصي وَقُبْحي الذَّاتيَّيْن نُصْبَ العَيْن في كُل وَقْت بعنَايَة اللهِ سُبْحَانَهُ وَالكَمَالاتُ كُلهَا منْسُوبَةٌ إلَيْه تَعَالى الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ أَوَّلاً وَآخرًا وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى رَسُوله دَائمًا وَسَرْمَدًا وَعَلى آله الكرَام وَأَصْحَابه العظَام وَالسَّلاَمُ عَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمائَتَان

إلى الملا عَبْد الغَفُور السَّمَرْقَنْديِّ وَحَاجي بيكْ الفَرْكَتيِّ والخواجهْ أَشْرَفَ الكَابليِّ

فِي بَيَانِ أَنَّ مَحَبَّةَ هَذِه الطَّائفَةَ رَأْسُ كُل سَعَادَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَأُخْرَوِيَّةٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ

بَعْدَ الحَمْد لله وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعَوَات:

لِيَكُنْ مَعْلومًا للأَحْبَاب الحَقيقِّينَ وَالمُشْتَاقينَ التَّحْقيقِّينَ أَنَّهُ قَدْ حَصَل السُّرُورُ وَالابْتهَاجُ بوُصُول المَكَاتيب الشَّريفَة المُنْبئَة عَنْ فَرْط المَحَبَّة وَالاشْتيَاق تَبَتَكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَلى هَذه المَحَبَّة وَيَنْبَغُ لكُمْ أَنْ تَسْأَلوا اللهَ - سُبْحَانَهُ - الثَّبَاتَ وَالاسْتقَامَةَ عَلَيْهَا مُعْتَقدينَ بأَنَّهَا رَأْسُ سَعَادَة دُنْيَوِيَّة وَأُخْرَوِيَّة.

وَالتَّوْفيقُ لإتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة نَتيجَةً هَذه المَحَبَّة وَتَحْصيل جُمَيْعَة البَاطن ثَمَرَةُ هَذه المَوَدَّة وَلوْ صُبَّتْ جَميعُ ظُلَمَات العَالم وَكُدُوراته في البَاطن وَهَذه المَحَبَّةُ قَائمَةٌ يَنْبَغي أَنْ لاَ يُغْتَمَّ أَصْلاً بَل يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ رَاجيًا وَلوْ أُفيضَتْ أَمْثَال الجبَال منَ الأَنْوَار وَالأَحْوَال عَلى البَاطن وَقَدْ زَالتْ مقْدَارُ شَعْرَة منْ هَذه المَحَبَّة يَنْبَغي أَنْ لاَ يَعْتَقدَ ذَلكَ شَيْئًا غَيْرَ الخذْلاَن.

وَيَنْبَغي أَنْ يَعُدَّهُ اسْتدْرَاجًا وَعَلَيْكُمْ بالتَّوَجُّه إلى شُغْلكُمْ مُتَمَسِّكينَ بحَبْل هَذه المَحَبَّة تَمَسُّكًا شَديدًا دُونَ أَنْ تُضَيِّعُوا العُمْرَ العَزيزَ بأُمُور لاَ طَائل فيهَا شعْرٌ.

وَإيَّاكُمْ وَالاغْترَارَ بزُخْرُف سَريع انْتقَال لنْ تَروْا نَفْعَهُ أَصْلاَ

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسليمات أَكْمَلهَا.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى المَخْدُومِ زَادَهُ الشَّيْخِ مَيَّانَ مُحَمَّد صَادِقٍ قُدِّسَ سِرُّهُ
فِي بَيَانِ بَعْضِ الأَسْرَارِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات لِيَكُنْ مَعْلومًا للوَلد الأَرْشَد أَنَّهُ قَدْ فُهِمَ مِنْ مَكْتُوبِكُمْ **المُحَرَّر** فِي شَرْحِ الأَحْوَال أَنَّهُ قَدْ حَصَلتْ لكُمْ مُنَاسبَةٌ بالوِلاَيَة الخَاصَّة المُحَمَّديَّة **عَلى صَاحبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ** فَشَكَرْتُ اللهَ - سُبْحَانَهُ - عَلى ذَلكَ حَقَّ شُكْرِه وَكُنْتُ مُتَمَنِّيًا **لِحُصُول هَذِهِ الدَّوْلة لكُمْ** مِنْ مُدَّة مَديدَة فَحينَئذ كُنْت مُتَوَجِّهًا برَجَاء جَذْبكُمْ إلى هَذه الدَّوْلة **وَبَيْنَا أَنَا فِي** هَذَا الطَّلَب إِذْ وَجَدْتُكَ دَاخلاً فِي الوِلاَيَة المُوسويَّة اتِّفَاقًا فَأَدْخَلتُكَ **فِي الوِلاَيَة** الخَاصَّة جَاذبًا لك مِنْ هُنَاكَ للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى ذَلكَ وَحَيْثُ أَدْخَلتُكَ فِي هَذه الوِلاَيَة قَسْرًا صِرْتُ أُرَبِّيكَ أَخْذًا فِي كَنَفِي وَقَدْ مَرَّ عَلى ذَلكَ أَزْيَدُ مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلعَلهُ لَمْ يَكُنْ مَعْلومًا لك مِنْ ضعْف هَذه النِّسْبَة.

وَحَيْثُ حَصَلتْ لَهَا الآنَ قُوَّةٌ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ مَعْلومًا لك أَيْضًا وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنْ إِنْعامات الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - الفَائِضَة عَلى التَّوَاتُر والتَّوالي فِي حَقِّ هَذَا العاصِي شِعْرٌ:

كأَنِّي بُقْعَةٌ فيهَا سَحَابُ الـــ رَّبيعِ مُمْطِرٌ مَاءً زُلالاً
فَلوْلى أَلفُ سَنَة وأَثْني بهَا مَا ازْدَدْتُ إِلاَّ إِنْفعَالاَ

ثُمَّ إِنَّ الوَلدَ الأَعَزَّ مُحَمَّدَ سَعيد كَانَ قَدْ أَظْهَرَ أَحْوَالهُ فِي مَكْتُوبه فَرَأَيْتُهَا أَصيلةً جدًّا لَمْ تَحْصُل بهَذه الخُصُوصيَّة خَلاَ أُنَاس قَليلينَ منَ الأَصْحَاب.

وَالمَرْجُوُّ أَنْ يُشَرِّفَهُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - أَيْضًا بالوِلاَيَة الخَاصَّة **وولدي** مُحَمَّدُ مَعْصُوم قَابل لهَذه الدَّوْلة بالذَّات بفَضْل الله تَعَالى أَخْرَجَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - **مِنَ** القُوَّة إِلى الفِعْل بِحُرْمَة حَبيبِه عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى الملا مُحَمَّد طَالب
فِي التَّرْغِيب فِي مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنِّيَّة وَمَدْح الطَّرِيقَة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ السَّنِيَّةَ

ثَبَّتَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ السَّلاَمُ وَعَلى آله الكرَام وَأَصْحَابه العِظَام

أَيُّهَا الأَخُ الأَرْشَدُ: إِنَّ أَكَابِرَ الطَّرِيقَة العَلِيَّة النَّقْشَبَنْدِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ التَزَمُوا مُتَابَعَةَ السُّنَّة السَّنِّيَّة وَاخْتَارُوا العَمَل بالعَزِيمَة فَإِنْ تَشَرَّفُوا بالأَحْوَال **وَالمَوَاجِيد** مَعَ هَذَا الالتزَام وَالاخْتِيَار يَعُدُّونَهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً وَإِنْ أُعْطُوا **الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدَ** وَوَجَدُوا فِي هَذَا الالتزَام وَالاخْتِيَار فُتُورًا لاَ يَقْبَلونَ تلكَ الأَحْوَال وَلاَ يَبْغُونَ تلكَ المَوَاجِيدَ وَلاَ يَرَوْنَ فِي تلكَ الفُتُور شَيْئًا سوَى الخذْلاَن فَإِنَّ بَرَاهِمَةَ الهُنُود وجُوكِيَّتُهم وَفَلاَسِفَةَ اليُونَان لَهُمْ عُلومٌ كَثِيرَةٌ مِنْ قِسْم التَّجَلِيَات الصُّورِيَّة وَالمُكَاشَفَات المِثَالِيَّة وَلكِنْ لَيْسَتْ لَهَا نَتِيجَةٌ غَيْرُ الفَضِيحَة وَالخِذْلاَن وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ نَقْد الوَقْت سوَى المَقْت وَالحِرْمَان.

وَحَيْثُ دَخَل ذَلكَ الأَخُ بفَضْل الله - سُبْحَانَهُ - فِي سلك إِرَادَة هَؤُلاَء الأَكَابِر فَلاَ بُدَّ مِنَ التزَام مُتَابَعَتِهِمْ وَاجْتِنَاب مُخَالفَتِهِمْ وَلَوْ مِقْدَارَ شَعْرَة حَتَّى تَكُونَ مُنْتَفِعًا وَمُسْتَفِيدًا مِنْ كَمالاَتِهم فَاللاَّزِمُ أَوَّلاً تَصْحِيحُ العَقَائِد عَلى وَفْق مُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة كَثَّرَهمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ -.

ثُمَّ تَحْصِيل علم الفَرْض وَالوَاجب وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوب وَالحَلال وَالحَرَام وَالمَكْرُوه وَالمُشْتَبَه مِمَّا ذُكِرَ فِي علم الفقْه، وَالعَمَل بمُقْتَضَى هَذِه العُلوم.

ثَانِيًا: ثُمَّ تَصل النَّوْبَةُ إِلى عُلوم التَّصَوُّف.

ثَالِثًا: وَمَا لَمْ يَصِحْ هَذَانَ الجَنَاحَان فَالطَّيَرَانُ إِلى عَالَم القُدْس مُحَال.

فَإِنْ حَصَلتْ الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدُ بدُون حُصُول هَذَيْنَ الجَنَاحَيْنِ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَلاَكَكَ فِيهَا وَأَنْ تَتَبَرَّأَ وَتَسْتَعِيذَ مِنْهَا، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والباقِي خَيَالاَتٌ

{وَمَا عَلى الرَّسُول إلاَّ البَلاَغُ}[1].

وَقَدَّمَ أَخِي الشَّيْخُ مَيَّانُ دَاوُدُ هُنَاكَ يَنْبَغِي اغْتِنَامُ صُحْبَته وَالانْقِيَادُ لهُ فِيمَا يَنْصَحُ به أَوْ يَدُل عَلَيْه فَإِنَّهُ كَثِيرُ الصُّحْبَة بِمُرِيدِي هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَتَعَلُّمِ طَرِيقَتِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ كَمَا يَنْبَغِي.

وَلْيَغْتَنِمْ الأَصْحَابُ المَوْجُودُونَ هُنَاكَ الدَّاخلونَ فِي هَذه الطَّرِيقَة بِوَاسطَة المَيْرِ نُعْمَانَ صُحْبَةَ المُشَارِ إلَيْه لِيَكُنِ اجْتِمَاعُهمْ وَجُلوسُهمْ فِي حَلَقَةٍ وَاحِدَةٍ فَانِيًا كُلُ وَاحِدٍ فِي الآخَرِ حَتَّى تَحْصُلَ الجَمْعِيَّةُ وَتَتَرَقَّى المُعَامَلةُ.

وَيَنْبَغِيَ أَيْضًا التزَامُ مُطَالعَة المَكْتُوبَات فَإِنَّهَا نَافعَةٌ (ع):

دَلَلتُكَ يَا هَذَا عَلى كَنْزٍ مُقْصَد.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[2] وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَأَكْمَل التَّسْليمَاتُ.

---

(١) ــ الآية: ٩٩ من سورة المائدة.

(٢) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمائَتَان
إلى المِيْرِ مُحَمَّد نُعْمَانَ
في الحَثِّ عَلى تَكْثِيرِ الإخْوَان
وَالتَّحْذِيرِ عَنِ العَجَبِ مِنْ أَحْوَالِ المُرِيدِينَ
وَبَيَانِ ضَرَرِهِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَعَلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ.

وَصَلَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل صُحْبَةَ كَسٍّ خواجهْ الرَّحْمي وَصَارَ مُوجِبًا لفَرَحٍ وَافِرٍ وَحَيْثُ انْدَرَجَ فِيهِ أَحْوَال مُسْتَرْشِدِيكُمْ وَمُرِيدِيكُمْ بالتَّفْصِيلِ زَادَ الفَرَحُ فَإِنَّ فِي الإِكْثَارِ مِنَ الإِخْوَانِ بِمُوجَب: أَكْثِرُوا إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ **رَجَاءً كَثِيرًا**.

وَقَوْلُهُ تَعَالى: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ}[1] مُؤَيِّدٌ لهَذَا المَعْنَى **أَيْضًا وَلكِنْ** يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَطْمَحُ النَّظَرِ وَمَوْقِعُهُ أَحْوَالَ نَفْسِكَ وَأَعْمَالِكَ وَالمَلحُوظُ **سُكُونُكَ** وَحَرَكَتُكَ لئَلاَّ تَكُونَ تَرَقِّيَاتُ المُرِيدِينَ بَاعِثَةً عَلى تَوَقُّفِ الشُّيُوخِ.

وَحَرَارَةُ المُسْتَرْشِدِينَ مُوَرِّثَةٌ للبُرُودَةِ فِي طَلَبِ المُرْشِدِينَ؛ وَلهَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خَائِفًا وَوَجِلاً مِنْ هَذَا المَعْنَى وَأَنْ تَرَى أَحْوَالَ المُرِيدِينَ وَمَقَامَاتِهِمْ كَالنَّمِرِ وَالأَسَدِ فَضْلاً عَنِ المُفَاخَرَةِ وَالمُبَاهَاةِ بِهَا لئَلاَّ يُفْتَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ أَبْوَابُ العَجَبِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ تَرَقِّيَاتُ المُرِيدِينَ بِحُكْمِ الحَيَاءِ شُعْبَةً مِنَ الإِيمَانِ بَاعِثَةً عَلى الحَيَاءِ والخَجالة.

وَالانْفِعَال وَحَرَارَةُ طَلَبِ الطَّالِبِينَ مُوجِبَةٌ للغَيْرَةِ وَالعَبْرَةِ وَزِيَادَةِ الاشْتِغَال.

وَيَنْبَغِي أَيْضًا: أَنْ يَكُونَ رُؤْيَةُ قُصُورِ الأَعْمَال وَاتِّهَامُ النِّيَّاتِ لاَزِمَ الوَقْتِ، وَأَنْ يَكُونَ لسَانُ الحَال مَرْطُوبًا مِنْ كَلِمَةِ هَل مِنْ مَزِيد وَإِنْ كَانَ المُتَوَقَّعُ مِنْ أَوْضَاعِكُمْ المَحْمُودَةِ المَقْبُولة أَمْثَال هَذه المُعَامَلاَت وَلكِنْ صَدَرَ التَّأْكِيدُ وَالمُبَالغَةُ بِمُلاَحَظَةِ مَكِيدَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ الأَمَّارَةِ وَاللعين فَلاَ تَقَعُ البُرُودَةُ فِي حَرَارَةِ التَّوَجُّهِ إِلى الطَّالِبِينَ؛ لأَنَّ المَقْصُودَ الجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الدَّوْلَتَيْنِ وَالاقْتِصَارُ عَلى أَحَدِيهِمَا قُصُورٌ.

---

(١) ــ الآية ٣٥ من سورة القصص.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ الخواجهْ الرَّحْمِيِّ وَالسَّيِّدُ أَحْمَدُ مَجْلِسَكُمْ وَعَلَيْكُمْ أَيْضًا رِعَايَةُ التَّوَجُّه فِي شَأْنِهِمَا عَلى الوَجْهِ الأَتَمِّ فَإِنْ وُفِّقَ المَيْرُ عَبْدُ اللطِيفِ أَيْضًا للتَّوْبَةِ يَنْبَغِي أَنْ تَمُدَّهُ لتَحْصُلَ لهُ الاسْتِقَامَةُ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّ بَعْضَ الطَّالبِينَ يُرِيدُونَ الطَّرِيقَةَ القَادرِيَّةَ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تُعْلمَ أَحَدًا أَصْلاً طَرِيقَةً غَيْرَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ حَتَّى لاَ يَكُونَ خَلطٌ بَيْنَ الطَّرِيقَتَيْنِ.

وَأَمَّا لوْ طَلَبُوا الكَلاَةَ وَالشَّجَرَةَ فَلكَ أَخْذُ المُرِيدِ وَلكِنْ مُرْهُمْ بالصُّحْبَةِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ أَصْحَابكُمْ وَأَحْبَابكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى الملا حَمَدَ البَرْكِيِّ
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلينَ وَآله وَأَصْحَابِه الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ:

قَدْ صِرْتُ مُبْتَهِجًا وَمَسْرُورًا بِمُطَالَعَة مَضَامِين الصَّحِيفَة الكَرِيمَة المُرْسَلة عَلى وَجْه الشَّفَقَة وَالرَّأْفَة وَقَدْ كَتَبْتُ فِيهَا أَنَّ عَرْضَ الأَحْوَال إِنَّمَا هِيَ عَلى تَقْدِيرِ حُصُول الأَحْوَال إِلخْ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ المَقْصُودَ مِنْ حُصُول الأَحْوَال التَّعَلقُ وَالارْتِبَاطُ بِمُحَوِّل الأَحْوَال فإِذَا حَصَل هَذَا التَّعَلقُ فَلاَ ضَرَرَ مِنْ عَدَم حُصُول الأَحْوَال.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي الحُضُور أَنِّي أَكْثَرْتُ مِنْ إِلقَاء البُذُور فِي حَقِّكُمْ إِلخْ (أَيُّهَا المَخْدُومُ، الوَاقِعُ كَذَلكَ لكِنَّ حُصُول الثَّمَرَات مَنُوطٌ بِمُرُورِ الدُّهُورِ وَالأَوْقَات حَال الحَيَات وَبَعْدَ المَمَات أَبْشِرْ وَلاَ تَعْجَل.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا مِنْ مَقَالة مَوْلاَنَا مُحَمَّد صَالح وَلَمْ يَكُنْ مَوْلاَنَا المَذْكُورُ حَاضِرًا حَتَّى يَتَفَهَّمَ مُرَادَه فَلاَ نَتَعَرَّضُ لَهَا وَلكِنَّهُ خَيْرٌ لاَ يَخْطُرُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الخَاطِر.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا مِنْ صُدُور سُوءِ الأَدَب: زَلاَّتُ المُخْلصِينَ مَعْفُوٌّ عَنْهَا لاَ يَقَعُ غُبَارٌ فِي الخَاطِر وَطَلَبْتُ البَحْثَ وَالتَّفْتِيشَ مِنْ أَحْوَالكَ للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ قَدْ كُنْتُ مِنَ المَقْبُولينَ قَبْل مِنْ قَبْل بلاَ علة.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ حَضَرَ اثْنَان مِنْ أَوْلاَد المَشَايخ لتَلقِّي الذِّكْر إِلخْ (أَيُّهَا المَخْدُومُ،، إِنَّ الاسْتِخَارَةَ مَسْنُونَةٌ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ وَمُبَارَكَةٌ وَلكِنْ لاَ يَلزَمُ أَنْ يَظْهَرَ بَعْدَ الاسْتِخَارَة شَيْءٌ فِي المَنَام أَوْ فِي الوَاقِعَة أَوْ فِي اليَقَظَة يَدُل عَلى الفعْل وَالتَّرْك بَل يَنْبَغِي الرُّجُوعُ بَعْدَ الاسْتِخَارَة إِلى القَلب فَإِنْ كَانَ المَيْل وَالإِقْبَال إِلى الأَمْر المَطْلوب أَزْيَدَ مِنَ الأَوَّل فَفِيه دَلالَةٌ عَلى الفعْل وَإِنْ كَانَ مِثْل مَا كَانَ سَابِقًا بلاَ زِيَادَة وَلاَ نُقْصَان فَلاَ مَنْعَ فِي هَذه الصُّورَة أَيْضًا.

وَتَكَرُّرُ الاسْتِخَارَة فِي هَذه الصُّورَة إِلى أَنْ تُفْهَمَ الزِّيَادَةُ فِي الإِقْبَال وَنِهَايَةُ تَكْرَارِ الاسْتِخَارَة إِلى سَبْع مَرَّات.

وَمَتَى فُهِمَ النُّقْصَانُ فِي الإِقْبَال بَعْدَ أَدَاءِ الاسْتِخَارَةِ فَهُوَ دَلِيل عَلى المَنْعِ وَلاَ بَأْسَ فِي تَكْرَارِ الاسْتِخَارَةِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ أَيْضًا بَل التَّكْرَارُ أَوْلى وَأَنْسَبُ فِي جَمِيعِ التقادِيرِ وَأَحْوَطُ فِي الإِقْدَامِ وَالإِحْجَامِ.

وَسَأَلتَ عَنْ مَعْنَى عِبَارَةِ رِسَالةِ المَبْدَأِ وَالمَعَادِ وَالمُحَرِّرَةِ فِي بَيَانِ الجَسَدِ المُكْتَسَبِ مِنَ الرُّوحِ.

أَيُّهَـــا المَخْـــدُومُ: إِنَّ مُبَاشَرَةَ الرُّوحِ للأَفْعَالِ المُنَاسِبَةِ للأَجْسَامِ إِنَّمَا هِيَ بِوَاسِطَةِ ذَاكَ الجَسَدِ المُكْتَسَبِ مِنَ الرُّوحِ وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ الإِمْدَادَاتُ الصَّادِرَةُ مِنْ رُوحَانِيَّةِ الأَكَابِرِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ المُنَاسِبَةِ للأَجْسَامِ كَإِهْلاَكِ الأَعْدَاءِ وَنُصْرَةِ الأَحِبَّاءِ بِوُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَنْحَاءٍ شَتَّى.

وَصَدَرَ طَلَبُ الأَمَانِ مِنْ فِتْنَةِ الظُّلْمَةِ قَدْ جَعَلَكَ اللهُ بَل تلكَ البُقْعَةُ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِّ تلكَ الظُّلْمَةِ فَكُونُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلى جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ بِفَرَاغِ الخَاطِرِ وَنَرْجُو أَنْ لاَ يَكُونَ ذَلِكَ الحِفْظُ مُؤَقَّتًا بِوَقْتٍ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ.

وَلكِنْ يَنْبَغِي نَصِيحَةُ أَهْلِ تلكَ الدِّيَارِ وَتَحْذِيرُهُمْ عَنْ تَغْيِيرِ وَضْعِ الصَّلاَحِ وَإِرَادَةِ الخَيْرِ للمُسْلِمِينَ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - (إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الأَرْبَعُونَ وَالمائَتَان
إِلى الشَّيْخِ يُوسُفُ البَرْكيِّ
فِي بَيَان عَدَمِ نِهَايَةِ هَذَا الطَّرِيق
وَبَعْضِ فَوَائِدِ كَلِمَةِ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى:

وَصَلَتْ الرِّسَالَةُ المُشْتَمِلَةُ عَلَى أَحْوَالِكُمْ الخَيْرِ فَصَارَتْ مُطَالَعَتُهَا بَاعِثَةً عَلى المَسَرَّةِ (ع):

وَكَمْ فِي العِشْقِ مِنْ عَجَبٍ عَجِيبِ

وَلكِنْ يَنْبَغِي التَّرَقِّي مِنَ الأَحْوَالِ وَالوُصُول إِلى مُحَوِّلِ الأَحْوَال وَهُنَاكَ كُلُّهُ جَهَالَةٌ وَنَكَارَةٌ فَإِنْ تَيَسَّرَ التَّشَرُّفُ بَعْدَ ذَلِكَ بالمَعْرِفَةِ فَحُبِّذَت الدَّوْلَةُ وَبالجُمْلَة إِنَّ كُلمَا يَدْخُل تَحْتَ الرُّؤْيَة وَالخَيَال فَهُوَ قَابل للنَّفْي وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ شُهُودَ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَة فَإِنَّ الكَثْرَةَ لاَ تَسَعُ تلكَ الوَحْدَةَ وَالذي يَرَى فَهُوَ شَيْخُ تلكَ الوَحْدَةَ وَمِثَالُهُ لاَ هِيَ نَفْسُهَا فَالمُنَاسِبُ لحَالِكُمْ فِي هَذَا الوَقْت تَكْرَارُ كَلِمَة لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ عَلى وَجْهٍ لاَ تَتْرُكُ شَيْئًا يَدْخُل تَحْتَ العلم وَالإِدْرَاك وَيَنْجَرُّ الأَمْرُ إِلى الحَيْرَة وَالجَهَالة وَتَنْتَهِي المُعَامَلَةُ إِلى حَدِّ الفَنَاء وَمَا لَمْ يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلى الحَيْرَة وَالجَهْل لاَ نُصِيبُ مِنَ الفَنَاء وَمَا حَسِبْتَهُ فَنَاءً فَهُوَ مُعَبَّرٌ عَنْهُ بالعَدَم لاَ الفَنَاء.

فَإِذَا تَيَسَّرَ الوُصُولُ إِلى الجَهْل وَحَصَل الفَنَاءُ يُوضَعُ القَدَمُ عَلى هَذَا الطَّرِيقِ وَأَيْنَ الوَصْل وَإِلى مَنِ الاتِّصَال، شعْرٌ.

كَيْفَ الوُصُول إِلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلل الجِبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

وَأَحْوَالك صَحِيحَةٌ وَلكِنَّ التَّعَدِّيَّ والتَّرَقِّيَ عَنْهَا لاَزِمٌ.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَبَقِيَّةُ النُّصْحِ الاسْتِقَامَةُ عَلى الشَّرِيعَة وَتَطْبِيقُ الأَحْوَال عَلى الأُصُول الشَّرْعِيَّة فَإِنْ ظَهَرَ عياذًا بِاللهِ - سُبْحَانَهُ - خِلاَفُ

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

الشَّرِيعَةِ قَوْلاً وَفِعْلاً يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ فِيهِ هَلاَكَكَ وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ أَرْبَابِ الاِسْتِقَامَةِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى مَوْلاَنَا مُحَمَّد صَالِحٍ
فِي بَيَانٍ تَرَقِّي بَعْضِ الأَصْحَابِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلاَة لِيَكُنْ مَعْلومًا لأَخي الأَرْشَد أَنَّ أَحْوَال هَذه الحُدُود مُسْتَوْجَبَةٌ للحَمْد وَالأَصْحَابُ المَوْجُودُونَ هُنَا فِي فَرَحٍ وَسُرُورٍ خُصُوصًا مَوْلاَنَا مُحَمَّدَ صدِّيق فَإِنَّهُ تَشَرَّفَ فِي هَذه الأَيَّام بعنَايَة الله - سُبْحَانَهُ - بالولاَيَة الخَاصَّة وَالتَّحَقُّق بالاسْم الكُلي مُتَرَقِّيًا منَ الاسْم الجُزْئِيِّ وَنَظَرُهُ مَعَ ذَلكَ إِلى فَوْق.

وَعَسَاهُ أَنْ يَميل إِلى الرُّجُوع بَعْدَ تَحْصيل نَصيب وَافر منْ هُنَاكَ وَالله يَخْتَصُّ برَحْمَته مَنْ يَشَاءُ وَيَنْبَغي لك أَنْ تَكْتُبَ أَحْوَالكَ وَأَحْوَال الأَصْحَاب الذينَ دَخَلوا فِي الطَّرِيقَة وَالذينَ يَدْخُلونَ الآنَ وَأَنْ تُقيمَ هُنَاكَ أَيَّامًا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا بَديع الدِّين
في جَوَاب أَسْئلته

وَبَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعَوَات لِيَكُنْ مَعْلومًا لأَخي الأَعَزِّ أَنَّ الدَّرْويشَ كَمَال بَلغَ الصَّحيفَةَ الشَّريفَةَ فَصَارَتْ مُوجبَةً للفَرَح وَانْدَرَجَ فيهَا بَيَانُ رُؤْيَة القُصُور وَاتِّهَامُ النِّيَّات في الأَعْمَال فَاتَّضَحَ ذَلكَ وَالمَسْئُول منَ الله - سُبْحَانَهُ - مَزيدُ هَذه الرُّؤْيَة وَالمَطْلوبُ منْهُ تَعَالى إتْمَامُ هَذَا الاتِّهَام فَإنَّ كلاَ هَذَيْن الأَمْرَيْن منْ مِلاَك الأُمُور في هَذَا الطَّريق.

وَسُئلتُ أَيْضًا أَنَّ الاشْتغَال بذكْر اسْم الذَّات إلى مَتَى وَكَمْ حُجُبٌ تَرْتَفعُ منَ المُدَاوَمَة عَلى هَذَا الاسْم وَنَهَايَةُ النَّفْي وَالإثْبَات إلى أَيِّ حَدٍّ وَمَاذَا يَحْصُل منْ ثَمَرَات هَذه الكَلمَة وَكَمْ حُجُبٌ تَرْتَفعُ بهَا.

اعْلَـــمْ: أَنَّ الذِّكْرَ عبَارَةٌ عَنْ طَرْد الغَفْلة وَلَّما كَانَ الظَّاهرُ لاَ بُدَّ لهُ منَ الغَفْلة في الابْتدَاء وَالانْتهَاء كَانَ الظَّاهرُ مُحْتَاجًا إلى الذِّكْر في جَميع الأَوْقَات بالضَّرُورَة غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ الأَنْفَعَ في بَعْض الأَوْقَات ذكْرَ اسْم الذَّات.

وَالأَنْسَبُ في وَقْت آخرَ ذكْرُ النَّفْي وَالإثْبَات بَقيَتْ مُعَاملَةُ البَاطن فَهُنَاكَ أَيْضًا لاَ بُدَّ منَ الذِّكْر إلى أَنْ تَرْتَفعَ الغَفْلةُ بالكُلِّيَّة وَالفَرْقُ بَيْنَ المُبْتَدَى وَالمُنْتَهَى في لزُوم الذِّكْر هُوَ أَنَّ هَذَيْن الذِّكْرَيْن مُتَعَيِّنَان في الابْتدَاء وَأَمَّا في التَّوَسُّط وَالانْتهَاء فَلاَ بَل إذَا حَصَل طَرْدُ الغَفْلة بتلاَوَة القُرْآن أَوْ أَدَاء الصَّلاَة جَازَ الاكْتفَاءُ بهمَا وَلَكنَّ تلاَوَةَ القُرْآن مُنَاسبَةٌ لحَال المُتَوَسِّطينَ وَأَدَاءَ صَلاَة النَّوَافل مُنَاسبٌ لحَال المُنْتَهينَ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلـــمَ: أَنَّ حُضُورَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - إنْ كَانَ بمُلاَحَظَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات فَهُوَ دَاخل في الغَفْلة عنْدَ المُتَوَجِّهينَ إلى الأُحَديَّة المُجَرَّدَة وَإنْ كَانَ ذَلكَ الحُضُورُ دَائمًا فَيَنْبَغي طَرْدُ هَذه الغَفْلة أَيْضًا وَالسَّيْرُ إلى مَا وَرَاءَ الوَرَاء شغْرٌ.

وَلاَ تَسْتَقل هَجْرَ الحَبيب وَإنْ غَدَا ... قَليلاً وَنصْفُ الشَّعْر في العَيْن ضَائرُ

وَكَتَبْتُ مَا ظَهَرَ منَ الوَقَائع وَقَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ قَبْل هَذَا أَنَّ أَمْثَال ذَلكَ مُبَشِّرَاتٌ وَمَا جَاءَ وَقْتُ ظُهُورهَا بَعْدُ فَانْتَظرْ وَاشْتَغل شعْرٌ:

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا ... قُلَل الجبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا أَيُّوبَ المُحْتَسِب
فِي التَّرْغِيبِ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومًا لأَخِي الأَعَزِّ أَنَّكَ قَدْ طَلَبْتَ النَّصَائِحَ دُفَعَاتٍ فِي مَكَاتِيبَ مُتَعَدِّدَةٍ وَلَكِنْ لَمْ يَقْدِمْ هَذَا الحَقِيرُ عَلَى إِجَابَةِ ذَلِكَ المَسْئُولِ نَظَرًا إِلَى قُبْحِ أَحْوَالِ نَفْسِهِ وَحَيْثُ تَكَرَّرَ الطَّلَبُ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ بِالضَّرُورَةِ فِقْرَاتٍ غَيْرَ مُرْتَبِطَةٍ.

فَاسْتَمِعْ وَاعْلَمْ أَنَّ اللاَّزِمَ لِلإِنْسَانِ الذِي لاَ بُدَّ مِنْهُ وَالمُكَلَّفَ بِهِ امْتِثَالُ الأَوَامِرِ وَالانْتِهَاءُ عَنِ المَنَاهِي {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} شَاهِدٌ لِهَذَا المَعْنَى حَيْثُ كَانَ مَأْمُورًا بِالإِخْلاَصِ كَمَا قَالَ تَعَالَى {أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ} وَهُوَ لاَ يُتَصَوَّرُ بِدُونِ الفَنَاءِ وَالمَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ فَلاَ جَرَمَ كَانَ سُلُوكُ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ المُحَصِّلَةِ لِلفَنَاءِ أَيْضًا ضَرُورِيًّا لِتَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ الإِخْلاَصِ وَحَيْثُ كَانَتْ طُرُقُ التَّصَرُّفِ فِي مَرَاتِبِ الكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ مُتَفَاوِتَةً كَانَ الأَوْلَى وَالأَنْسَبُ لِلاخْتِيَارِ طَرِيقًا يَكُونُ مُلْتَزِمًا لِمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ وَأَوْفَقَ بِإِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ أَكَابِرِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ. فَإِنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرَ التَزَمُوا فِي هَذَا الطَّرِيقِ السُّنَّةَ وَاجْتَنَبُوا البِدْعَةَ بِحَيْثُ لاَ يُجَوِّزُونَ العَمَلَ بِالرُّخْصَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ وَإِنْ وَجَدُوهَا نَافِعَةً فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ وَلاَ يَتْرُكُونَ العَمَلَ بِالعَزِيمَةِ وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّهَا مُضِرَّةٌ بِالصُّورَةِ فِي السِّيرَةِ وَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الأَحْوَالَ وَالمَوَاجِيدَ تَابِعَةً لِلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَاعْتَقَدُوا الأَذْوَاقَ وَالمَعَارِفَ خَادِمَةً لِلعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الأُصُولِيَّةِ وَالفَرْعِيَّةِ لاَ يَسْتَبْدِلُونَ الجَوَاهِرَ النَّفِيسَةَ الدِّينِيَّةَ بِجَوْزِ الوَجْدِ وَمَوْزِ الحَالِ مِثْلِ الأَطْفَالِ وَلاَ يَغْتَرُّونَ بِتُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَلاَ يُفْتَتَنُونَ وَلاَ يَعْدِلُونَ مِنَ النُّصُوصِ إِلَى الفُصُوصِ وَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ تَارِكِينَ لِلفُتُوحَاتِ المَدَنِيَّةِ وَمِنْ هَهُنَا كَانَ حَالُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ وَوَقْتُهُمْ عَلَى الاسْتِمْرَارِ وَتَلاَشَتْ نُقُوشُ السِّوَى فِي لَجَّةِ بَوَاطِنِهِمْ عَلَى نَهْجٍ لَوْ تَكَلَّفُوا فِي اسْتِحْضَارِ السِّوَى أَلْفَ سَنَةٍ لاَ يَتَيَسَّرُ. وَالتَّجَلِّي الذَّاتِيُّ الذِي هُوَ لِغَيْرِهِمْ كَالبَرْقِ دَائِمِيٌّ لِهَؤُلاَءِ الكُبَرَاءِ وَالحُضُورُ الذِي فِي قَفَاهُ غَيْبَةٌ وَغَفْلَةٌ سَاقِطٌ عِنْدَهُمْ عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ {رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}.

بَيَانٌ لِحَالِهِمْ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّه إِنَّ طَرِيقَهُمْ أَقْرَبُ الطُّرُق وَمُوصِّل أَلَبَّتَّةَ وَنِهَايَةُ غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي بِدَايَتِهِمْ وَنِسْبَتِهِمُ التي هِيَ مَنْسُوبَةٌ إلى الصِّدِّيق ﷺ فَوْقَ جَمِيعِ نَسَبِ المَشَايِخِ وَلَكِنْ لاَ يُدْرِكُ فَهْمُ كُلِّ أَحَدٍ مَذَاقَ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ بَل يَكَادُ القَاصِرُونَ مِنْ هَذِه الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ أَيْضًا يُنْكِرُونَ عَلَى بَعْضِ كَمالاتهم شِعْرٌ.

إِنْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ مِنْ أَفْحَشِ الكَلِمِ

قَالَ شَاعِرُ العَرَبِ يَعْنِي الفَرَزْدَقَ:

أُولَئِكَ آبائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ

قَالَ الخواجهْ أَحْرَارُ - قَدَّسَ سِرُّهُ - إِنَّ كُبَرَاءَ هَذِه السِّلسلة العَلِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ لاَ يُقَاسُونَ عَلَى كُلِّ زُرَاقٍ وَرَقَّاصٍ فَإِنَّ مُعَامَلَتَهُمْ عَالِيَةٌ جِدًّا شِعْرٌ.

لسْتُ أَبْغِي شَرْحَهُ للخَلقِ بَل حَقٌّ أَنْ يَخْفَى كَعِشْقٍ فِي المَثَل

غَيْرَ أَنِّي صِفْتُهُ كَي يَرْغَبُوا فِيه قَبْل الفَــوْت كَيْلاً يَحْــزَنُوا

فَلَوْ حَرَّرْتَ دَفَاتِرَ فِي بَيَانِ خَصَائِصِ هَؤُلاَءِ الكُبَرَاءِ وَكَمالاَتِهم لَكَانَ لَهَا حُكْمُ قَطْرَةٍ فِي جَنْبِ بَحْرٍ لاَ نِهَايَةَ لَهُ، (ع):

دَلَلتُك يَا هَذَا عَلى كَنْزٍ مُقْصَد

{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}[1] وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلَهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلَهَا.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمائَتَان
إِلى الملا مُحَمَّد صَالِحٍ الكُولاَبِيِّ
فِي جَوَابِ كِتَابِه

وَصَل المَكْتُوبُ مِنْ أَخِي الأَرْشَد الخواجهْ مُحَمَّد صَالِحٍ وَكَتَبَ فيه مِنْ خَرابية أَحْوَاله المَرْجُوِّ أَنْ تَكُونَ الأَحْوَال أَشَدَّ خَرَابًا مِنْ ذَلكَ وَنهَايَةُ تلكَ الخرابيَّة مُنْدَرِجَةٌ فِي مَكْتُوب مُحَرَّر بَاسم وَلدي الأَرْشَد فِي هَذه الأَيَّام يَنْبَغِي الاطِّلاَعُ عَلَيْهَا طَلَبًا منْهُ فَإِنْ تَبَيَّنَ لكُمْ أَنَّ إِقَامَتَكُمْ هُنَاكَ أَيَّامًا تَكُونُ سَبَبًا لجَمْعيَّة الأَصْحَاب يَنْبَغِي مُكْثُ أَيَّامٍ أُخرَ هُنَاكَ إِنْ عَلمْتُمْ فيه خَيْرًا أَوْ صَلاَحًا وَهَذَا الفَقيرُ أَيْضًا يُريدُ فِي هَذه الأَوْقَات سَفَرَ دهلى وَالاسْتخَارَاتُ وَالتَّوَجُّهَاتُ بَوَاعثُ عَلى هَذَا السَّفَر وَفُوِّضَ هَذَا المَحَلَ إِلى وَلدي الأَرْشَد عنَايَةً لهُ، وَجُعل فِي قَبْضَة ولاَيَته وَالفَقيرُ قَاعدٌ هُنَاكَ كَالمُسَافر الغَريب فِي ولاَيَته وَالأَصْحَابُ الذينَ دَخَلوا فِي الطَّريقَة مَخْصُوصُونَ بالدَّعَوَات المُتَوَافرَة خُصُوصًا السَّيِّدَ مُرْتَضَى وَمَوْلاَنَا شُكْرَ الله وَالسَّيِّدَ نظَامَ وَيَبْلغُ وَلدي الخواجهْ مُحَمَّدَ صَادقٍ وَسَائرَ الإِخْوَان إِيَّاكُمْ وَسَائرَ الإِخْوَان الدُّعَاءُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَان
إِلَى المَلا صَالِحٍ
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَعْلَمِ الأَخُ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ المُرْسَلَ صُحْبَةَ القَاصِدِ وَصَلَ وَصَارَ مُوجِبًا للفَرَحِ وَكَتَبْتُ أَنَّ ذِكْرَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ قَدْ بَلَغَ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ وَلَكِنْ لاَ تَحْصُلُ المُدَاوَمَةُ وَرُبَّمَا تَظْهَرُ الغَيْبَةُ وَالاسْتِغْرَاقُ.

أَيُّهَا المُحِبُّ: الظَّاهِرُ إِنَّ شَرْطًا مِنْ شَرَائِطِ الذِّكْرِ مَفْقُودٌ حَيْثُ لَمْ تَتَرَتَّبِ النَّتِيجَةُ عَلَيْهِ نَسْتَفْسِرُ عَنْهُ بِالمُشَافَهَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَاسْتَفْسَرْتُ أَيْضًا عَنْ مَعْنَى هَذَا القَوْلِ الذِي كَتَبْتُه قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ بَعْدَ إِتْمَامِ أَمْرِهِ: ذِكْرُ اللِّسَانِ لَقْلَقَةٌ وَذِكْرُ القَلْبِ وَسْوَسَةٌ وَذِكْرُ الرُّوحِ شِرْكٌ وَذِكْرُ السِّرِّ كُفْرٌ.

اعْلَمْ أَنَّ: الذِّكْرَ لَمَّا كَانَ مُنْبِئًا عَنِ الذَّاكِرِ، وَالمَذْكُورُ أَيُّ ذِكْرٍ كَانَ وَالمَقْصُودُ فَنَاءُ الذَّاكِرِ وَالذِّكْرُ فِي المَذْكُورِ فَلاَ جَرَمَ قَالَ الذَّاكِرُ لَقْلَقَةٌ وَوَسْوَسَةٌ وَشِرْكًا وَكُفْرًا شِعْرٌ.

دَعْ مَا يَصُدُّكَ عَنْ وَصْلِ الحَبِيبِ وَمَا يُلهِيكَ عَنْهُ قَبِيحًا كَانَ أَوْ حَسَنًا

وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُرَى عُرُوضُ هَذِهِ الأَسَامِي للذِّكْرِ قَبْلَ حُصُولِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ فَإِنَّ وُجُودَ الذَّاكِرِ وَثُبُوتَ الذِّكْرِ لَهُ بَعْدَ حُصُولِ الفَنَاءِ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ فَإِنْ بَقِيَ خَفَاءٌ فِي هَذَا المَعْنَى يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ فِي الحُضُورِ فَإِنَّ حَوْصَلَةَ الكِتَابَةِ ضَيِّقَةٌ فَنِسْبَةُ هَذَا القَوْلِ إِلَى الصِّدِّيقِ خُصُوصًا بَعْدَ إِتْمَامِ أَمْرِهِ غَيْرُ مُسْتَحْسَنَةٍ.

وَاسْتَفْسَرْتَ أَيْضًا عَنْ مَعْنَى مَا كَتَبْتُ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا سَعِيدٍ أَبَا الخَيْرِ طَلَبَ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ سِينَا دَلِيلاً عَلَى المَقْصُودِ فَكَتَبَ فِي جَوَابِهِ:

أَنْ ادْخُلْ فِي الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ وَاخْرُجْ مِنَ الإِسْلاَمِ المَجَازِيِّ فَكَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ إِلَى عَيْنِ القُضَاةِ أَنِّي لَوْ عَبَدْتُ اللهَ أَلْفَ أَلْفِ سَنَةٍ لَمَا حَصَلَ مِنْهَا مَا حَصَلَ مِنْ كَلِمَةٍ أَبِي عَلِيِّ بْنِ سِينَا هَذِهِ فَكَتَبَ عَيْنُ القُضَاةِ: أَنْ لَوْ فَهِمُوا لَكَانُوا مِثْلَ ذَلِكَ المِسْكِينِ مَلُومِينَ مَطْعُونًا فِيهِمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الكُفْرَ الحَقِيقِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ رَفْعِ الأُثْنَينِيَّةِ وَاسْتِتَارِ الكَثْرَةِ بِالتَّمَامِ الذِي هُوَ مَقَامُ الفَنَاءِ وَفَوْقَ ذَلِكَ الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ مَقَامُ الإِسْلاَمِ الحَقِيقِيِّ الذِي هُوَ مَوْطِنُ البَقَاءِ وَفِي الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ مَنْقَصَةٌ تَامَّةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِسْلاَمِ الحَقِيقِيِّ.

وَعَدَمُ دَلالة ابْن سينَا إلى الإسْلاَم الحَقيقيِّ منْ قُصُورِ نَظَرِه وَفِي الحَقيقَة لَمْ يَكُنْ لهُ نَصيبٌ منَ الكُفْرِ الحَقيقيِّ أَيْضًا بَل قَال مَا قَال وَكَتَبَ مَا كَتَبَ عَلى وَجْه العلمِ وَالتَّقْليد بَل لَمْ يَأْخُذْ هُوَ حَظًّا وَافرًا منَ الإسْلاَمِ المَجَازِيِّ أَيْضًا بَل بَقِيَ فِي الخُرَافَات الفَلسَفيَّة حَتَّى كَفَّرَهُ الإمَامُ الغَزَالِيُّ.

وَالحَقُّ أَنَّ أُصُولَهُ الفَلسَفيَّةَ مُنَافيَةٌ للأُصُول الإسْلاَميَّة وَأَيْضًا إنَّ زَمَانَ الشَّيْخ أَبِي سَعيد مُقَدَّمٌ عَلى زَمَان عَيْنِ القُضَاة بكَثير فَكَيْفَ يَكْتُبُ إلَيْه فَإنْ بَقيَتْ شَائبَةُ الاشْتبَاه يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ فِي الحُضُورِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَان
إلى المِيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ
فِي بَيَان حُصُول مَقَام كَانَ يَتَوَقَّعُهُ وَيَتَرَصَّدُهُ
فِي بَيَان مَرَاتِب الكَمَال وَالتَّكْمِيل
وَبَيَان وَجْه فِقْدَان التَّوْفِيق الذي يَطْرَأُ فِي بَعْضِ الأَوْقَات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلِينَ وَآله وَأَصْحَابه الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ أَوْرَثَتْ الصَّحَائِفُ الشَّرِيفَةُ الوَاصِلَةُ مُتَوَالِيَةً وَمُتَوَاتِرَةً أَفْرَاحًا مُتَوَافِرَةً وَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَتَوَجَّهُ إلى تِلْكَ الحُدُود حَتَّى نَكْتُبَ جَوَابَ كُل مِنْهَا عَلى حِدَة فَالمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ وَبَعْدَ وُصُول مَكْتُوب صُحْبَة المِيْر دَادَ كُنْتُ يَوْمًا قَاعِدًا فِي حَلقَة مَعَ الأَصْحَاب بَعْدَ صَلاَة الصُّبْح فَظَهَرَ تُوَجُّهٌ مِنِّي إلى جَانِبِكُمْ بِلاَ قَصْد وَصِرْتُ فِي صَدَد رَفْع بَقَايَا الآثَار التي وَقَعَ النَّظَرُ عَلَيْهَا وَكُنْتُ مُشْتَغِلاً بِكَمَال الاهْتِمَام بِدَفْع الظُّلَمَات وَالكُدُورَات المَحْسُوسَة حَتَّى صَارَ هِلال كَمَالِكُمْ بَدْرَ التَّمَام وَانْعَكَسَ عَلى ذَلِكَ البَدْر مَا أُودِعَ فِي شَمْس الهِدَايَة حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي جَانِب الكَمَال شَيْءٌ مُتَوَقَّعٌ وَمُنْتَظَرٌ إلاَّ أَنَّ تَتَّسِعَ الأَطْرَافُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَأْخُذَ بِقَدْر سَعَته شَيْئًا فَشَيْئًا وَأَدَمْتُ النَّظَرَ إلى صُورَة هَذَا المَعْنَى المِثَالِيَّة زَمَانًا طَوِيلاً إلى أَنْ حَصَلَ اليَقِينُ بِصِدْقه الحَمْدُ للهِ - سُبْحَانَهُ - عَلى ذَلِكَ.

وَحُصُول هَذه الدَّوْلة هُوَ تَأْوِيل تِلْكَ الوَاقِعَة التي رَأَيْتُهَا وَسُئِلتُ حُصُولَهَا بِالمُبَالَغَة وَالتَّأْكِيد للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ قَدْ حَصَلَ مَقْصُودُكُمْ بِالتَّمَام وَنُجِّزَ المَوْعُودُ وَوُفِيَ بِالعُهُود وَنَرْجُو أَنَّ يَحْصُلَ التَّكْمِيل عَلى مِقْدَار هَذَا الكَمَال وَيُنَوِّرَ أَطْرَافُ تِلْكَ الحُدُود مِنْ وُجُودكُمْ الشَّرِيف.

وَكَتَبْتُ شِكَايَةً مِنْ فِقْدَان التَّوْفِيق وَالظَّاهِرُ أَنَّ سَبَبَهُ قَبْضٌ مُفْرِطٌ وَحَيْثُ كَانَ قَبْضُكُمْ مُفْرِطًا وَطَوِيل الذَّيْل يَكُونُ مُسَبِّبُهُ أَيْضًا طَوِيلاً عَلى قَدْر سَبَبِه وَمَعَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تُكَلِّفَ نَفْسَكَ بِإِتْيَان الأَعْمَال وَأَدَاء العِبَادَات وَأَنْ تَكُونَ عَلى ذَلِكَ بِالتَّعَمُّل.

وَقَدْ صَدَرَ فِي هَذه السَّنَة عُلُومٌ عَالِيَةٌ وَمَعَارِفُ سَامِيَةٌ اسْتَصْحَبَ مَوْلاَنَا مُحَمَّدٌ أَمِينُ مَنْ جُمْلَتِهَا مُسَوَّدَتَيْن أَحَدُهُمَا فِي حَل شَرْح بَعْض رُبَاعِيَّات شَيْخِنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - كَتَبْتُهُ حِينَ قِرَاءَة الأَصْحَاب الفَيْرُوز آبَادِيِّين إِيَّاهَا وَانْدَرَجَ فِي هَذِه

الرِّسَالة عُلومُ التَّوْحيد بمُنَاسَبَة مَا انْدَرَجَتْ في تلكَ الرُّبَاعيَّات وَحَصَل فيهَا التَّطْبيقُ بَيْنَ مَا ذَهَبَ إليْه العُلمَاءُ وَمَا حَقَّقَهُ الصُّوفيَّةُ القَائلونَ بوَحْدَة الوُجُود وَحَرَّرْتُ هَذه المَسألة عَلى نَهْج كَانَ نزَاعٌ الفَريقَيْن رَاجعًا إلى نزَاع لفْظيٍّ وَثَانيَتُهمَا منْ تينك المُسَوَّدَتَيْن مَكْتُوبٌ حُرِّرَ إلى وَلدي الأَرْشَد بالبَسْط وَالإطْنَاب يُعْرَفُ عُلوُّ دَرَجَة تلكَ العُلوم وَقْتَ المُطَالعَة فَإنْ بَقيَ أَمْرٌ منْهُ يُسْتَفْسَرُ عَنْهُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمائَتَان
إلى العَارِف المَرْزَا حُسَامِ الدِّين أَحْمَدَ
فِي بَيَان أَنَّ الدَّلِيل عَلى وُجُود الحَقِّ سُبْحَانَهُ
هُوَ عَيْنُ وُجُود الحَقِّ سُبْحَانَهُ
لاَ غَيْرُ، وَمَا يُنَاسِبُهُ

عَرَفْتُ رَبِّي بِفَسْخِ العَزَائِمِ لاَ بَل عَرَفْتُ فَسْخَ العَزَائِم بِرَبِّي - جَل وَعَلاَ - فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - الدَّلِيل عَلى مَا سِوَاهُ لاَ العَكْسُ فَإِنَّ الدَّلِيل أَظْهَرُ مِنَ المَدْلول وَأَيُّ شَيْءٍ أَظْهَرُ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ -؛ لأَنَّ الأَشْيَاءَ إِنَّمَا ظَهَرَتْ بِه وَمِنْهُ سُبْحَانُهُ وَتَعَالى فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلى نَفْسِه وَعَلى مَا سِوَاهُ فَلاَ جَرَمَ عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي وَعَرَفْتُ الأَشْيَاءَ بِه تَعَالى فَالبُرْهَانُ هَهنا لِمى وَزَعَمَ الأَكْثرُ أَنَّهُ إِنِّى وَالتَّفَاوُتُ بِتَفَاوُت النَّظَر وَالاخْتِلاَفُ بِاخْتِلاَف النَّظَر بَل لاَ مَجَال للاسْتِدْلال وَالبُرْهَان ثَمَّةَ إِذْ لاَ خَفَاءَ فِي وُجُوده - سُبْحَانَهُ - وَلاَ رَيْبَ فِي ظُهُوره تَعَالى فَهُوَ أَجْلى البَدِيهِيَّات وَمَا خَفِيَ ذَلِكَ عَلى أَحَد إِلاَّ لِمَرَض فِي قَلبه وَغِشَاوَة عَلى بَصَره وَالأَشْيَاءُ مَحْسُوسَةٌ بِالحَوَاسِّ الظَّاهِرَة وَمَعْلُومٌ أَنَّ وُجُودَهَا مِنْهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَفِقْدَانُ هَذَا العِلم فِي البَعْض بِوَاسِطَة عُرُوض المَرَض لاَ يَضُرُّ فِي المَطْلُوب وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِر مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى العالي الجَنَاب المَرْزَا حُسَام الدِّين أَحْمَدَ أَيْضًا
فِي بَيَان أَنْ لكَمال اتِّبَاعِ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ نَصيبًا مِنْ جَميعِ كَمالاَتهم بالتَّبعيَّة وَأَنَّهُ لاَ يَبْلغُ وَليٌّ قَطُّ دَرَجَةَ نَبيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاء وَبَيَانُ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: إِنَّ التَّجَلِّيَ الذاتيَّ مَخْصُوصٌ بِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَغَيْره

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لنهتديَ لوْلاَ أَنَّ هَدَانَا **اللهُ لَقَدْ جاءتْ** رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ صَلوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُه - سُبْحَانَهُ - عَلَيْهِمْ **وَعَلى أَتْبَاعِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ** وَخَزِينَة أَسْرَارِهِمْ.

اعْلَمْ إِنْ كَمال اتِّبَاعِ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ يَجْذبُونَ إلى أَنْفُسهمْ مِنْ جهَة كَمَال المُتَابَعَة وَفَرْط المَحَبَّة بَل بمَحْض العنَايَة وَالمَوْهبَة جَميعَ كَمَالاَت أَنْبِيَائِهِمُ المَتْبُوعينَ وَينصبغون بلوْنهمْ بالكُلِّيَّة حَتَّى لاَ يَبْقَى فَرْقٌ بَيْنَ المَتْبُوعِ وَالتَّابِعِ إِلاَّ بالأَصَالة وَالتَّبَعيَّة وَالأَوَّليَّة والآخريَّة وَمَعَ ذَلكَ لاَ يَبْلغُ تَابِعٌ نَبيًّا قَطُّ وَإِنْ كَانَ مِنَ اتِّبَاعِ أَفْضَل الرُّسُل مَرْتَبَةً نَبيٌّ أَصْلاً وَلوْ كَانَ مَنْ أُدْوَن الأَنْبِيَاء وَلِهَذَا يَكُونُ رَأْسُ الصِّدِّيق ﷺ الذي هُوَ أَفْضَل البَشَر بَعْدَ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ تَحْتَ قَدَمِ نَبيٍّ أَسْفَل مِنْ جَميعِ الأَنْبِيَاء دَائمًا وَمِنْ هَهُنَا كَانَتْ مَبَادي تَعَيُّنات الأَنْبِيَاء وَأَرْبَابهمْ مِنْ مَقَامِ الأَصْل وَمَبَادي تَعَيُّنات الأُمَمِ مَنَ الأَعَالي وَالأَسَافل وَأَرْبَابهمْ مِنْ مَقَامَات ظلال ذَلكَ الأَصْل عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات فَكَيْفَ تُتَصَوَّرُ المُسَاوَاةُ بَيْنَ الأَصْل وَالظِّل قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لعِبَادنَا المُرْسَلينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالبُونَ}

وَمَا قيل إِنَّ التَّجَلِّيَ الذاتيَّ مَخْصُوصٌ مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاء بخَاتَم الرُّسُل عَلَيْه وَ - **عَلَيْهِمُ** الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلكَمال اتِّبَاعه ﷺ نَصيبٌ مِنْ ذَلكَ التَّجَلي لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ **التَّجَلِّيَ** الذاتيَّ لاَ نَصيبَ منْهُ للأَنْبِيَاء سوَاهُ وَإِنَّ منْهُ نَصيبًا لكَمال اتِّبَاعه بالتَّبَعيَّة حَاشَا **وَكَلاَّ** مِنْ أَنْ يُتَصَوَّرَ هَذَا المَعْنَى فَإِنَّ فيه إِثْبَاتَ المَزيَّة للأَوْليَاء عَلى الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ **السَّلاَمُ** بَل مَعْنَاهُ أَنَّ حُصُول التَّجَلي لغَيْره ﷺ بتَطَفُّله وَتَبَعيَّته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ **فَحُصُوله** للأَنْبِيَاء بتَطَفُّله ﷺ وَلكَمال اتِّبَاعه بتَبَعيَّته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

فَالأَنْبِيَاءُ جُلسَاؤُهُ عَلَيْهِ وَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - عَلَى خُوَانِ هَذِهِ النِّعْمَةِ العُظْمَى المَخْصُوصَةِ بِهِ بِتَطَفُّلِه ﷺ.

وَالأَوْلِيَاءُ خُدَّامَهُ النَّائِلونَ للحصَّةِ منْهَا وَشَتَّانَ بَيْنِ الجُلسَاءِ المُتَطَفِّلِينَ وَالخَادمينَ النَّائِلينَ للحصَّةِ وَهَذَا المَقَامُ مِنْ مَزَالِ الأَقْدَامِ وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي مَكَاتِيبِي ورَسَائِلِس فِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ وُجُوهًا شَتَّى وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ فِي هَذِهِ المُسَوَّدَةِ بِفَضْلِ اللهِ وَكَرَمِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

وَاعْلَمْ أَنَّ سَائِرَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ هَذَا التَّجَلِي بِتَطَفُّلِه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلَكِنْ يَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الوِلاَيَةَ الخَاصَّةَ لَمْ تَسِرْ إِلى أَوْلِيَاءِ أُمَمِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ هَذَا التَّجَلِي فَإِنَّ حُصُولَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ لأُصُولِهِمْ إِذَا كَانَ بِطَرِيقِ التَّطَفُّلِ وَالانْعِكَاسِ فَمَاذَا يَحْصُلُ للفُرُوعِ بِطَرِيقِ عَكْسِ العَكْسِ وَمِصْدَاقُ هَذَا المَعْنَى الكَشْفُ الصَّرِيحُ لاَ الاسْتِدْلاَلِ العَقْلِيُّ وَمَا ذُكِرَ سَابِقًا مِنْ أَنَّ كَمَالَ الاتِّبَاعِ يَجْذِبُونَ كَمَالاَتِ المَتْبُوعِينَ بِالتَّمَامِ فَالمُرَادُ بِهِ الكَمَالاَتُ الأَصْلِيَّةُ للمَتْبُوعِينَ لاَ مُطْلَقًا حَتَّى يَتَحَقَّقَ التَّنَاقُضُ بَلْ هُمْ مُحْتَظُونَ مِنْ وِلاَيَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِنَبِيِّهِمْ بِالتَّبَعِيَّةِ وَهَذِهِ الأُمَّةُ مَخْصُوصَةٌ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ بِهَذَا التَّجَلِي بِالتَّبَعِيَّةِ مُشَرَّفٌ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ العُظْمَى وَلِهَذَا كَانَتْ خَيْرَ الأُمَمِ وَكَانَ عُلَمَاؤُهَا كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنَّ أَكْتُبَ نُبْذَةً مِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الوِلاَيَةِ الخَاصَّةِ وَخَصَائِصِهَا وَلَكِنْ لَمْ يُسَاعِدْ الوَقْتُ ذَلِكَ لضِيقِهِ وَلَمْ يَفِ الوَرَقُ.

وَيُفَاضُ العُلُومُ وَالمَعَارِفُ بِعِنَايَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - مِثْلَ مَطَرِ الرَّبِيعِ وَيَحْصُلُ الاطِّلاَعُ عَلَى عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ وَمَحَارِمِ هَذِهِ الأَسْرَارِ.

أَوْلاَدِي الكِرَامُ: عَلَى قَدْرِ الاسْتِعْدَادِ وَبَقِيَّةُ الأَصْحَابِ أَيَّامًا فِي الحُضُورِ وَأَيَّامًا فِي الغَيْبَةِ وَلِذَا قِيلَ: الوَلِيُّ وَإِنْ كَانَ وَلِيًّا لاَ يَبْلُغُ مَرْتَبَةَ صَحَابِيٍّ، وَشَوْقُ نَيْلِ المُلاَزَمَةِ فَوْقَ الحَدِّ وَقَدْ تَشَرَّفْتُ بِوُرُودِ الصَّحِيفَةِ الكَرِيمَةِ المُرْسَلَةِ إِلى هَذَا الحَقِيرِ.

اعْلَمْ أَنَّ رُؤْيَةَ القُصُورِ فِي الأَعْمَالِ مِنْ أَجَلِ النِّعَمِ وَأَمَّا الاقْتِصَادُ فِي الأَحْوَالِ فَمَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ وَالأَفْعَالِ وَالإِفْرَاطُ كَالتَّفْرِيطِ خَارِجٌ عَنْ حَدِّ الاعْتِدَالِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى المِرْزَا دَارَابَ
فِي فَضَائِلِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ
وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَنَّ الخَلاَصَ الأُخْرَوِيَّ وَالفَلاَحَ السَّرْمَدِيَّ مَنُوطٌ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ عَلَيْهِ وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلَوَاتِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمَاتِ وَلِذَا يُوصَلُ بِمُتَابَعَتِه إِلى مَقَامِ المحبوبيَّةِ للحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَبِهَا يَتَشَرَّفُ بِالتَّجَلِي الذاتِيِّ وَبِهَا يَمْتَازُ بِمَرْتَبَةِ العُبْدِيَّةِ التِي هِيَ فَوْقَ جَمِيعِ مَرَاتِبِ الكَمَالِ،

وَحُصُولُهَا بَعْدَ حُصُولِ مَقَامِ المَحبوبية وَبِهَا جُعِلَ كَمَالُ اتِّبَاعِه مِثْلَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَتَمَنَّى الأَنْبِيَاءُ أُولو العَزْمِ مُتَابَعَتَه لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا فِي زَمَنِهِ مَا وَسِعَهُ إِلاَّ اتِّبَاعُهُ.

وَقِصَّةُ نُزُولِ رُوحِ اللهِ وَمُتَابَعَتِه حَبِيبَ اللهِ مَعْلومَةٌ وَمَشْهُودَةٌ وَصَارَتْ أُمَّتُه بِوَاسِطَةِ مُتَابَعَتِه خَيْرَ الأُمَمِ وَأَكْثَرَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَبِسَبَبِ مُتَابَعَتِه يَدْخُلونَ الجَنَّةَ غَدًا قَبْلَ جَمِيعِ الأُمَمِ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ثُمَّ كَذَا وَكَذَا فَعَلَيْكُمْ بِمُتَابَعَتِه وَالتزَامِ سُنَّتِه وَإِتْيَانِ شَرِيعَتِه عَلَيْهِ وَعَلى جَمِيعِ إِخْوَانِه مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا وَبَقِيَّةُ المَرَامِ أَنِّي فَوَّضْتُ إِلَيْكَ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ مِنْ أَحْبَابِ صَاحِبِ المَعَارِفِ الحَاجِّ عَبْدِ الحَقِّ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَمْسُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى الملا أَحْمَدَ البَرْكِيِّ
فِي حَل بَعْضِ اسْتِفْسَارَاتِه
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِيَ أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذِه الحُدُود وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجَبَةٌ للحَمْدِ والمَسئول منَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - عَافِيَتُكُمْ وَالصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ قَدْ وَصَلتْ وَكَتَبْتُ فِيهَا أَنَّ الذَّوْقَ وَالفَرَحَ الذِي كُنْتُ أَجِدُهُ أَوَّلاً لاَ أَجِدُهُ الآنَ وَأَظُنُّ ذَلكَ مِنْ تَنَزُّلِي وانْحطَاطِي.

اعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ أَنَّ الحَالَةَ الأُولى كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ حَالَةِ أَهْلِ الوَجْدِ وَالسَّمَاعِ التِي للجَسَدِ دَخْلٌ تَامٌّ فِيهَا وَأَمَّا الحَالَةُ التِي تَيَسَّرَتْ الآنَ فَالجَسَدُ قَلِيلُ النَّصِيبِ مِنْهَا بَلْ تَعَلقُهَا بِالقَلبِ وَالرُّوحِ أَزْيدُ وَبَيَانُ هَذِه المُعَامَلَةِ يَسْتَدْعِي تَفْصِيلاً وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ الحَالَةَ الثَّانِيَةَ فَوْقَ الحَالَةِ الأُولى بِمَرَاتِبَ وَعَدَمُ وِجْدَانِ الذَّوْقِ وَفقْدَانُ فُرْصَةِ الفَرَحِ فَوْقَ وِجْدَانِ الذَّوْقِ وَالفَرَحِ؛ لأَنَّ النِّسْبَةَ كُلمَا تَنْجَرُّ إِلى الجَهَالَةِ وَتَنْتَهِي إِلى الحَيْرَةِ وَتَتَبَاعَدُ عَنِ الجَسَدِ تَكُونُ أَصِيلَةً وَأَقْرَبَ إِلى حُصُولِ المَطْلُوبِ فَإِنَّهُ لاَ مَجَالَ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ لغَيْرِ العَجْزِ وَالجَهْلِ وَيُعَبَّرُ عَنْ ذَلكَ الجَهْلِ بِالمَعْرِفَةِ وَيُسَمَّى هَذَا العَجْزُ إِدْرَاكًا.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنَّ تَأْثِيرَ تلكَ النِّسْبَةِ الذي كَانَ أَوَّلاً لَمْ يَبْقَ الآنَ:

نَعَمْ لَمْ يَبْقَ التَّأْثِيرُ الجَسَدِيُّ وَأَمَّا التَّأْثِيرُ الرُّوحِيُّ فَقَدْ زَادَ وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُ كُل أَحَدٍ وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ صُحْبَتِكُمْ بِهَذَا الفَقِيرِ قَلِيلَةً جِدًّا، وَذِكْرُ العُلومِ وَالمَعَارِفِ أَيْضًا كَانَ قَلِيلاً فَإِنْ كَانَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - أَرَادَ ثُبُوتَ الصُّحْبَةِ تَحْصُلُ المُصَاحَبَةُ أَيَّامًا وَاسْتَفْسَرْتَ أَيْضًا عَنْ فَرْضِيَّةِ الحَجِّ وَالذَّهَابِ إِلى مَكَّةَ مَعَ وُجُودِ الزَّادِ وَالرَّاحِلةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَعَدَمِه.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ فِي الرِّوَايَاتِ الفقْهِيَّةِ اخْتِلاَفَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا البَابِ وَالمُخْتَارُ فِي هَذِه المَسْأَلةِ فَتْوَى الفَقِيهِ أَبِي اللَّيْثِ حَيْثُ قَالَ: فَإِنْ كَانَ الغَالِبُ الأَمْنَ وَعَدَمَ الهَلاَكِ فِي الطَّرِيقِ فَالفَرْضِيَّةُ ثَابِتَةٌ وَإِلاَّ فَلاَ وَلكِنَّ هَذَا الشَّرْطَ شَرْطُ وُجُوبِ الأَدَاءِ لاَ شَرْطُ نَفْسِ الوُجُوبِ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ فَتَكُونُ الوَصِيَّةُ بِالإِحْجَاجِ فِي هَذِه الصُّورَةِ وَاجِبَةً وَلَمَّا لَمْ يُسَاعِدِ الوَقْتُ جَوَابَ اسْتِفْسَارَاتِكُمْ الأُخْرَى أَخَّرْنَاهُ إِلى وَقْتٍ آخَرَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الحادي وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَان
إلى مَوْلاَنَا الأَشْرَف
في بَيَان فَضَائِل الخُلفَاء الرَّاشدينَ خُصُوصًا الشَّيْخَيْنِ
وَتَعْظِيمِ سَائِرِ الأَصْحَاب الكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ
وَالكَفِّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِيهِمْ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلاَة وَتَبْليغِ الدَّعَوَات لِيَعْلَمْ الأَخُ الأَرْشَدُ الخواجهْ أَشْرَفُ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ العُلومَ الغَرْبِيَّةَ وَالأَسْرَارَ العَجِيبَةَ وَالمَوَاهِبَ اللطيفَةَ وَالمَعَارِفَ الشَّرِيفَةَ عَلى قَدْرِ الفَهْمِ القَاصِرِ وَأَكْثَرُهَا يَتَعَلقُ بِفَضَائِل الشَّيْخَيْنِ وَذي النُّورَيْنِ وَأَبِي الحَسَنَيْنِ وَكَمالاَتِهم ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ أَجْمَعِينَ يَنْبَغِي الاسْتِمَاعُ وَالإِصْغَاءُ إِلَيْهَا بِسَمْعِ العَقْلِ.

اعْلَمْ أَنَّ حَضْرَةَ الصِّدِّيقِ وَحَضْرَةَ الفَارُوقِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ مَعَ وُجُودِ حُصُولِ الكَمَالاَتِ المُحَمَّدِيَّة فِيهِمَا وَبُلوغِهِمَا أَقْصَى دَرَجَاتِ الوِلاَيَةِ المُصطفوية فِيهِمَا مُنَاسَبَةٌ فِي طَرَفِ الوِلاَيَةِ مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَفِي طَرَفِ الدَّعْوَةِ التي هِيَ مُنَاسَبَةٌ لِمَقَامِ النُّبُوَّةِ بِهِمَا مُنَاسَبَةٌ لِسَيِّدِنَا مُوسَى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وبِذي النُّورَيْنِ مُنَاسَبَةٌ فِي كِلاَ الطَّرَفَيْنِ لِسَيِّدِنَا نُوحٍ صَلَوَاتُ اللهِ وتسليماتُه عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَبِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ مُنَاسَبَةٌ فِي كِلاَ الطَّرَفَيْنِ لِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَحَيْثُ كَانَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ كَانَ طَرَفُ ولاَيَتِه غَالِبًا عَلى جَانِبِ نُبُوَّتِه وَطَرَفُ الوِلاَيَةِ غَالِبٌ أَيْضًا فِي عَلِيٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ بِهَذِه المُنَاسَبَة.

وَمَبَادِي تَعَيُّنَاتِ الخُلفَاءِ الأَرْبَعَةِ صِفَةُ العِلمِ عَلى اخْتِلاَفِ الجِهَاتِ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً.

وَهَذه الصِّفَةُ بِاعْتِبَارِ الإِجْمَال رَبُّ مُحَمَّد وَبِاعْتِبَارِ التَّفْصِيلِ رَبُّ الخَلِيل وَبِاعْتِبَارِ البَرْزَخِيَّةِ بَيْنَ الإِجْمَال وَالتَّفْصِيل رَبُّ نُوحٍ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَمَا أَنَّ رَبَّ مُوسَى صِفَةُ الكَلاَمِ وَرَبَّ عِيسَى صِفَةُ القُدْرَةِ وَرَبَّ آدَمَ صِفَةُ التَّكْوِينِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.

وَلنَرْجِعْ إلى أَصْل الكَلاَم وَنَقُول: إنَّ الصِّدِّيقَ وَالفَارُوقَ هُمَا حَاملاَ ثقَل النُّبوَّة المُحَمَّديَّة عَلى اخْتلاَف المَرَاتب وَعَليًّا ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ بوَاسطَة مُنَاسَبَته لعيسَى وَغَلبَة جَانب ولاَيَته حَامل ثقَل النُّبوَّة تَكُونُ مُنَاسَبَتُهُمَا بمُوسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - أَزْيَدَ؛ لأَنَّ مَقَامَ الدَّعْوَة التي هيَ نَاشئَةٌ منْ مَرْتَبَة النُّبوَّة أَتَمُّ وَأَكْمَل فيه منْ بَيْن الأَنْبيَاء بَعْدَ نَبيِّنَا عَلَيْه وَ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَكتَابُهُ أَفْضَل الكُتُب المُنَزَّلة بَعْدَ القُرْآن المَجيد وَلهَذَا تَكُونُ أُمَّتُهُ أَكْثَرَ مَنْ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ منْ بَيْن الأُمَم المُتَقَدِّمينَ وإنْ كَانَتْ شَريعَةُ إبْرَاهيمَ وَملَّتُهُ أَفْضَل منْ جَميع الشَّرَائع وَالملل وَلهَذَا أُمرَ أَفْضَل الرُّسُل بمُتَابَعَة ملته {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إلَيْك أَن اتَّبعْ ملةَ إبْرَاهيمَ حَنيفًا} شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى وَالمَهْديُّ المَوْعُودُ أَيْضًا رَبُّهُ صفَةُ العلم وَبه مُنَاسَبَةٌ لعيسَى مثْل عَليٍّ وَكَانَ إحْدَى قَدَميْ عيسَى عَلى رَأْس عَليٍّ وَالأُخْرَى عَلى رَأْس المَهْديِّ.

اعْلَمْ أَنَّ ولاَيَةَ مُوسَى وَقَعَتْ عَلى يَمين الولاَيَة المُحَمَّديَّة وَالولاَيَةَ العيَسويَّةَ عَلى يَسَارهَا وَلَمَّا كَانَ عَليٌّ المُرْتَضَى حَامل ثقَل الولاَيَة كَانَ أَكْثَرَ سَلاَسل الأَوْليَاء مُنْتَسبًا إلَيْه وَظَهَرَتْ كَمَالاَتُه لأَكْثَر الأَوْليَاء العظَام المُخْتَصِّينَ بكَمَالاَت الولاَيَة أَزْيَدَ وَأَكْثَرَ منْ كَمَالاَت الشَّيْخَيْن فلولاَ إجْمَاعُ أَهْل السُّنَّة عَلى أَفْضَليَّة الشَّيْخَيْن لحَكَمَ كَشْفُ أَكْثَر الأَوْليَاء العظَام بأَفْضَليَّة عَليٍّ المُرْتَضَى؛ لأَنَّ كَمَالاَت الشَّيْخَيْن تُشْبهُ كَمَالاَت الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

وَإدْرَاكُ أَرْبَاب الولاَيَة قَاصرٌ عَن الوُصُول إلى ذَيْل هَذه الكَمَالاَت وَكَشْفُ أَرْبَاب الكُشُوف بوَاسطَة عُلُوِّ دَرَجَاتهمْ بَاق في الطَّريق غَيْرُ وَاصل إلَيْهمْ. وَكَمَالاَتُ الولاَيَة كَالمَطْرُوح في الطُّرُق في جَنْب هَذه الكَمَالاَت إنَّمَا هيَ مَدَارجُ وَمَعَارجُ للعُرُوج إلى كَمَالاَت النُّبوَّة فَكَيْفَ يَكُونُ للمُقَدِّمَات خَبَرٌ عَن المَقَاصد وَمَاذَا يَكُونُ شُعُورُ المَبَادي بالمَطَالب وَهَذَا الكَلاَمُ وَإنْ كَانَ ثَقيلاً عَلى الأَكْثَرينَ بوَاسطَة بَعْدَ عَهْد النُّبوَّة وَبَعيدًا عَن القَبُول وَلكنْ مَاذَا نَصْنَعُ شعْرٌ:

قَدْ أَمْسَكُوني وَرَى المَرْأَى كدرهم ... أَقُول مَا قَال لي أُستاذي الأَزَليُّ

وَلكنْ للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمنَّةُ إنِّي مُتَّفقٌ في هَذَا القيل وَالقَال مَعَ عُلَمَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهمْ وَقَوْلي مُوَافقٌ بإجْمَاعهمْ وَجَعْل اسْتَدْلاَلهم كَشْفيًّا لي وإجماليِّهم تَفْصيليًّا وَهَذَا الفَقيرُ مَا لَمْ يَصل إلى كَمَالاَت مَقَام النُّبوَّة بمُتَابَعَة نَبيِّه وَلَمْ يَحْصُل لهُ نَصيبٌ تَامٌّ منْ تلكَ الكَمَالاَت لَمْ يَطَّلعْ عَلى فَضَائل الشَّيْخَيْن بطَريق الكَشْف وَلَمْ يَهْتَد إلى سَبيل غَيْر التَّقْليد الحَمْدُ للهِ الذي

هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ {لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ} قَالَ شَخْصٌ يَوْمًا: قَدْ كُتِبَ فِي الكُتُبِ أَنَّ اسْمَ عَلِيٍّ المُرْتَضَى مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ فَوَقَعَ فِي الخَاطِرِ أَنَّهُ مَاذَا يَكُونُ لِحَضْرَةِ الشَّيْخَيْنِ مِنْ خَصَائِصِ ذَلِكَ المَوْطِنِ فَظَهَرَ بَعْدَ التَّوَجُّهِ التَّامِّ أَنَّ دُخُولَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَى الجَنَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِذْنِ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ الجَلِيلَيْنِ وَتَجْوِيزِهِمَا وَكَانَ الصِّدِّيقُ قَائِمًا عَلَى بَابِ الجَنَّةِ وَيَأْذَنُ لِلنَّاسِ بِالدُّخُولِ إِلَى الجَنَّةِ وَالفَارُوقُ يُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ آخِذًا بِأَيْدِيهِمْ وَكَانَ مَشْهُودًا أَنَّ الجَنَّةَ بِتَمَامِهَا مَمْلُوءَةٌ بِنُورِ الصِّدِّيقِ وَفِي نَظَرِ هَذَا الحَقِيرِ إِنَّ لِلشَّيْخَيْنِ شَأْنًا عَلَى حِدَةٍ فِيمَا بَيْنَ الأَصْحَابِ وَدَرَجَةً مُمْتَازَةً مُنْفَرِدَةً كَأَنَّهَا لَمْ يُشَارِكْهُمَا فِيهَا أَحَدٌ وَكَانَ الصِّدِّيقُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنْ كَانَ التَّفَاوُتُ فَإِنَّمَا هُوَ بِالعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَالفَارُوقُ أَيْضًا مُشَرَّفٌ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بِتَطَفُّلِ الصِّدِّيقِ وَنِسْبَةِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ إِلَيْهِ ﷺ نِسْبَةَ المُسَاكِنَةِ فِي خَانٍ وَاحِدٍ أَوْ فِي بَلْدَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَا يَكُونُ حَظُّ سَائِرِ أَوْلِيَاءِ الأُمَّةِ، (ع):

حَسْبِي إِذَا جَاءَ مِنْ بَعْدِ صَدَا جَرْسِه

فَمَاذَا يَجِدُ هَؤُلاَءِ مِنْ كَمَالاَتِ الشَّيْخَيْنِ وَكِلاَ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ مَعْدُودَانِ فِي عِدَادِ الأَنْبِيَاءِ فِي العَظَمَةِ وَجَلاَلَةِ القَدْرِ وَمَحْفُوفَانِ بِفَضَائِلِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ**".

وَذَكَرَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ فِي أَيَّامِ مُصِيبَةِ الفَارُوقِ فِي مَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ مَاتَ تِسْعَةُ أَعْشَارِ العِلْمِ وَلَمَّا أَحَسَّ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ تَوَقُّفًا فِي فَهْمِ مَعْنَى هَذَا الكَلاَمِ قَالَ: المُرَادُ بِالعِلْمِ العِلْمُ بِاللهِ لاَ عِلْمُ الحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَمَاذَا يُقَالُ فِي الصِّدِّيقِ الذِي جَمِيعُ حَسَنَاتِ عُمَرَ حَسَنَتُهُ الوَاحِدَةُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ المُخْبِرُ الصَّادِقُ وَيُحِسُّ أَنَّ انْحِطَاطَ عُمَرَ الفَارُوقِ مِنَ الصِّدِّيقِ أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ مِنَ انْحِطَاطِ الصِّدِّيقِ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَقِسْ عَلَى هَذَا انْحِطَاطَ البَاقِينَ مِنَ الصِّدِّيقِ.

وَالشَّيْخَانِ لَمْ يُفَارِقَا النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ المَوْتِ أَيْضًا وَسَيَكُونُ حَشْرُهُمَا أَيْضًا مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فَتَكُونُ الأَفْضَلِيَّةُ بِوَاسِطَةِ الأَقْرَبِيَّةِ لَهُمَا وَمَاذَا يَقُولُ هَذَا الحَقِيرُ قَلِيلُ البِضَاعَةِ مِنْ كَمَالاَتِهِمْ وَمَاذَا يُبَيِّنُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ مِنْ كَمَالاَتِهِمْ وَأَيْنَ لِلذَّرَّةِ قُدْرَةُ التَّكَلُّمِ مِنَ الشَّمْسِ وَأَيْنَ لِلقَطْرَةِ مَجَالُ التَّحَدُّثِ مِنْ بَحْرِ عُمَانَ وَالأَوْلِيَاءُ المَرْجُوعُونَ لِدَعْوَةِ الخَلْقِ المُحْتَظُونَ مِنْ كِلاَ طَرَفَيِ الوِلاَيَةِ.

وَالدَّعْوَةُ بِحَظٍّ تَامٍّ وَالعُلَمَاءُ المُجْتَهِدُونَ مِنَ التَّابِعِينَ وَتابِعِ التَّابِعِينَ لَمَّا أَدْرَكُوا كَمَالاَتِ الشَّيْخَيْنِ بِنُورِ الكَشْفِ الصَّحِيحِ وَالفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ وَالأَخْبَارِ المُتَتَابِعَةِ فِي الجُمْلَةِ وَوَجَدُوا نُبْذَةً مِنْ فَضَائِلِهِمَا حَكَمُوا بِأَفْضَلِيَّتِهِمَا بِالضَّرُورَةِ وَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ وَمَا ظَهَرَ عَلَى خِلاَفِ هَذَا الإِجْمَاعِ مِنَ الكَشْفِ حَمَلُوهُ عَلَى عَدَمِ الصِّحَّةِ وَلَمْ يَعْتَبِرُوهُ كَيْفَ وَقَدْ صَحَّحَ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ أَفْضَلِيَّتَهُمَا كَمَا رَوَى البُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ وَمَنْ قَالَ إِنَّ الوِلاَيَةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ فَهُوَ مِنْ أَرْبَابِ السُّكْرِ وَمِنَ الأَوْلِيَاءِ غَيْرِ المَرْجُوعِينَ الذِينَ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ كَمَالاَتِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ كَمَا مَرَّ آنِفًا وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ سِلْسِلَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ مُنْتَسِبَةٌ مِنْ بَيْنِ سَلاَسِلِ سَائِرِ الأَوْلِيَاءِ إِلَى الصِّدِّيقِ ﷺ فَتَكُونُ نِسْبَةُ الصَّحْوِ غَالِبَةً فِيهِمْ وَتَكُونُ دَعْوَتُهُمْ أَتَمَّ وَتَظْهَرُ كَمَالاَتُ الصِّدِّيقِ لَهُمْ أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ وَتَكُونُ نِسْبَتُهُمْ فَوْقَ نِسَبِ سَائِرِ السَّلاَسِلِ بِالضَّرُورَةِ فَمَاذَا يُدْرِكُ غَيْرُهُمْ مِنْ كَمالاَتِهِم وَمَاذَا يُحِسُّونَ مِنْ حَقِيقَةِ مُعَامَلَتِهِمْ وَلاَ أَقُولُ إِنَّ جَمِيعَ مَشَائِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ سَوَاسِيَةٌ فِي هَذِهِ المُعَامَلَةِ كَيْفَ بَلْ لَوْ وُجِدَ مِنْ أُلُوفٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ يَكُونُ غَنِيمَةً وَأَظُنُّ المَهْدِيَّ المَوْعُودَ الذِي بِأَكْمَلِيَةِ الوِلاَيَةِ مَعْهُودٌ يَكُونُ عَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ وَيُتِمُّ هَذِهِ السِّلْسِلَةَ العَلِيَّةَ وَيُكْمِلُهَا فَإِنَّ نِسْبَةَ جَمِيعِ الوِلاَيَاتِ دُونَ هَذِهِ النِّسْبَةِ العَلِيَّةِ؛ لأَنَّ سَائِرَ الوِلاَيَاتِ قَلِيلَةُ النَّصِيبِ مِنْ كَمَالاَتِ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ وَهَذِهِ الوِلاَيَةُ لَهَا حَظٌّ وَافِرٌ مِنْهَا بِوَاسِطَةِ الاِنْتِسَابِ إِلَى الصِّدِّيقِ كَمَا مَرَّ آنِفًا، (ع):

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ يَا خَلِيُّ

أَيُّهَا الأَخُ: إِنَّ الإِمَامَ عَلِيًّا ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ لَمَّا كَانَ حَامِلاً لِثِقَلِ الوِلاَيَةِ المُحَمَّدِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ كَانَ تَرْبِيَةُ مَقَامِ الأَقْطَابِ وَالأَوْتَادِ وَالأَبْدَالِ الذِينَ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ العُزْلَةِ وَغَلَبَ فِيهِمْ جَانِبُ كَمَالاَتِ الوِلاَيَةِ مُفَوَّضَةً إِلَى إِمْدَادِهِ وَإِعَانَتِهِ وَرَأْسُ قُطْبِ الأَقْطَابِ الذِي هُوَ قُطْبُ المَدَارِ تَحْتَ قَدَمِهِ وَيَجْرِي أَمْرُهُ وَيَحْصُلُ مُهِمَّةٌ بِحِمَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ وَيَخْرُجُ بِهِ عَنْ عُهْدَةِ مَدَارِيَّتِهِ وَالسَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ وَابْنَاهَا الإِمَامَانِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ هُمْ أَيْضًا شُرَكَاؤُهُ فِي هَذَا المَقَامِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عليه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ: كُلهمْ كُبَرَاءُ عُظَمَاءُ؛ يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ كُلُّهُمْ بالتَّعْظِيمِ.

رَوَى الخَطِيبُ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَال: قَال رَسُول الله صَلى الله وَسَلمَ: إِنَّ اللهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحابًا وَاخْتَارَ لِي مِنْهُمْ أَصْهَارًا وَأَنْصَارًا فَمَنْ حَفِظَنِي فِيهِمْ حَفِظَهُ اللهُ وَمَنْ آذَانِي فِيهِمْ آذَاهُ اللهُ.

وَرَوَى الطَّبرانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَرَوَى ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ عَائِشَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ قَال رَسُول الله ﷺ: إِنَّ شِرَارَ أُمَّتِي أَجْرَؤُهُمْ عَلَى أَصْحَابِي وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ المُنَازَعَاتِ وَالمُحَارَبَاتِ يَنْبَغِي صَرْفُهَا وَحَمْلهَا عَلَى مُحَامِلِ حَسَنَةٍ وَإِبْعَادُهُمْ عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّبِ فَإِنَّ تِلكَ المُخَالفَاتِ كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى الاِجْتِهَادِ وَالتَّأْوِيلِ لاَ عَلَى الهَوَى وَالهَوَسِ كَمَا أَنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى ذَلِكَ.

وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مُخالفِي الإِمَامِ عَلِيٍّ ﷺ كَانُوا عَلَى الخَطَأِ وَكَانَ الحَقُّ فِي جَانِبِه وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ هَذَا الخَطَأُ خَطَأً اجْتِهَادِيًّا كَانَ صَاحِبُه بَعِيدًا عَنِ المَلاَمَةِ وَمَرْفُوعًا عَنْهُ المُؤَاخَذَةُ كَمَا نَقَل شَارِحُ المَوَاقِفِ عَنِ الآمِدِيِّ أَنَّ وَقْعَةَ الجَمَلِ وَالصِّفِّينِ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الاِجْتِهَادِ.

وَصَرَّحَ الشَّيْخُ أَبُو شَكُورٍ السَّالمِيُّ فِي التَّمْهِيدِ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ مَعَ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الذِينَ كَانُوا مَعَهُ كَانُوا عَلَى الخَطَأِ وَكَانَ خَطَؤُهم اجْتِهَادِيًّا وَقَال الشَّيْخُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الصَّوَاعِقِ: إِنَّ مُنَازَعَةَ مُعَاوِيَةَ لعَلِيٍّ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الاِجْتِهَادِ.

وَجُعِل هَذَا القَوْل مِنْ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمَا قَال شَارِحُ المَوَاقِفِ مِنْ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِنَا ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ تِلكَ المُنَازَعَةَ لَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الاِجْتِهَادِ فَمُرَادُه مِنَ الأَصْحَابِ أَيُّ طَائِفَةٍ هُوَ فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ حَاكِمُونَ بِخِلاَفِ ذَلِكَ كَمَا مَرَّ، وَكُتُبُ القَوْمِ مَشْحُونَةٌ بِالقَوْلِ بِالخَطَأِ الاِجْتِهَادِيِّ كَمَا صَرَّحَ بِه الغَزَالِيُّ والقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا فَلاَ يَجُوزُ تَفْسِيقُ مُخالفِي الإِمَامِ عَلِيٍّ وَتَضْلِيلهمْ.

قَال القَاضِي فِي الشِّفَاءِ قَال مَالِكٌ ﷺ: "مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ أَوْ مُعَاوِيَةَ أَوْ عَمْرَو بْنَ العَاصِ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ

فَإنْ قَال: كَانُوا عَلى ضَلال وَكُفْرِ قُتل وَإنْ سَبَّهُمْ بِغَيْرِ هَذَا مِنْ مُشَاتَمَة هَذَا مِنْ مُشَاتَمَة النَّاس نُكِّل نَكَالاً شَديدًا فَلاَ يَكُونُ مُحَارِبُو عَليٍّ كَفَرَةً كَمَا زَعَمَتْ الغُلاَةُ مِنَ الرَّفَضَة وَلاَ فَسَقَةً كَمَا زَعَمَ البَعْضُ وَنسْبَةُ شَارِحِ المُوَافِقِ إلى كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابه كَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ الصِّدِّيقَةَ وَطَلحَةَ وَالزُّبَيْرَ مِنَ الصَّحَابَة مِنْهُمْ وَقَدْ قُتل طَلحَةُ وَالزُّبَيْرُ فِي قِتَال الجَمَل مَعَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ أَلفًا مِنَ القَتْلى قَبْل خُرُوجِ مُعَاوِيَةَ فَتَضْليلهمْ وتَفْسيقُهم مِمَّا لاَ يَجْتَرِئُ عَلَيْه مُسْلِمٌ إلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي قَلبه مَرَضٌ وَفِي بَاطنه خَبَثٌ وَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَة بَعْضِ الفُقَهَاء مِنْ إطْلاَق لفْظ الجَوْرِ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ حَيْثُ قَال: كَانَ مُعَاوِيَةُ إمَامًا جَائرًا فَمُرَادُهُ بالجَوْرِ عَدَمُ حَقِّيَّة خلافَته فِي زَمَنِ خلاَفَة عَليٍّ لاَ الجَوْرُ الذي مَآله فسْقٌ وَضَلالةٌ ليَكُونَ مُوَافقًا لأَقْوَال أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَمَعَ ذَلكَ يَجْتَنبُ أَرْبَابُ الاسْتقَامَة إتْيَانَ الأَلفَاظ المُوهمَة خلاَفَ المَقْصُود وَلاَ يَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلى القَوْل بالخَطَأ كَيْفَ يَكُونُ جَائرًا وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ إمَامًا عَادلاً فِي حُقُوق الله - سُبْحَانَهُ - وَحُقُوق المُسْلمينَ كَمَا فِي الصَّوَاعِق وَقَدْ زَادَ مَوْلاَنَا عَبْدُ الرَّحْمَن الجَامِيُّ - قُدِّسَ سرُّهُ - فِي قَوْله خَطًا مُنْكَرًا يَعْني زَادَ عَلى مَا عَلَيْه الجُمْهُورُ وَكُلمَا زَادَ عَلى لفْظ الخَطَأ فَهُوَ خَطَأٌ وَمَا قَال بَعْدَهُ فَإنْ كَانَ هُوَ مُسْتَحقًّا للعَنِ إلخْ فَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ مُنَاسب لهُ أَيْنَ مَحَل التَّرْديد وَأَيْنَ مَحَل الاشْتبَاه فَإنْ قَال هَذَا الكَلاَمَ فِي حَقِّ يَزِيدَ فَلهُ وَجْهٌ وَمَسَاغٌ وَأَمَّا قَوْلُهُ ذَلكَ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ فَشَنِيعٌ وَقَدْ وَرَدَ فِي الأَحَاديث النَّبَوِيَّة بأَسَانيد الثِّقَات أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لمُعَاوِيَةَ اللهُمَّ عَلمْهُ الكتَابَ وَالحسَابَ وَقه العَذَابَ.

وَقَال فِي مَحَل آخَرَ مِنْ دُعَائه: اللهُمَّ اجْعَلهُ هَاديًا مَهْديًّا.

وَدُعَاؤُهُ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَقْبُول وَالظَّاهرُ أَنَّ هَذَا الكَلاَمَ إنَّمَا صَدَرَ عَنْ مَوْلاَنَا بطَرِيق السَّهْو وَالنِّسْيَان وَأَيْضًا أَنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ باسْمِ أَحَد فِي تلكَ الأَبْيَات بَل قَال وصَحَابِيٌّ آخَرُ وَهَذه العِبَارَةُ أَيْضًا تُنْبِئُ عَنِ الشَّنَاعَة رَبَّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.

وَمَا نُقل عَنِ الإمَامِ الشَّعْبِيِّ مِنْ ذَمِّ مُعَاوِيَةَ وَأَنَّهُ بَالغَ فِي مَذَمَّته وَأَوْصَلهَا إلى مَا فَوْقَ الفسْق لَمْ يَبْلغْ مَرْتَبَةَ الثُّبُوت وَالإمَامُ الأَعْظَمُ مِنْ تَلاَمذَته فَعَلى تَقْدير صدْق هَذَا القَوْل لكَانَ هُوَ أَحَقَّ بنَقْله.

وَحَكَمَ الإمَامُ مَالكٌ الذي هُوَ مِنْ تَبَع التَّابعينَ وَمُعَاصره بقَتْل شَاتم مُعَاوِيَةَ وَعَمْرَو بْنَ العاصِ كَمَا مَرَّ آنفًا فَإنْ كَانَ هُوَ مُسْتَحقًّا للشَّتْم فَلمَ حَكَمَ بقَتْل شَاتمه

فَعُلِمَ أَنَّهُ اعْتَقَدَ شَتْمَهُ مِنَ الكَبَائِرِ فَحَكَمَ بِقَتْلِ شَاتمه وَأَيْضًا أَنَّهُ جَعَل شَتْمَهُ كَشَتْمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ كَمَا مَرَّ سَابِقًا فَلاَ يَكُونُ مُعَاوِيَةُ مُسْتَحِقًّا للشَّتْمِ وَالذَّمِّ.

أَيُّهَا الأَخُ، إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَيْسَ وَحْدَهُ فِي هَذه المُعَامَلة بَل كَانَ نصْفُ الأَصْحَاب الكِرَام تَخْمِينًا شَرِيكًا لهُ فِيهَا فَإِنْ كَانَ مُحَارِبُو عَلِيٍّ كَفَرَةً أَوْ فَسَقَةً زَال الاعْتِمَادُ عَنْ شَطْرِ الدِّينِ الذِي بَلغَنَا مِنْ طَرِيقِ تَبْلِيغِهِمْ وَلاَ يُجَوِّزُ ذَلكَ إِلاَّ زِنْدِيقٌ مَقْصُودُه إِبْطَال الدِّينِ.

أَيُّهَا الأَخُ، إِنَّ مَنْشَأَ إِثَارَة هَذه الفتْنَة هُوَ قَتْل عُثْمَانَ ﷺ وَطَلَبُ القِصَاصِ مِنْ قَتَلته فَإِنَّ طلحَةَ وَزُبَيْرًا إِنَّمَا خَرَجَا أَوَّلاً مِنَ المَدِينَة بِسَبَب تَأْخِير القِصَاصِ وَوَافَقَهُمُ الصِّدِّيقَةُ فِي هَذَا الأَمْرِ فَوَقَعَ حَرْبُ الجَمَل التِي قُتِل فِيهَا ثَلاَثَةَ عَشَرَ أَلفًا مِنَ الصَّحَابَة وَقُتِل فِيهَا طَلحَةُ وَالزُّبَيْرُ اللذَان هُمَا مِنَ العَشَرَة المُبَشَّرَة ثُمَّ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الشَّامِ وَصَارَ شَرِيكًا لَهُمْ فَوَقَعَ حَرْبُ الصِّفِّين.

صَرَّحَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ أَنَّ تلكَ المُنَازَعَةَ لَمْ تَكُنْ لأَمْرِ الخلاَفَة بَل كَانَتْ لاسْتِيفَاء القِصَاص فِي بَدْء خلاَفَة عَلِيٍّ وَعَدَّ ابْنُ حَجَر هَذَا القَوْل مِنْ مُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة وَقَال الشَّيْخُ أَبُو شَكُور السَّالمِيُّ الذي هُوَ مِنْ أَكَابِر عُلمَاء الحَنَفِيَّة أَنَّ مُنَازَعَةَ مُعَاوِيَةَ لعَلِيٍّ كَانَتْ فِي أَمْرِ الخِلاَفَة فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال لمُعَاوِيَةَ: إِذَا مَلَكْتَ النَّاسَ فَارْفُقْ بِهِمْ.

فَحَصَل لمُعَاوِيَةَ الطَّمَعُ فِي الخلاَفَة مِنْ هَذَا الكَلاَم وَلكِنْ كَانَ هُوَ مُخْطِئًا فِي هَذَا الاجْتِهَاد وَعَلِيٌّ مُحِقٌّ فيه فَإِنَّ الوَقْتَ كَانَ وَقْتَ خلاَفَة عَلِيٍّ وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذَيْنَ القَوْلَيْنِ هُوَ أَنَّ مَنْشَأَ المُنَازَعَة يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً تَأْخِيرُ القِصَاصِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلكَ يَقَعُ فِي طَمَعِ الخلاَفَة وَعَلى كُل الاجْتِهَادُ وَاقِعٌ فِي مَحَلِه فَإِنْ مُخْطِئًا فَدَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الثَّوَاب وَللمُحِقِّ دَرَجَتَان بَل عَشْرُ دَرَجَات.

أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ الطَّرِيقَ الأَسْلَمَ فِي هَذَا المَوْطِنِ السُّكُوتُ عَنْ ذِكْرِ مُشَاجَرَات أَصْحَاب النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالإِعْرَاضُ عَنْ ذِكْرِ مُنَازَعَتِهِمْ قَال النَّبِيُّ ﷺ: إِيَّاكُمْ وَمَا شَجَرَ بَيْن أَصْحَابِي.

وَقَال أَيْضًا: إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا.

وَقَال أَيْضًا عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا.

يَعْنِي احْذَرُو اللهَ وَاتَّقُوهُ فِي حَقِّ أَصْحَابِي وَلاَ تَجْعَلوهُمْ هَدَفًا لسَهْمِ مَلاَمَتِكُمْ وَطَعْنِكُمْ.

قَال الإِمَامُ الشَّافعيُّ وَهُوَ مَنْقُول عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ أَيْضًا: تِلكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ عَنْهَا أَيْدِيَنَا فَنُطَهِّرُ عَنْهَا أَلسنَتَنَا.

وَيُفْهَمُ مِنْ هَذه العِبَارَة أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي إِجْرَاءُ خَطئهم عَلى اللسَان أَيْضًا وَأَنْ يَذْكُرَهُمْ بِغَيْرِ الخَيْرِ هَذَا وَيَزِيدُ البَعِيدُ عَنِ السَّعَادَة مِنْ زُمْرَة الفَسَقَة وَالتَّوَقُّفُ فِي لعْنه إِنَّمَا هُوَ عَلى الأَصْل المُقَرَّرِ عِنْدَ أَهْل السُّنَّة مِنْ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ اللعْنُ عَلى شَخْصٍ مُعَيَّنٍ.

وَلَوْ كَانَ كَافِرًا لاَ أَنْ يُعْلمَ مَوْتُهُ عَلى الكُفْرِ يَقِينًا كَأَبِي لَهَب الجُهَنَّمِيِّ وَامْرَأَته لاَ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ للعْنِ {إِنَّ الذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولهُ لعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة}

اعْلمْ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَان لَّما اشْتَغَلوا بِبَحْث الإِمَامَة وَجَعَلوا التَّكَلمَ فِي الخلاَفَة وَمُنَازَعَات الصَّحَابَة عَلَيْهِمُ الرِّضْوَان نُصْبَ العَيْن دَائمًا وَصَارُوا لاَ يَذْكُرُونَ الأَصْحَابَ الكرَامَ بالخَيْرِ تقليدًا لجَهَلة الرَّفضَة وَمَرَدَة أَهْل البدْعَة وَيَنْسُبُونَ إِلى جَنَابهِمْ أُمُورًا غَيْرَ مُنَاسبَة كَتَبْتُ نُبْذَةً مِمَّا كَانَ مَعْلومًا لي بالضَّرُورَة وَأَرْسَلتُهَا إِلى الأَحْبَاب.

قَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: إِذَا ظَهَرَ الفتَنُ أَوْ قَال البدَعُ وَسُبَّتْ أَصْحَابي فَلْيُظْهِر العَالمُ علمَهُ فَمَنْ لمْ يَفْعَل فَعَلَيْه لعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئكَة وَالنَّاس أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَل اللهُ لهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً وَلكنْ للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمنَّةُ أَنَّ سُلطَانَ الوَقْت يَعُدُّ نَفْسَهُ حَنَفيَّ المَذْهَب وَمِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَإِلاَّ فَقَدَ كَانَ الأَمْرُ ضَيِّقًا عَلى المُسْلمِينَ جدًّا فَيَنْبَغِي أَدَاءُ شُكْرِ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى كَمَا يَنْبَغِي وَأَنْ يُجْعَل مَدَارُ الاعْتقَاد عَلى مُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَأَنْ لاَ يُصْغَى إِلى أَقْوَال زَيْد وَعَمْرو فَإِنَّ جَعْل مَدَار الأَمْر عَلى الخُرَافَات الكَاذبَة تَضْيِيعُ الإِنْسَان نَفْسَهُ وَتَقْلِيدُ الفرْقَة النَّاجيَة ضَرُوريٌّ حَتَّى يَحْصُل رَجَاءُ النَّجَاة وَبدُونه خَرْطُ القَتَاد وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّينِ
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِهِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى وَصَلِ مَكْتُوبُ الأَخِ الأَرْشَدِ فَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافِرًا وَانْدَرَجَ فيه اسْتِفْسَارَاتٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَبْدَأَ تَعَيُّنِ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَصِفَةُ العِلمِ كَمَا أَنَّ مَبْدَأَ التَّعَيُّنِ المُحَمَّدِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ هَذِهِ الصِّفَةُ أَيْضًا وَالتَّفَاوُتُ إِنَّمَا هُوَ بِالجِهَاتِ وَالاعْتِبَارَاتِ فَإِنَّ لِهَذِهِ الصِّفَةِ وَجْهًا إِلى العَالَمِ وَوَجْهًا آخَرَ إِلى المَعْلُومِ وَالوَجْهُ الأَوَّلُ مُنَاسِبٌ لِلوَحْدَةِ.

وَالثَّانِي لِلكَثْرَةِ وَلِهَذِهِ الصِّفَةِ أَيْضًا إِجْمَالُ تَفْصِيلٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الاعْتِبَارَاتِ كَانَ مَبْدَأً تَعَيُّنِ وَاحِدٍ مِنَ الكُبَرَاءِ وَالمَعَارِفِ التي تَتَعَلَّقُ بِتَحَمُّلِ ثِقَلِ النُّبُوَّةِ وَالوِلَايَةُ مُنْدَرِجَةٌ فِي المَكْتُوبِ الذي حُرِّرَ إِلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّدٍ أَشْرَفَ تَفْصِيلًا فَلَمْ أَكْتُبْهَا الآنَ فَتَطَلَّبَ مِنْهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ جَوَابَ الاسْتِفْسَارِ عَنِ الفَرْقِ بَيْنَ الغَوْثِ وَالقُطْبِ وَالخَلِيفَةِ وَلَكِنْ مَا وَجَدْتُ الإِذْنَ بِالكِتَابَةِ فَأَخَّرْنَاهُ إِلى وَقْتٍ آخَرَ وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَانِ
إلى الشَّيْخِ إدْرِيسَ السَّامَانِيِّ
فِي بَيَانِ جَوَابِ أَسْئِلته
وَتَفْصِيلِ بَعْضِ مَقَامَاتِ الطَّرِيقِ وَمَنَازِلِه عَلَى طَرِيقِ الرَّمْزِ وَالإِجْمَالِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنْهِيَ أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذِهِ الحُدُودِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجَبَةٌ للحَمْدِ.

المَسْئُول مِنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - سَلاَمَتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ عَلى الطَّرِيقَةِ المُرْضِيَةِ المُصطفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ، وَبَيَانِ الأَحْوَالِ وَالمَوَاجِيدِ الذي أُحِيلَ عَلَى مَوْلاَنَا عَبْدِ المُؤْمِنِ وَاسْتَفْسَرْتُ عَنْهَا بَيَّنَهَا مَوْلاَنَا كُلَّهَا بِالتَّفْصِيلِ وَقَالَ إِنَّهُ يَقُول: إِذَا نَظَرْتُ إِلى جَانِبِ الأَرْضِ لاَ أَجِدُ الأَرْضَ وَإِذَا رَمَيْتُ نَظَرِي إِلى جَانِبِ السَّمَاءِ لاَ أَجِدُهَا أَيْضًا وَإِذَا أَتَيْتُ شَخْصًا لاَ أَجِدُ لهُ وُجُودًا أَيْضًا وَكَذَلِكَ لاَ أَجِدُ للعَرْشِ وَالكُرْسِيِّ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ أَيْضًا وُجُودًا وَلاَ أَرَى لِنَفْسِي أَيْضًا وُجُودًا.

وَوُجُودُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - غَيْرُ مُتَنَاهٍ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ لهُ نِهَايَةً وَتَكَلَّمَ الأَكَابِرُ أَيْضًا إِلى هَذَا المَقَامِ فَقَطْ وَمَتَى وَصَلوا إِلَيْهِ عَجَزُوا عَنِ السَّيْرِ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلى الزِّيَادَةِ عَلى ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ هَذَا كَمَالاً عِنْدَكُمْ أَيْضًا وَكُنْتُمْ فِي هَذَا المَقَامِ فَلأَيِّ شَيْءٍ أَحْضُرُ عِنْدَكُمْ وَلِمَاذَا أَتْعَبُ وَأَتْعِبُ وَإِنْ كَانَ وَرَاءَ هَذَا الكَمَالِ أَمْرٌ آخَرُ فَأَطْلِعُونِي عَلَيْهِ حَتَّى أَذْهَبَ إِلى دِيَارٍ يَكْثُرُ فِيهَا أَلَمُ الطَّلَبِ وَكَانَ سَبَبُ التَّوَقُّفِ مِنَ المَصِيرِ إِلَيْكُمْ مُنْذُ سِنِينَ حُصُولَ هَذَا التَّرَدُّدِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إِنَّ هَذِهِ الأَحْوَالَ وَأَمْثَالَهَا مِنْ تَلوِينَاتِ القَلْبِ وَيَكُونُ مَشْهُودًا أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الأَحْوَالِ لَمْ يَطْوِ بَعْدُ مِنْ مَقَامَاتِ القَلْبِ أَزْيَدَ مِنَ الرُّبْعِ فَيَلْزَمُهُ طَيُّ ثَلاَثَةِ أَرْبَاعٍ أُخْرَى مِنْهَا حَتَّى يُطْوَى مُعَامَلَةُ القَلْبِ بِالتَّمَامِ وَبَعْدَ القَلْبِ رُوحٌ وَبَعْدَ الرُّوحِ سِرٌّ وَبَعْدَ السِّرِّ خَفَى وَبَعْدَ الخَفَى أَخْفَى وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ اللطَائِفِ الأَرْبَعِ البَاقِيَةِ أَحْوَالٌ وَمَوَاجِيدُ عَلى حِدَةٍ وَيَلْزَمُ طَيُّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مُنْفَرِدَةً مُنْفَرِدَةً، وَالتَّحَلِّي بِكَمَالاَتِ كُلٍّ مِنْهَا وَبَعْدَ مُجَاوَزَةِ هَذِهِ الخَمْسَةِ الأَمْرِيَّةِ وَطَيِّ أُصُولِهَا مَرْتَبَةً بَعْدَ مَرْتَبَةٍ، وَقَطْعُ مَدَارِجِ ظِلاَلِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ التي هِيَ أُصُولُ تِلْكَ الأُصُولِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ تَجَلِّيَاتُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَظُهُورَاتُ الشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَبَعْدَ هَذِهِ التَّجَلِّيَاتِ تَجَلِّيَاتُ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ فَتَقَعُ المُعَامَلَةُ حِينَئِذٍ عَلى اطْمِئْنَانِ النَّفْسِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُولُ رِضَا الحَقِّ - جَلَّ وَعَلاَ -

وَالكَمَالاَتُ التي تَحْصُل فِي هَذَا المَوْطِنِ حُكْمُ الكَمَالاَت السَّابِقَة فِي جَنْبِهَا كَحُكْمِ القَطْرَة فِي جَنْبِ البَحْرِ المُحِيطِ الذي لاَ قَعْرَ لهُ وَهُنَا يَتَيَسَّرُ شَرْحُ الصَّدْرِ وَيَتَّصِفُ بِالإِسْلاَمِ الحَقِيقِيِّ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي خَيَالاَتٌ

وَمَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنْ تَجَلِيَات الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات قَبْل قَطْعِ مَنَازِل هَذه الخَمْسَة الأَمْرِيَّة مَعَ الأُصُول وَأُصُول الأُصُول فَهُوَ ظُهُوراتُ بَعْضِ خَوَاصِّ عَالِمِ الأَمْرِ وَلهُ نَصِيبٌ مِنَ اللاَّمِثْلِيِّ والكَيفِيِّ وَمِنَ المَكَانِيِّ وَلَيْسَ بِتَجَلِيَاتِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ قَال وَاحِدٌ مِنَ السَّالِكِينَ فِي هَذَا المَقَامِ:

عَبَدْتُ الرُّوحَ ثَلاَثِينَ سَنَةً عَلى ظَنِّ أَنَّهَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فَأَيْنَ الوُصُول وَإِلى مَنِ السَّيْر، شِعْرٌ:

كَيْفَ الوُصُول إلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلل الجِبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ.

وَلَمَّا طَلَبْتُمْ الكَشْفَ عَنْ حَقِيقَة هَذَا الطَّرِيق عَلى وَجْه الالتفَات كَتَبْتُ نُبْذَةً منْهُ عَلى وَجْهِ الإِجْمَال وَالأَمْرُ عِنْدَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لَدَيْكُمْ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَتَانِ
إلى الملا أَحْمَدَ البَرْكِيِّ
فِي جَوَابِ بَعْضِ أَسْئِلتِهِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَم عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى قَدْ كَتَبْتُ أَنَّ بَعْضَ الأَكَابِرِ قَال: إنَّ الإِنْسَانَ يَنْبَغِي لهُ أَنْ يَعْمَلَ مَا يَعْمَلهُ بِأَمْرِ صَاحِبِ الزَّمَانِ حَتَّى تَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ النَّتِيجَةُ وَلَوْ كَانَ أَمْرًا مَشْرُوعًا فَإِنْ كَانَ هَذَا الكَلاَمُ صَحِيحًا نَرْجُو الإِذْنَ وَالأَمْرَ فِي جَمِيعِ المَشْرُوعَاتِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ،، إنَّ كَلاَمَ الأَكَابِرِ صَحِيحٌ وَالإِذْنَ لك حَاصِل وَأَنْتَ مَأْذُونٌ وَلكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُرَادَ بِالنَّتِيجَةِ نَتِيجَةٌ مُعْتَدٌّ بِهَا لاَ مُطْلَقًا.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ حُرِّرَ فِي رِسَالَةِ أَنَّ الخواجهْ أَحْرَارَ - قُدِّسَ سِرُّهُ - قَال: إنَّ القُرْآنَ فِي الحَقِيقَةِ مِنْ مَرْتَبَةِ عَيْنِ الجَمْعِ يَعْنِي مِنْ أُحْدِيَّةِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى مَا حُرِّرَ فِي رِسَالَةِ المَبْدَأِ وَالمَعَادِ أَنَّ حَقِيقَةَ الكَعْبَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فَوْقَ الحَقِيقَةِ القُرْآنِيَّةِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، لَيْسَ المُرَادُ بِأُحْدِيَّةِ الذَّاتِ هُنَاكَ الأُحْدِيَّةُ المُجَرَّدَةُ التي لاَ يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الصِّفَةِ وَالشَّأْنِ مَلحُوظًا؛ لأَنَّ حَقِيقَةَ القُرْآنِ نَاشِئَةٌ مِنْ صِفَةِ الكَلاَمِ التي هِيَ إِحْدَى صِفَاتِ الثَّمَانِيَةِ وَحَقِيقَةُ الكَعْبَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ مَرْتَبَةٍ مُنَزَّهَةٍ عَنْ تَلوِينَاتِ الصِّفَاتِ والشُّئُونَاتِ فَيَكُونُ التَّفَوُّقُ لَهَا.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ لوْ قَال شَخْصٌ: أَنَا أَسْجُدُ للكَعْبَةِ يَكْفُرُ فَإِنَّ السَّجْدَةَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلى طَرَفِ الكَعْبَةِ لاَ للكَعْبَةِ.

وَذُكِرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَانُوا فِي أَوَّلِ الإِسْلاَمِ يَقُولونَ فِي السَّجْدَةِ لك سَجَدْتُ وَمَدْلول الضَّمِيرِ نَفْسُ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَمَا يَكُونُ مَعْنَى مَا حُرِّرَ فِي رِسَالَةِ المَبْدَأِ وَالمَعَادِ مِنْ أَنَّ صُورَةَ الكَعْبَةِ كَمَا أَنَّهَا مَسْجودةُ صُوَرِ الأَشْيَاءِ كَذَلِكَ حَقِيقَةُ الكَعْبَةِ مَسجودةُ حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ هَذَا مِنْ مُسَامَحَاتِ العِبَارَاتِ كَمَا يُقَال: إنَّ آدَمَ مَسْجُودُ المَلاَئِكَةِ مَعَ أَنَّ السَّجْدَةَ للخَالِقِ - جَل سُلطَانُهُ - لاَ لِمَخْلوقِه ومَصْنُوعِه أَيُّ مَخْلوقٍ كَانَ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى أَصْحَابِكُمْ وَأَحْبَابِكُمْ وَعَلى الملا بَابَنْدَهْ وَالمُلاَّ حَسَنٍ.

فهـــــرس المجلد الأول
من المكتـــوباب

فهرس المكتوبات

مقدمة الكتاب ٥

المكتوب الأول: في بيان الأحوال التي لها مناسبة بالاسم الظاهر... ... ... ١٥

المكتوب الثاني: في بيان حصول الترقيات والمباهات بعنايات الحق ١٩

المكتوب الثالث: في بيان توقف الأصحاب في مقام مخصوص ٢١

المكتوب الرابع: في بيان فضائل شهر رمضان المبارك ٢٢

المكتوب الخامس: في تفويض الخواجه برهان الذي هو واحد من المخلصين... ٢٤

المكتوب السادس: في بيان حصول الجذبة والسلوك ٢٥

المكتوب السابع: في بيان بعض أحواله الغريبة ٢٨

المكتوب الثامن: في بيان الأحوال المتعلقة بمرتبة البقاء والصحو ٣١

المكتوب التاسع: في بيان الأحوال المناسبة لمقام النزول... ... ... ٣٤

المكتوب العاشر: في حصول القرب والبعد بمعان غير متعارفة ٣٧

المكتوب ١١ : في بيان بعض الكشوف وحصول مقام رؤية قصور النفس ٣٩

المكتوب ١٢: في بيان حصول الفناء والبقاء ٤٧

المكتوب ١٣: في بيان عدم نهاية الطريق ومطابقة علوم الحقيقة بعلوم الشريعة... ٤٨

المكتوب ١٤: في بيان حصول الوقائع التي عرضت في أثناء الطريق... ... ... ٥٠

المكتوب ١٥: في بيان الأحوال التي لها مناسبة لمقام الهبوط والنزول... ... ... ٥٣

المكتوب ١٦: في بيان أحوال الخروج والنزول وغيرها... ... ... ٥٥

المكتوب ١٧: في الأحوال المتعلقة بالعروج والنزول... ... ... ٥٨

المكتوب ١٨: في التمكين الذي يحصل بعد التلوين... ... ... ٥٩

المكتوب ١٩: في تفويض بعض أرباب الحوائج... ... ... ٦٥

المكتوب ٢٠: في تفويض بعض أرباب الحوائج... ... ... ٦٦

المكتوب ٢١: في بيان درجات الولاية لا سيما الولاية المحمدية ٦٧
المكتوب ٢٢: في بيان وجه التعلق بين الروح والنفس ٦٩
المكتوب ٢٣: في جواب كتابه في المنع عن أخذ الطريق من الناقص ٧١
المكتوب ٢٤: في بيان أن الصوفي كائن بائن وأن تعلق القلب لا يكون بأكثر من واحد ٧٤
المكتوب ٢٥: في التحريض على متابعة سيد المرسلين ومتابعة الخلفاء الراشدين.. ٧٦
المكتوب ٢٦:في بيان أن الشوق يكون للأبرار دون المقربين مع علوم تناسب هذا المقام... ... ... ٧٧
المكتوب ٢٧: في بيان مدح الطريقة النقشبندية وعلو نسبة هؤلاء الأكابر ٧٩
المكتوب ٢٨ : في بيان علو الحال لكن بعبارة موهمة للتنزل والتباعد... ... ... ٨١
المكتوب ٢٩ : في الترغيب في أداء الفرائض ورعاية السنن والآداب... ... ... ٨٢
المكتوب ٣٠ : في بيان الشهود الآفاقي والأنفسي... ... ... ٨٥
المكتوب ٣١ : في بيان ظهور حقيقة التوحيد الوجودي... ... ... ٩٠
المكتوب ٣٢ : في بيان الكمال المخصوص بالأصحاب الكرام... ... ... ٩٦
المكتوب ٣٣ : في بيان مذمة علماء السوء الذين هم في أسر محبة الدنيا... ... . ١٠٠
المكتوب ٣٤ : في بيان الجواهر الخمسة الأمرية بطريق البسط والتفصيل مهما أمكن... ... ... ١٠٤
المكتوب ٣٥ : في بيان المحبة الذاتية التي يستوي في هذا المقام الإنعام والإيلام... ١٠٧
المكتوب ٣٦ : في بيان أن الشريعة متكفلة بجميع السعادات الدينية والدنيوية... ١٠٨
المكتوب ٣٧ : في التحريض على متابعة السنة السنية... ... ... ١١٠
المكتوب ٣٨ : في بيان التعلق بالذات البحت تعالت وتقدست... ... ... ١١١
المكتوب ٣٩ : في بيان أن مدار الأمر على القلب... ... ... ١١٥
المكتوب ٤٠ : في بيان تحصيل الإخلاص... ... ... ١١٦
المكتوب ٤١ : في التحريض على متابعة السنة السنية المصطفوية... ... ... ١١٧

المكتوب ٤٢ : في بيان أن أفضل المصاقيل لإزالة صداء محبة ما سوى الحق... . ١٢١
المكتوب ٤٣ : في بيان أن التوحيد على قسمين شهودي ووجودي... ... ... ١٢٢
المكتوب ٤٤ : في مدح خير البشر... ... ... ١٢٧
المكتوب ٤٥ : إظهارا لشكر تقويته الظاهرية أمور فقراء الخانقاه بعد ارتحال شيخه ١٣٠
المكتوب ٤٦ : في بيان أن وجود الواجب بديهي غير محتاج إلى فكر ودليل... ١٣٤
المكتوب ٤٧ : في الشكاية من ضعف اهل الإسلام وغلبة الكفار... ... . ١٣٦
المكتوب ٤٨ : في التحريض على تعظيم العلماء وطلبة العلوم... ... ... ١٣٨
المكتوب ٤٩ : في التحريض على الجمع بين دولتي تحلية الظاهر وتخلية الباطن.. ١٤٠
المكتوب ٥٠ : في مذمة الدنيا الدنية... ... ... ١٤١
المكتوب ٥١ : في الترغيب في ترويج الشريعة الغراء... ... ... ١٤٢
المكتوب ٥٢ : في مذمة النفس الأمارة وبيان مرضها الذاتي... ... ... ١٤٣
المكتوب ٥٣ : في بيان أن اختلاف علماء السوء موجب لفساد العالم... ... . ١٤٦
المكتوب ٥٤ : في بيان أن الاجتناب من صحبة المبتدع لازم... ... ... ١٤٨
المكتوب ٥٥ : في إظهار المحبة... ... ... ١٥٠
المكتوب ٥٦ : في تفويض شخص من السادات... ... ... ١٥١
المكتوب ٥٧ : في النصيحة... ... ... ١٥٢
المكتوب ٥٨ : في بيان أن هذا الطريق كله سبع خطوات... ... ... ١٥٣
المكتوب ٥٩ : في بيان أن حصول النجاة لا يتصور بدون اتباع أهل السنة والجماعة ١٥٦
المكتوب ٦٠ : في بيان نفي الخواطر ودفع الوساوس الكلية... ... ... ١٥٩
المكتوب ٦١ : في التحريض على صحبة الشيخ الكامل المكمل... ... ... ١٦١
المكتوب ٦٢ : في بيان أن الجذبة التي هي قبل السلوك ليست من المقاصد... .. ١٦٣
المكتوب ٦٣ : في بيان أن الأنبياء متفقون في أصول الدين... ... ... ١٦٤

المكتوب ٦٤ : في بيان اللذة والألم الجسمانيين والروحانيين... ... ... ١٦٧
المكتوب ٦٥ : في التأسف والتلهف على ضعف الإسلام وعجز المسلمين... .. ١٦٩
المكتوب ٦٦ : في مدح الطريقة العلية النقشبندية... ... ... ١٧١
المكتوب ٦٧ : في تفويض محتاج... ... ... ١٧٣
المكتوب ٦٨ : في بيان أن التواضع يستحسن من أرباب الغنى... ... ... ١٧٤
المكتوب ٦٩ : في بيان أن التواضع موجب للرفعة في الدارين... ... ... ١٧٦
المكتوب ٧٠ : في بيان أن جامعية الإنسان سبب لبعده كما أنها سبب لقربه... ١٧٧
المكتوب ٧١ : في بيان أن شكر المنعم واجب على المنعم عليه... ... ... ١٧٩
المكتوب ٧٢ : في بيان أن جمع الدين مع الدنيا متعسر... ... ... ١٨٠
المكتوب ٧٣ : في مذمة الدنيا وأبنائها وترك تحصيل العلوم الغير النافعة... ... . ١٨١
المكتوب ٧٤ : في التحريض على محبة الفقراء والتوجه إليهم... ... ... ١٨٧
المكتوب ٧٥ : في التحريض على متابعة سيد الكونين... ... ... ١٨٩
المكتوب ٧٦ : في بيان أن الترقي مربوط بالورع والتقوى... ... ... ١٩٠
المكتوب ٧٧ : في بيان أن عبادة الله متى تكون ميسرة ١٩٢
المكتوب ٧٨ : في بيان معنى السفر في الوطن والسير الآفاقي والأنفسي... ... ١٩٤
المكتوب ٧٩ : في بيان أن هذه الشريعة الغراء جامعة للشرائع المتقدمة... ... . ١٩٦
المكتوب ٨٠ : في بيان أن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة... ... ... ١٩٨
المكتوب ٨١ : في التحريض على ترويج الإسلام... ... ... ٢٠٢
المكتوب ٨٢ : في بيان أن سلامة القلب لا تتصور بدون نسيان ما سوى الحق. ٢٠٣
المكتوب ٨٣ : في التحريض على الجمع بين جمعيتي الظاهر والباطن... ... ... ٢٠٤
المكتوب ٨٤ : في بيان أن كلا من الشريعة والحقيقة عين الآخر... ... ... ٢٠٥
المكتوب ٨٥ : في التحريض على إتيان الأعمال الصالحة... ... ... ٢٠٧
المكتوب ٨٦ : في بيان سلامة القلب عما سواه تعالى... ... ... ٢٠٩
المكتوب ٨٧ : في بيان سعادة من قبله أولياء الله تعالى... ... ... ٢١٠

المكتوب ٨٨ : في بيان فضيلة الشيب في الإيمان والصلاح... ... ... ٢١١
المكتوب ٨٩ : في التعزية... ... ... ٢١٢
المكتوب ٩٠ : في التحريض على التوجه إلى الحق سبحانه بالكلية... ... ... ٢١٣
المكتوب ٩١ : في بيان أن تصحيح العقائد وإتيان الأعمال الصالحة جناحان... ٢١٤
المكتوب ٩٢ : في بيان أن اطمئنان القلب بالذكر لا بالاستدلال والنظر... ... ٢١٥
المكتوب ٩٣ : في التحريض على صرف الأوقات إلى ذكر الله... ... ... ٢١٦
المكتوب ٩٤ : في بيان أنه لابد للإنسان من تصحيح العقائد... ... ... ٢١٧
المكتوب ٩٥ : في بيان أن الإنسان نسخة جامعة وقلبه أيضا مخلوق على وصف الجامعية... ... ... ٢١٨
المكتوب ٩٦ : في المنع والزجر عن التسويف والتأخير... ... ... ٢٢١
المكتوب ٩٧ : في بيان أن المقصود من العبادة هو تحصيل اليقين... ... ... ٢٢٣
المكتوب ٩٨ : في التحريض على الرفق وترك العنف بإيراد الأحاديث... ... . ٢٢٤
المكتوب ٩٩ : في كيفية دوام الحضور واجتماعه مع النوم الذي هو معدن الغفلة... ... ... ٢٢٧
المكتوب ١٠٠ : أيضا في جواب سؤاله عن قول الشيخ عبد الكريم اليمني: "إن الحق سبحانه ليس بعالم الغيب" ٢٣٠
المكتوب ١٠١ : في الرد على جماعة تعرضوا لأهل الكمال... ... ... ٢٣٣
المكتوب ١٠٢ : في بيان أن المحرم في القرض مع الفيض مجموع المبلغ... ... .. ٢٣٤
المكتوب ١٠٣ : في بيان معنى العافية وطلب القاضي لبلد سرهند... ... . ٢٣٧
المكتوب ١٠٤ : في التعزية... ... ... ٢٣٨
المكتوب ١٠٥ : في بيان أن المريض ما لم يصح و لم يبرأ لا ينفعه غذاء أصلا... ٢٣٩
المكتوب ١٠٦ : في بيان أن محبة هذه الطائفة المتفرعة على معرفتهم... ... ... ٢٤٠
المكتوب ١٠٧ : وفيه فوائد ضرورية نافعة في التسليم لهذه الطائفة... ... . ٢٤١
المكتوب ١٠٨ : في بيان أن النبوة أفضل من الولاية... ... ... ٢٤٥

المكتوب ١٠٩ : في بيان سلامة القلب ونسيانه ما دون الحق سبحانه... ... .. ٢٤٦
المكتوب ١١٠ : في بيان أن المقصود من خلق الإنسان أداء وظائف السلوك... ٢٤٧
المكتوب ١١١ : في بيان أن التوحيد عبارة عن تخليص القلب عما دون الحق... ٢٤٨
المكتوب ١١٢ : في بيان أن المدار في التحقيق على عقائد أهل السنة والجماعة. ٢٤٩
المكتوب ١١٣ : في بيان الفرق بين جذبة المبتدئ وبين جذبة المنتهي... ... ... ٢٥٠
المكتوب ١١٤ : في التحريض على متابعة سيد المرسلين ٢٥١
المكتوب ١١٥ : في بيان أن الطريق الذي نحن في صدد قطعه كله سبعة أقدام.. ٢٥٣
المكتوب ١١٦ : في بيان أن سلامة القلب موقوفة على نسيان ما سواه تعالى... ٢٥٤
المكتوب ١١٧ : في أن القلب تابع للحس في الابتداء ولا تبقى تلك التبعية في
الانتهاء... ... ... ٢٥٥
المكتوب ١١٨ : في بيان خسارة جماعة يعترضون على أهل الله... ... ... ٢٥٦
المكتوب ١١٩ : في الترغيب في صحبة الشيخ المقتدى به... ... ... ٢٥٧
المكتوب ١٢٠ : في التحريض على صحبة أرباب الجمعية... ... ... ٢٥٩
المكتوب ١٢١ : في بيان أن هذا الطريق تقرر كله على سبعة أقدام... ... ... ٢٦٠
المكتوب ١٢٢ : في التحريض على علو الهمة... ... ... ٢٦١
المكتوب ١٢٣ : في بيان أن أداء النفل وإن كان حجا داخل فيما لا يعني... .. ٢٦٢
المكتوب ١٢٤ : في بيان أن الاستطاعة شرط لوجوب الحج... ... ... ٢٦٣
المكتوب ١٢٥ : في بيان أن العالم كبيره وصغيره مظاهر الأسماء والصفات
الإلهية... ... ... ٢٦٤
المكتوب ١٢٦ : في بيان أنه ينبغي للطالب الاهتمام في نفي الآلهة الباطلة... ... ٢٦٦
المكتوب ١٢٧ : في بيان أن خدمة الوالدين في جنب تحصيل المطلب الحقيقي لا
شيء... ... ... ٢٦٧
المكتوب ١٢٨ : في الترغيب في علو الهمة ٢٦٨
المكتوب ١٢٩ : في بيان أن جامعية الإنسان باعثة على تفرقته... ... ... ٢٦٩

المكتوب ١٣٠ : في بيان أن لا اعتبار بتلوينات الأحوال... ... ... ٢٧٠
المكتوب ١٣١ : في بيان علو شأن طريقة حضرات خواجكان... ... ... ٢٧١
المكتوب ١٣٢ : في التحذير عن صحبة أرباب الغنى والترغيب في صحبة
الفقراء... ... ... ٢٧٣
المكتوب ١٣٣ : في بيان اغتنام الفرصة وعدم تضييع الوقت... ... ... ٢٧٤
المكتوب ١٣٤ : في المنع عن التسويف... ... ... ٢٧٥
المكتوب ١٣٥ : في بيان مراتب الولاية عامة كانت أو خاصة... ... ... ٢٧٦
المكتوب ١٣٦ : في المنع عن التسويف والتأخير في تحصيل المطلوب الحقيقي... ٢٧٨
المكتوب ١٣٧ : في بيان علو شأن الصلاة المنوط كمالها بالوصول إلى نهاية
النهاية... ... ... ٢٧٩
المكتوب ١٣٨ : في مذمة الدنيا والتحذير من صحبة أربابها... ... ... ٢٨٠
المكتوب ١٣٩ : في بيان جواز هجو جماعة السفهاء... ... ... ٢٨٢
المكتوب ١٤٠ : في بيان أن الألم والمحنة من لوازم المحبة... ... ... ٢٨٣
المكتوب ١٤١ : في بيان أن العمدة في هذا الأمر المحبة والإخلاص... ... . ٢٨٤
المكتوب ١٤٢ : في بيان استكثار قليل من نسبة الأكابر... ... ... ٢٨٥
المكتوب ١٤٣ : في بيان اغتنام موسم الشباب... ... ... ٢٨٦
المكتوب ١٤٤ : في بيان معنى السير والسلوك... ... ... ٢٨٧
المكتوب ١٤٥ : في بيان أن مشائخ النقشبندية اختاروا ابتداء السير من عالم
الأمر... ... ... ٢٨٩
المكتوب ١٤٦ : في النصيحة بتكرار الذكر... ... ... ٢٩٠
المكتوب ١٤٧ : في بيان أن الانقطاع مقدم على الاتصال وبالعكس... ... ... ٢٩١
المكتوب ١٤٨ : في بيان ذم صاحب الرأي وعدم الاغترار بتوسط روحانية
المشايخ... ... ... ٢٩٢
المكتوب ١٤٩ : في بيان عدم قصر النظر على سبب معين... ... ... ٢٩٣

المكتوب ١٥٠ : في بيان أن لا مستحق للمطلوبية غير الحق... ... ... ٢٩٤
المكتوب ١٥١ : في بيان علو شأن الطريقة النقشبندية... ... ... ٢٩٥
المكتوب ١٥٢ : في بيان أن إطاعة الرسول عين إطاعة الحق ٢٩٦
المكتوب ١٥٣ : في بيان الخلاص التام من رقية ما سواه تعالى... ... ... ٢٩٨
المكتوب ١٥٤ : في بيان ضرورية ترك النفس والسير إليها... ... ... ٢٩٩
المكتوب ١٥٥ : في التحريض على الرجوع إلى أصله... ... ... ٣٠٠
المكتوب ١٥٦ : في التحريض على صحبة أهل الله... ... ... ٣٠١
المكتوب ١٥٧ : في بيان لزوم إظهار التواضع والاحتياج عند حضور الأكابر.. ٣٠٢
المكتوب ١٥٨ : في بيان تفاوت مراتب الكمال بحسب تفاوت الاستعدادات.. ٣٠٤
المكتوب ١٥٩ : في التعزية... ... ... ٣٠٥
المكتوب ١٦٠ : في بيان أن مشائخ الطريقة قدس الله أسرارهم ثلاثة طوائف... ٣٠٦
المكتوب ١٦١ : في بيان أن المقصود من طي منازل السلوك حصول الإيمان الحقيقي... ... ... ٣١٠
المكتوب ١٦٢ : في بيان فضيلة شهر رمضان... ... ... ٣١١
المكتوب ١٦٣ : في بيان أن كلا من الإسلام والكفر ضد الآخر... ... . ٣١٣
المكتوب ١٦٤ : في بيان أن فيض الحق سبحانه وتعالى وارد على الخواص والعوام... ... ... ٣١٦
المكتوب ١٦٥ : في الترغيب في متابعة صاحب الشريعة... ... ... ٣١٧
المكتوب ١٦٦ : في عدم الاغترار بالحياة اليسيرة... ... ... ٣١٩
المكتوب ١٦٧ : في التحريض على عباده الله تعالى والتحذير عن عبادة الآلهة الباطلة... ... ... ٣٢٠
المكتوب ١٦٨ : في مدح الطريقة النقشبندية... ... ... ٣٢٢
المكتوب ١٦٩ : في قول من قال: "لو دخلت بيني وبين الحق سبحانه في وقت خاص بي معه تعالى أقطع رأسك" ٣٢٥

المكتوب ١٧٠ : في بيان لزوم مراعاة حقوق الخلق ومواساتهم كمراعاة حقوقه تعالى... ... ... ٣٢٦
المكتوب ١٧١ : في بيان فضيلة اختيار الذل والانكسار وأداء وظائف العبودية. ٣٢٧
المكتوب ١٧٢ : في بيان بعض الأسرار الخاصة به... ... ... ٣٢٩
المكتوب ١٧٣ : في بيان أسرار غريبة متعلقة بالنفي والإثبات... ... ... ٣٣١
المكتوب ١٧٤ : في بيان أن والهي هذا الطريق لا يتسلون بهذه المعية... ... .. ٣٣٤
المكتوب ١٧٥ : في بيان تلوينات الأحوال وحصول التمكين... ... ... ٣٣٥
المكتوب ١٧٦ : في بيان أن حفظ الأوقات من ضروريات هذا الطريق... ... ٣٣٦
المكتوب ١٧٧ : في التحريض على تصحيح العقائد... ... ... ٣٣٧
المكتوب ١٧٨ : في تفويض شخص إليه... ... ... ٣٣٨
المكتوب ١٧٩ : في النصيحة... ... ... ٣٣٩
المكتوب ١٨٠ : في الاستفسار عن أسامي بعض مشائخه الذي وقع فيه التردد. ٣٤٠
المكتوب ١٨١ : في سبب مشاهدة بعض المشايخ في مقام أعلى من مقاماتهم... ٣٤٢
المكتوب ١٨٢ : في بيان كون الخواطر والوساوس من كمال الإيمان... ... ... ٣٤٤
المكتوب ١٨٣ في النصيحة... ... ... ٣٤٥
المكتوب ١٨٤ : في التحريض على متابعة سيد المرسلين... ... ... ٣٤٦
المكتوب ١٨٥ : في تفويض شخص... ... ... ٣٤٧
المكتوب ١٨٦ : في الحث على متابعة السنة والاجتناب عن البدعة... ... ... ٣٤٨
المكتوب ١٨٧ : في أفضلية طريق الرابطة على الذكر بالنسبة إلى المريد... ... . ٣٥٠
المكتوب ١٨٨ : في حل إشكال المسائل التي سأل عنها... ... ... ٣٥١
المكتوب ١٨٩ : في بيان فضل تذكر الفقراء مع كثرة الاشتغال... ... ... ٣٥٢
المكتوب ١٩٠ : في التحريض على المداومة على الذكر... ... ... ٣٥٣
المكتوب ١٩١ : في الحث على اتباع الأنبياء... ... ... ٣٥٥
المكتوب ١٩٢ : في جواب استفسار... ... ... ٣٥٧

المكتوب ١٩٣ : في الحث على تصحيح العقائد على وفق آراء أهل السنة والجماعة... ... ... ٣٥٨
المكتوب ١٩٤ : في التحريض على ترويج الملة تأييد الدين ٣٦١
المكتوب ١٩٥ : في الحث على ترويج الشريعة وإظهار الأسف على ضعف الإسلام... ... ... ٣٦٢
المكتوب ١٩٦ : في بيان أن هذا الطريق الذي نحن في صدد قطعه سبعة أقدام.. ٣٦٣
المكتوب ١٩٧ : في مدح من تبرد قلبه من الدنيا وتأثر من محبة الحق... ... ... ٣٦٤
المكتوب ١٩٨ : في بيان أن المودة بين الفقراء الأغنياء متعسرة في هذا الزمان جدا... ... ... ٣٦٥
المكتوب ١٩٩ : إلى الملا محمد أمين الكابلي... ... ... ٣٦٦
المكتوب ٢٠٠ : في حل بعض عبارات النفحات... ... ... ٣٦٧
المكتوب ٢٠١ : إلى كوك بيك الحصاري في جواب استفساره... ... ... ٣٧١
المكتوب ٢٠٢ : في ذم جماعة دخلوا في الطريقة ثم خرجوا منها بلا موجب... ٣٧٢
المكتوب ٢٠٣ : في التحريض على محبة هذه الطائفة وبيان نبذة من مدحهم... ٣٧٤
المكتوب ٢٠٤ : في النهي عن التأثر من تعرضات المعاندين والحاسدين... ... ... ٣٧٦
المكتوب ٢٠٥ : في بيان أن ملاك الأمر متابعة النبي ٣٧٧
المكتوب ٢٠٦ : في مذمة الدنيا وترك الالتفات إلى تنعماتها... ... ... ٣٧٨
المكتوب ٢٠٧ : في بيان تأثير القرب الجسماني في القرب الروحاني... ... ... ٣٨٠
المكتوب ٢٠٨ : في جواب سؤال عن رؤية السالك نفسه أحيانا في مقامات الأنبياء ٣٨٢
المكتوب ٢٠٩ : في حل بعض عبارات رسالة المبدأ والمعاد المغلقة... ... ... ٣٨٤
المكتوب ٢١٠ : في حل بعض عبارات النفحات وبعض النصائح الضرورية... ٣٩٠
المكتوب ٢١١ : في بيان بعض لوازم مقام التكميل والإرشاد... ... ... ٣٩٤
المكتوب ٢١٢ : في جواب بعض أسئلته وحل واقعة رآها... ... ... ٣٩٥

المكتوب ٢١٣ : في المواعظ والنصائح بالترغيب في اتباع علماء أهل السنة والجماعة... ... ... ٣٩٧
المكتوب ٢١٤ : في بيان أن الدنيا مزرعة الآخرة... ... ... ٣٩٩
المكتوب ٢١٥ : في مذمة الدنيا... ... ... ٤٠١
المكتوب ٢١٦ : في بيان سر كثرة ظهور الخوارق للعادات من بعض الأولياء.. ٤٠٢
المكتوب ٢١٧ : في بيان أن نسبة الباطن كلما تنجر إلى الجهالة والحيرة تكون أحسن ٤٠٥
المكتوب ٢١٨ : في بيان لزوم رعاية آداب شيخ الطريقة... ... ... ٤٠٩
المكتوب ٢١٩ : في بيان أن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه من جهله وغفلته... .. ٤١٠
المكتوب ٢٢٠ : في بيان بعض أغلاط الصوفية وبيان منشأ غلطاتهم... ... ... ٤١٢
المكتوب ٢٢١ : في خصائص الطريقة النقشبندية وأفضليتها على سائر الطرق.. ٤١٦
المكتوب ٢٢٢ : في بيان سوء الأحوال ورؤية القصور في الأعمال... ... . ٤٢٣
المكتوب ٢٢٣ : في التحريض على إظهار الأحوال لشيخه... ... ... ٤٢٥
المكتوب ٢٢٤ : في بيان رعاية الآداب ودفع التوهم... ... ... ٤٢٦
المكتوب ٢٢٥ : في بيان أن في بداية هذا الطريق يحصل ما يحصل في نهاية الطرق... ... ... ٤٢٩
المكتوب ٢٢٦ : في بيان اغتنام الفرصة... ... ... ٤٣٠
المكتوب ٢٢٧ : في بعض النصائح والمواعظ التي تتعلق بمقام المشيخة... ... .. ٤٣١
المكتوب ٢٢٨ : في بعض النصائح المتعلقة بمقام التكميل... ... ... ٤٣٣
المكتوب ٢٢٩ : في دفع توهم تغيير الطريقة بضرب المثل... ... ... ٤٣٤
المكتوب ٢٣٠ : في علو الهمة وعدم الاكتفاء بكل ما يحصل والاجتهاد في الترقي... ... ... ٤٣٦
المكتوب ٢٣١ : في بيان الفرق بين الوصول والحصول... ... ... ٤٣٧
المكتوب ٢٣٢ : في بيان حقيقة الدنيا وقبح زخرفاتها الردية... ... ... ٤٣٩

المكتوب ٢٣٣ : في بعض النصائح بحسن الأداء ٤٤١
المكتوب ٢٣٤ : في بيان حقيقة الواجب الوجود وحقائق الممكنات ٤٤٣
المكتوب ٢٣٥ : في بيان أن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ٤٥٣
المكتوب ٢٣٦ : في بيان بعض الأسرار ٤٥٤
المكتوب ٢٣٧ : في الترغيب في متابعة السنة السنية ٤٥٥
المكتوب ٢٣٨ : في الحث على تكثير الإخوان والتحذير عن العجب من أحوال المريدين ٤٥٧
المكتوب ٢٣٩ : في جواب استفسارات ٤٥٩
المكتوب ٢٤٠ : في بيان عدم نهاية هذا الطريق ٤٦١
المكتوب ٢٤١ : في بيان ترقي بعض الأصحاب ٤٦٣
المكتوب ٢٤٢ : إلى الملا بديع الدين في جواب أسئلته ٤٦٤
المكتوب ٢٤٣ : في الترغيب في الطريقة النقشبندية العلية ٤٦٥
المكتوب ٢٤٤ : إلى الملا محمد صالح الكولابي في جواب كتابه ٤٦٧
المكتوب ٢٤٥ : إلى الملا صالح في جواب استفساراته ٤٦٨
المكتوب ٢٤٦ : في بيان حصول مقام كان يتوقعه ويترصده ٤٧٠
المكتوب ٢٤٧ : في بيان أن الدليل على وجود الحق هو عين وجود الحق لا غير ٤٧٢
المكتوب ٢٤٨ : في بيان أن لكمال اتباع الأنبياء نصيبا من جميع كمالاتهم بالتبعية ٤٧٣
المكتوب ٢٤٩ : في فضائل اتباع النبي ٤٧٥
المكتوب ٢٥٠ : إلى الملا أحمد البركي في حل بعض استفساراته ٤٧٦
المكتوب ٢٥١ : في بيان فضائل الخلفاء الراشدين خصوصا الشيخين ٤٧٧
المكتوب ٢٥٢ : إلى الشيخ بديع الدين في جواب استفساراته ٤٨٥
المكتوب ٢٥٣ : في تفصيل بعض مقامات الطريق ومنازل على طريق الرمز والإجمال ٤٨٦
المكتوب ٢٥٤ : إلى الملا أحمد البركي في جواب بعض أسئلته ٤٨٨